شرح العلامة الزرقاني

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ.

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ.

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الخامس

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floor.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

[وأما مكاتبته عليه الصلاة والسلام إلى الملوك وغيرهم]:

فروي أنه لما رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية كتب إلى الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا أن يكون مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، و «الله» سطر، وختم به الكتاب.

وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب إلا مختومًا ....

وفي القاموس النمر، ككتف ابن تولب، ويقال النمر: بالفتح شاعر للنبي ﷺ، وسيذكر المصنف كتابه إلى بني نهد في المقصد الثالث، فذكره هنا في قوله إلى بني زهير لا فائدة فيه، لأنهما غيران، والله أعلم.

(وأما مكاتباته عليه الصلاة والسلام) أي بيان كتابته **(إلى الملوك وغيرهم، فروى)** عند ابن سعد وغيره عن ابن عباس **(أنه لما رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية)** في ذي الحجة سنة ست، **(كتب إلى الروم)** يدعوهم إلى الإسلام، أي أمر بالكتب، فكتب وأراد إرساله، **(فقيل له إنهم لا يقرؤون كتابًا إلاّ أن يكون مختومًا، فأخذ خاتمًا من فضة،)** هكذا في رواية ابن سعد وغيره، وروى ابن عدي في هذه القصة، أنه عمل له خاتمًا من حديد، فجاء جبريل، فقال: انبذه من أصبعك فنبذه، فعمل له خاتمًا من نحاس، فأمره جبريل، فنبذه، فعمل له خاتمًا من فضة، فأقره جبريل، فإن صحا، فاقتصر من اقتصر على الفضة، لأنه الذي استقر عليه أمره، **(ونقش فيه ثلاثة أسطر من محمد سطر ورسول،)** بالتنوين وعدمه على الحكاية **(سطر والله)** بالرفع والجر على الحكاية **(سطر،)** ولابن سعد من مرسل ابن سيرين بسم الله محمد رسول الله.

قال الحافظ: ولم يتابع على هذه الزيادة، وقول بعض الشيوخ، يعني الاسنوي أن كتابته كانت من فوق، يعني الجلالة أعلى الأسطر الثلاثة، ومحمد أسفلها، فلم أر التصريح بذلك في شيء من الأحاديث، بل رواية الإسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك، فإنه، قال محمد سطر، والسطر الثاني رسول، والسطر الثالث الله **(وختم به الكتاب)**.

قال الحافظ: ولم تكن كتابة الخاتم على الترتيب العادي، فإن ضرورة الختم به تقتضي أن الأحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويًا انتهى.

وهو تعويل على العادة وأحواله ﷺ خارجة عن طورها، بل في تاريخ ابن كثير عن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة، وكانت تطبع كتابة مستقيمة، وفي رواية ابن سعد وغيره، فخرج ستة نفر في يوم واحد، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، **(وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب)** إذا ورد عليهم، **(إلا مختومًا)** بأن يطوى، ويجعل عليه ما يمنع فكه، ثم

خوفًا من كشف أسرارهم، وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم.

وعن أنس، إن ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة، وقال بعضهم: هو سنة لفعله ﷺ.

فكتب إلى قيصر، المدعو «هرقل» ملك الروم يوم ذاك، ثم قال بعد تمام الكتابة من ينطلق بكتابي هذا إلى هرقل وله الجنة، فقالوا: وإن لم يصل يا رسول الله؟ قال: وإن لم يصل، ....

يختم عليه (**خوفًا من كشف أسرارهم، وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مـم لا يطلع عليها غيرهم**،) صونًا لسورة الملك عن مشاركة العامة في أخبارهم.

(**وعن أنس أن ختم كتاب السلطان**،) أي من له سلطنة، فيشمل الأمراء، (**والقضاة سنة متبعة**،) وقول الصحابي من السنة، كذا له حكم الرفع، كما في الالفية وغيرها، فافاد أنس أنه مطلوب، (**و**) لذا، (**قال بعضهم هو سنة لفعله ﷺ**،) فمؤدى العبارتين واحد، لا أن قول أنس اخبار عن مجرد الإعتياد، وأن كلام بعضهم مقابل له، كما توهم، ثم عطف على قوله كتب إلى الروم من عطف المفصل على المجمل لبيان المكتوب له، منهم قوله: (**فكتب إلى قيصر المدعو**،) أي المسمى، (**هرقل**) بكسر الهاء، وفتح الراء، وسكون القاف على المشهور في الروايات، وحكى الجوهري وغيره: سكون الراء، وكسر القاف، وجزم به القزاز وغيره، علم له غير منصرف للعلمية، والعجمة ما في الفتح لقب قيصر بالقاف غير صافية في لغتهم من القصر، وهو القطع في لغتهم، لأن أحشاء أمه قطعت حتى خرج منها، لأنها لما طلقت به ماتت، فبقر بطنها عنه، فخرج حيا وكان يفخر بذلك، لأنه لم يخرج من فرج، وكان شجاعًا جبارًا مقدمًا في الحروب، كذا ذكره العيني وغيره، ولا يشكل بقولهم قيصر اسم لكل ملك الروم، لأن المراد من هرقل فمن بعده، ولا يشكل بقوله للّه إذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، لأن المراد في إقليمه الذي كان فيه، أو يملك مثله، أو غير ذلك مما أجابوا به (**ملك الروم يوم ذاك**) الكتب، وليس المراد خصوص يوم معين، لأن العرب تريد باليوم مطلق الزمن، وقد ذكروا أنه ملك الروم احدى وثلاثين سنة، وفي ملكه مات ﷺ، (**ثم قال بعد تمام الكتابة: من ينطلق بكتابي هذا إلى هرقل، وله الجنة**) مع السابقين، أو بلا حساب، (**فقالوا: وإن لم يصل يا رسول اللّه**) بأن منعه مانع من موت، أو غيره عن الوصول، (**قال: وإن لم يصل**،) لأن نيته الوصول، وهو خير من العمل، وفي رواية الحرث بن أبي أسامة بلفظ يقتل في الموضعين، ثم يحتمل أنه بفوقية من القتل، أو بموحدة من القبول، كأنهم استعظموا هذا الجزاء العظيم، وإن عاد الذاهب سالمًا، أو لم يقبل هرقل

فأخذه دحيةُ بن خليفة الكلبي، وتوجه إلى مكان فيه هرقل. ولفظه:
بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ - ....

الكتاب بأن لم يعمل به، فأخبرهم بذلك، لأنه رتب الجزاء على مجرد الانطلاق والقتل، أو القبول شيء آخر، **(فأخذه دحية)**.

قال الحافظ: بكسر الدال وفتحها لغتان، ويقال إنه الرئيس بلغة اليمن **(ابن خليفة الكلبي)** الصحابي الجليل، كان من أحسن الناس وجهًا، وأسلم قديمًا، **(وتوجه به إلى مكان فيه هرقل،)** وهو بيت المقدس، كما في الصحيح، وعنده في الجهاد أن اللّٰه لما كشف عن هرقل جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرًا للّٰه.

زاد ابن إسحٰق، فكان يبسط له البسط، وتوضع عليها الرياحين، فيمشي عليها.

وعند الطبري، وابن عبد الحكم من طرق متعاضدة أن كسرى أغزى جيشه بلاد هرقل، فخربوا كثيرًا منها، ثم استبطأ كسرى أميره، فأراد قتله وتولية غيره، فاطلع أميره على ذلك، فباطن هرقل، واصطلح معه على كسرى، وانهزم عنه بجنوده، فمشى هرقل إلى بيت المقدس شكرًا، وعند ابن إسحٰق عن أبي سفيٰن: لما كانت الهدنة خرجت تاجرًا إلى الشام مع رهط قريش، فقال هرقل لصاحب شرطته: قلب الشام ظهر البطن حتى تأتي برجل من قوم هذا الرجل أسأله عن شأنه، فواللّٰه إني وأصحابي بغزة إذ هجم علينا، فساقنا جميعًا، فذكر الحديث بنحو ما في الصحيح أنهم أتوه، وهو بايلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، وعليه التاج الحديث في الأسئلة والأجوبة، وفيه، ثم دعا بكتاب النبي ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه.

قال في الفتح: بصرى، بضم الموحدة والقصر مدينة بين المدينة ودمشق، وقيل هي حوران وعظيمها هو الحٰرث بن أبي شمر الغساني. وفي الصحابة لابن السكن أنه أرسل بكتاب النبي ﷺ إلى هرقل مع عدي بن حاتم، وكان عدي إذ ذاك نصرانيًا، فوصل به هو ودحية معًا.

وروى البزار: أن دحية نفسه ناول الكتاب لقيصر، ولفظه بعثني ﷺ بكتاب إلى قيصر، فقدمت عليه، وأعطيته الكتاب، **(ولفظه بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم)** فيه استحباب تصدير الكتب بالبسملة، وإن كان المبعوث إليه كافرًا، وأجيب عن تقديم سليمٰن اسمه بأنه إنما ابتدأه بالبسملة، وكتب اسمه عنوانًا بعد ختمة، لأن بلقيس إنما عرفت كونه من سليمٰن بقراءة عنوانه، ولذا، قالت وانه بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، فالتقديم واقع في حكاية الحال **(من محمد رسول اللّٰه ﷺ،)** فيه أن السنة أن يبدأ الكاتب بنفسه، وهو قول الجمهور، بل حكى فيه النحاس إجماع الصحابة.

قال الحافظ: والحق إثبات الخلاف، وفيه أن من التي لابتداء الغاية تأتي في غير الزمان

وفي رواية البخاري: عبد الله ورسوله - إلى هرقل عظيم الروم - وفي رواية غير البخاري: إلى قيصر صاحب الروم -: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، ....

والمكان، كذا، قال أبو حيان، والظاهر أنها هنا لم تخرج عن ذلك لكن بارتكاب مجاز انتهى.

ثم هذا لفظ رواية البخاري في التفسير، **(وفي رواية البخاري)** في بدء الوحي وفي الجهاد من محمد **(عبد الله ورسوله)** وفيه إشارة إلى أن رسل الله وإن كانوا أكرم الخلق عليه، فهم مع ذلك مقرون بأنهم عبيده، وإلى بطلان ما تدعيه النصارى في عيسى عليه السلام، وفي رواية له أيضًا من محمد بن عبد الله رسول الله **(إلى هرقل عظيم الروم)** أي المعظم عندهم بالخفض على البدل، ويجوز الرفع على القطع، والنصب على الاختصاص، **(وفي رواية غير البخاري)** كأبي نعيم وابن عساكر، وغيرهما من حديث دحية **(إلى قيصر صاحب الروم)** ويحتمل الجمع بأنها بالمعنى، ورواية البخاري باللفظ لموافقة مسلم له، وهو يحافظ على اللفظ، ثم اتفق البخاري وغيره على قوله **(سلام)** وللبخاري في كتاب الاستئذان: السلام **(على من اتبع الهدى)** أي الرشاد.

قال الحافظ: وقد ذكرت هذه الجملة في قصة موسى وهٰرون مع فرعون، وظاهر السياق يدل على أنه من جملة ما أمرا به أن يقولاه، فإن قيل كيف يبدأ الكافر بالسلام، فالجواب أن المفسرين، قالوا: ليس هذا من التحية، إنما المراد سلم من عذاب الله من أسلم، ولذا جاء بعد أن العذاب على من كذب وتولى، وكذا في بقية هذا الكتاب، فإن توليت الخ، فمحصل الجواب أنه لم يبدأ الكافر بالسلام قصدا، وإن كان اللفظ يشعر به، ولكنه لم يدخل في المراد، لأنه ليس ممن اتبع الهدى، فلم يسلم عليه، **(أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام)** بكسر الدال من قولك دعا يدعو دعاية نحو شكا يشكو شكاية، ولمسلم بداعية الإسلام، أي بالكلمة الداعية إليه، وهي شهادة أن لا إلٰه إلاَّ اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، والباء موضع إلى، كما في الفتح، وتبعه المصنف وغيره، قال شيخنا: ولا يتعين، بل يجوز بقاؤها على ظاهرها، والمعنى أدعوك بالكلمة الدالة على طلب الإسلام منك، وحملك عليه، وما بعده بيان للكلمة التي دعا بها، وهو قوله **(أسلم)** بكسر اللام **(تسلم)** بفتحها فيه غاية الاختصار، ونهاية الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني، مع ما فيه من البديع، وهو الجناس الإشتقاقي، وهو رجوع اللفظين في الإشتقاق إلى أصل واحد **(يؤتك الله أجرك مرتين)** لإيمانه بنبيه، ثم بالنبي ﷺ، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ [القصص:٥٤] أو من جهة أن إسلامه يكون سببًا لدخول أتباعه.

وللبخاري في الجهاد أسلم تسلم، وأسلم يؤتك بتكرار أسلم مع زيادة الواو في الثانية،

فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ....

فيحتمل التأكيد، ويحتمل أن الأمر الأول للدخول في الإسلام، والثاني للدوام عليه كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا بالله﴾ [النساء: ١٣٦].

قاله الحافظ بناء على قول جماعة من أهل التفسير؛ أنها خطاب للمؤمنين، أو على قول ابن عباس أنها لمؤمني أهل الكتاب، فلا يعترض عليه بقول مجاهد، إن الآية في المنافقين، **(فإن توليت)** أعرضت عن الإجابة إلى الإسلام، وحقيقة التولي إنما هو بالوجه، ثم استعمل مجازًا في الإعراض عن الشيء، وهو استعارة تبعية، **(فإن عليك إثم الاريسين)** جمع أريس، بوزن فعيل، وقد تقلب همزته ياء، وجاءت به رواية أبي ذر والأصيلي وغيرهما.

قال ابن سيدة الاريس: الاكار، أي الفلاح عند ثعلب، وعند كراع الأريس الأمير، وقال الجوهري هي لغة شامية، وأنكر ابن فارس أن تكون عربية، وقيل في تفسيره غير ذلك، لكن هذا هو الصحيح هنا، فقد صرح به في رواية ابن إسحٰق بلفظ فإن عليك إثم الأكارين.

زاد البرقاني، يعني الحراثين، وعند المدائني، فإن عليك إثم الفلاحين، وعند أبي عبيد: وإن لم تدخل في الإسلام، فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام.

قال أبو عبيد: المراد بهم أهل مملكته، لأن كل من كان يزرع، فهو عند العرب فلاح، سواء كان يلي ذلك بنفسه، أو بغيره، وقال الليث بن سعد عن يونس الأريسون العشارون، يعني أهل المكس، رواه الطبراني والأول أظهر، وهذا إن صح أنه المراد، فالمعنى المبالغة في الإثم، ففي الصحيح في المرأة التي اعترفت بالزنا لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لقبل، **(ويا أهل الكتاب،)** هكذا رواية النسفي، والقابسي، وعبدوس بالواو داخلة على مقدر معطوف على أدعوك، أي أدعوك بدعاية الإسلام، وأقول لك ولأتباعك إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ [آل عمران: ٦٤]، فليس بزيادة في التلاوة، إذ الواو إنما دخلت على محذوف، ولا يردان حذف المعطوف، وبقاء العاطف ممتنع، لأن محله إذا حذف المعطوف، وجميع تعلقاته، أما إذا بقي شيء هو معمول للمحذوف، فيجوز نحو، والذين تبوأوا الدار والإيمان.

قال الحافظ: ويحتمل أنها من كلام أبي سفيٰن، كأنه لم يحفظ جميع الألفاظ، فاستحضر منها صدر الكتاب، فذكره، فكأنه قال: كان فيه كذا، وكان فيه يا أهل الكتاب، قالوا: ومن كلامه لا من نفس الكتاب.

وذكر عياض: أن الواو ساقطة من رواية الأصيلي، وأبي ذر: **(تعالوا إلى كلمة سواء)** سوية **(بيننا وبينكم،)** لا يختلف فيها القرءان والتوراة والانجيل، هي **(أن لا نعبد إلا الله،)** أي نوحده

ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون رواه البخاري.

وكان ﷺ أرسل هذا الكتاب مع دحية في آخر سنة ست، بعد أن رجع من الحديبية، كما قاله الواقدي. ووقع في تاريخ خليفة أن إرساله كان سنة خمس، والأول أثبت، بل هذا غلط لتصريح أبي سفيٰن: بأن ذلك كان في مدة

بالعبادة، ونخلص له فيها، (**ولا نشرك به شيئاً**،) لا نجعل غيره شريكًا له في استحقاق العبادة، ولا نراه أهلاً، لأن يعبد، (**ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللّٰه**،) فلا نقول عزير ابن اللّٰه، ولا المسيح ابن اللّٰه. ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوه من التحريم والتحليل، لأن كلاً منهم بشر مثلنا، (**فإن تولوا**) عن التوحيد، (**فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**،) أي لزمتكم الحجة، فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب، وتطابقت عليه الرسل.

قال الحافظ: وقد اشتملت هذه الجملة القليلة التي تضمنها بعض هذا الكتاب على الأمر بقوله أسلم والترغيب بقوله تسلم ويؤتك، والزجر بقوله فإن توليت، والترهيب بقوله فإن عليك، والدلالة بقوله يا أهل الكتاب، وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا، وهو كلام من أوتي جوامع الكلم ﷺ، قال: واستنبط منه شيخنا، شيخ الإسلام، يعني البلقيني أن كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في المناكحة والذبائح، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل، بل ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال لهم، يا أهل الكتاب، فدل على أن لهم حكمهم، خلافًا لمن خص ذلك بالاسرائيليين، أو بمن علم أن سلفه دخل اليهودية، أو النصرانية، قبل التبديل.

(**رواه البخاري**) في مواضع كثيرة، وأخرجه مسلم في المغازي، وهو من جملة حديث طويل مشهور.

وعند ابن أبي شيبة من مرسل ابن المسيب: أن هرقل لما قرأه، قال هذا كتاب لم أسمعه بعد سليمٰن، كأنه يريد الابتداء بالبسملة، (**وكان ﷺ أرسل هذا الكتاب مع دحية في آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية**،) وكان وصوله إلى هرقل في المحرم سنة سبع، (**كما، قاله الواقدي**) بما زدته، كما في الفتح قائلاً: (**ووقع في تاريخ خليفة**) بن خياط بن خليفة العصفري البصري الحافظ أحد شيوخ البخاري.

قال ابن عدي: له حديث وتاريخ حسن، وكتاب في طبقات الرواة، وهو مستقيم الحديث، صدوق متيقظ، مات سنة أربعين ومائتين، (**أن إرساله كان سنة خمس، والأول أثبت، بل هذا غلط لتصريح أبي سفيٰن**) بن حرب، راوي الحديث، (**بأن ذلك كان في مدة**

صلح الحديبية كما في حديث البخاري، في المدة التي كان عليه الصلاة والسلام ماد فيها أبا سفيٰن وكفار قريش، يعني مدة صلح الحديبية، وكانت سنة ست اتفاقًا.

ولم يقل ﷺ إلى هرقل ملك الروم، لأنه معزول بحكم الإسلام، ولم يخله من الإكرام لمصلحة التأليف.

وقوله: يؤتك الله أجرك مرتين، أي لكونه مؤمنًا بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ.

وقوله: فإن عليك إثم الأريسين: أي فإن عليك مع إثمك إثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر.

صلح الحديبية، كما في حديث البخاري) عن أبي سفيٰن: إن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام (**في المدة التي كان عليه الصلاة والسلام ماد،**) بشد الدال من مادد، فأدغم الأول في الثاني من المثلين، (**فيها أبا سفيٰن، وكفار قريش،**) بالنصب مفعول معه، أو عطف على المفعول به، أعنى أبا سفيٰن، (**يعني مدة صلح الحديبية، وكانت سنة ست إتفاقًا،**) فكيف يتأتى قول خليفة سنة خمس.

(**ولم يقل ﷺ إلى هرقل ملك الروم، لأنه معزول**) عن الملك (**بحكم الإسلام،**) ولا سلطنة لأحد إلاَّ من قبله ﷺ، (**و**) لكنه (**لم يخله من الإكرام،**) ويذكر اسمه مجردًا، بل قال عظيم، أو صاحب (**لمصلحة التأليف،**) فلاطفه بالقول اللين، كما قال تعالى: ﴿فقولا له قولا لينًا﴾ [طه: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ [النحل: ١٢٥]، (**وقوله يؤتك الله أجرك مرتين، أي لكونه مؤمنًا بنبيه**) عيسى عليه السلام، (**ثم آمن بمحمد ﷺ،**) وهو موافق لقوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ [القصص: ٥٤]، ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة أن إسلامه يكون سببًا لدخول أتباعه، وصرح بذلك في حديث الشعبي، كما في الفتح، (**وقوله فإن عليك إثم الأريسين**) بالهمزة، وفي رواية اليريسين، بقلبها ياء، جمع يريس، بوزن كريم، وفي أخرى اليريسيين بشد الياء بعد السين، جمع يريسي، وفي أخرى حكاها صاحب المشارق وغيره الأريسين بشد الراء.

قال ابن الأعرابي: أرس يارس بالتخفيف، فهو أريس وأرس بالتشديد يؤرس، فهو أريس، وفي أخرى الأرسين بتحتانية واحدة، وفي الكلام حذف دل عليه المعنى، (**أي فإن عليك مع اثمك اثم الإتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر،**) فلأن يكون عليه اثم نفسه أولى، وهذا يعد من مفهوم الموافقه، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾،

وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام كتب هذه الآية: يعني ﴿يا أهل الكتاب﴾ قبل نزولها، فوافق لفظه لفظها لما نزلت، لأن هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران، وكانت قصتهم سنة ....

لأن وزر الآثم لا يتحمله عليه، ولكن الفاعل المتسبب، والمتلبس للسيئات يتحمل من وجهين جهة فعله وجهة تسببه.

قال الخطابي: المراد أن عليه إثم الضعفاء، والإتباع إذا لم يسلموا تقليدًا له، لأن الاصاغر أتباع الأكابر.

وقال الازهري: الأريس بالتخفيف وبالتشديد الأكابر لغة شامية، وكان أهل السواد أهل فلاحة، وكانوا مجوسًا، وأهل الروم أهل صناعة، فأعلموا بأنهم، وإن كانوا أهل كتاب، فإن عليهم من الإثم إن لم يؤمنوا مثل إثم المجوس انتهى.

وحكى غيره أن الأريسين ينسبون إلى عبد اللّٰه بن أريس، رجل كانت النصارى تعظمه، ابتدع في دينهم أشياء مخالفة لدين عيسى، وقيل: إنه من قوم بعث إليهم نبي فقتلوه، والتقدير على هذا فإن عليك مثل إثم الأريسين.

وذكر ابن حزم أن أتباع عبد اللّٰه بن أريس كانوا أهل مملكة هرقل، ورده بعضهم بأنهم كانوا قليلاً وما كانوا يظهرون، وكانوا ينكرون التثليث، وما أظن قول ابن حزم إلاَّ عن أصل، فإنه لا يجازف في النقل انتهى، من فتح الباري في موضعين وفيه زيادات حسان تركتها خوف الإطالة، وأيضًا لما قدمته عنه أن الصحيح تفسيره بالفلاحين لوروده في رواية أخرى كذلك، وبلفظ الأكارين، وهو بمعناه.

قال النووي: نبه بهم على بقية الرعية، لأنهم الاغلب، ولأنهم أسرع انقيادًا.

قال الحافظ: ومراده انه نبه بذكر طائفة من الطوائف على بقية الطوائف، كأنه يقول إذا امتنعت، فإن عليك اثم كل ممتنع بامتناعك، وكان يطيع لو أطعت كالفلاحين، فلا يرد تعقب شيخنا البلقيني بأن من الرعايا غير الفلاحين من له قوة وعشيرة، فلا يلزم من دخول الفلاحين دخول بقية الرعايا حتى يصح أنه نبه بذكرهم على الباقين.

نعم قول أبي عبيدة: ليس المراد بالفلاحين الزراعين فقط، بل جميع أهل المملكة ان أراد على ما قررت به كلام النووي فمسلم والا فمعترض، (**وقيل إنه عليه الصلاة والسلام كتب هذه الآية، يعني: ﴿يا أهل الكتاب﴾ قبل نزولها، فوافق لفظه لفظها، لما نزلت،**) كما نزل بموافقة عمر في الحجاب، وأسرى بدر وعدم الصلاة على المنافقين وغير ذلك، (**لأن هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران**) بفتح النون وسكون الجين بلد قريب من اليمن، (**وكانت قصتهم**) وستأتى (**سنة**

الوفود سنة تسع، وقصة أبي سفيٰن هذه كانت قبل ذلك سنة ست. وقيل: نزلت في اليهود، وجوز بعضهم نزولها مرتين، وهو بعيد والله أعلم.

ولما قرىء كتاب النبي ﷺ ....

الوفود سنة تسع،) كما جزم به ابن سعد وغيره، **(وقصة أبي سفيٰن هذه كانت قبل ذلك سنة ست،)** كما علم، وقيل: بل نزلت سابقة في أوائل الهجرة، وإليه يومىء كلام ابن إسحٰق هكذا في الفتح قبل قوله: **(وقيل نزلت في اليهود،)** فالقول الثالث عين مراد الثاني، ولذا قال **(وجوز بعضهم نزولها مرتين)** مرة في أوائل الهجرة، وأخرى في سنة تسع **(وهو بعيد،)** لأن الأصل عدم تكرار النزول، **(والله أعلم)** بما في نفس الأمر.

وهذا كلام الحافظ في الفتح، وقال ابن كثير: هذه القصة كانت بعد الحديبية وقبل الفتح، كما صرح به في هذا الحديث.

وقد ذكر ابن إسحٰق وغيره ان صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران.

وقال الزهري: هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح، فما الجمع بين كتابة هذه الآية إلى هرقل، وبين ما ذكره ابن إسحٰق والزهري، أجيب بأن قدوم وفد نجران كان قبل الفتح وبعد الحديبية. وما بذلوه كان مصالحة على المباهلة لا عن الجزية، ووافق نزول الجزية بعد ذلك على وفقه، وبإحتمال تعدد النزول، واحتمال كتبها قبل نزولها انتهى.

(ولما قرىء كتاب النبي ﷺ) بالبناء للمفعول، وعند الواقدي من مرسل محمد بن كعب القرظي، فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية، فقرأه.

وعند البخاري في بدء الوحي والتفسير، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه، فظاهره أن هرقل هو الذي قرأه إلاّ أن تكون نسبة قراءته إليه مجازًا لكونه الأمر به، والقارىء الترجمان، وللبخاري في الجهاد ما ظاهره أن قراءة الكتاب وقعت مرتين، ففي أوله، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله ﷺ، قال حين قرأه: التمسوا لي ههنا أحدًا من قومه لاسألهم عنه، فذكر القصة إلى أن قال، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرىء.

قال في الفتح: والذي يظهر لي أن هرقل قرأه بنفسه أولاً، ثم لما جمع قومه، وأحضر أبا سفيٰن، ومن معه، وسأله، وأجابه أمر بقراءة الكتاب على الجمع، ويحتمل أن المراد بقوله أو لا حين قرأه، أي عنوانه، لأنه كان مختومًا بختمه محمد رسول الله، ولذا قال: إنه يسأل عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، ويؤيده أن من جملة الأسئلة قول هرقل بم يأمركم؟ فقال: أبو سفيٰن

غضب ابن أخي قيصر غضبًا شديدًا وقال: أرني الكتاب، فقال له وما تصنع به؟ قال: إنه بدأ بنفسه، وسماك صاحب الروم، فقال له عمه: والله إنك لضعيف الرأي، أتريد أن أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، أو كلامًا هذا معناه، أو قال: أن أرمي بكتاب لم أعلم ما فيه، لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق: أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه، ....

يقول اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وهذا بعينه في الكتاب، فلو كان قرأه ما احتاج إلى السؤال عنه إلاَّ أن يكون مبالغة في تقريره (**غضب ابن أخي قيصر**) كما أخرجه الحسن بن سفين، وسعيد بن منصور، عن دحية قال: بعثني النبي ﷺ إلى هرقل، فقدمت عليه، فاعطيته الكتاب، وعنده ابن أخ له أحمر أزرق سبط الرأس، فلما قرىء الكتاب نخر ابن أخيه نخرة، فقال: لا تقرأه، فقال قيصر: لم، قال: لأنه بدأ بنفسه، وكتب صاحب الروم، ولم يقل ملك الروم، قال: اقرأ فقرىء الكتاب.

وذكر المدائني إن القارىء لما قرأ من محمد رسول الله إلى عظيم الروم غضب أخو هرقل، واجتذب الكتاب، فقال له هرقل: مالك؟ قال: بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم، قال: إنك لضعيف الرأي أتريد أن أرمي الكتاب قبل أن أعلم ما فيه؟ لئن كان رسول الله لهو أحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق، أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكهم، ذكره في فتح الباري في التفسير، وعند ابن سعد في كتاب ملكي عمان تسمية أخي قيصر يناق.

قال البرهان: بفتح التحتية، وشد النون، فألف، فقاف لا أعرف له ترجمة، والظاهر هلاكه على دينه انتهى.

فيحتمل أن الأخ وابن الأخ وقع من كل منهما ما ذكر، ولفق المصنف من كل منهما ناسبًا لابن الأخ ما ذكره بقوله: (**غضبًا شديدًا، وقال أرني الكتاب، قال: وما تصنع به، قال: إنه بدأ بنفسه**) وعادة العجم إذا كتبوا إلى ملوكهم بدأوا باسم ملوكهم، وهذا خالف العادة، فلا يقرأ كتابه، (**وسماك صاحب الروم**) ولم يقل ملك الروم، (**فقال له عمه: والله انك لضعيف الرأي**) قليل العقل، (**أتريد أن أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر**) جبريل عليه السلام بالوحي من الله، (**أو كلاما هذا معناه**) والحاصل انه لا يرمي به خوفًا من تعجيل العقوبة لو فعل، (**أو قال أن أرمي بكتاب لم أعلم ما فيه**) ولا يليق هذا بعقل الملوك، ثم تنزل معه زيادة في توبيخه على ضعيف رأيه، لأن الخبر من حيث هو يحتمل الصدق، فقال: (**لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق انا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه**) أي الروم، وكأنه أفرد الضمير باعتبار لفظ الروم ومر أن الرواية: مالكهم بالجمع، زاد في رواية، ولكن الله سخرهم لي، ولو شاء

ثم أمر بإنزال دحية وإكرامه إلى أن كان من أمره ما ذكره البخاري في حديثه، انتهى.

لسلطهم علي، كما سلط فارس على كسرى فقتلوه، ثم أخذ كتاب رسول الله ﷺ، فوضعه على رأسه، ثم قبله وطواه في الديباج والحرير، وجعله في سفط، **(ثم أمر بإنزال دحية وإكرامه)**.

قال دحية: ثم بعث إلي من الغد سرًا، فأدخلني بيتًا عظيمًا فيه ثلاثمائة وثلاث وعشرة صورة، فإذا هي صور الأنبياء المرسلين، فقال انظر أين صاحبك من هؤلاء، فرأيت صورة النبي ﷺ، كأنه ينطق، قلت: هذا، قال: صدقت.

رواه أبو نعيم وغيره **(إلى أن كان من أمره ما ذكره البخاري في حديثه)** من أنه رجع إلى حمص، وجمع عظماء الروم في دار له، وقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وإن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فقال: علي بهم، فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له، ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل**(انتهى)**.

أي فيما يتعلق بهذه القصة، خاصة المتعلقة بدعائه الإيمان، لأنه انقضى أمره حينئذ، ومات أو أطلق الآخرية بالنسبة إلى ما في علمه وهذا أوجه، لأنه قد وقعت له قصص أخرى من تجهيز الجيش إلى مؤتة، ومكاتبة النبي ﷺ ثانيًا، وهو بتبوك، وبعث به دحية أيضًا، وإرساله إلى النبي ﷺ بذهب قسمه بين أصحابة، كما رواه ابن حبان.

وروى أحمد وأبو يعلى قدم ﷺ تبوك، فبعث دحية إلى هرقل، فلما جاءه الكتاب دعا القسيسين والبطارقة، وأغلق عليهم وعليه، فقال: إن هذا الرجل يدعوني، ووالله لقد قرأتم فيما تقرأون من الكتب، ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم إلى أن نتبعه، فنخروا نخرة رجل واحد حتى أن بعضهم خرج عن برنسه، فلما ظن انهم ان خرجوا من عنده، أفسدوا عليه الروم، قال: إنما قلت لاعلم صلابتكم على أمركم الحديث، وقد تقدم بعضه في غزوة تبوك، وأن إرسال الهدية، وكتابته إلى النبي ﷺ، وبعثه رسوله التنوخي، إنما كان لما أرسل إليه، وهو عليه السلام بتبوك، كما في الحديث، وبه جزم السهيلي.

قال في الفتح: روى ابن حبان أنه ﷺ كتب إليه بتبوك يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب، فدل على استمراره على الكفر، لكن يحتمل مع ذلك انه كان يضمر الإيمان، ويفعل هذه المعاصي مراعاة لملكه، وخوفًا من أن يقتله قومه، إلاَّ أن في مسند أحمد أنه كتب من تبوك إلى النبي ﷺ إني مسلم، فقال: كذب، بل هو على نصرانيته، ولأبي عبيد كذب عدوّ الله ليس بمسلم، فاطلاق صاحب الإستيعاب أنه آمن، أي أظهر التصديق، لكن لم يستمر

وكتب ﷺ إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ملك فارس:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، ....

عليه، ويعمل بمقتضاه، بل شح بملكه، وآثر الفانية على الباقية، ولو تفطن لقوله ﷺ: أسلم تسلم، وحمل الخبر على عمومه في الدنيا والآخرة لسلم، أو أسلم من كل ما يخافه، ولكن التوفيق بيد اللّٰه، واختلف الأخباريون، هل هو الذي حاربه المسلمون في زمن أبي بكر وعمر، أو ابنه، والأظهر أنه هو **(انتهى)**.

(وكتب ﷺ إلى كسرى) بكسر الكاف، وتفتح لقب لكل من ملك الفرس، قال ابن الأعرابي: الكسر أفصح، واختاره أبو حاتم، وأنكره الزجاج، واحتج بأن النسبة كسروى بالفتح، ورده ابن فارس بأن النسبة قد يفتح فيها ما الأصل كسره أو ضمه، كما قالوا في بني تغلب بكسر اللام تغلبي بفتحها، وفي سلمة كذلك، فلا حجة فيه على تخطئة الكسر.

قال في الفتح: ومعناه بالعربية المظفر **(أبرويز)** بفتح الواو، وكسرها، ويقال له ابرواز وآخره زاي معجمة، كما في القاموس ومقتضى قاعدته فتح همزته.

قال السهيلي في أوائل الروض: ومعنى ابرويز بالعربية المظفر، وهو الذي غلب على الروم حين أنزل اللّٰه ﴿ألم غلبت الروم﴾ [الروم: ٢]، انتهى، فعلى هذا، فكل من لفظ كسرى وأبرويز معناه المظفر **(ابن هرمز بن أنو شروان)** وهو كسرى الكبير المشهور، الذي بنى الإيوان، وملك ثمانيًا وأربعين سنة، وقيل إنه الذي كتب إليه ﷺ.

قال الحافظ: وفيه نظر، لأن النبي ﷺ انذر بأن ابنه يقتله، والذي قتله ابنه هو كسرى أبرويز بن هرمز **(ملك فارس)** ولفظه فيما أخرجه الواقدي من حديث الشفاء بنت عبد اللّٰه **(بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم)** قال في فتح الباري: لم تجر العادة الشرعية، ولا العرفية بإبتداء المراسلات بالحمد، وقد جمعت كتبه ﷺ إلى الملوك وغيرهم، فلم يقع في واحد منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة **(من محمد رسول اللّٰه)** فيه البداءة باسم الكاتب قبل المكتوب إليه، وقد أخرج أحمد وأبو داود أن العلاء بن الحضرمي كتب إليه ﷺ، وكان عامله على البحرين: من العلاء إلى محمد رسول اللّٰه، فبدأ بنفسه، وعند البزار أنه ﷺ وجه عليًا وخالد بن الوليد، فكتب إليه خالد، فبدأ بنفسه، وكتب إليه علي، فبدأ برسول اللّٰه ﷺ، فلم يعب على واحد منهما، وكتب ابن عمر إلى معٰوية، وعبد الملك، فبدأ بهما، وكذا جاء عن زيد بن ثابت إلى معٰوية **(إلى كسرى عظيم فارس، سلام)** من عذاب اللّٰه **(على من اتبع الهدى)** الرشاد، **(وآمن باللّٰه ورسوله،**

وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني رسول الله إلى الناس كلهم، لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس.

فلما قرىء عليه الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: مزق ملكه.

وشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله) أكد في هذا الكتاب، وأوضح البيان، لأنهم مجوس، لا يقرأون الكتب، ولا يعرفون مدلولات الألفاظ بسرعة، بخلاف قيصر، فإنه كتابي قد قرأ الكتب، فلم يصرح بدعائه إلى الشهادة له ﷺ بالرسالة، لكونه منطويًا في قوله على من اتبع الهدى وأسلم، ودعاية الإسلام، فإن جميعه يتضمن الإقرار بالشهادتين، **(أدعوك بدعاية اللَّه عز وجل،)** بكسر الدال، كما مر **(فإني رسول اللَّه إلى الناس كلهم،)** كما قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول اللَّه إليكم جميعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [سبأ: ٢٨]، **(لينذر)** الرسول وراعى نظم القرءان مع مراعاة لفظ رسول اللَّه.

وفي نسخة: لأنذر، وهو الذي في العيون عن رواية الواقدي المذكورة على الاقتباس **(من كان حيًا)** عاقلاً فهما، فإن الغافل كالميت، أو مؤمنًا في علم اللَّه، فإن الحياة الأبدية بالإيمان، وتخصيص الإنذار به، لأنه المنتفع به، **(ويحق القول،)** يجب كلمة العذاب **(على الكافرين)** المصرين على الكفر، وجعلهم في مقابلة من كان حيًا إشعارًا بأنهم لكفرهم، وسقوط حجتهم، وعدم تأملهم أموات في الحقيقة، كما قال البيضاوي: **(أسلم تسلم،)** لم يقل يؤتك اللَّه أجرك مرتين، لأنه مجوسي، عابدًا لنا لا كتاب له، ولا دين، **(فإن توليت، فعليك)** مع إثمك،**(إثم المجوس)** يعني أتباعه عبده النار، واختلف هل كان لهم كتاب أم لا، فيروى عن علي: أنهم كان لهم كتاب، فبدلوه، فأصبحوا وقد أسرى به.

رواه الإمام الشافعي، وقال: متصل، وبه نأخذ ورد بأن في إسناده سعيد بن المرزبان ضعفه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن معين، وقال الفلاس: بالفاء متروك الحديث، وقال أبو أسامة: كان ثقة، وقال أبو زرعة: صدوق مدلس.

وقال ابن القيم: الأثر الذي فيه أنه كان لهم كتاب، فرفع ورفعت شريعتهم، لما وقع ملكهم على بنته لا يصح البتة.

وعند الواقدي، قال عبد اللَّه بن حذافة: فانتهيت إلى بابه، فطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه، فدفعت إليه الكتاب، **(فلما قرىء عليه الكتاب مزقه،)** أي خرقه، **(فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ، فقال: مزق ملكه)** دعاء، أو إخبار بالغيب، ويؤيد الأول قوله الآتي، فدعا عليهم.

وفي البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

(وفي البخاري) في العلم والجهاد والمغازي وغيرها من أفراده عن مسلم **(من حديث)** الزهري، عن عبيد اللّٰه ابن عبد اللّٰه بن عتبة، عن **(ابن عباس أن رسول اللّٰه ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد اللّٰه بن حذافة)** القرشي **(السهمي،)** أسلم قديمًا، وكان من المهاجرين الأولين، قيل واختاره لتردده عليه كثيرًا، **(فأمره،)** أي أمر المصطفى عبد اللّٰه **(أن يدفعه إلى عظيم البحرين)** المنذر بن ساوى بالمهملة وفتح الواو الممالة العبدي نائب كسرى على البحرين، **(فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى)**.

قال الحافظ: الفاء عاطفة على محذوف تقديره، فتوجه إليه، فأعطاه الكتاب، فأعطاه لقاصده عنده، فتوجه به، فدفعه إلى كسرى، ويحتمل أن المنذر توجه بنفسه، فلا يحتاج إلى القاصد، ويحتمل أن القاصد لم يباشر إعطاء كسرى بنفسه، كما هو الأغلب من حال الملوك، فيزداد التقدير اهـ، ولم يتنزل للجميع بينه وبين ما ذكره الواقدي أن عبد اللّٰه بن حذافة دفع الكتاب إلى كسرى، لأن مثله لا يعارض به ما في الصحيح، فإن كان محفوظًا، فيحتمل أن عبد اللّٰه، لما وصل إلى عظيم البحرين، أرسله أو ذهب به إلى كسرى، فاستأذن حتى دخل عليه، **(فلما قرأه)** رواية الكشميهني، وللأكثر، فلما قرأ بحذف المفعول، وفيه مجازًا، فإنه لم يقرأه بنفسه، وإنما قرىء عليه، كما ذكر ابن سعد من حديث عبد اللّٰه بن حذافة، هكذا في الفتح، فقول المصنف: قرأه بنفسه، أو قرأه غيره عليه فيه نظر **(مزقه)** بزاي وقاف، أي قطعه، وهذا لفظ البخاري هنا.

وفي كتاب العلم، وله في الجهاد خرقه بخاء معجمة، وشد الراء بدل مزقه، وهو قريب منه في المعنى، **(فحسبت أن ابن المسيب،)** قال الحافظ: قائله الزهري، وهو موصول بالإسناد المذكور، ووقع في جميع الطرق مرسلاً، ويحتمل أن ابن المسيب سمعه من عبد اللّٰه بن حذافة صاحب القصة، **(قال: فدعا عليهم رسول اللّٰه ﷺ أن يمزقوا كل ممزق)** بفتح الزاي فيهما، أي يتفرقوا ويتقطعوا، فاستجاب اللّٰه لرسوله، فسلط اللّٰه على أبرويز ابنه شيرويه، فقتله، ثم قتل إخوته، وكان أبوه، لما علم أن ابنه يقتله احتال على قتل ابنه بعد موته، فعمل في بعض خزائنه المختصة به حقًا مسمومًا، وكتب عليه حق الجماع من تناول منه، كذا جامع، كذا فقرأه شيرويه، فتناول

وقيل: بعثه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي في البخاري هو الصحيح.

وفي كتاب «الأموال» لأبي عبيد من مرسل عمير بن إسحٰق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ: أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية.

منه، فهلك بعد أبيه بستة أشهر، ولم يخلف ذكرًا، فملكوا أخته بوران بضم الموحدة ذكره ابن قتيبة في المعارف، ثم ملكوا أختها أزدميدخت، كما ذكره الطبري فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا، كما دعا به ﷺ هكذا في الفتح، ونقل غيره عن كتاب المعارف لابن قتيبة المذكور أنه تولى بعد شيرويه ابن عمه كسرى بن قياذ بن هرمز وأردشير بن شيرويه وجرهان، ثم ملك بعدهم بوران بنت كسرى، فبلغه ﷺ، فقال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة، **(وقيل بعثه)** أي الكتاب **(مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه،)** أخرجه ابن عدي بسند ضعيف عن ابن عباس.

قال الحافظ: فإن ثبت، فلعله كتب إلى ملك فارس مرتين، **(والذي في البخاري هو الصحيح،)** وفي رواية عمر بن شبة أنه بعثه مع خنيس بن حذافة أخي عبد الله، وهو غلط، فإنه مات بأحد، فتأيمت منه حفصة، وبعث الرسل كان سنة سبع انتهى، وقيل مع خارجة بن حذافة، ولا يصح لأن خارجة، كما في الإصابة من مسلمة الفتح والبعث كان قبله، وقيل مع شجاع بن وهب وفيه نظر، فالمروى عند الطبراني وغيره أنه بعث شجاعًا إلى الحٰرث بن أبي شمر الغساني، وبعثهم كان في آن واحد، **(وفي كتاب الأموال لأبي عبيد من مرسل عمير)** بضم العين مصغر **(ابن إسحٰق)** أبي محمد، مولى بني هاشم مقبول من الثالثة، كما في التقريب **(قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى، فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر، فلما قرأ الكتاب طواه، ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ: أما هؤلاء،)** أي كسرى وقومه **(فيمزقون، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية،)** فكان كذلك، فعاش قيصر إلى زمان عمر سنة عشرين على الصحيح، وقيل مات في زمنه ﷺ، والذي حارب المسلمين بالشام ولده ولقبه أيضًا قيصر.

وفي حديث التنوخي رسول هرقل أنه ﷺ، قال له: يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى، فمزقه والله ممزقه وملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة، فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسًا ما دام في العيش خير.

وروي أنه لما جاءه جواب كسرى قال: مزق ملكه، ولما جاءه جواب هرقل قال: ثبت ملكه.

وذكر شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر رحمه الله في فتح الباري. عن سيف الدين قلج المنصوري، أحد أمراء الدولة القلاوونية، أنه قدم على ملك المغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون، فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة، وأنه قبله وأكرمه، وقال: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج له صندوقًا

(وروى أنه، لما جاءه جواب كسرى، قال: مزق ملكه، ولما جاءه جواب هرقل، قال: ثبت ملكه،) فذهب ملك كسرى أصلاً، وبقي ملك قيصر، وإنما ارتفع من الشام وما والاها، وعبر بالملك نظرًا للظاهر، فلا ينافي أنهما معزولان عن الملك بحكم الإسلام، ولا يرد على هذا حديث الصحيح إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، لأن المراد لا يبقى قيصر بالشام، ولا كسرى بالعراق، كما نقل عن الشافعي، وقيل غير ذلك.

وفي حديث عبد الله بن حذافة: فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، قال: اللهم مزق ملكه، وكتب كسرى إلي باذان عامله على اليمن أن أبعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتيا بخبره فبعث باذان رجلين بكتاب إلى النبي ﷺ، فقدما المدينة بكتابه، فتبسم ﷺ، ودعاهما إلى الإسلام، وفرائصهما ترعد، ثم قال: إرجعا عني حتى تأتياني الغد فجاآه الغد، فقال لهما: أبلغا صاحبكما إن ربي قتل ربه في هذه الليلة لتسع ساعات مضت منها، قال: وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وإن الله سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله، فانطلقا، فأخبراه، فقال: باذان إن يكن، كما قال: فوالله إنه لنبي، ويأتي الخبر إلى بذلك يوم كذا، فأتاه الخبر كذلك، فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله ﷺ.

عن الزهري: بلغني أن كسرى كتب إلى باذان أن رجلاً من قريش يزعم أنه نبي فسر إليه، فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه، فذكر القصة، قال: فلما بلغ باذان أسلم هو ومن معه.

(وذكر شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري) في حديث هرقل من بدء الوحي، قال: أنبأني غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي، **(عن سيف الدين قلج)** بقاف ولام وجيم معناه سيف بالتركي **(المنصوري، أحد أمراء الدولة القلاوونية أنه قدم على ملك المغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون، فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة، وأنه قبله وأكرمه،)** وعرض عليه الإقامة عنده، فأبى، كما في الفتح، **(وقال لاتحفنك بتحفة)** بضم التاء وفتح الحاء.

وحكى الصغاني سكونها **(سنية، فأخرج له صندوقًا)** بضم الصاد، وقد تفتح، وبالزاي

مصحفًا بالذهب، فأخرج منه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتابًا قد زالت أكثر حروفه، وقد ألصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا عن آبائهم إلى قيصر، أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا، انتهى.

وكتب ﷺ إلى النجاشي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك ....

والسين لغات وجمعه صناديق، كما في القاموس (**مصفحًا بالذهب، فأخرج منه مقلمة من ذهب**) بكسر الميم وعاء الأقلام، كذا في المصباح، وانتقده شيخنا بأن المناسب لتفسيرها بالوعاء أن يكون بالفتح اسم مكان أما بكسرها، فيقتضي أنها اسم آلة وهي الواسطة بين الفاعل ومنفعله القريب، (**فأخرج منها كتابًا قد زالت أكثر حروفه، وقد ألصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا عن آبائهم إلى قيصر أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال،**) أي يدوم (**الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا،**) وسماه تحفة، لأنه من آثاره ﷺ، فهو أعظم شيء يتحفه به (**انتهى**).

قال في الفتح: ويؤيد هذا مرسل عمير بن إسحٰق، فذكره، وقوله ﷺ: إني كتبت إلى صاحبكم بصحيفة، فأمسكها، فما يزال الناس يجدون منه بأسًا ما دام في العيش خير، فانظر تفاوت الناس، وكونهم معادن حتى في الكفر.

وقد روي أن كسرى أهدى له بغلة، وأعل بأنه مزق الكتاب، كما يأتي للمصنف في الفصل التاسع من ذا المقصد، وأجيب بجواز أن المهدي شيرويه ابنه، أو غيره ممن تولى بعده، على أنه لا يلزم من التمزيق عدم الإهداء، لأنه مزقه لما جاءه للشقاوة التي كتبت عليه، ثم يحتمل أنه لما خلا بنفسه خاف لاستيقانه نبوته، فأهدى له البغلة والعلم لله، (**وكتب ﷺ إلى النجاشي**).

قال في الإصابة: بفتح النون على المشهور، وقيل تكسر عن ثعلب، وتخفيف الجيم، وأخطأ من شددها عن المطرزي وتشديد آخره.

وحكى المطري: التخفيف، ورجحه الصغاني انتهى، وذكر الواقدي، ورواه البيهقي عن ابن إسحٰق أن لفظه (**بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك**

الحبشة، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق ءادم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، ....

الحبشة،) لم يقل عظيم، كما قال في غيره، لما رأى فيه من العلامات الدالة على أنه يسلم، لما صنعه مع المسلمين الذين هاجروا إليه من الإحسان، ومنع الأذى ممن أراده بهم، ويحتمل أنه علم بالوحي أنه يسلم، فلذا وصفه بالملك.

وفي رواية الواقدي: سلم أنت بكسر فسكون، أي مسالم أو مصالح، أو بمعنى الدعاء له أو البشارة بأن يكون ذا سلامة، لما علمه من صدقه ومحبته وحسن حاله، وللبيهقي عن ابن إسحٰق سلام عليك، ولم يذكر هو، ولا الواقدي **(أما بعد،)** بل عقب الواقدي قوله سلم أنت، وابن إسحٰق سلام عليك بقوله، **(فإني أحمد إليك اللّٰه،)** أي أنهى إليك حمد اللّٰه **(الذي لا إلٰه إلاَّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن)**، هكذا ذكرهما في الكتاب ابن إسحٰق والواقدي، فكأنهما سقطا من قلم المؤلف، **(وأشهد أن عيسى ابن مريم روح اللّٰه،)** أي ذو روح أضيف إليه تعالى تشريفًا له، لأنه أوجده بلا أب، أو لأنه يحيي الأموات أو القلوب، **(وكلمته)** هي قوله تعالى: ﴿كن﴾ [آل عمران: ٥٩]، فكان بشرًا بلا أب، ولا واسطة، وقول البيضاوي: لعل جبريل تمثل لها بشرًا سويًا، خلقه شابًا أمرد تستأنس بكلامه، لتهيج شهوتها، فتنحدر نطفتها إلى رحمها.

قال السيوطي: عليه كان في غنية عن هذا الكلام الفاسد، ولكن هذا ثمرة التوغل في الفلسفة انتهى، **(ألقاها)** أوصلها **(إلى مريم البتول،)** المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم، وسميت فاطمة الزهراء بذلك، لانقطاعها عن الدنيا إلى اللّٰه تعالى **(الطيبة الحصينة)** بفتح الحاء، وكسر الصاد المهملتين، العفيفة فعيلة بمعنى مفعلة، **(فحملت بعيسى، فخلقه من روحه،)** وسقط من نسخة، فخلقه، لكنها ثابتة عند ابن إسحٰق والواقدي، **(ونفخه،)** أي اللّٰه تعالى، أي نفخ رسوله جبريل، كما قال تعالى: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١]، فأرسلنا إليها روحنا، فهو عطف تفسير للروح.

وفي القاموس: من جملة معانيها النفخ، **(كما خلق ءادم بيده،)** بقدرته وقوته إن مثل عيسى عند اللّٰه، كمثل ءادم خلقه من تراب من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس، **(وإني أدعوك إلى اللّٰه وحده لا شريك له،)** لا كما تزعمه النصارى من التثليث وغيره، **(والموالاة)** المتابعة والمناصرة **(على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني،**

فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فقال النجاشي له عندما قرأ الكتاب: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبز عنه، ....

فإني رسول الله) إلى الناس كافة، **(وإني أدعوك، و)** أدعو **(جنودك إلى الله تعالى)**، أي طاعته وعبادته، **(وقد بلغت ونصحت)** بضم التاءين على التكلم، **(فأقبلوا)** بهمزة وصل وفتح الموحدة. **(نصيحتي،)** ففيها سعادة الدارين، **(وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرًا،)** قيل هذا في الهجرة الثانية إلى الحبشة في السنة السادسة من النبوة، وبعث الكتاب، كما يأتي كان في سنة ست من الهجرة، واستمر جعفر مقيمًا بالحبشة حتى قدم في خيبر، **(ومعه نفر من المسلمين،)** وسقط قوله، وقد بعثت إلى هنا من رواية الواقدي، وثبت للبيهقي عن ابن إسحٰق **(والسلام على من اتبع الهدى)** الرشاد، **(وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري)** الصحابي المشهور.

قال ابن سعد: أسلم حين انصرف المشركون من أحد، كذا ذكر ابن عبد البر.

قال النووي: والمشهور أنه أسلم قديمًا، وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة.

ذكر ابن إسحٰق أن عمرًا، قال له: يا أصحمة إن علي القول، وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرًا قط إلا نلناه منك، ولم نخفك على شيء قط إلاَّ أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز، وإصابة المفصل، وإلاَّ فأنت في هذا النبي الأمي، كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه، لخير سالف، وأجر ينتظر، **(فقال النجاشي له: عندما قرأ الكتاب، أشهد بالله إنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب. وأن بشارة موسى براكب الحمار)** عيسى عليه السلام، **(كبشارة عيسى براكب الجمل)** أحمد ﷺ، **(وأن العيان)** بكسر العين المشاهدة له **(ليس بأشفى من الخبر عنه،)** لأن ما أعلمه من صفاته وأخباره بحقيقة الإسلام وغير ذلك ثبت عندي، وتيقنته بحيث لو عاينته لا أزداد من حيث العلم بتحققه شيئًا، فلا تعارض بين هذا، وبين قوله ﷺ: ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق

ولكن أعواني من الحبش قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب.

ثم كتب النجاشي جواب الكتاب إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ثفروقًا، ....

الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح، فانكسرت، رواه أحمد وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، لأن معناه أن الخبر يفيد العلم بصفة إجمالية، والمعاينة تفيد حصولها وتصورها عند الرائي، وذلك لا يفيده الإخبار، أو الحديث حكم على المجموع، ومنه فعل موسى، وقول النجاشي، أي عندي حق لو رأيته ما زدت على اليقين. كقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا، (**ولكن أعواني من الحبش قليل، فانظرني**) أخرني (**حتى أكثر الأعوان وألين القلوب**) إلى الإسلام.

قال ابن سعد: فأخذ الكتاب، ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، (**ثم كتب النجاشي جواب الكتاب إلى النبي ﷺ بسم الله الرحمٰن الرحيم**) ابتدأ بها اقتداءً بكتاب المصطفى، لكنه تأدب، فلم يبدأ باسم نفسه، بل بالاسم الشريف، فقال: (**إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة**) بوزن أربعة وحاؤه مهملة، وقيل معجمة، وقيل إنه بموحدة بدل الميم، وقيل صحمة بغير ألف، وقيل كذلك، لكن بتقديم الميم على الصاد، وقيل بزيادة ميم في أوّل بدل الألف.

نقله عن ابن إسحٰق الحاكم في المستدرك، والمعروف عن ابن إسحٰق الأوّل، ويتحصل من هذا الخلاف في اسمه ستة ألفاظ لم أرها مجموعة، قاله في الإصابة، وصوب النووي أولها، وقيل اسمه سليم بضم السين، وقيل حازم (**سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلاَّ هو الذي هداني للإسلام،**) ذكر الله بالإسم الظاهر دون الضمير لقصد الالتذاذ بذكر الله وعظم شأنه، والثناء عليه تعالى:

أعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

(**أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت**) فيه (**من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ثفروقًا،**) بضم المثلثة، وسكون

إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وقد بعثت إليك ابني، وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت، فإني أشهد أن ما تقوله حق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ثم إنه أرسل ابنه ....

الفاء، وضم الراء، وسكون الواو، ثم قاف يأتي تفسيره بعلاقة ما بين النواة والقشر؛ **(إنه كما ذكرت،)** وأتى بهذا إعلامًا بأنه آمن إيمانًا صحيحًا، وأن ما أخبر به المصطفى عن عيسى، موافق لما عندهم في الكتب، وتلقوه من الأحبار الذين لم يبدلوا؛ وأنه ليس، كما زعم من ضل من النصارى ابن اللَّه، وليس الهًا معه، ولا ثالث ثلاثة، فأقسامه على ذلك إذاعة الآية محمدية، وهي موافقة خبره لكتب اللَّه المنزلة التي لم تبدل، **(وقد عرفنا ما بعثت به إلينا،)** وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، كما في الرواية، **(فأشهد أنك رسول اللَّه صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه للّه رب العالمين)**.

وروى أحمد بسند حسن عن ابن مسعود قصة بعث قريش عمرو بن العاصي، وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليرد أهل الهجرة إليهم وفيها قول النجاشي: أنا أشهد أنه رسول اللَّه، وأنه الذي بشر به عيسى في الإنجيل، واللَّه لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته، فأكون أنا الذي أحمل نعليه، وأوضئه، وإن ابن مسعود تعجل، فشهد بدرًا، وقد أسلفت لفظ الحديث ثمة، فهو صريح في إسلامه قبل بعث الكتاب سنة ست، فيحتمل أنه أسلم، وكتمه عن قومه حتى بعث إليه الكتاب، فأعلن بالإيمان والعلم للّه، **(وقد بعثت إليك بابني)** اسمه أرخى، كما في مغازي التيمي، أو أريخا، كما في دلائل البيهقي عن ابن إسحٰق ذكره الإصابة ودخول الباء على ما يصل بنفسه، قليل وأكثر اللغويين على تعدية بعث فيما يصل بنفسه، كزيد وبالباء فيما لا يصل كالكتاب، كما قال أبو حيان، **(وإن شئت أتيتك بنفسي)** في موضع المفعول لشئت، أي أتياني وجواب الشرط قوله، **(فعلت، فإني أشهد أن ما تقوله حق، والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته،)** كرر السلام، وجعله ختام الكتاب زيادة في الشوق والتماس الثواب.

وذكر ابن سعد أنه ﷺ بعث إليه مع عمرو بن أمية بكتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، والثاني أن يزوجه أم حبيبة، وأن يبعث إليه من عنده من أصحابه، ويحملهم، فأسلم، وفعل ما أمر به، ودعا بحق عاج، فجعل فيه الكتابين، وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها، وجهزهم في سفينتين في إحداهما جعفر ومن معه، **(ثم إنه أرسل ابنه)** في

في أثر من أرسله من عنده مع جعفر بن أبي طالب عم رسول الله، فلما كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ وكانوا سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرءان سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرءان وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وفيهم أنزل الله تعالى: **﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾** [المائدة/٨٢] إلى آخر الآية، لأنهم كانوا من أصحاب الصوامع.

ستين نفسًا في سفينة (**في أثر من أرسله من عنده مع جعفر بن أبي طالب عم رسول الله ﷺ، فلما كانوا في وسط البحر غرقوا**) يعني ابنه والستين الذين معه، كما عند التيمي والبيهقي عن ابن إسحٰق، ونجا أصحاب السفينة الأخرى، كما قال، (**ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ، وكانوا سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام**) كانوا عنده بالحبشة، وسماهم قتادة، فقال: أبرهة، وإدريس، وأشرف، وأيمن، وبحيرًا، وتمام، وتميم، ونافع، وظن العز بن الأثير أن بحيرًا هو الراهب المشهور، والظاهر أنه غيره، لأنه ﷺ إنما رآه في أرض الشام، وهذا إنما هو بالحبشة وابن الجنوب من الشمال، ولا مانع أن يسمى اثنان باسم واحد.

قاله في الإصابة (**فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرءان سورة يس إلى آخرها**) بدل كل من كل بناءً على المختار أن القرءان باللام، للقدر المشترك بين جميعه وبعضه، وقيل المعرف لجميعه، فهو بدل بعض من كل، (**فبكوا حين سمعوا القرءان وآمنوا، وقالوا ما أشبه**) ما أشد شبه (**هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام**،) لما علموه حين سمعوا القرءان من الأخبار عن عيسى ورسله والبعث وغير ذلك من الآيات العجيبة، (**وفيهم**) كما رواه ابن أبي حاتم وغيره، (**أنزل الله تعالى: ﴿ولتجدن أقربهم﴾**) أي الناس (**﴿مودة للذين آمنوا الذين، قالوا إنا نصارى﴾ إلى آخر الآية، لأنهم كانوا من أصحاب الصوامع**) والتي بعدها ثناء عليهم أيضًا، ولنزولها فيمن أسلم منهم غير الأسلوب، فلم يقل النصارى، كما قال: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والذين أشركوا، فمن بقي على نصرانيته، لا يوصف بأنه قريب للمؤمنين، فضلاً عن كونه أقرب، لا كما يتوهم الجهلة من الآية، وليس قول قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة الحق مما جاء به عيسى، فلما بعث محمد ﷺ آمنوا به، وصدقوه مقابلاً لهذا، بل هو بمعناه غايته أنه أبهم أهل الكتاب، فيحمل على بيان ابن الزبير عند النسائي، وابن عباس عند الطبراني، وسعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم؛ أنها نزلت في أصحاب

والثفروق: علاقة ما بين النواة والقمح.

وهذا هو أصحمة الذي هاجر إليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة، وكتب له النبي ﷺ كتابًا يدعوه في الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري سنة ست من الهجرة، فآمن به وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وتوفي في رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبي ﷺ يوم توفي وصلى عليه بالمدينة.

وأما النجاشي الذي ولي بعده، وكتب له النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام

النجاشي.

وقيل كما حكاه الخازن نزلت في أربعين من بحران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من أهل الشام، ومحصله أنها نزلت في أصحاب النجاشي، وشاركهم غيرهم، والاختلاف في عدة الحبشيين غير ضار، فالأقل داخل في الأكثر، (**والثفروق علاقة ما بين النواة والقمح**) من التمرة، وفي القاموس أنه قمع التمر، أو ما يلتزق به قمعها ونحوه في الصحاح، فتفسير المصنف لا يوافق قولاً منهما إلا بجعل الإضافة بيانية، أي علاقة هي شيء الخ...، فيوافق الأول.

(**وهذا**) النجاشي (**هو أصحمة الذي هاجر إليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة**) الهجرة الأولى، ثم هاجروا إليه بعد ذلك بقليل الهجرة الثانية، كما مر تفصيله، (**وكتب له النبي ﷺ، كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام،**) وكتابًا آخر، بأن يزوجه أم حبيبة، ويحمل إليه من عنده من أصحابه، وبعثهما (**مع عمرو بن أمية**) الضمري (**سنة ست من الهجرة، فآمن به وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وتوفي في رجب سنة تسع من الهجرة**) عند الأكثر.

وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة، كما ذكره البيهقي في الدلائل، (**ونعاه،**) أي أخبر بموته (**النبي ﷺ يوم توفي وصلى عليه بالمدينة،**) وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلاته عليه صلاة الغائب من طرق عن جابر: لما مات النجاشي، قال ﷺ: قد مات اليوم عبد صالح، يقال له أصحمة، فقوموا فصلوا فصفنا خلفه.

وعند ابن شاهين والدارقطني عن أنس، قال ﷺ: قوموا فصلوا على أخيكم النجاشي، فقال بعضهم: يأمرنا أن نصلي على علج من الحبشة، فأنزل الله: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ [آل عمران: ١٩٩]، إلى آخر السورة، وللدارقطني وغيره عن أبي هريرة، فوثب ﷺ، ووثبنا معه حتى جاء المصلي، فقام، فصففنا وراءه، فكبرا أربع تكبيرات.

وروى ابن إسحٰق عن عائشة، لما مات النجاشي، كما نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور أخرجه أبو داود، وترجم عليه النور يرى على قبر الشهداء.

(**وأما النجاشي الذي ولي بعده، وكتب له النبي ﷺ**) كتابًا (**يدعوه إلى الإسلام،**) روى

فكان كافرًا، لم يعرف إسلامه ولا اسمه، وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما.

وفي صحيح مسلم عن قتادة: أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه.

البيهقي عن ابن إسحٰق، قال: هذا كتاب من النبي محمد ﷺ إلى النجاشي الأصحم، عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة، ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلاَّ الله، ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك.

قال الحافظ ابن كثير: الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي ولي بعد المسلم صاحب جعفر، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله قبل الفتح.

قال الزهري: كانت كتبه ﷺ واحدة، يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية، وهي مدنية بلا خلاف انتهى، ومراد الزهري كتبه إلى أهل الكتاب، وهم النجاشيان، وهرقل، والمقوقس، وإلا فكتاب كسرى وغيره ليس فيه الآية، كما يتلى عليك، **(فكان كافرًا لم يعرف إسلامه ولا اسمه،)** لأن النجاشي اسم لكل من ملك الحبشة، وأما قوله في الكتاب الأصحم، فقال ابن كثير: لعله مقحم من الراوي بحسب ما فهمه، **(وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما،)** فظنهما واحدًا، **(وفي صحيح مسلم)** ما يرد عليه، ويصرح بأنهما اثنان؛ فإنه أخرج **(عن قتادة)** بن دعامة عن أنس **(أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار)** عنيد، كما هو رواية مسلم، **(يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه،)** فصرح أنس بأنه غيره، كما هو الواقع عند مسلم لا قتادة، كما أوهمه المصنف، وقد كتب لكل منهما، كما بينه البيهقي عن ابن إسحٰق.

وروى الطبراني عن المسور، قال: خرج ﷺ إلى أصحابه، فقال: إن الله بعثني للناس كافة، فأدوا عني، ولا تخلفوا علي، فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وسليطًا إلى هوذة واليمامة، والعلاء إلى المنذر بهجر، وعمر بن العاصي إلى جيفر، وعباد ابني الجلندي بعمان، ودحية إلى قيصر، وشجاع بن وهب إلى ابن أبي شمر، وعمرو بن أمية إلى النجاشي، فرجعوا جميعًا قبل وفاته ﷺ غير عمرو بن العاصي.

قال في الفتح: وزاد أصحاب السير أنه بعث المهاجر إلى الحٰرث بن عبد كلال، وجرير إلى ذي الكلاع، والسائب إلى مسيلمة، وحاطبًا إلى المقوقس، وبين أنس عند مسلم أن

وكتب ﷺ إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية واسمه جريج بن مينا.

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك ....

النجاشي الذي بعث إليه مع هؤلاء غير النجاشي الذي أسلم انتهى، والله أعلم.

(**وكتب ﷺ إلى المقوقس**،) بضم الميم، وفتح القاف، وسكون الواو، وكسر القاف الثانية، آخره مهملة.

قال البرهان: معناه المطول البناء، وفي القاموس، وحياة الحيوان أنه لقب له، ولطائر مطوق طوقًا سواده في بياض، كالحمام، وليس فيهما ما يشعر بالوصف الذي ذكره البرهان، (**ملك مصر والإسكندرية**) بكسر الهمزة، وتفتح وسكون السين، والنون، وفتح الكاف، والدال المهملة، وبالراء بلد، على طرف بحر المغرب من آخر حد مصر نسبت إلى بانيها الإسكندر الرومي، (**واسمه جريج**) بضم الجيم الأولى (**ابن مينا**) بن قرقوب أمير القبط بمصر من ملك الروم، ذكره ابن منده، وأبو نعيم في الصحابة تعلقًا بما روياه، ومن قبلهما ابن قانع من طريق ابن إسحٰق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: حدثني المقوقس، قال: أهديت إلى النبي ﷺ قدح قوارير، فكان يشرب فيه، وأنكر ابن الأثير ذكره، فقال: لا وجه لذكره في الصحابة، فإنه لم يزل نصرانيًا، ومنه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر، ولم يصب من ذكره في الصحابة انتهى.

(**بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله**،) وفي رواية من محمد رسول الله (**إلى المقوقس**) لقبه، كما علم قبل، وهو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية، وقيل ملك مصر والشام فرعون، فإن إضيف إليهما الإسكندرية، فالعزيز كما في سيرة مغلطاي، (**عظيم القبط**) بالكسر اسم لنصارى مصر الواحد قبطي على القياس، كما في القاموس، (**سلام على من اتبع الهدى**) الرشاد، (**أما بعد**،) أي مهما يكن من شيء، كما قال سيبويه، قال الكرماني: إن قلت أما للتفصيل، فأين القسيم؟ قلت: التقدير، أما الابتداء فإسم الله، وأما المكتوب، فهو من محمد الخ...، وأما المكتوب به، فهو ما ذكر في الحديث.

قال الحافظ: وهو توجيه مقبول، لكنه لا يطرد في كل موضع، ومعناها الفصل بين الكلامين، وقال العيني: هذا تعسف وذهول، فإن أمالها استعمالاً، لأن التفصيل، وهو الذي يطلب له القسيم، والآخر الاستئناف من غير أن يتقدمها كلام، كما هنا، ولم يقل أحد إنها في مثل هذا الموضع تقتضي القسيم، والتحقيق ما قلنا، كذا قال: فليتأمل، (**فإني أدعوك بدعاية**) بكسر الدال كلمة التوحيد، وفي لفظ بداعية، أي دعوة (**الإسلام أسلم تسلم يؤتك**) مجزوم جواب ثان

الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.

وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة، فتوجه إليه ....

للأمر، أو بدل اشتمال منه، أو معطوف عليه، بحذف العاطف، فلا يرد أن جواب الأمر حصل بقوله تسلم، أو جواب لأمر محذوف هو، وأسلم يؤتك، كما في رواية أخرى، فكرر الأمر للتأكيد، أو الأول للدخول في الإسلام، والثاني للدوام عليه (**الله أجرك مرتين**).

قال ابن المنير: مؤمن أهل الكتاب لا بد أن يكون مؤمنًا بنبينا ﷺ، لما أخذ الله عليهم من العهد والميثاق، فإذا بعث، فإيمانه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره، ثم أجاب بأن إيمانه الأول، بأن الموصوف، بكذا رسول، والثاني بأن محمدًا هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون تعدد أجره، لكونه لم يعاند، كما عاند غيره ممن أضله الله على علم، فحصل له الأجر الثاني، لمجاهدته نفسه على مخالفة أنظاره، (**فإن توليت، فعليك**) مع إثمك (**إثم القبط**،) والمراد رعاياه الذين ينقادون له، سواء كانوا من القبط، أو غيرهم، فنبه بذكر طائفة على بقية الطوائف (**يا أهل الكتاب**) بواو وبدونها، كما أفاده البرهان، وقد صرح في الإصابة بأن هذا الكتاب مثل الكتاب إلى هرقل (**تعالوا إلي كلمة سواء**،) أي عدل ونصف (**بيننا وبينكم**،) نستوي نحن وأنتم فيها صفة لكلمة مرادًا بها الجمل المفيدة، وفسرت بقوله (**أن لا نعبد إلاَّ اللَّه، ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللَّه، فإن تولوا، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**،) وختم الكتاب كما في الرواية، وحكمة كتب هذه الآية أن القبط وعظيمهم نصارى، وقد جمع النصارى الثلاثة الأشياء المذكورة في الآية، فعبدوا غير اللَّه، وهم اليعقوبية فرقة منهم الذين، قالوا: إن اللَّه هو المسيح ابن مريم، وأشركوا به في العبادة غيره، كالذين، قالوا: إن اللَّه ثالث ثلاثة، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه، فاتبعوهم في تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل (**وبعث به مع حاطب ابن أبي بلتعة**،) بفتح الموحدة، وسكون اللام، ففوقية، فمهملة مفتوحتين القرشي، مولاهم اللخمي، المتفق على شهوده بدرًا، (**فتوجه إليه**) وحدوه.

ذكر السهيلي؛ أنه ﷺ، بعث معه جبرًا بجيم وموحدة، مكبر مولى أبي رهم الغفاري، وهو وهم، فالذي في الاستيعاب والإصابة وغيرهما أن جبرًا كان من القبط، وأنه رسول المقوقس بمارية إليه ﷺ.

إلى مصر، فوجده بالاسكندرية، فذهب إليها، فوجده في مجلس مشرف على البحر، فركب سفينة إليه وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه، فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به إليه، ووقف بين يديه، ونظر إلى الكتاب فضه وقرأه، وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبيًا أن يدعو علي فيسلط علي؟ فقال له حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليه؟ فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت، فقال له حاطب:

إنه قد كان قبلك ....

قال سعيد بن عفير: فالقبط تفتخر بأنه منهم **(إلى مصر)** بدل الاشتمال من إليه على نية تكرار العامل، فلا يرد أن الفعل لا يتعدى بجر في جر، متحدين لفظًا، ومعنى فلا يقال مررت بزيد بعمر، وبخلاف مررت بزيد بالبرية، **(فوجده بالإسكندرية، فذهب إليها، فوجده في مجلس مشرف)** صفة، أي مطلع **(على البحر، فركب سفينة،)** وقصد بها **(إليه، وحاذى مجلسه)** مكان جلوسه، **(وأشار بالكتاب إليه؛)** بأن جعله بين أصبعيه، وأشار به، **(فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه،)** هكذا في رواية ابن عبد الحكم في فتوح مصر، ووقع في العيون خرج حاطب إلى الإسكندرية، فانتهى إلى حاجبه، فلم يلبثه أن أوصل إليه الكتاب، ويحتمل الجمع، بأنه لما خرج من السفينة لقيه الحاجب، فأوصله سريعًا إلى المقوقس لعلمه بأمره بإحضاره، **(فلما جيء به إليه، ووقف بين يديه، ونظر في الكتاب فضه،)** فك ختمه، كذا في كثير من النسخ بلا واو، وفي بعضها بها، وهي زائدة، لأنه جواب لما، **(وقرأه، وقال لحاطب ما منعه إن كان نبيًا أن يدعو علي فيسلط علي، فقال له حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليه)**.

زاد ابن عبد الحكم، فوجم له المقوقس، **(فاستعاد منه الكلام مرتين)** لينظر هل يتلعثم، وكأنه جوز أن جوابه أولاً إتفاقي، **(ثم سكت،)** لما أفحمه بالحجة، وعند البيهقي عن حاطب، قال: بعثني ﷺ بكتاب إلى المقوقس، فجئته، فأنزلني في منزل، وأقمت عنده، ثم بعث إلي، وقد جمع بطارقته، وقال: إني سأكلمك بكلام، وأحب أن تفهمه مني، قلت هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ فقلت: بلى هو رسول الله، قال: فما له لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده، فقلت له: أتشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله، فما له حيث أخذه قومه، فأرادوا أن يصلبوه، أن لا يكون دعا عليهم، بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله، فقال له: أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم، ولا يتوهم منافاة بين هاتين الروايتين، فإنه سأله بما ذكره المصنف حين جاء بالكتاب، ثم أنزله وأكرمه، ثم أحضره بعد مع بطارقته، فسأله عن هذا السؤال الثاني، ووعظه حاطب أول قدومه عليه لما سكت، **(فقال له حاطب: إنه قد كان قبلك)** بمصر

رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

قال: إن دينًا لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النبي ﷺ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرءان إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قومًا فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا

(رجل، يزعم أنه الرب الأعلى) على كل من يلي أمركم، وهو فرعون، **(فأخذه الله)** أهلكه بالغرق **(نكال،)** أي عقوبة، أي جعله نكالاً، وعبرة لغيره **(الآخرة،)** أي هذه الكلمة **(والأولى،)** أي قوله قبلها ما علمت لكم من إله غيري، وكان بينهما أربعون سنة، وقيل الأولى الدنيا بالإغراق، والآخرة يوم القيامة بالإحراق، **(فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك،)** بأن تفعل ما يوجب النقمة، فتصير عبرة لغيرك.

فالمراد نهيه عن كونه هذه الصفة، لا نهي غيره من الإعتبار به إن لو وقع فيما يوجب النقمة، وسقط غيرك من العيون، فقال البرهان: بالبناء للمفعول على الأحسن، ويجوز بناؤه للفاعل، **(قال: إن لنا دينًا لن ندعه إلاَّ لما هو خير منه، فقال حاطب: ندعوك إلى دين الله، وهو الإسلام)** التوحيد المبعوث به الرسل من قبل، **(الكافي به الله، فقد)** بفتح الفاء، وإسكان القاف، ودال مهملة مفعول به **(ما سواه،)** أي المغني به عن غيره الذي، فقد بحيث لا يجوز التمسك به، ومن يبتغ غير الإسلام دينًا، فلن يقبل منه، إن الدين عند الله الإسلام، **(إن هذا النبي ﷺ دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش)** قومه حسدًا، وتكذيبًا بالحق مع اعترافهم به، **(وأعداهم له يهود)** بالرفع بلا تنوين، لأنه لا ينصرف للعلمية والتأنيث، مع تيقنهم أنه النبي المبشر به في كتبهم، **(وأقربهم منه النصارى)** الذين آمنوا به، **(ولعمري ما بشارة موسى بعيسى)** التي تحققتها أنت **(إلاَّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ،)** فيجب عليك اتباعه، **(وما دعاؤنا إياك إلى القرءان إلاَّ كدعائك أهل التوراة)** بالنصب مفعول المصدر **(إلى الإنجيل،)** فكما تعتقد أن ذلك حق، يجب عليك أن تعتقد حقيقة الإسلام، وأن رسالة محمد ﷺ ثابتة يجب اتباعها، **(وكل نبي أدرك قومًا فهم من أمته، فالحق)** الثابت الواجب **(عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا**

النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي. فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر.

النبي،) فالحق عليك اتباعه، (**ولسنا ننهاك عن دين المسيح**) عيسى، (**ولكنا نأمرك به،**) لأن من دينه الأمر باتباع المصطفى، ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، (**فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه،**) بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة، والعقول السليمة، وإنما يجحد بعضهم بطرًا وكبرًا، (**ولا ينهى عن مرغوب فيه**) عند أولي الألباب.

وفي الروض: ولا ينهى إلاَّ عن مرغوب عنه، (**ولم أجده بالساحر الضال**) لنفسه، ولغيره، (**ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة،**) كذا في العيون، أي علامتها عبر عنها بالآلة، لأنها سبب في تحقيقها وإظهارها، فأشبهت الآلة. وفي الروض آية مفرد آي وهي العلامة بلا تكلف (**بإخراج الخبء**) بفتح الخاء المعجمة تليها موحدة فهمزة الغائب المستور، كأنه يشير إلى الإخبار بالمغيبات، (**والإخبار بالنجوى،**) أي يعلم ما يتناجون به حقيقة، وهو من جملة الأخبار بالغيب.

قال البيضاوي: والنجوى مصدر، أو جمع نجى، وفي المصباح ناجيته ساررته، والإسم النجوى، (**وسأنظر،**) وهذا علمه المقوقس من الأخبار الواردة عليه بذلك قبل كتابة المصطفى إليه، فقد ذكر الواقدي بإسناد له عن المغيرة بن شعبة في قصة خروجهم من الطائف إليه قبل الإسلام المغيرة، قال: لما دخلنا عليه، قال: ما صنعتم فيما دعاكم إليه محمد؟ قالوا: ما تبعه منا رجل واحد، قال: كيف صنع قومه؟ قالوا: تبعه أحداثهم، وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة، قال: فإلى ماذا يدعو؟ قالوا: إلى أن نعبد اللَّه وحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا، ويدعو إلى الصلاة، والزكاة، وصلة الرحم، ووفاء العهد، وتحريم الزنا والربا والخمر، فقال المقوقس: هذا نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى، وهذا الذي تصفون منه نعت الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر، فقالوا: لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه، فهز المقوقس رأسه، وقال: أنتم في اللعب، ثم سألهم عن نحو ما وقع في قصة هرقل من سؤاله لأبي سفين، وفي آخره فما فعلت يهود يثرب، قلنا: خالفوه، فأوقع بهم، قال: هم قوم حسد، أما أنهم يعرفون من أمره مثل ما

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له، ثم دعا كاتبًا له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلامٌ عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقي، وكنت أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثته إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام.

نعرف، (**وأخذ كتاب النبي ﷺ**) وضمه إلى صدره، وقال: هذا زمان النبي الذي نجد نعته في كتاب اللّٰه، رواه ابن عبد الحكم، (**فجعله في حق من عاج**) ثم ختم عليه، كما في الرواية، (**ودفعه لجارية له**) لتحفظه، قال البرهان: لا أعرف اسمها، (**ثم دعا كاتبًا له يكتب بالعربية**) قال البرهان: لا أعرف اسمه، (**فكتب إلى النبي ﷺ**) كتابًا صورته (**بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم لمحمد بن عبد اللّٰه من المقوقس عظيم القبط سلام عليك**) كما في الرواية، فتأدب، فقدم اسم المصطفى، ولم يصف نفسه بالملك، بل كتب مثل ما كتب له، (**أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقي**) خاتم النبيين، (**وكنت أظن أن يخرج من الشام**) لأنه مخرج الأنبياء من قبله، (**وقد أكرمت رسولك**) بالضيافة، وقلة المكث عندي، وسرعة إذني في دخوله علي.

قال حاطب: وقد كان مكرمًا لي في الضيافة، وقلة اللبث ببابه ما أقمت عنده إلاَّ خمسة أيام، وإن وفود العجم ببابه منذ شهرين وأكثر، وأمر لي بمائة دينار وخمسة أثواب، ذكره الواقدي وغيره، (**وبعثته إليك بجاريتين**) مارية وأختها سيرين، ولم يذكر الثالثة، وهي أختهما، فيصير بالصاد عند مغلطاي، والسين عند اليعمري وغيره، بل اقتصر عليهما لحسنهما وجمالهما، كما قال (**لهما مكان من القبط عظيم وكسوة**) هي عشرون ثوبًا لينًا من قباطي مصر، كما أسلفه المصنف في ترجمة مارية.

وروى ابن عبد الحكم مرسلاً؛ أنها بقيت حتى كفن ﷺ في بعضها، والصحيح ما في الصحيح عن عائشة: أنه كفن في ثياب يمانية، (**وأهديت إليك بغلة**) ذكرها في الكتاب، لأنها كانت من مراكبه، وهي دلدل، ولذا، قال: (**لتركبها**) ولم يذكر فيه الحمار، وهو يعفور، ولا الألف مثقال ذهبًا، ولا العسل الذي من بنها، بكسر الموحدة وفتحها، كما تقدم في مارية، لحقارة ذلك عند الملوك، فلا يذكر في الكتب، وللطبراني عن عائشة أنه أهدى له مكحلة عيدان شامية ومرآة ومشطًا (**والسلام**).

ولم يزد على هذا، ولم يسلم.
وكتب ﷺ إلى المنذر بن ساوى:

وذكر الواقدي وابن عبد الحكم من طريق أبان بن صالح، قال: أرسل المقوقس إلى حاطب، فقال: أسألك عن ثلاث، فقال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: إلام يدعو محمد، قلت: إلى أن يعبد اللَّه وحده، ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة، وصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم إلى أن قال: صفه لي، فوصفته، فأوجزت، قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها في عينيه حمرة، قلت: ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزىء بالتمرات، والكسر لا يبالي من لاقى من عم، ولا ابن عم، قلت: هذه صفته، قال: قد كنت أعلم أن نبيًا قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه من الشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني على اتباعه، وأنا أضن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفًا، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك أحدًا.

قال حاطب: فذكرت قوله لرسول اللَّه ﷺ، فقال: ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه اهـ، فكان كما قال، **(ولم يزد)** المقوقس **(على هذا، ولم يسلم،)** بل استمر على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر، وغلط ابن الأثير وغيره من الحفاظ ابن منده وأبا نعيم وابن قانع في ذكرهم له في الصحابة تشبثًا بما أخرجوه من طريق ابن إسحٰق عن الزهري عن عبيد اللَّه، قال: حدثني المقوقس، قال: أهديت إلى النبي ﷺ قدح قوارير، فكان يشرب فيه، ولا أدري ما وجه إثباتهم الصحبة له من هذا الخبر، فإنه بفرض أن التصلية منه لا يلزم إسلامه، لأن النصارى تعترف بنبوته، فيصلون عليه، ويزعمون أنها إلى العرب، ولم يقل أحد أنه سافر، واجتمع بالنبي ﷺ حتى يكون صحابيًا، فما هذا إلا غلط على غلط، **(وكتب ﷺ إلى المنذر بن ساوى)** بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبد اللَّه بن زيد بن عبد اللَّه بن دارم، التميمي، الدارمي العبدي، لأنه من ولد عبد اللَّه بن دارم المذكور لا من عبد القيس، كما ظنه بعض الناس، أفاد ذلك الرشاطي.

روى إسحٰق بن راهويه، ومن طريق الطبراني وابن قانع من سليمٰن بن نافع العبدي عن أبيه، قال: وفد المنذر بن ساوى من البحرين، ومعه أناس، وأنا غليم أمسك جمالهم، فذهبوا بسلاحهم، فسلموا على النبي ﷺ، ووضع المنذر سلاحه، ولبس ثيابًا كانت معه، ومسح لحيته بدهن، فأتى نبي اللَّه، وأنا مع الجمال أنظر إلى نبي اللَّه.

ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته فإذا فيه:

بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وكتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام. فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ: أما بعد، يا رسول الله فإني قد قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إلي في ذلك أمرك.

فكتب إليه في ذلك رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من

قال المنذر: قال لي ﷺ رأيت منك ما لم أر من أصحابك، فقلت: أشيء جبلت عليه، أو أحدثته، قال: لا، بل جبلت عليه، فأسلموا، قال سليمٰن وعاش أبي مائة وعشرين سنة، قال في الإصابة: ولم يثبت ذلك الأكثر، بل قالوا: لم يكن في الوفد، وإنما كتب معهم بإسلامه، وسليمٰن ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه، ولم يذكر فيه جرحًا، والقصة معروفة للأشج، واسمه المنذر بن عائذ، وأظن سليمٰن وهم في ذكر سن أبيه، لأنه لو كان غلامًا سنة الوفود، وعاش هذا القدر لبقي إلى سنة عشرين ومائة، وهو باطل، فلعله، قال مائة وعشر، لأن أبا الطفيل آخر الصحابة موتًا، وأكثر ما قيل في عام موته سنة عشر ومائة انتهى. ومع هذا، فذكر المنذر بن ساوى في القسم الأول موافقة للأقل، ثم في القسم الثالث موافقة للأكثر.

و (**ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة، قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته**) نقلته، (**فإذا فيه بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام،**) لم نر من ذكر لفظ هذا الكتاب، فإنما هذا إخبار بشيء مما اشتمل عليه الكتاب، كما تقول قرأت القرءان، فوجدت فيه أمر الساعة، وبعث من في القبور وغير ذلك مع أنك لم تذكر شيئًا من القرءان، (**فكتب المنذر**) لما وصل إليه الكتاب، وآمن (**إلى رسول الله ﷺ، أما بعد يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين**) كتثنية بحر في حال النصب والجر، قاعدة من قواعد اليمن، وعمل من أعمالها، كذا في النور، ولا يخالفه قول المصنف كغيره إن البحرين اسم لإقليم مشهور، مشتمل على مدن معروفة قاعدتها هجر، لأن المراد بالقاعدة الجانب الكبير، كالإقليم، فلا ينافي أن هجر قاعدة من قواعده، (**فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه ودخل فيه،**) أي آمن، (**ومنهم من كرهه،**) فلم يدخل فيه (**وبأرضي يهود ومجوس**) باقين على كفرهم، (**فأحدث**) بهمزة قطع، وكسر الدال ابعث (**إلي في ذلك أمرك**) افعل فيهم، (**فكتب إليه في ذلك رسول الله ﷺ بسم الله الرحمٰن الرحيم، من**

محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. أما بعد، فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، ....

محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك) خاطبه بالسلام، لأن هذا الكتاب، كما ترى بعد إسلامه، **(فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاَّ هو، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله)** لعله قصد بكتب الشهادتين تعليمهم إياهما، **(أما بعد)**.

قال في فتح الباري: اختلف في أول من قالها، فقيل داود عليه السلام، وقيل يعرب بن قحطان، وقيل كعب بن لؤي، وقيل قس بن ساعدة، وقيل سحبان.

وفي غرائب مَلك للدارقطني: أن يعقوب عليه السلام قالها، فإن ثبت وقلنا: إن قحطان من ذرية إسمٰعيل، فيعقوب أول من قالها مطلقًا، وإن قلنا إن قحطان قبل إبراهيم، فيعرب أول من قالها، وفي الفتح أيضًا في كتاب الجمعة، قيل: أول من قالها داود رواه الطبراني مرفوعًا عن أبي موسى، وفي إسناده ضعف، وروى عبد بن حميد، والطبري عن الشعبي موقوفًا إنها فصل الخطاب الذي أعطيه.

وروى الدارقطني بسند رواه في غرائب مَلك أول من قالها يعقوب.

وروى الفاكهي كعب بن لؤي بسند ضعيف، وقيل يعرب بن قحطان، وقيل سحبان وائل، وقيل قس بن ساعدة، والأول أشبه، ويجمع بينه وبين غيره بأنه بالنسبة إلى الأولية المحضة، والبقية بالنسبة إلى العرب خاصة، ثم يجمع بينها بالنسبة إلى القبائل انتهى، **(فإني أذكرك الله)** أي أوامره ونواهيه إشارة إلى أنه لا ينبغي عبادة غيره **(عز وجل)** ولا الخروج عن أحكامه لأحد، لأنها معلومة على لسان الرسل، فكأنها من المعلوم الحاصل للجاهل بها مجرد غفلة، **(فإنه من ينصح، فإنما ينصح لنفسه)** لعود ثواب نصحه عليها، **(وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم)** عطف تفسير **(فقد أطاعني)** ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، **(ومن نصح لهم فقد نصح لي)** والدين النصيحة، **(وإن رسلي)** لا يعارض هذا قوله أولا إنه بعث له العلاء بن الحضرمي لإحتمال أنه اجتمع معه عند المنذر أحد من المسلمين، فسماهم كلهم رسلاً، أو أطلق الجمع على ما فوق الواحد، فقد ذكر الشامي أنه بعث أبا هريرة مع العلاء، وأوصاه به خيرًا، **(قد أثنوا عليك خيرًا)** من قبولك الحق، وانقيادك إلى الإيمان.

ذكر السهيلي في الروض: أن العلاء، لما قدم عليه، قال له: يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شردين، ليس فيها تكرم العرب، ولا علم أهل

وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله، ويعبدون في الدنيا نارًا تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن يكذب في الدنيا أن لا تصدقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به؟ فإن كان هذا هكذا، فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه، أمر به أوليته، زاد في عفوه، أو نقص من عقابه إذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر، فقال المنذر: قد نظرت في هذا الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ورأيت في دينكم، فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام ما جاء به أن يعظم رسوله، وسأنظر انتهى، أي فيما أصنع من الذهاب إليه، أو مكاتبته أو غير ذلك، لا في أنه يسلم، أو لا فإن قوله: وعجبت اليوم ممن يرده اعتراف منه بأنه دين حق، والأمنية في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر، والعاقل لا يقدر إلاَّ ما فيه فلاحه، (**وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه**) من مال وزوجات أربع يحل نكاحهن، (**وعفوت عن أهل الذنوب**) المتقدمة منهم في الكفر من زنا وشرب ونكاح محارم وسب وغير ذلك، لأن الإسلام يجب ما قبله، (**فأقبل منهم**) الإسلام، ولا تؤاخذهم بما مضى، فإن الله يقول: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨]، (**وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك**،) بل نقيمك فيه نائبًا عنا، (**ومن أقام على يهوديته، أو مجوسيته فعليه الجزية**).

وأخرج ابن منده عن زيد بن أسلم عن المنذر بن ساوى: أن النبي ﷺ كتب إليه أن أفرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة.

وروى أنه ﷺ كتب إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا أخذت منهم الجزية بأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود كتب ﷺ إلى المنذر بن ساوى: من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلكم المسلم له ذمة الله ورسوله.

وذكر أبو جعفر الطبري: أن المنذر هذا مات بالقرب من وفاته ﷺ، وحضره عمرو بن العاصي، فقال له: كم جعل ﷺ للميت من ماله عند الموت، فقال: الثلث، قال: فما ترى أن أصنع في ثلثي، قال: إن شئت قسمته في سبل الخير، وإن شئت جعلت غلته تجري بعدك على

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان، وبعثه مع عمرو بن العاص:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى جيفر ـ بفتح الجيم ـ وعبد ابني الجلندي: ....

من شئت، قال: ما أحب أن أجعل شيئًا من مالي كالسائبة، ولكني أقسمه، **(وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان)**.

قال الحافظ: بضم المهملة وخفة الميم، قال الرشاطي باليمن: سميت بعمان بن سبأ ينسب إليها الجلندي رئيس أهلها.

روى مسلم عن أبي برزة بعث ﷺ رجلاً إلى قوم، فسبوه وضربوه، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك.

وروى أحمد عن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لاعلم أرضًا، يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم، ولا حجر وبعمل الشام بلدة، يقال لها عمان، لكنها بفتح المهملة، وشد الميم، وهي التي أرادها القائل:

في وجهه خالان لولاهما ما بت مفتونًا بعمان

وليست مرادة هنا قطعًا، وإنما وقع اختلاف للرواة فيما جاء في بعض طرق حديث صفة الحوض النبوي من ذكر عمان انتهى، من فتح الباري **(وبعثه)** في ذي القعدة سنة ثمان، ووقع عند ابن عبد البر، أنه بعد خيبر، قال في الفتح، فلعلها كانت بعدحنين، فتصحفت **(مع عمرو بن العاصي)** ولفظه، كما رواه ابن سعد مع القصة كلها من طريق عمرو بن شعيب عن مولى لعمرو بن العاصي عنه، **(بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى جيفر بفتح الجيم)** مصروف بوزن جعفر إلاَّ أن بدل العين تحتانية، **(وعبد)** بموحدة، وقيل تحتيه لا اضافة فيهما، وصوب الخشنى أنه عياد، وهو الذي في رواية الطبراني وضبطه في الفتح بفتح المهملة وشد التحتانية وآخره معجمة **(ابني الجلندي)** بضم الجيم، وفتح اللام، وسكون النون والقصر، كما في الفتح غير مبال بقوله شيخه في القاموس جلنداء، بضم أوله، وفتح ثانيه ممدودة، وبضم ثانيه مقصورة، اسم ملك عمان، ووهم الجوهري، فقصر مع فتح ثانيه، قال الأعشى:

وجلنداء في عمان مقيما ثم قيسا في حضرموت المنيف

وذكر وثيمة في كتاب الردة عن ابن إسحٰق أنه ﷺ بعث إلى الجلندي عمرًا يدعوه إلى الإسلام، فقال: لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه، لا يأمر بخير إلاَّ كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلاَّ كان أول تارك له، وأنه يغلب، فلا يبطر، ويغلب، فلا يهجر، وإنه يفي بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي، وأنشد أبياتًا منها:

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زال عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما.

وكتب أُبي بن كعب، وختم الكتاب.

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد - وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقًا - فقلت إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك. فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه.

ثم قال: وما تدعو إليه؟

قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن

فيا عمرو، قد أسلمت لله جهرة ينادي بها في الواديين فصيح

قال في الإصابة، فيحتمل أن عمرًا أرسل إليهم جميعًا (**سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما**) بهمزة قطع، وكسر اللام، أمر من الرباعي (**تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، وإنكما ان أقررتما بالإسلام، وليتكما**) بشد اللام من التولية، (**وإن أبيتما أن تقرا**) هكذا في نسخ صحيحة، كالعيون وغيرها، ويوجد في بعض النسخ أن، لا تقرا بزيادة لا، وبتقدير صحتها رواية، فالمعنى أن أبيتما الإسلام، وأردتما أن لا تقرا (**بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل**) بضم المهملة تنزل (**بساحتكما**) فناء دوركما (**وتظهر نبوتي**)، أي أرها (**على ملككما**)، فتزيله، (**وكتب**) الكتاب (**أبي بن كعب، وختم**) ﷺ (**الكتاب**) بنفسه، أو بأمره.

(**قال عمرو: فخرجت**) وسرت (**حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت**) بفتح الميم على المشهور بوزن قصدت، ومعناه وفي لغة بكسر الميم، وقد مر مرارًا (**إلى عبد، وكان أحلم الرجلين، وأسهلهما خلقًا**) بضمتين، (**فقلت: اني رسول الله ﷺ إليك، وإلى أخيك**) بهذا الكتاب، وبالدعاء إلى ما تضمنه من الإيمان، (**فقال:**) عبد (**أخي**) جيفر (**المقدم علي بالسن، والملك**) بضم الميم، (**وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه، ثم قال: وما تدعو إليه؟، قلت أدعوك إلى**) عبادة (**الله وحده، لا شريك له، و**) إلى أن (**تخلع ما عبد من دونه و**) أن (**تشهد أن**

محمدًا عبده ورسوله.

قال: يا عمرو إنك كنت ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا فيه قدوة.

قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام.

قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبًا، فسألني: أين كان إسلامك؟

قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم.

قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبعوه.

قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم.

قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب.

قلت: ما كذبت وما ....

محمدًا عبده ورسوله).

(قال يا عمرو إنك كنت)، أي وجدت **(ابن سيد قومك)**، والذي في العيون، وغيرها إنك ابن بدون كنت، **(فكيف صنع أبوك)** العاصي بن وائل السهمي، أحد الكفار المستهزئين، **(فإن لنا فيه قدوة، قلت مات، ولم يؤمن بمحمد** ﷺ، **ووددت)** بكسر الدال الأولى **(أنه كان أسلم، وصدق به، وقد كنت)** أنا **(على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبًا، فسألني: أين كان إسلامك؟، قلت: عند النجاشي)** على يده، وهو من اللطائف، صحابي أسلم على يد تابعي، **(وأخبرته أن النجاشي، قد أسلم)**.

(قال: كيف صنع قومه بملكه؟، قلت: أقروه، واتبعوه، قال: والأساقفة) بفتح الهمزة، فسين مهملة، فألف، فقاف مكسورة، ثم فاء، ثم تاء تأنيث جمع أسقف، وهو السقف بضم السين، والقاف لفظ أعجمي، ومعناه رئيس دين النصاري، وقيل عربي، وهو الطويل في انحناء، وقيل ذلك للرئيس، لأنه يتخاشع، كما في الفتح **(والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، قال: انظر يا عمرو ما تقول،)** استعظم وقوع ذلك، واتهمه في صحة الخبر، واحتمل عنده انه قصد ترويج ما أرسل به، فقال له ذلك، واستشهد عليه بالعلوم من شدة قبح الكذب ليجتنبه، فقال: **(إنه ليس من خصلة)** بالفتح خلة **(في رجل أفضح،)** أي أكثر فضيحة **(له من كذب، قلت)** أنا صادق في خبري، **(وما**

نستحله في ديننا.

ثم قال: أخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه.

قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبًا.

قلت: إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردها

كذبت، وما نستحله في ديننا) زيادة عن كونه أفضح خصلة، **(ثم قال:)** أشار إلى أنه حذف بعض الحديث، وهو كذلك، فعند ابن سعد ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت: بلى، قال: شيء علمت ذلك؟، قلت: كان النجاشي يخرج خرجًا، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ، قال: لا والله، ولو سألني درهمًا واحدًا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، قال: يناق أخوه أتدع عبدك، لا يخرج لك خرجًا، ويدين دينا محدثًا؟، قال هرقل: رجل رغب في دين، واختاره لنفسه ما أصنع به؟، والله لولا الضن بملكي لصنعت، كما صنع، قال انظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك، قال عبد: **(فأخبرني ما الذي يأمر به، وينهى عنه،)** ويناق بفتح التحتية، وشد النون، فألف، فقاف غير مصروف للعملية، والعجمة، لا أعرف له ترجمة، والظاهر هلاكه على دينه، قاله البرهان **(قلت يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر، وصلة الرحم)** هما من أفراد الطاعة، **(وينهي عن الظلم، والعدوان، وعن الزنا، وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر، والوثن)** هو كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب والحجارة، كصورة الآدمي يعمل، وينصب، ويعبد، والصنم الصورة، بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بين الصنم، والوثن، ويطلقهما على المعنيين، وقد يطلق الوثن على غير الصورة ذكره البرهان.

(والصليب) للنصارى، والجمع صلب وصلبان، قاله الجوهري، واستعمل عمرو مقام الاطناب زيادة في البيان، لأنه مقام خطابة، وإلاّ، فكل هذه من أفراد معصية الله، فاجمل أولا، ثم فصل بعض التفصيل ليكون أوقع في النفس.

(قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي) جيفر **(أضن)** بمعجمة، وشد النون أبخل **(بملكه من أن يدعه، ويصير ذنبًا)** بفتح المعجمة، والنون وموحدة، أي طرفًا، وتابعًا بعد ان كان رأسًا ومتبوعًا.

(قلت: إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم، ويردها على

على فقرائهم.

قال: إن هذا لخلق حسن. وما الصدقة؟

فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال، حتى انتهيت إلى الإبل، فقال: يا عمرو، يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ قلت: نعم. قال: والله ما أرى قومي في بعد دراهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال: فمكثت ببابه أيامًا وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يومًا فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال: تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختومًا، ففض ختمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره. ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، فقال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ ....

فقرائهم).

قال: (إن هذا خلق حسن)، لما فيه من مواساة الفقراء (وما الصدقة؟، فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل، فقال: ياعمرو يؤخذ من سوائم) جمع سائمة، وهي الراعية (مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياة؟، قلت: نعم، قال: والله ما أرى) بضم الهمزة أظن (قومي في) أي مع (بعد دراهم) عنه ﷺ، فيأمنون مجيء خيله إليهم لذلك، (وكثرة عددهم) فبتقدير مجيئه إليهم، لا يخافون منه، لكثرتهم (يطيعون) ضمنه معنى يقرون، فعداه بالباء، فقال (بهذا) الذي ذكرته.

(قال: فمكثت ببابه أيامًا، وهو يصل إلى أخيه، فيخبره كل خبري ثم إنه دعاني يومًا) لأدخل معه على أخيه، (فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي) بفتح المعجمة، وإسكان الموحدة، ومهملة تثنية ضبع حذفت نونه للإضافة لياء المتكلم، وهو العضد، أو وسطه، أو ما بين الابط إلى نصف العضد، والجمع اضباع مثل فرخ، وأفراخ، كما في النور، (فقال: دعوه، فأرسلت) بضم الهمزة، والتاء مبنى للمفعول، (فذهبت لاجلس، فأبوا أن يدعوني) بفتح الدال يتركوني (اجلس) على عادة ملوك العجم في أن نحو رسول شخص، ولو ملكا، لا يجلس عند الملك، (فنظرت إليه، فقال تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختومًا، ففض ختمه، وقرأه حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه) عبد، (فقرأه مثل قراءته،) فاستوفاه إلى آخره.

(إلاَّ أني رأيت أخاه) عبدًا (أرق منه، فقال) جيفر: (ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟،

فقلت: تبعوه إما راغب الدين وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله أنهم كانوا في ضلال. فما أعلم أحدًا بقي غيرك في هذه الحرجة، وإن لم تسلم اليوم وتتبعه بوطئك الخيل، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليكم الخيل والرجال.

قال: دعني يومي هذا وارجع إلي غدًا.

فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله هٰهنا، وإن بلغت خيله هٰنا ألفت

فقلت: تبعوه إما بكسر الهمزة، وشد الميم **(راغب في الدين،)** فدخل فيه طوعًا، **(وإما مقهور بالسيف،)** فدخل كرها إلى أن هداه الله، وحسن إسلامه، كالمؤلفة، **(قال: ومن معه؟ قلت: الناس، قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحدًا بقي غيرك في هذه الحرجة)** بفتح الحاء المهملة، والراء، ثم جيم، ثم تاء تأنيث، كذا في النسخ، فإن صح، فهي شجر ملتف، كذا في النور، والمراد التجوز **(وإن لم تسلم اليوم، وتتبعه يوطئك الخيل)** زاد في رواية، كما في العيون، ويبيد خضراءك، أي جماعتك بفتح الخاء، وإسكان الضاد المعجمتين، والمد، **(فاسلم تسلم، ويستعملك على قومك،)** فتبقى على ملكك مع الإسلام، **(ولا تدخل عليكم الخيل والرجال،)** وفي هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال، وفيه قوة نفس عمرو رضي الله عنه، وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب، وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه بحضرة اعوانه، مع أنه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس، ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته ﷺ، فلم يؤذه، ولا بكلمة، بل خاطبه باللين حيث **(قال: دعني يومي هذا، وارجع إلي غدا فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم)** أخي **(إن لم يضن)** بفتح المعجمة، وكسرها يبخل **(بملكه، حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت، فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا)** لبعد الدار، **(وإن بلغت خيله ههنا ألفت)** بالفاء وجدت

قتالاً ليس كقتال من لاقى.

قلت: وأنا خارج غدًا، فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا، وصدقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونًا على من خالفني.

وكتب ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي، وأرسل به مع سليط بن عمرو العامري:

(قتالا ليس كقتال من لاقى).

قال عمرو: **(قلت: وأنا خارج غدًا، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه)** فقال: ما نحن فيما ظهر عليه، وكل من أرسل إليه أجابه، كما في الرواية، **(فأصبح، فأرسلَ إلي، فأجاب إلى الإسلام هو، وأخوه جميعًا، وصدقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم، فيما بينهم، وكانا لي عونًا على من خالفني)** فلم يزل عمرو بعمان عندهم حتى مات النبي ﷺ، كما في بقية الرواية عند ابن سعد، ولعل إقامته كانت بأمر المصطفى حين بعثه، أو إشارة فهم منها ذلك، أو باجتهاده حتى يجمع الصدقة وروى عبدان بإسناد صحيح عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري انه ﷺ بعث عمرو بن العاصي إلى جيفر وعباد ابني الجلندي أميري عمان، فأسلما، وأسلم معهما بشر كثير، ووضع الجزية على من لم يسلم، **(وكتب ﷺ إلى صاحب اليمامة)** بلاد بالبادية.

قال الجوهري: كان اسمها الجو، فسميت باسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، لكثرة ما أضيف إليها، وقيل جو اليمامة زاد المجد، وهي أكثر نخيلاً من سائر الحجاز، وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة على ست عشرة مرحلة من البصرة، وعن الكوفة نحوها **(هوذة بن علي)** الحنفي بفتح الحاء، كما قال البرهان تبعًا للجوهري، وقال الدميري بضم الهاء، وإسكان الواو، وبالذال المعجمة، كما في الصحاح، وغيره ونقل بعضهم عن القطب إهمالهما.

قال البرهان: وما أظنه إلاّ سبق قلم، **(وأرسل به)** الباء زائدة لتعدي أرسل بنفسه هو الذي أرسل رسوله، أو ضمن معنى بعث، وهو فيما لا يصل بنفسه كالكتاب يعدى بالباء، كما مر **(مع سليط)** بفتح السين، وكسر اللام، ثم تحتية ساكنة، ثم طاء مهملتين **(ابن عمرو)** بفتح العين ابن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مٰلك بن حسل بكسر الحاء، واسكان السين المهملتين ابن عامر بن لؤي القرشي **(العامري)**، أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة في قول ابن إسحٰق، وشهد بدرًا

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك.

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختومًا، أنزله وحباه واقترأ عليه الكتاب، فرد ردًا دون رد، وكتب للنبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك. ....

في قول الواقدي، وأبي معشر، واستشهد باليمامة.

وفي الصحابة سليط بن عمر، والأنصاري، وسليط بن عمرو بن زيد، فلذا قيد بالعامري واختاره للإرسال، لأنه كان يختلف إلى اليمامة قبل ذلك (**بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول اللّٰه، إلى هوزة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر**) وينتهى، (**إلى منتهى**) فهو متعلق بمحذوف، أو ضمن معناه، أي يظر منتهيًا إلى (**الخف**) الإبل، (**والحافر**) الخيل، والبغال وغيرها، والمراد انه يصل إلى أقصى ما يصلان إليه فيؤمنون به.

وفي المصباح انتهى الأمر بلغ النهاية، وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه، (**فاسلم تسلم، واجعل**) بالجزم معطوف على جواب الأمر (**لك**) ولاية (**ما تحت يديك، فلما قدم عليه سليط) بكتاب رسول اللّٰه ﷺ مختومًا، أنزله، وحباه**) بفتح المهملة، وموحدة خفيفة، أي أعطاه، كما في النور، ولا يتكرر مع قوله بعد أجازه، لأنها عند السفر، وهذا الحباء عند القدوم، فلا حاجة إلى أن قراءته بتحتية ثقيلة أظهر، (**واقترأ عليه الكتاب،**) أي قرأ، وبه عبر اليعمري، وهو لغة، ففي القاموس قرأه، وبه كنصره، ومنعه، كاقترأه تلاه، قال السهيلي: وقال سليط يا هوذة انك سودتك أعظم حائلة، أي بالية، وأرواح في النار، وإنما السيد من متع بالإيمان، ثم زوّد بالتقوى إن قومًا سعدوا برأيك، فلا تشقين به، وإني آمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شر منهى عنه، آمرك بعبادة اللّٰه، وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة اللّٰه الجنة وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت نلت ما رجوت، وأمنت ما خفت، وإن أبيت، فبيننا، وبينك كشف الغطاء، وهو المطلع، فقال هوزة يا سليط سودني من لوسودك شرفت به، وقد كان لي رأى اختبر به الأمور، ففقدته، فموضعه من قلبي هواء، فاجعل لي فسحة يرجع إلى رأى، فأجيبك به إن شاء اللّٰه، (**فرد ردًا**) فيه لطف (**دون رد**) بعنف، كما وقع لغيره من الجبارين، (**وكتب للنبي ﷺ ما أحسن ما تدعو إليه، وأجمله،**) زاد في الرواية، وأنا شاعر قومي، وخطيبهم، (**والعرب تهاب مكاني**) تجله، وتعظمه لشدة بأسي، (**فاجعل لي بعض الأمر أتبعك،**) كأنه أراد شركته في النبوة، أو الخلافة بعده، كما

وأجاز سليطًا بجائزة وكساه أثوابًا من نسج هجر.

فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال: لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت. باد، وباد ما في يديه.

فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة مات، فقال ﷺ: «أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ، يقتل بعدي» فكان كذلك.

سأله ابن الطفيل فيها، ولم يرض بكونه تحت ولايته التي ذكرها في قوله، وأجعل لك ما تحت يديك، **(وأجاز سليطًا بجائزة، وكساه أثوابًا من نسج هجر،)** بفتحتين بلد باليمن مذكر مصروف، وقد يؤنث ويمنع، واسم لجميع أرض البحرين، كما في القاموس، وهو المراد هنا، لا التي بقرب المدينة، **(فقدم بذلك على النبي ﷺ، فأخبره)** بخبره، **(وقرأ النبي ﷺ كتابه، وقال: لو سألني سيابة)** بفتح المهملة، وخفة التحتية، فألف، فموحدة مفتوحة، فتاء تأنيث، أي ناحية، أي قطعة، **(من الأرض ما فعلت)** هكذا، فسره ابن حديدة، وأما البرهان، ففسره بالبلح، أو البسر تبعًا للقاموس، وهو أبلغ، لكن بتقدير مضاف، أي قدر بلحة، أو بسرة من الأرض، أو المراد نفسه البلحة، أو البسرة بتقدير ناشئة **(باد)** بموحدة، فألف، فمهملة هلك، **(وباد ما في يديه،)** أي هلك، بمعنى ذهب عنه، وتفرق، وهو خبر، أو دعا، **(فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام،)** فأخبره **(بأن هوذة،)** قد **(مات)** على كفره، لأنه لم يجب إلاَّ بشرط لم يعطه، ولفظًا، فأخبره، وقد ثبتا في الرواية، فكأنهما سقطا من قلم المصنف، أو تعمد حذفهما لفهم المعنى، **(فقال ﷺ: «أما أن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي»، فكان كذلك،)** لأنه، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلاَّ وحي يوحي، فظهر بها مسيلمة لعنه اللَّه وقتل.

وفي الرواية، فقال قائل: يا رسول اللَّه من يقتله، فقال: أنت وأصحابك، قال البرهان، لا أعرف هذاالقائل بعينه، والظاهر انه من الذين اشتركوا في قتله، أو خالد بن الوليد.

وذكر الواقدي أن أركون دمشق عظيم من عظماء النصارى، كان عند هوذة، فسأله عن النبي ﷺ، فقال: جاءني كتابه يدعونى إلى الاسلام، فلم أجبه، قال الاركون: لم لا تجيبه؟، قال: ضننت بديني، وأنا ملك قومي، ولئن تبعته لن أملك، قال: بلى واللَّه لئن اتبعته ليملكنك، وإن الخير لك في اتباعه، وأنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم، وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول اللَّه ﷺ، وأركون بفتح الهمزة، والراء، وضم الكاف الرومي، قال في الإصابة: أدرك الجاهلية، وأسلم على يدي خالد في عهد أبي بكر، ذكره ابن عساكر في

وكتب ﷺ إلى الحٰرث بن أبي شمر الغساني، وكان بدمشق، بغوطتها:
بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحٰرث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك. وأرسله مع شجاع بن وهب.

ترجمة حفيده إبراهيم بن محمد بن صالح بن سنان بن يحيى بن أركون انتهى.

فقول البرهان: لا أعلم له ترجمة، والظاهر هلاكه على كفره فيه قصور ومنع، **(وكتب ﷺ إلى الحٰرث ابن أبي شمر)** بكسر الشين المعجمة، وإسكان الميم، وبالراء **(الغساني)** هلك عام الفتح، قال في النور الظاهر على كفره، **(وكان)** أميرًا **(بدمشق)** من جهة قيصر **(بغوطتها،)** بدل من دمشق بضم الغين المعجمة، وسكون الواو، وطاء مهملة، وتاء تأنيث.

قال الجوهري موضع بالشام كثير الماء والشجر، وهي غوطة دمشق.

وفي القاموس: الغوطة بالضم مدينة دمشق، أو كورتها، لكنه لا يوافق ما ذكر المصنف **(بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحٰرث ابن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله، وصدق)** كذا في نسخ كالعيون، وآمن بواو عطف التفسير، وفي نسخة بالفاء عطف مفصل على مجمل على من اتبع الهدى، فآمن، وصدق بصيغة الماضي، **(فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له،)** فإنك إذا فعلت ذلك **(يبقى لك ملكك،)** فختم الكاتب، **(وأرسله مع شجاع بن وهب)** بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مٰلك بن كثير بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي من السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، واستشهد باليمامة، وكونه الذي أرسله بالكتاب للحٰرث ذكره الواقدي، وابن إسحٰق وابن حزم.

وقال ابن هشام: إنما توجه لجبلة بن الأيهم، وقال أبو عمر لهما معًا، وقيل لهرقل مع دحية، ولم يتمم المصنف القصة، وعند الواقدي، وابن عائذ، قال شجاع: فانتهيت، فوجدته مشغولاً بتهيئة الضيافة لقيصر، وهو جاء من حمص إلى إيلياء حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى، فأقمن على بابه يومين، أو ثلاثة، فقلت لحاجبه اني رسول الله ﷺ إليه، فقال حاجبة: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا، وكذا، وجعل حاجبه، وكان روميا اسمه مرى بكسر الميم مخففًا، كما في الإصابة يسألني عنه ﷺ، وما يدعو إليه، فكنت أحدثه، فيرق حتى يغلبه البكاء، فيقول: إني قرأت في الإنجيل، وأجد صفة هذا النبي بعينه، وكنت أظنه يخرج بالشام، فأراه خرج بأرض القرظ، فأنا أومن به وأصدقه، وأنا أخاف من الحٰرث بن أبي شمر أن يقتلني.

قال شجاع: وكان يكرمني، ويحسن ضيافتي، ويخبرني باليأس من الحٰرث، ويقول هو

وقال صاحب «باعث النفوس»: روي عن أبي هند الداري قال: قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر: تميم بن أوس الداري، وأخوه نعيم، ويزيد بن قيس،

يخاف قيصر، قال فخرج الحرث يومًا، فوضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه، فدفعت إليه الكتاب، فقرأه ثم رمى به، وقال: من ينتزع منى ملكى أنا، سائر إليه، ولو كان باليمن جئته علي بالناس، فلم يزل جالسًا حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره بخبري، فصادف قيصر بإيلياء وعنده دحية، وقد بعثه ﷺ إليه، فلما قرأ قيصر كتاب الحرث، كتب إليه أن لا تسر إليه، وإله عنه، ووافني بإيلياء، قال: ورجع الكتاب، وأنا مقيم، فدعاني، وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك، قلت: غدًا، فأمر لي بمائة، ووصلني مرى بنفقة وكسوة، وقال: اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام، وأخبره بأني متتبع دينه، فقدمت، فأخبرته ﷺ، فقال: باد ملكه، واقرأته من مرى السلام، وأخبرته بما قال، فقال ﷺ: صدق، انتهى.

(وقال صاحب باعث النفوس) إلى زيارة القدس المحروس، وهو ركن الشام، شيخ الإسلام، برهان الدين إبراهيم الفزاري، وذكر المصنف هذه القصة هنا، وإن كان ذكرها في الوفود أنسب، كما فعل غيره دفعا لتوهم انه لا يقطع أحدًا من الأرض شيئًا من قوله في قصة هوذة: لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت، فكأنه قال: فمن سأله شيئًا من النبوة، ونحوها، منعه ومن الملك، أو الأرض أعطاه لقصة الدرايين، ولذا كان الأولى ذكرها قبل الكتاب إلى الحرث، كما هو في بعض النسخ، وفي كثير منها اسقاطها.

(روي) عند أبي نعيم من طريق سعيد بن زياد بفتح الزاء المنقوطة، وشد التحتانية ابن فائد بالفاء ابن زياد، بضبط حفيده ابن أبي هند عن آبائه إلى أبي هند وفائد، وابنه ضعيفان، ولذا مرضه بروى **(عن أبي هند الداري)** من بني الدار بن هانىء بن حبيب، مشهور بكنيته، واختلف في اسمه، فقيل بر بن عبد، ويقال بر بن عبد الله، وقال ابن حبان: الصحيح أن اسمه بر بن برو، وقيل برير، وقيل ابن برسن، قال أبو عمر: كان يقال إنه أخو تميم لأمه، وابن عمه يعد في أهل الشام، ومخرج حديثه عن ولده، كما في الإصابة، **(قال: قدمنا على رسول الله ﷺ)** سنة تسع وقت انصرافه من تبوك، **(ونحن ستة نفر: تميم بن أوس الداري،)** مشهور في الصحابة كان نصرانيًا، فقدم المدينة، فأسلم، وذكر للنبي ﷺ خبر الجساسة، والدجال، فحدث ﷺ عنه بذلك على المنبر، فعد من مناقبه، وهو أول من أسرج السراج في المسجد رواه الطبراني، وأول من قص وذلك في عهد عمر، رواه ابن راهويه، وكان كثير التهجد، **(وأخوه نعيم)** بن أوس، قال أبو عمر: يقال وفد مع أخيه، **(ويزيد بن قيس)** بن خارجة الداري.

وأبو عبد الله بن عبد الله ـ وهو صاحب الحديث ـ وأخوه الطيب بن عبد الله فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وفاكه بن النعمان، فأسلمنا وسألنا رسول الله ﷺ أن يقطعنا أرضًا من أرض الشام، فقال: سلوا حيث شئتم. قال أبو هند فنهضنا من عنده ﷺ إلى موضع نتشاور فيه: أين نسأل.

فقال تميم: أرى أن نسأله بيت المقدس وكورتها، فقال أبو هند: رأيت ملك العجم اليوم، أليس هو بيت المقدس، قال تميم: نعم، فقال أبو هند: فكذلك يكون في ملك العرب، وأخاف أن لا يتم لنا هذا. قال تميم: نسأله بيت جيرون، فقال أبو هند: أكبر وأكبر، فقال تميم: فأين ترى أن ....

ذكره ابن إسحٰق، فيمن أوصى له ﷺ بمائة وسق من تمر خيبر، **(وأبو عبد الله)** الذي في رواية أبي نعيم المذكورة، وأبو هند **(بن عبد الله، وهو صاحب الحديث،)** أي راويه، وعلى فرض صحة نقل المصنف، فيكون له كنيتان، ولم يذكر ذلك في الإصابة، **(وأخوه الطيب بن عبد الله)** الداري، ويقال ابن بر، ويقال ابن البراء أخو أبي هند، كما في الإصابة، **(فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن،)** كما لأبي نعيم ولابن أبي حاتم، والواقدي، فسماه عبد الله، ولعل ذلك للتشاؤم بنفي الطيب، أو كراهة إيهام التزكية لو سئل من أنت، فيقول الطيب، **(وفاكه)** بفاء، فألف، فكاف مكسورة، فهاء أصلية **(ابن النعمان)** بن جبلة بجيم، فموحدة، فلام مفتوحات الداري ممن أوصى له النبي ﷺ، وسماه أبو نعيم في روايته رفاعة بن النعمان، وكذا الواقدي من مرسل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قدم وفد الداريين على رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك، وهم عشرة: هانىء بن حبيب وعروة بن مٰلك بن شداد، وقيس بن مٰلك، وأخوه مرة، وذكر الستة باقي العشرة، قال: فسمى الطيب عبد الله، وسمى عروة عبد الرحمٰن وذكر الرشاطي أن هانئًا أهدى لرسول الله ﷺ قباءً مخوصًا بالذهب، فأعطاه العباس، فباعه من يهودي بثمانية آلاف، **(فأسلمنا، وسألنا رسول الله ﷺ أن يقطعنا أرضًا من أرض الشام، فقال: سلوا)** أرضًا **(حيث،)** أي في، أي مكان **(شئتم)** أقطعها لكم، **(قال أبو هند، فنهضنا)** قمنا **(من عنده ﷺ،)** وذهبنا **(إلى موضع نتشاور فيه أين نسأل، فقال تميم: أرى أن نسأله بيت المقدس، وكورتها)** بضم الكاف ناحيتها، **(فقال أبو هند رأيت ملك العجم اليوم، أليس هو بيت المقدس، قال تميم: نعم، فقال أبو هند: فكذلك يكون فيه ملك العرب وأخاف أن لا يتم لنا هذا،)** فيفوت مرادنا، **(قال تميم: نسأله بيت جيرون)** بفتح الجيم، وإسكان التحتية موضع بدمشق، أو بابها الذي بقرب الجامع عن المطرزي، أو منسوب إلى الملك جيرون، لأنه كان حصنًا له، وباب الحصن باق هائل، قاله في القاموس، **(فقال أبو هند: أكبر، وأكبر)** من بيت المقدس، لأنه محل الملك، **(فقال تميم: فأين ترى أن**

نسأله؟ قال: أرى أن نسأله القرى التي نصنع فيها حصونًا مع ما فيها من آثار إبراهيم عليه السلام، فقال تميم: أصبت ووافقت.

قال: فنهضنا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا تميم أتحب أن تخبرني بما كنتم فيه، أو أخبركم؟ فقال تميم: بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد إيمانًا، فقال عليه الصلاة والسلام: أردت يا تميم أمرًا، وأراد أبو هند غيره، ونعم الرأي رأي أبي هند، فدعا رسول الله ﷺ بقطعة من أدم، وكتب فيها كتابًا نسخته:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ للداريين إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم ....

نسأله، قال: أرى أن نسأله القرى التي نصنع فيها حصونًا مع ما فيها من آثار إبراهيم عليه السلام، فقال تميم: أصبت،) فيما رأيت، **(ووافقت)** ما نطلبه، وفي نسخة وفقت، أي في رأيك، **(قال: فنهضنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا تميم أتحب أن تخبرني بما كنتم فيه)** تتشاورون، **(أو أخبركم، فقال تميم: بل تخبرنا يا رسول الله، فنزداد إيمانًا)** فيه، إن الإيمان يزيد، وينقص، وهو قول الجمهور، **(فقال عليه الصلاة والسلام: أردت يا تميم أمرًا، وأراد أبو هند غيره ونعم الرأي رأي أبي هند، فدعا رسول الله ﷺ بقطعة من أدم)** جلد، **(وكتب فيها كتابًا نسخته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ،)** يحتمل أن الصلاة من جملة الكتاب، أو من الراوي **(للداريين)** بدال مهملة، فألف، فراء، فتحتيتين، فنون نسبة للدار بن هانيء جدهم، **(إذا أعطاه الله الأرض)** عبر بإذا، لأنه متحقق لذلك بوعد الله **(وهب لهم بيت عينون)** بفتح المهملة، فتحتية ساكنة، فنونين، بينهما واو، **(وحبرون)** بفتح الحاء المهملة، بوزن زيتون، كما في القاموس وغيره، ويقال فيه أيضًا: حبرى بكسر أوله، وإسكان ثانيه وفتح الراء على وزن، فعلى كما في معجم الكبرى، وقال غيره: بفتح الحاء، قال: الكبرى وهما بين وادي القرى والشام وليس له ﷺ بالشام قطيعة غيرهما، وفي المراصد حبرون اسم القرية التي بها إبراهيم الخليل قرب بيت المقدس غلب على اسمها الخليل، ويقال حبرى **(والمرطوم.)**

(وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد)، عبر بميم جمع الذكور العقلاء، فلم يقل من فيها تنزيلاً لها منزلة العقلاء تجوزًا، ثم هذا من خصائصه ﷺ، لأن الله ملكه الأرض كلها، وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم فيما أقطعهم، وقال: إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

وبيت إبرٰهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنه وكتب.

قال: ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زواية الرقعة بشيء لا يعرف، وعقد من خارج الرقعة بسير عقدتين، وخرج به إلينا مطويًا وهو يقول: **﴿إن أولى الناس بإبرٰهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾** [آل عمران/ ٦٨] ثم قال: انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت.

قال أبو هند: فانصرفنا، فلما هاجر ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابًا آخر، فكتب لنا كتابًا نسخته.

بسم الله الرحمٰن الرحيم: هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه، إني أنطيتكم بيت عين وحبرون والمرطوم وبيت إبرٰهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد.........

ذكره المصنف في الخصائص تبعًا لغيره (**شهد عباس بن عبد المطلب**) أبو الفضل الهاشمي، (**وخزيمة ابن قيس**) (**وشرحبيل**) بضم المعجمة، وفتح الراء، وسكون المهملة (**ابن حسنة**) هي أمه وأبوه عبد الله بن المطاع الكندي، كما تقدم كثيرًا، (**وكتب**) الكتاب شرحبيل، (**قال**) أبو هند راوي الحديث، (**ثم دخل**) ﷺ (**بالكتاب إلى منزله، فعالج في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف، وعقد من خارج الرقعة بسير عقدتين، وخرج به إلينا مطويًا، وهو يقول:** **﴿إن أولى الناس﴾** أحقهم (**بإبرٰهيم للذين اتبعوه﴾**) في زمانه، (**﴿وهذا النبي﴾**) محمد ﷺ لموافقته له في أكثر شرعه، (**﴿والذين آمنوا﴾**) من أمته فهم الذين ينبغي لهم أن يقولوا نحن على دينه، (**﴿والله ولي المؤمنين﴾**) ناصرهم وحافظهم، وحكمة تلاوتها في ذا المقام لا تخفى، لأنه لما كانت المحلات من آثاره، فلا أولى بها من هذا النبي، والذين آمنوا فإذا خص النبي بها بعضهم كانت له، (**ثم قال: انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت،**) أي رجعت إلى المدينة، سماه هجرة مجازًا، لأن قدومهم كان عند انصرافه من تبوك، كما مر فائتوني، (**قال أبو هند: فانصرفنا، فلما هاجر ﷺ**) رجع (**إلى المدينة قدمنا عليه، وسألناه أن يجدد لنا كتابًا آخر، فكتب لنا كتابًا نسخته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما أنطى**) بالنون، أي أعطى، وقرأ إنا أنطيناك الكوثر بالنون، (**محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه، إني أنطيتكم بيت عين**) إسم للقرية المسماة عينون، كما قال النجم: فهما اسمان لمحل واحد، (**وحبرون، والمرطوم، وبيت إبرٰهيم برمتهم، وجميع ما فيهم نطية،**) عطية (**بت ونفذت**) النطية (**وسلمت**) أنا (**ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد**

الأبد، فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمٰن بن عفان وعلى بن أبي طالب، ومعٰوية بن أبي سفيٰن، وكتب علي:

فلما قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وجند الجنود إلى الشام كتب كتابًا نسخته: بسم الله الرحمٰن الرحيم. من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إلٰه إلا هو. أما بعد: فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين، وإن كان أهلها قد جعلوا عنها وأراد الداريون يزرعونها فليزرعوها بلا خراج وإذا رجع إليها أهلها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك. نقل من كتاب إسعاف الأخصا بتفضيل المسجد الأقصى.

وكتب ﷺ ليوحنة بن رؤبة صاحب أيلة لما أتاه بتبوك، وصالح

الأبد، فمن آذاهم فيه آذاه اللّه،) لمخالفته أمر رسوله، **(شهد أبو بكر بن أبي قحافة)** عبد اللّه بن عثمٰن، **(وعمر بن الخطاب، وعثمٰن بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعٰوية بن أبي سفيٰن، وكتب علي،)** وفي رواية معٰوية وأخرى غيرهما، **(فلما قبض رسول اللّه ﷺ، واستخلف أبو بكر، وجند الجنود إلى الشام كتب كتابًا نسخته: بسم اللّه الرحمٰن الرحيم، من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة)** عامر **(بن الجراح، سلام عليك فإني أحمد اللّه إليك،)** أنهى إليك حمد اللّه **(الذي لا إلٰه إلاّ هو، أما بعد، فامنع من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين،)** أضافها إليهم، لأنها بمجرد الفتح صارت ملكًا لهم بعطيته ﷺ، **(وإن كان أهلها قد جعلوا،)** أخرجوا **(عنها، وأراد الداريون يزرعونها، فليزرعوها بلا خراج، وإذا رجع إليها أهلها، فهي لهم، و)** هم بها **(أحق، والسلام عليك نقل من كتاب إسعاف الاخصا بتفضيل المسجد الأقصى)** مؤلفه، **(وكتب ﷺ ليوحنة)** بضم التحتية، وفتح المهملة، وفتح النون الثقيلة، ثم تاء تأنيث، ويقال فيه يوحنا، وهو كذلك في نسخة **(ابن رؤبة)** بضم الراء، فهمزة ساكنة، فموحدة النصراني.

قال البرهان: لا أعرف له ترجمة، والظاهر هلاكه على دينه **(صاحب أيلة)** بفتح الهمزة، وإسكان التحتية مدينة بالشام على النصف ما بين مصر ومكة على ساحل البحر من بلاد الشام، قاله أبو عبيدة، ويقال سميت أيلة باسم بنت مدين بن إبرٰهيم، وروى أنها القرية التي كانت حاضرة البحر، **(لما أتاه بتبوك)** حين خاف أن يبعث إليه، كما بعث إلى أكيدر **(وصالح**

رسول الله ﷺ فأعطاه الجزية:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن وأهل أيلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثًا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه، ولا طريقًا يريدونه من بر أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل ابن حسنة بإذن رسول الله ﷺ.

رسول الله ﷺ) وأهدى إليه بغلة بيضاء، فكساه المصطفى بردًا، كما في الصحيح، (**فأعطاه الجزية**) أي التزمها وانقاد لإعطائها عنه وعن أهل مدينته، وكانوا ثلاثمائة رجل، فوضع ﷺ الجزية ثلاثمائة دينار كل سنة، كما ذكر ابن سعد وغيره، ولفظ الكتاب، كما عند ابن إسحٰق وغيره (**بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذه أمنة**) بفتح الهمزة والميم والنون وتاء تأنيث أمان (**من الله ومحمد النبي رسول الله**) وذكر الله تبركًا.

والمعنى أمان لكم من رسول الله بوحي من الله (**ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة أساقفتهم**) بالجر بدل (**وسائرهم**) أي باقيهم إذ الاساقفة بعض منهم، لكن لفظ ابن إسحٰق، وتبعه اليعمري سفنهم وسيارتهم، أي قافلتهم (**في البر والبحر**) يعني أن الأمان عام لهم في جميع الأماكن التي يكونون بها، (**لهم ذمة الله**) أمانه، (**وذمة النبي**) لفظ ابن إسحٰق أيضًا، ومحمد النبي (**ومن كان معه**) عطف على يوحنا، أي أمنة له ولمن كان معه (**من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر**).

وحاصله أن في أيلة أهلها الأصليين، وجماعة من هذه البلاد توطنوها، فعم الجميع بالأمنة، (**فمن أحدث**) جدد (**منهم حدثًا**) أمرًا لم يكن في شريعتنا، (**فإنه**) انتقض عهده، فلذا (**لا يحول ماله دون نفسه**) بل يحل ماله ونفسه جميعًا بدليل قوله: (**وإنه طيب**) حلال (**لمن أخذه من الناس**) لنقض العهد، فصار حربيًا، (**وإنه**) أي الشأن (**لا يحل أن يمنعوا**) بالبناء للمفعول، ونائبه الضمير العائد لأهل أيلة ومن معهم (**ماء**) بالنصب والتنوين مفعول ثان (**يريدونه ولا طريقًا يريدونه**) يقصدونه فيهما، لكن لفظ ابن إسحٰق وتابعه يردونه فيهما من الورود (**من بر، أو بحر،**) زاد الواقدي كابن إسحٰق في رواية غير زياد تعيين اسم الكاتب، فقال: (**هذا كتاب جهيم**) بضم الجيم مصغر (**ابن الصلت**) بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف المطلبي.

قال ابن سعد: أسلم عام خيبر وأطعمه ﷺ منها ثلاثين وسقًا، (**وشرحبيل**) بضم المعجمة، وفتح الراء، وسكون المهملة، وكسر الموحدة غير مصروف للعجمة والعلمية (**ابن حسنة بإذن رسول الله ﷺ**) لهما في كتابة كل بعض الكتاب، ولعل حكمته أن تعدد الكاتب بمنزلة تعدد

وكتب ﷺ لأهل جربا وأذرح لما أتوه بتبوك أيضًا وأعطوه الجزية:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح وجربا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد. وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، ....

الشاهد، أو أن كلا كتب نسخة، أو كتبه أحدهما بحضور الآخر، فنسب إليهما، ثم هذا الكتاب بهذا اللفظ أورده ابن إسحٰق، وتابعه اليعمري في غزوة تبوك، كما علم، وكذا ذكره ابن سعد عن الواقدي، وذكره ابن سعد أيضًا أنه ﷺ كتب إلى يحنة رؤبة، وسروات أهل أيلة سلم أنتم، فإني أحمد إليكم اللّٰه الذي لا إلٰه إلاَّ هو، وإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم، فأسلم، أو أعط الجزية، وأطع اللّٰه ورسوله ورسل رسوله، وأكرمهم، وأكسهم كسوة حسنة، فمهما رضيت رسلي، فإني قد رضيت، وقد علم الجزية، فإن أردتم أن يأمن البحر والبر، فأطع اللّٰه ورسوله، ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلاَّ حق اللّٰه وحق رسوله، وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منك شيئًا حتى أقاتلكم، فأسبى الصغير، وأقتل الكبير، وإني رسول اللّٰه بالحق، أومن باللّٰه وكتبه ورسله، والمسيح ابن مريم أنه كلمة اللّٰه، وإني أؤمن به إنه رسول اللّٰه، وائت قبل أن يمسكم الشرفاني قد أوصيت رسلي بكم، وأعط حرملة ثلاثة أوسق من شعير، وإن حرملة شفع لكم، وإني لولا اللّٰه وذلك لم أراسلكم شيئًا حتى ترى الجيش، وإنكم إن أطعتم رسلي، فإن اللّٰه لكم جار ومحمد ومن كان معه، ورسلي شرحبيل وأبو حرملة وحريث بن زيد الطائي، فإنهم مهما فاضوك عليه فقد رضيته، وإن لكم ذمة اللّٰه وذمة محمد رسول اللّٰه، والسلام عليكم إن أطعتم، ولعل هذا الكتاب، كما ترى أرسل ليحنة قبل إتيانه إليه، فلم يقنع بضرب الرسل الجزية حتى أتى هو للمصطفى، وأهدى له وصالحه، فكتب له الكتاب المذكور أولاً فلا منافاة بينهما.

وروى البخاري عن أبي حميد الساعدي: قدم ملك أيلة على رسول اللّٰه ﷺ، فأهدى إليه بغلة بيضاء، فكساه ﷺ بردًا وكتب له بجرهم، **(وكتب ﷺ لأهل جربا)** بالجيم، قال في المطالع مقصورة من بلد الشام، وجاءت في البخاري ممدودة اهـ، وكذا ذكرها القاموس ممدودة، **(وأذرح)** بفتح الهمزة وسكون المعجمة وضم الراء وحاء مهملة بلد بالشام، قيل هي فلسطين بينها وبين جربا ثلاثة أميال بميم وغلط من قال أيام **(لما أتوه بتبوك أيضًا وأعطوه الجزية)**.

قال الواقدي: أتوه مع صاحب أيلة بجزيتهم، فأخذها فكأنهم عجلوها، فلا يقدر هنا، أي التزموها، وصورته كما ذكر الواقدي **(بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول اللّٰه،)** وفي لفظ هذا كتاب محمد النبي **(لأهل أذرح وجربا؛ أنهم آمنون بأمان اللّٰه وأمان**

والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين في المخافة والتعزيز.

وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله ﷺ مرَّ بأم ضميرة وهي تبكي، فقال ما يبكيك؟ أجائعة أم عارية أنت؟ فقالت: يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله ﷺ: لا يفرق بين الوالدة وولدها، ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه من ببكر قال ابن أبي ذؤيب ثم أقرأني كتابًا عنده: بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، أن ....

محمد، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة) لا يؤخذ منه، إن رجال البلدين مائة بالقياس على رجال أيلة، لأن هذه جزية صلحية، وللصلحى ما شرط، وأما العنوية فأربعة دنانير على كل رجل كما تقرر، **(والله كفيل عليهم،)** أي أخذ عليهم العهد، أي آمرهم **(بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين في المخافة والتعزيز)** إذا خشوا على المسلمين، فهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد ﷺ شيئًا من قتل، أو خروج هذا بقية الكتاب عند الواقدي، كما ذكره الشامي في تبوك.

(و) روى البخاري في تاريخه، والحسن ابن سفيٰن، وابن منده من طريق ابن أبي ذئب، **(عن حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن أبيه، عن جده ضميرة)** بالتصغير ابن أبي ضميرة الضميري الليثي، قاله ابن حبان، وقيل إنه ضمير بن سعد الحميري **(أن رسول الله ﷺ مر بأم ضميرة،)** صحابية ذكرها في الإصابة في الكنى ولم يسمها، **(وهي تبكي، فقال: ما يبكيك أجائعة أنت أم عارية أنت)** فأطعمك وأكسوك؟ **(فقالت: يا رسول الله فرق بيني وبين ابني،)** وكانوا أهل بيت من العرب مما أفاء الله على رسوله، كما رواه ابن منده في القصة، **(فقال: رسول الله ﷺ لا يفرق بين الوالدة وولدها، ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة، فدعاه، فابتاعه)** اشتراه **(منه ببكر،)** وأعطاه لأمه، **(قال ابن أبي ذؤيب)** محمد بن عبد الرحمٰن بن المغيرة القرشي، العامري، الثقة، الفقيه، الحافظ، أحد الأعلام راوي هذا الحديث: زعم ابن صاعد أنه تفرد به عن حسين، ورد بأن ابن منده ذكر أن زيد بن الحباب تابعه فرواه عن حسين، وكذا رواه إسمٰعيل بن أبي أويس أخبرني حسين، **(ثم أقرأني)** حسين **(كتابًا عنده)** صورته **(بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة)** الحميري، الصحابي، قيل اسمه سعد، وقيل روج ذكره البغوي، وابن منده، وابن سعد في الكنى، ووصفوه بأنه مولى رسول الله ﷺ، قال مصعب: وكان له دار بالعقيق، وقال ابن الكلبي: هو غير أبي ضميرة مولى علي، كما في الإصابة **(وأهل بيته أن**

رسول الله أعتقهم وأنهم أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلا بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرًا. وكتب أبي بن كعب.

وكتب ﷺ كتابًا إلى أهل وج، سيأتي في وفد ثقيف في الفصل العاشر من هذا المقصد إن شاء الله تعالى.

وكذا كتابه عليه الصلاة والسلام إلى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة.

وكتب ﷺ لأكيدر ولأهل دومة الجندل لما صالحه:

رسول اللّه أعتقهم، وأنهم أهل بيت من العرب) مما أفاء اللّه على رسوله **(إن أحبوا أقاموا عند رسول اللّه)** ﷺ، **(وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلاّ بحق، ومن لقيهم من المسلمين، فليستوص بهم خيرًا، وكتب)** الكتاب **(أبي بن كعب،)** وفي رواية، فاختار أبو ضميرة اللّه ورسوله، ودخل في الإسلام، وقال ابن سعد والبلاذري: وفد حسين بن عبد اللّه بن ضميرة علي المهدي بهذا الكتاب، فوضعه على عينيه، وأعطاه ثلاثمائة دينار، وكان خرج في سفر ومعه قومه، ومعهم هذا الكتاب، فعرض لهم اللصوص، فأخذوا ما معهم، فأخرجوا الكتاب وأعلموهم بما فيه، فقرأوه عليهم، فردوا عليهم ما أخذوا منهم ولم يعترضوا لهم، **(وكتب ﷺ كتابًا إلى أهل وج)** بفتح الواو وشد الجيم واد بالطائف، **(سيأتي في وفد ثقيف في الفصل العاشر من هذا المقصد إن شاء اللّه تعالى، وكذا)** يأتي **(كتابه عليه الصلاة والسلام إلى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة،)** فأخرهما، لأنهما مرتبان على الوفود بخلاف ما هنا، فإنه كتب لمن لم يفد ولا يرد أن منهم من قدم عليه أيضًا، لأن القدوم والوفد إنما هما لمن قدم مسلمًا، وهؤلاء قدموا لإعطاء الجزية، وأبو ضميرة، وأهل بيته كانوا أسرى، فأعتقهم وكتب لهم الكتاب، فهذا موضعه، **(وكتب ﷺ إلى أكيدر)** بضم الهمزة، وفتح الكاف، وسكون التحتية، وفتح المهملة، وبالراء لا يصرف للعلمية ووزن الفعل ابن عبد الملك النصراني المختلف في إسلامه، والأكثر على أنه قتل كافرًا، كما في الإصابة، **(ولأهل دومة)** بضم الدال، وفتحها، وسكون الواو، فيهما **(الجندل)** بفتح الجيم والمهملة، بينهما نون ساكنة حصن وقرى من طرف الشام **(لما صالحه)** حين أرسل إليه، وهو بتبوك سرية عليها خالد بن الوليد، فأسره وجاء به، فصالحه على الجزية، وخلى سبيله.

قال أبو السعادات بن الأثير: ومن الناس من يقول أنه أسلم وليس بصحيح، وممن وقع في كلامه ذلك الواقدي، قال في المغازي: حدثني شيخ من دومة أن رسول اللّه ﷺ كتب لأكيدر

بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر ولأهل دومة الجندل، إن لنا الضاحية من الضحل، والبور والمعامي وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمور، لا تعدل سارحتكم، ولا تعدُّ فاردتكم، ولا يحظر عليكم النبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك حق الله والميثاق، ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين.

هذا الكتاب: (**بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول اللّٰه لأكيدر، ولأهل دومة الجندل**) حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف اللّٰه في دومة الجندل وأكنافها.

هكذا أسقطه المصنف من لفظ الكتاب عند الواقدي قبل قوله (**إن لنا الضاحية من الضحل،**) بفتح المعجمة، وسكون المهملة، وباللام (**والبور والمعامي**) بمهملة، فألف فميم، (**وأغفال الأرض**) بغين معجمة، ففاء (**والحلقة**) بسكون اللام الدروع (**والسلاح**) ما يمتنع به من العدو، (**والحافر**) الخيل والبغال ونحوهما، (**والحصن، ولكن الضامنة من النخل والمعين من المعمور ولا تعدل سارحتكم**).

قال الواقدي: أي لا تنحي عن الرعي، وقال في الروض: أي لا تحشر إلى المصدق، (**ولا تعد، فاردتكم**) بالفاء، وهي ما لا تجب فيه الصدقة، (**ولا يحظر**) بالظاء المعجمة (**عليكم النبات**).

قال السهيلي: أي لا تمنعون من الرعي حيث شئتم، قال ابن حديدة: والنبات النخل القديم الذي ضرب عروقه في الأرض، ونبت اهـ.

وفي نسخة لا تحصر بصاد مهملة عليكم البيات بموحدة وتحتيه، أي لا يضيق عليكم في البيات بأرض تزرعون بها (**تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك حق اللّٰه والميثاق، ولكم به**) منا (**الصدق والوفاء**) على ما عاهدناكم، (**شهد اللّٰه ومن حضر من المسلمين**) بذلك.

هكذا ذكر هذا الكتاب الواقدي، ونقله السهيلي في الروض عن أبي عبيد، قال: أتاني به شيخ، فقرأته فإذا فيه، فذكره وهو صريح في إسلامه، وبهذا وبنحوه اغتر ابن منده وأبو نعيم، فذكراه في الصحابة، وشنع عليهما أبو الحسن بن الأثير، فقال: إنما أهدى إلى النبي ﷺ وصالحه ولم يسلم، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السير، ومن قال أنه أسلم فقد أخطأ خطأً ظاهرًا، بل كان نصرانيًا، وقتله خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر كافرًا، كما ذكره البلاذري، قال في الإصابة: يظهر أن أكيدر صالح على الجزية، كما قال ابن إسحٰق: ويحتمل أن يكون

والضاحي: البارز الظاهر.

والضحل: الماء القليل.

والبور: الأرض التي تستخرج.

والمعامي: أغفال الأرض.

والحصن: دومة الجندل.

والضامنة: النخل الذي معهم في الحصن.

والمعين: الظاهر من الماء الدائم.

وباع ﷺ للعداء عبدًا وكتب: بسم الله ....

أسلم بعد ذلك، كما قال الواقدي، ثم ارتد بعد النبي ﷺ مع من ارتد، كما قال البلاذري ومات على ذلك، (**والضاحي البارز الظاهر**) من الأرض، وفي الروض الضاحية أطراف الأرض، (**والضحل الماء القليل، والبور الأرض التي تستخرج**،) أي يؤخذ خراجها، (**والمعامي أغفال الأرض**،) فعطفه عليه قوله وأغفال الأرض تفسيري، لكن في الروض المعامي مجهولها، أي الأرض وأغفال الأرض ما لا أثر لهم فيه من عمارة، أو نحوها، وهو يقتضي تغايرهما إلاَّ أن يقال أنه بحسب المفهوم وما صدقهما واحد بأن يراد المجهول ما لا أثر فيه.

وفي القاموس: الأعماء الجهال جمع أعمى، وأغفال الأرض التي لا عمارة بها كالمعامي، (**والحصن دومة الجندل**،) يقال عرفت بدومة بن إسمٰعيل كان نزلها، (**والضامنة**،) بضاد معجمة (**النخل الذي معهم في الحصن والمعين الظاهر من الماء الدائم**،) قال في الروض: قال أبو عبيد: وإنما أخذ منهم بعض هذين الأرضين مع الحلقة والسلاح، ولم يفعل ذلك مع أهل الطائف حين جاؤوا تائبين، لأن هؤلاء ظهر عليهم وأخذ ملكهم أسيرًا، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما تضمنه الكتاب، لأنه لم يقاتلهم حتى يأخذهم عنوة، كما أخذ خيبر، فلو كان الأمر كذلك لكانت أموالهم كلها للمسلمين، وكان لهم الخيار في رقابهم، كما تقدم، ولو جاؤوا إليه، تائبين أيضًا قبل الخروج إليهم كما فعلت ثقيف ما أخذ من أموالهم شيئًا اهـ، (**وباع ﷺ للعداء**).

قال في التقريب: بفتح المهملة والتشديد وآخره همزة، وقال في الإصابة: العداء بوزن العطاء ابن خالد بن هوذة بن خالد بن عمرو بن عامر بن صعصعة العامري، أسلم بعد حنين مع أبيه وأخيه حرملة، وذكره ابن الكلبي هو ووالده في المؤلفة وعمر، فإن أحمد ذكر أنه عاش إلى زمن خروج يزيد بن المهلب، وكان ذلك سنة إحدى، أو اثنتين ومائة اهـ (**عبدًا، وكتب بسم الله**

الرحمٰن الرحيم، هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله، اشترى عبدًا أو أمة ـ شك الراوي ـ لا داء ولا غائلة ولا خبثة، بيع المسلم للمسلم. رواه أبو داود والدارقطني.

والغائلة: الإباق والسرقة والزنا.

والخبثة: قال ابن أبي عروبة: بيع غير أهل المسلمين.

وكان إسلام العداء وبعد فتح خيبر، وهذا يدل على مشروعية الإشهاد في المعاملات قال الله تعالى: ﴿**وأشهدوا إذا تبايعتم**﴾ [البقرة/ ٢٨٢] والأمر هنا ليس للوجوب. فقد باع عليه الصلاة والسلام ولم يشهد، واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد، ولو كان الإشهاد أمرًا واجبًا لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله أعلم.

الرحمٰن الرحيم، هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة،) بفتح الهاء، وسكون الواو، وذال معجمة، **(من محمد رسول الله، اشترى عبدًا أو أمة، شك الراوي لا داء)** به، **(ولا غائلة)** فيه، **(ولا خبثة)** بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة ومثلثة، **(بيع المسلم للمسلم، رواه أبو داود والدارقطني)**.

(والغائلة) بغين معجمة **(الإباق والسرقة والزنا والخبثة، قال ابن أبي عروبة)** سعيد بن مهران اليشكري، مولاهم البصري، الثقة الحافظ، صاحب التصانيف من رجال الجميع **(بيع غير أهل المسلمين)**.

وفي القاموس: الخبثة بالكسر في الرقيق أن لا يكون طيبة، أي سبى من قوم لا يحل سبيهم ولا استرقاقهم اهـ، وهذا مما شمله تفسير سعيد **(وكان إسلام العداء بعد فتح خيبر،)** لعله مكة، ليوافق قول الإصابة بعد حنين، وكان من المؤلفة، أو لفظة فتح مقحمة، والأصل بعد حنين وخيبر تصحيف، **(وهذا يدل على مشروعية الإشهاد في المعاملات)**.

(قال الله تعالى: ﴿وأشهدوا إذ تبايعتم﴾، والأمر هنا ليس للوجوب)، كما قال به طائفة، بل للندب عند الجمهور، لأنه أدفع للخلاف، **(فقد باع عليه الصلاة والسلام ولم يشهد،)** فدل على أنه للندب، **(واشترى، و)** تسلف، و **(رهن درعه عند يهودي ولم يشهد، ولو كان الإشهاد أمرًا واجبًا)** ما تركه، و **(لوجب مع الرهن خوف المنازعة، والله أعلم)** بالحق، وترك المصنف هنا من الكتب كتابه إلى بني نهد بالنون، وكتابه بين قريش والأنصار، وكتابه لأهل همدان، وكتابه لقطن بن حارثة، وكتابه لوائل بن حجر، لأنه سيذكرها في فصاحة

وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام:

فمنهم: باذان بن ساسان من ولد بهرام، أمره ﷺ على اليمن، وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأوّل من أسلم من ملوك العجم.

وأمر ﷺ على صنعاء خالد بن سعيد. وولى زياد بن لبيد الأنصاري حضرموت. ....

لسانه ﷺ من المقصد الثالث لما فيها من مزيد الفصاحة، **(وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام)** أخرهم عن الكتاب مع قوله أول الفصل في أمرائه، ورسله وكتابه، لإحتمال أن ولايتهم كانت بعد المكاتبات، فقدمهم في الترجمة لشرف الولاية، لا لشرفهم، فالكتاب أشرف منهم، لأن فيهم الخلفاء، وأخرهم في الذكر نظر الزمن الولاية، **(فمنهم باذان)** بفتح الموحدة، والذال المعجمة بعدها ألف وآخره نون، ويقال ميم **(ابن ساسان من ولد بهرام)** بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر، أحد الملوك الساسانية من الفرس، وأسلم باذان لما هلك كسرى، وكان نائبه على اليمن، وأرسل بإسلامه إلى النبي ﷺ فـ **(أمره ﷺ على اليمن)** وفاء بقوله ﷺ لرسوليه اللذين بعثهما للمصطفى، بأمر كسرى ليأتياه به، فأخبرهما أن اللّٰه قتله، قالا: فنكتب بذلك عنك إلى باذان، قال: نعم وقولا له إن أسلمت أقرك على ملكك، فأسلم لما شاهد الآية الباهرة من الأخبار بالغيب في الساعة التي عينها من الليلة، كما تقدم، **(وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأوّل من أسلم من ملوك العجم،)** كما قاله الثعلبي، ثم مات فاستعمل ابنه شهر بن باذان على بعض عمله.

ذكره الواقدي، وابن إسحٰق، والطبري، وعند الفاكهي من مرسل الشعبي أن باذان خرج إلى النبي ﷺ، فلحقه العنسي الكذاب فقتله.

قاله في الإصابة في القسم الثالث فيمن أدرك النبي ولم يره، وقال في ترجمة شهر استعمله ﷺ على صنعاء بعد موت أبيه، روى ذلك سيف بسنده، وقال الطبري: لما غلب الأسود الكذاب على صنعاء، وقتل شهر بن باذان تزوَّج زوجته، فكانت هي التي أعانت على قتل الأسود بغضًا له، **(وأمر ﷺ على صنعاء)** وأعمالها بعد قتل شهر **(خالد بن سعيد)** بن العاصي القرشي، **(وولى)** لم يقل أمر تفننا لترادفهما لغة **(زياد بن لبيد،)** بفتح اللام ابن ثعلبة بن سنان بن عامر **(الأنصاري)** البياضي، شهد العقبة وبدرًا **(حضرموت،)** كما ذكره الواقدي وغيره، قال في المراصد: بالفتح، ثم السكون وفتح الراء والميم إسمان مركبان ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر حولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وقيل هو مخلاف باليمن، وفي القاموس قد

وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن. وولى معاذ بن جبل الجند. وولى أبا سفيٰن بن حرب نجران. وولى ابنه يزيد تيماء.

وولى عتّاب ـ فتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ـ ابن أسيد ـ بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ـ مكة، وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان.

تضم الميم، **(وولى أبا موسى الأشعري)** عبد الله بن قيس **(زبيد،)** بفتح الزاي، وكسر الموحدة، وسكون التحتية، ودال مهملة مدينة باليمن **(وعدن)** بفتحتين مدينة أيضًا باليمن، **(وولى معاذ بن جبل،)** الخزرجي، البدري، أعلم الأمة بالحلال والحرام **(الجند،)** بفتح الجيم والنون، فدال مهملة مدينة باليمن.

قال في المراصد: واليمن ثلاث ولايات الجند ومخاليفها، وصنعاء ومخاليفها، وحضرموت ومخاليفها، **(وولى أبا سفيٰن بن حرب نجران،)** بفتح النون، وسكون الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر، سمي بنجران بن زيد بن سبأ، كما في القاموس، قال في الإصابة: يقال إن النبي ﷺ استعمله على نجران، ولا يثبت، قال الواقدي: أصحابنا ينكرون ذلك ويقولون: كان أبو سفيٰن بمكة وقت وفاة النبي ﷺ: وكان عاملها، أي نجران حينئذٍ عمرو بن حزم انتهى.

(وولى ابنه يزيد تيماء،) بفتح الفوقية، وسكون التحتية، والمد بلد في بادية تبوك على نحو سبع أو ثمان مراحل من المدينة، قال بعضهم: هي فعلاء من التيم، وهو العبد، ومنه تيم الله، أي عبده وقد تيمه الحب، أي استعبده، فكان هذه الأرض، قيل لها تيماء، لأنها مذللة معبدة، **(وولى عتاب بفتح المهملة، وتشديد المثناة الفوقية ابن أسيد بفتح الهمزة، وكسر السين المهملة،)** وبعد الألف موحدة ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم يوم الفتح، وكان صالحًا فاضلاً **(مكة)** حين سار إلى حنين، وقيل بعد أن رجع من الطائف حكاهما الواقدي، **(وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان)** التي هي سنة الفتح، فهو أوّل أمراء الحج، كما جزم به الماوردي، وابن كثير والمحب الطبري وغيرهم.

وأما قول الأزرقي: لم يبلغنا أنه استعمل في تلك السنة على الحج أحدًا، وإنما ولى عتابًا امرة مكة، وحج المسلمون والمشركون جميعًا، فكان المسلمون مع عتاب، لكونه الأمير، فهو إنما نفى أنه بلغه، ولم يطلق النفي، قال في الإصابة: وأقره أبو بكر على مكة إلى أن مات يوم مات الصديق، ذكره الواقدي وغيره، لكن ذكره الطبري في عمال عمر إلى سنة اثنتين وعشرين، فهذا يشعر بأنه مات في أواخر خلافة عمر، وروى الطيالسي والبخاري في تاريخه عن عمرو بن أبي عقرب: سمعت عتاب بن أسيد، وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول: ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله ﷺ إلاّ ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان وإسناده حسن،

وولى علي بن أبي طالب القضاء باليمن.

وولى عمرو بن العاص عمان وأهلها.

وولى أبا بكر الصديق إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره عليًا، فقرأ على الناس براءة، فقيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج، ....

ومقتضاه انه عاش بعد أبي بكر.

وروى المحاملي، عن أنس أنه ﷺ استعمل عتابًا على مكة، وكان شديدًا على المنافقين لينًا على المؤمنين، وكان يقول: واللّه لا أعلم متخلفًا عن الصلاة في جماعة إلاَّ ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عنها إلاَّ منافق، فقال أهل مكة: يا رسول اللّه استعملت على أهل اللّه إعرابيًا جافيًا، فقال: إني رأيت فيما يرى النائم؛ أنه أتى باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب، فقعقعها حتى فتح له، ودخل رجاله ثقات إلاَّ محمد بن إسمعيل بن حذافة السهمي، ضعفوه في عير الموطا، **(وولى علي بن أبي طالب القضاء باليمن،)** كما رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عنه: بعثني رسول اللّه ﷺ على اليمن قاضيًا، وأنا حديث السن، قلت: يا رسول اللّه تبعثني، وأنا شاب أقضي، ولا أدري ما القضاء، فضرب بيده في صدري، فقال: اللهم إهد قلبه، وثبت لسانه، وقال: إن اللّه سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين، وجمع بين هذا ونحوه، وبين قول ابن عمر ما اتخذ ﷺ قاضيًا، ولا أبو بكر، ولا عمر حتى كان في آخر زمانه، قال ليزيد: ابن أخت نمير إكفني بعض الأمور رواه أبو يعلى برجال الصحيح.

وقال السائب بن يزد: أن النبي ﷺ وأبا بكر لم يتخذا قاضيًا، وأوّل من استقضى عمر، قال ردعني الناس في الدرهم والدرهمين، رواه الطبراني بسند جيد، بأنه ﷺ لم يستقض شخصًا معينًا للقضاء بين الناس دائمًا، وإنما استقضى جماعة في أشياء، خاصة كقول معقل بن يسار أمرني ﷺ أن أقضي بين قوم، فقلت ما أحسن أن أقضي، قال: إن اللّه مع القاضي ما لم يحف عمدًا، وجاءه ﷺ خصمان، فقال لعمر: اقض بينهما، رواهما أحمد والحاكم، وكذا قال لعقبة في خصمين جاآه: اقض بينهما، رواه أحمد وغيره، **(وولى عمرو بن العاصي عمان،)** كغراب **(وأهلها، وولى أبا بكر الصديق إقامة الحج سنة تسع)** في ذي الحجة على المعتمد، وقال مجاهد وعكرمة بن خالد في ذي القعدة، **(وبعث في أثره عليًا، فقرأ على الناس براءة)**.

قال الحافظ: فيه تجوز، لأنه أمره أن يؤذن ببضع وثلاثين آية، منتهاها ولو كره المشركون، كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب وعنده عن علي بأربعين آية من أول براءة، **(فقيل)** في حكمة إرساله وكونه لم يأمر الصديق بقراءتها مع أنه الأمير، **(لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج،)** كما رواه ابن إسحٰق من مرسل أبي جعفر الباقر، لما نزلت براءة، وكان قد بعث

وقيل أردفه به عونًا له ومساعدًا، ولهذا لما قال له الصديق: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور، وأما الرافضة فقالوا: بل عزله، وهذا لا يبعد من بهتهم وافترائهم.

وقد ولى ﷺ على الصدقات جماعة كثيرة.

[رسله ﷺ]

وأما رسله ﷺ، فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث ستة نفر في يوم واحد، في المحرم سنة سبع. وذكر القاضي عياض في الشفاء مما عزاه للواقدي: أنه أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

الصديق ليقيم للناس الحج، قيل يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، قال: «لا يؤدي عني إلاّ رجل من أهل بيتي»، دعا عليًا، فقال: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر الحديث، لكن روى أحمد والترمذي، وحسنه عن أنس أن النبي ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر، فلما بلغ الحليفة قال: لا يبلغها إلاّ أنا، أو رجل من أهل بيتي، فبعث بها مع علي.

رواه أحمد والطبري من حديث علي بنحوه، وفيه إن أبا بكر رجع، وقال نزل في شيء يا رسول الله؟ قال: لا أنت صاحبي في الغار، وصاحبي على الحوض، ولكن جبريل، قال لي لا يؤدي عنك إلاّ أنت، أو رجل منك، ولم يتعرض الحافظ لجمع، ولا ترجيح، كأنه لظهور الترجيح، لأن رواية نزولها بعد خروج أبي بكر مرسلة، ورواية نزولها قبل خروجه مسندة وإسنادها حسن، **(وقيل اردفه به عونًا له ومساعدًا)** عطف تفسير، **(ولهذا لما، قال له الصديق)** أنت **(أمير أو مأمور)** بالمساعدة لي، فتكون تحت أمري، **(قال: بل مأمور وإما الرافضة، فقالوا: بل عزله، وهذا لا يبعد من بهتهم)** تقول **(وافترائهم)** كذبهم على المصطفى، فيما يوافق أغراضهم، **(وقد ولى ﷺ على)** جمع **(الصدقات)** الزكوات والقيام بأمرها **(جماعة كثيرة)** سيذكر بعضهم قريبًا.

قال ابن القيم: لأنه كان على كل قبيلة وال يقبض صدقاتها، فمن هنا كثر عمال الصدقات، **(وأما رسله ﷺ، فقد روى)** عن ابن سعد؛ **(أنه عليه الصلاة والسلام،)** لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتبًا، و **(بعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع،)** فأفادت هذه الرواية بما زدته منها أن العزم على الإرسال، والكتب في ذي الحجة، وتأخر البعث إلى أول المحرم، فخرجوا في يوم واحد، وهي رواية واحدة فلا ينافي بعضها بعضًا، كما هو ظاهر.

(وذكر القاضي عياض في الشفاء، مما عزاه للواقدي أنه أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم،) من غير مضي زمان يمكن فيه التعلم، معجزة له ﷺ حتى

وكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي ملك الحبشة، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرءان، فأخذه النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته. ....

يفهموا ما يقال، ولا ينافي هذا دعاء بعض الملوك الترجمان، لأنه من تعاظم العجم، وما ذكره الواقدي له شواهد، فأخرج ابن سعد عن بريدة، والزهري،ويزيد بن رومان، والشعبي أنه ﷺ بعث عدة إلى عدة، وأمرهم بنصح عباد اللّه، فأصبح الرسل كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم، فذكر ذلك ﷺ فقال: هذا أعظم ما كان من حق اللّه في أمر عباده.

وروى ابن أبي شيبة من مرسل جعفر بن عمرو بعث ﷺ أربعة رجلاً إلى كسرى، ورجلاً إلى قيصر، ورجلاً إلى المقوقس، وعمرو بن أمية إلى النجاشي، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، وكان جعفرًا لم يحفظ بقية الستة.

وقد روى الطبراني عن المسور بن مخرمة الصحابي، قال خرج ﷺ إلى أصحابه، فقال: إن اللّه بعثني للناس كافة، فادوا عني ولا تختلفوا علي، فبعث عبد اللّه بن حذافة إلى كسرى، وسليطًا إلى هوذة، والعلاء إلى المنذر، وابن العاصي إلى ملكي عمان، ودحية إلى قيصر، وشجاعًا إلى الحٰرث، وعمرو بن أمية إلى النجاشي، فعدهم سبعة، وزاد أصحاب السير جماعة غيرهم، ففي هذا موازاة الصحابة للحواريين، فقد روى ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وابن إسحٰق في السيرة أنه ﷺ قام على المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، وتشهد ثم قال: أما بعد، فإني أبعث بعضكم إلى ملوك العجم، فلا تختلفوا علي، كما اختلف بنو إسرٰئيل على عيسى، وذلك أن اللّه بعث إليه؛ أن أبعث إلى ملوك الأرض، فبعث الحواريين، فأما القريب مكانًا فرضى، وأما البعيد مكانًا فكره، وقال: لا أحسن كلام من تبعثني إليه، فقال عيسى: اللهم أمرت الحواريين بالذي أمرت، فاختلفوا علي، فأوحى اللّه إليه أني سأكفيك، فأصبح كل إنسان يتكلم بلسان الذين أرسل إليهم، فقال المهاجرون: يا رسول اللّه، واللّه لا تختلف عليك أبدًا في شيء، فمرنا وأبعثنا، (**وكان أول رسول بعثه رسول اللّه ﷺ عمرو بن أمية الضمري**،) نسبة إلى جده ضمرة، بفتح، فسكون، كما تقدم مرارًا (**إلى النجاشي، ملك الحبشة وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرءان**،) أي بعضه، (**فأخذه النجاشي، ووضعه على عينيه**) تبركًا وتعظيمًا، (**ونزل عن سريره، وجلس على الأرض**) تواضعًا للّه على هذه النعمة التي ساقها إليه، (**ثم أسلم وشهد شهادة الحق**،) إضافة بيانية، أي هي الحق.

(**وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته**،) لكني لا أستطيع ذلك خوفًا من خروج الحبشة،

وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيٰن، فزوجه إياها كما تقدم في الأزواج، ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله ﷺ وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرهم، وصلى عليه النبي ﷺ وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره.

وليس كذلك، فإن النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب كما تقدم.

وبعث عليه الصلاة والسلام دحية بن خليفة الكلبي ـ وهو أحد الستة ـ إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل يدعوه إلى الإسلام، فهمَّ بالإسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك.

وبعث عبد الله ....

وتلاشى أمرهم مع ما أؤمله من إسلامه ببقائي بينهم، (**وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيٰن**) وأن يبعث إليه من هاجر إليه من الصحابة، (**فزوجه إياها، كما تقدم في الأزواج،**) وجهز إليه أصحابه، كما تقدم، (**ودعا بحق من عاج، فجعل فيه كتابي رسول اللّه ﷺ، وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرهم،**) ومات رحمه اللّه سنة تسع أو ثمان، (**وصلى عليه النبي ﷺ**) بالمدينة يوم موته، (**وهو بالحبشة، كما قاله،**) أي كل ما ذكره (**الواقدي وغيره،**) لاخصوص الصلاة، لأنها في الصحيحين، (**وليس كذلك، فإن النجاشي الذي صلى عليه رسول اللّه ﷺ ليس هو الذي كتب إليه كما تقدم،**) هذا وهم، فالذي تقدم إنه كتب إليهما جميعًا أصحمة الذي صلى عليه، والذي ولى بعده، وكان كافرًا لم يعرف إسلامه، ولا اسمه، وخلط بعضهم، ولم يميز بينهما.

هذا كلام المصنف في كتابه إلى النجاشي، وما بالعهد من قدم، وقد روى البيهقي وغيره أنه كتب إلى كل منهما، كما قدمته، فمن نفى الكتابة عن الأول، فقد وهم، واللّه أعلم.

(**وبعث عليه الصلاة والسلام دحية بن خليفة الكلبي، وهو أحد الستة،**) أي الثاني منها والأنسب بما بعده أن يقول، وهو الثاني والمراد في العدو الذكر، لما مر أنهم خرجوا في يوم واحد (**إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل،**) بكسر، ففتح، فسكون على المشهور في الروايات (**يدعوه إلى الإسلام، فهم بالإسلام، فلم توافقه الروم، فخافهم على ملكه، فامسك**) على نصرانيته حتى مات عليها، (**وبعث عبد اللّه**) ابن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بضم السين

السهمي إلى كسرى وهو الثالث.

وبعث الرابع وهو حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس فأكرمه، وبعث إلى النبي ﷺ بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم.

وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك البلقاء الحٰرث بن أبي شمر الغساني.

وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي فأسلم ثمامة.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني

ابن سهم القرشي، (**السهمي**) نسبة إلى جده سهم المذكور (**إلى كسرى، وهو الثالث، وبعث الرابع، وهو حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، فأكرمه وبعث إلى النبي ﷺ بجاريتين**) على ما في روايات، وفي رواية بثلاث، فالإقتصار على اثنتين، لجمالهما، ومكانهما من القبط، كما مر (**وكسوة**) عشرين ثوبًا من قباطي مصر (**وبغلة**) هي دلدل وحمار وغير ذلك، كما مر، (**ولم يسلم**) على الصواب، ووهم من عده في الصحابة، (**وبعث الخامس، وهو شجاع بن وهب الأسدي**) نسبة إلى جده أسد ابن حزيمة (**إلى ملك البلقاء**) بفتح الموحدة، وإسكان اللام وقاف والمد، وتقصر مدينة من عمل دمشق فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة (**الحٰرث بن أبي شمر الغساني**) فلم يسلم، (**وبعث السادس، وهو سليط بن عمرو العامري**) نسبة إلى جده عامر بن لؤى القرشي (**إلى هوذة**) صاحب اليمامة، (**وإلى ثمامة**) بضم المثلثة، وخفة الميمين (**ابن أثال**) بضم الهمزة، وبمثلثة خفيفة، ولام مصروف ابن النعمان، (**الحنفي**) من فضلاء الصحابة، (**فأسلم ثمامة**) ولم يسلم هوذة، كذا قال ابن إسحٰق: إنه بعث إليهما، وهو منابذ، لما في الصحيحن؛ أنه ﷺ بعث خيلاً قبل نجد، فجاءت بثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية المسجد الحديث، وفيه، فقال ﷺ: أطلقوا ثمامة، فانطلق، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلاَّ اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه الحديث، وأخرجه بنحوه ابن إسحٰق نفسه في المغازي، وذكر المصنف في المغازي كغيره، إن ذلك في المحرم سنة ست، فإن صح أنه أرسل إليه أيضًا، فالمراد به أنه يكون عونًا لسليط على هوذة، ويؤوَّل قوله: فأسلم ثمامة، أي استمر على إسلامه، لا أنه أسلم حين الإرسال، لأنه أسلم قبل ذلك بسنة بالمدينة لما أسر ومنَّ عليه المصطفى، كما في الصحيحين، (**وبعث عمرو بن العاصي في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر**

الجلندي بعمان فأسلما وصدقا.

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة ـ وقيل قبل الفتح ـ فأسلم وصدق.

وبعث أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك وقيل بل سنة عشر في ربيع أوّل داعيين إلى الإسلام، فأسلم غالب أهلها من غير قتال. ثم بعث علي بن أبي طالب بعد ذلك إليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحٰرث بن عبد كلال ....

وعبد إبنى **الجلندي بعمان، فأسلما وصدقا،**) كما تقدم بسطه، (**وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي،**) نسبة إلى جده عبد اللّٰه بن دارم التميمي، لا إلى عبد القيس، كما ظنه بعض الناس، أفاده الرشاطي، كما في الإصابة (**ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة،**) لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ثمان، فهو سنة الفتح، (**وقيل قبل الفتح**) لمكة، وجزم به في الإصابة، وعزاه لابن إسحٰق، وغير واحد ونحو قول العيون بعد إنصرافه من الحديبية، (**فأسلم وصدق**).

زاد الواقدى: ثم استقدم النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي، فاستخلف المنذر مكانه، (**وبعث أبو موسى**) عبد اللّٰه بن قيس (**الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك،**) رواه الواقدي، وابن سعد، عن كعب بن مٰلك، وكان انصرافه منها في رمضان، أو شعبان سنة تسع، (**وقيل: بل سنة عشر في ربيع أوّل،**) حكاه ابن سعد، وقيل: عام الفتح سنة ثمان.

حكى الثلاثة في فتح الباري، فما يوجد في بعض نسخ المصنف من تبوك سنة عشر بإسقاط، وقيل: بل خطأ نشأ عن سقط، وان أمكن توجيهه بأن سنة عشر معمول لبعث، لا لتبوك، لكنه مع إيهامه يكون قاصرًا على قول (**داعيين إلى الإسلام، فأسلم غالب أهلها من غير قتال، ثم بعث علي بن أبي طالب بعد ذلك إليهم**) في رمضان سنة عشر، كما قال ابن سعد، فقاتل من لم يسلم، فهزموا، وقتل منهم فكف، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا الإجابة، فأقام فيهم يقرئهم القرءان، ويعلمهم الشرائع، وكتب للنبي ﷺ، فأمر أن يوافيه بالموسم، فقفل، (**ووافاه بمكة في حجة الوداع، وبعث المهاجر بن أبي أمية**) بن المغيرة بن عبد اللّٰه بن عمر بن مخزوم، القرشي، (**المخزومي**) شقيق أم سلمة، أم المؤمنين له في قتال أهل الردة أثر كبير (**إلى الحٰرث بن عبد كلال**) الأصغر ابن نصر بن سهل بن غريب بن عبد كلال الأوسط بن عبيد

الحميري باليمن.

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلما ....

(الحميري) أحدًا قبال اليمن.

قال الهمداني في الأنساب: كتب ﷺ إلى الحرث وأخيه، وأمر رسوله أن يقرأ عليهما لم يكن، فوفد عليه الحرث، فأسلم، فاعتنقه، وأفرشه رداءه، وقال قبل أن يدخل عليه: يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين، صبيح الخدين، فكان هو، قال في الإصابة، والذي تظاهرت به الروايات أنه أرسل بإسلامه، وأقام (باليمن)، وقال ابن إسحٰق: قدم على المصطفى مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير: بإسلامهم منهم الحرث ابن عبد كلال، وكان ﷺ أرسل إليه المهاجر، فأسلم، وكتب إلى المصطفى شعرًا يقول:

ودينك دين الحق فيه طهارة   وأنت بما فيه من الحق آمر

(وبعث جرير) بفتح الجيم (ابن عبد الله) بن جابر بن مٰلك بن نصر (البجلي) بفتح الموحدة والجيم، نسبة إلى بجيلة بفتح، فكسر بنت صعب بن سعد العشيرة، تنسب إليها القبيلة، الصحابي، الشهير، القائل: ما حجبنى ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلاَّ تبسم رواه الشيخان، وقال ﷺ: «جرير منا أهل البيت».

رواه الطبراني، المتوفى سنة إحدى، أو أربع وخمسين، قال عمر: هو يوسف هذه الأمة، لأنه كان جميلاً (إلى ذي الكلاع) قال المصنف وغيره: بفتح الكاف واللام الخفيفة، فألف، فعين مهملة اسمه إسميفع، بفتح الهمزة، والميم، والفاء، وسكون السين المهملة والتحتية، وآخره عين مهملة، ويقال: أيفع بن باكور، أو يقال ابن حوشب، (وذي عمرو) الحميري (يدعوهم) أي هما وقومهما (إلى الإسلام، فأسلما).

قال الهمداني: وأعتق ذو الكلاع لذلك أربعة آلاف، ثم قدم المدينة زمن عمرو معه أربعة آلاف، فسأله عمر في بيعهم، فأعتقهم، فسأله عمر عن ذلك، فقال إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، فعسى أن يكون ذلك كفارة، وذلك أني تواريت مرة، يعني قبل إسلامه، ثم أشرفت، فسجد لي مائة ألف.

وروى يعقوب بن شيبة عن الجراح بن منهال قال: كان عند ذي الكلاع اثنا عشر ألف بيت من المسلمين، فبعث إليه عمر، فقال: بعنا هؤلاء نستعين بهم على عدوّ المسلمين، فقال: لا هم أحرار، فأعتقهم كلهم في ساعة واحدة.

قال أبو عمر: لا أعلم له صحبة إلاَّ أنه أسلم في حياته ﷺ وقدم في زمن عمر، فروى

وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضميري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجذامي ـ وكان عاملاً لقيصر ـ فأسلم، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه، وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد، وهي: بغلة شهباء، يقال لها فضة، وفرس يقال له الظرب، وحمار يقال له يعفور، وبعث إليه أثوابًا وقباء سندسيًا مذهبًا، فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثني عشر أوقية.

عنه، وقتل بصفين مع معٰوية، **(وتوفي رسول اللّٰه ﷺ وجرير عندهم)** ذكره الحاكم وغيره، ورجع جرير بعد الوفاة النبوية إلى المدينة، **(وبعث عمرو بن أمية الضميري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب)** يدعوه فيه إلى الإسلام، فكتب إليه مسيلمة جوابًا لكتابه يذكر فيه أنه رسول اللّٰه مثله، وأنه أشرك مع المصطفى بالنصف في الأرض، وإن قريشًا لا يعدلون، فكتب إليه بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول اللّٰه إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض للّٰه يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، بلغني كتابك الكذب والإفك والافتراء على اللّٰه، والسلام على من اتبع الهدى، وبعثه إليه مع السائب أخي الزبير بن العوام ذكره ابن سعد وغيره، **(وبعث إلى فروة بن عمرو)** على الأشهر، ويقال ابن عامر **(الجذامي، وكان عاملاً لقيصر)** على من يليه من العرب، وكان منزله معان وما حولها من الشام، كما ذكر ابن إسحٰق، **(فأسلم وكتب إلى النبي ﷺ، بإسلامه)** ولم ينقل أنه اجتمع به، كما في الإصابة.

قال ابن إسحٰق: فبلغ الروم اسلامه، فطلبوه فحبسوه، ثم قتلوه، فقال في ذلك:

أبلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي وثيابي

(وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد) الجذامي، أسلم وصحب، **(وهي بغلة شهباء، يقال لها فضة)** بلفظ أحد النقدين، **(وفرس، يقال له الظرب،)** بالظاء المعجمة لكبره وسمنه، أو لقوته وصلابة حافرة، **(وحمار، يقال له يعفور)** بناء على أنه غير عفير الذي أهداه المقوقس، **(وبعث إليه أثوابًا وقباء)** بفتح القاف وخفة الموحدة والمد والقصر، قيل فارسي معرب، وقيل عربي مشتق من قبوت الشيء إذا ضممت أصابعك عليه سمي به لإنضمام اطرافه.

وروي عن كعب أن أول من لبسه سليمٰن، قاله الحافظ وغيره **(سندسيًا،)** نسبة إلى السندس، وهو مارق من الديباج، معرب اتفاقًا من نسبة الجزئي إلى كليه، لأن البقاء جزء من جزئيات مطلق السندس، فلم يتحد المنسوب والمنسوب إليه **(مذهبًا، فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد)** رسوله بالهدية، والإسلام **(اثني عشر أوقيه،)** وفي الإصابة عن الواقدي واجازه

وبعث المصدقين لأخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع:

فبعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم.

وبعث بريدة ـ ويقال كعب بن ملك ـ إلى أسلم وغفار.

وبعث عباد بن بشر إلى سليم ومزينة.

وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة.

وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة.

وبعث الضحاك بن سفين إلى بني كلاب.

وبعث بشر ....

بخمسمائة درهم، (**وبعث المصدقين**) بضم الميم وخفة المهملة السعاة، (**لأخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع**،) كما قال ابن سعد، (**فبعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم**) وتقدمت القصة في المغازي، (**وبعث بريدة**) بضم الموحدة مصغر بن الحصيب الأسلمي، (**ويقال كعب بن ملك**) الأنصاري (**إلى أسلم**)، بفتح، فسكون، قبيلة من الأزد (**وغفار**) بكسر المعجمة، وخفة الفاء قبيلة من كنانة، وسبق إلى الإسلام منهم أبو ذر الغفاري وأخوه أنيس، ورجع أبو ذر إلى قومه، فأسلم الكثير منهم، وفي القبيلتين، قال ﷺ: أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها وفيه من جناس الإشتقاق ما يلذ على السمع لسهولته وانسجامه، وهو من الاتفاقات اللطيفة، وحكي أن بني غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية، فدعا لهم النبي ﷺ بعد أن أسلموا ليمحو عنهم ذلك العار، (**وبعث عباد بن بشر**،) بكسر الموحدة، وسكون المعجمة الأنصاري (**إلى سليم**) بالتصغير قبيلة (**ومزينة**) بضم الميم، وفتح الزاي، وسكون التحتانية، بعدها نون، وهو إسم امرأة عمرو بن طابخة بموحدة ومعجمة ابن الياس بن مضر، وهي مزينة بنت كلب بن وبرة، وهي أم أوس وعثمن ابني عمرو فولد هذين، يقال لهم مزينة والمزنيون، ومن قدماء الصحابة منهم: عبد الله بن مغفل وعمه خزاعي، وإياس بن هلال وابنه قرة وآخرون، كما في الفتح، (**وبعث رافع بن مكيث**) بميم وكاف.

قال في الإصابة: بوزن عظيم وآخره مثلثة الجهني شهد بيعة الرضوان، وكان أحد من يحمل الوية جهينة يوم الفتح، وشهد الجابية مع عمر (**إلى**) قومه (**جهينة**) بالتصغير، قبيلة من قضاعة، من مشهوري الصحابة، منهم عقبة بن عامر الجهني وغيره، (**وبعث عمرو بن العاصي إلى فزارة**) بفتح الفاء والزاي، ثم راء قبيلة من قيس عيلان، (**وبعث الضحاك بن سفين**) الكلابي (**إلى**) قومه (**بني كلاب وبعث بشر**،) قال في الإصابة: ضبطه ابن ماكولا وغيره بضم الموحدة،

ابن سفيْن الكعبي - ويقال النحام العدوي - إلى بني كعب.

وبعث عبد الله بن اللتبية إلى ذبيان.

وبعث رجلاً من سعد هذيم إلى قوله.

الفصل السابع

في مؤذنيه وخطبائه وحدائه وشعرائه

أما مؤذنوه فأربعة: اثنان بالمدينة:

بلال بن رباح، ....

وسكون السين المهملة (ابن سفيْن) الخزاعي، (الكعبي،) نسبة إلى كعب بن عمرو بطن من خزاعة.

قال أبو عمر: أسلم سنة ست وشهد الحديبية، (ويقال النحام) بفتح النون وشد الحاء المهملة، قال ابن ماكولا، كذا يقوله أصحاب الحديث.

وقال ابن الكلبي: هم بضم النون وخفة الحاء، واسمه كما قال البخاري وغيره نعيم بن عبد الله القرشي، (العدوي،) قديم الإسلام بعد عشرة أنفس، ويقال بعد ثمانية وثلاثين، لقب بالنحام لقوله ﷺ: دخلت الجنة، فسمعت نحمة من نعيم فيها، والنحمة السعلة، قال في التبصير ونحوه في الإصابة، واسمه في الأصل صالح.

ذكره ابن أبي حاتم (إلى بني كعب وبعث عبد الله بن اللتبية) قال في التبصير بضم اللام وفتحها معا، ثم فوقية مفتوحة، ثم موحدة مكسورة، ثم ياء مشددة الأزدي له صحبة وقصة وفي الكواكب بضم اللام، وسكون الفوقية، أو فتحها، وكسر الموحدة، وشد التحتية، وقيل بضم الهمزة بدل اللام، فهي أربعة أوجه، والأصح انه باللام وسكون الفوقية نسبة إلى بني لتب، قبيلة معروفة (إلى ذبيان،) بضم الذال المعجمة وكسرها.

قال ابن الأعرابي: رأيت الفصحاء يختارون الكسر، بعدها موحدة، فتحتية خفيفة قبيلة من الأزد، (وبعث رجلاً من سعد هذيم،) كزبير أبو قبيلة، وهو ابن زيد، لكن حضنه عبد أسود هذيم، فغلب عليه، كما في القاموس (إلى قوله) هذيم.

(الفصل السابع في مؤذنيه وخطبائه،) لا محل للجمع في هذا إذ لم يذكر إلاَّ واحدًا، إلا أن تكون الإضافة في الجميع للجنس الصادق بالواحد، وهو الخطب والمعتدد وهم من عداه. (وحداته) جمع حادي (وشعرائه) الذين ناضلوا عنه وهجوا كفار قريش، (أما مؤذنوه،) أي بيانهم (فأربعة، اثنان بالمدينة بلال بن رباح) بفتح الراء، وخفة الموحدة، فألف فمهملة، (وأمه حمامة) بفتح المهملة وخفة الميم الصحابية، وبها اشتهر ذكرها أبو عمر، فيمن كان يعذب في الله،

وأمه حمامة، مولى أبي بكر الصديق، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال، فتذكر النبي ﷺ، قال أسلم - مولى عمر بن الخطاب - فلم أر باكيًا أكثر من يومئذٍ،

فاشتراها أبو بكر، فأعتقها (**مولى أبي بكر الصديق**) ولاء عتاقة.

وجاء عن أنس عند الطبراني وغيره أنه حبشي، وهو المشهور وقيل نوبي. ذكر ابن سعد أنه كان من مولدي السراة، (**وهو أول من أذن لرسول اللَّه ﷺ**) حين شرع الآذان، ورآه عبد اللَّه بن زيد الأنصاري في المنام، فقال ﷺ: قم مع بلال، فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتًا، (**ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء إلاَّ أن عمر لما قدم الشام حين فتحها، أذن بلال،**) استثناء متصل، أي لم يوجد منه أذان لأحد إلاَّ لعمر أو منقطع، أي لم يتخذه أحد من الخلفاء مؤذنًا، لكنه أذن عند عمر بلا اتخاذ، (**فتذكر النبي ﷺ، قال: أسلم مولى عمر بن الخطاب،**) الثقة، المخضرم، المتوفى سنة ثمانين، وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة، (**فلم أر باكيًا أكثر من يومئذٍ،**) وفي نسخة من ذلك اليوم، أي لم أر إنسانًا يبكي أكثر من بكاء كل واحد يومئذٍ، أو لم أر قومًا يبكون أكثر من الباكين يومئذٍ، لأن باكيًا نكرة في سياق النفي فتعم، فلا يراد أن باكيًا مفعول رأى وأكثر حال إن كانت بصرية، ومفعول ثان إن كانت علمية، وعليهما لا يصح وصف الباكي بأنه أكثر من الباكين، ولا يراد أن دلالة العام كلية، أي محكوم فيها على كل فرد، لأن هذه قاعدة أكثرية على أن النظر في نحو هذا، إنما هو لمذهب النحاة، أو يقال أن باكيًا صفة لمتعدد في المعنى، أي فريقًا باكيًا على أنه يمكن التخلص من أصل الإيراد، بأنه ليس المراد الكثرة في نفس الأفراد التي نشأ الإشكال منها بأن يقدر أن أكثر صفة لموصوف محذوف هو بكاء، أي لم أر باكيًا بكاءً أكثر من بكاء الباكين يومئذٍ.

وروى البخاري أن بلالاً، قال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك، فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني للَّه فدعني وعمل اللَّه.

زاد ابن سعد، قال أبو بكر: أنشدك اللَّه وحقي، فأقام معه حتى توفي، فتوجه إلى الشام مجاهدًا بإذن عمر.

وروى ابن عساكر بسند جيد عن بلال، أنه لما نزل بداريا رأى النبي ﷺ، وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني، فانتبه حزينًا خائفًا، فركب راحلته، وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ، فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا: نتمنى، نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول اللَّه ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما، قال: اللَّه أكبر ارتجت المدينة، فلما

وتوفي سنة سبع عشرة، أو ثمان عشرة أو عشرين بداريا بباب كيسان، وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب، وقيل بدمشق.

وعمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمى، وهاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ.

وأذن له عليه ....

قال: أشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه، ازدادت رجتها، فلما قال: أشهد أن محمدًا رسول اللَّه، خرجت العواتق من خدورهن، وقالوا: بعث رسول اللَّه، فما رؤي يوم أكثر باكيًا ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ أكثر من ذلك اليوم، (**وتوفي سنة سبع عشرة، أو ثمان عشرة،**) بفتح النون، وحذف الياء على قلة، (**أو عشرين**).

هكذا ساوى بين الأقوال الثلاثة في التقريب، لكن قال: وقيل سنة عشرين، وصدر في الفتح بالثاني، (**بداريا**) بفتح الدال، والراء، والياء الثقيلة قرية بدمشق (**بباب كيسان،**) بفتح، فسكون محل معروف بها، (**وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب،**) ذكره ابن منده ورده المنذري، وقال: الذي دفن بحلب أخوه خالد، (**وقيل بدمشق**) وصححه الذهبي، فقال: مات على الصحيح بدمشق سنة عشرين، وفي فتح الباري كانت وفاته بدمشق ودفن بباب الصغير، وبهذا جزم النووي، وقيل دفن بباب كيسان، وقيل بداريا، وقيل بحلب.

ورده المنذري، وزعم ابن السمعاني أن بلالاً مات بالمدينة وغلطوه انتهى، (**وعمرو**) على الأكثر، وقيل عبد اللَّه، وقيل كان اسمه الحصين فسماه ﷺ عبد اللَّه، قال في الفتح: ولا يمتنع أنه كان له اسمان (**ابن أم مكتوم**) نسب لأمه وهي عاتكة بنت عبد اللَّه المخزومية، وزعم بعضهم أنه ولد أعمى، فكنيت أمه به لاكتتام نور بصره، والمعروف أنه عمي بعد بدر بسنتين، كذا وقع في الفتح، وتعقب بأن نزول عبس بمكة قبل الهجرة، فلعل أصله بعد البعثة.

وقد روى ابن سعد والبيهقي عن أنس أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده ابن أم مكتوم، فقال: متى ذهب بصرك، قال: وأنا غلام، ولفظ البيهقي وأنا صغير، فقال: قال اللَّه تبارك وتعالى: إذا ما أخذت كريمة عبدي، لم أجد له بها جزاء إلا الجنة، والأشهر في اسم أبيه قيس بن زائدة (**القرشي،**) العامري، (**الأعمى،**) المذكور في سورة عبس، ونزلت فيه غير أولى الضرر، كما في البخاري، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين، أسلم قديمًا بمكة، (**وهاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ،**) وقيل بعده وبعد بدر بيسير.

قال الواقدي والأول أصح، وكان ﷺ يكرمه، واستخلفه ثلاث عشرة مرة، قاله ابن عبد البر شهد القادسية في خلافة عمر ومعه اللواء، فاستشهد بها، قاله الزبير بن بكار، وقال الواقدي: بل شهدها ورجع إلى المدينة، فمات بها ولم يسمع له بذكر بعد عمر، (**وأذن له عليه**

الصلاة والسلام بقباء، سعد بن عائذ أو ابن عبد الرحمٰن المعروف بسعد القرظ وبالقرظي، مولى عمار، بقي إلى ولاية الحجاج على الحجاز، وذلك سنة أربع وسبعين.

وبمكة أبو محذورة، واسمه أوس الجمحي المكي، أبوه: معير ـ بكسر الميم وسكون وفتح التحتانية ـ مات بمكة سنة تسع وخمسين، وقيل تأخر بعد ذلك.

الصلاة والسلام بقباء سعد بن عائذ، أو ابن عبد الرحمٰن المعروف بسعد القرظ) بالتنوين بلا إضافة صفة له، لأنه كان يتجر فيه حتى كأنه صار جزء علم **(وبالقرظي)** بفتحتين وظاء معجمة نسبة للقرظ أيضًا وغلط من ضمها، لأنه نسبة إلى بني قريظة، وليس هو منهم، إنما هو **(مولى عمار)** بن ياسر، وقيل مولى الأنصار.

روى البغوي عن القٰسم الحسن بن محمد بن عمرو بن حفص بن عمر بن سعد القرظ عن أبائه أن سعدًا شكا إلى النبي ﷺ قلة ذات يده، فأمره بالتجارة، فخرج إلى السوق، فاشترى شيئًا من قرظ فباعه، فربح فيه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فأمره بلزوم ذلك.

روي عن النبي ﷺ، وعنه ابناه عمار وعمر، قال أبو عمر نقله أبو بكر من قباء إلى المسجد النبوي، فأذن فيه بعد بلال، وتوارثت عنه بنوه الأذان، قال خليفة: أذن لأبي بكر ولعمر بعده.

وروى يونس عن الزهري: أن الذي نقله عن قباء عمر **(بقي إلى ولاية الحجاج على الحجاز، وذلك سنة أربع وسبعين،)** كما في التقريب وغيره **(وبمكة أبو محذورة واسمه أوس،)** وقيل سمرة، وقيل سلمة، وقيل سلمان، وقيل معير، وقيل عبد العزيز.

قال البلاذري: لا يثبت أنه أوس، لكن، قال ابن عبد البر: اتفق الزبير وعمه وابن إسحٰق والسمعي على أن اسمه أوس، وهم أعلم بأنساب قريش، ومن قال اسمه سلمة، فقد أخطأ **(الجمحي،)** القرشي، **(المكي أبوه)** اسمه **(معير بكسر الميم، وسكون)** العين، **(وفتح التحتانية)** هذا هو المشهور، وحكى ابن عبد البر أن بعضهم ضبطه بفتح العين، وتشديد التحتانية بعدها نون، وقيل اسمه سمرة، وقيل محيريز، وقيل عمر.

روى أبو محذورة عنه ﷺ أنه علمه الآذان، وقصته في مسلم وغيره، وفي رواية أن تعليمه إياه كان بالجعرانة.

قال ابن الكلبي: ولم يهاجر، بل أقام حتى **(مات بمكة سنة تسع وخمسين، وقيل تأخر بعد ذلك)** حتى مات سنة تسع وسبعين، كما في الإصابة وفي الروض لما سمع أبو محذورة الآذان سنة الفتح، وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزؤن، ويحكون صوت المؤذن غيظًا،

وكان منهم من يرجع الأذان ويثني الإقامة، وبلال لا يرجع ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعي بإقامة بلال، وأهل مكة أخذوا بأذان أبي محذورة وإقامة بلال. وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي محذورة، وأخذ أحمد وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مَلك في موضعين: إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة.

فكان أبو محذورة من أحسنهم صوتًا، فرفع صوته مستهزئًا بالآذان، فسمعه ﷺ، فأمر به، فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول، فمسح ﷺ ناصيته وصدره قال: فامتلأ قلبي نورًا وإيمانًا ويقينًا، وعلمت أنه رسول الله، فألقى عليه الآذان وعلمه إياه، وأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة، فكان يؤذنهم حتى مات، ثم عقبه بعده يتوارثون الآذان كابرًا عن كابر، **(وكان منهم)** أي بعضهم، وهي فائدة الاستطرادية، أو نشأت عن سؤال هو معلوم اختلاف المذاهب في الآذان والإقامة، فما كان يفعله مؤذنو المصطفى الذين ذكرتهم، فأجاب بأنه كان منهم **(من يرجع الآذان، ويثني الإقامة،)** وهو أبو محذورة، **(وبلال لا يرجع، ويفرد الإقامة،)** أي كلماتها إلا لفظ قد قامت الصلاة بدليل قوله، **(فأخذ الشافعي بإقامة بلال،)** لأنه ﷺ سمعه، وأقره فليس استدلالاً بفعل الصحابي والشافعي لا يقول به لا بإذانه بل بأذان، أبي محذورة، **(وأهل مكة أخذوا بأذان أبي محذورة،)** وهو ترجيع الآذان، وتثنية الإقامة، **(وإقامة بلال،)** وهذا تطويل بلا طائل، فلو قال: وأخذ الشافعي وأهل مكة بأذان أبي محذورة، وإقامة بلال لدفع ما يوهمه لفظه، **(وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي محذورة،)** فقالوا: بترجيع الآذان، وتثنية الإقامة، **(وأخذ أحمد وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مَلك في موضعين إعادة التكبير،)** أي تربيعه، فقال: بعدمها **(وتثنية لفظ الإقامة،)** فقال: بإفرادها عملاً بقوله ﷺ: الآذان والإقامة واحدة، رواه ابن حبان.

وروى الدارقطني وحسنه في حديث لأبي محذورة، وأمره أن يقيم واحدة واحدة، ثم المصنف في عهدة أنه خالف أهل المدينة، كما زعمه كابن القيم، فمَلك بعملهم أدرى، ونصب الجدل يطول، وقد علم مما قررته أن إعادة بدل من موضعين بيان للمفعول في خالفهم، فهو بيان للمخالف اسم مفعول لا اسم فاعل، لأن الأولى بالذكر من القولين ما نسب لمن خالفه من جعل فاعلاً، وترك المصنف ممن أذن زياد بن الحُرث الصدائي بضم المهملة أذن مرة، فقال ﷺ: من أذن فهو يقيم، أخرجه أحمد وأصحاب السنن، لأنه لم يتكرر ونظم الخمسة البرماوي، فقال:

لخير الورى خمس من الغر أذنوا بلال ندي الصوت بدأ يعين
وعمر والذي أم لمكتوم أمه وبالقرظ أذكر سعدهم إذ يبين

وأما شعراؤه عليه الصلاة والسلام الذين يذبون عن الإسلام: فكعب بن مٰلك. وعبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري.

وأوس أبو محذورة وبمكة زياد الصدائي نجل حارس يعلن

وعبد العزيز بن الأصم، ذكره أبو نعيم في الصحابة في بعض النسخ، وروى الحٰرث بن أبي أسامة عن ابن عمر: كان للنبي ﷺ مؤذنان أحدهما بلال، والآخر عبد العزيز بن الأصم، قال في الإصابة: وهو غريب جدًا، وفيه موسى بن عبيدة ضعيف، ثم ظهرت لي علته، وهو أن أبا قرة موسى بن طارق أخرجه مثله، وزاد، وكان بلال يؤذن بليل يوقظ النائم، وكان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر، فلا يخطئه، فظهر من هذه الرواية أن عبد العزيز اسم ابن أم مكتوم، والمشهور في اسمه عمرو، وقيل عبد الله بن قيس بن زائدة ابن الأصم، فالأصم اسم جد أبيه نسب إليه في هذه الرواية انتهى، (**وأما شعراؤه عليه الصلاة والسلام الذين يذبون**) بضم الذال، يدفعون (**عن الإسلام**،) ويحمون لا الذين مدحوه بالشعر من رجال الصحابة ونسائهم، فإن اليعمري جمعهم في مؤلف، فقارب بهم مائتين، (**فكعب بن مٰلك**) الأنصاري، السلمي بفتحتين شهد العقبة، وبايع بها، وتخلف عن بدر، وشهد أحدًا وما بعدها، وتخلف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم قال ابن سيرين: له بيتان كانا سبب إسلام دوس:

قضينا من تهامة كل وبر وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

تخبرنا ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسًا أو ثقيفًا

فلما بلغ ذلك دوسًا، قالوا خذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف. مات في خلافة علي، وقيل معٰوية.

روى أحمد عن كعب المذكور، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: اهجوا المشركين بالشعر، فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده، كأنما ينضحونهما بالنبل (**وعبد الله بن رواحة الخزرجي، الأنصاري،**) أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد في موته ومناقبه كثيرة.

قال المرزباني في معجم الشعراء: كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، وكان يناقض قيس بن الحطيم في حروبهم، ومن أحسن ما مدح به النبي ﷺ قوله:

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وأخرج ابن سعد، وابن عساكر عن عروة، لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون، قال ابن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية.

وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصاري، دعا له عليه الصلاة والسلام فقال: اللّهم أيده بروح القدس، فيقال: أعانه جبريل بسبعين بيتًا، وفي الحديث إن جبريل مع حسان ما نافح عني، وهو بالحاء المهملة أي دافع، والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم.

وعند ابن عساكر عن هشام بن حسان أن عبد اللّه لما، قال للمصطفى:

فثبت اللّه ما آتاك من حصن   كالمرسلين ونصرًا كالذي نصروا

قال له ﷺ: وإياك يا سيد الشعراء، **(وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام)** بالمهملتين، **(الأنصاري)** الخزرجي، وأمه الفريعة بالفاء، والعين المهملة مصغر بنت خالد خزرجية، أيضًا أسلمت، وبايعت وإليها كان ينسب، فيقال قال ابن الفريعة: ونسب هو نفسه إليها في قوله:

أمسى الحلائب قد عزوا وقد كثروا   وابن الفريعة أضحى بيضة البلد

(دعا له عليه الصلاة والسلام، فقال) كما في الصحيحين عن سعيد بن المسيب، قال: مر عمر بحسان في المسجد وهو ينشد، فلحظ إليه، فقال: كنت أنشد، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك اللّه أسمعت النبي ﷺ يقول أجب عني، **(اللهم أيده)** أي قوه **(بروح القدس)**.

قال أبو هريرة: نعم، والمراد جبريل لحديث الشيخين عن البراء أنه ﷺ، قال لحسان: اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك، **(فيقال أعانه جبريل بسبعين بيتًا،)** كما أخرجه ابن عساكر، وأبو الفرج الأصبهاني في الأغاني عن بريدة، قال: أعان جبريل حسان بن ثابت عن مدحه النبي ﷺ بسبعين بيتًا، **(وفي الحديث أن جبريل مع حسان ما)** مصدرية **(نافح عني،)** وفي مسلم عن عائشة سمعت النبي ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن اللّه ورسوله، قالت: وسمعته يقول: هجاهم حسان، فشفي وأشفى، **(وهو بالحاء المهملة)** قبلها فاء، **(أي دافع، والمراد)** بذلك **(هجاء المشركين ومجاوبتهم)** بجيم، ثم واو فموحدة **(على أشعارهم)** التي كانوا يلمزون بها الإسلام وأهله، كقوله يوم بدر مجيبًا لابن الزبعري المسلم في الفتح لما رثى أصحاب القليب بأبيات، فقال حسان:

إبك بكت عيناك ثم تبادرت   بدم تعل عروقها بسجام

وإذا بكيت به الذين تبايعوا   هلا ذكرت مكارم الأقوام

وذكرت منا ماجدًا ذا همة   سمح الخلائق صادق الأقدام

فلمثله ولمثل ما يدعو له   كان الممدح ثم غير كهام

ومجاوباته لهم كثيرة، فكم يقول ابن إسحٰق في السيرة، قال فلان من الكفار: كذا، فأجابه

وعاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكذا عاش أبوه ثابت، وجده المنذر، وجد أبيه حرام، كل واحد منهم عاش مائة وعشرين سنة، وتوفي حسان سنة أربع وخمسين.

ولما جاءه عليه الصلاة والسلام بنو تميم، وشاعرهم الأقرع بن حابس، فنادوه يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين. ....

حسان بكذا.

وفي نسخة ومحاربتهم بمهملة وراء، أي مغالبتهم ومدافعتهم بالشعر سماه حربًا مجازًا.

وقد روى أبو داود عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائمًا، يهجو الذين كانوا يهجونه ﷺ، فقال ﷺ: إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله.

وروى أبو نعيم، وابن عساكر عن عروة: أن حسان ذكر عند عائشة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ذاك حاجز بيننا وبين المنافقين لا يحبه إلاَّ مؤمن، ولا يبغضه إلاَّ منافق، **(وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام،)** كما قاله ابن سعد، **(وكذا عاش أبوه ثابت، وجده المنذر، وجد أبيه)** بواسطة **(حرام كل واحد منهم عاش مائة وعشرين سنة،)** إيضاح لما أفاده التشبيه لا بقيد الجاهلية والإسلام، فإنها كلها في الجاهلية، كما هو بين، ثم المصنف في عهده أن حرامًا عاش كذلك، ولعل أصله وجد أبيه عمرو بن حرام، فالذي قاله ابن منده وابن سعد، وكذلك عاش أبوه وجده وأبو جده لا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة تغميرهم مائة وعشرين سنة غيرهم، قال في ريح النسرين: ويشبه هذا أن لسانه كان يصل لجبهته ونحره، وكذا كان أبوه وجده وابنه عبد الرحمٰن، قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاث، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر المصطفى في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، **(وتوفي حسان سنة أربع وخمسين،)** قال في الإصابة: وذكر ابن إسحٰق: أنه سأل سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسان، فقال: قدم ﷺ: المدينة، ولحسان ستون سنة، فعلى هذا يلزم من قال: مات سنة أربع وخمسين أنه بلغ مائة وأربع عشرة، أو سنة خمسين مائة وعشرة، أو سنة أربعين مائة، أو دونها، والجمهور أنه عاش مائة وعشرين، قيل مائة وأربع سنين، جزم به ابن أبي خيثمة عن المدائني، **(ولما جاءه عليه الصلاة والسلام)** سنع تسع **(بنو تميم،)** وكانوا سبعين فيما قيل، **(وشاعرهم الأقرع بن حابس)** الصحابي الشهير، **(فنادوه)** من وراء الحجرات، **(يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين،)** وعند ابن إسحٰق، فأذى

فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن قال: ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، إني لم أبعث بالشعر، ولم أومر بالفخر، ولكن هاتوا، فأمر عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم. فقام الأقرع بن حابس شاعرهم وقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا إذا خالفونا عند ذكر..........

ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، وخرج إليهم، **(فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن قال ذلك)** الموصوف بما قلتموه، **(الله إذا مدح زان)** من مدحه، **(وإذا ذم شأن)** من ذمه، وصلى ﷺ الظهر، ثم جلس في صحن المسجد، وقال: **(إني لم أبعث بالشعر، ولم أومر بالفخر، ولكن هاتوا،)** وعند ابن إسحٰق، فقالوا: ائذن لخطيبنا وشاعرنا، فقال: أذنت لخطيبكم، فليقل، فقام عطارد بن حاجب، فقال: الحمد للّٰه الذي له علينا الفضل، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عددًا وعدة، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا، فليعدد مثل ما عددنا، وإنا لو شئنا لأكثرنا الكلام، ولكن نستحي من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك، أقول هذا، لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس، **(فأمر عليه الصلاة والسلام)** خطيبه **(ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم)** عطارد بن حاجب، كما رأيت، وتجويز أنه الأقرع من عدم الإطلاع، وخطيب القوم لغة من يتكلم عنهم، **(فخطب فغلبهم،)** وعند ابن إسحٰق، فقال ﷺ لثابت: قم فأجب الرجل في خطبته، فقام، فقال: الحمد للّٰه الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قط إلاّ من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا، واصطفى خير خلقه رسولاً، أكرمه نسبًا، وأصدقه حديثًا، وأفضله حسبًا، وأنزل عليه كتابًا وائتمنه على خلقه، فكان خيرة اللّٰه في العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول اللّٰه ﷺ المهاجرون من قومه، وذوي رحمه أكرم الناس احسابًا، وأحسن الناس وجوهًا، وخير الناس فعالاً، ثم كنا أول الخلق إجابة واستجابة للّٰه حين دعانا رسول اللّٰه، فنحن أنصار اللّٰه، ووزراء رسول اللّٰه، نقاتل الناس حتى يؤمنوا باللّٰه ورسوله، منع ماله ودمه ومن فكر جاهدناه في اللّٰه، وكان قتله علينا يسيرًا، أقول قولي هذا وأستغفر اللّٰه لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

(فقام الأقرع بن حابس شاعرهم، فقال) الذي ذكره ابن هشام عن بعض علماء الشعر، فقام الزبرقان بن بدر، فقال: **(أتيناك كيما يعرف،)** وفي لفظ يعلم، وما زائدة **(الناس فضلنا، إذا خالفونا،)** أي جاؤوا بعدنا، وفي نسخة إذا خالفونا، والظاهر الأولى لإفادتها أن قصدهم معرفة فضلهم لمن يخلفهم إذا بلغهم ما فاخروا به، أما معرفة فضلهم لمعارضهم، فهي عندهم لا تخفى

المكارم

وأنا رؤوس الناس في كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فأمر النبي ﷺ حسانًا يجيبهم فقام فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالاً عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخروه وأنتم لنا خول ما بين قن وخادم

(عند ذكر المكارم) ظرف ليعرف.

وفي رواية: إذا اختلفوا عند إحتضار المواسم، (و) يعرفون (أنا) بفتح الهمزة (رؤوس الناس) عظماؤهم وأشرافهم شبه الواحد منهم بالرأس مجازًا، لأنه أشرف ما فيه لموته بإزالته، أو المراد أصولهم، وفي المصباح رأس المال أصله (في كل معشر) طائفة، وفي لفظ في كل موطن، (وأن ليس في أرض الحجاز كدارم) بكسر الراء بطن من تميم وبعد هذين عند ابن هشام:

وأنا نذود المعلمين إذا انتحوا ونضرب رأس إلاَّ صيد المتفاقم

وأنا لنا المرباع في كل غارة نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

(فأمر النبي ﷺ حسانًا) بالصرف على أنه من الحسن، ومنعه على أنه من الحسن، كذا جوزه الجوهري وغيره، قال ابن مُلك: والمسموع فيه منع الصرف (يجيبهم، فقام قال:)

هل المجد إلاَّ السود والعود والندى وجاه الملوك واحتمال العظائم

نصرنا وآوينا النبي محمدًا على أنف راض من معد وراغم

زكي جريد أصله وثراؤه بجابية الجولان وسط الأعاجم

نصرناه لما حل وسط ديارنا بأسيافنا من كل باغ وظالم

جعلنا بنينا دونه وبناتنا وطبنا له نفسًا بفيء المغانم

ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهفات الصوارم

ونحن ولدنا في قريش عظيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم

(بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالا عند ذكر المحارم)

(هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول ما بين قن وخادم)

فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

فلا تجعلوا للّه ندًا وأسلموا ولا تلبسوا زيًا كزي الأعاجم

هكذا أنشدها كلها ابن هشام في السيرة، وهبلتم، أي تعاظمتم علينا حال كونكم تفخرون، والحال أنكم خول لنا دائرين بين قن وخادم، في القاموس: هبلته أمه، كفرح ثكلته، لكنه لا يظهر

....

هنا لنسبة الفعل إلى المخاطبين، ولم يجعلهم مفعولين، فلم يقل هبلناكم إلاَّ أن يكون استعير لذلك، أي ثكلتم، ثم استأنف استفهامًا إنكاريًا، فقال: تفخرون بحذف أداة الاستفهام، فعلينا متعلق بالفعل بعده، غير أن هذا بعيد، ولذا لم يذكره شيخنا، وإن قرره، وتفسيره بأقبلتم، وإن ظهر معناه، لكن لا تساعد عليه اللغة، وعند ابن إسحٰق، فقام الزبرقان بن بدر، فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل الغر يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس الفزع
فما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هويًا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطًا في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم ... إلا استكانوا وكاد الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تستمع
إنا أبينا ولم يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

وكان حسان غائبًا، فبعث إليه ﷺ، فقال: قم فأجبه، فقام، فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوته ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن سابقوا الناس يومًا فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى فنعوا
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطمعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... أسد بحلبة في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفوًا إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذي منعوا

وكان أوّل من أسلم شاعرهم.

وكان أشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار حسان وكعب.

ولما رجع عليه الصلاة والسلام من تبوك وفد عليه همدان، وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية، جعل مُلك النمط يرتجز بين يديه ....

فإن في حربهم فاترك عداوتهم شرًا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول اللّه شيعتهم إذا تفاوتت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول، أو سمعوا

قال: فقال الأقرع بن حابس، وأبى أن هذا الرجل المؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا، **(وكان أول من أسلم شاعرهم)** الزبرقان بن بدر، لا الأقرع بن حابس، فإنه وفد قبلهم، وأسلم وشهد الفتح وحنينا والطائف، وكان من المؤلفة، وحسن إسلامه، ولما حضر وفد قومه بني تميم كان معهم، كما ذكره ابن إسحٰق، قال: وجوزهم ﷺ، فأحسن جوائزهم، **(وكان أشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار حسان،)** لأنه كان يقبل بالهجو على أنسابهم، فيألمون، ويزيف آراءهم، ويلزمهم الحجة التي، لا يستطيعون لها ردًا.

(وكعب) بن مُلك كان كثير المناقضة، ويخوفهم بالحرب، وابن رواحة يعيرهم بالكفر، وكانوا لا يبالون بأهاجيه، فلما أسلم من أسلم منهم وجدوا أهاجيه أشد، وأشق، وفي مسلم عن عائشة، قال ﷺ: «اهجوا المشركين، فإنه أشد عليهم من رشق النبل»، فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: اهجهم، فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مُلك، ثم أرسل إلى حسان، فقال: «قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه»، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، ثم قال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال ﷺ: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا حتى يلخص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع، فقال: يا رسول اللّه، لقد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق نبيًا لأسلنك، كما تسل الشعرة من العجين الحديث، **(ولما رجع عليه الصلاة والسلام من تبوك وفد عليه)** من جملة الوفود سنة تسع **(همدان)** بفتح، فسكون، **(وعليهم مقطعات)** ثياب قصار، لأنها قطعت عن لوث القمام، أو كل ما يفصل، ويخيط من قميص وغيره، كما في النهاية **(الحبرات)** بكسر المهملة، وفتح الموحدة جمع حبرة برود تصنع باليمن، **(والعمائم العدنية)** بفتحتين، نسبة إلى مدينة باليمن معروفة **(جعل مُلك النمط،)** كذا في النسخ، وصوابه ابن النمط بن قيس الهمداني، الصحابي **(يرتجز بين يديه**

عليه الصلاة والسلام.

وكان خطيبه عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن شماس ـ بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة ـ وهو خزرجي، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وكان خطيبه وخطيب الأنصار، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة.

وكان يحدو بين يديه عليه الصلاة والسلام في السفر عبد الله بن رواحة، وفي رواية الترمذي في الشمائل عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم ....

عليه الصلاة والسلام) يقول:

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف مخطمات بخطام الليف

كما عند ابن هشام وتأتي القصة إن شاء الله تعالى، وكان المصنف أراد بذكر هذه القطعة في الشعراء تجويز عد مُلك بن النمط من شعراء المصطفى، ولا يخفى ما فيه، فغاية ما ذكره أنه مادح، لا من الذابين الذين الكلام فيهم.

(وكان خطيبه عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن شماس بمعجمة) مفتوحة، **(وميم مشددة، وآخره مهملة، وهو خزرجي، شهد له النبي ﷺ، بالجنة)** في قصة شهيرة، رواها موسى بن أنس عن أبيه.

أخرج أصل الحديث مسلم، **(وكان خطيبه، وخطيب الأنصار)** روى ابن السكن عن أنس، قال: خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، وأولادنا، فما لنا، قال: الجنة، قال: رضينا، **(واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة،)** ونفذت وصيته بمنام، كما تقدم في الكتاب، ولا يعلم من أجيزت وصيته بعد موته غيره، **(وكان يحدو بين يديه عليه الصلاة والسلام في السفر عبد الله بن رواحة،)** الأمير المستشهد بموته، أي يقول الحداء: بضم المهملة، وهو الغناء للإبل.

(وفي رواية الترمذي في الشمائل،) ولا داعية للتقييد، فكذا في سننه **(عن أنس)** بن مُلك **(أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه، ويقول: خلوا)** تنحوا يا **(بني الكفار عن سبيله)** طريقه **(اليوم نضربكم)** بسكون الباء تخفيف، كقراءة أبي عمر، وإن الله يأمركم وقوله:

اليوم أشرب غير مستحقب

علـى تـنـزيـلـه

ضربًا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله أعلم.

وعامر بن الأكوع ـ بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة ـ وهو عم سلمة بن الأكوع، واستشهد يوم خيبر، ومرت قصته في غزوتها.

وأنجشة، العبد الأسود ـ وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة ـ وكان حسن الحداء. قال أنس: كان البراء بن مٰلك ....

(**على تنزيله**،) أي النبي مكة إن عارضتم، ولا نرجع، كما رجعنا عام الحديبية، أو على تنزيل القرءان، وإن لم يتقدم، كقوله حتى توارت بالحجاب (**ضربًا يزيل الهام**) جمع هامة بالتخفيف الرأس (**عن مقيله**،) أي محل نومه وقت القائلة كناية عن محل الراحة، إذ النوم أعظمها، (**ويذهل الخليل عن خليله**،) لكونه يهلك أحدهما، فيذهب الهالك عن الحي، وعكسه، وبقية الحديث، فقال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله تقول الشعر، فقال ﷺ: خل عنه يا عمر، فلهي فيهم أسرع من نضح النبل، (**وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية، والله أعلم**.) وفي رواية أنه لما أنكر عمر عليه، قال ﷺ: يا عمر إني أسمع، فاسكت يا عمر.

(**وعامر بن الأكوع**،) كان يحدو بين يديه (**بفتح الهمزة، وسكون الكاف، وفتح الواو، وبالعين المهملة**) لقبه، واسم الأكوع سنان بن عبد الله الأسلمي، الجاهد، المجاهد بالنص النبوي، (**وهو عم سلمة**) ابن عمرو (**بن الأكوع**،) كما عند ابن إسحٰق وغيره، ووقع في رواية لمسلم أنه أخوه، قال في الإصابة: فيمكن التوفيق، بأن يكون آخاه على ما كانت الجاهلية تفعله، أو من الرضاعة، ففي رواية أخرى عند مسلم نفسه أنه عمه، (**واستشهد يوم خيبر**) بعد أن قاتل بها قتالاً شديدًا، (**ومرت قصته في غزوتها**،) ومن جملتها حداؤه بقوله: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» إلى آخره، (**وأنجشة العبد الأسود**،) كما في الصحيح، وقال البلاذري: كان حبشيًا يكنى، أبا مارية، (**وهو بفتح الهمزة، وسكون النون، وفتح الجيم، وبالشين المعجمة، وكان حسن الحداء**،) وفي الصحيح عن أنس: كان حسن الصوت.

(**قال أنس**) في الصحيحين: (**كان البراء بن مٰلك**) الأنصاري أخو أنس لأبيه، وقيل شقيقه شهد المشاهد إلاَّ بدرًا، قال ﷺ: رب أشعث أغبر، لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مٰلك، قال أنس: فلما كان يوم تستر من بلاد فارس انكشف الناس، فقال المسلمون: يا

يحدو بالرجال وأنجشة بالنساء. وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز. فقال عليه الصلاة والسلام ـ كما في رواية للبراء بن مُلك ـ: عبد رويدك رفقًا بالقوارير. أي النساء.

فشبههن بالقوارير من الزجاج، لأنه يسرع إليها الكسر، فلم يأمن عليه الصلاة والسلام أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك. وفي المثل: الغناء رقية الزنا. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة.

براء أقسم على ربك فقال: أقسم عليك يا رب، لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك، فحمل وحمل الناس معه، فقتل هرمزان من عظماء الفرس، وأخذ سلبة، فانهزم الفرس، وقتل البراء رواه الترمذي والحاكم، وذلك في خلافة عمر سنة عشرين، وقيل قبلها، وقيل سنة ثلاث وعشرين (**يحدو بالرجال**،) وكان حسن الصوت، كما قاله أنس في المستدرك، (**وانجشة بالنساء**).

زاد الطيالسي: فإذا اعتقب الإبل، قال ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير»، (**وقد كان**) أنجشة (**يحدو، وينشد القريض، والرجز**) الشعر، قال الجوهري: قرض الرجل الشعر، أي قاله، والشعر قريض، فإن جعل منه، فعطف خاص على عام، وإن جعل غيره، فمباين، وفيه خلاف عند العروضيين، (**فقال عليه الصلاة والسلام كما في رواية للبراء بن مُلك**) بن النضر: يا (**عبد**)، فهو منادى بحذف الأداة (**رويدك**)، قال ابن مُلك: هو اسم فعل بمعنى أرود، أي أمهل مصدرًا مضافًا للكاف (**رفقًا بالقوارير**).

وفي الصحيحين عن أنس: أن أنجشة حدا بالنساء في حجة الوداع، فأسرعت الإبل، فقال ﷺ: «يا أنجشة رفقًا بالقوارير»، (**أي النساء، فشبههن بالقوارير من الزجاج، لأنه يسرع إليها الكسر**،) كما يسرع الكسر المعنوي إلى النساء، (**فلم يأمن عليه الصلاة والسلام أن يصيبهن، أو يقع في قلوبهم حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك**) خوفًا على دينهن، (**وفي المثل الغناء رقية الزنا**،) أي طريقه الموصل إليه، (**وقيل أراد إن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت، فأزعجت الراكب، وأتعبته، فنهاه عن ذلك، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة**،) لا خوفًا من وقوعه في قلوبهن.

قال الدماميني: وحمله على هذا قرب إلى ظاهر لفظه من الحمل على الأول انتهى، ويؤيده ما في مسلم عن أنس، كان لرسول الله حاد، حسن الصوت، فقال ﷺ: له رويدك يا

الفصل الثامن
في الآت حروبه عليه الصلاة والسلام
كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه

أما أسيافه عليه الصلاة والسلام فكان له تسعة أسياف:

مأثور، وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام ....

أنجشة، لا تكسر القوارير، يعني ضعفة النساء، والتأييد بهذا ليس بالقوي، بل هو محتمل.

(الفصل الثامن في آلات حروبه) التي يستعان بها فيه سواء كانت للقتل، كالسيف، أو للمنع كالدرع، وفي القاموس الآلة ما اعتملت به من أداة تكون وحدًا وجمعًا، أو هي جمع، بلا واحد، أو واحد جمعه آلات، فمشى المصنف على الثالث إذ عبر بالجمع، والإضافة جنسية، لأنه لم يقاتل بها دفعة واحدة، ولا في حرب واحد **(عليه الصلاة والسلام كدروعه، وأقواسه، ومنطقته، وأتراسه)**.

روى أحمد وابن أبي شيبة عنه ﷺ: بعثت بين يدي الساعة مع السيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم، فهو منهم فيه إشارة إلى فضل الرمح، وحل الغنائم، وإن رزقه ﷺ جعل فيها، لا في غيرها من المكاسب، ولذا قيل إنها أفضل المكاسب.

والمراد بالصغار بفتح المهملة، وبالمعجمة بذل الجزية، وفي قوله تحت ظل رمحي إشارة إلى أن ظله ممدود إلى أبد الأبد، وحكمة الاقتصار على الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف إن عادتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرماح، فلما كان ظل الرمح، أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق، ونسبت الجنة إلى ظل السيف في قوله ﷺ الجنة تحت ظلال السيوف، لأن الشهادة تقع به غالبًا، ولأن ظل السيف يكثر ظهوره بكثرة حركة السيف في يد المقاتل، ولأن ظله، لا يظهر إلاَّ بعد الضرب، لأنه قبل ذلك يكون مغمدًا معلقًا أفاده في فتح الباري.

(أما أسيافه عليه الصلاة والسلام) قدمها على غيرها، لأنها أهم آلات الحرب، وإن لم تذكر في الأمثلة، فالترجمة شملتها، وآثر جمع القلة، فلم يقل سيوفه لمناسبته لكونها تسعة، كما قال، **(فكان له تسعة أسياف مأثور)** بهمزة ساكنة، ومثلثة، **(وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام)** ورثه من أبيه ذكره اليعمري، وهي مسألة نزاع حتى قال بعضهم: ليس في كون الأنبياء يرثون نقل، وبعضهم، قال: لا يرثون، كما لا يورثون، وإنما ورث أبويه قبل الوحي، وصرح شيخ

وهو الذي يقال إنه قدم به إلى المدينة في الهجرة.

والعَضْب، أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر.

وذو الفقار، لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، ويجوز في «فائه» الفتح والكسر، وصار إليه يوم بدر، وكان للعاصي بن منبه، ....

الإسلام في شرح الفصول بأنهم يرثون، وبه جزم الفرضيون.

وذكر الواقدي: أنه ﷺ ورث من أبيه أم أيمن وخمسة أجمال وقطعة من غنم، ومولاه شقران وابنه صالحًا، وقد شهد بدرًا ومن أمه دارها بالشعب، ومن زوجته خديجة دارها بمكة بين الصفا والمروة، وأموالاً، (**وهو الذي يقال إنه قدم به المدينة في الهجرة**) وبه جزم اليعمري، (**والعضب**) بفتح المهملة، وإسكان المعجمة، فموحدة في الأصل السيف القاطع، ثم جعل علمًا لأحد الأسياف النبوية، (**أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر. وذو الفقار**) أشهر أسيافه ﷺ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وهو غير العضب، وحكى مغلطاي أنهما واحد، وسمي بذلك، (**لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر**،) وقيل سمي بذلك، لأنه كان فيه حفر صغار، والفقرة الحفرة التي فيها الودية.

وقال أبو عبيد: الفقر من السيوف ما فيه خروز، قال الأصمعي: دخلت على الرشيد، فقال: أريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار قلنا: نعم فجاء به، فما رأيت سيفًا قط أحسن منه إذا نصب لم ير فيه شيء، وإذا بطح عد فيه سبع فقر، وإذا صفيحة يمانية يحار الطرف فيه من حسنه، وكذا قال قسم في الدلائل: أن ذلك يرى في رونقه شبيهًا بفقار الحية، فإذا التمس لم يوجد، وفي رواية عن الأصمعي أحضر الرشيد يومًا ذا الفقار، فأذن لي في تقليبه، فقلبته، واختلفت أنا، ومن حضر في عدة فقاره، هل هي سبع عشرة، أو ثماني عشرة؟، (**ويجوز في، فائه الفتح، والكسر**،) كما قال اليعمري هو بكسر الفاء، وقيد أيضًا بفتحها، ومن حفظ حجة، فلا عليك ممن زعم أنه، لا يقال بالكسر، بل بالفتح، وفقر كعنب، وقد قال في النور في غزوة بني قينقاع: حكى غير واحد فيه الفتح والكسر اهـ، وقول الخطابي بفتح الفاء، والعامة تكسره إن أراد الأكثر، فصحيح، وإن أراد الجهلة فلا، (**وصار إليه يوم بدر**) من الغنيمة، كما أخرجه أحمد، والترمذي، وقال: حسن غريب، والحاكم، وصححه عن ابن عباس: أنه ﷺ تنفل ذا الفقار يوم بدر، قال الحاكم: والأخبار في أنه من خيبر واهية، (**وكان للعاصي بن منبه**،) المقتول كافرًا ببدر، وقيل كان لمنبه بن وهب، وقيل لمنبه، أو نبيه بن الحجاج، وفي كبير الطبراني بسند ضعيف، عن ابن عباس: أن الحجاج بن علاط أهداه لرسول الله ﷺ، ثم كان عند الخلفاء العباسيين، ويقال

وكان هذا السيف لا يفارقه ﷺ يكون معه في كل حرب يشهدها، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة.

والقلعي، بضم القاف وفتح اللام، وهو الذي أصابه من قلع، موضع بالبادية.

والبتار، أي القاطع.

والحتف، وهو الموت. والمخذم، وهو القاطع. والرسوب، أي يمضي في الضريبة ويغيب فيها، وهو فعول من رسب يرسب إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت.

أصابهما من الفلس ـ بضم الفاء وإسكان اللام ـ صنم كان لطيء.

أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة، فصنع منها، **(وكان هذا السيف، لا يفارقه ﷺ)** بعد أن ملكه **(يكون معه في كل حرب يشهدها،)** لأنه نادى ملك من السماء يوم بدر، يقال له رضوان: لا سيف إلاَّ ذو الفقار، ولا فتى إلاَّ علي، رواه الحسن بن عرفة في جزئه عن أبي جعفر الباقر، فإن صح القول بأنه عليه السلام أعطاه لعلي، وانتقل في أولاده، فكأنه كان يأخذه منه في الحروب، أو أنه أعطاه له عند موته، **(وكانت قائمته،)** أي مقبضه، **(وقبيعته)** بالقاف ما على طرف مقبضه، **(وحلقته)** بإسكان اللام، وفتحها لغة في السكون، وهي ما في أعلاه تجعل فيه العلاقة، **(وذؤابته)** بمعجمة، أي علاقته، كما في العيون، **(وبكراته)** حلقه التي في حليته، وهي ما يكون في وسطه، **(ونعله)** حديدته التي في أسفل غمده **(من فضة،)** قال مرزوق الصقال: أنا صقلته، فكانت قبيعته من فضة، وحلق في قيده، وبكر في وسطه من فضة، وجاء بسند حسن أن قبيعة سيفه، ونعله، وحلقًا بينهما كانت من فضة، **(والقلعي بضم القاف)** الذي في النهاية، والدر، واللب وغيرها أنه بفتح القاف، **(وفتح اللام، وهو الذي أصابه من قلع،)** بفتحتين، فعين مهملة **(موضع)** هو قلعة **(بالبادية،)** يقال لها مرج بالجيم قريب من حلوان على طريق همدان، كما في العيون.

(والبتار) بفتح الموحدة، وشد الفوقية، ثم راء، **(أي القاطع والحتف)** بفتح المهملة، وسكون الفوقية، ففاء، **(وهو الموت)** ومن، قال التحتية، فهو سبق قلم إذ هو الحور، ولا معنى له هنا.

(والمخذم) بكسر الميم، وإسكان الخاء، وفتح الذال المعجمتين، ثم ميم، **(وهو القاطع والرسوب)** بفتح الراء، وضم المهملة، وسكون الواو، فموحدة قيل إنه من السيوف السبعة التي أهدت بلقيس لسليمٰن، كما في النور، **(أي يمضي في الضريبة، ويغيب فيها، وهو فعول من رسب يرسب)** بضم السين **(إذا ذهب إلى أسفل، وإذا ثبت)** استقر، لأن ضربته تغوص في المضروب به، وتثبت فيه **(أصابهما،)** أي المخذم والرسوب **(من الفلس بضم الفاء، وإسكان اللام،)** وقيل بضمهما، وقيل بفتح الفاء، وسكون اللام، وآخره سين مهملة **(صنم كان لطيىء)**.

والقضيب.

وأما أدراعه فسبعة: ذات الفضول، بالضاد المعجمة، لطولها، أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر، وكانت من حديد، وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير، وكان ثلاثين صاعًا، وكان الدين إلى سنة.

كان الحرث قلده إياهما، فبعث المصطفى عليًا سنة تسع، فهدمه، وغنم سبيًا، وشاء، ونعمًا، وفضة، فعزل علي له ﷺ صفيا السيفين، وذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم: أنه عليه الصلاة والسلام وهبهما لعلي، وذكر أبو الحسن المدائني: أن زيد الخيل أهداهما للمصطفى، لما وفد عليه، **(والقضيب)** بفتح القاف، وكسر المعجمة، وسكون التحتية، وموحدة يطلق، بمعنى اللطيف من السيوف، وبمعنى السيف القاطع، كما في النور، وقيل إنه ليس بسيف، بل هو قضيبه الممشوق، قال العراقي:

وقيل ذا قضيبه الممشوق كان بأيدي الخلفا يشوق

وزاد اليعمري وغيره الصمصامة، ويقال له الصمصام، بفتح المهملة، وإسكان الميم فيهما، السيف الصارم الذي، لا ينثني، كان سيف عمرو بن معديكرب، وكان مشهورًا، فوهبه ﷺ لخالد بن سعيد بن العاصي، واللحيف سيف مشهور، فهذه أحد عشر، أو عشرة إن حذف منها القضيب، **(وأما أدراعه)** جمع درع، وهو القميص المتخذ من الزرد، وآثر جمع القلة، لمناسبته لقوله، **(فسبعة،)** وعبر في الترجمة بجمع كثرة، لأنه لم يذكر ثمة عددًا، فحسن تعبيره بدروعه ليفيد أن له جمعين، وذكر ابن الأثير في النهاية في س ب غ ما لفظه، ومنه الحديث.

كان اسم درع النبي ﷺ إذا السبوغ لتمامها، وسبغها، قال البرهان: فيحتمل أنها واحدة من أدراعه، لها إسمان، وأن تكون ثامنة **(ذات الفضول بالضاد المعجمة،)** قبلها فاء مضمومتين، سميت بذلك **(لطولها)** من الفضل الزيادة، **(أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر، وكانت)** كما في الصحيح عن عائشة **(من حديد، وهي التي رهنها)** بالتأنيث، لأن الدرع يذكر ويؤنث **(عند أبي الشحم)** بفتح الشين المعجمة، وسكون الحاء المهملة **(اليهودي،)** المسمى بذلك في رواية البيهقي **(على)** ثمن **(شعير)** اشتراه لأهله، ولابن حبان عن أنس أن قيمته كانت دينارًا، **(وكان ثلاثين صاعًا،)** وفي نسخة ثلثي صاع، وهي تحريف، فالذي في الصحيح عن عائشة: توفي رسول اللّه ﷺ، ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير، وعند النسائي والبيهقي أن الشعير عشرون صاعًا.

قال الحافظ: ولعله كان دون الثلاثين، فجبر الكسر تارة، وألغاه أخرى، **(وكان الدين إلى سنة،)** كما عند ابن حبان عن أنس، ولأحمد عنه، فما وجد ما يفتكها به، وذكر ابن الطلاع في

وذات الوشاح. وذات الحواشي. والسعدية، ويقال بالغين، وهي درع عكبر القينقاعي، قيل وهي درع داود التي لبسها حين قتل جالوت.

وفضة وكان قد أصابهما من بني قينقاع. والبتراء، لقصرها. والخرنق، باسم ولد الأرنب.

وكان عليه ﷺ يوم أحد درعان، ذات الفضول وفضة. وكان عليه يوم حنين درعان: ذات الفضول والسعدية.

وأما أقواسه عليه الصلاة والسلام فكانت ستة: ....

الأقضية النبوية: أن أبا بكر أفتك الدرع بعد النبي ﷺ، **(وذات الوشاح،)** بكسر الواو، وخفة الشين المعجمة، فألف، فمهملة، **(وذات الحواشي)** جمع حاشية، وهي في الأصل جانب الثوب، **(والسعدية)** بفتح السين، وجوز بعض ضمها، وإسكان العين، ودال مهملات.

قال بعضهم: منسوبة للسعد، وهي جبال معروفة، وفي معرب الجواليقي أنه بالسين، والصاد، لأنه قياس في كل سين معها حرف استعلاء، قال الشاعر:

وخافت من جبال السعد نفسي

(ويقال بـ) ضم السين، و**(الغين)** المعجمة الساكنة.

قال البرهان: وهو الذي أحفظه، قال ابن القطاع موضع يصنع به الدروع، أي ناحية بسمرقند، كما في اللب، وفي القاموس وسغدان، أي بمعجمة، كسلطان قرية ببخارى، فجوز شيخنا نسبتها إليها لكونها تعمل فيها، وفيه أنه كان، يقال سغدانية، لأن تغيير النسب يحتاج لنقل، ولا يكفي فيه التجويز، **(وهي درع عكبر القينقاعي،)** نسبة إلى بني قينقاع بتثليث النون، والضم أشهر، **(قيل وهي درع داود التي لبسها حين قتل جالوت،)** كما حكاه اليعمري ومغلطاي، **(وفضة)** بكسر الفاء، **(وكان قد أصابهما من بني قينقاع)** بطن من يهود المدينة، **(والبتراء)** بفتح الموحدة، وسكون الفوقية، والمد **(لقصرها)** سميت بذلك، **(والخرنق)** بكسر المعجمة، وإسكان الراء، وكسر النون، وقاف **(باسم ولد الأرنب،)** كما في العيون وغيرها، وهو أحد إطلاقين في القاموس ثانيهما: أنه الفتي من الأرانب، **(وكان عليه ﷺ يوم أحد درعان ذات الفضول وفضة، وكان عليه يوم حنين)** بضم المهملة آخره نون **(درعان ذات الفضول، والسعدية،)** نقله عبد الغني في السيرة عن محمد بن مسلمة الصحابي، أنه رأى ذلك على المصطفى في اليومين، وأفاد البرهان، وغيره أنه لم يظاهر بين درعين إلاَّ في اليومين، وهذه فائدة استطرادية، لا دخل لها في أسماء دروعه، **(وأما أقواسه عليه الصلاة والسلام، فكانت ستة،)**

الزوراء، وثلاث من سلاح بني قينقاع، قوس يدعى الروحاء، وقوس يدعى الصفراء، وشوحط، والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة، والسداد.

وكانت له جعبة تدعى الكافور، وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة، والإبزيم من فضة، والطرف من فضة.

وأما أتراسه، فكان له عليه الصلاة والسلام ترس اسمه: الزلوق، يزلق عنه السلاح، وترس يقال له الفتق، ....

وعدها اليعمري خمسة، فأسقط السداد، وذكر البيضاء، وأنها من شوحط، وعليه، فهما واحدة، فليست سبعة، ولا خمسة، كما يظن، وإنما هي، كما قال المصنف ستة: **(الزوراء)** اسم منقول عن الجنس، لأن الزوراء اسم للقوس، كما في القاموس، وهي بالرفع خبر لمحذوف، لا بالنصب بدل من ستة لقوله: **(وثلاث من سلاح بني قينقاع، قوس)** بدل من ثلاث **(يدعى الروحاء، وقوس يدعى الصفراء)** من نبع بفتح النون، وإسكان الموحدة، ومهملة، شجر يتخذ منه القسي، ومن أغصانها السهام، **(وشوحط)** بفتح المعجمة، وإسكان الواو فحاء مفتوحة، فطاء مهملتين ضرب من شجر الجبال، تتخذ منه القسي، كما في النور، ويقال لها، كما في العيون البيضاء، فإنما ذكر المصنف مما هي دون اسمها، **(والكتوم)** بكاف مفتوحة، ففوقية سميت بذلك، قال في العيون: لانخفاض صوتها إذا رمى عنها. **(كسرت يوم أحد)** حتى صارت شظايا من كثرة رميه عنها ﷺ حتى انحاز عنه العدوّ، **(فأخذها قتادة)** بن النعمان الأنصاري الذي أصيبت عينه يومئذٍ، فردت بكف المصطفى أحسن الرد.

(والسداد) بفتح السين علم منقول، لأنه الصواب من قول وعمل، **(وكانت له جعبة)** بفتح الجيم، والموحدة بينهما مهملة ساكنة، وهي الكنانة يجمع فيها نبله **(تدعى الكافور، وكانت له منطقة)** بكسر الميم اسم، لما يسميه الناس الحياصة **(من أديم)** جلد **(فيها ثلاث حلق من فضة)**.

(والإبزيم) بالكسر الذي في رأس المنطقة، وما أشبهه، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر، كما في القاموس **(من فضة، والطرف)** الذي يدخل في الإبزيم **(من فضة)**.

وقد ذكر ابن سعد، وغيره: أنه ﷺ يوم أحد حزم وسطه بمنطقة، وأقره اليعمري وغيره، فقول ابن تيمية لم يبلغنا أنه شد على وسطه منطقة تقصير، فابن سعد ثقة حافظ، فهو حجة على النافي، ولا سيما إنما نفى أنه بلغه، ولم يطلق النفي، فدع عنك قيل، وقال، **(وأما أتراسه، فكان له عليه الصلاة والسلام ترس اسمه الزلوق)** بفتح الزاي، وضم اللام المخففة، وسكون الواو، وقاف، سمي بذلك، لأنه **(يزلق)** بفتح اللام **(عنه السلاح، وترس يقال له الفتق)** بضم الفاء، وفتح

وترس أهدي إليه، فيه تمثال عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال.

وأما أرماحه عليه الصلاة والسلام، فالمثوي: قال ابن الأثير سمي به لأنه يثبت المطعون به، من الثواء وهو الإقامة. انتهى. والمثْنَى، ورمحان آخران.

وكانت له ﷺ حربة كبيرة تسمى البيضاء، وكانت له عليه الصلاة والسلام حربة أخرى صغيرة دون الرمح شبه العكاز، يقال لها العنزة، ....

الفوقية، وقاف، **(وترس أهدي إليه)** بالبناء للمفعول.

قال البرهان والذي أهداه، لا أعرفه، **(فيه تمثال)** صورة **(عقاب، أو كبش، فوضع يده عليه، فأذهب الله ذلك،)** كما في العيون.

وروى البيهقي عن عائشة أنها، قالت: أهدي لرسول الله ﷺ ترس فيه **(تمثال)** عقاب، أو كبش، فكرهه، فأصبح، وقد أذهبه الله، فيحتمل أنه لما كرهه وضع يده، فأصبح، وقد أذهبه الله، **(وأما أرماحه عليه الصلاة والسلام، فالمثوى)** بضم الميم، وإسكان المثلثة، وكسر الواو، ثم ياء، أي القاتل.

(قال ابن الأثير: سمي به، لأنه يثبت المطعون به،) فبينه، وبين المعنى اللغوي مناسبة **(من الثواء، وهو الإقامة اهـ، والمثنى)** بضم الميم، وإسكان المثلثة، وفتح النون، وكسرها اسم فاعل من تثنى إذا انعطف، كما في النور، ولعل وجه التسمية أنه كان لينًا، **(ورمحان آخران،)** كذا عدها مغلطاي أربعة، فتبعه المصنف على عادته، وقد عدها صاحب العيون، والهدى، والسبل والعراقي خمسة، فقال:

كان له من الرماح خمسة   من قينقاع جاءه ثلاثة
ورابع له يسمى المثويا   والخامس المثنى بذاك سميا

(وكان له ﷺ حربة كبيرة) بالنسبة للتي بعدها، وإن كانت دون الرمح أيضًا **(تسمى البيضاء، وكانت له عليه الصلاة والسلام حربة أخرى صغيرة دون الرمح)** بنصفه، عريضة النصل، لكن سنانها في أسفلها بخلاف الرمح، فإنه في أعلاه.

قال المصنف: **(شبه العكاز)** بضم العين، وشد الكاف عصا ذات زج، **(يقال لها العنزة)** بفتح المهملة، والنون، والزاي.

قال الحافظ: عصا أقصر من الرمح، يقال لها سنان، وقيل هي الحربة القصيرة، وفي رواية: كريمة العنزة عصا عليها زج بزاي مضمومة، ثم جيم مشددة، أي سنان، وفي طبقات ابن سعد:

وكانت تركز أمامه فيصلي إليها.

وكان له عليه الصلاة والسلام مغفر من حديد يسمى السبوغ، أو ذا السبوغ، وآخر يسمى الموشح.

أن النجاشي أهداها للنبي ﷺ، وهذا يؤيد أنها كانت على صفة الحربة، لأنها من آلات الحبشة.

وقد روى عمر بن شبة في أخبار المدينة من حديث سعد القرظ: أن النجاشي أهدى له ﷺ حربة، فأمسكها لنفسه، فهي التي يمشي بها مع الإمام يوم العيد، ومن طريق الليث بن سعد بلاغًا أنها كانت لرجل من المشركين، قتله الزبير بن العوام يوم أحد، فأخذها منه ﷺ، فكان ينصبها بين يديه إذا صلى، ويحتمل الجمع بأن عنزة الزبير كانت أوّلاً قبل حربة النجاشي انتهى، لكن هذا البلاغ مخالف، لما في الصحيح، أن الزبير لقي يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاصي، قال: فحملت عليه بالعنزة، فطعنته في عينه، فمات، ولقد وضعت رجلي على عينه، ثم تمطأت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفها، قال عروة: فسأله إياها ﷺ، فأعطاه، فلما قبض أخذها، ثم طلبها أبو بكر، فأعطاه إياها، فلما قبض أخذها، فسألها عمر، فلما قبض أخذها، ثم طلبها عثمٰن، فأعطاه، فلما قتل وقعت عند علي، فطلبها عبد اللّٰه بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل، فإن هذا ظاهر أنها كانت للزبير، لا للمشرك الذي قتله، وقد نقل ابن سيد الناس، وغيره أن الزبير قدم بها من الحبشة، **(وكانت)** كما في الصحيح عن ابن عمر **(تركز)** بفوقية مضمومة، وكاف مفتوحة، فزاي، أي تغرز له الحربة، **(فيصلي إليها،)** أي إلى جهتها.

وفي الصحيحين أيضًا عن ابن عمر: كان ﷺ إذا خرج إلى العيد أمر بالحربة، فتوضع بين يديه، فيصلي إليها، والناس وراءه. وكان يفعل ذلك في السفر، فمن، ثم اتخذها الأمراء، **(وكان له عليه الصلاة والسلام مغفر)** بكسر الميم، وإسكان المعجمة، وفتح الفاء، ثم راء **(من حديد،)** صفة لازمة على أنه ما نسج من زرد الدرع، أو مخصصة على أنه ما يلبس على الرأس مثل القلنسوة، وقد مر الكلام فيه غير مرة، منها في فتح مكة، **(يسمى السبوغ)** بفتح السين المهملة، وضمها، فموحدة، فواو، فغين معجمة، كما في النور، بمعنى السابغ، أي الطويل، **(أو ذا السبوغ)** بالفتح، والضم أيضًا على ما في النور، وفي القاموس ضمهما، أي ذا الطول، وهو ظاهر قول الخلاصة:

وفعل اللازم مثل قعدا   له فعول باطراد كغدا

فكأنه على الفتح استعمل بمعنى الفعل الذي هو المصدر، وهو الستر اللازم للطول، وإن كان ذلك الاستعمال قليلاً، **(وآخر يسمى الموشح،)** بضم الميم وفتح الواو، والشين المعجمة المشددة، وبالمهملة، وترك المصنف هنا من آلات الحرب اللواء، والراية، لأنه قدم الكلام

تكميل:

وكان له عليه الصلاة والسلام فسطاط يسمى الكن.

وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيرة.

وكانت له مخصرة تسمى العرجون، وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق.

وكان له قدح يسمى الريان، وآخر يسمى مغيثًا، وآخر مضبب بسلسلة من فضة في ثلاث مواضع، ....

عليهما أوائل المغازي.

وفي العيون هنا كان له راية سوداء تسمى العقاب وراية بيضاء تسمى الزينة، وربما جعل فيها الأسود، وروى أبو داود عن رجل رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء، وروى أن لواءه أبيض مكتوب عليه، لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه.

تكميل

لما كان يستعمله ﷺ، وإن لم يكن من آلات الحرب، تشتاق إلى معرفتها أنفس الطالبين، وترتاح بالمذاكرة فيها قلوب المتأدبين، وكل ما كان من باب المعرفة به، ومتصلاً بأخبار سيرته، فهو مما يؤنق الاسماع، ويهز بأرواح المحبة الطباع، وآثر آلات الحروب بالترجمة أولا، لأنها الأهم عنده، **(وكان له عليه الصلاة والسلام فسطاط)**،بضم الفاء، وكسرها، وبالطاء، والتاء مكانها، والسين بدونهما الخباء، كما في المطالع **(يسمى الكن)** بكسر الكاف، لأنه يستر من الحر والبرد، كما أشار اليعمري، **(وكان له محجن)** بكسر الميم، وإسكان المهملة، وفتح الجيم ونون عصا معوجة **(قدر ذراع، أو أكثر يمشي ويركب به، ويعلقه بين يديه على بعيره)** للاحتياج إليه، **(وكانت له مخصرة)** بكسر الميم، وإسكان المعجمة، وفتح المهملة ما يختصره بيده فيمسكه من عصا، أو عكازة، أو مقرعة، أو قضيب، وقد يتكيء عليه كذا في النور **(تسمى العرجون،)** كما قال اليعمري وغيره.

(وروى الطبراني عن ابن عباس، قال: كان للنبي ﷺ **(قضيب من الشوحط)** مر أنه من شجر الجبال **(يسمى الممشوق،)** وقال ابن عباس التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء، وكان لرسول اللّه ﷺ عصا يتوكأ عليها رواه أبو الشيخ، **(وكان له قدح يسمى الريان،)** بفتح الراء، وشد التحتية، **(وآخر يسمى مغيثا،)** بمعجمة، ومثلثة، لأنه كان يغيث الناس إذا مستهم الحاجة، فيشربون، كما رواه أبو يعلى وغيره، **(وآخر مضبب بسلسلة من فضة في ثلاث مواضع،)** والذي

وآخر من عيدان، وآخر من زجاج.

وتور من حجارة يسمى المخضب، وركوة تسمى الصادرة، ومخضب من نحاس، ومغتسل من صفر، ومدهن ....

ضببه أنس، قال: انه انشعب، فجعلت في مكان الشعب سلسلة، وفي بعض الروايات ما يوهم أن المصطفى هو الذي ضببه، وليس كذلك، كما أفاده ابن الصلاح والبيهقي ذكره النووي، **(وآخر من عيدان)** بفتح المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، والعيدانة النخلة السحوق، كما في العيون والقاموس، وحكى بعضهم كسر العين أيضًا، **(وآخر من زجاج)** مثلث الزاي، كما في النور.

قال ابن حبان بعثه إليه النجاشي، فكان يشرب منه زاد الشامي، وآخر من فخار، فيحتمل أنه من جملة ما تقدم، أو زائد عليها، **(وتور)** بالفوقية إناء **(من حجارة)** كان يتوضأ فيه، قال في الفتح شبه الطست، وقيل هو الطست، ووقع في رواية شريك عن أنس في المعراج أتى بطست من ذهب فيه ثور، وظاهره المغايرة بينهما، ويحتمل الترادف، فكأن الطست أكبر من التور **(يسمى المخضب)** بكسر الميم، وسكون الخاء، وفتح الضاد المعجمتين آخره موحدة، إجانة لغسل الثياب، أو المركن، أو إناء يغسل فيه، كذا قاله المصنف، وصريحه أن المركن غير الإجانة، والذي في الكرماني، وغيره المخضب المركن، وهو بالكسر الإجانة التي تغسل فيها الثياب انتهى.

وهو يقع على الكبير، والصغير، وهو الواقع هنا، ففي الصحيحين حضرت الصلاة، فأتى ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه، **(وركوة)** بفتح الراء، وتكسر، قاله ابن قرقول، وحكى ابن دحية تثليثها **(تسمى الصادرة،)** لأنه يصدر عنها الري، **(ومخضب من نحاس،)** كأنه عبر بالتور، لأنهم كانوا يطلقونه على ما كان من حجارة، وما هو نحاس مخضب، وإن كان كل يسمى المخصب، لكن في شرحه للبخاري التور إناء من صفر، أو حجارة، **(ومغتسل من صفر)** بضم المهملة، وكسرها أبو عبيدة، وإسكان الفاء، وبالراء صنف من جيد النحاس يعمل منه الأواني، **(ومدهن)** بضم الميم، والهاء، كما قال ابن ابن مُلك في شرح لامية أبيه، قال: وهو ما يجعل فيه الدهن الذي يدهن به مختصة به حتى لو جعل في إناء آخر لم يسم مدهنا، فعدلت العرب به عن مفعل بكسر الميم، وفتح العين إلى مفعل، بضم الميم، والعين، اشعارًا بأنه إناء، لا آلة، وكذا مدق، ومسعط، ومكحلة ومنخل. والمقصل، وهو السيف، والمحرضة، وهي كالمدهن، فهذه سبعة جاءت، بضم الميم، والعين.

قال ابن مُلك لكن لو قصد بها مقصد العمل بالآلات ساغ كسر الميم، وفتح العين، وقد

وربعة اسكندرانية يجعل فيها المرآة، ومشطًا من عاج ـ وهو الذبل ـ، والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثًا في كل عين، وكان له في الربعة أيضًا المقراض والسواك. وهذه الربعة أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية أم إبراهيم عليه السلام.

وكانت له قصعة تسمى الغراء، بأربع حلق، وصاع، ومد.

وقطيفة وسرير قوائمه من ساج، ....

سمع ذلك من بعض العرب في المدق اهـ بحروفه.

(**وربعة**) بفتح الراء، وإسكان الموحدة، وعين مهملة، كجونة العطار، بإسكان الواو، وربما همزت، وهي جلد يجعل فيه العطار الطيب، (**إسكندرانية**) نسبة إلى اسكندرية، (**يجعل فيها المرآة**) التي كان ينظر فيها، فلم تبد أوسم من وجهه ﷺ، (و) يجعل فيها (**مشطًا**) بضم الميم، مع إسكان الشين، وضمها، وكسر الميم، مع إسكان الشين، ويقال ممشط بميمين الأولى مكسورة (**من عاج**،) وهو ظهر السلحفاة البحرية، كما في المصباح قائلاً، وعليه يحمل أنه كان لفاطمة سوار من عاج، ولا يجوز حمله على أنياب الفيلة، لأن أنيابها ميتة بخلاف السلحفاة انتهى.

وعليه يحمل المشط النبوي بالأولى ومن، ثم قال المصنف: (**وهو الذبل**،) بفتح المعجمة، وإسكان الموحدة، وباللام.

قال المصباح: شيء كالعاج، وفي القاموس عظام دابة بحرية يتخذ منها الاسورة والامشاط، (و) يجعل فيها (**المكحلة**)، وكان (**يكتحل منها عند النوم ثلاثًا في كل عين، وكان له في الربعة أيضًا المقراض**) بكسر الميم، والجمع المقاريض، (**والسواك**،) بكسر السين على الأفصح، كما قاله الحافظ، والكرماني يطلق على الفعل والآلة، وهو المراد هنا، (**وهذه الربعة أهداها له المقوقس، صاحب الاسكندرية مع مارية أم إبراهيم عليه السلام**) في جملة ما أهداه وفي الألفية:

كانت له ربعة أي مربعه   كجونة يجعل فيها أمتعه

(**وكانت له قصعة**) بفتح القاف، ولا تكسرها (**تسمى الغراء**) كبيرة، (**بأربع حلق**) يحملها أربعة رجال، كما رواه أحمد وأبو داود.

قال ابن رسلان في شرحه تأنيث الاغر، مشتق من الغرة، وهي بياض الوجه، وإضاءته، ويجوز أن يراد أنها من الغرة، وهي الشيء النفيس، والمرغوب فيه، فتكون سميت بذلك لرغبة الناس فيها النفاسة ما فيها، أو لكثرة ما تشبعه.

وقال المنذري سميت غراء لبياضها بالالية، والشحم، (**وصاع ومد**) ربع الصاع، وهو رطل

وفراش من أدم حشوه ليف.

وخاتم من حديد، ملوي بفضة، وخاتم فضة فصه منه، يجعله في يمينه، وقيل: كان أولاً في يمينه ثم حول إلى يساره، منقوش عليه: محمد رسول الله.

وأهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما.

وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب، جبة ....

وثلث، (**وقطيفة**) كساء له خمل، (**وسرير قوائمه من ساج**،) أهداه إليه أسعد ابن زرارة فكان ينام عليه، ثم وضع عليه، لما مات، ثم الصديق، ثم الفاروق، ثم صار الناس يحملون عليه موتاهم تبركا به، ثم بيع في زمن بني أمية في ميراث عائشة، فاشترى ألواحه عبد اللّٰه بن إسحٰق بأربعة آلاف درهم، ذكره ابن العماد.

وفي الروض انه كان خشبات مشدودة بالليف، (**وفراش من أدم حشوة ليف**،) زاد في العيون، وكساء من شعر، وكساء أسود، ومنديل يمسح به وجهه، وسئلت حفصة ما كان فراشه ﷺ، قالت مسح نثنيه ثنيتين، فينام عليه، فلما كان ليلة ثنيته، بأربع ثنيات ليكون أوطأ، فلما أصبح، قال ما فرشتم لي؟، قلنا: هو فراشك ثنيناه أربعًا، قال: ردوه لحاله الأولى، فإنه منعتني وطأته صلاة الليل، رواه الترمذي في الشمائل، (**وخاتم من حديد ملوي بفضة**،) وخاتم من ذهب لبسه ثم طرحه، (**وخاتم فضة**) وكان كما في البخاري وغيره (**فصه منه**) بتثليث الفاء، ووهم الجوهري في جعله الكسر لحنًا، كما في القاموس.

نعم، قال الفارابي، وابن السكيت انه ردي، واطلاقه على ما كان منه مجاز، فإنه لغة ما يركب فيه من غيره، وفي مسلم كان فصه حبشيًا يعني، حجرًا حبشيًا من جذع، أو عقيق، وجمع ابن العربي، والبيهقي، والقرطبي بأن الذي فصه منه هو الفضة، والذي فصه حبشي هو الذي اتخذه من ذهب، ثم طرحه، وقيل غير ذلك، كما يأتي إن شاء اللّٰه تعالى في اللباس، وكان (**يجعله في يمينه**،) كما أخرجه البخاري، والترمذي عن ابن عمرو الترمذي عن جابر بسند ضعيف.

وفي أبي داود عن ابن عمر أنه كان يتختم في يساره، وفي مسلم عن أنس: كان خاتم النبي ﷺ في هذه، وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى، (**وقيل كان أولا في يمينه، ثم حوله إلى يساره**،) كما جاء عن ابن عمر، وبه يحصل الجمع بين الحديثين، (**منقوش عليه محمد رسول اللّٰه، وأهدى له النجاشي خفين ساذجين**،) بفتح الذال المعجمة معرب شاذة، وقال المحب الطبري، بالدال المهملة، والمعجمة بكسرهما، وفتحهما، كما في النور، (**فلبسهما**) زاد العراقي:

كذا له أربعة منها أخر أصابها من سهمه من خيبر

(**وكان له ثلاث جباب**،) بكسر الجيم جمع جبة، (**يلبسهن في الحرب**،) احداهن (**جبة**

سندس أخضر، وجبة طيالسة. وعمامة يقال لها السحاب، وأخرى سوداء، ورداء، صلوات الله وسلامه عليه.

الفصل التاسع
في ذكر خيله ولقاحه ودوابه

سندس أخضر، وجبة طيالسة،) بالإضافة، وهي الثانية، ولم يذكروا لثالثة، وفي الالفية:

له ثلاث من جباب تلبس   في الحرب إحداهن منها سندس

أخضر ثم جبة طيالسة   تغسل للمرضى وكانت ملبسة

(وعمامة، يقال لها السحاب) وهبها لعلي، كما في العيون، **(وأخرى سوداء)** دخل بها مكة يوم الفتح، كما في حديث جابر عند الترمذي، وكانت فوق المغفر، أو تحته وقاية من صدا الحديد، فلا يخالف حديث أنس في الصحيحين انه ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، **(ورداء)** مربع، طوله أربعة أذرع، وإنما اختلف في عرضه، فقيل ذراع وشبر، وقيل ذراعان وشبر، كما في العيون.

وقال الواقدي: كان رداؤه بردة طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر **(صلوات اللّه وسلامه عليه،)** ويأتي إن شاء اللّه تعالى مباحث جليلة في لباسه في المقصد الثالث.

(الفصل التاسع في ذكر خيله) مؤنث سماعي، لكنه استعمل في المذكر والمؤنث، **(ولقاحه)** بكسر اللام، وخفة القاف جمع لقحة بكسر اللام، وقد تفتح، وسكون القاف، وهي النوق ذوات الالبان إلى ثلاثة أشهر، ثم هي لبون، فلم يدخل في الترجمة، الجمال، ولا النوق غير قريبة الولادة، فلذا قال **(ودوابه،)** عطف عام على خاص، لأنها لغة ما دب على الأرض، وعرفا اسم لذوات القوائم الاربع، كما قال المحلي، فشمل الغنم أيضًا، لأنه ذكرها آخر الفصل، وقدم الخاص على العام اعتناء بذكر الخيل، لأن في نواصيها الخير، واللقاح، لأنها كرائم أموال العرب، وقد روى النسائي عن أنس لم يكن شيء أحب إلى رسول اللّه ﷺ بعد النساء من الخيل.

وروى ملك، والشيخان من طريقه عن ابن عمر، عن النبي ﷺ الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

قال ابن عبد البر: فيه تفضيل الخيل على سائر الدواب، لأنه لم يأت عنه في غيرها مثل هذا القول.

وقال عياض فيه مع وجيز لفظه من البلاغة، والعذوبة، ما لا مزيد عليه في الحسن مع

أما خيله عليه الصلاة والسلام: فالسكب، يقال: فرس سكب أي: كثير الجري كأنما يصب جريه صبًا، وأصله من سكب الماء يسكب، وهو أول فرس ملكه، اشتراه عليه السلام بعشرة أواق، وكان أغر محجلاً، طلق اليمين، كميتًا، وقال ابن الأثير: كان أدهم.

والمرتجز ـ بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء وكسر الجيم بعدها زاي ـ سمي به لحسن صهيله، مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر، وكان أبيض، وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت، فجعل شهادته بشهادة رجلين.

الجناس الذي بين الخيل، والخير، (**أما خيله عليه الصلاة والسلام، فالسكب**) بفتح السين المهملة، وإسكان الكاف، وبالموحدة، (**ويقال فرس سكب، أي كثير الجري كأنما يصب جريه صبا**).

قال الثعلبي: إذا كان الفرس شديد الجري، فهو فيض وسكب تشبيهًا بفيض الماء، وانسكابه، (**وأصله من سكب الماء يسكب**) بضم الكاف، (**وهو أول فرس ملكه اشتراه عليه الصلاة والسلام بعشرة أواق**) بالتخفيف والتشديد، جمع أوقية بالتشديد، وهي أربعون درهمًا، (**وكان أغر**) في وجهه بياض فوق الدرهم (**محجلاً**) أبيض القوائم، وجاوز بياضه الارساغ إلى نصف الوظيف، أو نحوه، وذلك موضع التحجيل، كما في المصباح (**طلق اليمين**) بفتح فسكون.

وحكى القاموس: ضم الطاء، واللام سمحهما (**كميتًا**،) بضم الكاف، قال سيبويه عن الخليل صغر، لأنه بين السواد، والحمرة، كأنه لم يخلص له واحد منهما، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب.

(**وقال ابن الأثير كان أدهم**،) أي أسود، كما أخرجه الطبراني عن ابن عباس، قال: كان للنبي ﷺ فرس أدهم يسمى السكب، (**والمرتجز بضم الميم، وسكون الراء، وفتح التاء**) الفوقية، (**وكسر الجيم بعدها زاي، سمي به لحسن صهيله**) صوته.

قال في العيون: كأنه ينشد رجزًا، (**مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر**) عند الجمهور، (**وكان أبيض، وهو**،) كما قال ابن سعد وجزم به اليعمري وغيره، (**الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت**،) الأنصاري الأوسي، وقيل الذي شهد فيه الملاوح، وقيل الطرف، وقيل النجيب، كما يأتي، (**فجعل شهادته بشهادة رجلين**،) لأن له ﷺ أن يخص من شاء بما شاء.

وفي البخاري عن زيد بن ثابت، فوجدتها، أي الآية مع خزيمة الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب:٢٣].

والظرب ـ بالظاء المعجمة ـ واحد الظراب، سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابة حافره، أهداها له فروة بن عمرو الجزامي.

أخرج ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، وابن خزيمة، والطبراني، وغيرهم من حديث خزيمة: أن النبي ﷺ اشترى فرسًا من سواء بن الحرث، فجحده، فشهد له خزيمة، فقال ﷺ: ما حملك على الشهادة ولم تكن معه حاضرًا، فقال: صدقتك بما جئت به، وعلمت انك، لا تقول إلاَّ حقًا، فقال ﷺ: «من شهد له خزيمة، أو شهد عليه، فحسبه».

ورواه أبو داود والنسائي بدون تسمية البائع، وفي مسند الحرث بن أبي أسامة من حديث النعمان بن بشير فرد ﷺ الفرس على الأعرابي، وقال: لا بارك الله لك فيها، فأصبحت من الغد شائلة برجلها، أي ماتت، وهذه ترد على تعيين كونه من أفراسه المعلومة المعينة باسمائها.

قال الخطابي: هذا الحديث حمله كثير على غير محملة، وإنما وجهه انه ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه، وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد، لقوله والاستظهار على خصمه، فصار في التقدير بشهادة اثنين في غيرها من القضايا، كذا قال وفيه نظر، فإن قوله من شهد له خزيمة، أو شهد عليه، فحسبه يأبى ذلك.

وفي رواية ابن أبي عمر العدني، شيخ مسلم في مسنده، فأجاز النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين حتى مات خزيمة، وفي مسند الحرث، فلم يكن في الإسلام من تجوز شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة، فهذا كله ظاهر في تخصيصه بذلك دائمًا، لا لمجرد الحكم بعلمه، وساء هذا صحابي من وفد محارب، وقد أخرج ابن منده، وابن شاهين عن المطلب بن عبد الله، قال: قلت لبني الحرث بن سواء أبوكم الذي جحد بيعة رسول الله ﷺ، قالوا: لا تقل ذلك، فلقد أعطاه بكرة، وقال له إن الله سيبارك لك فيها، فما أصبحنا نسوق سارحًا، ولا بارحًا إلاَّ منها، **(والظرب بالظاء المعجمة)** المفتوحة، وكسر الراء وبالموحدة، كما اقتصر عليه البرهان، ويقال بكسر أوله، وسكون الراء، وقدمه الشامي **(واحد الظراب)**، وهي الجبال الصغار، **(سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته، وصلابة حافره)** ووجه التسمية ظاهر على القولين، **(أهداها له)** أنثه بعد أن ذكره، لأن الفرس يجوز تذكيره، وتأنيثه، وكأنه جمع بينهما لاحتمال كون كل منهما مذكرًا ومؤنثًا.

(فروة بن عمرو) على الأشهر، كما في الإصابة، ويقال ابن عامر، ويقال ابن نفاثة بضم النون، وخفة الفاء، فألف فمثلثة، وصححه بعضهم لثبوته في مسلم.

وقيل نعامة بفتح النون، وعين، وميم، وقيل نباتة بموحدة، وبعد الألف فوقية، **(الجزامي)** عامل قيصر على من يليه من العرب، وكان منزله معان، وما حولها من الشام، أسلم، لما

واللحيف ـ بالمهملة ـ أهداها له ربيعة بن أبي البراء، سمي به لسمنه ......

بعث ﷺ إليه يدعوه وكتب إليه بإسلامه، ولم ينقل أنه اجتمع به، فلما بلغ الروم إسلامه قتلوه.

ذكره ابن إسحٰق، وجزم به في الإصابة، وقال عياض: اختلف في إسلامه، فقال الطبري أسلم وعمر طويلاً، وقال غيره لم يسلم، ويقال الذي أهدى الظرب ربيعة بن أبي البراء، ويقال جنادة بن المعلي، **(واللحيف)** رواه البخاري من طريق أبي بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده سهل بن سعد، قال كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس، يقال له اللحيف، وقد انتقد الحافظ أبو الحسن الدارقطني على البخاري اخراج هذا الحديث في الصحيح بأن أبيا ضعفه أحمد، وابن معين، وقال النسائي ليس بالقوى، وغاية ما أجاب به الحافظ في مقدمة الفتح أن، قال تابعه عليه أخوه عبد المهيمن بن العباس، **(بالمهملة)** والتصغير، قال ابن قرقول، وضبطوه عن ابن سراج بوزن رغيف.

قال الحافظ، ورجحه الدمياطي، وبه جزم الهروي **(أهداها له ربيعة بن أبي البراء)** واسمه عامر بن مُلك العامري، يعرف عامر بملاعب الاسنة، ذكره ابن سعد عن الواقدي، وقال في الإصابة ربيعة بن ملاعب الاسنة عامر بن مُلك بن جعفر بن كلاب الكلابي، ثم الجعفري لم أر من ذكره في الصحابة إلاَّ ما قرأت في ديوان حسان تصنيف أبي سعيد السكري، وروايته عن أبي جفر بن حبيب، وقال حسان لربيعة بن عامر، وهو ملاعب الاسنة يحرض ربيعة بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء:

ألاَّ من مبلغ عني ربيعًا فما أحدثت في الحدثان بعدي
أبوك أبو الفعال أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد
بنى أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد
تحكم عامر بأبي براء ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيغسل عن أبي هذه العذرة أن أضرب عامرًا ضربة، أو طعنة، قال: نعم، فرجع فضرب عامرًا ضربة أشواه بها، فوثب عليه قومه، فقالوا لعامر اقتص، فقال: قد عفوت ورأيت له رواية عن أبي الدرداء، فكأنه عمر في الإسلام انتهى، فقول البرهان، لا أعلم لربيعة إسلامًا، ولا ترجمة، ويقع في مكان آخر ربيعة بن البراء، فليحرر تقصير، وقد تحرر أن الصواب إثبات أبي لنقل ابن سعد وغيره، أن اسمه عامر، فمن قال ابن البراء سقطت عليه أداة الكنية، وأبوه أبو براء هذا من مشاهير العرب، اختلف في إسلامه، وصحبته، كما قدمته في بئر معونة، ويروى أنه عليه السلام إثاب ربيعة عليه فرائض.

وعند ابن سعد أن الذي أهداها له فروة بن عمر والجذامي المتقدم قريبًا **(سمي به لسمنه،**

وكبره، كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله، فعيل بمعنى فاعل، يقال لحفت الرجل باللحاف: طرحته عليه، ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة، رواه البخاري ولم يتحققه، والمعروف بالحاء المهملة، قاله في النهاية.

واللزاز، سمي به لشدة تلززه، أو لاجتماع خلقه، ولزبه الشيء أي لزق به، كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته، وهذه أهداها له المقوقس.

والورد، ....

وكبره).

وقال الهروي لطول ذنبه، وهو الأنسب بقوله: (**كأنه يلحف الأرض، أي يغطيها بذنبه لطوله فعيل، بمعنى فاعل، يقال ألحفت الرجل باللحاف طرحته عليه، ويروى بالجيم**).

قال في الفتح سبق ابن الأثير إلى ذلك صاحب المغيث، وقال فإن صح، فهو سهم عريض النصل، كأنه سمي بذلك لسرعته، (**وبالخاء المعجمة رواه البخاري**) تعليقًا (**ولم يتحققه،**) فقال بعد أن روى حديث سهل، بإسناده السابق، وقال بعضهم اللخيف، قال الحافظ: يعني بالخاء المعجمة وحكوا فيه الوجهين، يعني التصغير والتكبير، وهي رواية عبد المهيمن أخي أبي.

وحكى سبط ابن الجوزي أن البخاري قيده بالتصغير والمعجمة، قال وكذا حكاه ابن سعد عن الواقدي، (**والمعروف بالحاء المهملة**) حتى قيل، لا وجه لضبطه بالمعجمة، (**قاله**) المبارك أبو السعادات بن الأثير (**في النهاية**).

وحكى البلاذري الخليف بتقديم الخاء على اللام، وقال عياض بالأول، يعني المهملة ضبطناه عن عامة شيوخنا، وبالثاني عن أبي الحسين اللغوي.

وحكى ابن الجوزي أنه روي بالنون بدل اللام من النحافة، (**واللزاز**،) بكسر اللام، وزاءين معجمتين خفيفتين، رواه ابن منده من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده، قال: كان لرسول الله ﷺ عند سعد والد سهل ثلاثة أفراس، فسمعت النبي ﷺ يسميهن لزاز، والظرب واللخيف، أي بالخاء المعجمة، وهي التي حكاها البخاري عن بعضهم، كما في الفتح، (**سمي به لشدة تلززه، أو**) يعني، وقيل (**لاجتماع خلقه**،) والملزز المجتمع الخلق، كما في العيون، (**ولز به الشيء، أي لزق به**،) بكسر الزاي، (**كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته**).

قال السهيلي: معناه، لا يسابق شيئًا إلاَّ لزه، أي أثبته، (**هذه أهداها له المقوقس**) جريج بن مينا القبطي في جملة ما أهدى قبل، وكان ﷺ معجبًا به، وكان تحته يوم بدر ورد، بأن بدرًا في العام الثاني، وبعثه للملوك كان في غرة سنة سبع، (**والورد**) بفتح الواو، وسكون الراء لون بين

قال ابن سعد: أهداها له تميم الداري، فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمل عليه في سبيل الله تعالى، ثم وجده يباع برخص فقال: لا تشتره.

وسبحة، بالموحدة، من قولهم: فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري. قال ابن سيرين: هي فرس شقراء اشتراها من أعرابي.

فهذه سبعة متفق عليها:

وذكر ابن بنين فيما حكاه الحافظ الدمياطي: البحر، في خيله عليه الصلاة والسلام، قال: وكان اشتراه من تجار قدموا به من اليمن، فسبق عليه مرات، ....

الكميت والأشقر شبه بالورد المشموم.

(قال ابن سعد) عن الواقدي بسنده عن سهل بن سعد **(أهداها له تميم الداري، فأعطاه)** ﷺ **(عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمل)** عمر **(عليه في سبيل الله تعالى، ثم وجده يباع برخص،)** فأراد شراءه، **(فقال:)** ﷺ **(لا تشتره)**.

وفي الموطأ والصحيحين عن عمر حملت على فرس في سبيل الله، فأضاعه الذي كان عنده، فأردت أن أشتريه منه، وظننت أنه بائعه برخص، فسألت عن ذلك النبي ﷺ، فقال: لا تشتره، وإن أعطاكه بدرهم واحد، فإن العائد في صدقته، كالكلب يرجع في قيئه.

قال الحافظ: لا ويعارضه ما أخرجه مسلم، ولم يسق لفظه، وساقه أبو عوانه في مستخرجه أن عمر حمل على فرس في سبيل الله، فأعطاه رسول الله ﷺ رجلاً، لأنه يحمل على أن عمر، لما أراد أن يتصدق به فوّض إلى رسول الله اختيار من يتصدق به عليه، أو استشاره من يحمله عليه، فنسبت إليه العطية لكونه أمر بها، **(وسبحة)** بفتح المهملة، و**(بالموحدة)** الساكنة، وحاء مهملة مفتوحة، ثم تاء تأنيث **(من قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجرى،)** وسبح الفرس جريه، كما قال اليعمري، وزاد غيره، أو من سبح إذا علا علوًّا في اتساع مده، ومنه سبحان الله عظمته وعلوّه، **(قال ابن سيرين: هي فرس شقراء اشتراها من أعرابي، فهذه سبعة متفق عليها)** جمعها البدر بن جماعة في بيت هو:

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب ... لزاز مرتجز ورد لها أسرار

(وذكر) عبد الغني بن سليمن **(ابن بنين)** بفتح الموحدة، وكسر النون المصري، وإليه انتهى علوّ الإسناد بها، **قال الحافظ** في التبصير: محدث مشهور حدثونا عن أصحابه، مات سنة إحدى، وستين وستمائة، **(فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه الصلاة والسلام، قال: وكان اشتراه من تجار قدموا به من اليمن، فسبق عليه مرات،)** لأنه ﷺ كان يسابق بين

فجثنا ﷺ على ركبتيه ومسح وجهه وقال: ما أنت إلا بحر، فسمي بحرًا. قال ابن الأثير: وكان كميتًا وكان سرجه دفتان من ليف.

والسجل، بكسر السين المهملة وسكون الجيم، ذكره علي بن محمد بن حنين بن عبدوس الكوفي، ولعله مأخوذ من قولك سجلت الماء فانسجل، أي صببته فانصب.

وذو اللمة ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ ذكره ابن حبيب.

وذو العقال بضم العين المهملة وتشديد القاف، وحكى بعضهم تخفيفًا.

الخيل، كما في الصحيح، **(فجثنا ﷺ على ركبتيه، ومسح وجهه)** الفرس، **(وقال: ما أنت إلاَّ بحر، فسمي بحرًا)** لسرعة جريه شبه بالبحر الذي، لا ينقطع ماؤه، وهذا إن صح غير ما أخرجه الشيخان عن أنس، قال: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي ﷺ فرسًا من أبي طلحة، يقال له المندوب، فركبه، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فلما رجع، قال: ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحر، أو جاء الحديث بألفاظ أخر بنحوه، لأن هذا لأبي طلحة، واسمه المندوب بخلاف ذاك اشتراه من تجار، واسمه البحر.

(قال ابن الأثير: وكان كميتًا، وكان سرجه دفتان من ليف،) بالألف على لغة من يلزمه المثنى، أو سرجه بالنصب، ودفتان اسمه، والإخبار بالمعرفة عن النكرة جائز في أخبار الناسخ كقوله:

يكون مزاجها عسل وماء

والأولى أن اسم كان ضمير الشأن، والجملة بعده خبرية في محل النصب، **(والسجل بكسر السين المهملة، وسكون الجيم)** بعدها لام، **(ذكره علي بن محمد بن حنين)** اسم بلفظ الوادي المذكور في القرءان **(ابن عبدوس الكوفي، ولعله مأخوذ من قولك سجلت الماء، فانسجل، أي صببته، فانصب،)** وبه جزم بعضهم، **(وذو اللمة بكسر اللام، وتشديد الميم ذكره)** أبو جعفر محمد **(بن حبيب)** الأخباري النسابة، وحبيب قيل إنه اسم أمه، فلا يصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي، ورد ذلك بأنه اسم أبيه، وهو حبيب بن المحبر معروف، فهو مصروف، كما في الروض، قال في العيون: واللمة بين الوفرة، والجمة، فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن، فهو وفرة، فإن زادت حتى ألمت بالمنكبين، فهي لمة، فإن زادت، فهي جمة.

(وذو العقال بضم العين المهملة، وتشديد القاف، وحكى بعضهم تخفيفًا،) وساوى بينهما في العيون، فقال وبعضهم يشدد قافه، وبعضهم يخففها، وهو ظلع في قوائم الدواب.

والسرحان ـ بكسر السين المهملة وسكون الراء ـ ذكره ابن خالويه.

والطرف ـ بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ـ ذكره ابن قتيبة في المعارف، وذكر في رواية أنه الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له خزيمة بن ثابت.

والمرتجل ـ بكسر الجيم ـ ذكره ابن خالويه، من قولهم ارتجل الفرس ارتجالاً، إذا خلط العنق بشيء من الهملجة.

والمرواح ـ بكسر الميم ـ من أبنية المفاعلة ـ كالمطعام ـ مشتق من الريح، أو من الرواح لتوسعه في الجري، أهداه له قوم من مذحج، ذكره ابن سعد.

وملاوح، ـ بضم الميم وكسر الواو ـ ذكره ابن خالويه.

والمندوب، ذكره بعضهم في خيله ﷺ.

(**والسرحان بكسر السين المهملة، وسكون الراء،**) والسرحان الذئب وهذيل تسمي الأسد سرحانًا، قاله اليعمري، (**ذكره ابن خالويه**) الحسين بن أحمد الإمام، المشهور المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة، (**والطرف بكسر الطاء المهملة، وسكون الراء، بعدها فاء،**) وهو الكريم الآباء، والأمهات كلا طرفيه كريم.

(**ذكره**) عبد الله بن مسلم (**بن قتيبة**) الدينوري، المتوفى سنة سبع وستين ومائتين (**في المعارف،**) ووقع في القاموس، وككتف فرس للنبي ﷺ (**وذكر في رواية أنه الذي اشتراه من الأعرابي،**) ثم جحده، (**وشهد له خزيمة بن ثابت**) بأنه باعه، (**والمرتجل**) بضم الميم، وسكون الراء، وفتح الفوقية و(**بكسر الجيم**)، وباللام، (**ذكره ابن خالويه من قولهم ارتجل الفرس ارتجالاً إذا خلط العنق**) بفتح المهملة، والنون أن يباعد بين خطاه، ويتوسع في جريه (**بشيء من الهملجة،**) وهي مقارنة الخطا مع الإسراع، (**والمرواح بكسر الميم**) وإسكان الراء، فواو، فألف، فحاء مهملة (**من أبنية المفاعلة**) للمبالغة، (**كالمطعام مشتق من الريح،**) وأصله الواو سمي به (**لسرعته،**) كالريح، (**أو من الرواح لتوسعه في الجري،**) أو من الراحة، لأنه يستراح به. (**أهداه له قوم من مذحج**) بفتح الميم، وسكون المعجمة، وكسر المهملة، وجيم، (**ذكره ابن سعد**) محمد الحافظ الشهير. (**وملاوح بضم الميم، وكسر الواو،**) فحاء مهملة، (**ذكره ابن خالويه. والمندوب**) من ندبه، فانتدب، أي دعاه، فأجاب، (**ذكره بعضهم،**) وهو ابن عساكر (**في خيله ﷺ،**) قال ابن الأثير: أي المطلوب سمي بذلك من الندب، وهو الرهن عند السباق، وقيل لندب كان في جسمه، وهو أثر الجرح.

والنجيب، ذكره ابن قتيبة، وأن في رواية: أنه الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له خزيمة.

واليعبوب واليعسوب ذكرهما قسم بن ثابت في كتاب الدلائل، وكان سرجه دفتاه من ليف.

وقال عياض: يحتمل أنه لقب، أو اسم لغير معنى كسائر الأسماء، (**والنجيب**) بوزن كريم ومعناه (**ذكره ابن قتيبة، وأن في رواية أنه الذي اشتراه من الأعرابي، وشهد له خزيمة**) بن ثابت، (**واليعبوب**) بفتح التحتية، وسكون المهملة، وموحدتين، بينهما واو الفرس الجواد، وجدول يعبوب شديد الجري، (**واليعسوب**) وهو طائر أطول من الجرادة، لا يضم جناحيه إذا وقع، كما في الشامية، قال اليعمري: وهو أيضًا أمير النحل، والسيد يعسوب قومه، واليعسوب غرة تسطيل في وجه الفرس انتهى.

(**ذكرهما قسم بن ثابت**) بن حزم الأندلسي الفقيه المالكي، المحدث المقدم في المعرفة بالغريب والنحو والشعر، المشارك لأبيه في رحلته وشيوخه الورع، الناسك، مجاب الدعوة، المتوفى سنة اثنتين وثلاثمائة (**في كتاب الدلائل**) فيما أغفل أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث، مات قسم، ولم يكمله، فتمه أبوه ثابت الحافظ الشهير، (**وكان سرجه دفتاه**) بفتح الدال جانباه (**من ليف**) مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب خبر كان، وفي نسخة دفتان بنون بدل الضمير، وفيه ما مر واعلم أنه سقط في غالب النسخ من قوله، والسجل حتى هنا، وذكره أتم فائدة، وهو ثابت عند غير المصنف، وما أظنه إلاَّ سقط من أحد الكتبة سهوًا، فتبعه الناسخون منه إذ الترجمة في ذكر خيله، وهذه ظاهرها العموم، وذكر السهيلي الضريس بفتح الضاد المعجمة، وكسر الراء، وتحتية، وسين مهملة، وتبعه اليعمري، والعراقي، وزاد الشحا بفتح المعجمة، وشد المهملة، والقصر.

قال اليعمري: من قولهم فرس بعيد الشحوة، أي بعيد الخطوة، والأبلق، وهو الذي فيه بياض، وسواد حمل عليه بعض أصحابه. والأدهم، أي الأسود، وزاد بعضهم اليعسوب بتقديم العين على الياء.

قال ابن بطال: معلوم أن المدينة لم تخل من أناث الخيل، ولم ينقل عن النبي ﷺ، ولا جملة أصحابه أنهم ركبوا غير الفحول إلاَّ ما ذكر عن سعد بن أبي وقاص، قال في الفتح: كذا، قال: وهو محل توقف، وقد روى الدارقطني أن فرس المقداد كان أنثى، وفي البخاري عن راشد بن سعد الدمشقي، التابعي الوسط، قال: كان السلف يستحبون الفحولة، لأنها أجرى،

وكان له عليه الصلاة والسلام من البغال:
دلدل: بدالين مهملتين، وكانت شهباء أهداها له المقوقس.
وفضة: أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.
وأخرى: أهداها له ابن العلماء، ....

وأجسر.

وروى الوليد بن مسلم في الجهاد عن عبادة بن نسي بنون، ومهملة مصغر، وعن ابن محيرير. أنهم كانوا يستحبون أناث الخيل في الغارات والبيات، ولما خفي من أمور الحرب، ويستحبون الفحول في الصفوف والحصون، ولما ظهر من أمور الحرب.

وروي عن خالد بن الوليد أنه كان، لا يقاتل إلاَّ على أنثى، لأنها تدفع البول، وهي أقل صهيلاً، والفحل يحبسه في جريه حتى ينفتق، ويؤذي بصهيله، **(وكان له عليه الصلاة والسلام من البغال دلدل بدالين مهملتين)** مضمومتين ولامين أولاهما ساكنة، **(وكانت شهباء)** بياضها غالب على سوادها، ومن ثم أطلق عليها عمرو بن الحرث الصحابي أنها بيضاء، كما في الصحيح وغيره، وقال بعضهم: كانت بيضاء، وقيل شهباء.

قال في التحفة: وزعم بعض اللغويين في نحو الحمار، والجمل، والبغل، أنه يطلق على الذكر والأنثى شاذ، أو خفي وإن بنى على ذلك أنه لو حلف، لا يركب بغلاً، أو بغلة حنث في كل بهما، وأن بغلته ﷺ دلدل الباقية إلى زمن معٰوية أنثى، كما أجاب به ابن صلاح، أو ذكر، كما نقل عن إجماع أهل الحديث، ويدل له قوله عليه الصلاة والسلام: أبرك دلدل، ولم يقل ابركي، **(أهداها له المقوقس)** قيل، وهي أول بغلة رؤيت في الإسلام، وكان ﷺ يركبها في السفر، وعاشت بعده حتى كبرت، وسقطت أسنانها، وكان يجش لها الشعير، وعميت، وماتت بينبع.

وفي تاريخ ابن عساكر من طرق أنها بقيت حتى قاتل علي عليها الخوارج في خلافته، وفي البخاري، وغيره، عن عمرو بن الحرث ما ترك ﷺ إلاَّ بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا تركها صدقة.

قال شراحه: هي دلدل، لأن أهل السير لم يذكروا بغلة بقيت بعده سواها، **(وفضة)** بمنع الصرف للعلمية والتأنيث، **(أهداها له فروة بن عمرو الجذامي)** فوهبها لأبي بكر رواه ابن سعد، وكانت بيضاء، وهي التي كان عليها يوم حنين، كما في مسلم عن العباس، وعنده عن سلمة كانت شهباء، ولا منافاة، وقيل كان على دلدل ذكره ابن سعد، وغيره، وجمع القطب الحلبي باحتمال أنه ركب كلاً منهما يومئذٍ، كما مر مبسوطًا، **(وأخرى أهداها له ابن العلماء)** بفتح العين

صاحب أيلة. وأخرى من دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي.

قيل: وأهدى له كسرى بغلة أخرى، وفي ذلك نظر، لأن كسرى مزق كتابه ﷺ.

المهملة، وإسكان اللام، وبالمد تأنيث الأعلم، مشقوق الشفة العليا، قاله القرطبي **(صاحب أيلة)** بفتح الهمزة، وسكون التحتية، مدينة على ساحل البحر بين مصر ومكة، قاله أبو عبيدة، وقال غيره: هي آخر الحجاز، وأول الشام.

روى مسلم في حديث أبي حميد، وجاء رسول ابن العلماء، صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب، وأهدى له بغلة بيضاء، وعند ابن إسحٰق، ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه يحنة بن روبة، صاحب أيلة، فصالحه، وأعطاه الجزية، وكذا رواه إبراهيم الحربي في الهدايا من حديث علي، قال في فتح الباري: فاستفيد من هذا اسمه، واسم أبيه، ولعل العلماء اسم أمه، ويحنة بضم التحتانية، وفتح المهملة، وتشديد النون، وروبة بضم الراء، وسكون الواو، بعدها موحدة انتهى، فقول الحافظ البرهان: لا أعرف اسم ابن العلماء، ولا أعرف له إسلامًا، تقصير شديد، وقد مر شيء من ذلك في تبوك، وفي المكاتبات، وذكر بعضهم أنه ﷺ أهدى إليه بردًا، وإن حكمة ذلك أنه، لما أهدى إليه ما يعلو المصطفى عليه، وهو البغلة، وكانت طويلة مخندفة، حسنة السير، فأعجبته أهدى له ما يعلو عليه، أي على يحنة، وهو البرد ليكون العلو له ﷺ في الطرفين، **(وأخرى من دومة الجندل)** أهداها له صاحبها، وهو أكيدر بن عبد الملك النصراني، اختلف في إسلامه، والأكثر، وهو الأصح أنه لم يسلم، وأن خالد بن الوليد قتله على نصرانيته في خلافة أبي بكر، كما مر مفصلاً في تبوك، وفي المكاتبات، **(وأخرى من عند النجاشي)**.

روى أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ، عن ابن عباس أهدى النجاشي إلى رسول الله بغلة، فكان يركبها، **(قيل، وأهدى له كسرى بغلة أخرى)** أخرجه الثعالبي في تفسيره، والحاكم في مستدركه عن ابن عباس، أن كسرى أهدى للنبي ﷺ بغلة، فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، **(وفي ذلك نظر)** كما قال الحافظ الدمياطي، قال: **(لأن كسرى مزق كتابه ﷺ)** فبعيد أن يهدي له، وأجيب باحتمال أن الذي أهداها له شيرويه ولده، أو ابن عمه كسرى بن قباذ، أو أردشير بن شيرويه، أو جرهان، فإن هؤلاء كلهم ملكوا بعد قتل ابرويز، ثم ملك بعدهم بوران بنت كسرى، كما ذكره ابن قتيبة، قلت على أنه لا يلزم من تمزيق الكتاب أن لا يهدي إليه، فإنه مزقه لما ورد عليه لسورة الملك والشقاوة التي كتبت عليه، فيحتمل أنه لما خلا بنفسه خاف لاستيقانه نبوته فأهدى له البغلة، والعلم عند الله فهذه ست، وزاد بعضهم سابعة تسمى حمارة شامية، رواه ابن السكن عن بسر بضم الموحدة، وسكون المهملة والد عبد الله

وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير: عفير، أهداه له المقوقس، ويعفور أهداه له فروة بن عمرو والجذامي، ويقول: هما واحد، وذكر أن سعد بن عبادة أعطى للنبي ﷺ حمارًا فركبه.

الحارثي، واستدل بهذا على جواز اتخاذ البغال، وإنزاء الحمر على الخيل، وأما حديث علي أن النبي ﷺ، قال: إنما يفعل ذلك الذين، لا يعلمون.

أخرجه أبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان، فقال الطحاوي: أخذ به قوم فحرموا ذلك، ولا حجة فيه، لأن معناه الحض على تكثير الخيل، لما فيها من الثواب، وكأن المراد لا يعلمون الثواب المرتب على ذلك، **(وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير عفير)**.

قال الحافظ: بالمهملة، والياء مصغر مأخوذ من العفرة، وهو لون التراب، كأنه سمي بذلك للونه، والعفرة حمرة يخالطها بياض، وهو تصغير أعفر، أخرجوه عن بناء أصله، كما قالوا سويد في تصغير أسود، ووهم من ضبطه بالغين المعجمة.

روى البخاري عن معاذ: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقول له عفير، فقال: يا معاذ هل تدري ما حق اللَّه على عباده، وما حق العباد على اللَّه؟ قلت: اللَّه ورسوله أعلم، قال: فإن حق اللَّه على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على اللَّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فقلت: يا رسول اللَّه، أفلا أبشر الناس، قال: لا تبشرهم، فيتكلوا **(أهداه له المقوقس)** في جملة الهدايا، **(ويعفور)** بسكون المهملة، وضم الفاء مصروف، قال الحافظ وغيره: هو اسم ولد الظبي، كأنه سمي بذلك لسرعته، وقيل تشبيهًا في عدوه باليعفور، وهو الخشف، أي ولد الظبي، وولد البقرة الوحشية، **(أهداه له فروة بن عمرو الجذامي)** قال الواقدي: نفق يعفور، أي مات منصرف رسول اللَّه ﷺ من حجة الوداع، وبه جزم النووي عن ابن صلاح، وقيل طرح نفسه في بئر لأبي الهيثم ابن التيهان يوم مات ﷺ، فكانت قبره، وقع ذلك في حديث طويل ذكره ابن حبان في الضعفاء، وقال: لا أصل له، وليس سنده بشيء، وفيه أنه غنمه من خيبر، وكان اسمه يزيد بن شهاب، وقد ساقه المصنف في المعجزات.

وروى الطيالسي وابن سعد عن ابن مسعود، قال: كانت الأنبياء يلبسون الصوف، ويحلبون الشاة، ويركبون الحمير وكان لرسول اللَّه ﷺ حمار، يقال له عفير، ثم المشهور، كما في الألفية، وهو قول الجمهور أنهما اثنان، **(ويقول: هما واحد،)** قال في الفتح: زعمه ابن عبدوس، وقواه صاحب الهدى، ورده الدمياطي، فقال عفير: أهداه المقوقس، ويعفور فروة بن عمرو، وقيل بالعكس **(وذكر أن سعد بن عبادة)** لسيد الخزرج **(أعطى للنبي ﷺ حمارًا، فركبه)**.

روى يحيى بن منده في كتاب أسماء من أردفه النبي ﷺ خلفه، أنه ﷺ زار سعدًا ماشيًا،

وكان له عليه الصلاة والسلام من اللقاح: القصواء وهي التي هاجر عليها، والعضباء والجدعاء، ولم يكن بهما عضب ولا جدع، وإنما سميتا بذلك، ....

فأركبه في رجوعه حمارًا، وأرسل قيس بن سعد معه، فأردفه ﷺ خلفه، فلما وصل إلى بيته أراد أن يرد الحمار، فقال: هو لك هدية، وزاد في الشامية حمارًا رابعًا أعطاه له بعض الصحابة، **(وكان له عليه الصلاة والسلام من اللقاح)** بكسر اللام فقط، وخفة القاف جمع لقحة بكسر اللام، وفتحها، وهي الناقة القريبة العهد بالولادة إلى ثلاثة أشهر، ثم هي بعد الثلاثة لبون، وجاء اللقحة في البقر، والغنم أيضًا، كما ذكره البرهان في غزوة الغابة **(القصواء)** بفتح القاف، والمد على غير قياس، والقياس القصر، كما وقع في بعض نسخ أبي ذر، والقصو قطع طرف الأذن، وقد قيل كان طرف أذنها مقطوعًا.

وزعم الداودي شارح البخاري أنها كانت، لا تِسبق، فقيل لها القصواء، لأنها بلغت من السبق أقصاه.

قال عياض: ووقع في رواية العذري في مسلم بالضم، والقصر، وهو خطأ، وقال الخطابي أكثر أصحاب الحديث يقولون بالضم، والقصر، وهو خطأ فاحش إنما القصوى تأنيث الأقصى، كالسفلى تأنيث الأسفل، **(وهي)** كما قال الواقدي: وتبعه غير واحد من الحفاظ **(التي هاجر عليها،)** اشتراها من أبي بكر بثمانمائة درهم، وكانت من نعم بني قشير، وعاشت بعده ﷺ، وماتت في خلافة أبي بكر، وكانت مرسلة ترعى بالبقيع.

ذكره الواقدي، وعند ابن إسحٰق أن التي هاجر عليها الجدعاء، وكانت من إبل بني الحريش، وكذا في رواية البخاري في غزوة الرجيع، وابن حبان عن عائشة، وهو أقوى إن لم نقل أنهما واحدة، وكان على القصواء يوم الحديبية، ويوم الفتح دخل عليها مردفًا أسامة.

(والعضباء) بفتح المهملة، وسكون المعجمة، بعدها موحدة، ومدهى المقطوعة الآذان، أو المشقوقتها.

وقال ابن فارس: كان ذلك لقتالها، وقال الزمخشري: العضباء منقول من قولهم ناقة عضباء، أي قصيرة القد.

(والجدعاء) بفتح الجيم، وإسكان الدال المهملة، كما ضبطه المصنف، وغيره في شرح الصحيح، وهو الذي في اللغة، فقول الشامي: المعجمة سبق قلم بعدها عين مهملة هي المقطوعة الأنف، أو الأذن، أو الشفة، **(ولم يكن بهما عضب، ولا جدع، وإنما سميتا بذلك،)** قاله ابن فارس، وتبعه ابن الأثير، وغيره محتجين بقول أنس في الصحيح تسمى العضباء، وقوله، ويقال

وقيل كان بأذنها عضب، وقيل: العضباء والجدعاء واحدة، والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام: «إن حقًا على الله أن لا يرفع من الدنيا شيئًا إلا وضعه».

لها العضباء، ولو كانت تلك صفتها لم يحتج لذلك، (**وقيل كان بأذنها عضب**) وبه صدر في الفتح، وقابله بقول ابن فارس، وبقول غيره كانت مشقوقة الأذن، (**وقيل العضباء والجدعاء واحدة،**) قال في الفتح: اختلف هل العضباء هي القصواء، أو غيرها، فجزم الحربي بالأول، وقال: تسمى العضباء والقصواء والجدعاء، وروى ذلك ابن سعد عن الواقدي، وقال غيره: بالثاني، وقال: الجدعاء كانت شهباء، وكان، لا يحمله عند نزول الوحي غيرها انتهى، وعلى الأول جرى العراقي في قوله:

عضباء جدعاء هما القصواء

لكن روى البزار عن أنس خطبنا النبي ﷺ على العضباء، وليست بالجدعاء، قال السهيلي: فهذا من قول أنس أنها غير الجدعاء، وهو الصحيح، (**والعضباء هي التي كانت، لا تسبق،**) أخرج البخاري عن أنس، قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تسبق، (**فجاء أعرابي،**) قال الحافظ: لم أقف على اسمه بعد التتبع الشديد (**على قعود له**) بفتح القاف ما استحق الركوب من الإبل، قال الجوهري: هو البكر حتى يركب؟، وأقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن يدخل السادسة، فيسمى جملاً.

وقال الأزهري: لا يقال إلاَّ للذكر، ولا يقال للأنثى قعودة، وإنما يقال لها قلوص، قال: وقد حكى الكسائي في النوادر قعودة للقلوص، وكلام الأكثر على غيره، وقال الخليل القعود من الإبل ما يعده الراعي لحمل متاعه، والهاء فيه للمبالغة، (**فسبقها**) وعند أبي نعيم: فسابقها، فسبقها، وللنسائي سابق رسول الله ﷺ أعرابي، فسبقه، (**فشق ذلك على المسلمين**) حتى عرفه، كما في البخاري، أي عرف أثر المشقة، (**فقال عليه الصلاة والسلام**) وللبخاري في الرقاق، فلما رأى ما في وجوههم، وقالوا: سبقت العضباء، قال: (**إن حقًا على الله**) متعلق بحقا (**أن لا يرفع من الدنيا شيئًا إلاَّ وضعه**) خبر إن وأن مصدرية، فيكون معرفة، والاسم نكرة من باب القلب، أي إن عدم الارتفاع حق على الله، ويمكن أن، يقال على الله صفة حقًا، أي حقًا ثابتًا على الله، قال الطيبي: وفي رواية للبخاري أن، لا يرتفع شيء من الدنيا، وللنسائي أن، لا يرجع شيء بقسمه في الدنيا، وفي الحديث اتخاذ الإبل للركوب، والمسابقة عليها، والتزهيد في الدنيا للإشارة إلى أن كل شيء منها، لا يرتفع إلاَّ اتضع، والحث على التواضع، وحسن خلقه ﷺ،

وغنم عليه الصلاة والسلام يوم بدر جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين.

وكانت له عليه الصلاة والسلام خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليها سعد بن عبادة:

منها: أطلال، وأطراف، وبردة، وبركة، والبغوم، والحناء، وزمزم، والرياء، والسعدية، والسقيا، والسمراء، والشقراء، وعجرة والعريس،.......................

وتواضعه، وعظمته في صدور أصحابه انتهى، (**وغنم عليه الصلاة والسلام يوم بدر جملاً**) يسمى المكتسب، كما في الألفية بفتح المهملة على صيغة اسم المفعول (**لأبي جهل في أنفه برة**) بضم الموحدة، وفتح الراء المخففة، وتاء تأنيث حلقة صغيرة (**من فضة**) فكان عنده ﷺ يغزو عليه، ويضرب في لقاحه، (**فأهداه**) نحره في جملة ما أهدى (**يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين**) وذكر في الألفية جملين آخرين، فقال:

وعيرهن والجمال الثعلب وجمل أحمر والمكتسب
غنمه في يوم بدر من أبي جهل، فأهداه إلى البيت النبي

وقد روى ابن سعد عن نبيط بن شريط، قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته على جمل أحمر، (**وكانت له عليه الصلاة والسلام خمسة وأربعون لقحة، أرسل بها إليه سعد بن عبادة**) المصنف في عهده، كونه أرسل الجميع، والذي في الهدى كانت له خمسة وأربعون لقحة مهرة، أرسل بها سعد، أي منها اللقحة المسماة مهرة، وكذا ذكر اليعمري أن سعدًا أرسل مهرة، فسقط من المصنف لفظ مهرة، فأوهم (**منها أطلال**) بفتح الهمزة، (**وأطراف**) إنما ذكرهما العراقي بعد الكلام على اللقاح في باب ذكر منائحه جمع منيحة، وهي الشاة (**وبردة،**) أهداها له الضحاك بن سفين، وكانت غزيرة اللبن تحلب، كما تحلب لقحتان غزيرتان، ذكره اليعمري وغيره، وهو مما يرد قوله أرسل بها سعد، (**والبغوم**) بضم الموحدة، والغين المعجمة، وسكون الواو، وهو في الأصل صوت الناقة التي، لا تفصح به، (**وبركة**) بالتحريك إنما ذكره العراقي اسمًا لمنيحة، (**والحناء**) بفتح المهملة، وشد النون، ومد، وهي التي نحرها العرنيون، (**وزمزم**) إنما ذكره العراقي اسمًا لشاة، (**والرياء**) بفتح الراء، وشد التحتية ومد.

(**والسعدية**) بفتح السين، وسكون العين، وكسر الدال المهملات، (**والسقيا**) بضم أوله، وإسكان القاف إنما هي في الألفية اسم لشاة.

(**والسمراء**) بفتح المهملة، والمد كانت لعائشة، (**والشقراء**) بمعجمة وقاف، (**وعجرة**) بفتح العين، وسكون الجيم إنما ذكره العراقي اسمًا لشاة، (**والعريس**) بضم العين، وفتح الراء

وغوثة، وقيل: غيثة، وقمر، ومروة، ومهرة، وورشة، واليسيرة.

وكانت له مائة شاة، وكانت له سبعة أعنز منائح ترعاهن أم أيمن.

المهملتين، وشد التحتية، وسين مهملة، **(وغوثة)** بغين معجمة، ومثلثة، **(وقيل غيثة)** بياء بدل الواو، **(وقمر،)** وهذه، والتي قبلها إنما ذكرهما اليعمري، والعراقي اسمًا لشاتين، وروى ابن سعد كان له ﷺ شاة تسمى قمر، **(ومروة)** أهداها له سعد بن عبادة، **(ومهرة)** بضم الميم، قال اليعمري: وغيره بعث إليه بها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل، **(وورشة)** بشين معجمة، **(واليسيرة)** بضم أوله، ومن قوله منها إلى هنا ساقط من بعض النسخ، ولعله الصواب، فإن كثيرًا منها إنما ذكره العراقي اسمًا للمنيحة، كما رأيت، ووافقه اليعمري على بعضها، ولم يتكلم على أسماء الباقي، فإن صح ما ذكره المصنف بناءً على ثبوته عنه، فتكون تلك الأسماء سمي بها كل من اللقاح والمنائح والعلم عند اللّه، **(وكانت له مائة شاة،)** لا يريد أن تزيد على ذلك، كلما ولدت بهيمة ذبح الراعي مكانها شاة رواه أبو داود، وفي العيون كانت له شاة تسمى غوثة قيل غيثة، وشاة تسمى قمر وعنز تسمى اليمن، **(وكانت له سبعة أعنز منائح ترعاهن أم أيمن)** بركة الحبشية، ومنائح جمع منيحة، وهي في الأصل شاة، أو بقرة يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها، ثم يردها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعمالها حتى أطلق على كل شاة، أو بقرة معدة لشرب لبنها، لكن المراد هنا الشياه، فقد قال اليعمري: وأما البقر، فلم ينقل أنه ﷺ ملك منها شيئًا انتهى، أي للقنية، فلا يرد عليه ما في الصحيح أنه ﷺ ضحى عن نسائه، بالبقر في حجة الوداع، وتجويز أنهن ملكنها، فضحى هو بها رده البرهان؛ بأن في مسند أحمد عن عائشة: دخل علينا يوم النحر بلحم بقر، فقلت: ما هذا، قال: نحره ﷺ عن أزواجه، وبوب عليه البخاري باب ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن، قال العراقي:

وكان ديك عنده أبيض له كذا المحب الطبري نقله

يشير إلى ما رواه أبو نعيم، والحرث بن أبي أسامة بسند ضعيف، عن أبي زيد الأنصاري مرفوعًا الديك الأبيض صديقي، وعدو إبليس يحرس داره، وتسع دور حولها، وكان ﷺ يبيته معه في البيت، وأحاديث الديك حكم ابن الجوزي بوضعها، ورد عليه الحافظ بما حاصله أنه لم يتبين له الحكم بوضعها، إذ ليس فيها، وضاع ولا كذاب نعم هو ضعيف من جميع طرقه واللّه تعالى أعلم.

الفصل العاشر
في ذكر من وفد عليه ﷺ وزاده فضلاً وشرفًا لديه

قال النووي: الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقاء العظماء، واحدهم: وافد، انتهى.

وكان ابتداء الوفود عليه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها، وقال ابن إسحٰق: بعد غزوة تبوك، وقال ابن هشام: كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود.

وقد سرد محمد بن سعد في ....

(الفصل العاشر)

(**في ذكر من وفد**،) أي: قدم (**عليه**) بالإفراد مراعاة للفظ من: ولو راعى، معناه: لقال وفدوا وكل جائز، ويعدى بعلي وإلى (**صلى الله وسلم عليه**،) فكان المناسب تعديته بإلى حتى يغاير هذه الفقرة، (**وزاده فضلاً وشرفًا لديه**) عنده.

(**قال النووي: الوفد: الجماعة المختارة للتقدم**) صلة المختارة، أي: التي اختيرت لفصاحة ونحوها للتقدم (**في لقاء**،) أي: ملاقاة (**العظماء واحدهم وافد**،) أي: راكب، قاله ابن كثير وغيره في تفسير وفد. (**انتهى**) كلام النووي وأقرّه في الفتح وكأنه استعمال عرفي، وإلاَّ ففي اللغة: أن الوافد القادم مطلقًا مختارًا للقاء العظماء أم لا؟ راكبًا أم لا.

قال القاموس: وفد إليه وعليه، يفد وفدًا ووفودًا ووفادة وإفادة، قدم وورد ونحوه في الصحاح وغيره، (**وكان ابتداء الوفود**) مصدر وفد لا جمع ضرورة إضافته إلى ابتداء، أي: لقدوم (**عليه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من الجعرانة**) حين قدم من غزوة الطائف، فانتهى إليها ليلة الخمس لليال خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، وقسم بها غنائم حنين، فلما أراد الإنصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، فأحرم بعمرة، ودخل مكة، كما قدمه المصنف هناك (**في آخر سنة ثمان**،) أي: ما يقرب من آخرها لا آخر يوم منها، كما يفيده السياق، (**و**) استمر فيما (**بعدها**) من سنة تسع وعشر إلى أن توفي ﷺ، فهو متعلق بمقدر لا عطف على سنة ثمان لفساده، إذ يصير معناه: الابتداء في آخر ما بعدها.

(**وقال ابن إسحٰق بعد غزوة تبوك**:) ورجع منها في شعبان أو رمضان سنة تسع.

(**وقال ابن هشام: كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود**،) يعني كلها، فخالف شيخه في قوله: بعد تبوك، واستعمل الوفود هنا جمعًا، وفيما قبله مصدرًا، (**وقد سرد محمد بن سعد في**

الطبقات الوفود، وتبعه الدمياطي في السيرة له، وابن سيد الناس، ومغلطاي، والحافظ زين الدين العراقي. ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين.

[الوفد الأول: وفد هوازن]

قدم عليه ﷺ وفد هوازن، كما رواه البخاري وغيره، وذكر موسى بن عقبة في المغازي: أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف في شوال إلى الجعرانة وفيها السبي - يعني سبي هوازن - قدمت عليه وفود هوازن مسلمين، فيهم تسعة

الطبقات: الوفود، وتبعه الدمياطي في السيرة له و) تلميذه **(ابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي)** في منظومته **(ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين)** ولا يبلغ السبعين على المتبادر من مثل هذه العبارة عرفًا، وقد سردهم الشامي فزادوا على مائة، فلعل الجماعة اقتصروا على المشهورين أو الآتين لترتيب مصالحهم، وذكر المصنف خمسًا وثلاثين وما للإيجاز.

(الوفد الأول:)

(قدم عليه ﷺ وفد هوازن، كما رواه البخاري وغيره) من طريق الزهري عن عروة، عن المسور ومروان أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه: أن يرد إليهم سبيهم وأموالهم، فقال لهم ﷺ: «معي من ترون وأحب الحديث إليّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم»، وكان انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أنه ﷺ غير راد إليهم إلاَّ إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل»، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال ﷺ: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرجع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا.

(وذكر موسى بن عقبة) بالقاف **(في المغازي)** له **(أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف في شوّال)** متعلق بانصرف ووصل **(إلى الجعرانة)** ليلة الخامس من ذي القعدة لأمور عرضت له في الطريق اشتغل بها، وبهذا وافق قول ابن سيد الناس المعروف عند أهل السير أنه انتهى إلى الجعرانة لخمس ليال خلون من ذي القعدة، **(وفيها السبي - يعني سبي هوازن - قدمت عليه وفود هوازن)** حال كونهم **(مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم)** إضافة بيانية، إذ

نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه فقالوا: يا رسول الله، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات، فقال: سأطلب لكم، وقد وقعت المقاسم، فأي الأمرين أحب إليكم، السبي أم المال؟ قالوا: خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال: أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم.

فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا، فتكلم خطباؤهم فأبلغوا فيه ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم، ....

النفر الرجال من ثلاثة إلى عشرة، والمراد أن جملتهم تسعة، أو المراد بالنفر الرجال مجازًا، فكأنه قال: تسعة من الرجال، فهي غير بيانية، **(فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه، فقالوا: يا رسول الله)** بيان لما كلموه به، فهو عطف مفصل على مجمل **(إن فيمن أصبتم الأمهات)**. بالكسر. اسم إن واللام فيه وفيما بعده عوض عن المضاف إليه، أي: أمهاتك، **(والأخوات والعمات والخالات)** لك، **(فقال: سأطلب لكم، وقد وقعت المقاسم)** جمع مقسم كمنبر، أو مقسم كمقعد، بمعنى: الأنصباء، أي: فرقت الأنصباء من الغنيمة على أربابها، أو جمع مقسم كمسجد، أي: فرقت الغنائم في مواضع قسمتها، **(فأي الأمرين أحب إليكم: السبي أم المال؟)** بالجر بدل من الأمرين، **(قالوا: خيرتنا يا رسول الله بين الحسب)** شرف الإنسان، وإن لم يكن لآبائه شرف، أو هو الشرف الثابت له ولآبائه **(والمال، فالحسب أحب إلينا)** من المال، **(ولا نتكلم في شاة ولا بعير)** يقع على الذكر والأنثى، كالشاة، **(فقال: أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين:)** أشفع لكم عندهم، **(فكلموهم وأظهروا إسلامكم)** كي يتحننوا عليكم؛ وأراد أن لا يكونَ هو الآمر ابتداء، فيصير في نفوس بعض القوم شيء من أمره برد ما أخذوه.

وفي رواية ابن إسحٰق: وأنا إذا بالناس فاظهروا إسلامكم وقولوا: إنا إخوانكم في الدين، وإنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله، فإني سأعطيكم ذلك وأسأل لكم الناس، وعلمهم ﷺ التشهد، أي: كلمة الشهادة كيف يكلمون الناس، **(فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة،)** يعني الظهر بالناس **(قاموا)**.

زاد في رواية: فاستأذنوا رسول الله ﷺ في الكلام، فأذن لهم، **(فتكلم خطباؤهم،)** أي المتكلمون عنهم بما أمرهم به ﷺ، وأصابوا القول **(فأبلغوا فيه ورغبوا)**. بفتح الراء وشد المعجمة المفتوحة. **(إلى المسلمين،)** أي: حملوهم على الرغبة **(في رد سبيهم،)** ويجوز كسر المعجمة وتخفيفها، أي: قصدوا إلى المسلمين في ذلك، والأول أبلغ لحملهم المسلمين على الرغبة في الرد بخلاف الثاني فقصد منهم فقط، والمناسب لبلاغتهم ترغيب المسلمين لا القصد.

ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغ، وشفع لهم وحض المسلمين عليه، وقال: قد رددت الذي لبني هاشم عليهم، وفي رواية ابن إسحٰق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: وأدركه وفد هوازن بالجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة، وقد أصبنا من البلاء ما لم يخف عليك. فامنن علينا منَّ الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صُرد فقال: يا رسول الله، إن اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، وأنت خير مكفول ....

وقد ذكر الفتح رواية ابن عقبة هذه بلفظ: ورغبوا المسلمين، بدون إلى، وهي تؤيد أو تعين الأول، وقول الشارح: رغبوا إلى الإسلام، أي: أظهروا حبهم له، ورغبوا في الدخول فيه سهو، فاللفظ إلى المسلمين لا الإسلام، **(ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغ)** المصطفى من أذكار صلاته، أو خطيبهم، وهو ما عند ابن إسحٰق، ولا ينافيه قوله: فتكلم خطباؤهم؛ لأنهم تكلموا أوّلاً جميعًا، ثم خطب واحد، وهو زهير، **(وشفع لهم وحض المسلمين عليه،)** أي: رد سبيهم، **(وقال: قد رددت الذي لبني هاشم عليهم)** من جملة الحض أو بيان له.

(وفي رواية ابن إسحٰق عن) شيخه **(عمرو بن شعيب)** بن محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن العاصي صدوق، مات سنة ثماني عشرة ومائة، ولفظ ابن إسحٰق: حدثني عمرو بن شعيب، **(عن أبيه)** شعيب السهمي، صدوق، ثبت سماعه **(عن جده)** عبد اللّه بن عمرو بن العاص الصحابي ابن الصحابي، فضمير جده لشعيب لا لابنه عمرو، فهو متصل أو لعمرو، ويحمل على الجد الأعلى، كما قال:

والأكثر إحتجوا بعمرو حملاً   له على الجد الكبير الأعلى

(وأدركه وفد هوازن بالجعرانة،) لفظ ابن إسحٰق عن جده عبد اللّه بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول اللّه ﷺ **(وقد أسلموا، فقالوا)** ترقيقًا واستعطافًا: **(يا رسول اللّه إنا أهل وعشيرة وقد أصبنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من اللّه عليك، وقام خطيبهم،)** أي: المتكلم عنهم **(زهير)**. بضم الزاي، وفتح الهاء وسكون التحتية. **(ابن صرد)**. بضم الصاد، وفتح الراء ودال مهملات. مصروف ليس معد ولا السعدي الجشمي أو جرول، ويقال: أبو صرد.

قال ابن منده: سكن الشام، **(فقال: يا رسول اللّه إن اللواتي في الحظائر،)** بمهملة ومعجمة مشالة: جمع حظيرة، وهو السرب الذي يصنع للإبل والغنم يكفها، وكان السبي في حظائر مثلها **(من السبايا خالاتك وعماتك)** من الرضاع، **(وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وأنت خير مكفول،)** أي: تزيد في الفضل والشرف على كل مكفول.

وفي رواية الواقدي: وإن أبعدهن قريب منك، حضنك في حجرهن، وأرضعنك ثديهن،

ثم أنشد:

امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وندخر

الأبيات المشهورة الآتية.

وروينا في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثياته، عن زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين ـ يوم هوازن ـ وذهب يفرق السبي والشاء أتيته فأنشأت أقول:

امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وندخر

امنن على بيضة قد عاقها قدر مشت شملها في دهرها غير

وتوركنك على أوراكهن وأنت خير المكفولين.

وفي رواية عند ابن إسحٰق: أن زهيرًا، قال: ولو أنا ملحنا للحٰرث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين، **(ثم أنشد، امنن علينا)** يا **(رسول اللّه)** فهو منادي بحذف الأداة **(في كرم)** في سببية، أي: بسبب صفتك الجميلة التي هي كرمك أو كرم بمعنى إكرام، أي: امنن علينا بإكرامك لنا لما بيننا وبينك من الوصلة، **(فإنك المرء)**. بفتح الميم وبالراء والهمزة وأل، لاستغراق أفراد الجنس، أي: أنت المرء الجامع للصفات المحمودة المتفرقة في الرجال **(نرجوه)** لمهماتنا **(وندخر)**. بدال مهملة ومعجمة، أي: نختاره ونتخذه لما يعرض لنا من الأهوال، وأصله: نذتخر، بمعجمة قلبت التاء دالاً، ثم أدغمت فيها الذال، ويجوز قلب المهملة معجمة، ويجوز ترك الإدغام، لكن إنما يتزن بالإدغام **(الأبيات المشهورة الآتية)** قريبًا في قوله: **(وروينا في المعجم الصغير)** وهو عن كل شيخ له حديث **(للطبراني من ثلاثياته)** أي: ما وقع بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة أنفس، **(عن زهير بن صرد)**، ولفظ الطبراني: حدثنا عبيد اللّه بن دماحش القيسي. بزيادة الرملة سنة أربع وسبعين ومائتين، قال: حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق البلوي، وكان قد أتت عليه مائة وعشرون سنة، قال: سمعت أبا جرول زهير بن صرد **(الجشمي)**. بضم الجيم وفتح المعجمة وميم، نسبة إلى جشم بطن من بني سعد **(يقول: لما أسرنا رسول اللّه ﷺ يوم حنين يوم هوازن)**، أي: أسر نساءنا وأولادنا، وكانوا ستة آلاف من الذراري والنساء، **(وذهب يفرق السبي والشاء)**، جمع شاة، أي: وفرقهم بالفعل **(أتيته)** في وفد هوازن، **(فأنشأت أقول: امنن علينا)** بهمزة مضمومة، فميم ساكنة، فنون مضمومة فأخرى ساكنة، أي: أحسن إلينا من غير طلب ثواب ولا جزاء يا **(رسول اللّه في كرم، فإنك المرء)** الرجل الكامل في صفة الرجولية **(نرجوه وندخر)** لنوائبنا **(امنن على بيضة،)** أي: أهل وعشيرة **(قد عاقها قدر، مشتت شملها في دهرها غير)**. بكسر

أبقت لنا الدهر هتافًا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلمًا حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملؤه من مخضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كُمْت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفوًا منك تلبسه ... هادي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعفوا عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

المعجمة وفتح الياء، تغير حال وانتقالها من صلاح لفساد، (**أبقت لنا الدهر**) نصب معمول أبقت (**هتافًا**) . بفتح الهاء وفوقية وفاء، أي: ذا هتف، أي: صوت مشتمل (**على حزن**) . بفتحتين. (**على قلوبهم الغماء**) . بفتح المعجمة وشد الميم، أي: الحزن؛ لأنه يغطي السرور، (**والغمر**) . بفتح المعجمة، وتكسر، وميم مفتوحة، وراء الحقد (**إن لم تداركهم نعماء تنشرها**) عليهم هلكوا، فجواب أن محذوف أو هو شرط في أبقيت فلا حذف، (**يا أرجح الناس حلمًا**) عقلاً (**حين تختبر**) بالبناء للمفعول قيد به لظهوره بالاختبار. (**امنن على نسوة قد كنت ترضعها**) بفتح الفوقية - (**إذ فوك يملؤه من مخضها**) بفتح الميم، وسكون المعجمة - لبنها الخالص (**الدرر**) بكسر المهملة وفتح الراء الأولى - كثرة اللبن وسيلانه، جمع درة (**إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها، وإذ يزينك**) بفتح الياء وكسر الزاي. **ما تأتي وما تذر**)، أي: تترك (**لا تجعلنا**) بشد النون (**كما شالت:**) ارتفعت (**نعامته**) أي: هلك، والنعامة باطن القدم، (**واستبق منا**) ثناء يدوم، (**فإنا معشر زهر**) - بضمتين - (**إنا لنشكر للنعماء**) - بفتح النون، وإسكان العين، وميم، والمد، أي: النعمة (**إذ كفرت**) بالبناء للمفعول، (**وعندنا بعد هذا اليوم مدخر**) - بميم مضمومة، فمهملة مشددة، فمعجمة مفتوحتين، فراء، (**فألبس**) بفتح الهمزة، وكسر الموحدة - (**العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر**) حسنه بين الناس ظاهر، فهو وصف سببي (**يا خير من مرحت**) بفتح الميم والراء والحاء المهملة - نشطت ورعت (**كمت**) بضم الكاف، وسكون الميم وفوقية - جمع كميت (**الجياد**) - بكسر الجيم - (**به عند الهياج**) - بكسر الهاء وخفة التحتية، وجم القتال (**إذا ما استوقد**) بالبناء للمفعول، (**الشرر، إنا نؤمل**)، نرجو (**عفوًا منك تلبسه**) بضم الفوقية، وسكون اللام وكسر الموحدة - (**هادي**)، بهاء ومهملة - منادى، أي: يا هادي (**البرية**)،

قال: فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر قال: ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

ومن بين الطبراني وزهير لا يعرف، لكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة، فهو حديث حسن، وقد وهم من زعم أنه منقطع ....

وفي نسخة: بمعجمة. إشارة للنسوة التي طلب العفو عنهن، **(إذ تعفو وتنتصر،)** فتجمع بين الأمرين الحسنين، **(فاعفو،)** بواو الإشباع. أو على لغة من يجري المعتل مجرى الصحيح، **(عفا اللّٰه عما أنت راهبه)** . بموحدة. خائفة **(يوم القيامة، إذ يهدي لك الظفر،)** أي: الفوز، **(قال: فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر، قال: ما كان لي ولعبد المطلب،)** أي: آله المعبر عنهم في السابقة بيني هاشم.

وعند ابن إسحٰق في حديث عمرو لبني عبد المطلب **(فهو لكم)** بلا فداء، **(وقالت قريش: ما كان لنا فهو للّٰه ولرسوله)** يفعل فيه ما شاء، **(وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو للّٰه ولرسوله)**.

زاد ابن إسحٰق في حديث عمرو عن أبيه، عن جده، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى ما كان لنا فهو لرسول اللّٰه ﷺ، فقال لهم عباس: وهنتموني، فقال ﷺ: «أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه، فردوا إليهم أبناءهم ونساءهم»، وعنده من طريق آخر إلاَّ عيينة بن حصن أخذ عجوزًا من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزًا إني لا أحسب لها في الحي نسبًا، وعسى أن يعظم فداؤها، فلما رد ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردها، فقال له زهير بن صرد: خذها فواللّٰه ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواحد، ولا درها بماكد، فردها بست فرائض حين ذلك، ولقي الأقرع فشكا إليه ذلك، فقال: واللّٰه إنك ما أخذتها بيضاء غريرة ولا نصفًا وتيرة، وكسا النبي ﷺ كل واحد من السبي قبطية.

وقال ابن عقبة: كساهم ثياب المعقد. بضم الميم، وفتح المهملة والقاف الثقيلة. ضرب من برود هجر، **(ومن بين الطبراني وزهير)** وهم الرجلان **(لا يعرف)** بتعديل ولا جرح، **(لكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة)**.

في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده: **(فهو حديث حسن، وقد وهم من زعم أنه منقطع،)** كذا في الفتح.

وقال في الإصابة: وهي ابن عبد البر إسناده من غير قادح، وقد أوضحته في لسان الميزان

وقد زاد الطبراني على ما أورده ابن إسحٰق خمسة أبيات.

وذكر الواقدي: أن وفد هوازن كانوا أربعة وعشرين بيتًا، فيهم أبو برقان السعدي، فقال: يا رسول الله، إن هذه الحظائر لأمهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا منَّ الله عليك، فقال: قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون، وقد قسمت السبي.

الوفد الثاني:

وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد ثقيف، بعد قدومه عليه الصلاة

في ترجمة زياد بن طارق.

(**وقد زاد الطبراني على ما أورده ابن إسحٰق خمسة أبيات،**) أي: وأسقط مما ذكره بعض أبيات.

قال في الروض: لم يذكر ابن إسحٰق شعر زهير في رواية البكائي، وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه، وهو فذكر البيتين الأولين وقال عقبهما:

يا خير طفل ومولود ومنتخب   في العالمين إذا ما حصل البشر

وأسقط بيت: أبقت لنا الدهر، وقال عقب ذا البيت: إن لم تداركهمو، حتى قوله: فإنا معشر زهر، وأسقط بيت: فألبس العفو، وذكر بعده: يا خير من مرحت، إلى آخر الشعر انتهى، وعلى هذا، فالذي زاده الطبراني على ابن إسحٰق بيتين فقط لا خمسة، كما قال المصنف تبعًا للفتح إلاَّ أن يكون مرادهما رواية غير إبراهيم، كيونس الشيباني.

(**وذكر الواقدي: أن وفد هوازن كانوا أربعة وعشرين بيتًا،**) قدموا مسلمين، وجاؤوا بإسلام من وراءهم من قومهم، كما هو عند الواقدي، (**فيهم أبو برقان**).

قال الحافظ: بموحدة وقاف، ويقال: أبو مرؤان . بميم أوله، ويقال: أبو ثروان، بمثلثة أوّله، السعدي عمه ﷺ من الرضاعة ذكره ابن سعد، (**فقال: يا رسول اللّٰه إن هذه الحظائر**) أي: أهلها، يعني من فيها (**لأمهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك، فامنن علينا من اللّٰه عليك، فقال: قد استأنيت بكم**.

قال الحافظ: أي: استنظرت، أي: أخرت قسم السبي لتحضروا، فأبطأتم (**حتى ظننت أنكم لا تقدمون، وقد قسمت السبي،**) وقد كان ترك السبي بلا قسمة، وتوجه إلى الطائف فحاصرها، ثم رجع إلى الجعرانة، ثم قسم الغنائم فيها، فجاءه بعد ذلك وفد هوازن، فبين لهم أنه آخر القسم ليحضروا فأبطؤوا إنتهى، أي: ثم شفع لهم ومن عليهم بسباياهم، كما مر.

(**الوفد الثاني:**)

(**وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد ثقيف بعد قدومه عليه الصلاة والسلام من تبوك**)

والسلام من تبوك، وكان من أمرهم أنه ﷺ لما انصرف من الطائف قيل له: يا رسول الله ادع لنا ثقيف، فقال: اللّهم اهد ثقيفاً وأتِ بهم.

ولما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، ....

المدينة في رمضان، كما قال ابن سعد وابن إسحٰق، وجزم به مغلطاي، وقال بعضهم: في شعبان سنة تسع، وأما خروجه من المدينة إلى تبوك، فكان يوم الخميس في رجب سنة تسع اتفاقًا كما مر، **(وكان من أمرهم)** أي: من جملة الأشياء المتعلقة بثقيف؛ **(أنه ﷺ لما انصرف من الطائف)** أي: ترك محاصرته، وعزم على السفر، **(قيل له: يا رسول اللّٰه ادع لنا ثقيف)** فقد أحرقتنا نبالهم، **(فقال: «اللهم اهدِ ثقيفًا)** إلى الإسلام **(وأتِ بهم)** مسلمين».

روى الترمذي، وحسنه عن جابر قال: قالوا: يا رسول اللّٰه أحرقتنا نبال ثقيف، فادع اللّٰه عليهم، فقال: «اللهم إهد ثقيفًا وأت بهم».

وعند البيهقي عن عروة: ودعا ﷺ حين ركب قافلاً، فقال: «اللهم اهدهم، واكفنا مؤنتهم»، **(ولما انصرف عنهم)** أي: شرع فيه بالفعل ليغاير ما قبله **(اتبع** بشد التاء. **(أثره)** بتثليث الهمزة، وفتح المثلثة وإسكانها **(عروة بن مسعود)** بن معتب، بمهملة وفوقية مشددة، ابن مٰلك كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، وهو عم والد المغيرة بن شعبة، وأمه سبيعة بنت عبد مناف، كان أحد الأكابر ممن قيل: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿**على رجل من القريتين عظيم**﴾ [الزخرف: ٣١] الآية، قال ابن عباس: وجماعة أرادوا الوليد بن المغيرة من أهل مكة، وعروة بن مسعود من أهل الطائف.

وفي مسلم عرض على الأنبياء الحديث وفيه: ورأيت عيسى فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود، وله ذكر في الصحيح في قصة الحديبية، وكانت له اليد البيضاء في تقرير الصلح، وترجمه ابن عبد البر بأنه شهد الحديبية، وليس كذلك، فالعرف إذا أطلق على الصحابي أنه شهد غزوة كذا، فالمراد شهدها مسلمًا، فلا يقال شهد معٰوية بدرًا، لأنه إذا أطلق ذلك ظن من لا خبرة له لكونه عرف أنه صحابي أنه شهدها مع المسلمين، أفاده في الإصابة **(حتى أدركه)** أي: لحقه، ففيه تجريد، ففي المصباح: أدركته إذا طلبته، فلحقته **(قبل أن يدخل المدينة)**، كما عند ابن إسحٰق، وعند موسى بن عقبة عن الزهري وأبي الأسود، عن عروة: لما صدر أبو بكر من الحج سنة تسع قدم عروة بن مسعود على النبي ﷺ، **(فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام)** أي: بإظهاره وطلبه منهم.

وعند ابن عقبة وغيره، فقال: إني أخاف أن يقتلوك، فقال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني.

فلما أشرف على علية له، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله.

ثم أقامت ثقيف بعد قتله أشهرًا، ثم إنهم ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا، ....

وفي رواية ابن إسحٰق، فقال له: إنهم قاتلوك، وعرف أن فيهم نخوة الامتناع، أي: كبره وعظمته، فقال: أنا أحب إليهم من أبكارهم.

وقال ابن هشام من أبصارهم، وكان فيهم كذلك محببًا مطاعًا، فأذن له، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم، **(فلما أشرف)** ظهر **(لهم على علية)**. بضم العين، وكسرها وشد التحتية، غرفة، **(وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه)** بالإفراد، أي: الإسلام.

وفي نسخة: دينهم، أي: بطلان دينهم، لكن الرواية عند ابن إسحٰق وغيره إنما هي بالإفراد، ثم في هذه الرواية اختصار، ففي رواية ابن عقبة وغيره: فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، ونصح لهم فنقصوه وأسمعوه من الأذى، فلما كان من السحر قام على غرفة له، فأذن، **(رموه بالنبل من كل وجه،)** أي: جهة، **(فأصابه سهم فقتله)**.

وحكى ابن إسحٰق: الخلاف في أن اسم قاتله أوس بن عوف أو وهب بن جارية، فقيل لعروة: ماتر في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلاَّ ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معكم، فدفنوه معهم، فقال فيه النبي ﷺ: «إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه».

روى عروة بن مسعود الثقفي عن النبي ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إلٰه إلاَّ الله فإنها تهدم الخطايا»، رواه ابن منده بإسناد ضعيف.

وروى أبو نعيم عنه: كان ﷺ يوضع عنده الماء، فإذا بايع النساء لمسن أيديهن فيه، وإسناده ضعيف منقطع، **(ثم أقامت ثقيف بعد قتله أشهرًا)** نحو: ثمانية، فعند ابن إسحٰق: قدم ﷺ المدينة من تبوك من رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف، **(ثم إنهم ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنهم لا طاقة،)** لا قوّة **(لهم بحرب من حولهم من العرب، و)** الحال أنهم **(قد بايعوا وأسلموا،)** أي: من حولهم، فبقي أهل الطائف منفردين بعد الإسلام معرضين للحرب.

وعند ابن إسحٰق: أن عمرو بن أمية كان مهاجر العبد ياليل لشيء كان بينهما، وكان عمرو من أدهى العرب، فمشى إلى عبد ياليل حتى دخل داره فخرج إليه فرحب به، فقال له عمر: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، وقد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم، فعند ذلك ائتمرت ثقيف وقال بعضهم

وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ.

فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومعه اثنان من الأحلاف: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب بن مٰلك، وشرحبيل بن غيلان، وثلاثة من بني مٰلك: عثمٰن بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير ....

لبعض: ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب، ولا يخرج منكم أحد إلاَّ اقتطع، فأتمروا بينهم **(وأجمعوا،)** عزموا وصمموا على **(أن يرسلوا إلى رسول اللّٰه ﷺ، فبعثوا عبد ياليل بن عمرو)** بفتح العين. **(ابن عمير)** بضمها مصغر، كذا قاله ابن إسحاق، فذكره ابن حبان في الصحابة، فقال: له صحبة، وكان من الوفد، والذي قاله غيره: إن هذا إنما هو لولده مسعود، ذكره في الإصابة فيمن ذكر غلطًا في الصحابة، ومن الغير موسى بن عقبة، وابن الكلبي، وأبو عبيدة قالوا: إنه مسعود بن عبد ياليل، لكن صاحب الإصابة وغيره ترجموا مسعود بن عمرو.

وقالوا: إنه أخو عبد ياليل لا ابنه، وما ذكروا لابنه ترجمة، **(ومعه اثنان من الأحلاف: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب)**. بضم الميم، وفتح العين المهملة، وكسر الفوقية وموحدة، ويجوز فيه إسكان العين، وكسر الفوقية **(ابن مٰلك)** بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، كذا نسبه في الإصابة ثقيفًا والمصنف تبعًا لابن إسحٰق قالا: إنه من أحلافهم، **(وشرحبيل)**. بفتح المعجمة، والراء، وإسكان المهملة، وكسر الموحدة، وتحتية ولام. **(ابن غيلان)**. بفتح المعجمة وسكون التحتية. ابن معتب بن مٰلك الثقفي.

قال ابن سعد: نزل الطائف وله صحبة، ومات سنة ستين.

قال أبو عمرو: له حديث في الاستغفار بين كل سجدتين ليس مما يحتج بإسناده، **(وثلاثة من بني مٰلك: عثمان بن أبي العاصي)** بن بشر بن عبيد بن درهمان بن عبد الله الثقفي، أبو عبد اللّٰه نزيل البصرة أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي ﷺ على الطائف، وأقره أبو بكر، ثم استعمله عمر على البحرين وعمان سنة خمس عشرة، ثم سكن البصرة حتى مات بها، قيل: سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وكان هو الذي منع ثقيفًا عن الردة خطبهم، فقال: كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أولهم ارتدادًا، وجاء عنه: أنه شهد آمنة لما ولدت النبي ﷺ، فعلى هذا يكون عاش نحوًا من مائة وعشرين سنة.

روى عن النبي ﷺ أحاديث في مسلم والسنن، **(وأوس بن عوف)** بن جابر بن سفيٰن بن عبد ياليل بن سالم بن مٰلك، كذا نسبه ابن حبان في الصحابة، وقال: كان في وفد ثقيف، وزعم أبو نعيم أنه هو أوس بن حذيفة، نسب إلى عوف أحد أجداده.

قال الحافظ: وليس كذلك لاختلاف النسبين **(ونمير)**. بضم النون، وفتح الميم، وإسكان

ابن خرشة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاصي هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أسلموا واكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتبه، وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ـ وهي اللات ـ لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى عليهم عليه الصلاة والسلام إلا أن يبعث أبا سفيٰن بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها.

وكان فيما سألوه مع ذلك أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا ....

التحتية وراء. (**ابن خرشة**) . بفتح المعجمة والراء المعجمة. ابن ربيعة بن الحٰرث بن حبيب بن الحٰرث بن حطيط بن جشم بن ثقيف نسبه ابن حبان.

وقال أبو عمرو: هو حليف لهم من بني كعب، أخرج البغوي، وابن السكن، وأبو نعيم عنه قال: أدركنا النبي ﷺ بالجحفة فاستبشر الناس بقدومنا، الحديث. وذكر في سياق اشتراطهم ما اشترط، وذكره في الإصابة.

وعند ابن إسحٰق: فخرج بهم عبد ياليل وهو صاحب أمرهم، فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة وجدوا المغيرة بن شعبة ليبشر رسول اللّٰه ﷺ بقدومهم، فلقيه أبو بكر، فقال: أقسمت عليك باللّٰه لا تسبقني إلى رسول اللّٰه حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر، فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إليهم فروج الظهر، أي: الركاب معهم، وعلمهم كيف يحيون رسول اللّٰه ﷺ، فلم يفعلوا إلاّ بتحية الجاهلية، (**فلما قدموا على رسول اللّٰه ﷺ ضرب عليهم قبة**) خيمة (**في ناحية المسجد**) لكي يسمعوا القرءان ويروا الناس إذا صلوا، (**وكان خالد بن سعيد بن العاصي**) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف من السابقين الأولين، قيل: كان رابعًا، أو خامسًا، (**هو الذي يمشي بينهم وبين رسول اللّٰه ﷺ**،) وكانوا لا يطعمون طعامًا يأتيهم من عنده ﷺ حتى يأكل منه خالد، (**حتى أسلموا واكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتبه، وكان فيما سألوا رسول اللّٰه ﷺ أن يدع لهم الطاغية**،) اسم لمعبودهم من أصنام وغيرها والجمع طواغي، (**وهي**،) أي: المراد بها هنا (**اللات**،) لا أنها مفهوم الطاغية (**لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى عليهم عليه الصلاة والسلام**) في ابن إسحٰق، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوه شهرًا واحدًا بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى ﷺ (**إلاّ أن يبعث أبا سفيٰن بن حرب، والمغيرة بن شعبة يهدمانها، وكان فيما سألوه مع ذلك أن يعفيهم**) . بضم الياء وكسر الفاء. يتركهم (**من الصلاة، وأن لا يكسروا**

أوثانهم إلا بأيديهم، فقال عليه الصلاة والسلام: كسروا أوثانكم بأيديكم وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه، فلما أسلموا وكتب لهم الكتاب أمَّر عليهم عثمٰن بن أبي العاص وكان من أحدثهم سنًا، لكنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرءان.

فرجعوا إلى بلادهم ومعهم أبو سفيٰن بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية، ....

أوثانهم إلاَّ بأيديهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «كسروا أوثانكم بأيديكم» نقل بالمعنى.

ولفظ ابن إسحٰق: فقال ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، **(وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه»)** فقالوا: يا محمد! فسنؤتيكها وإن كانت دناءة، **(فلما أسلموا وكتب لهم الكتاب أمر)**. بشد الميم. **(عليهم عثمان بن أبي العاصي وكان من أحدثهم سنًا)** بزيادة من في الإثبات على رأي الأخفش أو تبعيضية، والمراد: أن ثلاثة من الستة مثلاً أحدث من باقيهم، وهو واحد منهم، فلا ينافي كونه أصغرهم، فلا يخالف ما هنا قوله: الآتي وأنا أصغر الستة، **(لكنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرءان)**. بشد اللام مضمومة والجر عطف على التفقه، فلذا أمره عليهم بإشارة الصديق، كما عند ابن إسحٰق وعنده عن بعض وفدهم، وصمنا مع النبي ﷺ ما بقي من رمضان، فكان بلال يأتينا من عنده بفطرنا وسحورنا، فيأتينا السحور وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله يتسحر ويأتينا بفطورنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس ذهبت، فيقول: ما جئتكم حتى أكل ﷺ، ثم يضع يده في الجنة، فيلقم منها، **(فرجعوا إلى بلادهم ومعهم أبو سفيٰن بن حرب، والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية)** حتى إذا قدموا الطائف، أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيٰن، فأبى وقال: ادخل أنت على قومك، وأقام بماله بذي الهرم. بفتح الهاء، وإسكان الراء وميم. محل بالطائف، كذا عند ابن إسحٰق وغيره، أنهما ذهبا مع الوفد.

وفي رواية: أنهم تأخروا عنهم أيامًا حتى قدموا، وأن الوفد لما قدموا تلقاهم ثقيف، فقصدوا اللات ونزلوا عندها، فسألوهم ماذا جئتم به؟ فقالوا: أتينا رجلاً فظًا غليظًا، قد ظهر بالسيف، وداخ له العرب، قد عرض علينا أُمورًا شددًا، أهدم اللات، فقالت ثقيف: والله لا نقبل هذا أبدًا، فقال الوفد: اصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال، فمكثوا يومين أو ثلاثة، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: والله ما لنا به من طاقة، فارجعوا فأعطوه ما سأل، فقال الوفد: فإنا قاضيناه وشرطنا ما أردنا، وجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه، فاقبلوا عافية الله، فقالت ثقيف: فلم كتمتمونا هذا الحديث؟ فقالوا: لو أردنا أن ننزع من

فلما دخل المغيرة عليها علاها بضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حسرًا يبكين عليها، وأخذ المغيرة بعد أن كسرها مالها وحليها.

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لهم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله ....

قلوبكم نخوة الشيطان، أي: الكبر والعظمة، فاسلموا مكانهم، ومكثوا أيامًا، ثم قدم رسل النبي ﷺ لهدم اللات فإن صح، فيحتمل أنهم خرجوا من المدينة مصاحبين للوفد، ثم أخروهم في مكان لكي يستألف الوفد قومهم قبل قدومهم حتى لا يكون نزاع، **(فلما دخل المغيرة عليها،)** وقام قومه دونه خشية أن يرمي أو يصاب كعروة **(علاها يضربها بالمعول)**. بكسر الميم، وإسكان المهملة وفتح الواو. الفأس العظيمة يقطع بها الصخر، **(وخرج نساء ثقيف حسرًا)**. بضم الحاء، وفتح السين المشددة وراء مهملات، أي: منكشفات **(يبكين عليها)**.

وفي رواية: خرجت ثقيف كلها حتى العواتق من الحجال، لا ترى أنها مهدومة، ويظنون أنها ممتنعة، فأخذ المغيرة الفأس فضرب، ثم سقط، فارتجوا وقالوا: أبعد اللّه المغيرة قتلته، وفرحوا وقالوا: واللّه لا يستطاع هدمها، فوثب المغيرة وقال: قبحكم اللّه إنما هي حجارة ومدر، فاقبلوا عافية اللّه واعبدوه، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علا سورها وعلا الرجال معه يهدمونها حجرًا حجرًا حتى سوروها، فقال البواب: ليغضبن الأساس فيخسف بهم، فحفروا أساسها حتى أخرجوا ترابها، **(وأخذ المغيرة بعد أن كسرها مالها وحليها)**. بضم الحاء، وكسر اللام والياء المشددة. جمع حلي. بفتح فسكون. عطف خاص على عام.

زاد ابن إسحٰق: وأرسل إلى أبي سفيٰن، وحليها مجموع ومالها من الذهب والفضة والجذع، وقد كان أبو فليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول اللّه قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق قومهما، فأسلما فقال لهما ﷺ: «توليا من شئتما»، فقالا: نتولى اللّه ورسوله، فقال ﷺ: «وخالكما أبا سفيٰن بن حرب»، فقالا: وخالنا أبا سفيٰن، فلما أسلم أهل الطائف سأل أبو فليح رسول اللّه أن يقضي عن أبيه عروة دينًا كان عليه من مال اللات، فقال: نعم، فقال له: قارب، وعن الأسود: يا رسول اللّه فاقضه وعروة والأسود شقيقان، فقال ﷺ: «إن الأسود مات مشركًا»، فقال قارب: يا رسول اللّه لكن تصل مسلمًا ذات قرابة، يعني نفسه، إنما الدين عليّ وأنا الذي أطلب به، فأمر أبا سفيٰن أن يقضي دينهما من مال الطاغية فقضاه، ثم قدموا عليه بحليها وكسوتها، فقسمه من يومه وحمد اللّه على نصر دينه وإعزاز نبيه، **(وكان كتاب رسول اللّه ﷺ الذي كتبه لهم: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمد رسول اللّه،)** لفظه في ابن إسحٰق: من محمد النبي رسول الله فسقط من المصنف،لفظ النبي **(إلى المؤمنين: إن عضاه**

إلى المؤمنين: إن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد، من وجد يفعل شيئًا من ذلك فإنه يجلد، وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي محمدًا، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله، وكتب خالد بن سعيد بأمر محمد بن عبد الله، فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله.

و «وج»: واد بالطائف.

واختلف فيه: هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره؟ فالجمهور: أنه ليس في البقاع حرم إلا حرم مكة والمدينة. وخالفهم أبو حنيفة ....

(وج)، بمهملة مكسورة ومعجمة وآخره هاء لا، تاء كل شجر ذي شوك جمع عضهة، حذفت منه هاء، فصار عضه بهاء تأنيث كشفه، ثم ردت في الجمع، فقيل: عضاه كشفاه، ويقال: عضهه كعنبة، ويقال أيضًا: عضاهة وهو أقبحها. **(وصيده حرام لا يعضد)** . بضم التحتية وفتح المعجمة. لا يقطع **(من وجد يفعل شيئًا من ذلك فإنه يجلد)** تعزيرًا لمخالفة النهي **(وتنزع ثيابه،)** أي: تكون سلبًا لمن وجده يفعل، **(فإن تعدى ذلك،)** أي: امتنع من تسليم نيابه لمن وجده يقطع، **(فإنه يؤخذ، فيبلغ)** به **(النبي محمدًا)**، فيرى فيه رأيه، **(وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله وكتب خالد بن سعيد بأمر محمد بن عبد الله: فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله)** زيادة في التأكيد، وإلى هذا ذهب الشافعي في القديم، واختاره النووي في شرح المهذب للأحاديث الصحيحة فيه بلا معارض.

روى مسلم: أن سعد بن أبي وقاص وجد عبدًا يقطع شجرًا أو يخبطه، فسلبه، فجاءه أهل العبد، فكلموه أن يرد على غلامهم أو عليهم ما أخذ منه، فقال: معاذ الله أن أرد شيئًا نفلنيه رسول الله ﷺ، وأبى أن يرد عليهم.

وروى أبو داود: أن سعدًا أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة، فسلبه ثيابه، فجاؤوا إليه فكلموه فيه، فقال: إن رسول الله حرم هذا الحرم، وقال: من أخذ أحدًا يصيد فيه فليسلبه فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله، ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه، ولم يأخذ الجمهور بهذا، ومنهم الشافعي في الجديد، لأن عمل الأمة على خلافه **(ووج،)** بفتح الواو وشد الجيم. **(واد بالطائف)** لا بلد به، وغلط الجوهري قاله في القاموس، أي: في قوله إنه بلد، أي: حصن من حصون الطائف.

(واختلف فيه هل هو حرم بحرم صيده وقطع شجره، فالجمهور أنه) لا يحرم ذلك، لأنه **(ليس في البقاع حرم إلاَّ حرم مكة والمدينة)** للأحاديث الصحيحة، **(وخالفهم أبو حنيفة في**

في حرم المدينة.

وقال الشافعي ـ في أحد قوليه ـ وج حرم، يحرم صيده وشجره، واحتج لهذا القول بحديثين: أحدهما: ما تقدم، والثاني: حديث عروة بن الزبير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (إن صيد وج وعضاهه حرم محرم لله) رواه الإمام أحمد وأبو داود: لكن في سماع عروة من أبيه نظر، وإن كان قد رآه.

وفي مغازي المعتمر بن سليمٰن التيمي عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الطائفي عن عمه عمرو بن أوس عن عثمٰن بن أبي العاص، قال: استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أني كنت قرأت سورة البقرة،

حرم المدينة،) فأباح صيده وقطع شجره، وهو محجوج بالأحاديث الصحيحة في البخاري وغيره.

(وقال الشافعي في أحد قوليه: وج حرم يحرم صيده وشجره،) وهو القول الجديد والمشهور، قال في البهجة:

وحرم الهادي ووج الطائف كتلك الحرمة والجزا نفي

(واحتج لهذا القول بحديثين، أحدهما ما تقدم) في الكتاب وأجاب الجمهور بضعفه، إذ أن إسحٰق ذكره بلا إسناد، **(والثاني: حديث عروة بن الزبير عن أبيه)** الزبير بن العوام: **(أن النبي ﷺ قال: «إن صيد وج وعضاهه حرم محرم للّه»، رواه الإمام أحمد وأبو داود،)** فلو صح لكان حجة **(لكن)** لا يصح، لأن **(في سماع عروة من أبيه نظر وإن كان قد رآه،)** فأصحاب الحديث نفوا سماعه منه، فهي علة تقدح في صحته.

(وفي مغازي المعتمر بن سليمان التيمي) أبي محمد البصري ثقة، روى له الستة، ومات سنة سبع وثمانين، وقد جاوز الثمانين. **(عن عبد اللّه بن عبد الرحمٰن)** بن يعلى بن كعب **(الطائفي)** الثقفي، صدوق يخطىء ويهم **(عن عمه عمرو بن أوس)** الثقفي التابعي الكبير، روى له الجميع، ووهم من ذكره في الصحابة، كالطبري وابن منده، كما بينه الحافظ، **(عن عثمان بن أبي العاصي،)** الثقفي، الطائفي الصحابي الشهير، **(قال: استعملني رسول اللّه ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أني،)** أي: لأجل أني **(كنت قرأت سورة البقرة في)** مدة إقامتهم، كانوا يفدون على المصطفى ويخلفونه في رجالهم لصغره، فإذا رجعوا بالهاجرة عمد عثمان إلى رسول اللّه، فسأله عن الدين، واستقرأه القرءان حتى فقه في الدين، فأعجب ذلك المصطفى وأحبه.

فقلت: يا رسول الله، إن القرءان يتفلت مني، فوضع يده على صدري وقال: يا شيطان اخرج من صدر عثمٰن، فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه.

وفي صحيح مسلم، عن عثمٰن بن أبي العاص، قلت: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي، فقال: ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثًا قال: ففعلت فأذهبه الله عني.

الوفد الثالث

وقدم وفد بني عامر عليه ﷺ، قال ابن إسحٰق: لما فرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب، ....

وروى عنه: سألته مصحفاً كان عنده فأعطانيه، (**فقلت: يا رسول الله إن القرءان يتفلت مني، فوضع يده على صدري، وقال: «يا شيطان اخرج من صدر عثمان»، فما نسيت شيئًا بعده أريد حفظه**) وعنه قلت: يا رسول الله ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني، قال: ماذا قلت؟ فأعدت عليه القول، فقال: «لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليك من قومك.

(**وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاصي قلت: يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي، فقال: «ذلك شيطان، يقال له خنزب»**) . مثلث الخاء المعجمة، كما في النهاية.

قال النووي: والمعروف الفتح والكسر، ثم نون ساكنة، ثم زاي مفتوحة، ثم ياء موحدة، (**فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه واتفل**) . بضم الفاء وكسرها. من بابي ضرب ونصر (**على يسارك ثلاثًا**) أي: على جهته، فيشمل ما إذا ألقى ما يتفله بالأرض، أو على شيء من أعضائه كيده اليسرى، (**قال: ففعلت فأذهبه الله عني**،) ففيه أن ذلك يذهب الوسواس.

وروى ابن إسحٰق عن عثمان، قال: كان من آخر ما عهد إلى النبي ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: يا عثمان تجاوز في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة.

(**الوفد الثالث:**)

(**وقدم وفد بني عامر**) بن صعصعة، كما في الروض، وهو من قيس عيلان (**عليه ﷺ، قال ابن إسحٰق، لما فرغ**،) أي: رجع (**من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت**،) أي: سارت (**إليه وفود العرب**)، كقوله تعالى: ﴿ضربتم في الأرض﴾ [النساء: ١٠١، المائدة: ١٠٦]،

فدخلوا في دين الله أفواجًا، يضربون إليه من كل وجه.

فوفد عليه عليه الصلاة والسلام بنو عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس وخالد بن جعفر، وحيان بن أسلم بن مُلك، وكان هؤلاء النفر لفظ رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم ـ عدو الله ـ عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد أن يغدر به، فقال لأربد إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله ﷺ ....

فحذف منها المضروب إليه للعلم به، كما حذف هنا المضروب فيه للعلم به، إذ سير الوفود، إنما يكون في الأرض، أو إشارة إلى أن استعماله بمعنى السير، لا يتوقف علي كونه في الأرض، فيقال: ضرب الطائر في الهواء إذًا سار، **(فدخلوا في دين اللّه أفواجًا يضربون إليه من كل وجه، فوفد عليه عليه الصلاة والسلام بنو عامر)** بن صعصعة **(فيهم عامر بن الطفيل)**. بضم الطاء وفتح الفاء. ابن مُلك بن جعفر بن كلاب العامري، وهذا صريح في أن قصته كانت بعد الفتح.

وقال ابن كثير: الظاهر أنها متقدمة على الفتح، وإن ذكرها ابن إسحٰق والبيهقي بعده **(وأربد)**. بفتح الهمزة، وإسكان الراء، وفتح الموحدة ومهملة. **(ابن قيس وخالد)** كذا في النسخ، وهو تصحيف صوابه، كما في ابن إسحٰق وغيره، وأربد بن قيس بن جزء بن خالد **(بن جعفر وحيان بن أسلم)** صوابه، كما في ابن إسحٰق وغيره وجبار بن سلمى. بفتح الجيم، وشد الموحدة وبالراء، وسلمى. بفتح السين وضمها، والصواب الفتح، قاله أبو ذر، قال في النور: والذي أعرفه الضم، وفي الإصابة: بضم السين، وقيل: بفتحها **(ابن مُلك)** بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي العامري، كان يقال لأبيه سلمى نزال الضيف، وأسلم جبار بعد ذلك، وصحب رضي اللّه عنه، **(وكان هؤلاء النفر، لفظ)** ابن إسحٰق هؤلاء الثلاثة **(رؤساء القوم وشياطينهم،)** أي: عتاتهم، فكل عات متمرد، من جن وإنس ودواب شيطان، كما في المصباح، **(فقدم عدو اللّه عامر بن الطفيل على رسول اللّه ﷺ، وهو يريد أن يغدر به)**. مثلث الدال.

قال في القاموس: الغدر ضد الوفاء، غدره وبه كنصر وضرب وسمع.

قال ابن إسحٰق: وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: واللّه قد كنت آليت لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش، **(فقال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه،)** أي: صارفه بأن ألهيه بحديث حتى لا يفطن، لما تريد فعله به **(فاعله)**، أي: اضرب أعلاه **(بالسيف)** كأنه يريد ضرب عنقه، فانتهى إليه عامر وأربد، وجلسا بين يديه. **(فكلم عامر رسول اللّه ﷺ،)** فقال: يا محمد خالني. بمعجمة، فألف،

وقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فلما ولى قال عليه الصلاة والسلام: اللَّهم اكفني عامر بن الطفيل.

فلما خرجوا، قال عامر لأربد: ويحك، أينما كنت أمرتك به؟ فقال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبينه، أفأضربك بالسيف؟

ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله.

فلام مشددة مكسورة. من المخالة، وهي المصادقة، أي: اتخذني خليلاً، وروي بخفة اللام، أي: انفرد لي خالياً حتى أتحدث معك، قال: «لا، واللَّه حتى تؤمن باللَّه وحده لا شريك له»، فقال: يا محمد خالني، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، وأربد لا يصنع شيئًا ويبست يده على السيف، فلم يستطع سله، فقال: يا محمد خالني، قال: «لا واللَّه حتى تؤمن باللَّه وحده لا شريك له»، قال: ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، قال: أتجعل لي الأمر بعدك، قال: ليس ذلك لك، ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل، قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، أتجعل لي الوبر ولك المدر؟ قال: لا، فقام عنه **(وقال: واللَّه لأملأنها)** أي: المدينة **(عليك خيلاً)** زاد في رواية: جرواً **(ورجالاً)** زاد في رواية: مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً، فقال ﷺ: «يمنعك اللَّه»، **(فلما ولى قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إكفني عامر بن الطفيل»)** زاد في رواية: «بما شئت وابعث له داء يقتله واهد قومه»، **(فلما خرجوا، قال عامر لأربد: ويحك أينما كنت أمرتك به)** واللَّه ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف على نفسي منك، وأيم اللَّه لا أخافك بعد اليوم أبدًا، **(فقال)** أربد: لا أبالك لا تعجل عليَّ، **(واللَّه ما هممت بالذي أمرتني به إلاَّ دخلت بيني وبينه)** حتى ما أرى غيرك، **(أفأضربك بالسيف)** والمعنى: أن اللَّه تعالى منع أربد عن رسوله باراءته صورة صاحبه بينهما.

قال في الروض: وفي رواية غير ابن إسحٰق: إلا رأيت بيني وبينه سوراً من حديد، وفي رواية: لما أردت سل سيفي، نظرت فإذا فحل من الإبل فأغرفاه بين يدي يهوي إليَّ، فواللَّه لو سللته لخفت أن يبلغ رأسي، وجمع بأن ما في الرواية الأولى بعد أن تكرر منه الهم، وما في الثانية بعد أن حصل منه هم آخر، وكذا، يقال في الثالثة، **(ولما كانوا ببعض الطريق)** بمكان، يقال له الرقم بفتح الراء والقاف. موضع بالمدينة، **(بعث اللَّه تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله اللَّه)** والمتبادر من ذا السياق قتله سريعاً، ووقع في رواية، فمكث ﷺ يدعو عليه ثلاثين صباحًا، حتى إذا كان بالرقم بعث اللَّه عليه الطاعون فقتله، والذي يظهر أنها وهم نشأ من دعائه عليه شهراً، لما قتل أصحابه ببئر معونة، فدخل على راويها حديث في حديث، فخلط قصة

وفي صحيح البخاري: أن عامرًا أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال، يكون لك أهل السهل، ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء. فطعن في بيت امرأة فقال: أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل بني فلان. ائتوني بفرسي فمات على ظهر فرسه

بقصة، كما أشار إليه شيخنا.

(وفي صحيح البخاري) من حديث أنس: **(أن عامراً)** أي: ابن الطفيل **(أتى النبي ﷺ، فقال: أخيرك)** لفظ البخاري، وكان عامر رئيس المشركين خيّر **(بين ثلاث خصال)**.

قال الحافظ ـ بفتح أوّله وحذف المفعول، أي: خير النبي ﷺ وبينه البيهقي في الدلائل من طريق شيخ البخاري فيه، ولفظه: وكان أتى النبي ﷺ، فقال: أخيرك بين ثلاث خصال، وفي نسخة خير ـ بضم أوله ـ وخطأها ابن قرقول **(يكون لك أهل السهل)** ـ بفتح المهملة وسكون الهاء ـ سكان البوادي **(ولي أهل المدر)** ـ بفتح الميم، والدال المهملة وراء ـ أهل البلاد.

قال المصنف: فتفسير شيخنا السهل بالمدن، والقرى والمدر بالبوادي، خلافه، **(أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان)**، بمعجمة، ومهملة وفاء مفتوحات. قبيلة **(بألف أشقر، وألف شقراء)**، الذي في البخاري بألف وألف.

قال الحافظ وغيره في رواية البيهقي عن أنس والطبراني عن سهل بن سعد: بألف أشقر، وألف شقراء، وبه مزج المصنف لفظ البخاري بلا عزو، **(فطعن في بيت امرأة، فقال: أغدة)** ـ بالنصب ـ بعامل مقدر، أي: أغد غدة، كما قال سيبويه، والاستفهام تعجبني، لكن لفظ البخاري غدة بدون ألف.

قال الحافظ: يجوز رفعه بتقدير أصابتني، أو غدة بي، ويجوز النصب على المصدر، أي: أغد غدة، **(كغدة البكر)** ـ بفتح الموحدة وإسكان الكاف ـ الفتى من الإبل، والغدة ـ بضم المعجمة ـ من أمراض الإبل وهو طاعونها، **(في بيت امرأة من آل بني فلان)** بينها الطبراني من حديث سهل، فقال: امرأة من آل سلول، وهي بنت ذهل بن شيبان، وزوجها مرة بن صعصعة أخو عامر بن صعصعة، ينسب بنوه إليها، كما في الفتح، **(ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه)** كافراً.

وفي رواية: ركب فرسه وأخذ رمحه، وأقبل يجول ويقول: يا ملك الموت ابرز لي، فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً.

قال الداودي: كانت هذه من حماقات عامر، فأماته الله بذلك ليصغر إليه نفسه، وبنو سلول كانوا موصوفين باللؤم، فرغب أن يموت في بيتها.

الوفد الرابع:

وقدم وفد عبد القيس عليه، زاده الله شرفًا وكرمًا لديه، وهي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى ـ بسكون الفاء بعدها ضاد مهملة ....

قال في الفتح: وفي الإصابة ذكر جعفر المستغفري عامر بن الطفيل هذا في الصحابة، وهو غلط وخطأ صريح، وموت عامر المذكور على الكفر أشهر عند أهل السير من أن يتردد فيه، وإنما اغتر جعفر برواية أخرجها البغوي وبما أخرجه هو عن أبي أمامة، عن عامر بن الطفيل؛ أنه قال: يا رسول اللّه زوِّدني بكلمات أعيش بهن؟ قال: «يا عامر إفش السلام، وأطعم الطعام، واستحي من اللّه، كما تستحيي رجلاً من أهلك، وإذا أسأت فأحسن، فإن الحسنات يذهبن السيئات»، فعامر هذا أسلمي لا عامري، فقد روى البغوي عن عبد اللّه بن بريدة الأسلمي، قال: حدثني عمي عامر بن الطفيل، فذكر حديثاً، فعرف أن الصحابي أسلمي، وافق اسمه واسم أبيه العامري، فساق المستغفري في نسب الصحابي نسب العامري، فوهم.

قال ابن إسحٰق: ثم خرج أصحابه حين واروه بالتراب حتى قدموا أرض بني عامر، فأتاهم قومهم، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء، واللّه لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم، أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل اللّه عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس: فأنزل اللّه في عامر وأربد: ﴿اللّه يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ إلى قوله: ﴿وما لهم من دونه من والٍ﴾، وأما ثالثهم جبار بن سلمى، فقد أسلم مع من أسلم من بني عامر.

ذكر الواقدي عن عبد اللّه بن كعب بن مٰلك: قدم وفدهم وهم ثلاثة عشر رجلاً، فيهم لبيد بن ربيعة، فنزلوا دار رملة، وكان بين جبار بن سلمى وبين كعب بن مٰلك صحبة، فجاء كعب، فرحب بهم، وأكرم جباراً، وانطلق معهم إلى النبي ﷺ، فأسلموا وأسلم جبار وحسن إسلامه.

قال ابن الكلبي: وكان أفرس بني عامر ذكره في الإصابة.

(الوفد الرابع:)

(وقد وفد عبد القيس عليه زاده اللّه شرفاً وكرماً لديه، وهي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين) وما والاها من أطراف العراق، كما في الفتح، والنسبة إليها العبدي، **(ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى ـ بسكون الفاء بعدها صاد مهملة)** مفتوحة، وقبلها ألف مفتوحة، وأفادهما

بوزن أعمى - ابن دُعْمي - بضم الدال وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها تحتانية -.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى، ....

بقوله: (**بوزن أعمى ابن دعمي - بضم الدال، وسكون العين المهملتين، وكسر الميم بعدها تحتانية**) ثقيلة، كما في الفتح ومن قال، كالكرماني والمصنف: وياء نسبة، فمراده أنها تثقل كياء النسبة وإلا فهو علم، وهو ابن جذيلة بجيم وزن كبيرة ابن أسد بن ربيعة بن نزار.

(**وفي الصحيحين**) البخاري في عشرة مواضع، ومسلم في الإيمان والأشربة (**من حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، فقال: «ممن القوم»**؟) وفي رواية: من القوم، أو الوفد بالشك من الراوي، (**قالوا: من ربيعة،**) كذا للبخاري في الصلاة، وله في الإيمان ربيعة بإسقاط من قال الحافظ فيه التعبير عن البعض بالكل، لأنهم بعض ربيعة، وهذا من بعض الرواة، فللبخاري في الصلاة، فقالوا: إنا هذا الحي من ربيعة.

قال ابن الصلاح: الحي منصوب على الإختصاص والمعنى أنا هذا الحي حي من ربيعة، (**قال: مرحباً بالوفد**) منصوب بفعل مضمر، أي: صادفت رحباً. بضم الراء، أي: سعة، والرحب. بالفتح. الشيء الواسع وقد يزيدون معها أهلاً، أي: وجدت أهلاً فاستأنس، وأفاد العسكري أن أول من قال: مرحبًا سيف بن ذي يزن، وفيه إستحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي ﷺ في حديث أم هانىء، وقال لعكرمة بن أبي جهل: مرحبًا بالراكب المهاجر، وفي قصة فاطمة: مرحبًا بابنتي، وكلها صحيحة.

وأخرج النسائي عن عاصم بن بشير الحرثي عن أبيه أن النبي ﷺ، قال له لما دخل فسلم عليه: مرحبًا وعليك السلام (**غير خزايا**) بنصبه حالاً، وروى بجره صفة، والمعروف الأول، قاله النووي، وأيضاً فيلزم منه وصف المعرفة بالنكرة إلاَّ أن تجعل أل للجنس كقوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

والأولى: أن يكون الخفض على البدل قاله الأبي.

قال الحافظ: ويؤيد النصب رواية البخاري في الأدب: مرحبًا بالوفد الذين جاؤا غير خزايا جمع خزيان، أي: غير أذلاء، أو غير مستحيين لقدومكم مسلمين طوعًا من غير حرب، أو سبي يخزيهم ويفضحهم، (**ولا ندامى**) جمع نادم على غير قياس، اتباعًا لخزايا للمشاكلة والتحسين، كما قالوا: العشايا والغدايا، وغداة جمعها غدوات لكنه اتبع فاصله نادمين، جمع نادم، لأن ندامى

فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل، نأخذ به ونأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة. ....

إنما هو جمع ندمان، أي: المنادم في اللهو، قال الشاعر: فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

كذا قاله الخطابي، قال الحافظ: وقد حكى القزاز والجوهري وغيرهما من أهل اللغة: إنه يقال نادم وندمان في الندامة، بمعنى فعلى هذا، فهو على الأصل، ولا اتباع فيه، وللنسائي والطبراني: مرحبًا بالوفد ليس الخزايا، ولا النادمين.

قال ابن أبي جمرة: بشرهم بالخير عاجلاً وآجلاً، لأن الندامة إنما تكون في العاقبة، فإذا انتفت ثبت ضدها، وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الفتنة، **(فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر)**. بضم الميم وفتح المعجمة. لا ينصرف للعلمية والتأنيث، **(وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام،)** بتنكيرهما، فهو شامل للأربعة، ويؤيده رواية البخاري في المناقب: إلاَّ في كل شهر حرام، وقيل: المراد المعهود، وهو رجب، وبه صرح في رواية البيهقي، وكانت مضر تبالغ في تعظيمه، فلذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة حيث، قال رجب مضر: والظاهر أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم مع تحريم القتال في الأشهر الثلاثة الأخرى، إلاَّ أنهم ربما أنسوها بخلافه.

وللبخاري في العلم: وإنا نأتيك من شقة بعيدة. قال ابن قتيبة: الشقة: السفر، وقال الزجاج: هي الغاية التي تقصد، **(فمرنا)** أصله أؤمرنا. بهمزتين. من أمر يأمر، فحذفت الهمزة الأصلية للاستثقال، فصار أمرنا، فاستغنى عن همزة الوصل، فحذفت، فبقي مر على وزن عل، لأن المحذوف فاء الفعل **(بأمر فصل،)** بصاد مهملة وبالتنوين فيهما، لا بالإضافة بمعنى الفاصل كالعدل بمعنى العادل، أي: يفصل بين الحق والباطل، أو بمعنى المفصل، أي: المبين المكشوف حكاه الطيبي.

وقال الخطابي: الفصل البين، وقيل: المحكم **(نأخذ به ونأمر به من،)** أي: الذي استقر **(وراءنا،)** أي: خلفنا من قومنا الذين خلفناهم في بلادهم، **(وندخل به الجنة)** إذا قبل برحمة الله.

ولفظ البخاري في الإيمان: نخبر به من وراءنا، بدل نأمر به، وإسقاط نأخذ به قال الحافظ: نخبر بالرفع على الصفة لأمر، وكذا قوله: وندخل، وروى بالجزم فيهما على أنه جواب الأمر، وسقطت الواو من وندخل في بعض الروايات، فيرفع نخبر، ويجزم ندخل.

قال ابن أبي جمرة: فيه إبداء العذر عند العجز عن توفية الحق واجباً كان، أو مندوباً وأنه

قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت، ....

يبدأ بالسؤال عن الأهم، وأن الأعمال الصالحة تدخل الجنة إذا قبلت، وقبولها برحمة اللّه، وللبخاري في رواية: وسألوه عن الأشربة، أي: عن ظروفها على حذف مضاف، أو على حذف الصفة، أي: التي تكون في الأواني المختلفة، **(قال: آمركم بأربع،)** أي: بأربع خصال، أو جمل لقولهم: حدثنا بجمل من الأمر، وهي رواية البخاري في المغازي **(وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان باللّه وحده، أتدرون ما الإيمان باللّه)** وحده، قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: هذا أسقطه المصنف من لفظ الحديث في الصحيحين سهوًا، أو من الكاتب **(شهادة أن لا إله إلاَّ اللّه،)** برفع شهادة خبر مبتدأ محذوف، أي: هو، ويجوز جره على البدلية، **(وأن محمداً رسول اللّه)**.

وهذه رواية البخاري في العلم والصلاة، وسقطت الجملة الثانية من الإيمان، لأن الأولى صارت علمًا عليهما معًا، **(وإقام الصلاة)** المفروضة، **(وإيتاء الزكاة)** المعهودة، **(وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس)** . بضم الخاء، كما في التنزيل.

وذكر جواب سؤالهم عن الأشربة بقوله: **(وأنهاكم عن أربع: عن الدباء)** . بضم المهملة وشد الموحدة والمد، وحكى القزاز: القصر هو القرع، والمراد منه اليابس، وهو والثلاثة بعده من إطلاق المحل وإرادة الحال، أي: ما في الدباء **(والحنتم،)** وصرح بالمراد في رواية النسائي، فقال: وأنهاكم عن أربع: ما ينبذ في الحنتم. بفتح المهملة، وسكون النون وفتح الفوقية. هي الجرة، كما فسرها ابن عمر في مسلم، وله عن أبي هريرة: الحنتم الجرار الخضر.

وروى الحربي عن عطاء: أنها جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم **(والنقير)** . بفتح النون وكسر القاف. أصل النخلة تنقر ليتخذ منه وعاء.

وفي البخاري: وربما، قال: المقير. بالقاف وفتح التحتية المشددة. ما طلي بالقار، ويقال له: القير، وهو نبت يحرق إذا يبس يطلى به السفن وغيرها، كما يطلى بالزفت قاله في المحكم **(والمزفت)** . بالزاي والفاء. ما طلي بالزفت.

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة، قال: أما الدباء فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع، فيخطرون فيه العنب، ثم يدفنونه حتى يهدر، ثم يمرث، وأما النقير؛ فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة، ثم ينبذون الرطب والبسر، ثم يدعونه حتى يهدر، ثم يمرث، وأما الحنتم، فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر، وأما المزفت، فهذه الأوعية التي فيها الزفت.

فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم.

قال ابن القيم: ففي هذه القصة أن الإيمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم كلهم، ذكر ذلك الشافعي في المبسوط، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة، ولم يعد الحج من هذه الخصال، وقد كان قدومهم في سنة تسع، وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد، وأنه إنما فرض في العاشرة، ولو كان فرض لعده من الإيمان كما عد الصوم والزكاة. انتهى.

قال الحافظ: وإسناده حسن، وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره، لأنه أعلم بالمراد، ومعنى النهي عن الإنتباذ في هذه الأوعية بخصوصها، لأنه يسرع إليها الإسكار، فربما يشربُ منها من لا يشعر بذلك، ثم ثبتت الرخصة في الإنتباذ في كل وعاء مع النهي عن شرب كل مسكر اهـ، يعني في صحيح مسلم مرفوعاً: كنت نهيتكم عن الانتباذ إلاَّ في الأسقية، فانتبذوا في كل وعاء، ولا تشربوا مسكرًا، (**فاحفظوهن وادعو إليهن**).

وفي رواية: وأخبروا بهن (**من**) . بفتح الميم. (**وراءكم**) يشمل من جاؤوا من عندهم، وهو باعتبار المكان، ويشمل من يحدث لهم من الأولاد وغيرهم، وهذا باعتبار الزمان، فيحتمل إعمالها في المعنيين معًا حقيقة ومجازًا قاله الحافظ.

(**قال ابن القيم: ففي هذه القصة أن الإيمان باللّٰه مجموع هذه الخصال من القول**) وهو الشهادتان (**والعمل**) وهو ما بعدهما، (**كما على ذلك أصحاب رسول اللّٰه ﷺ والتابعون، وتابعوهم كلهم**) وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط كمال، وثم سبعة أقوال أخر، فصلها المصنف في شرح البخاري، (**ذكر ذلك**) الذي بيناه، وفي نسخة كما ذكره (**الشافعي في المبسوط، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة، ولم يعد الحج من هذه الخصال، وقد كان قدومهم في سنة تسع**) إذ هي سنة الوفود، (**وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد**) أي: الآن، (**وأنه إنما فرض في العاشرة، ولو كان فرض لعده من الإيمان، كما عد الصوم والزكاة انتهى**) كلام ابن القيم.

قال الحافظ: وأما قول من قال: ترك الحج لكونه على التراخي، فليس بجيد، لأنه لا يمنع من الأمر به، وكذا من قال لشهرته عندهم ليس بقوي، لأنه عند غيرهم ممن ذكره لهم أشهر منه عندهم، وكذا القول بأنه تركه، لأنهم لم يكن لهم إليه سبيل من أجل كفار مضر ليس بمستقيم، لأنه لا يلزم من عدم الاستطاعة في الحال ترك الإخبار به ليعمل به عند الإمكان، كما في الآية،

وقد كان لعبد القيس وفدتان:

إحداهما: قبل الفتح، ولهذا قالوا له عليه الصلاة والسلام: حال بيننا وبينك كفار مضر، وكان ذلك قديمًا، إما في سنة خمس أو قبلها، وكانت قريتهم بالبحرين، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً، وقيل كانوا أربعة عشر راكبًا،

بل دعوى أنهم لا سبيل لهم إلى الحج ممنوعة، لأنه يقع في الأشهر الحرم، وقد ذكروا أنهم يأمنون فيها، لكن يمكن أن يقال إنما أخبرهم ببعض الأوامر، لكونهم سألوا أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكن فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التي تجب عليهم فعلاً وتركًا، ويدل على ذلك اقتصاره في المناهي على الإنتباذ في الأوعية، مع أن في المناهي ما هو أشد تحريمًا من الانتباذ، لكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها، وزيادة أبي قلابة الحج بلفظ: وتحجوا البيت الحرام، أخرجه البيهقي شاذة، وقد أخرجه الشيخان ومن استخرج عليهما، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان من طريق شيخ أبي قلابة، فلم يذكر أحد منهم الحج، وأبو قلابة تغير حفظه في آخر أمره، فلعل هذا مما حدث به في التغير، لكن هذا بالنسبة لرواية أبي جمرة ـ بجيم وراء ـ عن ابن عباس.

وقد روى أحمد من طريق سعيد بن المسيب وعكرمة عن ابن عباس، ذكر الحج في قصة وفد عبد القيس، فإن كان محفوظاً، فالمراد بالأربع ما عدا الشهادتين وأداء الخمس، (**وقد كان لعبد القيس وفدتان، إحداهما قبل الفتح، ولهذا قالوا له عليه الصلاة والسلام: حال بيننا وبينك كفار مضر، وكان ذلك قديمًا، إما في سنة خمس**) من الهجرة، (**أو قبلها**) وكان سبب ذلك أن منقذ، بميم مضمومة، ونون ساكنة وقاف مكسورة ـ ابن حبان ـ بفتح المهملة والموحدة، كان متجره إلى المدينة، فمر به ﷺ، وهو قاعد، فنهض إليه منقذ، فقال عليه الصلاة والسلام: «كيف قومك»؟ ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل بأسمائهم، فأسلم منقذ، وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ، وكتب عليه الصلاة والسلام لجماعة عبد القيس كتابًا، فلما دخل إلى قومه كتمه أيامًا، وكان يصلي، فقالت زوجته لأبيها المنذر بن عائذ، وهو الأشج: إني أنكرت فعل بعلي منذ قدم من يثرب، إنه ليغسل أطرافه، ثم يستقبل الكعبة، فيحني ظهره مرة، ويضع جبينه إلى الأرض أخرى، فاجتمعا، فتجاريا ذلك، فوقع الإسلام في قلبه، ثم أخذ المنذر كتابه عليه الصلاة والسلام، وذهب إلى قومه، فقرأه عليهم، فأسلموا، وأجمعوا المسير إلى رسول الله ﷺ، كذا ذكر الكرماني، (**وكانت قريتهم بالبحرين**) أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، كما يأتي، (**وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً،**) كما رواه البيهقي وغيره، (**وقيل: كانوا أربعة عشر راكبًا،**) كما جزم به القرطبي والنووي وهم: المنذر بن عائذ، وهو الأشج، ومنقذ بن حبان،

وفيها سألوه عن الإيمان، وعن الأشربة، وكان فيهم الأشج، وكان كبيرهم، وقال له عليه الصلاة والسلام: إن فيك لخصلتين خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناءة. رواه مسلم من حديث أبي سعيد.

وأخرج البيهقي: قال: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه قال: سيطلع عليكم من ....

ومزيدة بن مُلك، وهو بميم وزاي بوزن كبيرة، وعمرو بن رحوم، والحْرث بن شبيب، وعبيدة بن همام، والحْرث بن جندب، وصحار. بضم الصاد وبالحاء المهملتين. ابن العباس، وعقبة بن حروة، وقيس بن النعمان، والجهم بن قثم، وجويرة العبدي، ورستم العبدي، والزراع بن عامر انتهى ملخصاً من الفتح، **(وفيها سألوه عن الإيمان وعن الأشربة)** على حذف مضاف، أي: عن ظروفها، أو حذف الصفة، أي: التي تكون في الأواني المختلفة، **(وكان فيهم الأشج)**. بهمزة، فشين معجمة مفتوحتين فجيم، واسمه المنذر بن عائذ. بمهملة وتحتية ومعجمة، سماه النبي ﷺ الأشج لأثر كان في وجهه.

قال النووي: هذا هو الصحيح المشهور في اسمه الذي قاله ابن عبد البر والأكثرون.

وقال الكلبي: اسمه المنذر بن الحْرث بن زياد بن عصر بن عوف، وقيل: اسمه المنذر بن عامل، وقيل: ابن عبيد، وقيل: اسمه عائذ بن المنذر، وقيل: عبد اللّه بن عوف العصري، بفتح العين والصاد المهملتين، **(وكان كبيرهم)** قدرًا لا ينافي الحديث الآتي، وكان أصغرهم سنًا، **(وقال له عليه الصلاة والسلام: إن فيك لخصلتين يحبهما اللّه الحلم،)** بحاء مكسورة، فلام ساكنة فميم. العقل **(والأناءة)**، بهمزة ونون مفتوحتين، فألف، فتاء تأنيث وبالقصر. التثبت وعدم العجلة.

قال عياض: وهي تربصه حين نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم أنه ﷺ، قال لهم: تبايعون على أنفسكم وقومكم؟ فقالوا: نعم، فقال الأشج: يا رسول اللّه إنك لن تزاول الرجل على شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن إتبعنا كان منا، ومن أبى قتلناه، قال: صدقت إن فيك خصلتين الخ، فهذا يدل على صحة عقله وجودة نظره للعواقب انتهى.

(رواه مسلم من حديث أبي سعيد) الخدري، ولا يخالف هذا النهي عن مدح الرجل في وجهه، لأن ما كان من النبي ﷺ وحي ولا يجوز كتمه، أو أنه علم من حاله أنه لا يلحقه من المدح إعجاب، فأخبره بأن ذلك مما يحبه اللّه ليشكره على ما منحه ويزداد لزومًا له، **(وأخرج البيهقي)**، وأبو يعلى، والطبراني بسند جيد، عن مزيد بن مُلك العصري، **(قال: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه، قال: «سيطلع،)** بضم اللام، ولفظ الرواية: إذ قال لهم: «سيطلع **(عليكم من**

هٰهنا ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر بن الخطاب نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكبًا، فبشرهم بقوله عليه الصلاة والسلام ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ، فرموا بأنفسهم عن ركائبهم، فأخذوا يده فقبلوها. الحديث وأخرجه البخاري في الأدب المفرد. فيمكن أن يكون أحد المذكورين غير راكب أو مرتدفًا.

وثانيتهما: كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذٍ ....

هٰهنا ركب هم خير أهل المشرق»، فقام عمر بن الخطاب نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكبًا،) فقال من القوم؟ قالوا: من بني عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد ألتجارة؟ قالوا: لا، قال: أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفًا، فقال: خيرًا.

هذا لفظ رواية البيهقي وغيره، واختصره المصنف تبعًا للحافظ بقوله: (**فبشرهم بقوله عليه الصلاة والسلام،**) أي: بمعنى قوله على طريق الإجمال، كما علم من لفظ الرواية، (**ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ،**) فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدون، (**فرموا بأنفسهم عن ركائبهم،**) فمنهم من مشى إليه، ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ، فابتدروه القوم ولم يلبسوا إلاَّ ثياب سفرهم.

هذا أسقطه من رواية البيهقي قبل قوله: (**فاحذوا يده فقبلوها.. الحديث**) بقيته، وتخلف الأشج، وهو أصغر القوم في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، وذلك بعين رسول الله ﷺ.

وفي حديث الزراع بن عامر عند البيهقي: فجعلنا نتبادر من رواحلنا نقبل يد رسول الله ورجله، وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عبئته، فلبس ثوبيه، وفي حديث عند أحمد: فأخرج الأشج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ، فقبلهما، وكان رجلاً دميماً، فلما نظر ﷺ إلى دمامته، قال: يا رسول الله إنه لا يستقي في مسوك الرجال، إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه، فقال له ﷺ: إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة، قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله تعالى جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله تعالى ورسوله.

وفي مسند أبي يعلى قديمًا كان في أم حدثًا قال: بل قديمًا، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما، (**وأخرجه البخاري في الأدب المفرد**) مطوَّلاً من وجه آخر عن رجل من وفد عبد القيس لم يسمعه، فصرح في ذا الحديث بأنهم ثلاثة عشر راكبًا، فيخالف القول بأنهم أربعة عشر، (**فيمكن**) في طريق الجمع بينهما (**أن يكون أحد المذكورين غير راكب،**) بل راجل (**أو مرتدفًا**) مع واحد منهم، فلا خلف (**وثانيتهما كانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ**

أربعين رجلاً، كما في حديث أبي خيرة الصباحي عند ابن منده.

ويؤيد التعدد: ما أخرجه من وجه آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم: مالي أرى ألوانكم تغيرت؟ ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير، وفي قولهم: يا رسول الله، دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين، وكذا في قولهم كفار مضر، وقولهم: الله ورسوله أعلم.

أربعين رجلاً).

قال الحافظ: سمى منهم في جملة أخبار، زيادة على الأربعة عشر السابقين، مطر أخو الزراع وابن أخته، ولم يسم، ومسمرح السعدي.

روى ابن السكن أنه وفد مع عبد القيس، وجابر بن الحٰرث، وخزيمة بن عبد عمرو، وهمام بن ربيعة، وجارية، بجيم أوله، ابن جابر ذكرهم ابن شاهين، ونوح بن مخلدة، وأبو خيرة، والجارود العبدي، وقد ذكر ابن إسحٰق قصته، وأنه كان نصرانيًا، فأسلم وحسن إسلامه، **(كما في حديث أبي خيرة)** بفتح الخاء المعجمة، وسكون التحتية، فراء، فهاء. **(الصباحي)**. بضم الصاد المهملة، فموحدة خفيفة، فألف، فحاء مهملة. نسبة إلى صباح بطن من عبد القيس، كما في الفتح.

زاد في الإصابة عن الخطيب: أنه لا يعلم أحدًا سماه **(عند ابن منده)** والدولابي وغيرهما، عنه قال: كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ من وفد عبد القيس، وكنا أربعين رجلاً نسأله عن الدباء والنقير.. الحديث، وفيه: فزوّدنا الأراك نستاك به، فقلنا: يا رسول الله عندنا الجريد، ولكن نقبل كرامتك وعطيتك، فقال: اللهم إغفر لعبد القيس، أسلموا طائعين غير مكرهين، إذ قعد قوم لم يسلموا إلاَّ خزايا موترين، **(ويؤيد التعدد ما أخرجه)** ابن حبان، كما في الفتح، وبيض له المصنف **(من وجه آخر؛ أنه عليه الصلاة والسلام، قال لهم: ما لي أرى ألوانكم تغيرت، ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير،)** وهذا كله على أن لهما وفادتين، كما جزم به الحافظ في المغازي من فتح الباري قائلاً: إنه الذي تبين لنا، وذكر قول المصنف، وقد كان لعبد القيس وفادتان حتى هنا، ومشى في كتاب الإيمان على الاتحاد، حيث جمع بين إختلاف الروايتين في عددهم، بأنه يمكن أن الثلاثة عشر كانوا رؤوس الوفد، ولهذا كانوا ركبانًا، وكان الباقون اتباعًا انتهى.

(وفي قولهم: يا رسول الله، دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين، وكذا في قولهم كفار مضر، وقولهم الله ورسوله أعلم،) هذه عبارة الفتح، ومر أن المصنف أسقط ذا من

ويدل على سبقهم إلى الإسلام أيضًا، ما في البخاري: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثي من البحرين، وهي قرية لهم، وإنما جمَّعوا بعد رجوع وفدهم إليهم، قال في فتح الباري: فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام.

وما جزم به ابن القيم من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث، لأنه لم يكن فرض، هو المعتمد. وقد قدمت الدليل على قدم إسلامهم، لكن جزمه تبعا للواقدي بأن قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد، لأن

لفظ الخبر سهوًا، أو من الناسخ، وأورد شيخنا حافظ العصر البابلي رحمه اللَّه تعالى، حيث كانوا مسلمين، فكيف يقولون جوابًا لقوله: أتدرون ما الإيمان؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، وأجاب بأنه احتمل عندهم أن ما دخلوا به في الإسلام تغير لحقيقة أخرى، لأن الزمن كان زمن وحي، ونظيره حديث حجة الوداع: أتدرون ما هذا اليوم؟ وما هذا الشهر؟ وما هذا البلد؟ فقالوا: اللَّه ورسوله أعلم، مع معرفتهم أن اليوم عرفة، والشهر الحرام، والبلد مكة، **(ويدل على سبقهم إلى الإسلام أيضًا ما في البخاري)** في الجمعة والمغازي عن ابن عباس أنه قال: **(إن أوّل جمعة جمعت،)** بضم الجيم، وشد الميم المكسورة.

زاد في رواية أبي داود: في الإسلام **(بعد جمعة،)** زاد البخاري في المغازي جمعت **(في مسجد رسول اللَّه ﷺ،)** زاد أبو داود: بالمدينة، والنسائي: بمكة، وهو خطأ بلا مرية قاله الحافظ **(في مسجد عبد القيس بجواثي من البحرين،)** بضم الجيم، وتخفيف الواو، وقد تهمز، ثم مثلثة خفيفة، **(وهي قرية،)** كما في رواية أبي داود قرية من قرى البحرين، وفي أخرى له من قرى عبد القيس، وحكى الجوهري والزمخشري، وابن الأثير أن جواثي اسم حصن بالبحرين، وهذا لا ينافي كونها قرية.

وحكى ابن التين عن أبي الحسن اللخمي: أنها مدينة، وما ثبت في الحديث من كونها قرية أصح، مع احتمال أن تكون في الأوّل قرية، ثم صارت مدينة، قاله الحافظ، **(وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم، قال في فتح الباري: فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام)** فينافي من قال: إنهم قدموا سنة تسع، فهذا مما يؤيد تعدد القدوم أيضًا، **(وما جزم به ابن القيم من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث، لأنه لم يكن فرض هو المعتمد، وقد قدمت الدليل على قدم إسلامهم)** قريبًا، **(لكن جزمه تبعًا للواقدي؛ بأن قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة،)** صوابه بعدلان فتحها سنة ثمان، والذي قاله الحافظ، لكن جزم القاضي عياض؛ بأن قدومهم كان سنة ثمان قبل فتح مكة، تبع فيه الواقدي **(ليس بجيد، لأن فرض**

فرض الحج كان سنة ست على الأصح، ولكنه اختار ـ كغيره ـ أن فرض الحج في السنة العاشرة، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور شيء.

وقد احتج الشافعي بكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأنه ﷺ كان قادرًا على الحج في سنة ثمان، وفي سنة تسع، ولم يحج إلا في سنة عشر، وسيأتي في حجه ﷺ من مقصد عبادته مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

فإن قلت كيف قال ﷺ آمركم بأربع، والمذكورات خمس؟

قلت: أجاب القاضي عبد الوهاب تبعًا لابن بطال: بأن الأربع، ما عدا أداء الخمس، قال: وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، التي هي الأربع ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد إلى ذكرها بعينها لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين. قال: وكذلك لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض.

الحج كان سنة ست على الأصح،) فالتحرير أنهم قدموا مرتين مرة قبل سنة ست، ولذا لم يذكر الحج، ومرة بعدها سنة ثمان، أو تسع، **(ولكنه اختار كغيره أن فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه، أنه على الفور شيء)** وبنى مختاره على اتخاذ القدوم، **(وقد احتج الشافعي بكونه على التراخي، بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأنه ﷺ قادر على الحج في سنة ثمان،)** التي هي سنة الفتح، وولى على الحج فيها عتاب بن أسيد كما مر.

(وفي سنة تسع،) وفيها ولي الصديق على الحج، **(ولم يحج إلاَّ في سنة عشر،)** فدل ذلك على التراخي، وأجاب القائلون بالفور: بأنه لم يحج في السنتين لأعذار، **(وسيأتي في حجه عليه الصلاة والسلام من مقصد عباداته مزيد بيان لذلك إن شاء اللَّه تعالى،)** وقد شاء، **(فإن قلت كيف، قال ﷺ: آمركم بأربع والمذكورات خمس، قلت: أجاب القاضي عبد الوهاب)** كذا في نسخ المصنف والمذكور في الفتح القاضي فقط، ثم أفصح عنه بعد قليل بقوله القاضي عياض، وهو الصواب لقوله: **(تبعًا لابن بطال)** المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وعبد الوهاب مات سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة عن ستين سنة، فهو متقدم الوفاة على ابن بطال، فكيف يتبعه، **(بأن الأربع ما عدا أداء الخمس، قال: وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان التي هي الأربع، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد إلى ذكرها،)** أي: الخصلة الخامسة **(بعينها لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين، قال: وكذلك لم يذكر الحج، لأنه لم يكن فرض).**

وقال غيره: قوله «وأن تعطوا» معطوف على قوله «بأربع» أي: آمركم بأربع وآمركم بأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع والإتيان: بأن والفعل، مع توجه الخطاب إليهم.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: يحتمل أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام عد الصلاة والزكاة واحدة لأنها قرينتها في كتاب، وتكون الرابعة أداء الخمس، أو أنه لم يعد الخمس لأنه داخل في عموم إيتاء الزكاة، والجامع بينهما: أنه إخراج مال معين.

وقال البيضاوي: الظاهر أن الأمور الخمسة هنا تفسير للإيمان، وهو أحد الأربعة الموعودة بذكرها، والثلاثة الأخرى حذفها الراوي اختصارًا أو نسيانًا.

(وقال غيره،) وهو ابن الصلاح **(قوله: وأن تعطوا معطوف على قوله بأربع، أي: آمركم بأربع، وآمركم بأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع، والإتيان بأن، والفعل مع توجه الخطاب إليهم).**

وقد قال النووي في ذا الجواب والذي قبله: أنهما أصح الأجوبة، وتوقف فيهما الكرماني، بأن البخاري عقد الباب على أن أداء الخمس من الإيمان، فلا بد وأن يكون داخلاً تحت أجزاء الإيمان، كما أن ظاهر العطف يقتضي ذلك انتهى، وهذا سبقه إليه ابن رشيد، وأجاب: بأن المطابقة تحصل من جهة أخرى، وهي أنهم سألوه عن الأعمال التي يدخلون بها الجنة، وأجيبوا بأشياء منها: أداء الخمس والأعمال التي تدخل الجنة هي أعمال الإيمان، فيكون أداء الخمس من الإيمان بهذا التقرير، وأجاب ابن التين بأن الزيادة لا تمنع إذا حصل الوفاء بعد الأربع.

قال الحافظ: ويدل على ذلك لفظ مسلم عن أبي سعيد: آمركم بأربع: اعبدوا اللَّه، ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم.

(وقال القاضي أبو بكر بن العربي: يحتمل أن يقال إنه عليه الصلاة والسلام عد الصلاة والزكاة واحدة، لأنها قرينتها في كتاب، وتكون الرابعة أداء الخمس،) فلا زيادة عما عدّ، **(أو أنه لم يعد الخمس، لأنه داخل في عموم إيتاء الزكاة، والجامع بينهما أنه إخراج مال معين)** في حال دون حال.

(وقال البيضاوي) في شرح المصابيح: **(الظاهر أن الأمور الخمسة هنا تفسير للإيمان، وهو أحد الأربعة الموعود بذكرها، والثلاثة الأخرى حذفها الراوي اختصارًا، أو نسيانًا،)** وهذا بعيد جدًا، لما فيه من نسبة الراوي إلى ما الأصل عدمه، ولذا قال الحافظ: ما ذكر أنه الظاهر لعله بحسب ما ظهر له، وإلاَّ فالظاهر من السياق أن الشهادة أحد الأربع لقوله: وعقد واحدة، قال:

وتعقب بأنه وقع في صحيح البخاري أيضًا في رواية: «آمركم بأربع: شهادة أن لا إله إلا الله، وعقد واحدة» فدل على أن الشهادة إحدى الأربع.

وقال القرطبي: قيل إن أوّل الأربع المأمور بها: إقام الصلاة، وإنما ذكر الشهادتين تبركًا، وإلى هذا نحا الطيبي، فقال عادة البلغاء أن الكلام إذا كان منصوبًا لغرض جعلوا سياقه له، وطرحوا ما عداه، وهنا لم يكن الغرض في الإيراد ذكر الشهادتين لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة، ولكن ربما كانوا يظنون الإيمان مقصور عليهما كما كان الأمر في صدر الإسلام. قال: ولهذا لم

وكأنه أراد أن يرفع إشكال كون الإيمان واحداً، والموعود بذكره أربع، وقد أجيب عن ذلك؛ بأنه باعتبار أجزائه المنفصلة أربع، وهو في ذاته واحد، والمعنى أنه اسم جامع للخصال الأربع التي ذكر أنه يأمرهم بها، ثم فسرها، فهو واحد بالنوع متعدد بحسب وظائفه، كما أن المنهي عنه، وهو الإنتباذ فيما يسرع إليه الإسكار، واحد بالنوع متعدد بحسب أوعيته، والحكمة في الإجمال بالعدد قبل التفسير أن تتشوّق النفس إلى التفصيل، ثم تسكن إليه، وأن يتحصل حفظها للسامع، فإذا نسي شيئًا من تفاصيلها طلب نفسه بالعدد، فإذا لم يستوف العدد الذي في حفظه علم أنه قد فاته بعض ما سمع انتهى، فاختصره المصنف بقوله: (**وتعقب بأنه وقع في صحيح البخاري أيضًا في رواية**) له في المغازي: (**آمركم بأربع: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وعقد واحدة**) وعنده في فرض الخمس، وعقد بيده، (**فدل على أن الشهادة إحدى الأربع،**) وأما ما وقع عند البخاري في الزكاة من زيادة واو في قوله: وشهادة أن لا إلٰه إلاَّ اللَّه، فهي زيادة شاذة، لم يتابع أحد عليها، راويها حجاج بن منهال، ومما يدل أيضًا على أنه عد الشهادتين من الأربع، رواية البخاري في المواقيت بلفظ: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، ثم فسرها لهم: شهادة أن لا إلٰه إلاَّ اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، لأنه أعاد الضمير في قوله، فسرها مؤنثًا، فيعود على الأربع، ولو أراد تفسير الإيمان لأعاده مذكرًا، قاله الحافظ.

(**وقال القرطبي:**) أبو العباس في المفهم على مسلم، (**قيل:**) في الجواب عن الأشكال، (**إنَّ أوّل الأربع المأمور بها، إقام الصلاة، وإنما ذكر الشهادتين تبركًا،**) كما قيل في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه﴾ [الأنفال: ٤١]، (**وإلى هذا نحا الطيبي، فقال: عادة البلغاء أن الكلام إذا كان منصوبًا،**) أي: مسوقًا (**لغرض جعلوا سياقه له، وطرحوا ما عداه،**) وإن ذكروه، (**وهنا لم يكن الفرض في الإيراد ذكر الشهادتين، لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة،**) فلم يقصدا بالذكر، بل ذكرا تبركًا، (**ولكن ربما كانوا يظنون أن الإيمان مقصور عليهما، كما كان الأمر في صدر الإسلام، قال: ولهذا لم يعد الشهادتين في**)

يعد الشهادتين في الأوامر، انتهى ملخصًا من فتح الباري.

الوفد الخامس:

وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد بني حنيفة، فيهم مسيلمة الكذاب، فكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار، من بني النجار، ....

الأوامر) قيل: ويرد على هذا الإتيان بحرف العطف، فيحتاج إلى تقدير.

قال ابن العربي: لولا وجود حرف العطف لقلنا: إن ذكر الشهادتين ورد على سبيل التصديق، لكن يمكن أن يقرأ قوله: وإقام الصلاة بالخفض، فيكون عطفًا على قوله: آمركم بأربع مصدرًا به وبشرطه من الشهادتين، وآمركم بإقام الصلاة إلى آخره.

قال: ويؤَيد هذا حذفها في رواية البخاري في الأدب، **(انتهى)** جميع ما ذكره **(ملخصًا من فتح الباري)** في كتابي الإيمان والمغازي، إلاَّ ما نقله عن ابن القيم، فليس فيه، واللَّه أعلم.

(الوفد الخامس:)

(وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد بني حنيفة) قبيلة كبيرة ينزلون اليمامة، بين مكة واليمن، ينسبون إلى جدهم حنيفة بن لجيم . بالجيم . ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

ذكر الواقدي: أنهم كانوا سبعة عشر، **(فيهم مسيلمة الكذاب،)** بكسر اللام مصغرًا . ابن ثمامة بن كبير، بموحدة . ابن حبيب من بني حنيفة، وزعم وثيمة في كتاب الردة؛ أن مسيلمة لقب، واسمه ثمامة وفيه نظر، لأن كنيته أبو ثمامة، فإن كان محفوظًا، فيكون ممن توافقت كنيته واسمه، **(فكان منزلهم)** . بفتح الميم والزاي مصدر ميمي، أي: نزولهم مضاف لفاعله، ويجوز ضم الميم مع فتح الزاي أيضًا من إضافة المصدر لمفعوله، فيفيد أن النبي، أو أحد من صحبه أمر بإنزالهم، وقد ضبط البرهان، الزاي بالفتح، وسكت عن الميم، فيحتمل الضبطين، وأما كسر الزاي مع فتح الميم اسم للموضع، فكأنه ليس مرادًا هنا لإيهامه موضعًا معينًا من الدار، مع أن المراد مجرد النزول دون تعيين، محل **(في دار امرأة من الأنصار من بني النجار،)** هي كما، قاله الحافظ رملة بنت الحدث، بدال بعد الحاء المهملة، لا براء قبلها ألف، كما عند ابن سعد وغيره، والحدث هو ابن ثعلبة بن الحرث بن زيد الأنصارية النجارية، كانت دارها دار الوفود، وهي صحابية زوجة معاذ بن عفراء، وأما كيسة، بكاف، فتحتية مشددة فمهملة . بنت الحرث بن كريز . بضم الكاف . ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فكانت زوجًا لمسيلمة، ولم تكن إذ ذاك بالمدينة وإنما كانت باليمامة، فلما قتل مسيلمة تزوَّجها ابن عمها عبد اللَّه بن عامر بن كريز، ذكر ذلك الدارقطني، وتبعه ابن ماكولا، فلا يصح تفسير المرأة بها، كما فعل

فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ يستر بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، في يده عسيب من سعف النخل، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ - وهم يسترونه بالثياب - كلمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك.

وذكر حديثه ابن إسحٰق على غير ذلك فقال: حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة: أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا، فأمر له رسول الله ﷺ بما أمر به للقوم، وقال لهم: إنه ليس بشركم مكانا، يعني لحفظه ضيقة أصحابه، ....

السهيلي، لأنها قرشية عبشمية، وقد قال في الرواية: امرأة من الأنصار، انتهى ملخصًا من الفتح، ومقدمته (**فأتوا**،) كما ذكره ابن إسحٰق عن بعض علمائه (**بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ يستر بالثياب**) إكرامًا له وتعظيمًا، ولعل ذلك عادتهم فيمن يعظمونه، وقد كان أمره عند قومه كبيرًا، فكانوا يقولون له رحمن اليمامة، قبل مولد عبد الله والد النبي ﷺ، ولما سمعت قريش البسملة قال قائلهم: دق فوك، إنما يذكر مسيلمة رحمٰن اليمامة، قتل مسيلمة، وهو ابن مائة وخمسين سنة، ذكره السهيلي (**ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه في يده عسيب**،) بفتح العين، وكسر السين المهملتين. (**من سعف النخل**) في رأسه خويصات، كما في السيرة، وفي المصباح: السعف أغصان النخل ما دامت بالخوص، فإذا زال عنها قيل لها: جريدة الواحدة سعفة مثل قصب وقصبة، فتفسير النور عسيب بالجريدة، توهم أنه لا خوص بها، وليس بمراد لما علم، (**فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، وهم يسترونه بالثياب، كلمه وسأله**) أن يجعَل له الأمر من بعده، كما هو لفظ حديث الصحيحين الآتي: وأن يشركه معه في النبوَّة، (**فقال له رسول الله ﷺ: لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك**،) مبالغة في منعه عن سؤاله ما لا يكون له، (**وذكر حديثه ابن إسحٰق على غير ذلك، فقال**) بعدما أورد هذا أوَّلاً عن بعض علمائه، وقد (**حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة**؛) أن حديثه كان على غير هذا، زعم (**أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه**،) أي: محله، (**فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا، فأمر له رسول الله ﷺ بما أمر به للقوم**،) وهو خمس آواق فضة لكل واحد، (**وقال لهم: إنه ليس بشركم مكانًا، يعني**) أنه قصد معكم معروفًا (**لحفظه ضيعة أصحابه**،) بفتح الضاد، وإسكان

ثم انصرفوا، فلما قدموا اليمامة ارتد ـ عدوّ الله ـ وتنبأ وقال: إني أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع السجعات، فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرءان:

لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى.

وسجع اللعين على سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر/ ١]، فقال: إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل فاجر. وفي رواية إنا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر، واحذر أن تحرص أو تكاثر، وفي رواية: إنا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر.

التحتية ومهملة، المراد بها هنا ظهرهم وحوائجهم، وإن كانت في الأصل العقار، (**ثم انصرفوا، فلما قدموا اليمامة ارتد عدوُّ اللّه**) ظاهره أنه كان أسلم (**وتنبأ**) ادعى النبوَّة، (**وقال: إني أشركت**)، بضم الهمزة مبني للمفعول (**في الأمر معه**)، وبقية هذه الرواية في ابن إسحٰق، وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم إنه ليس بشركم مكانًا، ما ذاك إلاَّ لما يعلم أني أشركت في الأمر معه، (**ثم جعل يسجع السجعات، فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرءان**،) أي: مشاكلة تقول ضاهات فلانًا، وضاهيته بالهمزة، وتركه بهما قرىء يضاهون قول الذين كفروا قراءة عاصم بالهمز وكسر الهاء، والباقون بضم الهاء بلا همز، (**لقد أنعم اللّه على الحبلى**) عام في كل امرأة وبهيمة تلد، وقيل: مختص بالآدميات، فغيرهم من بهائم وشجر، يقال: حمل بالميم، (**أخرج منها نسمة**) . بفتح السين. روحًا (**تسعى**) تمشي (**من بين صفاق**،) بكسر المهملة، وخفة الفاء، فألف، فقاف، الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو ما بين الجلد والمصران، أو جلد البطن كله، كما في القاموس (**وحشى**) . بالقصر المعي والجمع أحشاء، مثل عنب وأعناب، (**وسجع**،) كمنع نطق بكلام له، فواصل، فهو ساجع، والسجع الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روى جمعه أسجاع، كما في القاموس في فصل السين من باب العين المهملتين (**اللعين على سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾** [الكوثر/١] (**فقال: إنا أعطيناك الجواهر**)، فظن اللعين المخذول أن الجواهر تعادل الكوثر، فجهل اللغة العربية أن الكوثر الخير الكثير، (**فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل فاجر**،) ليت شعري ما الذي جاء به، فإنه أخذ لفظ القرءان، وحرف الكلم عن مواضعه، أبدل شانئك بمبغضك، ولكونه هو الفاجر، أتى الفجور في لسانه، وصرف عن الإتيان بما يفيد الحصر.

(**وفي رواية: إنا أعطيناك الجماهر، فخذ لنفسك وبادر، واحذر إن تحرص، أو تكاثر**،) بمثلثة، أو موحدة.

(**وفي رواية: إنا أعطيناك الكواثر، فصل لربك وبادر، في الليالي الغوادر**،) أي: المظلمة،

ولـم يعرف الـمخذول أنه مـحروم عن الـمطلوب، وسيأتي في أوائل مقصد معجزاته عليه الصلاة والسلام من تسجيع مسيلمة الركيك زيادة على ما ذكرته هنا إن شاء الله.

وقيل: إنه أدخل البيضة في القارورة وادعى أنها معجزة له، فافتضح بنحو ما ذكر: أن النوشادر إذا ضرب في خل الخمر ضربًا جيدًا، وتجعل فيه بيضة بنت يومها يومًا وليلة فإنها تمتد كالخيط، فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فإنها تجمد.

ولما سمع اللعين أن النبي ﷺ مسح رأس صبي كان ألَمَّ به داء فشفي في الوقت ومج في عين بئر فكثر ماؤها، وتفل في عين علي ـ وكان أرمد ـ فبرأ. فتفل في بئر فغار ماؤها، وفي عين بصير فعمي، ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها. ويبس ضرعها، ولله در الشقراطيسي حيث يقول يخاطب النبي ﷺ:

أعجزت بالوحي

(ولـم يعرف الـمخذول أنه مـحروم عن الـمطلوب، وسيأتـي فـي أوائل مقصد معجزاته عليه الصلاة والسلام،) وهو الرابع **(من تسجيع مسيلـمة الركيك، زيادة علـى ما ذكرته هنا إن شاء اللّه، وقيل: إنه أدخل البيضة فـي القارورة).**

وفي الروض، يقال: إنه أوّل من فعل ذلك، وأوّل من وصل جناح الطائر المقصوص، **(وادعى أنها معجزة، فافتضح بنحو ما ذكر إن النوشادر)** بضم النون، وكسر الدال المهملة، وآخره راء. **(إذا ضرب فـي خل الـخمر ضربًا جيدًا، وتـجعل فـيه بيضة بنت يومها يومًا ولـيلة، فإنها تمتد كالـخيط، فتـجعل فـي القارورة ويصب علـيها الـماء البارد، فإنها تـجمد)**. بضم الميم، **(ولـما سمع اللعين أن النبـي ﷺ مسح رأس صبـي كان ألـم)**. بالفتح والتثقيل. نزل **(به داء فشفـي فـي الوقت،)** كذا في نسخ، وفي غالبها إسقاطها، والاقتصار على أن النبي مج، ويدل عليه أنه لم يذكر نظيرها، **(ومـج فـي عين بئر، فكثر ماؤها، وتفل فـي عِين علـي، وكان أرمد فبرأ)** . بفتح الراء أكثر من كسرها. **(فتفل)** جواب لما اقترن بالفاء، على قلة **(فـي بئر، فغار ماؤها، وفـي عين بصير فعمي، ومسح بـيده ضرع شاة حلوب، فارتفع درها)** لبنها، **(ويبس ضرعها،)** ولم يذكر نظير الأولى، وقد ذكرها في الروض، وقال: ومسح رأس صبي، فقرع قرعًا فاحشًا، **(وللّه در الشقراطيسي، حيث يقول يخاطب النبـي ﷺ)** في قصيدته الطنانة التي قدم المصنف منها في الفتح، وقبله المولد **(أعجزت بالوحي)** القرءان، لأن اللّه أطلقه عليه في قوله: إن هو إلاَّ وحي

..............أرباب البلاغة في عصر البيان فضلَّت أوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته فتلَّهم عنه حين العجز حين تلي
فرام رجس كذوب أن يعارضه بعي غي فلم يحسن ولم يطل
ـشبج بركيك الإفك ملتبس ملجلج بزري الزور والخطل
يمج أول حرف سمع سامعه ويعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذَّبه لبس من الخبل أو مسّ من الخبل

يوحى (**أرباب**) جمع رب، أي: ملوك (**البلاغة في عصر**) زمان (**البيان،**) هو والبلاغة والفصاحة متقاربة، بمعنى: (**فضلت**) ضاعت وهلكت (**أوجه الحيل،**) فلم يقدروا على حيلة يدفعوه بها، (**سألتهم سورة في مثل حكمته،**) وفي نسخة محكمه، ولو أبدل في بمن لوافق قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] الآية. (**فتلهم**) . بفوقية وشد اللام. صرعهم (**عنه حين**) . بفتح فسكون. هلاك (**العجز حين تلى**) قرىء (**فرام**) طلب بالفاء، وفي نسخة بالواو، والأولى أحسن (**رجس**) قذر (**كذوب**) يعني مسيلمة، جعله رجسًا مبالغة في ذمه، أو على حذف مضاف، أي: ذو رجس (**أن يعارضه،**) أي: القرءان (**بعي**) . بمهملة. ضعف نطق، وانقطاعه (**غي،**) بمعجمة، أي: ضلالة وخيبة.

وفي نسخة: بسخف إفك، أي: رقة عقل، والإفك الكذب وإضافة السخف إليه على معنى، أن كذبه الذي أتى به سخيف واه، (**فلم يحسن**) عي الغي، أو سخف الإفك، (**ولم يطل،**) أي: يمتد من طال.

وفي نسخة: بضم حرفي المضارعة من أحسن وأطال، والواو في ولم يطل للحال، أي: والحال أنه فقد كلامه صفة الحسن على قصره عيا منه وغباوة (**مشبج،**) بمثلثة، فموحدة، فجيم مبهم. لم يبين، أو مضطرب فاسد المعاني، (**بركيك الإفك،**) ضعيف الكذب، قليل الفائدة، (**ملتبس**) مختلط، مشتبه، متعلق بركيك الإفك، أي: مع فساد، معناه: قد اختلط بإفك ركيك (**ملجلج،**) مردد غير مفصح به (**بزري،**) بالزاي قبل الراء، أي: حقير (**الزور،**) الكذب (**والخطل،**) المنطق الفاحش، ثم يجوز الرفع على أنها أخبار لمحذوف، أي: الذي أتى به مشبج، والجر صفة لما قبله (**يمج،**) يطرح ويلقي (**أوَّل حرف سمع سامعه، ويعتريه**) يصيبه (**كلال**) تعب (**العجز**) عن سماعه، (**والملل**) منه لرذالته وقبحه، (**كأنه منطق الورهاء،**) المرأة الحمقاء، (**شذبه**) خلطه، فشذب فعل ماض، والهاء ضمير المفعول، أي: خلط (**لبس**) اختلاط (**من الخبل**) . بالسكون. الفساد، (**أو مس من الخبل**) . بالفتح. الجنون، والمس الجنون أيضًا، والمعنى قطع ذلك الكلام وفرقه، فلم يلتئم تخليطه، ويروى شذبه كصد، وبه جار ومجرور فلبس، أما فاعل

أمرت البئر واغورت لمحبته فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شؤم راحته من بعد إرسال رسل منه منهمل

فشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة، بكلام امرأة ورهاء، وهي الحمقاء التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم، فهي تهذي بكلام مشذب ـ أي مختلط ـ لا يقترن بعضه ببعض، ولا يشبه بعضه بعضًا ككلام من به خبل ـ بسكون الموحدة ـ أي فساد، أو مس من الخبَل ـ بفتحها ـ أي جنون.

ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي.

وقد كان كتب لرسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإني قد أشركت معك الأوامر، وإن لنا نصف الأوامر، ولقريش نصف الأمر.

شذا ومبتدأ وخبره المتقدم عليه، أي: به لبس، أي: أنه وإن أشبه منطق الورهاء إلاَّ أنه شاذ بالنسبة إليه (**أمرت البئر واغورت،**) أي: غار ماؤها (**لمحبته فيها، وأعمى بصير العين بالتفل**) . بتحريك الفاء الساكنة للوزن، فتفل من بابي ضرب ونصر (**وأيبس الضرع منه شؤم**) ضد اليمن (**راحته**) كفه (**من بعد إرسال رسل**) لبن (**منه منهمل**) منصب جار،(**فشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة**)القرءان (**بكلام امرأة ورهاء، وهي الحمقاء التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم، فهي تهذي بكلام مشذب، أي: مختلط لا يقترن بعضه ببعض، ولا يشبه بعضه بعضًا، ككلام من به خبل ـ بسكون الموحدة، أي: فسادًا، ومس من الخبل ـ بفتحها، أي: جنون،**) وهذا على الرواية المشهورة: أن شذب فعل ماض اتصل به ضمير المفعول، كما مر وروى شذبه، واعتمده مخمس القصيدة إذ قال:

مسيلم هو هذا هل سمعت به سحقًا له من لعين في تكذبه
وما إليه دعا من سوء مذهبه كأنه منطق الورهاء شذبه

(**ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا**) ترغيبًا لهم في اتباعه، فأباح لهم ما يشتهون، (**وهو مع ذلك يشهد لرسول اللّٰه ﷺ أنه نبي،**) مشارك له في النبوة، فهذا من جملة سخافة عقله، إذ النبي لا يبيح المحرمات، (**وقد كان كتب لرسول اللّٰه ﷺ،**) لما ادعى النبوة سنة عشر، (**من مسيلمة رسول اللّٰه إلى محمد رسول اللّٰه، أما بعد فإني أشركت**) بضم الهمزة. (**معك في الأوامر،**) يعني: النبوة، (**وأن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر**)

فقدم عليه ﷺ بهذا الكتاب، فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وفي الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل ....

الذي في ابن إسحٰق، بلفظ نصف الأرض في الموضعين، وزاد: ولكن قريشًا يعتدون، (**فقدم عليه ﷺ بهذا الكتاب**،) والقادم به رسولا مسيلمة.

قال ابن إسحٰق: حدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، فقال: أما واللّٰه لولا أن الرسل لا تقتل لضرب أعناقكما.

وروى الطيالسي عن ابن مسعود، قال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولين لمسيلمة إلى رسول اللّٰه، فقال لهما: تشهدان أني رسول اللّٰه؟ فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول اللّٰه، فقال ﷺ: آمنت باللّٰه ورسوله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما.

قال عبد اللّٰه، يعني ابن مسعود: فمضت السنة أن الرسل لا تقتل، (**فكتب إليه رسول اللّٰه ﷺ: بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول اللّٰه، إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى**) الرشاد، (**أما بعد، فإن الأرض للّٰه يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**).

قال ابن إسحٰق: وذلك في آخر سنة عشر، (**وفي الصحيحين**) البخاري في علامات النبوّة والمغازي، ومسلم في الرؤيا (**من حديث نافع بن جبير**) بن مطعم القرشي، النوفلي، المدني، ثقة من رجال الجميع، مات سنة تسع وتسعين، (**عن ابن عباس، قال: قدم مسيلمة الكذاب على**) أسقط من البخاري، عهد وفسروه بزمن (**رسول اللّٰه ﷺ**) المدينة، (**فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر**) أي: الخلافة (**من بعده اتبعته**).

قال الحافظ: وثبت لفظ الأمر في علامات النبوّة، وسقط في المغازي من رواية الأكثر، وهو مقدر، وثبت في رواية ابن السكن (**وقدمها**،) أي: المدينة (**في بشر كثير من قومه**) بني حنيفة.

ذكر الواقدي: أن عدد من كان معه سبعة عشر نفسًا، فيحتمل تعدد القدوم، (**فأقبل**

النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي ﷺ قطعة من جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني، ثم انصرف ﷺ.

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي ﷺ: إنك الذي أريت فيه ما أريت فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن ....

النبي ﷺ) تأليفًا له ولقومه، رجاء إسلامهم وليبلغه ما أنزل إليه، **(ومعه ثابت بن قيس بن شماس)** بفتح المعجمة، والميم المشددة، فألف فمهملة، **(وفي يد النبي ﷺ قطعة من جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه،)** فكلمه في الإسلام، فطلب مسيلمة أن يكون له شيء من أمر النبوة، **(فقال)** ﷺ: **(لو سألتني هذه القطعة)** من الجريدة **(ما أعطيتكها،)** مبالغة في منعه لطلبه ما ليس له، **(ولن تعدو،)** لن تجاوز **(أمر الله)** حكمه **(فيك)**.

قال الحافظ: رواه الأكثر بالنصب، ولبعضهم لن تعد بالجزم بلن على لغة **(ولئن أدبرت،)** أي: خالفت الحق **(ليعقرنك الله)**. بالقاف، أي: يهلكك، **(وإني لأراك)**. بفتح الهمزة، لأعتقدك، وفي بعضها بضم الهمزة: لأظنك **(الذي أريت)**. بضم الهمزة وكسر الراء. في منامي **(فيه ما أريت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني،)** لأنه خطيب الأنصار وخطيبه عليه السلام، والنبي ﷺ أعطى جوامع الكلم، فاكتفى بما قاله لمسيلمة، وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب، فهذا الخطيب يقوم عني بذلك، ويستفاد منه استعانة الإمام بأهل البلاغة في جواب أهل العناد ونحو ذلك، قاله الحافظ، **(ثم انصرف ﷺ)**.

(قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي ﷺ إنك الذي أريت فيه ما أريت، فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ، قال: بينا) بلا ميم في المغازي، وفي علامات النبوّة بالميم، كما أفاده المصنف **(أنا نائم رأيت في يدي)** بالتثنية **(سوارين)**. بكسر السين، ويجوز ضمها.

وفي رواية: إسوارين. بكسر الهمزة وسكون المهملة. تثنية إسوار، وهي لغة في السوار، كما في الفتح **(من ذهب)** من لبيان الجنس، كقوله تعالى: ﴿وحلو أساور من فضة﴾، ووهم من قال: لا تكون الأساور إلاَّ من ذهب، فإن كانت من فضة، فهي القلب، **(فأهمني)** أحزنني **(شأنهما،)** لأن الذهب من حلية النساء محرم على الرجال.

وفي رواية: فكبر علي، **(فأوحي إليَّ في المنام)** على لسان ملك، أو وحي إلهام **(أن**

أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان من بعدي، فهذان هما: أحدهما العنسي صاحب صنعاء ....

أنفخهما) . بهمزة وصل وكسر النون. للتأكيد بالجزم على الأمر.

قال الطيبي: ويجوز أن تكون مفسرة، لا وحي مضمن، معنى القول وأن تكون ناصبة، والجار محذوف، **(فنفختهما، فطارا)** لحقارة أمرهما، ففيه إشارة إلى اضمحلال أمرهما وحقارته، لأن ما يذهب بالنفخ يكون في غاية الحقارة، قاله بعضهم ورده ابن العربي بأن أمرهما كان في غاية الشدة، لم ينزل بالمسلمين قبله مثله.

قال في الفتح: وهو كذلك، لكن الإشارة إنما هي للحقارة المعنوية لا الحسية، **(فأولتهما كذابين،)** لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه، ووضع الذهب المنهي عن لبسه من وضع الشيء في غير موضعه، إذ هما من حلية النساء، ففيه أن السوار وسائر آلات الحلى اللائقة بالنساء، تعبر للرجال بما يسوءهم، ولا يسرهم، وأيضًا، فالذهب مشتق من الذهاب، فعلم أنه شيء يذهب عنه، وتأكد ذلك بالأمر له بنفخهما، فطارا، فدل ذلك على أنه لا يثبت لهما أمره، وأيضًا يتجه في تأويل نفخهما أنه قتلهما بريحه، لأنه لم يقتلهما بنفسه، فأما العنسي، فقتله فيروز الديلمي في مرض موت النبي ﷺ على الصحيح، وأما مسيلمة، فقتل في خلافة الصديق، **(يخرجان من بعدي،)** أي: تظهر شوكتهما ودعواهما النبوّة، واستشكل بأنهما كانا في زمنه ﷺ، فإما أن يكون المعنى بعد نبوّتي، أو يحمل على التغليب، لأن مسيلمة قتل بعده، **(فهذان هما)** لفظ البخاري في المغازي، ليس فيه هذه الجملة، ولفظه في علامات النبوّة، فكان **(أحدهما العنسي)** . بفتح العين المهملة، وسكون النون، وكسر السين المهملة. من بني عنس، وحكى ابن التين: فتح النون.

قال الحافظ: ولم أر له في ذلك سلفًا **(صاحب صنعاء،)** ولقبه الأسود، واسمه كما قال الحافظ والمصنف وغيرهما عبهلة. بفتح العين المهملة، وسكون الموحدة وفتح الهاء. ابن كعب، وكان يقال له أيضًا: ذو الخمار، لأنه كان يخمر وجهه، وقيل: هو اسم شيطانه، وكان الأسود قد خرج بصنعاء وادعى النبوّة، وغلب على عامل النبي ﷺ على صنعاء المهاجر بن أبي أمية، ويقال: إنه مر به، فلما حاذاه عثر الحمار، فادعى أنه سجد له، ولم يقم الحمار حتى قال له شيئًا، فقام وكان معه شيطانان، يقال لأحدهما سحيق. بمهملتين وقاف مصغر، والآخر شقيق، بمعجمة وقافين مصغر، وكانا يخبرانه بكل شيء يحدث من أمور الناس، وكان باذان عامل النبي ﷺ بصنعاء، فمات فجاء شيطان الأسود، فأخبره، فخرج في قومه حتى ملكها، وتزوّج المرزبانة زوجة باذان، فواعدت فيروز وغيره، فدخلوا عليه ليلاً، وقد سقته الخمر صرفًا حتى

والآخر مسيلمة الكذاب.

سكر، وكان على بابه ألف حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار، حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه، وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت، وأرسلوا الخبر إلى المدينة، فوافاهم عند وفاته ﷺ.

قال أبو الأسود عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر أصحابه، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر، وقيل: وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ، **(والآخر مسيلمة الكذاب)** ادعى النبوّة في حياته ﷺ، لكن لم تظهر شوكته، ولم تقع محاربته إلاَّ في زمن الصديق، وكان بدء أمره أن الرحال الحنفي، واسمه نهار آمن وتعلم سورًا من القرءان، فرآه ﷺ مع فرات بن حيان وأبي هريرة، فقال: ضرس أحدكم في النار مثل أحد، فما زالا خائفين حتى ارتد الرحال، وآمن بمسيلمة، وشهد زورًا أن النبي ﷺ قد شركه معه في النبوّة، ونسب إليه بعض ما تعلم من القرءان، فكان أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة، فجمع جموعًا كثيرة ليقاتل الصحابة، فجهز له الصديق جيشًا أمَّر عليهم خالد بن الوليد، فقتل جميع أصحابه، ثم كان الفتح بقتل مسيلمة، قتله عبد اللَّه بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني، جزم به الواقدي وإسحٰق بن راهويه والحاكم، وقيل: عدي بن سهل، وبه جزم سيف، وقيل: أبو دجانة، وقيل: زيد بن الخطاب، وقيل: وحشي، والأول أشهر، ولعل عبد اللَّه بن زيد هو الذي أصابته ضربته، وحمل عليه الآخرون في الجملة، وأغرب وتيمة، فزعم أن اسم الذي ضربه شن ـ بفتح المعجمة وشد النون ـ ابن عبد اللَّه، وأنشد له:

ألم تر أني ووحشيهم ضربنا مسيلمة المفتتن
تسائلني الناس قتله فقلت ضربت وهذا طعن
فلست بصاحبه دونه وليس بصاحبه دون شن

وأغرب منه ما حكاه ابن عبد البر: أن الذي قتل مسيلمة هو جلاس بن بشير بن عاصم، ذكره الحافظ في شرح قول وحشي عند البخاري، لما خرج مسيلمة قلت: لأخرجن إليه لعلي أقتله فأكافىء به حمزة، فخرجت مع الناس، فإذا رجل قائم، كأنه جمل أورق، ثائر الرأس، فرميته بحربتي، فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، وضربه رجل من الأنصار بالسيف على هامته، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه:

لهفي عليك أبا ثمامة لهفي على ركني يمامه
كم آية لك فيهم كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي: وكذب، بل كانت آيته منكوسة، فذكر بعض ما قدمه المصنف، وزاد: ودعا

فإن قلت: كيف يلتئم خبر ابن إسحٰق مع الحديث الصحيح أن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه، وصرح بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة من الجريد ما أعطاه.

فالجواب: إن المصير إلى ما في الصحيح أولى.

ويحتمل أن يكون مسيلمة قدم مرتين، الأولى تابعًا وكان رأس بني حنيفة غيره، ولهذا أقام في حفظ رحالهم، ومرة متبوعًا، وفيها خاطبه النبي ﷺ.

أو القصة واحدة، وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكبارًا أن يحضر مجلس النبي ﷺ، وعامله عليه الصلاة والسلام معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف فقال لقومه: إنه ليس بشركم أي مكانًا، لكونه كان يحفظ رحالهم، وأراد ....

الرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله، فوجد أحدهما قد سقط في بئر، والآخر أكله الذئب، ومسح رأس صبي، فقرع قرعًا فاحشًا.

قال صاحب المفهم: مناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء واليمامة كانوا أسلموا، وكانوا كساعدين للإسلام، فلما ظهر الكذابان، وبهرجا على أهلهما بزخرف أقوالهما ودعواهما الباطلة، انخدع أكثرهم بذلك، فكان اليدان بمنزلة البلدين، والسواران بمنزلة الكذابين، وكونهما من ذهب إشارة إلى ما زخرفاه، والزخرف من أسماء الذهب، (**فإن قلت كيف يلتئم خبر ابن إسحٰق**،) الذي قدمه من كونه لم يجتمع بالمصطفى، وقعد في الرحال (**مع**) هذا (**الحديث الصحيح، أن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه، وصرح بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة من الجريد**) . بفتح الجيم. (**ما أعطاه، فالجواب أن المصير إلى ما في الصحيح أولى**) لصحة إسناده، بخلاف خبر ابن إسحٰق، فضعيف منقطع، ولم يسم راويه، (**ويحتمل**) في طريق الجمع على تقدير الصحة، كما قال الحافظ (**أن يكون مسيلمة قدم مرتين: الأولى كان تابعًا، وكان رأس بني حنيفة غيره، ولهذا أقام في حفظ رحالهم، ومرة متبوعًا، وفيها خاطبه النبي ﷺ**،) وهذا بعيد جدًا، فقد قال هو، أعني الحافظ: وهذا يعني حديث ابن إسحٰق مع شذوذه، ضعيف السند لإنقطاعه، وأمر مسيلمة كان عند قومه أكبر من ذلك، فقد كان يقال له رحمٰن اليمامة، لعظم قدره فيهم اهـ، فمن يكون مقامه عند قومه أكبر من دعوى النبوة، يبعد كل البعد أن يكون تابعًا، فالأولى قوله، (**أو القصة واحدة**،) لأنه الأصل، (**وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه، واستكبارًا أن يحضر مجلس النبي ﷺ، وعامله عليه الصلاة والسلام معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف، فقال لقومه: إنه ليس بشركم**، أي: **مكانًا لكونه كان يحفظ رحالهم، وأراد**

استئلافه بالإحسان بالقول والفعل، فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه إليه ليقيم عليه الحجة ويعذر إليه بالإنذار. والعلم عند الله تعالى

الوفد السادس:

وقدم عليه ﷺ وفد طيء، وفيهم زيد الخيل ....

استئلافه بالإحسان بالقول) المذكور، **(والفعل)** حيث أعطاه مثل ما أعطى قومه، **(فلما لم يفد في مسيلمة، توجه بنفسه إليه ليقيم عليه الحجة ويعذر)** . بكسر الذال. **(إليه بالإنذار، والعلم عند الله تعالى)**.

قال أعني الحافظ: ويستفاد من هذه القصة أن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار، إذا تعين ذلك طريقًا لمصلحة المسلمين اهـ.

(الوفد السادس:)

(وقدم عليه ﷺ وفد وطيء) . بفتح المهملة، وشد التحتانية المكسورة، بعدها همزة. ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلا بن سبا، يقال: كان اسمه جلهمة، فسمى طيئًا، لأنَّه أوّل من طوى بئرًا، ويقال: أوَّل من طوى المناهل، وكانوا خمسة عشر رجلاً، اقتصر المصنف على زيد، لتميزه بمناقب حسنة، فقال: **(وفيهم زيد الخيل)** بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد الطائي، وفد في قومه سنة تسع، كما في السير، هذا يرد على ما في النور؛ أن زيدًا كان من المؤلفة، لأن المؤلفة من أعطى من غنائم حنين، وكان ذلك سنة ثمان، وقد تقدم أن الحافظ نقله في سردهم عن التلقيح لابن الجوزي، وأن الشامي توقف فيه بأنه لم يره في نسختين من التلقيح، ويقوِّي ذلك ما في الروض من رواية أبي علي البغدادي: قدم وفد وطيء، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ودخلوا، وجلسوا قريبًا من النبي ﷺ، حيث يسمعون صوته، فلما نظر عليه السلام إليهم، قال: إني خير لكم من العزى، ومن الجمل الأسود، الذي تعبدون من دون اللَّه، ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع، فقام زيد الخيل، وكان من أعظمهم خلقًا، وأحسنهم وجهًا وشعرًا، وكان يركب الفرس العظيم الطويل، فتخط رجلاه في الأرض كأنه حمار، فقال له النبي ﷺ، ولا يعرفه: «الحمد للَّه الذي أتى بك من حزنك، وسهلك، وسهل قلبك للإيمان»، ثم قبض على يده، فقال: «من أنت»؟ فقال: أنا زيد الخيل بن مهلهل، أنا أشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه، وأنك عبد اللَّه ورسوله، فقال له: «بل أنت زيد الخير، ما خبرت عن رجل قط شيئًا إلاَّ رأيته دون ما خبرت عنه غيرك»، فبايعه وحسن إسلامه، اهـ.

فعلى تقدير ثبوت كونه من المؤلفة، فيحتمل أنه نطق بالإسلام وفي قلبه شيء، ثم حسن

وهو سيدهم، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم. وقال عليه الصلاة والسلام: ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه، ثم سماه زيد الخير.

إسلامه لكي يمنع هذا التاريخ السابق، **(وهو سيدهم)**.

وقال أبو عمر: كان شجاعًا، خطيبًا، شاعرًا، كريمًا.

قال ابن أبي حاتم: ليس يروى عنه حديث، وفي الصحيحين عن أبي سعيد: أن عليًا بعث للنبي ﷺ بذهبية في أديم، فقسمها بين الأقرع وعيينة، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة، ولعل هذا شبهة من قال إنه من المؤلفة، **(فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا، وحسن إسلامهم)**.

زاد في الروض: وكتب لكل واحدٍ منهم على قومه إلاَّ وزر بن سدوس، فقال: إني أرى رجلاً تملك رقاب العرب، واللَّه لا يملك رقبتي عربي أبدًا، ثم لحق بالشام، وتنصر وحلق رأسه، **(وقال عليه الصلاة والسلام: «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني، إلاَّ رأيته دون ما يقال فيه»)** لأن العادة جرت بالتجاوز في المدح **(إلاَّ زيد الخيل فإنه لم يبلغ)**. بضم أوله وفتح اللام. مبني للمجهول، ونائبه **(كل ما فيه)** كما في النور، أي: لم ينقل عنه جميع الفضائل التي اتصف بها، ثم يحتمل لام يبلغ التخفيف من المجرد، والتثقيل من المزيد، فإن كان رواية، وإلا فيجوز بناؤه للفاعل، أي: لم يبلغ زيد في أوصافهم كل ما فيه في نفس الأمر، بل نقصوا منها، فكل منصوب على المفعولية أو على معنى لم يبلغنا كل ما اتصف به، بل بعضه، وإيهام أن المعنى لم يصل إلى كل ما اتصف به من الكمال بعيد، بل ممنوع إذ سياقه في المدح يأبى ذلك، وقد تقدم قريبًا أن المصطفى شافهه بذلك، ولا مانع من التعدد، **(ثم سماه زيد الخير)**. بالراء بدل اللام، وإنما قيل له: زيد الخيل لخمسه أفراس كانت لها أسماء أعلام يغيب عني حفظها الآن، قاله في الروض، ومعلوم أن وجه التسمية لا يطرد وإلاَّ لسمى الزبرقان بن بدر زيد الخيل، فقد روى أنه وفد على عبد الملك بن مروٰن، وقاد إليه خمسة وعشرين فرسًا، ونسب كل واحد منها إلى آبائها وأمهاتها، وحلف على كل فرس يمينًا غير التي حلف بها على غيرها، فقال عبد الملك: عجبي من إختلاف إيمانه، أشد من عجبي بمعرفته بأنساب الخيل.

وأخرج ابن شاهين وابن عدي، وضعفه من حديث سنين، مولى النبي ﷺ، قال: كنا عند رسول اللَّه ﷺ، فأقبل زيد الخيل راكبًا حتى أناخ راحلته، فقال: يا رسول اللَّه إني أتيتك من مسيرة تسع، أصهبت راحلتي، وأسهرت ليلي، وأطمأت نهاري، أسألك عن خصلتين أسهرتاني، فقال له النبي ﷺ: ما اسمك؟ قال: أنا زيد الخيل، قال: «بل أنت زير الخير، فاسأل»، فقال: أسألك عن علامة اللَّه تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد، فقال له ﷺ: «كيف أصبحت»؟

فخرج راجعًا إلى قومه، فقال ﷺ أن ينج زيد من حمى المدينة، فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد أصابته الحمى فمات.

قال ابن عبد البر: وقيل مات في آخر خلافة عمر.

وله ابنان: مكنف ....

قال: أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به، وإن عملت به أيقنت بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننت إليه، فقال له النبي ﷺ: «هذه علامته فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد ضد ذلك، ولو أرادك بالأخرى هيأك لها، ثم لم يبال من أي واد هلكت».

وفي لفظ: سلكت، وعند أهل السير: وأقطع ﷺ زيدًا فيدًا. بفتح الفاء، وسكون التحتية، ودال مهملة. اسم مكان وأرضين معه وكتب له بذلك.

وفي الروض: اقطعه قرى كثيرة منها فدك، كذا قال: وأظنه مصحفًا من فيد، **(فخرج راجعًا إلى قومه)** هو ومن كان معه، وقد أعطى عليه السلام كل واحد منهم خمس أواق فضة، وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشا، **(فقال ﷺ: إن ينج زيد من حمى المدينة)** ببناء ينج للمفعول، وإن جازمة، أي: فإنه لا يعاب بسوء، كما قدره بعض أو لم يصبه ضررًا ونحو ذلك، أو نافية، أي: ما ينجو لكن لا يساعده الرسم، **(فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد)** يقال له: فردة بفتح الفاء والدال المهملة بينهما راء ساكنة، ثم تاء تأنيث. **(أصابته الحمى)** فلما أحس بالموت قال:

أمرتحل قومي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم يبر منهن يزهد

(فمات)، وذكر ابن دريد أنه أقام بفردة ثلاثة أيام، ومات، فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سنة، ثم وجه براحلته ورحله، وفيها كتاب النبي ﷺ، فلما رأت امرأته الراحلة ليس عليها زيد، ضرمتها بالنار، فاحترقت، فاحترق الكتاب.

(قال ابن عبد البر: وقيل مات في آخر خلافة عمر)، وهذا يؤيد جعل إن جازمة لا نافية، وأنشد له وثيمة في الردة، قال: وبعث بهما إلى أبي بكر:

أما تخشين الله بيت أبي نصر فقد قام بالأمر الجلي أبو بكر
نجى رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في معظم الأمر

قال في الإصابة: وهذا إن ثبت يدل على تأخر وفاته بعد النبي ﷺ، **(وله ابنان مكنف)** بضم الميم، وإسكان الكاف، وكسر النون وبالفاء.

وحريث، أسلما وصحبا رسول الله ﷺ وشهدا قتال أهل الردة مع خالد.

الوفد السابع:

وقدم عليه ﷺ وفد كنده في ثمانين أو ستين راكبًا من كنده، فدخلوا عليه مسجده، ....

قال ابن حبان: أكبر ولد أبيه، وبه كان يكنى أسلم وحسن إسلامه، وذكره الدارقطني والطبري في الصحابة، واعتمده في الإصابة، ولم يعرج على إشارة الذهبي إلى أنه تابعي.

وذكر الواقدي أنه ممن ثبت على الإسلام، وقاتل بني أسد لما ارتدوا مع طليحة، وأنشد له أبياتًا منها:

ضلوا وغرهم طليحة بالمنى ... كذبًا وداعي ربنا لا يكذب
لما رأونا بالفضاء كتائبًا ... ندعوا إلى رب الرسول ونرغب
ولوا فرارًا والرماح تؤزهم ... وبكل وجه وجهوا يترقب

(**وحريث**) . بضم الحاء وآخره مثلثة، قال ابن عبد البر: ويقال له أيضًا الحرث (**أسلما وصحبا رسول الله ﷺ، وشهدا قتال أهل الردة مع خالد**) بن الوليد في خلافة الصديق، كما قاله ابن عبد البر وابن الكلبي.

وذكر الواقدي أن حريثًا كان رسول النبي ﷺ إلى يحنة بن رذبة وأهل أيلة، وقال وهو يقاتل أهل الردة: أنشده المرزباني:

أنا حريث وابن زيد الخيل ... ولست بالنكس ولا الزميل

ويقال: إن عبيد الله الجعفي قتله مبارزة في حرب بينهما من جهة مصعب بن الزبير، ذكره في الإصابة.

(**الوفد السابع:**)

(**وقدم عليه ﷺ وفد كندة**) . بكسر الكاف وإسكان النون. قبيلة من اليمن، ينسبون إلى كندة، لقب جدهم ثور بن عفير (**في ثمانين، أو ستين راكبًا من كندة،**) إشارة إلى قول ابن سعد وفد الأشعث الكندي في ستين راكبًا من كندة سنة عشر، والأوّل رواه ابن إسحٰق عن الزهري، ويمكن الجمع بأن بعضهم اتباع، فلم يعد، (**فدخلوا عليه مسجده،**) منصوب على التوسع نحو: لتدخلن المسجد الحرام، أي: فيه، لأن ظرف المكان لا يكون إلاَّ مبهمًا كفرسخ، وبريد وليس شيء من مسجد ودار وبيت بمبهم، لأنه اسم لحصة معينة من المحل بالتحديد، وإن لم يعين المسجد ونحوه، لأنه يكفي التحديد بقدر كل، والفرق بين إبهام فرسخ وبريد في نحو قولهم:

قد رجَّلوا جمعهم، ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير، فلما دخلوا قال ﷺ: أولم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما هذا الحرير في أعناقكم ....

سرت بريدًا وفرسخًا جاعلين ذلك ظرف مكان، وبين إبهام نحو مسجد حيث جعل النصب على التوسع، أن الفرسخ والبريد اسم آلة يكأل بها، لا اسم حصة معينة بخلاف نحو: دار ومسجد، فاسم لحصة محدودة في نفس الأمر، وإن لم تكن معينة **(قد رجلوا)**. بجيم فلام ثقيلة. سرحوا **(جمعهم)**. بجيم مضمومة، فميمين مفتوحتين فهاء. جمع جمة، وهي مجتمع شعر الناصية التي تبلغ المنكبين، زاد ابن إسحٰق، وتكحلوا **(ولبسوا جباب،)** جمع جبة ثوب معروف، ويجمع أيضًا على جيب، كما في القاموس **(الحبرات)**. بكسر المهملة وفتح الموحدة. جمع حبرة بزنة عنبة من البرود ما كان موشيًا مخططًا، وفي الفتح، يقال: برد حبير وبرد حبرة بزنة عنبة، على الوصف والإضافة **(مكففة بالحرير،)** أي: مجعولاً لكل منها كفة. بضم الكاف وشد الفاء وتاء تأنيث. السجاف، ويسمى الطرة أيضًا، وكل مستطيل كفة. بالضم، وكل مستدير كفة. بالكسر. ككفة الميزان، وقيل: بالوجهين فيهما.

زاد في رواية: والديباج المخوَّص بالذهب، **(فلما دخلوا)** قالوا: أبيت اللعن وكانت تحيتهم، فقال ﷺ: «لست ملكًا، أنا محمد بن عبد اللَّه»، قالوا: لا نسميك باسمك، قال: «أنا أبو القٰسم»، فقالوا: يا أبا القٰسم إنا خبأنا لك خبأ، فما هو؟ وكانوا خبئوا له عين جرادة في ظرف سمن، فقال ﷺ: «سبحان اللَّه، إنما يفعل ذلك بالكاهن، وإن الكاهن والكهانة والتكهن في النار»، فقالوا: كيف نعلم أنك رسول اللَّه، فأخذ كفًا من حصباء، فقال: «هذا يشهد أني رسول اللَّه، فسبح الحصا في يده»، فقالوا: نشهد أنك رسول اللَّه ﷺ، إن اللَّه بعثني بالحق، وأنزل عليّ كتابًا، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، فقالوا: أسمعنا منه، فتلا: ﴿والصافات صفًا﴾ [الصافات: ١]، حتى بلغ ﴿ورب المشارق﴾ [الصافات: ٥]، ثم سكت، وسكن ﷺ بحيث لا يتحرك منه شيء، ودموعه تجري على لحيته، فقالوا: إنا نراك تبكي، أفمن مخافة من أرسلك تبكي؟ قال: «إن خشيتي أبكتني، بعثني على صراطٍ مستقيمٍ في مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت، ثم تلا: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء: ٨٦]» الآية، ثم **(قال ﷺ:)** «أتيتمونا **(أولم تسلموا»،)** فالمعطوف عليه مقدر بعد همزة الاستفهام الحقيقي، لأن كثيرًا وفدوا مشركين، فيعرض عليهم الإسلام، أو التقرير يرى ليرتب عليه لومهم على الحريري، **(قالوا: بلى)** أسلمنا، **(قال: فما)** بال **(هذا الحرير في أعناقكم،)** وهو لا يجوز لبسه للرجال، ولعله جاوز حد السجاف، فلا يرد على قول الفقهاء بجواز التسجيف بالحرير.

زاد في رواية: وكان على النبي ﷺ حلة يمانية، يقال إنها حلة ذي يزن وعلى أبي بكر

فشقوه فنزعوه وألقوه.

وعمر مثلها، وكان ﷺ إذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه، وأمر أصحابه بذلك (**فشقوه**) . بفتح الشين ماض وضمها. أمر، وإن لزم عليه إتلاف مال لوجوبه تخلصًا من الحرمة، على أنه يمكن أن المراد بالشق الإزالة لا القطع، فلا إتلاف، (**فنزعوه وألقوه**).

زاد في رواية: ثم أجاز كل احد بعشر أواق فضة، إلاَّ الأشعث فأجازه باثنتي عشرة أوقية، وزاد ابن إسحٰق: وقالوا يا رسول اللَّه نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، فتبسم ﷺ، وقال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحٰرث»، وكانا تاجرين، فإذا شاعا في العرب، فسئلا من هما قالا: نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكًا، ثم قال ﷺ: لا نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا، فقال الأشعث بن قيس الكندي: هل فرغتم يا معشر كندة، واللَّه لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين، ونقفوا . بنون مفتوحة فقاف ساكنة ففاء مضمومة، أي: لا نترك النسب إلى الآباء، وننتسب إلى الأمهات، وله ﷺ جدة من كندة، وهي أم كلاب بن مرة، واسمها دعد بنت سرير بن ثعلبة بن حارثة الكندي، وقيل: بل هي جدة كلاب أم أمه هند.

قال السهيلي: ففيه أنهم أصابوا في بعض قولهم: نحن وأنت بنو آكل المرار، وهو الحٰرث بن عمرو الكندي، لقب بذلك لأكله هو وأصحابه شجرًا، يقال له المرار في غزوة غزاها، وقيل: لقب بذلك، لأن عمرو بن هند الغساني أغار عليهم في غيبة الحٰرث، فغنم وسبى، فكان في السبي امرأة الحٰرث، فقالت لعمرو: لكأني برجل أتاكم أسود، كأن مشافره مشافر بعير قد أكل المرار، تعني زوجها، فتبعه الحٰرث في قومه، فقتله واستنفذ امرأته وما كان أصاب.

وروى أن المخاطب للنبي ﷺ بهذا الأشعث بن قيس، ولا مانع أنه خاطبه، ثم خاطبوه، أو هو المخاطب، ونسب للكل في الرواية الأخرى لسكوتهم عليه، لأن الأشعث كان من ملوك كندة، وصاحب رباع حضرموت، وكان وجيهًا في قومه في الإسلام، وارتد بعد النبي ﷺ، فأسر وأحضر إلى أبي بكر، فأسلم، فأطلقه وزوجه أخته أم فروة، فاخترط سيفه، ودخل إلى سوق الإبل، فجعل لا يرى جملاً، ولا ناقة إلاَّ عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث، فلما فرغ طرح سيفه، وقال: واللَّه ما كفرت، ولكن زوَّجني هذا الرجل أخته، ولو كنا في بلادنا كانت وليمة غير هذه، يا أهل المدينة كلوا، ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها، ثم شهد اليرموك بالشام، ثم القادسية وحروب العراق مع سعد، وسكن الكوفة، وشهد صفين مع علي، ومات بعده بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن، وقيل: مات سنة ثنتين وأربعين.

الوفد الثامن:

وفد الأشعريين وأهل اليمن

وقدم عليه ـ زاده الله شرفًا وكرمًا لديه ـ الأشعريون وأهل اليمن.

قيل هو من عطف الخاص على العام، وقال الحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر: المراد بهم بعض أهل اليمن، وهم وفد حمير. قال: ووجدت في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس بن عمرو الحميري: أنه قدم وافدًا على رسول الله ﷺ في نفر من حمير فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين.. الحديث.

(الوفد الثامن:)

(وقدم عليه، زاده الله شرفًا وكرمًا لديه الأشعريون). بفتح الهمزة، وإسكان المعجمة، فراء، فتحتية، فواو فنون. قبيلة كبيرة باليمن، نسبوا إلى جدهم أشعر، سمي بذلك، لأنه ولد والشعر على بدنه وهو نبت ـ بنون أوله. ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا **(وأهل اليمن،)** وهذه الترجمة وقعت في البخاري، بلفظ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، **(قيل: هو من عطف الخاص على العام،)** ويرده أن أهل اليمن ليسوا بعضًا من الأشعريين، فالصواب العكس إذ الأشعريون بعض أهل اليمن، **(وقال الحافظ أبو الفضل، شيخ الإسلام ابن حجر:)** كنت أظنه من عطف العام على الخاص، ثم ظهر لي أن هذا العام خصوص أيضًا، و **(المراد بهم بعض أهل اليمن، وهم وفد حمير)** ـ بكسر المهملة وسكون الميم وفتح التحتية. نسبة إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. من أصول القبائل باليمن، فيمنع صرفه على إرادة القبيلة، ويصرف على إرادة الحي، وعلى هذا المراد، فيكون من عطف المباين لأن الأشعريين والحميريين قبيلتان مختلفتان، **(قال: ووجدت في كتاب الصحابة، لابن شاهين،)** الحافظ الإمام أبي حفص، عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي، صاحب التصانيف، منها التفسير ألف جزء، والمسند ألف وثلثمائة جزء، والتاريخ والزهد إلى ثلثمائة وثلاثين تصنيفًا. مات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلثمائة **(من طريق)** زكريا بن يحيى الحميري، عن **(إياس بن عمرو الحميري؛ أنه قدم)** صوابه، كما في الإصابة من طريق إياس بن عمرو الحميري؛ أن نافع بن زيد الحميري قدم **(وافدًا،)** أي: رسولاً من قومه **(على رسول الله ﷺ في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين.. الحديث)** بقيته، ونسأل عن أول هذا الأمر، قال: كان الله ليس شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، فقال له: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن، واستوى على عرشه.

والحاصل: أن الترجمة مشتملة على طائفتين، وليس المراد اجتماعهما في الوفادة، فإن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر، وقدوم حمير كان في سنة تسع، وهي سنة الوفود، ولهذا اجتمعوا مع بني تميم.

روى يزيد بن هٰرون، عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبًا. فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون:

غدًا نلقى الأحبه محمدًا وحزبه

قال في الإصابة: فيه عدة مجاهيل انتهى، فالصحبة والقدوم إنما هو لنافع بن زيد، لا لإياس بن عمرو؛ فإنه ليس بصحابي، ولم يترجم له في الإصابة، بل هو تابعي مجهول، كما رأيت عن الإصابة، **(والحاصل أن الترجمة مشتملة على طائفتين)** الأشعريين والحميريين، **(وليس المراد اجتماعهما في الوفادة، فإن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى)** عبد الله بن قيس، **(في سنة سبع عند فتح خيبر)** وقيل: إن أبا موسى قدم قبل الهجرة، ثم كان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، ثم قدم الثانية صحبة جعفر، والصحيح أنه خرج طالبًا المدينة في سفينة، فألقتهم الريح إلى الحبشة، فاجتمعوا فيها بجعفر، ثم قدموا صحبته، **(وقدوم حمير كان في سنة تسع، وهي سنة الوفود، ولهذا اجتمعوا مع بني تميم،)** وعلى هذا فإنما ذكر البخاري الأشعريين هنا، ليجمع ما وقع له من شرطه من بعوث وسرايا ووفود، وإن تباينت تواريخهم، وقد عقد ابن سعد في الطبقات للوفود بابًا، وذكر وفد حمير، ولم يقع له قصة نافع بن زيد التي ذكرتها، قاله كله الحافظ.

(وروى يزيد،) بتحتية وزاي. **(ابن هٰرون)** بن زاذان السلمي، مولاهم أبو خالد الواسطي، ثقة، متقن، عابد، روى له الستة ومات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين. **(عن حميد)** الطويل البصري: اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس، مات سنة اثنتين، ويقال: سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو قائم يصلي، وله خمس وسبعون سنة، روى له الجميع، **(عن أنس أن رسول الله ﷺ، قال: «يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبًا»، فقدم الأشعريون، فجعلوا يرتجزون)** قائلين: **(غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه،)** وهذا رواه الإمام أحمد وغيره، ولا يلزم من ذلك تفضيلهم على المخاطبين، لأنها مزية.

عم من المشكل ما روى أحمد والبزار والطبراني، عن جبير بن مطعم مرفوعًا: أتاكم أهل اليمن، كأنهم السحاب، وهم خيار في الأرض، فقال رجل من الأنصار: إلاَّ نحن، فسكت، ثم قال: إلاَّ نحن، فسكت، ثم قال: إلاَّ نحن يا رسول الله، قال: إلاَّ أنتم كلمة ضعيفة، قال: ولما لقوا رسول الله ﷺ أسلموا، وبايعوا، فقال ﷺ: «الأشعريون كصرة فيها مسك ولا إشكال»، لأن

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوبًا، الإيمان يمان، ....

المراد في أرضهم، وأما سكوته مرتين عن إستثناء الأنصار مع أن فيهم من هو أفضل قطعًا، لأن منهم من هو أهل بدر وربيعة الرضوان، فلعله لئلا يغتروا ويتكلموا على التفضيل، ولذا قال بعد الثالثة كلمة ضعيفة، **(وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «جاء أهل اليمن»)**.

وفي رواية البخاري: أتاكم أهل اليمن **(هم أرق أفئدة وأضعف،)** هو بمعنى رواية البخاري وألين **(قلوبًا)**.

قال الخطابي: وصف الأفئدة بالرقة والقلوب باللين، لأن الفؤاد غشاء القلب، فإذا رق نفذ القول وخلص إلى ما وراءه، فإذا غلظ بعد وصوله إلى داخل، فإذا صادف القلب لينًا علق به وتجمع فيه.

وقال البيضاوي: الرقة ضد الغلظ، واللين يقابل القسوة، فاستعيرت في أحوال القلب، فإذا نبا عن الحق، وأعرض عن قبوله، ولم يتأثر بالآيات والنذر، وصف بالغلظ، وكان شعاعه ضعيفًا لا ينفذ فيه الحق، وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين، فكان حجابه رقيقًا، لا يأبى نفوذ الحق، وجوهره لين يؤثر فيه النصح.

وقال الطيبي: يمكن أن يراد بالفؤاد والقلب، ما عليه أهل اللغة من كونهما مترادفين، فكرر ليناط به معنى غير المعنى الأول، فإن الرقة مقابلة للغلظ، واللين مقابل للشدة والقسوة، فوصف أولاً بالرقة ليشير إلى التخلق مع الناس، وحسن العشرة مع الأهل والإخوان.

قال تعالى: ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وثانيًا باللين ليأخذ بأن الآيات النازلة والدلائل المنصوبة راجعة فيها، وصاحبها يقيم على التعظيم لأمر اللّه تعالى انتهى.

(الإيمان،) وفي رواية: الفقه **(يمان،)** أي: منسوب لأهل اليمن، لأن صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدي إلى عرفان الحق والتصديق به، وهو الإيمان والانقياد.

وقال أبو عبيدة وغيره: معناه أن مبدأ الإيمان من مكة، لأن مكة من تهامة، وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبي ﷺ وهو بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية، وقيل: واختاره أبو عبيد أن المراد الأنصار، لأنهم يمانون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره.

وقال ابن الصلاح: لو تأملوا ألفاظ الحديث، لما احتاجوا إلى هذا التأويل، لأن قوله: أتاكم

والحكمة يمانية والسكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس. ....

أهل اليمن خطاب للناس، ومنهم الأنصار، فتعين أن الذين جاؤوا غيرهم، قال: ومعنى هذا الحديث وصف الذين جاؤوا بقوة الإيمان وكماله، ولا مفهوم له، ثم المراد الموجودون حينئذ منهم، لا كل أهل اليمن في زمان.

قال الحافظ: ولا مانع أن المراد ما هو أعم من قول أبي عبيد وابن الصلاح، وحاصله أنه يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد من ينسب بالسكنى أظهر، بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان، **(والحكمة يمانية)** بخفة الياء، فقلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة، والأصل يمني ويمنية، فحذفت الياء تخفيفًا، وعوَّض عنها بالألف، **(والسكينة)** بفتح السين وخفة الكاف، الطمأْنينة، والسكون، والوقار، والتواضع **(في أهل الغنم)** لأنهم غالبًا دون أهل الإبل في التوسع والكثرة، وهما من سبب الفخر والخيلاء.

وعند ابن ماجه عن أم هانىء أنه ﷺ، قال لها: «اتخذي الغنم فإنها بركة»، وقيل: أراد بأهل الغنم أهل اليمن، لأن غالب مواشيهم الغنم **(والفخر)** بفتح الفاء، وإسكان المعجمة، وبالراء. ادعاء العظم والكبر والشرف، ومنه الإعجاب بالنفس **(والخيلاء)** بضم المعجمة، وفتح التحتية والمد، الكبر واحتقار الغير **(في الفدادين)** بشد الدال عند الأكثر جمع فداد، وهو من يعلو صوته في إبله وخيله وحرثه ونحو ذلك، والفديد: الصوت الشديد، وقيل: المكثرون الإبل من مائتين إلى ألف، وقيل: الجمّالون والبقارون والحمارون والرعيان، وقيل: من يسكن الفدافد جمع فدفد، وهو البراري والصحارى وهو بعيد، وحكى تخفيف الدال جمع فدان، والمراد البقر التي يحرث عليها، فهو على حذف مضاف.

قال الحافظ: ويؤيد الأول رواية في البخاري، وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل **(أهل الوبر)** بفتح الواو، والموحدة، وبالراء. للإبل بمنزلة الشعر لغيرها وهذا بيان للفدادين، أي: ليسوا من أهل المدن، بل من أهل البدو **(قبل)** . بكسر القاف وفتح الموحدة. جهة **(مطلع الشمس)**.

قال الخطابي: إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم، وذلك يفضي إلى قساوة القلب.

وقال البيضاوي: تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل، والوفاء بأهل الغنم، دليل على أن

رواه مسلم.

وفي البخاري: إن نفرًا من بني تميم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقال: أبشروا يا بني تميم، فقالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ وجاء نفر من أهل اليمن، فقال: أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء غيره ....

مخالطة الحيوان ربما تؤثر في النفس، وتعدى إليها هيئات وأخلاقًا تناسب طباعها، وتلائم أحوالها، (**رواه مسلم**) وكذا البخاري بنحوه.

(**وفي البخاري**) من حديث عمران بن حصين (**أن نفرًا من بني تميم**) بن مر ـ بضم الميم وشد الراء ـ ابن أد ـ بضم الهمزة وشد المهملة ـ ابن طابخة ـ بموحدة مكسورة، ثم معجمة ـ ابن إلياس بن مضر بن نزار.

ذكر ابن إسحٰق: أن أشرافهم قدموا على النبي ﷺ، منهم: عطارد، والأقرع، والزبرقان، وعمرو بن الأهتم، والحباب بن يزيد، ونعيم بن يزيد، وقيس بن عاصم، وعيينة بن حصن، وقد كان هو والأقرع شهد الفتح، وحنينًا، والطائف، ثم كان مع بني تميم (**جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أبشروا**) ـ بهمزة قطع ـ (**يا بني تميم»**) بما يقتضي دخول الجنة، حيث عرفهم أصول العقائد التي هي المبدأ والمعاد وما بينهما، (**فقالوا:**) لكون جل شأنهم الدنيا والاستعطاء (**بشرتنا فأعطنا**) من المال، وقائل ذلك منهم الأقرع بن حابس، ذكره ابن الجوزي وكان فيه بعض أخلاق البادية رضي الله عنه، (**فتغير وجه رسول الله ﷺ**) أسفًا عليهم كيف آثروا الدنيا، أو لكونه لم يحضره ما يعطيهم فيتألفهم به، أو لكل منهما، (**وجاء نفر من أهل اليمن، فقال: «اقبلوا البشرى»**) بضم الموحدة وسكون المعجمة والقصر، أي: اقبلوا ما يقتضي أن تبشروا إذا أخذتم به بالجنة، كالتفقه في الدين والعمل به، ورواه الأصيلي اليسرى ـ بتحتية ومهملة ومهملة.

قال عياض: والصواب الأول. (**إذ لم يقبلها بنو تميم**) وفي رواية: أن بدل إذ وهو ـ بفتح الهمزة، أي: من أجل تركهم لها، ويروى بكسرها، (**قالوا: قد قبلنا**) البشرى (**يا رسول الله،**) واستشكل بأن قدوم تميم في التاسعة، والأشعريين قبلهم في السابعة، وأجيب باحتمال أن طائفة من الأشعريين قدموا بعد ذلك، (**جئنا لنتفقه في الدين، ونسألك عن هذا الأمر**) أي: الحاضر الموجود، وكأنهم سألوه عن أحوال هذا العالم، وهو الظاهر، ويحتمل أنهم سألوا عن أول جنس المخلوقات.

وفي قصة نافع بن زيد: ونسألك عن أول هذا الأمر، (**فقال: كان الله**) في الأزل منفردًا متوحدًا، (**ولم يكن شيء غيره**) وللبخاري في التوحيد، ولم يكن شيء قبله ولغيره بعده، والقصة

وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء.
وقوله: وجاء نفر من أهل اليمن، هم الأشعريون قوم أبي موسى.

متحدة، فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى، لكن الأول أصرح في القدم، وفيه أنه لم يكن ماء، ولا عرش، ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير اللَّه، ويكون معنى قوله: (**وكان عرشه على الماء**؛) أنه خلق الماء، ثم العرش.

قال الطيبي: هو فصل مستقل، لأن القديم من لم يسبقه شيء، ولم يعارضه في الأزلية، فهو إشارة إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم، لخلقهما قبل السموات والأرض، فلم يكن تحت العرش إذ ذاك إلاَّ الماء، ويحتمل أن مطلق، وكان عرشه على الماء، مقيد بقوله، ولم يكن شيء غيره، والمراد بكان في الأول الأزلية، وفي الثاني الحدوث بعد العدم.

وقد روى أحمد، والترمذي وصححه مرفوعًا؛ أن الماء خلق قبل العرش، ووقع في بعض الكتب: كان اللَّه ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية، وهو مسلم في قوله: وهو الآن.. الخ، وأما لفظ: ولا شيء معه، فرواية الباب بلفظ، ولا شيء غيره بمعناها.

وفي حديث نافع الحميري: كان اللَّه لا شيء غيره بغير واو، (**وكتب**) قدر (**في الذكر**،) أي: محله، وهو اللوح المحفوظ (**كل شيء**) من الكائنات، وبقية الحديث: وخلق السموات والأرض، بالواو في بدء الخلق، وبثم في التوحيد، وفي الحديث جواز السؤال عن مبدأ الأشياء، والبحث عن ذلك، وجواب العالم بما يستحضره، والكف إن خشي على السائل مفسدة، وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث، وأن اللَّه تعالى أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن، لا عن عجز عن ذلك، بل مع القدرة، واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة، أن الكلام في أصول الدين، وحدوث العالم مستمر لذريتهم، حتى ظهر ذلك في أبي الحسن الأشعري، منهم أشار إليه ابن عساكر (**وقوله: وجاء نفر من أهل اليمن، هم الأشعريون قوم أبي موسى**،) ولذلك لم يظهر لي أن المراد بأهل اليمن أهل حمير، لكن لما كان زمان قدوم الطائفتين مختلفًا، ولكل منهما قصة غير قصة الأخرى، وقع العطف انتهى كله ملخصًا من فتح الباري.

قال: وقد روى البزار عن ابن عباس بينا رسول اللَّه ﷺ بالمدينة، إذ قال: اللَّه أكبر إذا جاء نصر اللَّه والفتح، وجاء أهل اليمن، نقية قلوبهم، حسنة طاعتهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية.

وروى الطبراني: أن النبي ﷺ، قال لعيينة بن حصن: أي الرجال خير؟ قال: «أهل نجدة»،

الوفد التاسع:

وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الأزدي، فأسلم وحسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمَّره عليه السلام على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك.

فخرج صرد يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش، وبها قبائل من قبائل العرب، ....

قال: «كذبت، بل هم أهل اليمن الإيمان يمان.. الحديث»، انتهى، وقد أطلت، وما تركته أطول، وإن كان من النفائس خشية الملل.

(الوفد التاسع:)

(وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الأزدي) . بضم الصاد، وفتح الراء، ثم دال مهملات. مصروف، فلا يقدر أنه معدول عن صادر، لأن العلم الذي بزنة فعل إن سمع مصروفًا، كأدد وصرد لا يقدر له العدل ليمنع، وإن سمع منعه، كعمر قدر ليكون فيه علتان، **(فأسلم، وحسن إسلامه في وفد من الأزد)** . بفتح الهمزة وبالزاي الساكنة، أي: أزد شنوأة. بفتح المعجمة، وضم النون، فواو، فهمزة بعدها، وقد تشدد الواو، سميت بذلك لشنآن كان بينهم، ويقال أيضًا: بالسين بدل الزاي، وكانوا خمسة عشر، ولم يقل من قومه لئلا يوهم أن المراد من له اختصاص بهم، كإخوته وأقار به، ولم يقل قدم وفد الأزد، وفيهم صرد، لجواز أنه الذي قصد الوفادة ابتداء، وتبعوه أولاً أنه أفضلهم، **(فأمره)** . بشد الميم، أي: جعله **(عليه السلام)** أميرًا **(على من أسلم من قومه)** الذين أتوا معه، وغيرهم ليكن لم يفصح، كغيره بأن جميع القادمين أسلموا مع صرد، أو بعضهم أم لا، **(وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك،)** أي: من يليه منهم، كما هو لفظ الرواية عند ابن إسحٰق وأتباعه، ويحتمل أن المصنف حذفه، لأنه ليس قيدًا، بل هو الغالب، **(فخرج صرد يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش)** . بضم الجيم، وفتح الراء، وشين معجمة. مخلاف من مخاليف اليمن. بكسر الميم، أي: كورة، أي: ناحية ممنوع الصرف، كما يقتضيه قول القاموس، كزفر مخلاف باليمن، لأن غالب الأعلام التي على وزن فعل المنع ما لم يسمع مصروفًا.

وقال في الرواية، وهي يومئذ مدينة مغلقة، **(وبها قبائل من قبائل العرب،)** تعبيره به دون اليمن يشعر بأن فيهم غيرهم، ويصرح به قول الرواية، وقد ضوت عليهم خثعم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، وخثعم، كجعفر بن أنمار أبو قبيلة من معد، كما في القاموس، فظاهره أنها

فحاصروهم فيها قريبًا من شهر، وامتنعوا فيها، فرجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان في جبل لهم وظنوا أنه إنما ولى عنهم منهزمًا خرجوا في طلبه، حتى أدركوه عطف عليهم فقلتهم قتلاً شديدًا.

وكان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم، فبينما هما عنده عليه الصلاة والسلام عشية فقال لهما عليه الصلاة والسلام: «إن بدن الله لتنحر عند شكر، أي المكان الذي وقع به قتل قومهم»، قال: ....

ليست من اليمن، لكن الرواية، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت، أي: أوت إليهم خثعم، فأفاد أن القبائل التي بجرش إنما هي من اليمن، والزائد عليهم قبيلة واحدة من غيرهم هي خثعم، **(فحاصروهم فيها قريبًا من شهر، وامتنعوا فيها،)** لكونها مدينة، **(فرجع عنهم،)** أي: انصرف عن حصارهم **(قافلاً)** راجعًا إلى أرضه، فأتى به مع أن القفول، الرجوع دفعًا لإيهام أنه انصرف لقتال غيرهم أو مكان آخر يقيم به مدة، **(حتى إذا كان في جبل لهم،)** وهو شكر، كما يأتي، **(وظنوا أنه إنما ولى عنهم منهزمًا، خرجوا في طلبه حتى أدركوه، عطف)** رجع **(عليهم، فقتلهم قتلاً شديدًا،)** باعتبار صفته التي وقع عليها، أو كثرته فيهم بقتل غالبهم، فلا يرد أن القتل إزهاق الروح، فلا تفاوت فيه، فهو نحو قولهم: الموت الأحمر إذا كان على حالة رديئة، **(وكان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم)** يرتادان، أي: يطلبان الأخبار، وينظران، **(فبينما هما عنده عليه الصلاة والسلام عشية)** بعد العصر، إذ قال ﷺ: «بأي بلاد الله شكر»، فقام الجرشيان، فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل، يقال له كشر، وكذلك تسميه أهل جرش، **(فقال لهما عليه الصلاة والسلام:)** إنه ليس بكشر، ولكنه شكر، قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: **(إن بدن الله)**. بضمتين وتسكين الدال للتخفيف، كما في المصباح. **(لتنحر عند شكر،)** بفتح الشين المعجمة، وإسكان الكاف وبالراء، جبل من جبال جرش، كما اعتمده البرهان، وهو مقتضى القاموس، لأنه قال الشكر الحر، أي: الفرج ولحمها، ويكسر فيهما وجبل باليمن، وقاعدته إذا أطلق فتح الأول، يكون الثاني ساكنًا، فإن كان مفتوحًا قيده بقوله محرك، وهو صريح المصباح، ففيه شكر كفلس الحر، وضبط في العيون بالقلم، بفتح الكاف، ووهنه النور، **(أي: المكان الذي وقع به قتل قومهم،)** فإطلاق البدن عليهم استعارة، أو تشبيه بليغ، وأصله أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الإدراك، حيث لم يؤمنوا، وحاربوا المسلمين، وإضافتهم إلى الله إشارة إلى تحقيق الاستعارة، حيث جعلوا كالبدن التي تنحر، تقربًا أو إشارة إلى أنهم مخلوقون لله، مغمورون بأنعامه، فأضافهم إليه، توبيخًا لهم على عدم الإيمان، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] الآية، فمحاربتهم كأنها إنكار، وجحد للنعمة، **(قال:**

فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمٰن فقالا لهما إن رسول الله ﷺ لينعي لكما قومكما. فخرجا إلى قومهما فوجداهم قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم.

الوفد العاشر:

قال ابن إسحٰق: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحٰرث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى ....

فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمٰن، فقالا لهما:) ويحكما (**إن رسول الله ﷺ لينعي لكما قومكما،)** أي: يخبركما بموتهم.

زاد في الرواية: فقوما إليه، فاسألاه أن يدعو الله يرفع عن قومكما، فسألاه ذلك، فقال: اللهم إرفع عنهم، (**فخرجا إلى قومهما، فوجداهم، قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر،)** لأنه إما عن مشاهدة، أو وحي، ولا ينافي ذلك قوله: اللهم ارفع عنهم، لأنها أجيبت في الذين في القرية دون من في الجبل، لوقوعها بعد قتلهم، (**فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه، فأسلموا وحمى لهم حمى،)** بكسر، ففتح مقصور منون. (**حول قريتهم)** على أعلام معلومة للفرس والراحلة ولبقرة الحٰرث، فمن رعاه من الناس فماله سحت، فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة: وكانت خثعم تصعيب من الأزد في الجاهلية، وكانوا يعدون في الشهر الحرام:

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا جريشًا في مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت لها النذر
إذا وضعت خليلاً كنت أحمله ... فما أبالي جاؤوا بعد أم كفروا

(الوفد العاشر:)

وفد بني الحٰرث بن كعب، (**قال ابن إسحٰق: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد،)** سيف الله المخزومي، (**في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى،)** يحتمل أنه شك، أو إشارة إلى قولين، فقد حكاهما الحاكم في الإكليل قولين، مصدرًا بالأول (**سنة عشر إلى بني الحٰرث بن كعب، بنجران)** ناحية بين اليمن، وهجر سمى بنجران بن زيد بن سبأ، (**وأمره أن يدعوهم إلى**

الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا، فإن استجابوا فأقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه.

فأقام خالد فيهم، يعلمهم الإسلام وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك. ثم أقبل على رسول الله ﷺ ومعه وفدهم، منهم: قيس بن الحصين، ويزيد بن المحجل، وشداد بن عبد الله. ....

الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا) من الأيام، متعلق بيدعوهم، **(فإن استجابوا)** . بسين التأكيد، أي: أجابوا إليه، **(فأقبل منهم، وإن لم يفعلوا، فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون،)** يسيرون **(في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا)** في الدارين، **(فأسلم الناس، ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام خالد فيهم، يعلمهم الإسلام،)** وكتاب اللّٰه، وسنة نبيه، وبذلك كان أمره ﷺ: إن هم أسلموا ولم يقاتلوا، كما عند ابن إسحٰق، **(وكتب إلى رسول اللّٰه ﷺ بذلك،)** فكتب إليه يأمره بالقدوم، ومعه وفدهم، وقد ذكر ابن إسحٰق لفظ الكتابين، **(ثم أقبل على رسول اللّٰه ﷺ ومعه وفدهم،)** كما أمره **(منهم قيس بن الحصين)** بن يزيد بن شداد الحٰرثي، الكعبي الصحابي.

قال ابن الكلبي: رأس الحسين، والد قيس مائة سنة، وكان له أربعة أولاد، يقال لهم فوارس الأرباع، كانوا إذا حضرت الحرب، ولي كل واحد منهم ربغها، ويقال للحصين: ذو الغصة لغصة كانت في حلقة، لا يكاد يبين معها الكلام، وذكره عمر بن الخطاب يومًا، فقال: لا تزاد امرأة في صداقها على كذا، ولو كانت بنت ذي الغصة، كما في الروض، وربما وصف بها ابنه قيس.

قال البرهان: ويحتمل أن يقال له ذو الغصة، وابن ذي الغصة، لأنه وأباه كان بهما الغصة، وفيه بعد، **(ويزيد بن المحجل،)** بميم، فحاء، فجيم، فلام، كما هو رسمه في ابن إسحٰق وأتباعه، كالإصابة، فنسخة المحمل تحريف، **(وشداد بن عبد اللّٰه)** الغساني، ويقال: القناني . بفتح القاف، وتخفيف النون، وهو الصواب، قاله في الإصابة.

زاد ابن إسحٰق: ويزيد بن عبد المدان، وعبد اللّٰه بن قراد الزيادي، وعمرو بن عبد اللّٰه الضبابي، كذا رأيته في ابن إسحٰق.

وفي نقل الإصابة، عنه عبد اللّٰه بن قريظ، وعمرو بن عمرو، وقال عقبة: وزاد الواقدي عبد اللّٰه بن عبد المدان، وقال في عبد اللّٰه بن قريظ عبد اللّٰه بن قراد، وفي عمرو بن عمرو وعمرو بن عبد اللّٰه، والباقي سواء انتهى، فلعل هذا رواية غير ابن هشام، عن البكائي، عن

وقال لهم عليه الصلاة والسلام: بم كنتم تغلبون من قاتلكم؟ قال: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدًا بظلم، قال: صدقتم.

وأمر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال أو من ذي القعدة، فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ.

الوفد الحادي عشر:

ابن إسحٰق، إذ روايته موافقة، لما عند الواقدي، كما رأيت.

قال ابن إسحٰق: فلما رآهم النبي ﷺ قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند»؟ قيل: هؤلاء بنو الحٰرث بن كعب، فسلموا عليه وقالوا: نشهد أنك لرسول اللّٰه وأنه لا إلٰه إلاَّ هو، فقال: «وأنا أشهد أن لا إلٰه إلاَّ اللّٰه وأني رسول اللّٰه»، ثم قال: «أنتم الذين إذا زجروا استقدموا»، فسكتوا، فأعادها ثلاث مرات، فقال يزيد بن عبد المدان بعد الرابعة: نعم يا رسول اللّٰه نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرات، فقال ﷺ: «لو أن خالدًا لم يكتب إليَّ أنكم أسلمتم، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم»، فقال يزيد بن عبد المدان: أما واللّٰه ما حمدناك وما حمدنا خالدًا، قال: فمن حمدتم؟ قال: حمدنا اللّٰه الذي هدانا بك يا رسول اللّٰه، قال: صدقتم.

(**وقال لهم عليه الصلاة والسلام: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم**) في الجاهلية»؟ قال: لم نكن نغلب أحدًا، قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم»، (**قال**،) أي: يزيد بن عبد المدان: كما رأيت، فتصرف المصنف في الرواية، فلم يعلم منه فاعل، قال: وفي نسخة قالوا: وهي أظهر، لأنه حكاه بالمعنى، فنسبه إليهم، وأن المتكلم يزيد لكونهم عليه (**كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدًا بظلم، قال: «صدقتم»**).

وروى ابن شاهين في الصحابة أنه ﷺ، قال لهم: «ما الذي تغلبون به الناس وتقهرونهم»؟ قالوا: لم نقل فندل، ولم نكثر فنتحاسد ونتجادل، ونجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدًا بظلم، ونصبر عند البأس، فقال: «صدقت»، (**وأمر**) . بشد الميم . (**عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوَّال، أو من ذي القعدة**).

لفظ ابن إسحٰق: أو في صدر ذي القعدة، (**فلم يمكثوا إلاَّ أربعة أشهر حتى توفي رسول اللّٰه ﷺ**).

زاد ابن إسحٰق: وكان ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن خرم ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب إليه كتابًا عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه أمره، وذكر لفظ الكتاب مطولاً، واللّٰه أعلم.

(**الوفد الحادي عشر:**)

وقدم عليه ﷺ وفد همدان، فيهم: مُلك بن النمط، وضمام بن مُلك، وعمرو بن مُلك، ....

(وقدم عليه ﷺ وفد همدان) . بفتح الهاء، وإسكان الميم، وبالدال المهملة. شعب عظيم من قحطان، وأما بفتح الميم والذال المعجمة فمدينة بالجبال، لكن ليس منها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا تابعيهم إنما هم من الأولى التي هي القبيلة، (فيهم مُلك بن النمط) بن قيس بن مُلك بن سعد بن مُلك الهمداني، ثم الأرحبي . بفتح الهمزة، وإسكان الراء، وحاء مهملة مفتوحة وموحدة. نسبة إلى أرحب بطن من همدان.

قال أبو عمر: يقال فيه اليامي بالتحتية، فألف، فميم، نسبة إلى يام من همدان، قال: ويقال: الخارفي، أي: بخاء معجمة، وراء مكسورة، ثم فاء، يعني أن منهم من ينسبه إلى جده الأعلى همدان، ومنهم من ينسبه إلى أحد آبائه يام، أو خارف، أو أرحب، وهو واحد يكنى أبا نور، ولقبه ذو المشغار . بميم مكسورة، فشين، فغين معجمتين، أو مهملتين، ثم راء. كان شاعرًا محسنًا له في النبي ﷺ أبيات حسان هي:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوض طلائع تعتلي ... بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة ... تمر بنا مر الهجف الحفيدد
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفي المهند

ونمط .بنون، فميم مفتوحتين، فطاء مهملة. نوع من البسط، فهو علم منقول على الظاهر، أو لقب لأمر اقتضاه، (وضمام بن مُلك) . بكسر الضاد المعجمة، وخفة الميم الأولى السلماني، نسبة إلى جد له اسمه سلمان، ترجم له في الإصابة وقال: قدم على النبي ﷺ مرجعه من تبوك، ذكره أبو عمر في ترجمة مُلك بن نمط، وزعم الرشاطي أنه الذي قبله، يعني ضمام بن زيد بن ثوابة بن الحكم بن سلمان بن عبد عمرو بن الخارف بن مُلك بن عبد الله بن كبير بن مُلك بن جشم بن حامد بن جشم بن خيران بن نوف الهمداني، ثم الخارفي.

قال ابن الكلبي، والطبري والهمداني: وفد على النبي ﷺ وأسلم، (وعمرو،) كذا في النسخ، والذي في ابن هشام عميرة (بن مُلك) الخارفي، وهو الصواب، ففي الإصابة عميرة بالتصغير ابن مُلك الخارفي، ذكره أبو عمر في ترجمة مُلك ابن نمط، ولم يذكره هنا، فاستدركه

فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية، على الرواحل المهرية والأرحبية، ومُلك بن النمط يرتجز بين يديه ﷺ. ....

ابن الأثير، وأغفله ابن فتحون وهو على شرطه، انتهى فضبط النور لعميرة مكبرًا فيه نظر، وكأنه انتقال نظر، فإن عميرة المكبر ابن فروة الكندي صحابي ذكره في الإصابة قبل هذا، وضبطه بزنة عظيمة، ولا يصح أن يريد المصنف عمرو بن مُلك بن لاي الأرحبي، لأنه ليس مما جاء مع الوفد، وإنما أتى في حجة الوداع.

ففي الإصابة عمرو بن مُلك بن لاي الأرحبي، يكنى أبا زيد، ذكر الرشاطي أن قيس بن نمط لما وفد على النبي ﷺ وصفه بأنه فارس مطاع، فكتب إليه النبي، ثم دخل مكة بعد الهجرة، فصادف النبي ﷺ قد هاجر إلى المدينة، ثم وفد في حجة الوداع إلى النبي ﷺ، ذكره الهمداني في الإكليل، ولما حكى في الإصابة عن أبي عمران الوافد مُلك بن نمط، قال: وسيأتي في ترجمة نمط بن قيس بن مُلك أنه الوافد، وقيل: أبوه قيس، والذي يجمع الأقوال أنهم وفدوا جميعًا، فقد ذكر الحسن بن يعقوب الهمداني أنهم كانوا مائة وعشرين نفسًا، ذكره عنه الرشاطي انتهى، وزاد ابن هشام في روايته: مُلك بن أيفع **(فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه)** اسم لزمان الرجوع، أي: لقوه في زمن رجوعه **(من تبوك،)** وكان في رمضان سنة تسع عند ابن إسحٰق وابن سعد، وقيل: في شعبان **(وعليهم مقطعات الحبرات)**. بكسر المهملة، كما في النور، والقاموس وغيرهما جمع حبرة بزنة عنبة وعنبات، ففتحها سبق قلم، وفتح الموحدة، فألف، فراء برود تصنع باليمن، والمقطعات الثياب القصار، قاله أبو عبيد محتجًا بحديث ابن عباس في صلاة الضحى إذا انقطعت الظلال، أي: قصرت، وبقولهم في الأراجيز مقطعات، وخطاه ابن قتيبة وقال: إنما هي الثياب المخيطة، كالقميص ونحوه، سميت بذلك، لأنها تقطع وتفصل، ثم تخاط، والظاهر ما قاله ابن قتيبة، فلا معنى لوصفها بالقصر في هذا الموطن، قاله السهيلي، وحكى ابن الأثير القولين، فقال: المقطعات ثياب قصار، لأنها قطعت عن تلوث القمام، وقيل: كل ما يفصل ويخاط من قميص وغيره، بخلاف ما لا يقطع منها كالأزر والأردية انتهى، **(والعمائم العدنية)**. بعين، فدال مهملتين مفتوحتين. نسبة إلى عدن مدينة باليمن **(على الرواحل المهرية)**. بفتح الميم، وإسكان الهاء، وكسر الراء. نسبة إلى مهرة قبيلة من قضاعة **(والأرحبية)**. بفتح الهمزة، والحاء بينهما راء ساكنة، ثم موحدة. نسبة إلى أرحب بطن من همدان، كما سبق، والمعنى أنهم قدموا متجملين بالثياب والعمائم والرواحل المنسوبة لما ذكر، ولها شأن عندهم، وهذا مما يقوي تفسير ابن قتيبة للمقطعات إذ القصار لا تجمل فيها غالبًا، ولذا استظهره السهيلي **(ومُلك بن النمط يرتجز بين يديه ﷺ)** ويقول:

وذكروا له كلامًا كثيرًا حسنًا فصيحًا.

فكتب لهم عليه الصلاة والسلام كتابًا أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مُلك بن النمط، واستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف. وكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه.

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالدًا إلا رجلاً ممن كان مع

إليـك جـاوزن سـواد الـريـف في هبوات الصيف والخريف

مـحـظـمـات بـحـبـال الـلـيـف

(**وذكروا له كلامًا كثيرًا حسنًا فصيحًا، فكتب لهم عليه الصلاة والسلام كتابًا**) من جنس كلامهم، (**أقطعهم فيه ما سألوه،**) وذكر المصنف ذلك بتمامه في المقصد الثالث، (**وأمر عليهم مُلك بن النمط، واستعمله**) جعله عاملاً، أي: أميرًا (**على من أسلم من قومه،**) ولا ينافي ذلك ما رواه ابن شاهين وغيره: أن قيس بن مُلك وفد على النبي ﷺ وهو بمكة فأسلم، ورجع إلى قومه، ثم رجع إلى النبي ﷺ بأن قومه أسلموا، فقال ﷺ: «نعم وافد القوم قيس»، وأشار بإصبعه إليه، وكتب عهده على قومه همدان عربها ومواليها وخلائطها، أن يسمعوا له ويطيعوا، ولهم ذمة الله ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، انتهى لاحتمال أنه شرك مع قيس بعد ذلك مُلك بن نمط، أو غير ذلك، (**وأمره بقتال ثقيف، وكان**) في العيون، فكان بالفاء، وهي أحسن، كما لا يخفى (**لا يخرج لهم سرح**). بفتح السين وإسكان الراء، وحاء مهملات. مال سائم، أي: راع (**إلاَّ غار عليه**) أخذه، وهذا الذي ساقه المصنف وقع في سيرة ابن هشام من زيادته بإسناد ضعيف مرسل، (**و**) جاء ما يخالفه، فقد (**روى البيهقي بإسناد صحيح، عن البراء بن عازب**) الصحابي، ابن الصحابي: (**أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى**) بعض (**أهل اليمن**) وهم همدان، كما يدل عليه بقية الحديث، (**يدعوهم إلى الإسلام**).

(**قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب، فأمره أن يقفل**). بضم الياء، وسكون القاف، وكسر الفاء، أي: يرجع (**خالدًا إلاَّ رجلاً،**) أي: جنسه، يعني، أي: رحل (**ممن كان مع خالد أن**) سقط من لفظ البيهقي، أراد أن (**يعقب**). بضم الياء، وفتح العين، وشد القاف

خالد أن يعقب مع علي.

فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي، ثم صفنا صفًا واحدًا، ثم تقدم بين أيدينا، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعًا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدًا ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان، السلام على همدان مرتين. وأصل الحديث في صحيح البخاري.

وهذا أصح مما تقدم، ....

المكسورة، أي: يرجع **(مع علي)** إلى اليمن، بعد أن رجع منه، ولفظ رواية البخاري: مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل.

قال البراء: فكنت فيمن عقب معه، **(فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا)** مقاتلين، فدعاهم علي إلى الإسلام، فأبوا، ورموا بالنبل والحجارة، فحمل عليهم علي بأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا، فكف عنهم قليلاً، كما عند ابن سعد وغيره، ففي الحديث اختصار انتهى، **(فصلى بنا علي، ثم صفنا صفًا واحدًا)** ليريهم قوتهم على الحرب، **(ثم تقدم بين أيدينا)** حتى لحقهم ودعاهم إلى الإسلام، **(فقرأ عليهم كتاب رسول اللّه ﷺ، فأسلمت همدان جميعًا)**.

وعند ابن سعد: فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا، فخذ منها حق اللّه، وجمع علي الغنائم، فجزأها خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها اللّه، وأقرع عليها، فخرج أول السهام سهم الخمس، وقسم على أصحابه بقية المغنم، **(فكتب علي إلى رسول اللّه ﷺ بإسلامهم)** أي: بإسلام من كان باقيًا منهم على الشرك، فلا يخالف ما تقدم أن القادمين في الوفد أسلموا، وأمر عليهم مالكًا، **(فلما قرأ رسول اللّه ﷺ الكتاب،)** أي: قرىء عليه **(خر ساجدًا)** شكر اللّه على إسلامهم، **(ثم رفع رأسه، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان مرتين، وأصل الحديث في صحيح البخاري،)** وهو من إفراده عن مسلم، عن البراء: بعثنا رسول اللّه ﷺ مع خالد إلى اليمن، ثم بعث عليًا بعد ذلك مكانه، فقال: مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل.

قال البراء: فكنت فيمن عقب، فغنمت، أواقي ذات عدد.

قال الحافظ: لم أقف على تحريرها، **(وهذا أصح مما تقدم)** المخالف له من وجهين،

ولم تكن همدان تقاتل ثقيفًا ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن وثقيف بالطائف. قاله ابن القيم في الهدى النبوي.

الوفد الثاني عشر:

روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة

أحدهما: أنهم وفدوا وأسلموا، وأمر عليهم مالكًا، وهذا الحديث الصحيح، أنه بعث إليهم خالدًا، ثم عليًا، فلو كان كذلك ما بعثهما واحدًا بعد واحد، ويمكن الجمع بينهما بأن البعث لمن لم يسلم ولم يأت، والتأمير إنما هو على قوم الذين أسلموا، وإن جمع الكل اسم همدان، فلا خلف على أنه في فتح الباري.

قال في حديث البراء: إن البعث كان بعد رجوعهم من الطائف، وقسمة الغنائم بالجعرانة انتهى، فالوفد إنما كان بعد البعث، لأنه في آخر الثامنة، والوفد في التاسعة، والوجه الثاني ما ذكره بقوله: (**ولم تكن همدان تقاتل ثقيفًا، ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيف بالطائف،**) وهذه علة أقوى من الأولى، ويحتمل على بعد؛ أنه عليه السلام أمره إذا مر عليهم في عوده لليمن بقتالهم ففعل، وأغار على سرحهم، ولم يمكنه القتال لتحصنهم بحصنهم، ولا يخالف ذلك التعبير بكان مع المضارع، فإنه يصدق ولو بمرة، كحديث كان يبعث ابن رواحة يخرص تمر خيبر، مع أنه إنما بعثه مرة واحدة، ولأن كلاً من وفدي ثقيف وهمدان قدم مرجعه من تبوك، لاحتمال أن همدان سبقوهم (**قاله،**) أي: جميع ما ذكره في ذا الوفد (**ابن القيم في الهدي النبوي،**) أي: كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد.

(الوفد الثاني عشر:)

وفد مزينة. بضم الميم، وفتح الزاي، وسكون التحتية بعدها نون. اسم امرأة عمرو بن أد بن طابخة، بموحدة، ومعجمة ابن إلياس بن مضر، وهي مزينة بنت كلب بن وبرة، وهي أم أوس وعثمان ابني عمر وفذرية هذين يقال لهم مزينة والمزنيون، ومن قدماء الصحابة منهم عبد الله بن مغفل وعمه خزاعي، وإياس بن هلال وابنه قرة وآخرون، كما في الفتح، ولعل المصنف لم يقل، وقدم عليه وفد مزينة على قياس سابقه، إشارة إلى أنه لا يتعين.

(**روى البيهقي**) ومن قبله الإمام أحمد (**عن النعمان بن مقرن**). بضم الميم، وفتح القاف، وكسر الثقيلة ونون. ابن عائذ المزني كان معه مزينة يوم فتح مكة، وله ذكر كثير في فتوح العراق، وهو الذي فتح أصبهان وسكن البصرة، ثم تحوّل إلى الكوفة، وقدم بشيرًا بفتح القادسية على عمر، واستشهد في خلافته بنهاوند سنة إحدى وعشرين.

رجل من مزينة، فلما أردنا أن ننصرف قال: يا عمر، زود القوم، قال: ما عندي إلا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعًا. قال: انطلق فزودهم. فانطلق بهم، فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية، فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم. قال النعمان: وكنت في آخر من خرج، فنظرت: وما أفقد موضع تمرة من مكانها.

الوفد الثالث عشر:

وفد دوس: وكان قدومهم عليه ﷺ بخيبر. ....

(**قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل من مزينة**،) وعند ابن سعد عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه، عن جده: أول من وفد على النبي ﷺ من مضر أربعمائة من مزينة وفي الألفية:

أول وفـــد وفـــدوا الـــمـــديـــنـــة   ســـنـــة خـــمـــس وفـــدوا مـــزيـــنـــه

زاد في رواية: وجهينة، فلعلهم كانوا قليلاً، أو اتباعًا، فلم يعدهم النعمان، (**فلما أردنا أن ننصرف قال**:) وفي رواية، قال القوم: يا رسول الله ما لنا من طعام نتزوده؟ فقال: (**«يا عمر زود القوم»، قال: ما عندي**) ما أزودهم به (**إلاَّ شيء من تمر، ما أظنه يقع من القوم موقعًا**) لقلته، (**قال: «انطلق فزودهم»، فانطلق بهم، فأدخلهم منزله**) بيته، (**ثم أصعدهم إلى علية**) . بكسر العين وضمها . غرفة، (**فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق**) . بهمزة مفتوحة، فواو ساكنة، فراء، فقاف . ما في لونه بياض إلى سواد، وهو أطيب الإبل لحمًا لا سيرًا وعملاً، قاله القاموس، وهذا معجزة له ﷺ، فإنه كان قليلاً في الواقع، فأخبر بذلك عمر على ما يعلمه منه، (**فأخذ القوم منه حاجتهم**).

(**قال النعمان: وكنت في آخر من خرج، فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها**) معجزة أخرى له عليه السلام، حيث زاد القليل، وأخذوا كفايتهم منه، واستمر على زيادته، وفي رواية: وقد احتمل منه أربعمائة، وكأنا لم نرزأه تمرة . بنون مفتوحة، فراء ساكنة، فزاي مفتوحة، فهمزة، فهاء أي: ننقصه، انتهى.

(**الوفد الثالث عشر**:)

(**وفد دوس**) . بفتح المهملة، وسكون الواو، ومهملة . قبيلة أبي هريرة، ينسبون إلى جدهم دوس بن عدنان . بضم المهملة، فدال ساكنة، فمثلثة، فألف . ابن عبد الله، ينتهي نسبهم إلى الأزد، فدوس مصروف، لأنه في الأصل علم لمذكر، ولأن أصل الأسماء الصرف حتى يوجد

قال ابن إسحٰق:

كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان لطفيل رجلاً شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى عزمت أن لا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إليه كرسفًا، ....

مانعه، (**وكان قدومهم عليه ﷺ بخيبر،**) كما سيأتي في القصة، فهو سنة سبع.

(**قال ابن إسحٰق**) في السيرة: بلا إسناد في غالب النسخ، وفي نسخة أسندها عن صالح بن كيسان، عن الطفيل، وكذا أخرجه ابن سعد من وجه آخر، وكذا الأموي وابن الكلبي بإسناد آخر، كما في الإصابة، (**كان الطفيل بن عمرو**) بن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس (**الدوسي**) لقبه ذو النور. براء آخره. لما يجيء.

قال البغوي: أحسبه سكن الشام، واستشهد بأجنادين في خلافة الصديق، أو باليمامة، أو باليرموك، أقوال (**يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها**) قبل الهجرة، (**فمشى إليه رجال من قريش**).

قال في النور: لا أعرفهم بأعيانهم، (**وكان لطفيل رجلاً شريفًا، شاعرًا لبيبًا**).

زاد ابن سعد: كثير الضيافة، وهذه الأوصاف جملة معترضة، ليست مما حدث به الطفيل، وإنما هي حدث به عبد الواحد ابن أبي عون الدوسي، كما عند ابن سعد، (**فقالوا له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا**) أمكنة، واعتقادًا بأن أزال الألفة بينهم وفرقهم في البلاد، (**وشتت أمرنا،**) أي: فرق ما كنا عليه من اعتقاد عبادة الأصنام، بعد أن كنا كشيء واحدٍ، فهو عطف مباين أولى من جعله تفسيرًا، إذ التأسيس خير من التأكيد، (**وإنما قوله كالسحر،**) كأنه عطف علة على معلول، أي: إنما فعل ذلك بنا، لأن كلامه كالسحر يسلب العقول، (**يفرق بين المرء**) . مثلث الميم. (**وابنه**) . بنون، أو تحتية، (**وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه،**) امرأته أفصح من زوجته، وهذا بيان لجهة السحر، (**وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا**) من الكلام الذي يفتن به، حتى تبعه من تبعه، (**فلا تكلمه، ولا تسمع منه،**) لئلا تفتتن، (**قال: فوالله ما زالوا بي حتى عزمت،**) أجمعت وصممت (**أن لا أسمع منه**

فرقًا من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريبًا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت واثكل أماه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان ما يقول حسنًا قبلت، وإن كان قبيحًا تركت.

قال: فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف أن لا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسنًا، فاعرض علي أمرك.

فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرءان، ....

شيئًا، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني) تثنية أذن **(حين غدوت إليه كرسفًا)**. بضم الكاف، والسين بينهما راء، ثم فاء. القطن، ويقال فيه أيضًا: كرسوف بزنة زنبور، **(فرقًا)** خوفًا **(من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول اللّه ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريبًا منه، فأبى اللّه إلاَّ أن يسمعني بعض قوله)** هذا لفظ رواية ابن إسحٰق، فنسخة: أن لا يسمعني، تصحيف، وإن أمكن توجيهها، بأن المعنى منع على عدم السماع، **(فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت: واثكل أمياه)**، أصله أمي بياء المتكلم، فتقلب ألفًا، وتلحقها هاء السكت، وقد يجمع بين الألف والياء، كما هنا، والذي رأيته في ابن إسحٰق أمي على الأصل، **(واللّه إني لرجل لبيب،)** عاقل، **(شاعر ما يخفى علي الحسن،)** أي: تمييزه **(من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان ما يقول)**، أي: إن ظهر لي قوله **(حسنًا قبلت،)** لأنه ثمرة العقل، **(وإن كان قبيحًا تركت، قال: فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته،)** دخلت عليه، **(فقلت: يا محمد إن قومك، قد قالوا لي)** بلام الجر، وفي نسخة إليَّ، أي: أوصلوا إليَّ، **(كذا وكذا، فواللّه ما برحوا يخوفوني أمرك،)** بنون واحدة، وأصله بنونين، حذفت إحداهما تخفيفًا، وفي أن المحذوفة الأولى والثانية خلاف **(حتى سددت أذني،)** تثنية أذن **(بكرسف،)** لأجل **(أن لا أسمع قولك، ثم أبى اللّه إلاَّ أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسنًا،)** فرد اللّه كيدهم في نحورهم، وقلب مكرهم عليهم، واللّه متمّ نوره، ولو كره الكافرون، **(فاعرض عليّ أمرك،)** بهمزة وصل من عرض ظهر، **(فعرض علي رسول اللّه ﷺ الإسلام، وتلا علي**

فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية.

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللَّهم في غير وجهي، إني أخشى أن يقولوا إنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول فوقع رأس سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية، حتى جئتهم وأصبحت فيهم، فلما جئت أتاني

القرءان،) أي: بعضه، وهو الإخلاص والمعوّذتان، كما أفاده الإصابة عن أبي الفرج الأصبهاني، **(فلا واللَّه ما سمعت قولاً قط أحسن منه،)** أي: من قوله، **(ولا أمرًا أعدل منه،)** من أمره الذي فهمته من قوله من الأحكام والمعاني التي استفدتها من كلامه، ويجوز عود ضميره للقول أيضًا، **(فأسلمت،)** انقدت باطنًا لاستحساني قوله، **(وشهدت شهادة الحق،)** أي: نطقت بها، فليس عطف تفسير إذ الأصل خلافه، وأنشد له المرزباني يخاطب قريشًا، وكانوا هددوه لما أسلم:

ألا أبلغ لديك بني لؤي | على الشنان والغضب المردي
بأن اللَّه رب الناس فرد | تعالى جده عن كل ند
وأن محمدًا عبدًا رسولاً | دليل هدى وموضح كل رشد
وأن اللَّه جلله بهاء | وأعلى جده في كل جد

(وقلت: يا رسول اللَّه إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم، فداعيهم إلى الإسلام، فادع اللَّه أن يجعل لي آية،) أي: علامة، وأسقط من رواية ابن إسحٰق تكون عونًا لي عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: «اللهم اجعل له آية»، وعند الطبراني: «اللهم نور له»، وفي التلقيح لابن الجوزي: «اللهم اجعل له نورًا»، **(قال)** الطفيل: **(فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية،)** طريق في الجبل **(تطلعني على الحاضر،)** هم القوم النزول على ماء يقيمون به، لا يرحلون عنه، ويقال للمناهل: المحاضر للإجتماع والحضور عليها.

قال الخطابي: ربما جعلوا الحاضر إسمًا للمكان المحضور، يقال: نزلنا حاضر بني فلان، فاعل بمعنى مفعول، **(وقع نور بين عيني مثل المصباح،)** أي: قرب مما بين عينيه، ولم يصبه، **(فقلت: اللهم في غير وجهي)** اجعل هذه الآية، **(إني أخشى أن يقولوا)** لفظ ابن إسحٰق: يظنوا **(أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول، فوقع في رأس سوطي).**

زاد الطبري: فكان يضيء في الليلة المظلمة، فسمى ذا النور، قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي، **(كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم وأصبحت**

أبي ـ وكان شيخًا كبيرًا ـ فقلت: إليك عني يا أبت، فلست مني ولست منك، قال: ولم يا بني؟ قلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد، قال: يا بني فديني دينك، قال فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعالى أعلمك ما علمت، قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتي فقلت لها: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت: لم؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك، أسلمت وتابعت محمدًا، فقالت: فديني دينك فأسلمت.

ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام، فأبطؤوا علي فجئت رسول الله ﷺ فقلت:

فيهم، فلما جئت أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا، فقلت: إليك عني يا أبت، فلست مني ولست منك، قال: ولِمَ يا بني؟ قلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد، قال: يا بني فديني دينك، قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك،) وليس فيه رضاه ببقائه كافرًا حتى يعود، لأن قوله: فدينك إيمان ديني عند كثير، وإن لم ينطق بالشهادتين، **(ثم تعالَ أعلمك ما علمت، قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم،)** فنطق بالشهادتين، وأظهر له ما يدخل به في الإسلام ظاهرًا، ويترتب عليه أحكامه، فلا يرد أنه أسلم أوّلاً بقوله فديني دينك، وقد ترجم له في الإصابة في القسم الأوّل عمرو بن طريف، والد أبي الطفيل، وذكر من القصة قول الطفيل له، وإسلامه ناسبًا لابن إسحٰق، ولم يذكر أنه وفده واجتمع بالنبي ﷺ، فلعله وقف عليه، وإلاَّ فهو مخضرم.

وعند أبي الفرج في الأغاني من طريق الكلبي: فدعا أبويه إلى الإسلام، فأسلم أبوه، ولم تسلم أمه، ودعا قومه، فأجابه أبو هريرة وحده، **(ثم أتتنى صاحبتي،)** يعني: زوجته.

قال في النور: لا أعرف إسمها، **(فقلت لها: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت: ولِمَ؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك، أسلمت وتابعت محمدًا، فقالت: فديني دينك،)** أسقط من الرواية في ابن إسحٰق، فقلت: فاذهبي إلى حنى ذي الشرى.

قال ابن هشام: ويقال حمى ذي الشرى فتطهري منه، قال: وكان ذو الشرى صنمًا لدوس، حموا له ماء يهبط من جبل، فقالت: بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئًا، قلت: لا أنا ضامن ذلك، قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليه الإسلام، **(فأسلمت).**

وفي الروض: حنى بالنون عند ابن إسحٰق، والميم عند ابن هشام، موضع حموه لصنمهم، فإن صحة رواية النون، فالنون قد تبدل من الميم، **(ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ،)**

يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم، فقال: اللَّهم اهد دوسًا، ثم قال ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس. ....

وعند الطبراني: فأجابه أبو هريرة وحده، **(فجئت رسول اللَّه ﷺ)** بمكة، كما في نفس رواية ابن إسحٰق، **(فقلت: يا نبي اللَّه إنه قد غلبني على دوس الزنا)** أي: حبهم له، وعلمهم أنهم إن أسلموا منعوا منه، وفي البخاري عن أبي هريرة: جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ، فقال: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، **(فادع اللَّه عليهم، فقال: «اللهم اهدِ دوسًا»)** زاد البخاري: وائت بهم.

قال الحافظ في الفتح: وقع مصداق ذلك، فذكر ابن الكلبي أن جندب بن عمرو بن حممة الدوسي كان حاكمًا على دوس، وكذا كان أبوه من قبله، وكان جندب يقول: إني لأعلم أن للخلق خالقًا، لكني لا أدري من هو، فلما سمع بالنبي ﷺ خرج إليه، ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه، فأسلم وأسلموا انتهى، وجندب، بجيم، فنون، فدال، فموحدة.

ذكره في الإصابة في حرف الجيم، فقال: قتل بأجنادين، ولا يعرف له حديث، وذكر فيها أيضًا عمرو بن حممة . بضم المهملة، وفتح الميم الخفيفة، بعدها مثلها الدوسي.

ذكر ابن دريد: أنه وفد على النبي ﷺ والذي ذكره غيره أنه مات في الجاهلية.

قال المرزباني: كان أحد حكام العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، يقال: إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة، وهو القائل:

كبرت وطال العمر مني كأنني ... سليم أفاعي ليلة غير مودع
أخبر أخبار القرون التي مضت ... ولا بد يومًا أن يطار لمصرعي
وما السقم أبلاني ولكن تتابعت ... على سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين من سنين كوامل ... وها أنا هذا أرتجي مر أربع
فأصبحت بين الفخ والعش نادبًا ... إذا رام طيارًا يقال له قع

(ثم قال: ارجع إلى قومك، فادعهم إلى اللَّه، وارفق بهم،) إذ الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه، ولا نزع من شيء إلاَّ شانه، **(فرجعت إليهم، فلم أزل بأرض دوس، أدعوهم إلى اللَّه)** حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ومضت بدر وأحد والخندق، كما هو قوله في ابن إسحٰق، وعقبه بقوله: **(ثم قدمت على رسول اللَّه ﷺ،)** حال كونه **(بخيبر،)** أو خبر مبتدأ، أي: وهو بخيبر، وليس ظرفًا لغوًا متعلقًا بقدمت، لأن قدومهم كان إلى المدينة، ظانين أنه بها، كما أفاده بقوله:

ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبرفأسهم لنا مع المسلمين.

وهذا يدل على تقدم إسلامه، وقد جزم ابن أبي حاتم بأنه قدم مع أبي هريرة بخيبر، وكأنها قدمته الثانية.

(فنزلت المدينة بسبعين، أو ثمانين بيتًا من دوس،) أي: جماعة يجمعهم نسب واحد، فلا ينافي أنهم أربعمائة، **(ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر،)** وللطبراني بسند ضعيف أنهم أربعمائة، فلما رآهم النبي ﷺ، قال: مرحبًا بأحسن الناس وجوهًا، وأطيبهم أفواهًا، أي: كلامًا، وأعظمهم أمانة.

وروى البخاري في التاريخ وابن خزيمة والطحاوي والبيهقي، وعن أبي هريرة: قدمنا المدينة، ونحن ثمانون بيتًا من دوس، فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري، فقرأ في الركعة الأولى بسورة مريم، وفي الأخيرة بويل للمطففين، فلمَّا قرأ: ﴿إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ [المطففين: ٢]، قلت: تركت عمي له مكيالان، إذا إكتال، إكتال بالأوفى، وإذا كال، كال بالناقص، فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل: رسول الله ﷺ بخيبر، وهو قادم عليكم، فقلت: لا أسمع به في مكان أبدًا إلا جئته، فزودنا سباع، وجئنا خيبر، فنجده قد فتح النطاة، وهو محاصر الكتيبة، فأقمنا حتى فتح الله علينا، **(فأسهم لنا مع المسلمين)**.

وفي رواية من حديث أبي هريرة: قدمنا على رسول الله ﷺ، وقد فتح خيبر، فكلم المسلمين، فأشركنا في سهمانهم، **(وهذا)** المذكور من حديث الطفيل، **(يدل على تقدم إسلامه)** بمكة قبل الهجرة دلالة صريحة، **(وقد جزم ابن أبي حاتم، بأنه قدم مع أبي هريرة بخيبر، وكأنها)** كما قال الحافظ **(قدمته الثانية)** مع الوفد، فلا يخالف صريح حديثه، والمراد بالثانية باعتبار مكة والمدينة، فلا ينافي أنه قدم مكة مرتين، فتكون ثالثة، وقد قدم جميع الوفد مسلمين، بدليل صلاة الصبح خلف سباع، والإسهام لهم، إذ لو لم يسلموا ما أسهم لهم، وقد رجع شيخنا ضمير إسلامه للوفد، والإشارة بهذا للإسهام، وهو واضح في نفسه، لكنه ليس مراد المصنف، وإنما مراده كالحافظ الاستدلال على خلاف ما جزم به ابن أبي حاتم، كما أفصح بذلك في الفتح والإصابة، وبقية حديث الطفيل عن ابن إسحٰق: ثم لم يزل معه ﷺ حتى إذا فتح الله عليه مكة، قلت: يا رسول الله ابعثني إلى صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه، فبعثه فأحرقه وهدمه، ثم رجع، فأوقد النار عليه، وهو يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع، فكان مع المصطفى حتى قبض، فلما ارتدت العرب، خرج مع المسلمين حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثم سار إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو، فرأى رؤيا وهو

الوفد الرابع عشر:

وقدم عليه ﷺ وفد نصارى نجران، فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت ....

متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا، فاعبروها لي، إني رأيت أن رأسي، قد حلق، وأنه خرج من فمي طائر، ولقيتني امرأة، فأدخلتني في فرجها، وأن ابني يطلبني طلبًا حثيثًا، ثم رأيته حبس عني، قالوا: خيرًا، قال: أما أنا والله، فقد أوّلتها، قالوا: بماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها، فالأرض تحفر لي فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي، ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني، فقتل شهيدًا باليمامة، وجُرح ابنه جراحة شديدة، ثم استفل منها، ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر انتهى.

وبقتل الطفيل يوم اليمامة، جزم ابن سعد أيضًا، ومن قبله ابن الكلبي، وقيل: باليرموك، قاله ابن حبان، وقيل: بأجنادين، قاله موسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة، ويأتي في ترجمة عمرو بن الطفيل، أنه الذي استشهد باليرموك، قاله في الإصابة.

وعند ابن سعد: أن عمرو بن الطفيل قطعت يده أيضًا، زيادة على الجراحة الشديدة يوم اليمامة، ثم صح، فبينا هو مع عمر إذ أتى بطعام، فتنحى، فقال مُلك: لعله لمكان يدك، قال: أجل، قال: والله لا أذوقه حتى تسوطه بيدك، ففعل.

قال ابن أبي حاتم: لا أعلم، روى عن الطفيل شيء، وتعقبه الحافظ بأن البغوي أخرج من حديث عبد ربه، عن الطفيل بن عمرو الدوسي، قال: أقرأني أبي بن كعب القرءان، فأهديت له فرسًا.. الحديث، وقال غريب: وعبد ربه لم يسمع من الطفيل، والله أعلم.

(الوفد الرابع عشر:)

(وقدم عليه ﷺ وفد نصارى نجران) . بفتح النون، وسكون الجيم. بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن، يشتمل على ثلاث وسبعين قرية، مسيرة يوم للراكب السريع، كما في الفتح، سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب، وهو أول من نزلها، والأخدود المذكور في القرءان في قرية من قراها، وهي اليوم خراب، ليس فيها إلاَّ المسجد الذي أمر عمر بن الخطاب ببنائه، وكانت نصارى نجران، غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير، فأحرق في الأخدود من لم يرتد، ثم الإضافة في وفد نصارى لامية حقيقة، أي: طائفة هي مقدمة نصارى، أو بيانية، والمعنى إن الوفد هم نصارى نجران، والتقييد بالنصارى يحتمل التخصيص، كأن

صلاتهم، فقاموا يصلون فيه، فأراد الناس منعهم فقال عليه الصلاة والسلام دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وكانوا ستين راكبًا، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم؛ العاقب، أمير القوم، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح. والسيد: صاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم ـ بتحتية ساكنة ـ ويقال شرحبيل. وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، . .

يكون بها مشركون ويهود، وإنه لبيان الواقع، **(فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم،)** دخل وقتها، **(فقاموا يصلون فيه،)** لا يقال الصلاة حيثما كان الشخص من خصائص هذه الأمة لحديث الصحيحين: أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، وفيه، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا.

قال الخطابي: وأما من قبله، فإنما أبيحت لهم الصلاة في أماكن مخصوصة، كالبيع والصوامع، لأنا نقول إنما ذلك في الحضر، فأما السفر، فتباح لهم الصلاة في غيرها، وقد كان عيسى يسيح في الأرض، ويصلي حيث أدركته الصلاة، **(فأراد الناس منعهم)** لما فيه من إظهار دينهم الباطل بحضرة المصطفى، وفي مسجده، **(فقال عليه الصلاة والسلام: دعوهم)** اتركوهم تأليفًا لهم ورجاء إسلامهم، ولدخولهم بأمان، فأقرهم على كفرهم، ومنع من تعرض لهم، فليس فيه إقرار على الباطل، **(فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم،)** ومستقبل المشرق بالمدينة ليس مستقبلاً للكعبة، ولا مستدبرها، كما حملوا عليه حديث الصحيحين: إذا أتى أحدكم بغائط، فلا يستقبل القبلة، ولا يولها ظهره، شرقوا، أو غربوا، بخلاف نحو مصر، فمن شرق استقبلها، **(وكانوا ستين راكبًا، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم،)** كما عند ابن إسحٰق، وسرد أسماءهم، وفي رواية ابن سعد: أربعة عشر، ولا منافاة لإحتمال أن الأربعة عشر أعظم الأشراف، **(والأربعة والعشرون، منهم ثلاثة نفر)** إضافة بيانية، إذ النفر من الثلاثة **(إليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم،)** يشبه عطف السبب على المسبب، **(واسمه عبد المسيح،)** والعاقب لقبه، **(والسيد صاحب رحلهم،)** أي: ارتحالهم، أي: صاحب معرفة أماكنهم في الرحيل، لخبرته بالطرق، **(ومجتمعهم)** بالجر أو الرفع عطف على صاحب، أي: مكان اجتماعهم عند آرائهم، فلا ينادي أن العاقب صاحب رأيهم، **(واسمه الأيهم ـ بتحتية ساكنة،)** ثم هاء. بزنة جعفر، **(ويقال: شرحبيل،)** اسمه بدل الأيهم، **(وأبو حارثة بن علقمة)** في الفتح، وأبو الحٰرث علقمة، بإسقاط ابن **(أخو بكر بن وائل،)** المراد أنه من قبيلة بكر، المذكور لا أخوه حقيقة، وهذا كثير في كلامهم كقوله:

قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومؤلوه، وكان يعرف أمر النبي ﷺ وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة. ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية، لما يرى من تعظيمه ووجاهته عن أهلها.

فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرءان فامتنعوا، فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهِلكم.

أيا أخوينا عبد شمس ونوفلاً أعيذكما باللَّه أن تحدثا حربا

(**قد شرف فيهم، ودرس كتبهم،**) عطف علة على معلول، (**وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية، قد شرفوه ومؤلوه،**) أي: جعلوا له مالاً يتخذ قنية، لحبهم من تدين من العرب بدينهم، (**وكان يعرف أمر النبي ﷺ، وشأنه، وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة، لكن حمله جهله على الإستمرار في النصرانية، لما يرى من تعظيمه، ووجاهته عن أهلها،**) وسماه جاهلاً، وإن كان عالمًا، تنزيلاً له منزلة الجاهل، لأنه لم يعمل بعلمه، فهو والجاهل سواء، أو لأن عناده حمله على تأويلات باطلة لشبه واهية، فهي فاسدة، فصاحبها جاهل، والأحسن أن المراد بالجهل: السفه والخطأ، فإنه يطلق عليهما لغة، (**فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرءان، فامتنعوا،**) فلم يؤمنوا، (**فقال: إن أنكرتم ما أقول،**) بأن اعتقدتم بطلانه، فلا ينافي قوله فامتنعوا، أو المعنى إن دمتم على إنكاركم وعنادكم ظلمًا وعدوانًا، (**فهلم أباهلكم،**) أي: ألاعنكم، بحيث يلعن كل منا الكاذب، كما قال تعالى: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة اللَّه على الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١].

قال البيضاوي: البهلة بالضم والفتح اللعنة، وأصله الترك من قولهم: بهلت الناقة، إذا تركتها بلا صرار، وهو بصاد وراءين مهملات بينهما ألف.

قال الجوهري: صررت الناقة: شددت عليها الصرار، وهو خيط يشد فوق الخلف، لئلا يرضعها ولدها.

روى البيهقي في الدلائل: أنه ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان: بسم إله إبراهيم وإسحق، ويعقوب، من محمد النبي.. الحديث. وفيه: فأتوه، فسألهم، وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ قال: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم، فأصبح الغد، وقد أنزل اللَّه: ﴿إن مثل عيسى عند اللَّه﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، إلى قوله: ﴿فنجعل لعنة اللَّه على الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: إن رهطًا من نجران قدموا على النبي، فيهم

وفي البخاري من حديث حذيفة؛ جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أم يلاعناه ـ يعني يباهلاه ـ فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل.

وعند أبي نعيم: أن القائل ذلك هو السيد، وعند غيره: بل الذي قال ذلك هو العاقب، لأنه كان صاحب رأيهم، وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي أن الذي قال ذلك هو شرحبيل.

فوالله لئن كان نبيًا فلاعنا ـ يعني: باهلناه ـ لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ـ زاد في روية ابن مسعود عند الحاكم أبدًا ـ ثم قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، ......

السيد والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: من هو؟ قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد اللّه، فقال: «أجل»، قالوا: فهل رأيت مثل عيسى، أو أنبئت به، ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل، فقال له: قل لهم إذا أتوك ﴿إن مثل عيسى عند اللّه كمثل ءادم﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، إلى قوله: ﴿من الممترين﴾ [آل عمران: ٦٠] الآية.

(وفي البخاري من حديث حذيفة) بن اليمان: **(جاء السيد والعاقب صاحبا نـجران،)** كأن السيد كان له تصرف في نجران، وإن لم يكن بالإمارة، فأطلق عليهما صاحبيهما، لاشتراكهما في مطلق التصرف، فلا ينافي ما مر أن الأمير هو العاقب، وأما أبو حارثة، فكأنه كان عندهم يرجع إليه في إستعلام الأحكام، لا في التصرف، فلم يذكره **(إلى رسول اللّه ﷺ يريدان أن يلاعناه، يعني يباهلاه،)** تفسير من المصنف لقوله: يلاعناه لا من الحديث.

قال في الفتح: وذكر ابن إسحٰق بإسناد مرسل: أن ثمانين آية من أول سورة آل عمران نزلت في ذلك، يشير إلى قوله تعالى: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ الآية، **(فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، وعند أبي نعيم)** في كتاب الصحابة: **(أن القائل ذلك هو السيد، وعند غيره: بل الذي قال ذلك هو العاقب، لأنه كان صاحب رأيهم، وفي زيادات يونس بن بكير)** الشيباني على سيرة شيخه ابن إسحٰق **(في المغازي؛ أن الذي قال ذلك شرحبيل،)** وهو موافق لما عند أبي نعيم، بناء على أن السيد اسمه شرحبيل، كما مر، وفصل المصنف بين أجزاء الحديث بهذه الجملة من فتح الباري، لبيان المبهم في قوله: أحدهما، ثم عاد لتتميم حديث البخاري، **(فوالله لئن كان نبيًا،)** فهو مقول الأحد، **(فلاعنا)** في رواية الكشميهني: فلاعننا، فإظهار النون، كما في الفتح، وليس في البخاري، فلاعناه بضمير، **(يعني باهلناه،)** فسره بالأخفى دفعًا لتوهم أنها غير المباهلة، **(لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا).**

وابعث معنا رجلاً أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أمينًا حق أمين. فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال ﷺ: هذا أمين هذه الأمة.

(**زاد في رواية ابن مسعود عند الحاكم**) لفظة (**أبدًا، ثم قالا: إنا نعطيك ما سألتنا**) في رواية ابن مسعود، فأتيا فقالا: لا نلاعنك، ولكنا نعطيك ما سألت، أي: في كتابك من الجزية، إن لم يسلموا.

ففي رواية البيهقي أنه ﷺ كتب إليهم، يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم، فقد آذنتكم بحرب.

وفي رواية ابن أبي شيبة، وأبي نعيم، وغيرهما؛ أنه ﷺ، قال: لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران، لو تموا على الملاعنة، ولما غدا إليهم أخذ بيد حسن، وحسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقفهم: إني لأرى وجوهًا، لو سألوا اللَّه أن يزيل جبلاً من جباله لأزاله، فلا تباهلوا، فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، واللَّه لقد عرفتم نبوّته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، أي عيسى، فواللَّه ما باهل قوم نبيًا إلاَّ هلكوا، فإن أبيتم إلاَّ دينكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا، فقالوا: يا أبا القسم لا نلاعنك، فقال: «فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم»، فأبوا، قال: «فإني أنذركم»، قالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكنا نصالحك، فصالحهم، وقال: «والذي نفسي بيده» إن العذاب تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل اللَّه نجران وأهله حتى الطير على الشجر، (**وابعث معنا رجلاً أمينًا**) يأخذ ما تجعله علينا، (**ولا تبعث معنا إلاَّ أمينًا**) ذكره بعد سابقه، لأنه لا حصر فيه، فيصدق بما لو بعث مع الأمين غيره، (**فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أمينًا حق أمين»**) أي: بالغًا في الأمانة، ففيه توكيد، والإضافة فيه نحو قولهم: إن زيد العالم، حق عالم، وجد عالم، أي: عالم حقًا وجد، يعني عالم يبالغ في العلم جدًا، ولا يترك في الجد المستطاع منه شيئًا، (**فاستشرف لها**) أي: تطلع (**أصحاب رسول اللَّه ﷺ**) ورغبوا فيها، حرصًا على نيل صفة الأمانة البالغة، لا على الولاية من حيث هي.

وفي رواية أبي يعلى عن ابن عمر: سمعت عمر يقول: ما أحببت الإمارة إلاَّ مرة واحدة، فذكر هذه القصة، وقال في آخرها: فتعرضت أن تصيبني، (**فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، فلما قام، قال ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»**) والأمين هو الثقة الرضي، وهذه الصفة، وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره، لكن السياق يشعر؛ بأن له مزيدًا في ذلك، لكن خص النبي ﷺ كل أحد من الكبار بفضيلة، وصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمن، والقضاء

وفي رواية يونس بن بكير: أنه صالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وساق الكتاب الذي بينهم مطولاً.

وذكر ابن سعد: أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك وأسلما.

وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة. ووقع ذلك لجماعة من العلماء سلفًا وخلفًا، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة.

الوفد الخامس عشر:

وقدم عليه ﷺ رسول فروة ....

لعلي، ونحو ذلك، قاله الحافظ.

(**وفي رواية يونس بن بكير: أنه صالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية**) من (**وساق الكتاب الذي بينهم مطولاً**) وقد ذكره الشامي، وغيره.

(**وذكر ابن سعد: أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك**) إلى المدينة، (**وأسلما**) كما هو بقية كلام ابن سعد، كما في الفتح، وذكرهما معًا في الإصابة، فقال عن ابن سعد وابن المدائني: أنهم رجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلاَّ يسيرًا، حتى رجعا إلى النبي ﷺ فأسلما، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري، (**وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة**) على المخالفة، (**ووقع ذلك لجماعة من العلماء سلفًا وخلفًا**).

زاد في الفتح: وقد دعا ابن عباس إلى ذلك، ثم الأوزاعي، (**ومما عرف بالتجربة أن من باهل، وكان مبطلاً، لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة**).

قال الحافظ: ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة، فلم يقم بعدها غير شهرين.

قال: وفي القصة أيضًا يعني من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوّة لا يدخله الإسلام حتى يلتزم أحكامه، وجواز مجادلة أهل الكتاب، ومصالحتهم على ما يراه الإمام من أصناف المال، ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية، فإن كلا مال يؤخذ على وجه الصغار في كل عام، وفيها بعث الإمام الرجل، العالم، الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام، ومنقبة ظاهرة لأبي عبيدة.

وذكر ابن إسحٰق: أنه ﷺ بعث عليًا إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم، وهذه غير قصة أبي عبيدة، لأنه توجه معهم، فقبض مال الصلح ورجع، وعلي أرسله النبي ﷺ بعد ذلك، فقبض ما استحق عليهم من الجزية، ويأخذ ممن أسلم ما وجب عليه من الصدقة، والله أعلم، انتهى.

(**الوفد الخامس عشر:**)

ابن عمرو الجذامي ملك الروم ـ وكان منزله معان ـ بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، ولما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين، وضربوا عنقه على ذلك الماء.

الوفد السادس عشر:

وقد عليه ﷺ ضمام بن ثعلبة، ....

(**وقدم عليه ﷺ رسول فروة**) بفتح الفاء (**ابن عمرو**) على الأشهر، وقيل: عامر (**الجذامي**) . بضم الجيم، وبذال معجمة. نسبة إلى جذام قبيلة، واسم الرسول الذي أرسله مسعود بن سعد الجذامي، أسلم وصحب (**ملك الروم**) فيه تحوّز، فقد قال ابن إسحٰق: إنه كان عاملاً للروم على من يليه من العرب، والمصنف نفسه قدم قريبًا في المكاتبات؛ أنه كان عاملاً لقيصر، (**وكان منزله معان**،) وما حولها من أرض الشام، كما عند ابن إسحٰق ومعان . بفتح الميم وضمها، وصوِّب الفتح.

قال البكري: اسم جبل.

قال في الروض: والمعان أيضًا حيث تحبس الخيل والركاب، وبه جنس المعري، فقال:

معان من أحبتنا معان تجيب الصاهلات بها القيان

وجوَّز البرهان رفع منزل اسم كان، ونصب معان خبره وعكسه، (**بإسلامه**) صلة قوله: قدم ذلك لما بعث إليه النبي ﷺ أن يسلم، فأسلم، وكتب إليه بإسلامه، (**وأهدى له بغلة بيضاء**) هي فضة، وفرسًا يقال لها الظرب، وحمارًا يقال له يعفور، وأثوابًا، وقباء مذهبًا، فقبل هديته، وأعطى رسوله مسعودًا اثنتي عشرة أوقية فضة، كما تقدم، (**ولما بلغ الروم**) بالنصب مفعول فاعله قوله (**ذلك من إسلامه، طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه، ثم صلبوه على ماء**) . بالمد. لهم يقال له: عفراء . بفتح المهملة، وإسكان الفاء، وبالراء ممدودة . (**بفلسطين**) . بكسر الفاء، وفتحها، فلام مفتوحة، فسين ساكنة، فطاء مكسورة مهملتين، فتحتية ساكنة، فنون، وهي الرملة وغزة بيت المقدس، وما حولها، كما في النور، وعند ابن إسحٰق، فقال في ذلك:

ألا هل أتى سلمى بأن خليلها على ماء عفرًا فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل

ولما قدموه ليقتلوه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي

(**وضربوا عنقه على ذلك الماء**،) ولم ينقل أنه اجتمع بالنبي ﷺ، كما في الإصابة.

(**الوفد السادس عشر:**)

بعثه بنو سعد بن بكر.

روى البخاري من حديث أنس بن مٰلك قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ....

(وقدم عليه ﷺ ضمام). بمعجمة مكسورة، وخفة الميم الأولى المفتوحة. **(ابن ثعلبة)**. بفتح المثلثة والموحدة، بينهما عين ساكنة ولام. السعدي، قال: البغوي كان يسكن الكوفة **(بعثه بنو سعد بن بكر)** قومه ليجيب عما أرسل به المصطفى لهم، ويبصر فيما جاء به عليه الصلاة والسلام في سنة تسع على الصواب، وبه جزم ابن إسحٰق، وأبو عبيدة وغيرهما، خلافًا لما زعم الواقدي أنه سنة خمس، كما أفاده الحافظ، ولم يقل وفد لإنفراده لا يعد وافدًا عرفًا، وإن عد لغة، بل حقه أن يقال له يريد، لأنه بمنزلة من يرسله الملك في مصلحة ليأتيه بالخبر، وادعى ابن بطال، وعياض، وابن العربي، وغيرهم: أن ضمامًا هو المراد بقول طلحة بن عبيد اللّٰه جاء رجل إلى رسول اللّٰه ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة»، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوّع»، قال: «وصيام رمضان»، قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «لا، إلاَّ أن تطوّع وذكر له الزكاة»، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلاَّ أن تطوَّع»، قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: واللّٰه لا أزيد على هذا، ولا أنقص، قال ﷺ: «أفلح إن صدق».

رواه الشيخان من طريق مٰلك عن عمه، عن أبيه، عن طلحة.

وقال القرطبي في المفهم: وتبعه شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، الظاهر أنه غيره لإختلاف السياقين، وهو كما قال ذكره الحافظ في المقدمة.

وقال في الفتح: جزم ابن بطال وآخرون بأنه ضمام، والحامل لهم على ذلك إيراد مسلم قصته عقب حديث طلحة، وإن في كل منهما أنه بدوي، وأن كلاً منهما؛ قال في آخر حديثه: لا أزيد على هذا، ولا أنقص، لكن تعقبه القرطبي؛ بأن سياقهما مختلف، وأسئلتهما متباينة، قال: ودعوى أنها قصة واحدة، دعوى فرط، وتكلف شطط من غير ضرورة، انتهى المراد منه.

(روى البخاري)، وكذا مسلم **(من حديث أنس بن مٰلك، قال: بينما)** بلا ميم. وفي رواية بينما بالميم، **(نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد)** النبوي، **(دخل رجل)** جواب بينا وللأصيلي إذ دخل، لكن الأصمعي لا يستفصح، إذ وإذا في جواب بينا **(على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله)**. بتخفيف القاف، أي: شد على ساقه بعد أن ثنى ركبتيه حبلاً، واستنبط منه ابن بطال وغيره، طهارة أبوال الإبل وأرواثها، إذ لا يؤمن منه ذلك في المسجد، ولم ينكره ﷺ.

قال الحافظ: ودلالته غير واضحة، وإنما فيه مجرد احتمال، ويدفعه رواية أبي نعيم: أقبل

ثم قال: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكيء بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ ....

على بعير له حتى أتى المسجد، فأناخه، ثم عقله، فدخل المسجد، وأصرح منه رواية ابن عباس عند أحمد والحاكم، ولفظه: فأناخ بعيره على باب المسجد، فعقله، ثم دخل، فعلى هذا، ففي رواية أنس مجاز الحذف، والتقدير، فأناخه في ساحة المسجد، أو نحو ذلك انتهى، وفيه: أن ساحة المسجد رحبته، كما في اللغة، ومذهب الشافعي أن الرحبة من المسجد، وهي ما بني لأجله، فتستحب فيها التحية، ويجوز الإعتكاف، فتم الاستنباط، **(ثم قال: أيكم)** استفهام مرفوع، مبتدأ خبره **(محمدا)** أو أيكم خبر قدم، لأن الاستفهام له الصدر، **(والنبي ﷺ متكيء)** . بالهمز، مستو على وطاء، والجملة إسمية وقعت حالاً، قاله المصنف، وتفسيره بهذا هو الظاهر هنا، وإن أطلق الاتكاء أيضًا على الميل، على أحد الشقين، والتمكن من القعود بالتربع والاعتماد على اليد اليسرى، كما يأتي بسطه للمصنف.

قال الحافظ: فيه جواز إتكاء الإمام بين أتباعه، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من ترك التكبر لقوله: **(بين ظهرانيهم)** بفتح النون، أي: بينهم، وزيد لفظ ظهر، ليدل على أن ظهرًا منهم قدامه، وظهرًا وراءه، فهو محفوف بهم من جانبيه، والألف والنون فيه للتأكيد، قاله صاحب الفائق.

وقال الدماميني: زيدت الألف والنون على ظهر عند التثنية للتأكيد، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقًا.

قال المصنف: فهو مما أريد بلفظة التثنية فيه معنى الجمع، واستشكل ثبوت النون مع الإضافة، وأجيب بأنه ملحق بالمثنى، لا أنه مثنى ثنى، وحذفت منه نون التثنية، وصار ظهرانيهم، **(فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكيء)**.

قال الحافظ: أي: المشرب بحمرة، كما في رواية الحٰرث بن عمير الأمغر . بالغين المعجمة. قال حمزة بن الحٰرث: هو الأبيض المشرب بحمرة، ويؤيده ما يأتي في صفته ﷺ أنه لم يكن أبيض، ولا أدم، أي: لم يكن أبيض صرفًا، **(فقال له)** للنبي ﷺ **(الرجل)** الداخل **(ابن عبد المطلب)** . بكسر الهمزة وفتح النون، كما في فرع اليونينية والذي رأيته في اليونينية، بهمزة وصل.

قال شيخنا: ولا تنافي بينهما فما في الأصل وصل كلمة بالرجل، وما في الفرع وقف على الرجل، وابتدأ بابن إشارة إلى أنه مقول القول، فالهمزة مكسورة.

وفي الفتح للحافظ: بفتح النون على النداء، وفي رواية الكشميهني: يا ابن بإثبات حرف

فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك.

فقال: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله ....

النداء انتهى.

وقال الزركشي: بفتح الهمزة للنداء ونصب النون، لأنه مضاف لا على الخبر، ولا الاستفهام لقوله: قد أجبتك، وفي رواية: يا ابن عبد المطلب، ورده الدماميني، بأنه لا دليل في شيء مما ذكر على تعين فتح الهمزة، فإن ثبت رواية، وإلاَّ فلا مانع أن همزة الوصل التي في ابن سقطت للمدرج، وحرف النداء محذوف، وهو في مثله قياس مطرد باتفاق، **(فقال له النبي ﷺ: قد «أجبتك»)** أي: سمعتك، أو المراد إنشاء الإجابة، أو نزل تقريره للصحابة في الإعلام عنه منزلة النطق، وهذا لائق بمراد البخاري، وقيل: لم يقل له نعم، لأنه لم يخاطبه بما يليق بمنزلته من التعظيم، لا سيما مع قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾ [النور: ٦٣] الآية، والعذر عنه إن قلنا: قدم مسلمًا إنه لم يبلغه النهي، وكانت فيه بقية من جفاء الأعراب، وقد ظهر ذلك بعد في قوله: فمشدد عليك، **(فقال: إني سائلك)** وللأصيلي وابن عساكر، فقال الرجل: إنيَّ سائلك، **(فمشدد)** بكسر الدال الأولى المثقلة، والفاء عاطفة على سائلك. **(عليك في المسألة فلا تجد)**. بكسر الجيم، والجزم على النهي من الموجدة، أي: لا تغضب **(عليَّ في نفسك)**.

قال الحافظ: ومادة وجد متحدة الماضي والمضارع، مختلفة المصادر بحسب اختلاف المعاني، ففي الغضب موجدة، والمطلوب وجودًا والضالة وجدانًا، والحب وجدًا. بالفتح.، والمال وجدًا. بالضم، والغني جدة. بكسر الجيم، وخفة الدال مفتوحة. على الأشهر في جميع ذلك، وفي المكتوب وجادة وهي مولدة، **(فقال: سل عما بدا)** ظهر **(لك، فقال: أسألك بربك)** أي: بحق ربك **(ورب من قبلك)** زاد مسلم: ومن رفع السماء، وبسط الأرض، وغير ذلك من المصنوعات، ثم أقسم عليه به أن يصدقه عما يسأل عنه، وكرر القسم في كل مسألة، تأكيدًا وتقريرًا للأمر، ثم صرح بالتصديق، فكل ذلك دليل على حسن تصرفه، وتمكن عقله، ولهذا قال عمر: ما رأيت أحدًا أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام، وقد وقع عند مسلم عن أنس: كنا نهينا في القرءان أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية، العاقل فيسأله ونحن نسمع.

زاد أبو عوانة: وكانوا أجراء على ذلك منا، يعني أن الصحابة واقفون عند النهي، وأولئك يعذرون بالجهل، وتمنوه عاقلاً ليكون عارفًا بما يسأل عنه، وظهر عقل ضمام في تقديمه الاعتذار

أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللَّهم نعم. فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللَّهم نعم. فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر في السنة؟ قال: اللَّهم نعم. فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا.

فقال النبي ﷺ: اللَّهم نعم.

بين يدي مسألته، لظنه أنه لا يصل إلى مقصوده إلاَّ بتلك المخاطبة، قاله الحافظ: **(آللَّه)**. بهمزة الاستفهام الممدودة في المواضع كلها مبتدأ خبره، **(أرسلك إلى الناس كلهم، فقال: اللهم)** أي: يا اللَّه **(نعم)** فالميم بدل من حرف النداء، وذكر للتبرك، وإلاَّ، فالجواب حصل بنعم.

قال الحافظ: وكأنه استشهد في ذلك باللَّه تأكيد الصدقة، وفي رواية أبي عوانة، فقال: صدقت، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «اللَّه»، قال: فمن خلق الأرض والجبال؟ قال: «اللَّه»، قال: فمن جعل فيها المنافع؟ قال: «اللَّه»، قال: فبالذي خلق السماء والأرض، ونصب الجبال، وجعل فيها المنافع اللَّه أرسلك؟ قال: «نعم»؛ وكذا هو في رواية مسلم، **(فقال: أنشدك)**. بفتح الهمزة وضم المعجمة. أسألك **(باللَّه)** وأصله من النشد، وهو رفع الصوت والمعنى: سألتك رافعًا نشيدتي، قاله البغوي في شرح السنة.

وقال الجوهري: نشدتك باللَّه، أي: سألتك، كأنك ذكرته فنشد، أي: تذكر **(آللَّه أمرك أن تصلي)**. بتاء الخطاب فيه وفيما بعده، وللأصيلي بالنون فيهما.

قال عياض: وهو أوجه ويؤيده رواية مسلم بلفظ: إن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، وساق البقية كذلك، ووجه الأول أن كل ما وجب عليه وجب على أمته، حتى يقوم دليل على الاختصاص **(الصلوات الخمس)** وللكشميهني والسرخسي الصلاة بالإفراد على إرادة الجنس **(في اليوم والليلة، قال: اللهم نعم، قال: أنشدك باللَّه، اللَّه أمرك أن تصوم)**. بتاء الخطاب وبالنون. **(هذا الشهر في السنة؟)** أي: رمضان في كل سنة، فاللام فيهما للعهد والإشارة لنوعه لا لعينه، **(قال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك باللَّه، آللَّه أمرك أن تأخذ)**. بتاء الخطاب، أي: بأن تأخذ **(هذه الصدقة)** المعهودة، وهي الزكاة **(من أغنيائنا، فتقسمها)**. بتاء الخطاب المفتوحة، والنصب عطفًا على تأخذ. **(على فقرائنا؟)** خرج مخرج الأغلب، لأنهم معظم أهلها، **(فقال النبي ﷺ: «اللهم نعم»)**.

قال ابن التين: فيه دليل على أن المرء لا يفرق صدقته بنفسه، وفيه نظر، ولم يذكر الحج في هذه الرواية، وقد أخرج مسلم، وأبو عوانة في روايتهما عن أنس بلفظ: وإن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: صدق، وهو في حديث أبي هريرة، وابن عباس أيضًا عند مسلم،

فقال الرجل: آمن بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر.

وأغرب ابن التين، فقال: لم يذكره، لأنه لم يكن فرض، وكان الحامل له على ذلك ما جزم به الواقدي، ومحمد بن حبيب؛ أن قدوم ضمام كان سنة خمس، فيكون قبل فرض الحج، لكنه غلط من أوجه:

أحدها: أن في رواية مسلم: أنه كان بعد نزول النهي في القرءان عن سؤال الرسول، وآية النهي في المائدة ونزولها متأخر جدًا.

ثانيها: أن إرسال الرسل للدعاء إلى الإسلام إنما كان ابتداؤه بعد الحديبية، ومعظمه بعد الفتح.

ثالثها: أن في القصة أن قومه أوفدوه، وإنما كان معظم الوفود بعد فتح مكة.

رابعها: أن في حديث ابن عباس أن قومه أطاعوه، ودخلوا في الإسلام بعد رجوعه إليهم، ولم تدخل بنو سعد ابن بكر، وهو ابن هوازن في الإسلام إلاَّ بعد وقعة حنين، وكانت في شوَّال سنة ثمان، فالصواب أن قدوم ضمام كان في سنة تسع، وبه جزم ابن إسحٰق، وأبو عبيدة وغيرهما، ويدل له رواية أحمد، والحاكم عن ابن عباس: بعثت بنو سعد ضمامًا وافدًا إلى النبي ﷺ، فقدم علينا، لأن ابن عباس إنما قدم المدينة بعد الفتح، وغفل البدر الزركشي، فقال: لم يذكر الحج، لأنه كان معلومًا عندهم في شريعة إبراهيم، وكأنه لم يراجع صحيح مسلم فضلاً عن غيره.

(فقال الرجل: آمنت بما جئت به،) يحتمل أن يكون إخبارًا، وهو اختيار البخاري، ورجحه عياض، وأنه حضر بعد إسلامه مستثبتًا منه ما أخبر به رسوله إليهم، لقوله عند مسلم: إن رسولك زعم، وفي حديث ابن عباس عند الطبراني: أتتنا كتبك وأتتنا رسلك، واستنبط منه الحاكم أصل صلب علو الإسناد، لأنه سمع ذلك من الرسول وآمن وصدق، ولكنه أراد أن يسمع ذلك من رسول اللّٰه ﷺ مشافهة، ويحتمل أن قوله: آمنت إنشاء، ورجحه القرطبي، قال: والزعم القول الذي لا يوثق به، قاله ابن السكيت وغيره وفيه نظر، لأنه يطلق على القول المحقق أيضًا، كما نقله أبو عمرو الزاهد في شرح فصيح شيخه ثعلب، وأكثر سيبويه من قوله زعم الخليل في مقام الاحتجاج، وأما تبويب أبي داود عليه باب المشرك يدخل المسجد، فليس مصيرًا منه إلى أن ضمامًا قدم مشركًا، بل وجهه أنهم تركوا شخصًا قادمًا يدخل المسجد من غير استفسار، ومما يؤيد أنه إخبار أنه لم يسأل عن دليل التوحد، بل عن عموم الرسالة، وعن شرائع الإسلام، ولو كان إنشاء لطلب معجزة توجب التصديق، قاله الكرماني، وعكسه القرطبي، فاستدل به على صحة إيمان المقلد للرسول، ولم لم تظهر له معجزة، وكذا أشار إليه ابن الصلاح، **(وأنا رسول)** بإضافته إلى **(من)**. بفتح الميم موصولة، **(ورائي من)**. بكسر الميم. **(قومي،)** ويجوز تنوين رسول

وزاد ابن إسحٰق في مغازيه:

فقال: آللّه أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئًا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

فقال ﷺ: اللّهم نعم.

قال: وكان ضمام رجلاً جلدًا ذا غديرتين، ثم أتى بعيره فأطلق عقله ثم خرج حتى أتى قومه فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللاتي والعزى فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام، قال: ويلكم، إنهما لا يضران ولا ينفعان. إن الله قد بعث رسولاً قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتابًا

وكسر الميم، لكن لم تأت به الرواية، (**وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر**).

زاد مسلم: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن، ولا أنقص، فقال النبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»، وفي حديث أبي هريرة: فأما هذه الهناة، يعني الفواحش، فوالله إنا كنا لنتنزه عنها في الجاهلية، فلما أن ولى، قال ﷺ: فقه الرجل، (**وزاد ابن إسحٰق في مغازيه**،) فإنه روى الحديث فيها عن ابن عباس، (**فقال**:) بعد قوله: اللّه أرسلك إلينا رسولاً، قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك اللّه إلٰهك وإلٰه من كان قبلك، وإلٰه من هو كائن بعدك، (**آللّه أمرك**) أن تأمرنا (**أن نعبده**) وحده، (**ولا نشرك به شيئًا، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون**) معه، (**فقال ﷺ: «اللهم نعم»**،) فذكر الحديث.

قال: فلما فرغ، قال: إني أشهد أن لا إلٰه إلاّ اللّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللّه، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد، ولا أنقص، ثم انصرف، فقال ﷺ: «إن صدق دخل الجنة».

(**قال**) ابن عباس في صدر الحديث: (**وكان ضمام رجلاً جلدًا**) . بجيم مفتوحة فدال مهملة. صلبًا شديدًا، (**إذ غديرتين**) . بفتح المعجمة، وكسر المهملة، وإسكان التحتية، أي: ذؤابتين تثنية غدير، والجمع غدائر، وقال في آخر الحديث: (**ثم أتى بعيره، فأطلق عقله، ثم خرج حتى أتى قومه، فاجتمعوا إليه، وكان**) كذا في النسخ بالواو، والرواية في ابن إسحٰق، فكان بالفاء، (**أول ما تكلم به**) برفع أول اسم كان والخبر، (**إن قال**،) أي: قوله ويجوز عكسه، (**بئست اللاتي والعزى، فقالوا: مه**،) انكفف عن هذا القول (**يا ضمام! اتق البرص والجنون والجذام**،) أي: احذر سبهما، فإنه موجب لذلك، (**قال: ويلكم إنهما**) واللّه، كما في الرواية (**لا يضران، ولا ينفعان**،) إذ هما جماد لا يعقل، ولذا عبر بويل إشارة إلى استحقاقهم الوقوع في الهلاك، إذ لو تأملوا بعقولهم ما عبدوا الجماد، (**إن اللّه قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به**) مما

استنقذكم به، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلمًا.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

وفد طارق بن عبد الله وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد قال: حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال: إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل وهو يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجع يتبعه قويرميه..................

كنتم فيه، كما في الرواية، وضمير به يحتمل عوده لكتابًا، لأنه أقرب مذكور، ويحتمل للمذكور من الرسول والكتاب، (**وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به**) أي: طلبه منكم من الأحكام، (**ونهاكم عنه**) منها، لأنكم من جملة المكلفين، (**فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره**) أي: مكان إقامته (**رجل، ولا امرأة إلا مسلمًا**).

(**قال ابن عباس**): راوي الحديث: (**فما سمعنا بوافد قوم، كان أفضل من ضمام بن ثعلبة**) رضي الله عنه، وتقدم قول عمر: ما رأيت أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام، وحسبه هذا الثناء من عمر، وابن عباس مع شهادة المصطفى له بالفقه، حيث قال: «**فقه الرجل**»، كما مر، ولم يذكروا تاريخ وفاته.

(**الوفد السابع عشر:**)

(**وفد طارق بن عبد الله**) المحاربي، من محارب خصفة. بفتح المعجمة، والمهملة والفاء. صحابي، له حديثان، أو ثلاثة أحاديث.

روى عنه أبو الشعثاء، وربعي بن حراش، وجامع بن شداد، كما في **الإصابة**.

روى أصحاب السنن الأربعة والبخاري في كتاب خلق أفعال العباد، (**وقومه**) بني محارب، وأراد بالوفد هنا معناه اللغوي، وهو مجرد القدوم، لا الجماعة المختارة للتقدم في لقاء العظماء، لأن هؤلاء إنما قدموا الأجل الميرة، فالمعنى هذا بيان قصة ورود طارق وقومه على النبي ﷺ.

(**روى البيهقي عن جامع بن شداد**) المحاربي، أبي صخرة الكوفي، ثقة، روى له الستة، مات سنة سبع، ويقال: سنة ثمان وعشرين ومائة.

(**قال: حدثني رجل، يقال له طارق بن عبد الله، قال: إني لقائم بسوق ذي المجاز**) كان للعرب على فرسخ من عرفة بناحية كبكب. (**إذ أقبل رجل**) زاد في رواية الحاكم: عليه

بالحجارة يقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله. قلت: من ذا الذي يفعل هذا؟ قالوا: عمه عبد العزى.

قال: فلما أسلم الناس وهاجروا، خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها، فيما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا: لو نزلنا فلبسنا ثيابًا غير هذه، فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة، قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد المدينة، قال: ما حاجتكم فيها؟ قلنا: نمتار من تمرها، قال: ومعنا ظعينة

جبة له حمراء فسمعته، (**وهو يقول: أيها الناس قولوا: لا إله إلاَّ اللَّه تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة،**) زاد في رواية الحاكم: وقد أدمى كعبيه (**يقول: يا أيها الناس إنه كذاب، فلا تصدقوه،**) فجمع بين الأذى فعلاً وقولاً، ولو كان من أجنبي لربما كان أخف، ولذا، قال ﷺ: ما أوذى أحد ما أوذيت، وقال: لقد أوذيت في اللَّه وما يؤذي أحد، (**فقلت: من هذا؟**) الذي يأمر بالتوحيد، (**فقالوا: هذا غلام،**) أي: رجل (**من بني هاشم**).

وفي القاموس: الغلام الطار الشارب، أو من حين يولد إلى أن يشيب، والمراد الثاني، (**يزعم أنه رسول اللَّه،**) أي: يذكر، وعبروا بالزعم، لأنهم كانوا في شك من رسالته، وأكثر ما يستعمل فيما يشك فيه، وإن أطلق على الحق والباطل والكذب، وقد مر قريبًا، (**قلت: من ذا الذي يفعل به هذا؟**) الأذى القولي والفعلي، (**قالوا: عمه عبد العزى**) أبو لهب، (**قال: فلما أسلم الناس، وهاجروا خرجنا من الربذة**) . بفتح الراء والموحدة والمعجمة.

قال في المصباح: وزان قصبة، خرقه الصائغ يجلو بها الحلي، وبها سميت، قرية كانت عامرة في صدر الإسلام، وبها قبر أبي ذر الغفاري وجماعة من الصحابة، وهي في وقتنا دارسة، لا يعرف بها رسم، وهي عن المدينة في جهة المشرق على طريق حاج العراق، نحو ثلاثة أيام، هكذا أخبرني جماعة من أهل المدينة، في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة انتهى.

(**نريد المدينة، نمتار من تمرها،**) أي: نحمل منه، ففيه تجر يدلان الامتيار، حمل الميرة بالكسر، وهي هنا التمر، ويمكن بقاء نمتار على حقيقته، إذ الميرة له في القاموس حب الطعام، فالمعنى يحمل حب الطعام التمر، فالتمر مبين للمراد من حب الطعام الذي يحملونه، (**فيما دنونا**) قربنا (**من حيطانها ونخلها، قلنا: لو نزلنا، فلبسنا ثيابًا غير هذه**) لكان أحسن، فلو شرطية، حذف جوابها أو للتمني، فلا جواب لها، (**فإذا رجل في طمرين له،**) بكسر الطاء. ثوبين خلقين، أو كساءين باليين من غير الصوف، (**فسلم، وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة، قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد المدينة، قال: ما حاجتكم فيها؟ قلنا: نمتار من تمرها، قال**) طارق: (**ومعنا**

لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال: أتبيعون جملكم هذا؟ قالوا: نعم بكذا وكذا صاعًا من تمر، فأخذ بخطام الجمل فانطلق، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا: ما صنعنا، والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنًا. قال: تقول المرأة التي معنا: والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم. وفي رواية ابن إسحٰق قالت الظعينة: فلا تلاوموا، لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، إذ أقبل رجل فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا

ظعينة، لنا) امرأة في هودج سميت بذلك، ولو كانت في بيتها، لأنها تصير مظعونة، أي: يظعن بها زوجها، **(ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال: أتبيعوني جملكم هذا؟ قالوا: نعم بكذا وكذا صاعًا من تمر، فأخذ بخطام)**. بكسر الخاء مفردة خطم، مثل كتاب وكتب، أي: ما يقاد به **(الجمل، فانطلق)** به، **(فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها، قلنا: ما صنعنا،)** استفهام توبيخ لأنفسهم على تسليمهم الجمل لمن لا يعرفونه من غير قبض ثمنه، ويدل عليه قول الظعينة، فلا تلاوموا، لأن ضابط التوبيخي أن يكون ما بعد أداته واقعًا وفاعله ملوم، أي: فعلنا ما لا ينبغي فعله، **(والله ما بعنا جملنا ممن نعرف، ولا أخذنا له ثمنًا،)** فعرضناه للضياع، **(قال)** طارق: **(تقول المرأة التي معنا)** حين قلنا ذلك، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية، **(والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه قطعة القمر،)** وفي لفظ: شقة، فكان أحدهما بالمعنى، وهي بكسر الشين القطعة **(ليلة البدر،)** زائدة في البهاء ليلة أربعة عشر، وهو أحسن ما يكون القمر، وشبه به دون الشمس، لأن نوره أنفع من نورها، ولعل التقييد بالقطعة، مع أن البلغاء يشبهون الوجه بالقمر، بلا تقييد أنه كان حينئذ متلثمًا، أو احترازًا عن السواد الذي في القمر، ويأتي بسط ذلك إن شاء الله تعالى في الصفة النبوية، وحسن الوجه دليل على الخير، فضلاً عن الأذى، كما قال ﷺ: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، ولذا قالت: **(أنا ضامنة لثمن جملكم،)** أن يأتيكم من هذا الحسن الوجه الذي اشتراه.

(وفي رواية ابن إسحٰق) عن طارق السيرة، رواية يونس عن ابن إسحٰق، **(قالت الظعينة: فلا تلاوموا،)** أي: لا يلم بعضكم بعضًا، **(لقد رأيت وجه رجل لا يغدر)**. بكسر الدال. **(بكم، ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه،)** ومن هذه صفته، لا يغدر **(إذ أقبل)** رجل جواب لمحذوف، أي: فبينا نحن نتكلم إذ أقبل **(رجل،)** وفي رواية الحاكم: فما كان العشي أتانا رجل، **(فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، هذا تمركم)** الذي بعتم به جملكم، وفيه تسمح، فمقتضى السياق أنه أكثر مما جعلوه ثمنًا، فالمراد هذا تمر بعث به إليكم لتستوفوا منه، **(فكلوا واشبعوا،)** لا مجرد أكل، **(واكتالوا واستوفوا،)** فلا تتساهلوا في نظير أكلكم، **(فأكلنا حتى شبعنا،**

واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد إذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول: تصدقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى.

الوفد الثامن عشر:

وقدم عليه ﷺ وفد تجيب، ....

واكتلنا واستوفينا،) كما أمرهم، **(ثم دخلنا المدينة)** من الغد، كما في رواية الحاكم، **(فلما دخلنا المسجد، إذا هو قائم على المنبر يخطب الناس،)** يحتمل أن ذلك وافق يوم جمعة، وأنه عرض له أمر اقتضى الوعظ، فصعد المنبر للوعظ عليه، **(فأدركنا من)** أي: بعض **(خطبته، وهو يقول:)** جملة حالية، أي: والحال أنه يقول فيما أدركناه فيه **(تصدقوا، فإن الصدقة خير لكم،)** لأنها بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والله يضاعف لمن يشاء، ولأن فيها المواساة والسماجة، ومخالفة النفس المطبوعة على حب المال، وقال ﷺ: «أفضل الصدقة أن تصدق، وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر».

وفي التنزيل: وآتى المال على حبه، أي: المال، أو الله، **(اليد العليا،)** وهي المنفقة، **(خير من اليد السفلى)** الآخذة، وقيل: العليا هي المنفقة، وقيل: السائلة، لكن ورد في رواية اليد العليا المنفقة من النفقة في رواية الأكثرين.

قال القرطبي: فهذا نص يرفع الخلاف في التفسير، قال: ورواه بعضهم: المتعففة بعين وفاءين، وقيل: إنه تصحيف.

قال الحافظ: ومحصل ما في الآثار؛ أن أعلى الأيدي المنفقة، ثم المتعففة عن الأخذ، ثم الآخذة بغير سؤال، وأسفل الأيدي السائلة والمانعة، وبقية الحديث عند مخرجه، وابدأ بمن تعول أمك وأباك، وأختك وأخاك، وادنَّاك أدناك، وثم رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع، قتلوا فلانًا في الجاهلية، فخذلنا بثأرنا، فرفع ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطيه، فقال: لا تجني أم على ولد، أخرجه الحاكم بطوله، وقال: صحيح الإسناد، وأخرجه النسائي، وابن ماجه مختصرًا عن طارق؛ أن رجلاً، قال: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة، الذين قتلوا فلانًا في الجاهلية، فخذلنا بثأرنا، فرفع يده حتى رأيت بياض إبطيه، وهو يقول: لا تجني أم على ولد مرتين.

(الوفد الثامن عشر:)

(وقدم عليه ﷺ وفد تجيب). بضم الفوقية وفتحها، وكسر الجيم، وتحتية ساكنة، وموحدة.

قال في التبصير: اختلف في أوَّله، فقيل: بالفتح، وقيل: بالضم، فسوَّى بينهما، تبعًا لابن السيد، لكن القاموس قدم الضم، فقال: وتجيب بالضم، وتفتح بطن من كندة.

وهم من السكون، ثلاثة عشر رجلاً، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر عليه الصلاة والسلام بهم وأكرم منزلهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه فأمر بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود. قال: هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنًا، قال: أرسلوه إلينا، فلما أقبل الغلام على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا راغبين في الإسلام، والله ما أخرجني من بلادي لا إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل

قال في النور: وعليه المحدثون، وكثير من الأدباء اهـ، ينسبون إلى جدتهم العليا تجيب، ابنة ثوبان بن سليم من مذحج، وهي أم أبذى بن عدي، قاله الواقدي، وأبذى. بفتح الألف والمعجمة، بينهما موحدة ساكنة مقصور، **(وهم من السكون)**. بفتح المهملة، وضم الكاف، وسكون الواو، ونون. بطن من كندة باليمن، **(ثلاثة عشر رجلاً،)** لا أعرف أسماءهم، قاله في النور، **(قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر)**. بضم السين. **(عليه الصلاة والسلام بهم، وأكرم منزلهم،)** وقالوا: يا رسول الله سقنا إليك حق الله في أموالنا، فقال ﷺ: «ردوها فاقسموها على فقرائكم»، قالوا: ما قدمنا عليك إلاً بما فضل من فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل ما وفد به هذا الحي من تجيب، فقال ﷺ: «إن الهدى بيد الله عز وجل، فمن أراد به خيرًا شرح صدره للإيمان»، وسألوا رسول الله ﷺ أشياء، فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرءان والسنن، فازداد فيهم رغبة، **(وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم)**، فأقاموا أيامًا، ولم يطيلوا اللبث، فقيل لهم: ما يعجلكم؟ قالوا: نرجع إلى من وراءنا، فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ، وكلامنا إياه وما رد علينا، **(ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه، فأمر بلالاً، فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود، قال:)** استئناف والذي في العيون، فقال: **(هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا، وهو أحدثنا سنًا، قال: أرسلوه إلينا)**، فلما رجعوا إلى رحالهم، قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله، فاقض حاجتك منه، فإنا قد قضينا حوائجنا منه، وودعناه، **(فلما أقبل الغلام على رسول الله ﷺ،)** قال: أنا غلام من بني أبذى، أنا من الرهط الذين أتوك، فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتي يا رسول الله، قال: «وما حاجتك»؟ **(فقال:)** جواب لما دخلته الفاء من تصرف المصنف في الرواية، **(يا رسول الله إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا راغبين في الإسلام،)** وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، **(والله ما أخرجني)** لفظه ما أعملني، أي: ما حثني وساقني، فأتى المصنف بمعناه، **(إلاً أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غناي)**. بالقصر. يساري **(في قلبي،)** فإن

غناي في قلبي، فقال عليه الصلاة والسلام: اللَّهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه، ثم أمر له بما أمر لرجل من أصحابه. ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم.

ثم وافوا رسول الله ﷺ بمنى سنة عشر، فقال: ما فعل الغلام؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها.

الوفد التاسع عشر:

قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة:

من قنع بالكفاف إستراح من طلب الزيادة، مع أنه ليس له إلاَّ ما قدر له، وشهوات النفس لا تنقطع أبدًا، فهي دائمًا فقيرة لتراكم الشهوات عليها، فهي مفتونة بذلك، وتصل فتنتها إلى القلب، فيفتتن، فيصم، ويعمى عن الحق.

وفي الحديث: حبك الشيء يعمي ويصم، **(فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم اغفر له، وارحمه، واجعل غناه في قلبه،)** وهذا عبد أراد اللَّه به الخير، فوافقه لسؤال ذلك من المصطفى، فقد قال ﷺ: «إذا أراد اللَّه بعبد خيرًا، جعل غناه في نفسه، وتقاه في قلبه، وإذا أراد اللَّه بعبد شرًا، جعل فقره بين عينيه».

رواه الديلمي وغيره، **(ثم أمر له بما)**، أي: بمثل الذي **(أمر)** به **(لرجل من أصحابه، ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول اللَّه ﷺ بمنى سنة عشر،)** فقالوا: نحن بنو أبذى، **(فقال)** ﷺ: **(«ما فعل الغلام)** الذي أتاني منكم»؟ **(قالوا: يا رسول اللَّه،)** واللَّه **(ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه اللَّه لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها، ولا التفت إليها،)** فاستجاب اللَّه دعاء نبيه، وبقية القصة، فقال ﷺ: «الحمد للَّه، إني لأرجو أن يموت جميعًا»، فقال رجل منهم: أو ليس يموت الرجال جميعًا؟ قال ﷺ: تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي اللَّه عز وجل في أيها هلك»، قالوا: فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال، وأزهده في الدنيا، وأقنعه بما رزق، فلما توفي رسول اللَّه ﷺ، ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام، قام في قومه، فذكرهم اللَّه والإسلام، فلم يرجع منهم أحد، وجعل الصديق يذكره، ويسأل عنه، حتى بلغه حاله، وما قام به، فكتب إلى زياد بن الوليد يوصيه به خيرًا، ذكره اليعمري اهـ..

(الوفد التاسع عشر:)

(قدوم وفد بني سعد هذيم). بضم الهاء، وفتح الذال المعجمة، فتحتية، فميم، وهو سعد بن زيد، لكن حضنه عبد أسود اسمه هذيم، فأضيف إليه، وهو أبو قبيلة **(من قضاعة)** شعب

روى الواقدي عن ابن النعمان عن أبيه من سعد هذيم قال: قدمت على رسول الله ﷺ وافدًا في نفر من قومي، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام، فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله ﷺ ونبايعه، ثم بايعنا ﷺ على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا.

وقد كنا خلفنا أصغرنا، فبعث عليه السلام في طلبنا فأتي بنا إليه، فتقدم صاحبنا.... ....

من معد، وقيل: من اليمن.

(روى الواقدي) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، المدني، الحافظ، المتروك، مع سعة علمه، **(عن ابن النعمان، عن أبيه)** قال في النور: لا أعرفهما، اهـ، والنعمان صحابي، عجبت من صاحب الإصابة كيف لم يترجم له، مع أن شأنه الاستيعاب لكل ما ورد، وإن ضعف إسناده، أو كان لا إسناد له، **(من سعد هذيم، قال: قدمت على رسول الله ﷺ وافدًا في نفر من قومي،)** وقد أوطأ رسول الله البلاد غلبة وأذاخ العرب والناس صنفان، إما داخل في الإسلام راغب فيه، وإما خائف من السيف، هذا أسقطه من رواية الواقد قبل قوله: **(فنزلنا ناحية من المدينة)** وأذاخ بذال وخاء معجمتين. استولى، **(ثم خرجنا نؤم)** نقصد **(المسجد الحرام،)** يعني النبوي مسجد المدينة، لأنه يطلق عليه الحرام أيضًا، وقد قال ﷺ: «وإني حرمت المدينة»، أي: جعلتها حرمًا، والقرينة صارفة عن إرادة حرم مكة، لكن لم يقع في رواية الواقدي عند اليعمري لفظ الحرام، فالأولى إسقاطه، **(فقمنا ناحية)** تصرف في رواية الواقدي بالحفظ، ولفظه: نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله ﷺ يصلي على جنازة في المسجد، فقمنا خلفه ناحية، **(ولم ندخل مع الناس في صلاتهم)** على الجنازة، وقلنا: **(حتى نلقي رسول الله ﷺ ونبايعه،)** ثم انصرف ﷺ فنظر إلينا، فدعا بنا، فقال: «ممن أنتم»؟ فقلنا: من بني سعد هذيم، فقال: «أمسلمون أنتم»؟ قلنا: نعم، قال: فهلا صليتم على أخيكم؟ قلنا: يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك، قال ﷺ: أينما أسلمتم، فأنتم مسلمون»، قالوا: فأسلمنا وبايعنا هذا، أسقطه من خبر الواقدي، لأنه لم يتعلق غرضه به، واختصره بقوله: **(ثم بايعنا ﷺ على الإسلام)** قال في النور: ما حاصله.

والظاهر أنه سهيل بن بيضا، فلا أعلم أحدًا صلى عليه في مسجد غيره، وما في مسلم: أنه صلى على سهيل وأخيه في المسجد، ففيه أنه إن كان المراد به سهلاً بالتكبير، فلا يصح، لأنه مات بعد النبي ﷺ، قاله الواقدي، وإن كان صفوان، فكذلك، لأنه قتل ببدر اهـ، **(ثم انصرفنا إلى رحالنا، وقد كنا خلفنا أصغرنا)**. بشد اللام، ولم يعرف البرهان اسم أصغرهم، **(فبعث عليه**

فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا وخادمنا، فقال: أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليك، قال: فكان والله خيرنا وأقرأنا بدعاء رسول الله ﷺ، ثم أمَّره علينا، فكان يؤمنا فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام.

الوفد العشرون:

وفد بني فزارة: قال أبو الربيع بن سليمن في كتاب الاكتفاء: ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، قدم عليه وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلاً منهم خارجة بن حصن، ....

السلام في طلبنا، فأتى) بالبناء للمجهول **(بنا إليه،)** وكأنه بعث يطلبهم، لأجل مبايعة أصغرهم له، وشرفه برؤيته، **(فتقدم صاحبنا، فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله إنه أصغرنا وخادمنا، فقال: «أصغر القوم خادمهم بارك الله عليك»،)** وفي اليعمري وغيره عليه، وهي الموافقة لكون الخطاب معهم لا معه، ويحتمل أنه قصد خطابه، لأنه تقدم له وبايعه، فلا التفات فيه.

(قال) النعمان راوي الحديث: **(فكان والله خيرنا، وأقرأنا بدعاء رسول الله ﷺ، ثم أمره علينا)**. بشد الميم من التأمير، **(فكان يؤمنا،)** قال: ولما أردنا الإنصراف أمر بلالاً، فأجازنا بأواقي من فضة لكل رجل منا، **(فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام،)** كذا في نسخة، فرجعنا بالفاء، وهي التي في الرواية، وفي نسخة مرجعنا بالميم، أي: يؤمنا زمن رجوعنا.

(الوفد العشرون:)

(وفد بني فزارة) بفتح الفاء والزاي، فألف، فراء، فتاء تأنيث. قبيلة من قيس عيلان، ويحتمل أنه أراد بالوفد، القدوم من إضافة المصدر إلى فاعله، وأنه بمعنى الجماعة المختارة، للتقدم في لقاء العظماء، فتكون من إضافة الأعم إلى الأخص، وهذا أوفق بقوله بعد قدم عليه الخ...

(قال) الإمام الحافظ، البارع، العالم، محدث الأندلس وبليغها، **(أبو الربيع)** سليمان بن موسى، **(ابن سليمان،)** ابن حسان الحميري، الكلاعي، البلنسي، المعتني بالحديث أتم عناية، فكان إمامًا في صناعته، بصيرًا به، عارفًا بالجرح والتعديل، ذاكرًا للمواليد والوفيات، مقدم أهل زمانه في ذلك، وفي حفظ أسماء الرجال، مع التبحر في الأدب، والاشتهار بالبلاغة، فردًا في الإنشاء، شجاعًا، بطلاً، يباشر الحروب بنفسه، ويبلى فيها بلاءً حسنًا. ولد في مستهل رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة، واستشهد ببلد العدوّ في العشرين من ذي الحجة، سنة أربع وثلاثين وستمائة **(في كتاب الاكتفاء)**. بالمد. في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أحد تصانيفه العديدة، **(ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك)** في رمضان سنع تسع، **(قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً، منهم خارجة)**. بمعجمة فراء فجيم. **(ابن حصن)**. بكسر المهملة

والحر بن قيس، ابن أخي عيينة بن حصن، وهو أصغرهم، مقرين بالإسلام، وهم مسنتون، على ركاب عجاف، فسألهم عليه الصلاة والسلام عن بلادهم فقال أحدهم؛ يا رسول الله، أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وغرث عيالنا،

الأولى، وإسكان الثانية. ابن حذيفة بن بدر، أخو عيينة بن حصن، وهو والد أسماء بن خارجة، الذي كان بالكوفة.

ذكر الواقدي: أنه ارتد بعد المصطفى، ومنع الصدقة، ثم تاب، وقدم على أبي بكر **(والحر)** بضم المهملة، وشد الراء **(بن قيس،)** ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، **(ابن أخي عيينة بن حصن،)** نرفع ابن صفة للحر المرفوع بالعطف، ذكره ابن السكن في الصحابة، وفي البخاري عن ابن عباس: قدم عيينة بن حصن، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر الحديث.

وفي الصحيحين: تمارى ابن عباس، والحر بن قيس في صاحب موسى، فمر بهما أبي بن كعب.. الحديث، وقال لملك في العتبية: قدم عيينة بن حصن، فنزل عن ابن أخ له أعمى، فبات يصلي، فلما أصبح غدًا إلى المسجد، فقال عيينة: ما رأيت قومًا أوجه لما وجهوهم له من قريش، كان ابن أخي عندي أربعين سنة لا يطيعني، ذكره في الإصابة، **(وهو أصغرهم،)** فنزلوا في دار رملة بنت الحرث، وجاؤوا المصطفى، **(مقرين بالإسلام وهم مسنتون،)**. بضم الميم، وإسكان المهملة، وكسر النون، أي: مجدبون، ويروى مشتون، بشين معجمة، فتاء، أي: داخلون في الشتاء **(على ركاب)** إبل يسار عليها **(عجاف،)** بكسر المهملة، وخفة الجيم بالغين. في الهزال النهاية، جمع أعجب على غير قياس، حملاً على نظيره، وهو ضعاف أو على ضده، وهو سمان، والقياس عجف، كأحمر وحمر، **(فسألهم عليه الصلاة والسلام، عن بلادهم،)** عن أحوالها، **(فقال أحدهم:)** قال في النور: لا أعرفه.

وفي الفتح الظاهر أنه خارجة، لكونه كبير الوفد اهـ، ولا يلزم من كونه كبيرهم، أن يكون هو القائل **(يا رسول الله أسنتت،)** بهمزة مفتوحة، ومهملة ساكنة، وفوقية، أي: أجدبت **(بلادنا،)** أصابتها السنة، وهي الجدب، **(وهلكت مواشينا)** من عدم ما تأكله، **(وأجدب)**. بدال مهملة **(جنابنا)**. بفتح الجيم وخفة النون، فألف فموحدة. الفناء، وما قرب من محلة القوم، فعطفه بلا تاء على أسنتت من عطف الجزء على الكل، أن أريد بجنابنا ما حول بيوتنا، ومباين أن أريد به ما يقرب من بلادهم، وعلى كل، فالغرض الزيادة في إظهار سبب هلاك المواشي، سيما على الوجه الثاني، وقراءته جناننا بنونين، جمع جنة تصحي، فارض العرب لم يكن بها جنان **(وغرث)** بفتح المعجمة، وكسر الراء، ومثلثة. جاع **(عيالنا)** لقلة ما يأكلون، وفي نسخة: غرثت بزيادة تاء،

فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك.

فقال ﷺ: سبحان الله!! ويلك، هذا إنما شفعت عند ربي عز وجل: فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إلٰه إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السمٰوات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله، كما يئط الرجل الجديد.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الله عز وجل ليضحك ....

وتركها أظهر، لأن عيال الرجل من يعول، ولو ذكورًا، فهو مذكر، **(فادع لنا ربك يغيثنا)** . بفتح أوله . من الغيث، أي: يمطرنا، وبضم أوله من الإغاثة، وهي الإجابة، **(واشفع لنا إلـى ربك،)** أي: توسل لنا إليه بما بينك وبينه من السر، يقال: شفعت في الأمر شفعًا، وشفاعة طالبته بوسيلة أو ذمام، **(وليشفع لنا ربك إلـيك، فقال ﷺ)** متعجبًا: **(«سبحان اللّه، ويلك)** كلمة عذاب خاطبه بها زجرًا وتنفيرًا عن العود لمثلها، وإن عذر لقرب عهده بالإسلام، **(هذا إنما شفعت»)** . بفتح الفاء . من باب منع، كما في القاموس وغيره.

قال في النور: وهو بديهي كالشمس، إلاَّ أني أخبرت أن بعض الأروام كسرها، وفي نسخة أنا شفعت، وكذلك في العيون وغيرها، وهي أولى، لأن إنما للحصر، وإنما تستعمل للرد على معتقد الشركة أو القلب، وهؤلاء ليسوا كذلك **(عند ربـي عز وجل، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه، لا إلٰه إلاَّ هو العلـي،)** فوق خلقه بالقهر **(العظيم)** الكبير، **(وسع كرسيه السموات والأرض،)** قيل: أحاط علمه بهما، وقيل: ملكه، وقيل: الكرسي بعينه يشتمل عليهما لعظمته لحديث: ما السموات السبع في الكرسي إلاَّ كدراهم ألقيت في ترس، ذكره السيوطي.

وفي النور الصواب: أن الكرسي غير العلم، خلافًا لزاعمه ولزاعم أنه القدرة، وأنه موضع قدميه، وإنما هو المحيط بالسمٰوات والأرض، وهو دون العرش، كما جاءت به الآثار، **(فهي تئط)** . بفتح الفوقية، وكسرها الهمزة، وشد الطاء المهملة، تصوِّت **(من عظمته وجلاله، كما يئط الرجل)** . بالمهملة . **(الـجديد)** . بالجيم.

قال المصنف في المقصد التاسع: الأطيط صوت الأقتاب، يعني أن الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلومًا أن أطيط الرحل بالراكب، إنما يكون لقوّة ما فوقه وعجزه عن احتماله، وهذا مثل لعظمة اللّه وجلاله، وإن لم يكن أطيط، وإنما هو كلام تقريبي أريد به تقرير عظمته عز وجل اهـ.

(وقال علـيه الصلاة والسلام: إنَّ اللّه عز وجل لـيضحك،) يدر رحمته، ويجزل مثوبته، فالمراد لازمه، أو الضحك فيه، وما أشبهه التجلي والظهور، حتى يرى بعين البصيرة في الدنيا والآخرة بعين البصر، يقال: ضحك الشيب إذا ظهر قال:

من شفقكم وقرب غياثكم.

فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟ فقال: نعم.

قال الأعرابي: لن نعدمك من رب يضحك خيرًا.

فضحك رسول الله ﷺ من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه، ....

لا تعجبي يا هند من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

(من شفقكم) . بفتح الشين المعجمة والفاء. اسم من الإشفاف، والمراد به أقصى ما وجدوه من الضيق، كما في الشامي، ومقتضاه أنه بفاءين، ويفيده كلام القاموس والصحاح، كذا قال شيخنا هنا، وضبطه في المقصد التاسع بالفاء والقاف، فقال، أي خوفكم، يقال: أشفقت من كذا حذرت، وفي الصحاح: أشفقت عليه، فأنا مشفق، وشفيق، وإذا قلت شفقة منه، فإنما تعني حذرته، وأصلهما واحد، ومثله في القاموس اهـ.

وقد زاد في العيون: وأزلكم. بفتح الهمزة، وإسكان الزاي، أي: ضيقكم، وهو يؤيد الثانية قاف لا فاء، لأن الأصل تباين العطف، **(وقرب غياثكم)** . بضم القاف، وسكون الراء مخفوض عطفًا على شفقكم، والمعنى أن اللّه يضحك من حصول الفرج لكم متصلاً بشدة الضيق، وهذا قاله ﷺ قبل صعود المنبر، والدعاء، فيكون علمه بالوحي، فبشرهم به، **(فقال الأعرابي: يا رسول اللّه ويضحك ربنا عز وجل؟ فقال: «نعم»، قال الأعرابي: لن نعدمك)** . بفتح النون، وسكون العين، وفتح الدال، كما في الصحاح، والقاموس، والمختار، والمصباح: أنه من باب طرب، وبه ضبط الكرماني وغيره، وقوله ﷺ: لا نعدمك من صاحب المسك، إما تشتريه، أو تجد ريحه، فضبط الشامي بكسر الدال، لا يعوَّل عليه على أنه كتب بهامش نسخته بخطه يحرر، فأفاد أنه كتبه على عجل، ليراجعه بعد **(من رب يضحك خيرًا،)** أي: لا ننفي عنك خيرًا من رب يضحك، لما جرت له العادة إن العظيم إذا سئل شيئًا فضحك، أو نظر السائل نظرة جلوة حصل له ما يؤمله منه، **(فضحك رسول اللّه ﷺ من قوله وصعد)** بكسر العين مضارعة بفتحها. **(المنبر)**.

زاد في الرواية: وتكلم بكلمات، **(فرفع يديه حتى رىء)** . براء مكسورة، فهمزة مفتوحة، ممدود، أو بضم الراء، وكسر الهمزة. **(بياض إبطيه،)** وهو من خصائصه دون غيره.

قال أبو نعيم: بياض إبطيه من علامات نبوَّته وقد وقع في هذه الرواية، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا رفع الاستسقاء، ومثله في الصحيحين من حديث أنس.

وكان مما حفظ دعائه: اللَّهم اسق بلدك الميت، اللَّهم اسقنا غيثًا مغيثًا مربعًا طبقًا واسعًا عاجلاً غير آجل، نافعًا غير ضار، اللَّهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق. اللَّهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء، الحديث رواه ابن سعد والبيهقي، ويأتي تمامه ....

قال الحافظ: ظاهره نفي الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء، وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء، وتقدم أنها كثيرة، وأفردها البخاري بترجمة في كتاب الدعوات، وساق فيه عدة أحاديث، فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى، وحمل حديث أنس على نفي رؤيته، وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره، وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس، لأجل الجمع بحمله على نفي الرفع البالغ إلاَّ في الاستسقاء، يدل عليه قوله: حتى رىء الخ، ويؤيده أن غالب الأحاديث الواردة في رفع اليدين في الدعاء، المراد به مد اليدين، وبسطهما عند الدعاء، وكأنه عند الاستسقاء زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه، وبه حينئذ يرى بياض إبطيه، أو على صفة اليدين في ذلك، لما في مسلم عن أنس؛ أنه ﷺ استسقى، فأشار بظهر كفيه إلى السماء، ولأبي داود عن أنس كان يستسقى هكذا، ومد يديه وجعل بطونهما مما يلي الأرض حتى رأيت بياض إبطيه.

قال النووي: قال العلماء السنة في كل دعاء لرفع بلاء؛ أن يرفع يديه جاعلاً ظهور كفيه إلى السماء، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء اهـ، وتعقب الحمل الثاني بأنه يقتضي أنه يفعل ذلك، وإن كان استسقاؤه للطلب، كما هنا، مع أنه نفسه ذكر أن ما كان لطلب شيء، كان ببطون الكفين إلى السماء، والظاهر أن مستند هذا استقراء حاله ﷺ في دعاء الاستسقاء وغيره، **(وكان مما حفظ)** بالبناء للمفعول من(**دعائه: اللهم اسق)**. بوصل الهمزة، وقطعها ثلاثي ورباعي، وكذا ما بعده **(بلدك)** أي: أهل بلدك **(الميت، اللهم اسقنا غيثا)** مطرًا **(مغيثًا)** من هذه الشدة **(مربعًا)**. بضم الميم، وإسكان الراء، وكسر الموحدة، وعين مهملة، أو بفوقية بدل الموحدة. من رتعت الدابة إذا أكلت ما شاءت، أو بفتح الميم، وكسر الراء، وسكون التحتية، ومهملة من المراعة، وهي الخصب **(طبقًا)**. بفتح المهملة والموحدة وقاف، أي: مستوعبًا للأرض منطبقًا عليها **(واسعًا)** كالتأكيد طبقًا، **(عاجلاً غير آجل، نافعًا غير ضار)** بزرع، ولا مسكن، ولا حيوان آدمي، أو بهيمة، **(اللهم سقيًا رحمة، لا سقيًا عذاب، ولا هدم، ولا غرق، ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء، الحديث)**.

(رواه ابن سعد والبيهقي) في الدلائل، **(ويأتي تمامه)**، وهو فقام أبو لبابة بن عبد المنذر، فقال: يا رسول اللَّه إن التمر في المربد ثلاث مرات، فقال عليه السلام: «اللهم اسقنا حتى يقوم

إن شاء الله تعالى في الاستسقاء في مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام.

الوفد الحادي والعشرون:

وقدم عليه ﷺ وفد بني أسد، عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد، وطليحة بن خويلد، ....

أبو لبابة عريانًا يسد ثعلب مربده بإزار»، قال: فلا واللّٰه ما في السماء من قزعة، ولا سحاب» وما بين المسجد وسلع من بناء، ولا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون، ثم أمطرت، فواللّٰه ما رأوا الشمس سبتًا، وقام أبو لبابة عريانًا بسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه، فقال الرجل، يعني الذي سأله أن يستسقى لهم: يا رسول اللّٰه هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فصعد المنبر، فدعا، ورفع يديه حتى رأى بياض إبطيه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر، فانجابت السحابة على المدينة، كانجياب الثوب هذا آخر الآتي، (**إن شاء اللّٰه تعالى في الاستسقاء من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام**،) وهو التاسع، وفيه ثم فوائد جليلة، واللّٰه أعلم.

(الوفد الحادي والعشرون:)

(وقدم عليه ﷺ وفد بني أسد). بفتح الهمزة والسين. ابن خزيمة في سنة تسع (**عشرة، رهط فيهم وابصة بن معبد**) بن عتبة بن الحٰرث بن مٰلك بن الحٰرث بن مٰلك بن قيس بن كعب بن سعد بن الحٰرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي.

وقال أبو حاتم: هو وابصة بن عبيدة ومعبد لقب أبو سالم، ويقال: أبو الشعثاء، ويقال: أبو سعد، وفد سنة تسع، وروى عن النبي ﷺ وابن مسعود وأم قيس وغيرهم، وعنه ابناه سالم وعمرو، وغيرهما: نزل الجزيرة، فروى أبو علي الحراني عن أبي عبد اللّٰه الرقي، وكان من أعوان عمر بن عبد العزيز، أنه بعث معه بمال، وكتب إلى وابصة أن يبعث معه من يكف الناس عنه، وقال لي: لا تفرقه إلاَّ على نهر جار، فإني أخاف أن يعطشوا، قال أبو علي: وما أظن هذا إلاَّ وهمًا، لأن وابصة ما عاش إلى خلافة عمر بن عبد العزيز، وهو كما ظن، ولعله كان في الأصل إلى ابن وابصة، قاله في الإصابة، وفي تقريبه وابصة. بكسر الموحدة، ثم مهملة. ابن عتبة الأسدي، صحابي نزل الجزيرة، وعاش إلى قرب سنة تسعين.

روى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، (**وطليحة بن خويلد**). بتصغيرها. ابن نوفل بن نضلة الأسدي وفد وأسلم، ثم ارتد بعد النبي ﷺ وادعى النبوّة، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد، وأمره أن يصير في ضاحية مضر، فيقاتل من ارتد، ثم يسير إلى اليمامة، فسار فقاتل طليحة،

ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، فقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك ولم تبعث إلينا بعثًا.

فأنزل الله تعالى: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾ [الحجرات/١٧].

فهزمه وهرب إلى الشام، ثم أسلم إسلامًا صحيحًا، ولم يغمض عليه بعد إسلامه، وأحرم بالحج، فرآه عمر، فقال: لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم، وكانا طليعتين لخالد، فلقيهما طليحة فقتلهما، فقال طليحة: هما رجلان أكرمهما اللَّه بيدي، ولم يهني بأيديهما يا أمير المؤمنين، فمعاشرة جميلة، فإن الناس يتعاشرون مع البغضاء، وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين، وذكروا له مواقف عظيمة في الفتوح، ويقال: إنه استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين، ووقع في الأم للشافعي، أن عمر قتل طليحة وعيينة، وراجعت في ذلك جلال الدين البلقيني، فاستغربه جدًا، ولعله قبل. بالباء الموحدة، أي: قبل منهما الإسلام، قاله في الإصابة ملخصًا، واقتصر المصنف على تسمية هذين الاثنين من العشرة، تبعًا لما في بعض الروايات، وزاد ابن سعد ضرار بن الأزور، وحضرمي ابن عامر، وقتادة بن القائف، وسلمة بن حبيش، ومعاذ بن عبد اللَّه بن خلف، فجملة من سمى سبعة، ولم يسم الثلاثة الباقية، فقصر البرهان تقصيرًا شديدًا في قوله ما عرفت منهم إلاَّ وابصة وطليحة، وفي الإصابة أبو مكعت بضم، فسكون، فمهملة مكسورة، ثم مثناة فوقية. الأسدي اسمه عرفطة ابن نضلة، وقيل: الحٰرث بن ثعلبة وفد في قومه بني أسد، فلما وقف بين يدي النبي ﷺ قال:

يقول أبو مكعت صادقًا عليك السلام أبا القٰسم
سلام الإله وريحانه وروح المصلين والصائم

فقال عليه السلام: «يا أبا مكعت عليك السلام تحية الموتى»، اهـ باختصار، فهذا ثامن، (**ورسول اللَّه ﷺ جالس**) في المسجد، كما في الرواية، فكأنه أسقطه للعلم به (**مع أصحابه، فقال:**) لفظ ابن سعد، فسلموا، وقال (**متكلمهم**،) قال في النور: لا أعرفه (**يا رسول اللَّه، إنا شهدنا أن اللَّه وحده**) حال وخبر أن (**لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك**) لفظ الرواية.

وقال حضرمي ابن عامر: أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، أي: نجعل الليل الشديد الظلمة درعًا لنا في سنة جدباء، لا مطر فيها من الشبهة البياض، (**ولم تبعث إلينا بعثًا**).

زاد ابن سعد: ونحن لمن وراءنا سلم، (**فأنزل اللَّه تعالى** ﴿**يمنون عليك أن**﴾)، أي: بأن (﴿**أسلموا**﴾) من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال، ﴿(**قل لا تمنوا على إسلامكم**﴾،منصوب بنزع الخافض، وهو الباء، ﴿(**بل اللَّه يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم**

الوفد الثاني والعشرون:

وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه وفد بهراء من اليمن، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فلما انتهوا إلى باب المقداد رحب بهم، وقدم لهم جفنة من حيس،

صادقين﴾ في قولكم آمنا، وهذا أسنده ابن سعد من مرسل محمد بن كعب الكرظي، وله شواهد، وسألوه ﷺ عن العيافة والكهانة وضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله العيافة. بعين مهملة مكسورة، فتحتية ففاء. الطير والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها وممرها، والكهانة تعاطى خبر الكائنات في المستقبل، فقالوا: بقيت خصلة هي الخط، قال ﷺ: «الخط علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه علم».

قال ابن قرقول: الخط خط الرمل، ومعرفة ما يدل عليه.

قال البرهان: هذا النبي لا أعرف اسمه، والشامي في حفظي أنه إدريس، ولا أعلم من ذكره اهـ، وفي مسلم فمن وافق خطه فذاك، ومعناه على الصحيح من وافق خطه، فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح، فالقصد أنه حرام، لأنه لا يباح إلاَّ بتيقن الموافقة، ولا سبيل إليها، وإنما قال فذاك، ولم يقل هو حرام بلا تعليق على الموافقة، لئلا يتوهم دخول ذلك النبي في النهي.

وقال عياض المختار: إن معناه من وافق خطه، فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول، لا أنه يباح لفاعله، قال: ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا، فحصل من مجموع كلام العلماء الإتفاق على النهي عنه الآن، كذا في النور، وفي الشامية ضرب الرمل حرام صرح به غير واحد من الشافعية والحنابلة وغيرهم اهـ، وكذا ابن رشد من المالكية، ومقتضى كلام المازري؛ أنه إذا اعتقد أن اللَّه أجرى عادته بدلالته على ما يدل عليه، من غير أن يكون للخط تأثير في ذلك، فلا يكون حرامًا، واللَّه أعلم.

(الوفد الثاني والعشرون:)

(وقدم عليه صلوات اللَّه وسلامه عليه وفد بهراء). بفتح الموحدة، وإسكان الهاء وبالراء ممدود. قبيلة من قضاعة، والنسبة إليها بهراني على غير قياس، وقياسه بهراوي بالواو، وذكر الواقدي عن كريمة بنت المقداد، قال: سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول: قدم وفد بهراء **(من اليمن، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً،)** فأقبلوا يقودون رواحلهم، **(فلما انتهوا إلى باب المقداد)** بن الأسود، ونحن في منازلنا ببني حديلة. بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وتحتية. بطن من الأنصار، خرج إليهم المقداد فـ **(رحب بهم، وقدم لهم جفنة)**. بفتح الجيم. قصعة **(من حيس)**. بفتح المهملة، وإسكان التحتية، ومهملة تمر يعجن وبسمن وأقط قال:

فأكلوا منها حتى نهلوا. وردت القصعة وفيها شيء، فجمع في قصعة صغيرة فأرسل بها إلى رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، فأصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا، ثم أكل منها الضيف ما أقاموا، يرددون ذلك عليهم وما تغيض، حتى جعلوا يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا، وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها وردها، فإن هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام، فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقينًا، وتعلموا الفرائض، وأقاموا أيامًا، ثم ودعوا رسول الله ﷺ فأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهليهم.

والتمر والسمن جميعًا والأقط الحيس إلاَّ أنه لم يختلط

قالت ضباعة: كنا قد هيأناها قبل أن يحلوا، لنجلس عليها، فحملها أبو معبد المقداد، وكان كريمًا على الطعام، (**فأكلوا منها حتى نهلوا**). بفتح النون وكسر الهاء، وأصله الشرب الأول أطلق على الأكل، مجازًا علاقته أن الشرب لازم للأكل غالبًا، (**وردت**) البناء للمفعول (**القصعة**) بالفتح، ولا تكسر، (**وفيها شيء، فجمع في قصعة صغيرة، فأرسل بها**) لفظ الرواية عن ضباعة، فجمعنا ذلك في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها مع سدرة مولاتي (**إلى رسول الله ﷺ**،) فوجدته (**في بيت أم سلمة**،) فقال ﷺ: «ضباعة أرسلت بهذا»؟ قالت سدرة: نعم يا رسول الله، قال: «ضعي»، ثم قال: «ما فعل ضيف أبي معبد»؟ قلت: عندنا، (**فأصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا**،) وأكلت معهم سدرة، (**ثم**) قال: «اذهبي بما بقي إلى ضيفكم»، فرجعت بها، فـ(**أكل منها الضيف ما أقاموا**) مدة إقامتهم، وجمع مع أن الضيف مفردًا للفظ، لأن المراد هنا الثلاثة عشر (**يرددون ذلك عليهم وما تغيض**). بفتح الفوقية، وكسر المعجمة، ثم تحتية، فمعجمة، أي: تنقص، (**حتى جعلوا يقولون يا أبا معبد إنك لتنهلنا**). بضم أوله، وكسر الهاء. لتشبعنا حتى نحتاج إلى النهل الشرب الأول، (**من أحب الطعام إلينا، وما كنا نقدر على مثل هذا إلاَّ في الحين**،) أي: نادر من الزمن، وقد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام، إنما هو العلق، أو نحوه، ونحن عندك في الشبع، (**فأخبرهم أبو معبد**،) كنية المداد بن الأسود من السابقين، شهد بدرًا، ولم يثبت أنه شهدها فارس غيره (**بخبر رسول الله ﷺ، أنه أكل منها وردها، فإن هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام، فجعل القوم يقولون نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقينًا**،) وذلك الذي أراد ﷺ، فأتوه فأسلموا، أي: أظهروه عنده بالنطق بالشهادتين، (**وتعلموا الفرائض، وأقاموا**

الوفد الثالث والعشرون

وقدم عليه ﷺ وفد عذرة، في صفر سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم جمرة بن النعمان، فرحب بهم ﷺ، فأسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده، ....

أيامًا) لم يبين عدتها، **(ثم ودعوا رسول الله ﷺ، فأمر لهم بجوائز)** لم يبين أيضًا قدرها، **(وانصرفوا إلى أهليهم)** باليمن.

(الوفد الثالث والعشرون:)

(**(وقدم عليه ﷺ وفد عذرة)** . بمهملة مضمومة، ومعجمة ساكنة، فراء مفتوحة، فتاء تأنيث. قبيلة باليمن من قضاعة.

روى الواقدي: أنهم وفدوا **(في صفر، سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم جمرة بن النعمان،)** وسعد وسليم ابنا مُلك، هكذا نقله في الإصابة عن الواقدي، فقصر البرهان في قوله لا أعرف منهم إلاَّ جمرة بن النعمان بن هوذة بن مُلك بن سمعان العذري.

قال الكلبي: هو أول من قدم بصدقة قومه إلى النبي ﷺ، وقال الطبري: هو سيد بني عذرة، ووفد على النبي ﷺ بصدقة قومه، فأقطعه ﷺ حصر قوسه ورمية سوطه من وادي القرى، فنزلها إلى أن مات، ذكره ابن شاهين، لكنه أخرجه في الحاء المهملة، وكذا ابن بشكوال، فوهما فيه، فقد ضبطه الدارقطني بالجيم والراء.

وقال الواقدي: حدثنا شعيب بن ميمون، عن أبي مرانة البلوي: سمع جمرة بن النعمان العذري، وكانت له صحبة يقول: أمر رسول الله ﷺ بدفن الشعر والدم، أخرجه الدارقطني من طريقه انتهى، **(فرحب بهم عليه الصلاة والسلام)** أي: قال لهم: «مرحبًا بكم وأهلاً»، أي: لقيتم رحبًا وسعة، فاستأنسوا، ولفظ الرواية، فقال ﷺ: «من القوم»؟ فقال متكلمهم: من لا تنكر نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصيًا، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام.

قال ﷺ: «مرحبًا بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم، فما يمنعكم من تحية الإسلام»، قالوا: كنا على ما كان عليه آباؤنا، وجئنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا، فإلامَ تدعو؟ قال: «إلى عبادة الله، وحده لا شريك له، وأن تشهدوا أني رسول الله إلى الناس كافة»، فقال متكلمهم: فما وراء ذلك من الفرائض، فأخبرهم بجميعها، فقالوا: الله أكبر نشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنك رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوت إليك، ونحن أعوانك وأنصارك يا رسول الله، إن متجرنا الشام، وبه هرقل، فهل أوحى إليك في أمره بشيء؟ قال: أبشروا، فإن الشام ستفتح عليكم، ويهرب هرقل إلى ممتنع

ثم انصرفوا وقد أجيزوا.

الوفد الرابع والعشرون:

وقدم عليه ﷺ وفد بلي، فأسلموا، فقال ﷺ: الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار. ثم ودعوا رسول الله ﷺ بعد أن أجازهم.

بلاده، واختصر المصنف هذا، فقال: **(فأسلموا، وبشرهم بفتح الشام وهرب)** بالجر، أي: وبشرهم بهرب **(هرقل إلى ممتنع بلاده)** ونهاهم عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها، وأخبرهم أن ليس عليهم إلاَّ الأضحية، فأقاموا أيامًا بدار رملة، أي: بنت الحٰرث النجارية، كانت دارها تنزل فيها الوفد، **(ثم انصرفوا، وقد أجيزوا،)** أعطاهم الجائزة، وهي العطية، والتحفة، واللطف، كما في القاموس.

(الوفد الرابع والعشرون:)

(وقدم عليه ﷺ وفد بلي) . بفتح الموحدة، وكسر اللام، وشد الياء، والنسبة إليها بلوى بفتحتين نسبة إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، ذكر الواقدي عن رويفع بن ثابت البلوي، قال: قدم وفد قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع، فأنزلتهم عليَّ وقدمت بهم على رسول اللَّه ﷺ، فقلت: هؤلاء قومي، فقال: «مرحبًا بك وبقومك»، **(فأسلموا، فقال)** لهم **(ﷺ: «الحمد للَّه الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام، فهو في النار»،)** وبقية حديث رويفع عند الواقدي

وقال له أبو الضبيب شيخ الوفد: يا رسول اللَّه إن لي رغبة في الضيافة، فهل لي في ذلك أجر؟ قال: «نعم، وكل معروف صنعته إلى غني، أو فقير، فهو صدقة»، قال: يا رسول اللَّه ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيخرجك».

قال: يا رسول اللَّه أرأيت الضالة من الغنم أجدها، في الفلاة من الأرض؟ قال: «لك ولأخيك، أو للذئب»، قال: فالبعير؟ قال: «ما لك وله، دعه حتى يجده صاحبه»، قال رويفع: ثم قاموا، فرجعوا إلى منزلي، فإذا رسول اللَّه ﷺ يأتي منزلي يحمل تمرًا، فقال: «استعن بهذا التمر»، فكانوا يأكلون منه، ومن غيره فأقاموا ثلاثًا، **(ثم ودعوا رسول اللَّه ﷺ بعد أن أجازهم،)** ورجعوا إلى بلادهم وأبو الضبيب . بمعجمة مضمومة. بلفظ تصغير ضب، ويقال فيه أيضًا أبو الضبيس . بسين مهملة آخره بدل الموحدة.

ذكره محمد بن الربيع الجيزي فيمن دخل مصر من الصحابة، كما في الإصابة ذاكرًا بعض حديث رويفع عازيًا للواقدي وبالسين، ذكره الذهبي، فقال في التجريد: أبو ضبيس البلوى

الوفد الخامس والعشرون:

وقدم عليه ﷺ وفد بني مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، ورئيسهم الحٰرث بن عوف، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: كيف البلاد؟ فقالوا: والله إنا لمسنتون، فادع الله لنا، فقال عليه الصلاة والسلام: اللّٰهم اسقهم الغيث. ثم أقاموا أيامًا ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ.

له صحبة، فقصر البرهان في قوله: لم أقع لأبي الضبيس على ترجمة، ولا رأيت أحدًا ذكره في الصحابة، إلا ما هنا فليتبع انتهى. وعذره أنه إنما رآه بسين آخره في تجريد الصحابة، وهنا رآه بموحدة، فظنه غيره، مع أنه هو، كما أفاده في الإصابة، ويحرجك من الحرج، أي: يضيق صدرك، وقيل: يؤثمك، أي: يعرضك للإثم، حتى تتكلم فيه بما لا يجوز، فتأثم.

(الوفد الخامس والعشرون:)

(وقدم عليه ﷺ وفد بني مرة) . بضم الميم، وشد الراء، فتاء تأنيث ابن كعب بن لؤي.

قال الواقدي: حدثني عبد الرحيم بن إبرٰهيم المدني، عن أشياخه، قالوا: قدم وفد بني مرة، منصرف رسول اللّٰه ﷺ من تبوك سنة تسع، **(وكانوا ثلاثة عشر رجلاً،)** فنزلوا في دار بنت الحٰرث، ثم جاؤوا إلى النبي عليه السلام، **(ورئيسهم الحٰرث بن عوف،)** أي: بمهملة، فواو، ففاء المري بالراء من فرسان الجاهلية، المشهور أسلم، وعليه شيء من دمائها، فأهدره النبي ﷺ، وعند الواقدي، فقال، أي الحٰرث: يا رسول اللّٰه إنا قومك وعشيرتك إنا من لؤي بن غالب، فتبسم رسول اللّٰه ﷺ، وقال له: «أين تركت أهلك»؟ قال: بسلاح . بكسر المهملة، ولام، وألف، ومهملة، وما والاها، **(فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «كيف البلاد»؟)** أي: كيف أهلها، أو حالها، والأول أنسب بقوله، **(فقالوا: واللّٰه إنا لمسنتون،)** أي: مجدبون، فأسنده لأهل البلاد، وإلا لقال إنها مسنته، زاد في الرواية: وما في المال مخ، أي: المواشي كنا بالمخ عن شدة هزالها، **(فادع اللّٰه لنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اسقهم الغيث)** المطر»، **(ثم أقاموا أيامًا)** فأرادوا الانصراف إلى بلادهم، فأتوا النبي ﷺ مودعين له، فأمر بلالاً، فأجاز كل واحد بعشرة أواق فضة، وفضل الحٰرث، فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، **(ورجعوا بالجائزة، فوجدوا بلادهم، قد أمطرت،)** بالبناء للمفعول، أي: أمطرها اللّٰه **(في ذلك اليوم، الذي دعا لهم فيه رسول اللّٰه ﷺ،)** وأخصبت بعد ذلك بلادهم، وقدم على المصطفى، وهو يتجهز لحجة الوداع قادم منهم، فقال: يا رسول اللّٰه رجعنا إلى بلادنا، فوجدناها مصبوبة مطرًا في ذلك اليوم الذي

الوفد السادس والعشرون:

وقدم عليه ـ زاده الله شرفًا وكرمًا لديه ـ وفد خولان، في شعبان سنة عشر، وكانوا عشرة، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله، وقدمنا زائرين لك. فقال عليه الصلاة والسلام: أما ما ذكرتم من مسيركم إلي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة. ثم قال ﷺ: ما فعل صنم ....

دعوت لنا فيه، ووصف كثرة الخصب، فقال ﷺ: «الحمد لله الذي هو صنع ذلك».

وذكر الزبير بن بكار: وابن عساكر: أن الحٰرث بن عوف أتى النبي ﷺ، فقال: ابعث معي من يدعو إلى دينك، وأنا له جار، فبعث معه رجلاً أنصاريًا، فغدا به عشيرة الحٰرث، فقتلوه، فقال حسان:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمدًا لا يغدر
وأمانه المري حيث لقيته ... مثل الزجاجة صدعها لا يجبر
إن تغدروا فالغدر منكم عادة ... والغدر ينبت في أصول السحبر

فاعتذر وودي الأنصاري، وقال: يا محمد إني عائذ بك من لسان حسان، لو أن هذا مزج بماء البحر لمزجه.

(الوفد السادس والعشرون:)

(وقدم عليه زاده الله شرفًا وكرمًا لديه وفد خولان،) . بفتح المعجمة، وسكون الواو ـ وابن عمر أبو قبيلة باليمن **(في شعبان سنة عشر، وكانوا عشرة،)** قال في النور: لا أعرف منهم أحدًا، **(فقالوا: يا رسول الله، نحن)** على من وراءنا من قومنا، ونحن **(مؤمنون بالله، مصدقون برسوله،)** أي: برسالته، والمراد بكونهم على من وراءهم؛ أنهم أمناء على المؤمنين بطلب العهد له، وكافلون بطلب إيمان من لم يكن آمن، **(وقد ضربنا إليك آباط الإبل،)** جمع إبط، أي: تحملنا مشقة السير مع طول المسافة، **(وركبنا حزون الأرض)** . بضم المهملة والزاي. جمع حزن . بفتح فسكون. ما غلظ من الأرض، **(وسهولها،)** جمع سهل، ما لان منها، **(والمنة لله ولرسوله، وقدمنا زائرين لك، فقال عليه الصلاة والسلام: «أما ما ذكرتم من مسيركم إليَّ، فإن لكم بكل خطوة،)** . بفتح الخاء مرة واحدة. **(خطاها بعير أحدكم حسنة)** . وبضم الخاء. ما بين القدمين»، والأنسب الأول، إذ الثواب إنما هو على الفعل، وسير بعيرهم منسوب لهم، فأثيبوا عليه، **(وأما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة)** . بضم الجيم وكسرها.

خولان الذي كانوا يعبدونه؟ قالوا: بدلنا الله به ما جئت به، إلا أن عجوزًا وشيخًا كبيرًا يتمسكان به، وإن قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى.

ثم علمهم عليه الصلاة والسلام فرائض الدين، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وأن لا يظلموا أحدًا، ثم أجازهم ورجعوا إلى قومهم، وهدموا الصنم.

الوفد السابع والعشرون:

زمامي وعهدي وتأميني، فأجابوه رضي الله عنهم، فقالوا: يا رسول الله هذا السفر الذي لا توى عليه . بفتح الفوقية والواو والقصر، أي: لا هلاك، **(ثم قال** ﷺ: **«ما فعل)** عم أنس، وهو **(صنم خولان الذي كانوا يعبدونه»)** أي: ما أصابه، أهو باق على حاله؟ أم لا؟ فنسبة الفعل إليه تجوز، ويدل عليهم جوابهم، حيث **(قالوا:)** بشر **(بدلنا الله به ما جئت به، إلاَّ أن عجوزًا وشيخًا كبيرًا، يتمسكان به)** ظاهره أنهما واحد وواحدة، وليس بمراد، فلفظ الرواية، كما في العيون، وقد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير، وعجوز كبيرة متمسكون به، فالمراد الجنس الصادق بالمتعدد، فكأنه قال بقيت شيوخ وعجائز متمسكون به، **(وإن قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى)** فقد كنا منه في غرور وفتنة، فقال ﷺ: «وما أعظم ما رأيتم من فتنته»، قالوا: لقد اسنتنا حتى أكلنا الرمة، فجمعنا ما قدرنا عليه واتبعنا مائة ثور، ونحرناها له قربانًا في غداة واحدة، وتركناها تردها السباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العشب يواري الرجل، فيقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس، وذكروا له ما كانوا يقسمون لصنمهم من أنعامهم وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءًا له، وجزء لله بزعمهم، فكانوا يزرعون الزرع، فيجعلون له وسطه، ويسمى زرعًا آخر حجره لله، فإذا مالت الريح بالذي له، جعلناه للصنم، وبالذي له لم نجعله لله، فقال ﷺ: «إن الله، قد أنزل عليّ في ذلك ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية»، قالوا: وكنا نتحاكم إليه فنكلم، فقال ﷺ: «تلك الشياطين تكلمكم»، **(ثم علمهم عليه الصلاة والسلام فرائض الدين)** لما سألوه عنها، أي: المسائل العامة الحصول، كالصلاة والزكاة والصوم، وما يحتاجون إليه، مما يكثر وقوعه، فهو مغاير لقوله: **(وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار)** . بكسر الجيم فقط، أي: الملازمة، كما في النور، أي: التزام الوفاء بالعهد وحفظه.

ففي القاموس: الجوار بالكسر أن تعطي الرجل ذمة يكون بها جارك، **(وأن لا يظلموا أحدًا)** قال: فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، **(ثم)** ودعوه بعد أيام، و **(أجازهم)** باثنتي عشرة أوقية ونش، **(ورجعوا إلى قومهم، وهدموا الصنم)** قبل أن يفعلوا شيئًا، ثم حرموا ما حرم عليهم

وقدم عليه ﷺ وفد محارب عام حجة الوداع، وكانوا أغلظ العرب وأفظهم عليه أيام عرضه على القبائل يدعوهم إلى الله، فجاءه عليه الصلاة والسلام منهم عشرة فأسلموا، ثم انصرفوا إلى أهليهم.

الوفد الثامن والعشرون:

وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد صداء في سنة ثمان، وذلك أنه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن فيها صداء، فقدم رجل منهم علم ....

المصطفى، وأحلوا ما أحل لهم، أي أظهروا ذلك فيما بينهم وعملوا به.

(الوفد السابع والعشرون:)

(وقدم عليه ﷺ وفد محارب). بضم الميم ومهملة، وراء مكسورة، وموحدة. ابن سعد بن قيس عيلان. بمهملة مفتوحة، وتحتية ساكنة. **(عام حجة الوداع،)** سنة عشر، **(وكانوا أغلظ،)** أسوأ **(العرب)** خلقًا، **(وأفظهم)** أشدهم جفاء **(عليه،)**. بمعجمة. فيهما **(أيام عرضه على القبائل، يدعوهم إلى الله)** قبل الهجرة، **(فجاءه عليه الصلاة والسلام منهم عشرة،)** لم يسمعهم نائبين عن قومهم، **(فأسلموا،)** وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء، إلى أن جلسوا معه ﷺ يومًا من الظهر إلى العصر، فعرف رجلاً، فأمده النظر، فقال المحاربي: كأنك يا رسول الله توهمني، قال: «لقد رأيتك»، فقال: أي والله لقد رأيتني، وكلمتني وكلمتك بأقبح الكلام، وأقبح الرد بعكاظ، وأنت تطوف على الناس، فقال ﷺ: «نعم»، فقال: يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ، ولا أبعد عن الإسلام مني، فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم، فقال ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل»، فقال: يا رسول الله استغفر لي من مراجعتي إياك، فقال ﷺ: «إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر»، **(ثم انصرفوا إلى أهليهم)**.

(الوفد الثامن والعشرون:)

(وقدم عليه عليه الصلاة والسلام وفد صداء). بضم الصاد والدال المهملتين. حي من اليمن، قاله البخاري وغيره، يقال: إن أبا هذا الحي صداء بن حرب بن علة، **(في سنة ثمان، وذلك)** أي: سبب قدومهم، وهذا أولى من تقدير بيان، لأن مجيء الوفد لأجل البعث، **(أنه لما انصرف من الجعرانة،)** لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، **(بعث،)** كما قال ابن سعد بعوثًا إلى اليمن، فبعث المهاجر بن أمية إلى صنعاء، وزياد بن لبيد إلى حضرموت، وهيأ بعثًا، استعمل عليهم **(قيس بن سعد بن عبادة)** الخزرجي، الصحابي، ابن الصحابي رضي الله عنهما، وعقد له

بالبعث على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أردد الجيش، وأنا لك بقومي، فرد قيسًا.

ورجع الصدائي إلى قومه فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم، فبايعوه على الإسلام ورجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكره الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحرث الصدائي، إنه الذي قدم على رسول ﷺ فقال: اردد الجيش، وقال: وكان زياد هذا معه في بعض أسفاره وأنه عليه الصلاة والسلام قال له: يا أخا صداء هل معك ماء؟ قلت: معي شيء في إداوتي، فقال: صبه، فصببته في قعب ثم وضع عليه

لواء أبيض، ودفع إليه راية سوداء، وعسكر بناحية قناة **(في أربعمائة)** فارس من المسلمين، **(وأمره أن يطأ ناحية من اليمن فيها صداء، فقدم رجل منهم)** هو زياد بن الحرث، كما يأتي، **(علم بالبعث على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله اردد الجيش، وأنا)** أتكفل **(لك بقومي)** أي: بإسلامهم.

ففي رواية عن زياد: جئتك وافدًا على من ورائي، وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم، فقال: «اذهب فردهم»، فقلت: إن راحلتي قد قلَّت، فبعث رجلاً، **(فرد قيسًا)** ومن معه من صدر قناة، **(ورجع الصدائي إلى قومه)** ومعه كتاب من المصطفى، **(فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم)** فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله دعهم ينزلون عليَّ، فنزلوا عليه، فحياهم، وأكرمهم، وكساهم، ثم راح بهم إلى النبي ﷺ، **(فبايعوه على الإسلام)** وقالوا: نحن لك على من وراءنا من قومنا، فقال ﷺ لزياد: «يا أخا صداء إنك امرؤ مطاع في قومك»، فقلت: بل الله هداهم للإسلام.

وفي رواية قلت: بل من الله ومن رسوله، **(ورجعوا إلى قومهم، ففشا)** ظهر، وكثر **(فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع، ذكره الواقدي)** محمد بن عمر بن واقد، عن بعض بني المصطلق، قال في النور: ولا أعرف هذا البعض، **(وذكر)** بالبناء للفاعل، أي: الواقدي أيضًا **(من حديث زياد بن الحرث)** وقيل: ابن حارثة، والأول أصح، قاله البخاري **(الصدائي)** صحابي شهد فتح مصر، **(أنه الذي قدم على رسول الله ﷺ، فقال: اردد الجيش،)** وأنا لك بقومي فردهم، **(وقال)** الواقدي في روايته من حديث زياد: **(وكان زياد هذا معه في بعض أسفاره،)** قال: فسار ليلاً وسرنا معه، وكنت رجلاً قويًا، فتفرق أصحابه، ولزمت ركابه، فلما كان السحر، قال: أذن يا أخا صداء، فأذنت على راحلتي، ثم سرنا حتى نزلنا، فذهب لحاجته، ثم رجع، **(وأنه عليه الصلاة والسلام، قال له: «يا أخا صداء هل معك ماء»؟ قلت: معي شيء في إداوتي)**. بكسر الهمزة المطهرة، وجمعها أدوى بفتح الواو، **(فقال: «صبه»،**

الصلاة والسلام كفه فيه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه عينًا تفور.

فصببته في قعب). بفتح القاف، وإسكان المهملة وموحدة. القدح الضخم الحافي، أو إلى الصغر، أو يروى الرجل، قال: وجعل أصحابه يتلاحقون، **(ثم وضع عليه الصلاة والسلام كفه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه)** أي: بين كل إصبعين من أصابعه، كما هو لفظه **(عينًا تفور)** وقد اختلف هل نبع الماء من نفس الأصابع وهو الصحيح، أو من بينها، لا من نفسها قولان، ولا ينافيهما قوله بين كل إصبعين من أصابعه، لإحتمال أن العين ناشئة من الماء، خارجة من بين الأصابع، وأنها من ذات بدنه الشريف، ولذا جاء القولان، وبعضهم يقول في حكايتهما هل هو إيجاد معدوم، أو تكثير موجود، بمعنى أنه بورك في الماء، فزاد من غير ضم ماء آخر إليه بخلاف الأول، فنبع من بين الأصابع ماء انضم إلى ما في القعب، فتغاير القولان، وبسط ذلك يأتي إن شاء الله تعالى في المعجزات، ثم قال ﷺ: «يا أخا صداء لولا أني أستحيي من ربي عز وجل، لسقينا واستقينا»، ثم توضأ، وقال: «أذن في الناس من كانت له حاجة بالوضوء، فليرد، فوردوا من عند آخرهم»، ثم جاء بلال يقيم، فقال ﷺ: «إن أخا صداء أذن، ومن أذن، فهو يقيم»، فأقمت، ثم صلى بنا، فلما سلم، وكنت سألته قبل ذلك أن يؤمرني على قومي، وأن يأمر لي بشيء من صدقاتهم، فكتب لي كتابين بذلك، قام رجل يشتكي عامله، فقال: أخذنا بظلامات كانت بيننا وبينه في الجاهلية.

وفي رواية: أخذنا بكل شيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية، فقال ﷺ: «أو فعل ذلك»؟ قالوا: نعم، فالتفت إلى أصحابه، وأنا منهم، فقال: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن».

وفي لفظ مسلم: فدخل قوله في قلبي، ثم قام آخر، فقال رسول الله: «أعطني»، فقال: «من يسأل الناس عن غنى، فصداع في الرأس، وداء في البطن»، قال: «فأعطني من الصدقة»، قال: «إن الله عز وجل لم يرض بحكم نبي، ولا غيره في الصدقات، حتى حكم فيها، فجزأها بثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك، وإن كنت غنيًا عنها، فإنما هي صداع في الرأس، وداء في البطن.

وفي رواية: إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، حتى جزأها على ثمانية أجزاء» والباقي سواء.

قال زياد: فدخل في نفسي أني سألته الصدقة وأنا غني، فقلت: يا رسول الله هذان كتاباك فاقبلهما، ثم قال: «دلني على رجل من قومك استعمله»، فدللته فاستعمله، قلت: يا رسول الله إن لنا بئرًا إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قلَّ علينا، فتفرقنا على المياه، والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف فادع الله لنا في بئرنا، فقال: «ناولني سبع حصيات»، فناولته فعركهن بيده، ثم دفعهن إليَّ، وقال: «إذا انتهيت إليها، فالق فيها حصاة حصاة، وسم الله»، ففعلت، فما أدركنا لها قعرًا حتى الساعة، ولعل حكمة ذلك دون إلقاء الجميع، دفعة إرشاد العباد إلى أنهم إذا حاولوا أمرًا، أخذوا في أسبابه بالتدريج شيئًا فشيئًا، وإن أمكنهم حصولها دفعة، وأسر علمه عليه الصلاة والسلام،

الوفد التاسع والعشرون:

وقدم عليه ﷺ وفد غسان، في شهر رمضان سنة عشر، وكانوا ثلاثة نفر، فأسلموا وأجازهم عليه الصلاة والسلام بجوائز، وانصرفوا راجعين.

الوفد الثلاثون:

وقدم عليه وفد سلامان في شوّال سنة عشر، كما قال الواقدي، وكانوا سبعة نفر، فيهم حبيب بن عمرو، فأسلموا وشكوا إليه ....

ككون الحصيات سبعًا، ولعله ليس المراد خصوص الصداع ووجع البطن، بل ما يشمله ويشمل كل ضرر، عاجل، أو آجل، وحمله على ظاهره أولى، فلا دخل للعقل في ذلك، والله أعلم.

(الوفد التاسع والعشرون:)

(وقدم عليه ﷺ وفد غسان). بفتح الغين المعجمة وشد المهملة. اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد، فنسبوا إليه، قال حسان:

أما سألت فإنا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والماء غسان

وقيل: غسان اسم القبيلة، فنونه أصلية فيصرف، فإن كان المسموع، وإلاّ فسبب منعه العلمية والتأنيث، باعتبار القبيلة **(في شهر رمضان سنة عشر، وكانوا ثلاثة نفر)** إضافة بيانية، **(فأسلموا)** وقالوا: لا ندري أيتبعنا قومنا، أم لا؟ وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر، **(وأجازهم عليه الصلاة والسلام بجوائز، وانصرفوا راجعين)** إلى قومهم، فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم، حتى مات منهم رجلان على الإسلام، وأدرك الثالث عمر عام اليرموك، فلقي أبا عبيدة، فأخبره بإسلامه، فكان يكرمه.

(الوفد الثلاثون:)

(وقدم عليه وفد سلامان). بفتح المهملة وخفة اللام. بطن من قضاعة ينسبون إلى جدهم الأعلى سلامان بن سعد بن زيد بن لوث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، **(في شوّال، سنة عشر، كما قال الواقدي، وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو)** والسلاماني، كان يسكن الجبال، **(فأسلموا)**.

روى الواقدي عنه أنه قال: قدمنا وفد سلامان ونحن سبعة نفر، فانتهينا إلى باب المسجد، فصادفنا رسول الله ﷺ خارجًا إلى جنازة دعي إليها، فلما رأيناه قلنا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليكم السلام من أنتم»؟ قلنا: من سلامان، قدمنا إليك لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا، فالتفت إلى مولاه ثوبان، فأمره بإنزالهم دار رملة بنت الحرث، فذكر حديثًا طويلاً فيه أنهم لما سمعوا الظهر، أتوا المسجد، فصلوا معه ﷺ، وصلوا العصر.

جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وأمر لهم بالجوائز، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ تلك الساعة.

الوفد الحادي والثلاثون:

وقدم عليه وفد بني عبس، فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا، فقال عليه الصلاة والسلام: اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئًا.

قال حبيب: فكانت أخف في القيام من الظهر، وقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال؟ قال: «الصلاة في وقتها»، وسألته عن رقية العين وذكرها له، فأذن له فيها، (و) فيه أنهم (**شكوا إليه جدب بلادهم، فدعا لهم**،) ولفظ حديث حبيب المذكور، فقال ﷺ: «بيده اللهم اسقهم الغيث في دارهم»، فقلت: يا رسول الله ارفع يديك، فإنه أكثر وأطيب، فتبسم رسول الله ﷺ حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام، وقمنا معه وقوله: أكثر، أي: في الأسباب المقتضية للاستعطاف وأطيب، أي: لهيئة الداعي التي تكون سببًا لنزول الرحمة، (**ثم ودعوه**) بعد إقامتهم ثلاثًا، وضيافته تجري عليهم، (**وأمر لهم بالجوائز**،) فأعطينا خمس أواقي فضة لكل رجل منا، واعتذر إلينا بلال، وقال: ليس عندنا اليوم مال، فقلنا: ما أكثر هذا وأطيبه، (**ورجعوا إلى بلادهم، فوجدوها قد أمطرت**،) بالبناء للفاعل والمفعول، كما في النور (**في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ في تلك الساعة**،) وما ذلك بغريب في معجزاته.

(**الوفد الحادي والثلاثون**:)

(**وقدم عليه وفد بني عبس**). بفتح المهملة، وسكون الموحدة، وسين مهملة. ذكر ابن شاهين من طريق هشام بن الكلبي، أنهم تسعة، قدموا على النبي ﷺ، فدعا لهم بخير، وقال: «ابغوني لكم عاشرًا أعقد لكم لواء»، فدخل طلحة بن عبيد الله، فعقد لهم لواء، وجعل شعارهم يا عشرة، فهو إلى اليوم كذلك.

قال: وهم بشر بن الحرث، والحرث بن الربيع بن زياد، وسباع بن زيد، وعبد الله بن ملك، وقرة بن حصن بن وقنان بن دارم، وميسرة بن مسروق، وهرم بن مسعدة، وأبو الحصين بن القيم.

وروى ابن سعد عن عروة: أن عير القريش أقبلت من الشام، فبعث بني عبس في سرية، وعقد لهم لواء، فقال: يا رسول الله كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة؟ فقال: «أنا عاشركم».

وعند الواقدي عن أبي هريرة: قدم ثلاثة من بني عبس، (**فقالوا: يا رسول الله قدم علينا قراؤنا، فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش**،) وهي معايشنا، (**فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له**،) فلا خير في أموالنا، (**بعناها وهاجرنا**) من آخرنا، (**فقال عليه الصلاة**

الوفد الثاني والثلاثون

وقدم عليه وفد غامد سنة عشر، وكانوا عشرة، فأقروا بالإسلام وكتب لهم كتابًا فيه شرائع الإسلام، ....

والسلام: «**اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم**»،) بفتح التحتية وكسر اللام ففوقية، أي: ينقصكم، (**من أعملكم شيئًا**،) «ولو كنتم بصمد وجاران» بصاد ودال ومهملتين بينهما ميم. وجاران . بجيم، فألف، فراء، فألف فنون. اسما مكانين، وبقية خبر الواقدي هذا، وسألهم عن خالد بن سنان هل له عقب، فأخبروه أنه كان له ابنة فانقرضت، فأنشأ ﷺ يحدث أصحابه عن خالد، فقال نبي: ضيعه قومه، وضعف الواقدي معلوم، لكنه لم ينفرد بذلك، فقد روى نحوه الحاكم في حديث طويل، وصححه عن ابن عباس، وتعقبه الذهبي؛ بأنه منكر، وابن شاهين في الصحابة من حديث سباع بن زيد، وله طرق أخرى، وفي بعضها: أن خالدًا بعث مبشرًا بمحمد عليه السلام، ولم يكن في بني إسمٰعيل نبي غيره قبل المصطفى، وأنه دعا على العنقاء، طائر كانت تخطف الصبيان، فانقطع نسلها، وأطفأ نار رحرة بني عبس، كان يستضاء بنورها من مسيرة ثلاث، وربما سقط منها عنق، فلا تمر بشيء إلاَّ أهلكته، فإذا كان النهار، فإنما هي دخان يفور، فحفر لها سربًا، وأدخلها فيه، والناس ينظرون، ثم اقتحم فيها حتى غيبها، فسمع بعض القوم يقول: هلك خالد، فخرج، وهو يقول: كذب ابن راعية المعزي، ووردت ابنة له عجوز على النبي ﷺ، فتلقاها بخير، وأكرمها، وقال: «مرحبًا بينت نبي ضيعه قومه»، فأسلمت، وسمعته يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١]، فقالت: كان أبي يقول هذا، قال في الإصابة: وأصح ما وقفت عليه من ذلك ما رواه عبد الرزاق، عن سعيد بن جبير، قال: جاءت ابنة خالد بن سنان العبسي إلى النبي ﷺ، فقال: «مرحبًا بابنة نبي ضيعه قومه»، رجاله ثقات، إلاَّ أنه مرسل انتهى باختصار.

وقال في الفتح في قوله ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم» ليس بيني وبينه نبي، قد ضعف هذا الحديث ما قيل، إن جرجيس وخالد بن سنان، كانا نبيين بعد عيسى إلاَّ أن يجاب، بأنهما بعثا بتقرير شريعة عيسى، لا شريعة مستقلة.

(الوفد الثاني والثلاثون:)

(**وقدم عليه وفد غامد**) . بغين معجمة، فألف، فميم مكسورة، فدال مهملة. بطن من الأزد باليمن، (**سنة عشر، وكانوا عشرة**،) فنزلوا في بقيع الفرقد، وهو يومئذ أثل وطرفاء، ثم انطلقوا إلى النبي ﷺ، وخلفوا أصغرهم في رحالهم، (**فأقروا بالإسلام**،) وسلموا على النبي ﷺ، (**وكتب لهم كتابًا فيه شرائع الإسلام**،) إضافة جنسية، فتصدق بالبعض.

ففي العيون: فيه شرائع من شرائع الإسلام، وقال: «من خلفتم في رحالكم»؟ قالوا: أحدثنا سنًا، قال: «فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت، فأخذ عيبة أحدكم»، فقال أحدهم: ما لأحد

وأمر أُبي بن كعب يعلمهم قرءانًا، وأجازهم عليه الصلاة والسلام وانصرفوا.

الوفد الثالث والثلاثون:

وقدم عليه وفد الأزد، ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة، وأبو موسى المديني، من حديث أحمد بن أبي الحواري ....

منهم عيبة غيري، فقال ﷺ: «قد أخذت وردة إلى موضعها»، فخرجوا حتى أتوا رحلهم، فسألوه، فقال: فزعت من نومي، ففقدت العيبة، فقمت في طلبها فإذا رجل قاعدًا، فثار يعدو مني، فانتهيت إلى حيث انتهى، فإذا أثر حفر، وإذا هو قد غيب العيبة، فاستخرجتها، فقالوا: نشهد أنه رسول اللّٰه، فإنه قد أخبرنا خبرها، وأنها قد ردت، فرجعوا، فأخبروه ﷺ، وجاء الغلام الذي خلفوه فأسلم، (وأمر) النبي ﷺ (**أبي بن كعب يعلمهم قرءانًا، وأجازهم عليه الصلاة والسلام**)، كما كان يجيز الوفود، وهو تشبيه في أصل الجائزة، لأنه لم يكن له جائزة مخصوصة، وإنما يدفع ما اتفق جوده، وهو يتفاوت، قلة وكثرة، فقد أجاز بخمس أواق، وبعشر، وباثنتي عشرة، وبأزيد، كما مر، (**وانصرفوا**) إلى بلادهم.

(**الثالث والثلاثون:**)

(**وقدم عليه وفد الأزد**) . بفتح الهمزة، وسكون الزاي، ودال مهملة، ويقال بالسين لقربها من الزاي، ينسبون إلى جدهم الأزد بن الغوث بن نبت بن مٰلك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل اسم الأزد درًا بدال قبل الراء، وإليه إجماع الأنصار، ذكره الحازمي. (**ذكر**) أي: روى (**أبو نعيم**) . بضم النون. الحافظ الكبير، أحمد بن عبد اللّٰه بن أحمد بن إسحٰق بن موسى الأصفهاني، الصوفي، الأحول. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأجاز له مشايخ الدنيا، وهو ابن ست سنين، وتفرد بهم، ورحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه، وضبطه وعلو إسناده، وله عدة تصانيف. مات في المحرم، سنة ثلاث وأربعمائة، (**في كتاب معرفة الصحابة، وأبو موسى**) محمد بن أبي بكر، عمر بن أحمد الأصفهاني (**المديني**) . بكسر الدال، وسكون التحتية. نسبة إلى مدينة أصفهان، الحافظ الكبير شيخ الإسلام، ولد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسمائة، وسمع الكثير، ورحل وعني بهذا الشأن، وانتهى إليه التقدم فيه مع علو الإسناد، وعاش حتى صار أوحد وقته، وشيخ زمانه، إسنادًا وحفظًا مع التواضع، ولا يقبل من أحد شيئًا، وله معرفة الصحابة، وغيرها من التصانيف، مات في جمادى الأولى، سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، (**من حديث أحمد**) بن عبد اللّٰه بن ميمون بن العباس بن الحٰرث التغلبي . بفتح المثناة، وسكون المعجمة، وكسر اللام. نسبة إلى تغلب بن وائل قبيلة، يكنى أبا الحسن (**بن أبي الحواري**) . بفتح المهملة، والواو الخفيفة، وكسر الراء، وفتحها، والكسر أشهر، والفتح حكى

قال: سمعت أبا سليمٰن الداراني قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي قال:

وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ....

عن أهل الإتقان.

كما قاله النووي في البستان، ثقة زاهد من العاشر، وهم كبار الآخذين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين، كأحمد بن حنبل، كما أفصح به في ديباجة التقريب.

روى له أبو داود وابن ماجه، ومات سنة ست وأربعين ومائتين، لا مائة، كما زعم، لقوله في خطبة التقريب، وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات، فهم بعد المائتين، وهذا من العاشرة، وقد أرخه ابن عساكر والذهبي وغيرهما سنة ست، وقيل: سبع وأربعين ومائتين.

(قال: سمعت أبا سليمان) عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية، الزاهد، العنسي بالنون، **(الداراني)** . بفتح الدال، فألف، فراء خفيفة، فألف، فنون، ويقال: بهمز بدل النون، وبالنون أشهر وأكثر، كما قال ابن السمعاني، نسبه إلى داريا قرية بدمشق، على غير قياس إمام كبير الشأن، ارتفع قدره وعلا ذكره، وأخذ الحديث عن جمع، منهم سفيٰن الثوري، قال في التقريب: وهو ثقة لم ير، ومسندًا إلاَّ حديثًا واحدًا، وله حكايات في الزهد، قال النووي في بستانه: كان من كبار العارفين، أصحاب الكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، والحكم المتظاهرة، وهو أحد مفاخر بلادنا دمشق وما حولها، مات سنة اثنتي عشرة، أو خمس عشرة ومائتين، وقيل غير ذلك.

(قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد) . بضم السين وفتح الواو. **(الأزدي)** زاد في رواية العسكري: أنه حدثه بساحل دمشق، **(قال: حدثني أبي)** يزيد **(عن جدي)** سويد بن الحٰرث.

هكذا رواه العسكري من هذا الطريق، وكذا الرشاطي وابن عساكر من وجهين آخرين، عن ابن أبي الحواري، ورواه أبو سعد النيسابوري في شرف المصطفى من وجه آخر، عن ابن أبي الجواري، فقال علقمة بن سويد بن علقمة ابن الحٰرث، فذكر أبو موسى بسبب ذلك علقمة بن الحٰرث، والأول أشهر، قاله في الإصابة.

(قال: وفدت سابع سبعة،) أي: واحدًا منهم، لا أنه زائد عليه، لأن اسم الفاعل إن أخذ من اثنين إلى عشرة، ثم أضيف إلى أصله، فمعناه أنه واحد من ذلك العدد لا زائد، وإن أضيف إلى دون أصله، صيره بانضمامه إليه زائدًا عليها **(من قومي على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه وكلمناه، أعجبه ما رأى من سمتنا،)** سكينتنا ووقارنا.

قال في المصباح: السمت السكينة والوقار، وهو حسن السمت، أي: الهيئة **(وزينا)** . بكسر

فقال: ما أنتم قلنا مؤمنون، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئًا، فقال ﷺ: ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟

قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت.

قال: وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟

قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ....

الزاي. الهيئة، فالعطف تفسيري، (**فقال: «ما أنتم»**؟) أي: ما صفتكم أمؤمنون أم كفار؟ ولذا أجابوا، (**قلنا: مؤمنون،**) أي: متصفون بالإيمان، فما يسأل بها عن صفات العقلاء، كما يسأل بها عن غيرهم.

قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾ [النساء: ٣]، أي: الطيب، فاستعملت ما لصفة ما يعقل، أي: للوصف المشتق الدال على الحدث وصاحبه، وليس المراد بالوصف مبدأ الاشتقاق، الذي هو المعنى المصدري، ضرورة أن المعنى المصدري لا ينكح، (**فتبسم عليه الصلاة والسلام**) فرحًا بإيمانهم، (**وقال: «إن لكل قول حقيقة»،**) أي: علامة أو ماهية، التي هي سبب في تحققه، (**فما حقيقة قولكم وإيمانكم،**) عطف تفسير، أو مسبب على سبب، والقول بمعنى المقول، (**قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا**). بفتحات، وإسكان تاء التأنيث، ونا مفعول والفاعل. (**رسلك،**) ففيه إفادة أنه أرسل إليهم رسلاً، وإن لم يذكرهم المصنف، ويحتمل أن مرادهم رسله الذين بعثهم إلى اليمن، إذ هم منه (**أن نؤمن بها،**) أي: نصدق (**وخمس أمرتنا**) . بفتح الهمزة، والميم، والراء وإسكان التاء. رسلك (**أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية،**) أي: ما قبل إيمانهم، (**فنحن عليها إلاَّ أن تكره منها شيئًا**) فنتركه، وهذا من قوة إيمانهم، ومزيد فقههم، (**فقال ﷺ: «ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي»؟ قلنا: أمرتنا أن نؤمن باللَّه،**) نصدق به وبصفاته الواجبة له (**وملائكته،**) جمع ملك، أي: نصدق بوجودهم، وأنهم، كما وصفهم اللَّه تعالى، عباد مكرمون، (**وكتبه**) نصدق بأنها كلام اللَّه، وإن ما اشتملت عليه حق، (**ورسله،**) أي: نصدق بصدقهم، فيما أخبروا به عن اللَّه تعالى، وتأخيرهم في الذكر لتأخر إيجادهم، لا لأفضلية الملائكة، (**والبعث بعد الموت**) من القبور ما بعده من الصراط والميزان والجنة والنار، (**قال: «وما الخمس التي أمرتكم**) رسلي (**أن تعملوا بها»؟ قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلاَّ اللَّه،**) أي: ومحمد رسول اللَّه، لأنها صارت علمًا على الشهادتين، أو أن رسله اقتصروا عليها تدريجًا لهم، واكتفاء بقولهم أوَّلاً ورسله، فحكوا له لفظ رسله، (**ونقيم الصلاة**) المكتوبة،

ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً.

قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟

قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضاء بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

فقال ﷺ: حكماء علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمسًا فتتم لكم عشرون خصلة، إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ....

أي: نديمها، أو نأتي بها على ما ينبغي، **(ونؤتي الزكاة)** المفروضة، **(ونصوم رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً)** طريقًا، **(قال: «وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية»، قلنا: الشكر عند الرخاء،)** أي: الثناء على اللّٰه تعالى عند حصول النعم، وصرفها فيما يحمد، كصدقة وإغاثة ملهوف، وغير ذلك، **(والصبر عند البلاء،)** أي: عدم الجزع والتضجر، وهذا قد يحصل، وإن لم يكن رضا، ولذا قال: **(والرضا)** وهو الانقياد والطمأنينة باطنًا، **(بمر القضاء،)** أي: بالمر من المقضي، فالإضافة بمعنى من أو بالمر لمقضى من إضافة الصفة للموصوف، بحيث نراه في الباطن، كالنعم التي يستلذ بها، فجمع بينهما للتنبيه على طلبهما معًا، أي: الصبر والرضا **(والصدق،)** أي: الثبات **(في مواطن،)** جمع موطن، كمسجد، مشاهد **(اللقاء)** للأعداء، بحيث لا نفر منهم، بل نصبر على حربهم، وإطلاق الصدق على الثبات مجاز شائع، **(وترك الشماتة،)** أي: الفرح **(بالأعداء)** إذا نزلت بهم مصيبة، **(فقال ﷺ: «حكماء علماء»،)** خبر مبتدأ محذوف، أي: هم، والمعنى أنهم يفعلون أمورهم، متقنة، موافقة للحق، والخطاب للحاضرين غيرهم ثناء عليهم، وقدم الحكمة على العلم، لأنها الصفة القائمة بهم، الدالة على كمال عقولهم، والعلم طريق إلى معرفة الحسن من القبيح، ولكن صاحبه قد لا يعمل به، ودليل تقديرهم دون أنتم قوله: **(كادوا)** قاربوا **(من فقههم أن يكونوا أنبياء)** لأن هذه الخمس التي تخلقوا بها من قبل، أنفسهم في الجاهلية، بعض صفات الأنبياء، وعلى تقدير المبتدأ أنتم والخطاب لهم يكون كادوا التفاتًا، إلاَّ أن الأول أبلغ، لما فيه من الاعتناء بالأخبار عن صفاتهم الحميدة، **(ثم قال: وأنا أزيدكم خمسًا، فتتم لكم عشرون خصلة، إن كنتم، كما تقولون»،)** متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم، **(فلا تجمعوا ما لا تأكلون،)** جواب الشرط، أي: زيادة على الحاجة، فيكون نفعه لمن بعدكم، وحسابه عليكم، والإتيان بالشرط بعد قوله حكماء علماء، حث لهم على ملازمة الفعل، كأنه قيل: وصفتم أنفسكم بما يفيد حرصكم على الإيمان

ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدًا زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون.

فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها.

الوفد الرابع والثلاثون:

وقدم عليه وفد بني المنتفق. ....

ومكملاته، فإن كنتم كذلك، فتخلقوا بهذه الخمس أيضًا، فإنه أدل على حسنكم، وكمال إيمانكم بما اتصفتم به، وهذا أولى من جعل أن بمعنى إذ، وليس الشرط متعلقًا بما قبله، بل جوابه، فلا تجمعوا، ولذا اقترن بالفاء، ولا ناهية فيه، وفي الأربع بعده، ولذا حذف النون.

وفي نسخة إثبات النون في الخمس على أنها أخبار بمعنى النهي، وهو أبلغ في المعنى من النهي الصريح، لأنه صورة خبر، كأنهم متصفون بذلك، **(ولا تبنوا ما لا تسكنون،)** فلا تزيدوا على الحاجة، فإن سكناكم في البناء لا يدوم لمفارقتكم له، وانتقاله لمن يسكنه بعدكم، فاللائق الاقتصار على قدر الضرورة، **(ولا تنافسوا،)** أي: لا تتزاحموا، وتتغالبوا، وترغبوا **(في)** حصول **(شيء أنتم عنه غدًا زائلون،)** مرتحلون وتاركوه، **(واتقوا اللّٰه،)** احذروا عذابه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، **(الذي إليه ترجعون،)** تصيرون، فيجازيكم على أعمالكم حسنة، أو ضدها، فتقواه تدفع عذابه عنكم، **(وعليه تعرضون،)** والتاء أصلها الواو، فأبدلت منها ولزمت، فصارت كالأصلية.

قال البيضاوي: الوقاية فرط الصيانة، والمتقي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة، وله ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي من العذاب المخلد، بالتبري عن الشرك وعليه قوله، وألزمهم كلمة التقوى.

والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع، والمعنى بقوله: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا.

والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق، ويتبتل إليه بشراشره، وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله: اتقوا اللّٰه حق تقاته، انتهى.

(وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون،) وهو الجنة، فإنها التي يخلد فيها المؤمنون، والرغبة فيها بالمسارعة والمسابقة إلى الأعمال الصالحة وترك المعاصي، وفي الصحيحين: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، **(فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام، وعملوا بها)** توفيقًا من اللّٰه لهم ببركته ﷺ.

(الوفد الرابع والثلاثون:)

(وقدم عليه وفد بني المنتفق) . بضم الميم، وسكون النون، وفتح الفوقية، وكسر الفاء،

روى عبد الله بن الإمام أحمد، في زوائد مسند أبيه عن دلهم بن الأسود عن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أبا رزين العقيلي، ....

وبعدها قاف. علم على أبي قبيلة من عامر بن صعصعة، (**روى عبد الله بن الإمام أحمد**) بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الرحمٰن الحافظ بن الحافظ.

روى عن أبيه وابن معين وخلق، وعنه النسائي، وابن صاعد، وأبو عوانة، والطبراني، وآخرون قال أبوه: ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث، لا يكاد يذاكرني إلا بما أحفظه.

قال الخطيب: كان ثقة ثبتًا فهمًا. ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، ومات سنة تسعين ومائتين.

(**في زوائد مسند أبيه**) يعني ما رواه من غير طريق أبيه في روايته مسند أبيه، فإنه قال في هذا الحديث: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير، قال: حدثني عبد الرحمٰن بن المغيرة الخزامي، قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن عياش الأنصاري، (**عن دلهم**) . بدال مهملة مفتوحة، ولام ساكنة، وهاء مفتوحة. (**ابن الأسود**) بن عبد الله بن حاجب العقيلي . بضم العين. حجازي مقبول، (**عن عاصم بن لقيط**) بن عامر العقيلي، ثقة من الطبقة الوسطى من التابعين.

روى له أصحاب السنن الأربعة، والبخاري في التاريخ، (**أن**) أباه (**لقيط**) . بفتح اللام، وكسر القاف، (**ابن عامر بن صبرة**) . بفتح المهملة، وكسر الموحدة، وراء وهاء، (**ابن عبد الله بن المنتفق بن عامر بن عقيل**) . بضم العين. والد القبيلة (**ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة**) . بصادين بعد كل عين مهملات. (**أبا رزين**) . بفتح الراء، وكسر الزاي، وسكون الياء وبالنون، بدل من اسم إن. (**العقيلي**) نسبة إلى جده عقيل المذكور، وهذا السياق صريح في أن أبا رزين اسمه لقيط بن عامر بن صبرة، وأن من قال ابن صبرة نسبة إلى جده، وبه جزم ابن معين والبخاري، وابن حبان، وابن السكن، وعبد الغني، وابن عبد البر وصححاه، وعليه مشى المزي في التهذيب، وقيل: إنهما اثنان ذهب إليه ابن المدينيُ، وخليفة، وابن أبي خيثمة، ومسلم، وابن سعد وغيرهم، وضعفه ابن عبد البر، فقال: ليس بشيء وعبد الغني بن سعيد، فقال: لا يصح، ولكن مشى عليه المزي في الأطراف، ورجحه في الإصابة، فترجم أولاً لقيط بن صبرة، وساق نسبه، كما هنا قائلاً العامري، روى عن النبي ﷺ، وعنه ابنه عاصم، ثم ترجم تلوه لقيط بن عامر بن عبد الله بن المنتفق بن عامر بن عقيل العامري أبو رزين العقيلي، روى عنه ابن أخيه وكيع بن عدس، وعبد الله بن حاجب، وعمرو بن أوس الثقفي، ذهب علي بن المديني، وخليفة بن خياط وابن أبي خيثمة، ومحمد بن سعد ومسلم، والبغوي، والدارمي، والباوردي، وابن قانع وغيرهم، إلى أنه غير لقيط بن صبرة المذكور قبله.

وقال ابن معين: إنهما واحد، وإن من قال لقيط بن عامر نسبه لجده، وإنما هو لقيط بن

المعروف في أهل الطائف، خرج وفدًا على رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مُلك بن المنتفق، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبًا فقال: يا أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا الآن، ألا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ، ألا ثم لعله يلهيه ....

صبرة بن عامر، وحكاه الأثرم عن أحمد، ومال إليه البخاري، وجزم به ابن حبان، وابن السكن، وعبد الغني بن سعيد في إيضاح الأشكال، وقال: قيل: إنه غيره وليس بصحيح، وكذا قال ابن عبد البر، وقال في مقابله: ليس بشيء، وتناقض فيه المزي، فجزم في الأطراف بأنهما اثنان، وفي التهذيب: بأنهما واحد، والراجح في نظري أنهما اثنان، لأن لقيط بن عامر معروف بكنيته، ولقيط بن صبرة لم تذكر كنيته إلاَّ ما شذ به ابن شاهين.

فقال أبو رزين العقيلي أيضًا: والرواة عن أبي رزين جماعة، ولقيط بن صبرة لا يعرف له راو إلاَّ ابنه عاصم، وإنما قوي كونه واحدًا عند من جزم به، لأنه وقع في صفة كل واحد منها، أنه وافد بني المنتفق، وليس بواضح، لاحتمال أن يكون كل واحد منهما رأسًا، انتهى.

وصواب قوله: وإن من قال لقيط بن عامر الخ... أن من قال لقيط بن صبرة نسبه لجده، وإنما هو لقيط بن عامر بن صبرة، كما هو المنقول عن ابن معين في الجامع، وهو الموافق، لما في سياق زوائد المسند، كما رأيت، وهو الذي في تقريبه إذ قال لقيط بن صبرة، ويقال إنه جده، واسم أبيه عامر (**المعروف في أهل الطائف، خرج وفدًا**) خبران (**على رسول الله ﷺ، ومعه صاحب له، يقال له نهيك**). بفتح النون، وكسر الهاء، وسكون الياء وكاف. (**ابن عاصم بن مُلك بن المنتفق** (العامري، ثم العقيلي، (**فوافيناه**) أي: أتيناه، وهو معمول لمحذوف، هو قال: ولفظ زوائد المسند، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب، فوافيناه (**حين انصرف من صلاة الغداة**) أي: الصبح، (**فقام في الناس خطيبًا، فقال: «يا أيها الناس ألا»**). بفتح الهمزة والتخفيف. أداة استفتاح نحو إلاَّ أن أولياء الله أتى بها للتنبيه، فيدل على تحقق ما بعدها («**إني قد خبأت لكم صوتي**»)، أي: (أدخرته، وجعلته لكم عندي خبيئة («**منذ أربعة أيام**») أي: من أولها إلى آخرها، لأن مذ ومنذ حرفا جر بمعنى من إن كان الزمان ماضيًا، كما في المغني. («**لتسمعوا الآن**») لأن الصوت قد استراح، فيقوى على التسميع، ففيه حثهم على الإستماع له، والإقبال له على ما يقوله، (**ألاَّ**) أداة استفتاح أيضًا تنبيهًا لهم على تحقق ما بعدها، وطلب إصغائهم، (**فهل**) تفريع على مقدر، أي: ألا تسمعون! فكأنهم، قالوا: نعم، فقال: فهل (**من**) زائد (**امرىء بعثه قومه، فقالوا له: اعلم**) فعل أمر (**لنا ما يقول رسول الله**) لنعمل به (**ألا**) تنبيه أيضًا، (**ثم**). بضم الثاء. بعد إتيانه لأجل علم ذلك، (**لعله يلهيه**) عن السماع المحصل

حديث نفسه أو حديث صاحبه، ألا وإني مسؤول هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا... الحديث. وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار، وفيه ثم قال: قلت يا رسول الله، علامَ أبايعك؟ فبسط ﷺ يده وقال: على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله شيئًا الحديث.

الوفد الخامس والثلاثون:

للعلم أحد أمور ثلاثة، (**حديث نفسه**) فيغفل عن السماع، أو لا يضبطه لاشتغاله بحديث نفسه، وهذا مشاهد، بحيث لو أراد علمه بعد، لطلب إعادته من المتكلم، (**أو حديث صاحبه**) له، والثالث وأسقطه المصنف قوله ﷺ: «أو يلهيه ضال»، هذا ثابت قبل قوله: (**ألا وإني مسؤول، هل بلغت**) ما أوحى إليك، (**ألا اسمعوا تعيشوا**) أي: تحيوا حياة أبدية سعيدة، فإنها الحياة المطلوبة، (**الحديث**) بطوله في نحو ورقتين، وفيه عقب قوله: تعيشوا، ألا اجلسوا، فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي، حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره، قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب، فضحك، وعلم أني أبتغي السقط، (**وفيه ذكر البعث، والنشور، والجنة، والنار، وفيه ثم قال:**) لقيط، (**قلت: يا رسول الله علامَ،**) أي: على أي شيء (**أبايعك**) بحذف ألف ما، كما قال ابن مُلك، وما في الاستفهام إن جرت حذف ألفها.

قال في الهمع: إلى، وعلى، وحتى يكتبن بالياء، فإن وصلت الثلاثة بما الإستفهامية، كتبن بالألف لوقوعها وسطًا نحو إلام، وعلام وحتام، وإنما كتب إلى وعلى بالياء ما لم يوصلا، بما لعود ألفهما ياء في إليه وعليه، وحتى تكتب ألفًا مع المضمر نحو حتاي وحتاك، وبالياء مع الظاهر، نحو حتى زيد انتهى. فكتابة على في بعض النسخ بالياء، خلاف قاعدة الخط، (**فبسط ﷺ يده، وقال: «على إقام الصلاة**) المفروضة (**وإيتاء الزكاة**) المعهودة، (**وأن لا تشرك بالله شيئًا»**).

لفظ الزوائد: إلهًا غيره (**الحديث،**) وليس فيه الصوم، ولا الحج، وكأنه اختصار من الراوي، فإن لفظه عقب قوله: إلهًا غيره، قال: قلت: يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب، قبض ﷺ يده، وظن أني مشترط، ما لا يعطينيه، قال: «تحل منها حيث شئت، ولا يجني عليك إلاَّ نفسك».

قال: فانصرفنا عنه، ثم قال: «ها إن ذين، ها إن ذين مرتين، لمن نقر أنهم من أتقى الناس لله في الدنيا والآخرة»، فقال له كعب بن الخدارية: من هم يارسول الله؟ قال: «بنو المنتفق»، قالها ثلاثًا، فانصرفنا، وها للتنبيه، وذين، يعني أبا رزين وصاحبه نهيك بن عاصم، والخدارية . بضم المعجمة، وتخفيف الدال، ولولا الإطالة لسقت الحديث بتمامه.

(**الوفد الخامس والثلاثون:**)

وقدم عليه ﷺ وفد النخع، وهم آخر الوفود قدومًا عليه. وكان قدومهم في نصف المحرم سنة إحدى عشرة، في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف، ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل.

(**وقدم عليه ﷺ وفد النخع**). بفتح النون، والخاء المعجمة، وبعين مهملة. قبيلة من مذحج. بفتح الميم، وسكون المعجمة، وكسر الحاء المهملة، وجيم. قبيلة من اليمن، (**وهم آخر الوفود قدومًا عليه، وكان قدومهم في نصف المحرم، سنة إحدى عشرة**) من الهجرة، وهذا، وأمثاله مبني على أول التاريخ هل هو المقدم، أو أول سنة المقدم، أو طرح بقية سنة القدوم، والحسبان من ثاني ستة أقوال، أغربها الثالث.

وقد قال ابن عبد البر والذهبي: قدم زرارة في نصف رجب، سنة تسع، فيحتمل أنه وفد فيها، ثم مع قومه سنة إحدى عشرة، كذا في النور (**في مائتي رجل**،) لم يعرف البرهان منهم إلاَّ زرارة، (**فنزلوا دار الأضياف**،) هي دار رملة بنت الحرث، النجارية، الصحابية، زوجة معاذ بن عفراء، (**ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل**،) لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن.

وقال ابن سعد في الطبقات: حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أشياخ النخع، قال: بعث النخع رجلين منهم إلى النبي ﷺ، وافدين بإسلامهم: أرطأة بن شراحيل بن كعب، والجهيش، واسمه الأرقم من بني بكر بن عمرو بن النخع، فخرجا حتى قدما عليه ﷺ، فعرض عليهما الإسلام، فقبلاه، فبايعاه على قومهما، وأعجبه ﷺ شأنهما، وحسن هيئتهما، فقال: «هل خلفتما وراءكما مثلكما»؟ قالا: يا رسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً، كلهم أفضل منا، وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء، ما يشاركونا في الأمر إذا كان، فدعا لهما ﷺ ولقومهما بخير، وقال: «اللهم بارك في النخع»، وعقد لأرطأة لواء على قومه، فكان في يده يوم الفتح، وشهد به القادسية، فقتل يومئذ، فأخذه أخوه دريد، فقتل، فأخذه سيف بن حارثة من بني حذيفة، فدخل به الكوفة، وأخرجه ابن شاهين بإسناد ضعيف عن قيس بن كعب النخعي؛ أنه وفد على النبي ﷺ، هو وأخوه أرطأة بن كعب، والأرقم، وكانا من أجل أهل زمانهما وأنظفه، فذكر الحديث، وسمى أخاه المقتول بعده يوم القادسية زيد بن كعب وجهيش. بضم الجيم، وآخره معجمة مصغر، وقيل: بفتح أوَّله، وكسر الهاء، وسكون التحتية، وقيل: بفتح الجيم، وسكون الهاء، بعدها موحدة، وبه جزم ابن الأمين.

روى ابن منده عن أبي هريرة، قدم جهيش بن أويس النخعي في نفر من أصحابه، فقالوا: يا رسول الله أنا حي من مذحج، فذكر حديثًا طويلاً، فيه شعر منه:

فقال رجل منهم، يقال له زرارة بن عمرو،يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجبًا، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جديًا أسفع أحوى، فقال له رسول الله ﷺ: هل تركت لك مصرة؟ قال: نعم، قال: فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك، فقال يا رسول الله: ما باله أسفع أحوى؟ ....

ألا يا رسول اللّه أنت مصدق فبوركت مهديًا وبوركت هاديا
شرعت لنا دين الحنيفة بعدما عبدنا كأمثال الحمير طواغيا

وعند أبي نعيم، عن الحرث: قدمنا من اليمن، فنزلنا المدينة، فخرج علينا عمر، فطاف في النخع، فتصفحهم، وهم ألفان وخمسمائة، وعليهم أرطأة، فقال عمر: سيروا إلى العراق، قالوا: بل نسير إلى الشام، قال: سيروا إلى العراق، فسرنا، فأتينا القادسية، فقتل منا كثير، ومن سائر الناس قليل، فسئل عمر عن ذلك، فقال: إن النخع ولوا أعظم الأمر وحدهم، ذكره في الإصابة في موضعين.

وعن ابن مسعود: سمعت رسول اللّه ﷺ يدعو لهذا الحي من النخع، أو قال، يثني عليهم، حتى تمنيت أني رجل منهم، **(فقال رجل منهم، يقال له زرارة بن عمرو)** بضم الزاي، وأبوه بفتح العين، وسماه ابن الكلبي، وتبعه ابن شاهين زرارة بن قيس بن الحرث بن عدي.

قال أبو حاتم: قدم نصف المحرم، سنة إحدى عشرة، وقال أبو عمر: بل كان قدومه في نصف رجب، سنة تسع، وبالأوّل جزم ابن سعد عن الواقدي، كذا في الإصابة، وتقدم جمع البرهان باحتمال قدومه أوّلاً وحده في التاريخ الأوّل، ثم مع قومه في هذا التاريخ: **(يا رسول اللّه إن رأيت في سفري هذا عجبًا،)** وفي رواية المدائني: رأيت في طريقي رؤيا هالتني، **(قال: وما رأيت؟ قال: رأيت أتانا)** بفتح الهمزة، وفوقية. حمارة أنثى، ولا يقال أتانة، قاله ابن السكيت، وجمع القلة آتن، كعناق وأعنق، والكثرة أتن. بضمتين.

روى البيهقي عن أبي هريرة، رفعه من لبس الصوف، وحلب الشاة، وركب الأتن، فليس في جوفه من الكبر شيء **(تركتها)** في الحي، كما في رواية، وللمدائني: خلفتها في أهلي **(كأنها ولدت جديًا،)** هو الذكر من أولاد المعز، **(أسفع)** بزنة أحمر، أسود مشرب بحمرة، **(أحوى)** كالتأكيد لما قبله، إذ الحوّة. بالضم. سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد، كما في القاموس، **(فقال له رسول اللّه ﷺ: «هل تركت لك مصرة»،)** اسم فاعل من أصر على الشيء، أقام عليه، والمراد حملها محقق ثابت.

وفي العيون: والمدائني أمة، وفي السبل امرأة، فلعل المصنف ترك الموصوف للخلاف فيه، كذا قيل، وإنما يتحقق الخلاف لو قيل: زوجة، فيرد لفظ امرأة إلى أمة، فلا خلاف.

(قال: نعم، قال: «فإنها قد ولدت غلامًا، وهو ابنك»،) دفع به ما قد يدخل عليه من الريبة إذ رأى اللون الغريب، **(فقال: يا رسول اللّه ما باله أسفع أحوى،)** أي: ما الحال الداعي إلى مجيئه

قال: ادن مني، فدنا منه، قال: هل بك من برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبيًا ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك، قال: فهو ذلك.

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان مدلجيان ومسكتان. قال: ذلك مُلْك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته.

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزًا شمطاء، خرجت من الأرض. قال: تلك بقية الدنيا.

بهذا اللون المخالف للون أبيه؟ **(قال: «ادن مني»،)** قصدته ستره لعلمه ﷺ أنه يخفيه، **(فدنا منه، قال: «هل بك برص تكتمه»!)** استفهام تقريري، أريد به طلب اعترافه به، ليرتب عليه الجواب، فيكون ألزم للحجة، **(قال: والذي بعثك بالحق نبيًا، ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك،)** فكأنه قال: نعم هو بي، ولكن والذي.. الخ، فهو معجزة، **(قال: فهو ذلك،)** أي: اللون الذي في ولدك أثر ما فيك من البرص، وهذا من المعجزات، **(قال: يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر، وعليه قرطان)**. بالضم. تثنية قرط، وهو ما يعلق في شحمتي الأذن، والجمع أقراط **(مدلجيان،)** كذا في النسخ، والمدلج الذي يسير الليل كله، ولا معنى له هنا، والذي في العيون، والإصابة، وغيرهما، كالمصنف نفسه في الرؤيا ودملجان. بضم اللام، وفتحها. شيء يشبه السوار، **(ومسكتان)**. بفتح الميم، والسين المهملة. سواران من ذهب، قاله المصنف في التعبير، والذي قاله ابن سيده، والجوهري: المسك بفتحتين أسورة من ذبل، أو عاج، والذبل بمعجمة، وموحدة ساكنة شيء كالعاج، وقيل: ظهر السلحفاة البحرية، فالمعنى على هذا سواران من ذبل، وفي الجامع لابن الأثير: المسكة بالتحريك أسورة من ذبل، أو عاج، فإذا كانت من غير ذلك أضيفت إلى ما هي منه، فيقال: من ذهب، أو فضة، أو غيرهما.

(قال: ذلك ملك). بضم الميم، وإسكان اللام. **(العرب رجع إلى أحسن زيه)**. بكسر الزاي، وشد الياء. هيئته **(وبهجته)** حسنه، لأن النعمان كان ملكًا على العرب، فالمعنى عادت العرب إلى ما كانوا عليه من العز والشرف، وذهبت غلبة الفرس والعجم بظهور المصطفى.

قال المصنف في الرؤيا: تعبيره السوارين هنا يرجع إلى بشرى، وعبرهما بالكذابين فيما مر، والجواب أن النعمان كان ملكًا على العرب من جهة الأكاسرة، وكانوا يسوِّرون الملوك ويحلونهم، فالسواران من زيهم ليسا بمنكرين في حقه، ولا بموضوعين في غير موضعهما عرفًا، وأما النبي ﷺ، فنهى عن لباس الذهب لآحاد أمته، فجدير أن يهمه ذلك، لأنه ليس من زيه، واستدل به على أنه أمر يوضع في غير موضعه، ولكن حمدت العاقبة بذهابه، **(قال: يا رسول الله ورأيت عجوزًا شمطاء)** بزنة حمراء، أي: أبيض شعر رأسها، **(خرجت من الأرض، قال: تلك بقية الدنيا،)** فلم يبق منها

قال: ورأيت نارًا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو، قال رسول الله ﷺ: تلك فتنة تكون في آخر الزمان. قال: يا رسول الله، وما الفتنة؟ قال: تقتل الناس إمامهم ـ وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه ـ يحسب المسيء فيها أنه محسن، ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها ابنك.

قال: يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهم لا يدركها. فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمن بن عفان رضي الله عنه. ....

إلا القليل بالنسبة للماضي، كالباقي من عمر العجوز مما مضى، **(قال: ورأيت نارًا خرجت من الأرض، فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو،)** ورأيتها تقول: لظى لظى، بصير وأعمى، أطعموني، آكلكم آكلكم، أهلككم ومالكم، هذا من جملة رؤياه، كما في المقصد الثامن والعيون، وكان معناه: تفترق الناس فيها فرقتين، بصير عرف الحق فاتبعه، وأعمى لم يهتد إلى طريق الحق فضل، ومعنى أطعموني: افتتنوا بي، وارتكبوا الضلال، **(قال رسول اللَّه ﷺ: «تلك فتنة تكون في آخر الزمان»،)** سماه آخرًا، مع أنها قتل عثمان رضي اللَّه عنه على معنى أنه لغلظ أمره وفحشه، بمنزلة ما يكون في آخر الزمان الذي تندرس فيه الأحكام وتزول، حتى كأنها لا أثر لها، أو أن المراد آخر زمان الخلافة الحقيقية التي جروا فيها على سنن المصطفى، وسماها آخرًا، مع أنه بقي منها مدة عليٍّ وابنه، لقرب قتل عثمان من آخرها، **(قال: يا رسول اللَّه وما الفتنة؟)** لأنها تطلق لغة على معان، فسأله أيها أراد، **(قال: «تقتل الناس إمامهم»،)** ولفظ الآتي في التعبير، قال: يفتك الناس بإمامهم، ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس، ثم قال: إطباق الرأس عظامه، والاشتجار الاشتباك والاختلاف.

(وخالف رسول اللَّه ﷺ بين أصابعه،) لم يبينوا صفة المخالفة، **(يحسب المسيء فيها أنه محسن،)** جملة مستأنفة للإشارة إلى غلبتها على الناس، فيظن المبطل أنه محق، **(ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى،)** ألذ **(من شرب الماء)** للظمآن.

وفي العيون وغيرها: أحل من الحل، وكأنه لغلبة اشتباه الحال، فيظن أنه محق، فيراه أشد حلاً من شرب الماء، وخصه لغلبة حصوله من جهة حل، كالأنهار والأمطار وغيرهما، **(إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها ابنك، قال: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن لا أدركها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم لا يدركها»، فمات،)** ولم يبينوا وقت موته **(فبقي ابنه)** عمرو بن زرارة، أو رده صاحب الإصابة في القسم الأول، وقال صحبته محتملة، **(فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه).**

انتهى ملخصًا من الهدى النبوي، والله الموفق وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في تعبيره الرؤيا ﷺ من المقصد الثاني. انتهى.

المقصَد الثَّالِث

فيما فضله الله تعالى به

من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه، تعالى به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية.

وما تدعو ضرورة حياته إليه ﷺ. وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول

في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق ....

وعند الكلبي وغيره: فكان أول خلق الله خلع عثمان بالكوفة، **(انتهى ملخصًا من الهدى النبوي)** لابن القيم، **(والله الموفق، وسيأتي هذا،)** أي: خبر زرارة **إن شاء الله تعالى (في تعبيره الرؤيا ﷺ من المقصد الثاني، انتهى)**.

كتاب الشمائل النبوية

المقصد الثالث: فيما فضله الله تعالى به

أي: في صفات صيره الله تعالى بها، زائدًا على غيره **(من كمال،)** بيان لما **(خلقته)** صورته التي خلق عليها والكمال يستعمل في الذوات والصفات، فالمعنى كماله في ذاته، وصفاته، **(وجمال صورته)** مساو لما قبله في المعنى، حسنه اختلاف اللفظ.

وفي المصباح، قال سيبويه: الجمال رقة الجسد، والأصل جمالة بالهاء، مثل صبح صباحة، لكنهم حذفوا الهاء، تخفيفًا لكثرة الاستعمال، **(وكرمه تعالى به،)** أي: عظمه، وميزه على غيره أصلاً، وذاتًا، وصفة **(من الأخلاق الزكية)** الصالحة، الزائدة في الكمال **(وشرفه،)** أعلاه **(به)** رتبة على غيره **(من الأوصاف)** الذاتية، القائمة به، **(المرضية)** عند ربه، وعند أولي الألباب، فهذه الألفاظ متقاربة المعاني، أو متحدة، **(وما تدعو ضرورة حياته إليه)** من غذائه ونحوه، كما يأتي له (ﷺ، **وفيه أربعة فصول:**

الفصل الأول:

في كمال خلقته وجمال صورته، وهي ما يظهر للناظرين من جسده ﷺ

(اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان،) التصديق **(بأن الله تعالى جعل خلق،)** أي:

بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله، فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه الكريمة، وما يتضح من عظيم أخلاق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس، ولله در الأبوصيري حيث قال:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

تقدير (**بدنه الشريف على وجه،**) أي: حال وهيئة، (**لم يظهر قبله، ولا بعده خلق آدمي مثله، فيكون ما يشاهد من خلق بدنه،**) أي: الصفة الظاهرة، (**آيات على ما يتضح،**) أي: ينكشف ويظهر (**من عظيم خلق نفسه الكريمة، وما يتضح من عظيم أخلاق نفسه،**) بيان لما، فأشار إلى أن المراتب ثلاث، المشاهد دليل على الباطن، وذلك الباطن دليل على ما أودع في قلبه من العلوم والمعارف، كما أفاده بقوله: (**آيات على ما تحقق**) . بفتح التاء. ثبت وصح (**له من سر قلبه المقدس،**) أي: ما اشتمل عليه من المعاني البديعة، فوصف المعاني بكونها مكنونة لا يطلع عليها، ولكن يستدل عليها بما ظهر من أخلاقه وكمالاته، وهو ﷺ وإن ظهر منه كمالات لا تحصى، فهي بالنسبة لما خفي، كنقطة من بحر، (**ولله در الأبوصيري**) محمد بن سعيد، الصنهاجي، الدلاصي، المولد، المغربي، الأصل، البوصيري المنشأ، ولد بدلاص أول شوّال، سنة ثمان وستمائة، وبرع في النظم.

قال فيه الحافظ: ابن سيد الناس، هو أحسن من الجزار والوراق، ومات سنة خمس، أو أربع وتسعين وستمائة، كان أحد أبويه من بوصير الصعيد، والآخر من دلاص. بفتح الدال المهملة. قرية بالبهنسا، فركبت النسبة منهما، فقيل: الدلاصيري، ثم اشتهر بالبوصيري، لنشأته بها، أو لأنها بلد أبيه، فقوله: الأبوصيري منتقد، لأن القرية إنما هي بوصير، والنسبة إليها البوصيري، كما في المراصد واللباب، ولبه في باب الموحدة، لا الهمزة، وفي نسخة الأبي صيري بالياء، ولا وجه له، لا إفرادًا ولا تركيبًا، (**حيث قال: فهو الذي، تم**) كمل، (**معناه**) حال باطنه، (**وصورته،**) حال ظاهره، بالرفع عطفًا على معناه، والنصب مفعول معه، (**ثم اصطفاه،**) اختاره (**حبيبًا بارئ،**) خالق (**النسم،**) جمع نسمة. بفتحتين. وهي الإنسان، وثم للترتيب في الأخبار، كما قال الأنصاري، نظرًا لما قبل وجوه، فإنه في الأزل تعلق علمه بكماله معنى وصورته، وإنه حبيبه، فهو ترتيب في الأخبار دون الصفات؛ أو في الاصطفاء، كما قال المحلى نظرًا للوجود الخارجي، فإن اتخاذه حبيبًا، ومخاطبته به بعد تمام معناه، صورته، (**منزه**) مبعد (**عن شريك في محاسنه،**) جمع محسن، بمعنى الحسن، أي: لا شريك له في حسنه، (**فجوهر**

يعني: حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه، لأنه الذي تم معناه دون غيره، وهي غير منقسمة بينه وبين غيره، وإلا لما كان حسنه تامًا، لأنه إذا انقسم لم ينله إلا بعضه فلا يكون تامًا.

وفي الأثر: أن خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا، فنزل ببعض الأحياء فقال له سيد ذلك الحي: صف لنا محمدًا، فقال: أما إني أفصل فلا، فقال الرجل: أجمل، فقال: الرسول على قدر المرسل، ....

الحسن،) أصله **(فيه غير منقسم،)** أي: متفرق.

ومعنى البيتين هو الذي كمل باطنه في الكمالات، وظاهره في الصفات، ثم اختاره خالق الإنسان حبيبًا، لا شريك له في الحسن، وجوهره لا يقبل القسمة بينه وبين غيره، كما أن الجوهر، الفرد المتوهم في الجسم، ويقول المتكلمون: الجسم مركب منه؛ غير منقسم بوجه، لا بالفرض، ولا بالوهم، ومن كان موصوفًا بكمال الصفات، ظاهرًا وباطنًا، كان محبوبًا، قاله الشيخ خالد، وإلى نحوه يومىء قول المصنف، **(يعني)** الناظم بقوله: جوهر الحسن، **(حقيقة الحسن)** لا مقابل العرض من الأشياء التي تقوم بأنفسها من الموجودات الخارجية. **(الكامل،)** قيد به لإفادة أنه المختص به، فلا ينافي وجود أصله في نحو الأنبياء، **(كائنة فيه، لأنه الذي تم معناه،)** تعليل لوجود الكامل فيه **(دون غيره، وهي غير منقسمة بينه وبين غيره وإلا لما كان حسنه تامًا، لأنه إذا انقسم لم ينله إلا بعضه فلا يكون تامًا،)** فحاصله: أن الانقسام المنفي أن يعطي نوعًا من الحسن، وغيره آخر منه، فيكون منقسمًا بينهما، بل أعطى ﷺ أعلى الصفات اللائقة بالبشر، وشاركه غيره في الإتصاف ببعضها، فيكون ذلك البعض مشتركًا، وتميز المصطفى بالزيادة التي لم يؤتها غيره، كما قال ابن المنير وغيره في حديث: أعطى يوسف شطر الحسن، يتبادر إلى بعض الأفهام أن الناس يشتركون في البعض الآخر، وليس كذلك، بل المراد أنه أوتى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ﷺ، فإنه بلغ الغاية ويوسف شطرها.

(وفي الأثر) المأثور، المنقول عن السلف؛ **(أن خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا، فنزل ببعض الأحياء، فقال له سيد ذلك الحي: صف لنا محمدًا، فقال: أما إني أفصل، فلا)** لعجزي عن التفصيل، لأن صفاته لا يمكن الإحاطة بها، **(فقال الرجل: أجمل،)** أي: أذكرها مجملة، **(فقال: الرسول على قدر المرسل،)** أي: حالة تليق به، وهو رسول اللّٰه، بعثه لتبليغ أحكامه، فمن لازمه أنه بالغ الغاية، فكل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له، فإن الملك إذا بعث رسولاً لقضاء ما يريد، إنما يرسل من يقدر على ذلك، بحيث يكون ذا مرتبة شريفة، وتصرف تام، ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل، لأن عموم رسالته، ونسخها لشرائع من قبله، يقتضي رتبة

ذكره ابن المنير في أسرار الإسراء.

فمن ذا الذي يصل قدره أن يقدر قدر الرسول، أو يبلغ من الاطلاع على مأثور أحواله المأمول والمسؤول؟!.

وقد حكى القرطبي - في كتاب الصلاة - عن بعضهم أنه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ، لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ. ولقد أحسن ....

زائدة عليهم، أولاً: ضرر في المشاركة، لأنه من حيث الإجمال (**ذكره ابن المنير**) ناصر الدين أحمد بن محمد الجذامي، الإسكندراني، العلامة، المتبحر في العلوم، صاحب التصانيف العديدة.

قال العز بن عبد السلام: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن دقيق العيد بقوص، وابن المنير بالإسكندرية.

(**في أسرار الإسراء**،) سماه المقتفى كتاب نفيس فيه فوائد جليلة، واستنباطات حسنة، وجعله قسمين، الأول في الإسراء، والثاني في السيرة النبوية من المبعث إلى الوفاة، (**فمن ذا الذي يصل قدره**،) استفهام إنكاري للتوبيخ لمن توهم وصول قدرته إلى ما أعطى المصطفى، ومعناه النفي، أي: لا يقدر أحد (**أن يقدر**) . بكسر الدال وضمها.

وقرأ السبعة: يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، بالكسر، فهو أفصح، قيل: وهو الرواية في حديث: فاقدروا له (**قدر الرسول، أو يبلغ**) عطف على يقدر، أي: ولا يبلغ (**من الاطلاع على مأثور أحواله، المأمول والمسؤول**،) ومن لا يصل لذلك كيف يمكنه التعبير عنه، وهذا ترق في النفي؛ فإنه لما نفى القدرة على الذكر أوّلاً، ولا يلزم منه عدم الاطلاع؛ لإمكانه مع العجز عن العبارة ترقى، فنفي الاطلاع أيضًا، فكأنه من نفي السبب بعد نفي ما يترتب عليه من المسبب.

(**وقد حكى**) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح . بإسكان الراء، وبالحاء المهملتين. أبو عبد الله، الأنصاري، الأندلسي، (**القرطبي**) . بضم القاف، والطاء، وموحدة. نسبة إلى قرطبة مدينة بالأندلس، المفسر كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين، الزاهدين، المشغولين بأمور الآخرة، أوقاته ما بين توجه، وعبادة وتصنيف، وله تصانيف كثيرة.

أخذ عن أبي العباس، أحمد بن عمر القرطبي، شارح مسلم، المتوفي بالإسكندرية سنة ست وعشرين وستمائة، وأخذ عن غيره، واستقر بمنية ابن خصيب، وبها مات سنة إحدى وسبعين وستمائة.

(**في كتاب الصلاة عن بعضهم؛ أنه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ**،) رفقًا من الله بنا، (**لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه، لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ**،) لعجزنا عن ذلك، (**ولقد أحسن**

الأبوصيري حيث قال أيضًا:

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى   للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد   صغيرة وتُكِل الطرف من أَمَم

وهذا مثل قوله أيضًا:

إنما مثلوا صفاتك للنا   س كما مثل النجوم الماء

وأشار بقوله «تظهر» إلى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقًا، ولقد بين عيب التشبيه بها على الإطلاق أبو النواس عفا الله عنه.......................

الأبوصيري حيث قال أيضًا، أعيا،) أعجز **(الورى)** الخلق، **(فهم)** معرفة **(معناه)** حاله، **(فليس يرى،)** يبصر **(للقرب والبعد فيه، غير منفحم،)** من نفحم إذا سكت عن الجدال، ولم يجب، **(كالشمس تظهر للعينين من بعد)**. بضم العين. لغة، لا تبعًا لضم الباء ضد قرب، **(صغيرة)** قدر المرآة، أو الترس **(وتكل)**. بضم فكسر. توقف **(الطرف)** البصر عند رؤيتها **(من أمم)**. بفتح الهمزة والميم الأولى، أي: قرب لو فرض ذلك لكبرها جدًا، فتكاد تخطف الطرف وتعميه، فلا تدرك لكمالها، وكذلك المصطفى، لا يدرك معناه في حالتي القرب والبعد، وإن شوهدت صورته، **(وهذا)** المعنى الذي ذكره في البردة، **(مثل قوله أيضًا)** في الهمزية، **(إنما مثلوا،)** صوّروا، أي: الأنبياء، أو الواصفون **(صفاتك،)** جمع صفة، وهو ما دل على معنى زائد على الذات **(للناس)** تمثيلاً، **(كما مثل،)** فهو نعت مصدر محذوف، **(النجوم الماء،)** حيث يرى فيه دون حقيقته، يعني أن واصفيه لم يبلغوا حقيقته ﷺ، لأنهم لم يحيطوا بها، وإنما غاية ما وصلوا إليه تصوير صورها الحاكية لمباديها، كما أن الماء لم يحك من النجوم إلاَّ مجرد صورها لا غير، **(وأشار بقوله: تظهر إلى وجه التشبيه بالشمس،)** فإنه من حيث الظهور **(لا مطلقًا،)** لأنه لا يشبه بها من كل وجه لعيوب فيها، هو منزه عنها، **(ولقد بيّن عيب التشبيه بها على الإطلاق أبو النواس،)** الحسن بن هانيء بن عبد الأول، شاعر ماهر من شعراء الدولة العباسية، له أخبار عجيبة، ونكت غريبة، وخمريات أبدع فيها، وسئل عن نسبه، فقال: أغناني أدبي عن نسبي، مات سنة أربع وتسعين ومائة، **(عفا الله عنه،)** وقد رؤى بعد موته، فقيل: ما فعل الله بك، قال: غفر لي بأبيات قلتها في مرضي، وهي تحت الوسادة، فنظرت، فإذا تحتها رقعة، مكتوب فيها بخطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة   فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن   فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعًا   فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ما لي إليك وسيلة إلاَّ الرجا   وجميل عفوك ثم إني مسلم

حيث قال:

يتيه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير
لأن الشمس تغرب حين تمسي وأن البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة في حقه عليه الصلاة والسلام إنما هي على سبيل التقريب والتمثيل، وإلا فذاته أعلى ومجده أغلى.

فأما رأسه الشريف المقدس فحسبك ما ذكره الترمذي في جامعه بسنده إلى هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله ﷺ عظيم الهامة.

ذكره ابن خلكان، (**حيث قال: يتيه**) يتكبر ويدعي ما ليس له، كما في القاموس: (**الشمس والقمر المنير**) تعاظمًا وافتخارًا، (**إذا قلنا**) في حقهما؛ (**كأنهما الأمير**) لأن رتبتهما دون رتبته، (**لأن الشمس تغرب حين تمسي**)، وذلك نقص، (**وأن البدر ينقصه المسير**) بخلاف الأمير، فصفاته لا تتغير، فمن قال في مدح الكامل: كأنه الشمس والقمر عكس التشبيه، فإن حقه أن يشبه الأدنى بالأعلى، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، (**وهذه التشبيهات الواردة في حقه عليه الصلاة والسلام، إنما هي على سبيل التقريب والتمثيل**،) وقد قال علي كرَّم اللّه وجهه يقول: ناعته لم أر قبله، ولا بعده مثله، أي: يقول ذلك عند العجز عن وصفه، (**وإلاَّ، فذاته أعلى**) بمهملة أشد علو، أي: رفعة في الأوصاف القائمة بها، مما ظهر وشوهد، (**ومجده**) عزه وشرفه (**أغلى**) . بمعجمة . أزيد مما شوهد من غلا السعر إذا زار وارتفع، وقد قال نفطويه في قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ [النور: ٣٥]، هذا مثل ضربه اللّه تعالى لنبيه ﷺ يقول: يكاد نظره يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآنًا، كما قال ابن رواحة:

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وإذا أردت بيان شيء من صفاته، (**فأما رأسه الشريف المقدس**،) المنزه المطهر، باعتبار أن القوى التي اشتمل عليها مقبلة على الحق، مشغولة باكتساب المعاني الدينيةُ، منزهة عما لا يليق، (**فحسبك**،) اسم بمعنى كافيك خبر وما بعده مبتدأ، أو عكسه، أو اسم فعل بمعنى يكفيك، فما محله رفع فاعل، أي: يكفيك في بيان صفته (**ما ذكره**،) أي: رواه (**الترمذي في جامعه، بسنده إلى هند بن أبي هالة**،) واسمه في أحد الأقوال النباش . بنون، فموحدة، ثم معجمة . التميمي، ربيب النبي ﷺ، أمه خديجة، قيل: استشهد يوم الجمل مع علي، وقيل: عاش بعد ذلك.

روى عنه الحسن بن علي، وقال: كان وصافًا، (**قال: كان رسول اللّه ﷺ عظيم الهامة**) . بالتخفيف . الرأس لكل ذي روح، أو ما بين حرب الرأس، أو وسط الرأس، وعظمه ممدوح، لأنه

وقال نافع بن جبير: وصف لنا علي رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: كان عظيم الهامة.

وأما وجهه الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير البائن.

أعون على الإدراكات والكمالات، لدلالته على كمال القوى الدماغية، وبها يتميز الإنسان من غيره، وكمالها قوّة تصرفها، فيما هي له، وهند عند من قال بها الحس المشترك، والخيال، والحافظة، والواهمة، والمفكرة، ثم المراد: العظم المعتدل لا الخارج، فإنه دليل على البلادة، كما أن الصغير جدًّا دليل على الخفة.

(**وقال نافع بن جبير**) بن مطعم النوفلي، معطوف على ما ذكره بحذف العائد، أي: وما قاله، أو مستأنف لتعدد الناعتين، (**وصف لنا علي رضي الله عنه رسول الله ﷺ، فقال: كان عظيم الهامة،**) وفي رواية: ضخم الرأس، وفي رواية: ضخم الهامة، ووصفه بذلك صح من طرق عن عدة من الصحب، (**وأما وجهه الشريف، فحسبك ما روى الشيخان:**) البخاري في صفة النبي ﷺ، ومسلم في فضائل النبي ﷺ، (**من حديث البراء**) بن عازب رضي الله عنهما، (**قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا**).

قال الحافظ: الأحاديث التي فيها صفته ﷺ، داخلة في قسم المرفوع، باتفاق، مع أنها ليست قولاً له، ولا فعلاً، ولا تقريرًا انتهى، ولذا قال الكرماني: موضوع علم الحديث ذاته ﷺ، من حيث إنه رسول الله وحده يعرف به أقواله وأفعاله وأحواله، وغايته الفوز بسعادة الدارين، (**وأحسنهم خلقًا،**) قال في الفتح: بفتح المعجمة للأكثر، وقال الكرماني: إنه الأصح، وضبطه ابن التين . بضمها، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤]. وللإسماعيلي خلقًا، أو خلقًا بالشك، ويؤيده قوله: أحسن الناس وجهًا، فإنه إشارة إلى الحسن الحسي، فيكون الثاني إشارة إلى الحسن المعنوي انتهى، والخلق بالضم، الطبع والسجية، (**ليس بالطويل الذاهب،**) أي: المفرط في الطول، (**ولا بالقصير البائن،**) بموحدة، اسم فاعل من بان إذا ظهر، أي: الواضح في القصر، وهذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، أي: البائن، فجعل البائن وصفًا لهما.

قال الحافظ: بموحدة من بان، إذا ظهر على غيره، أو فارق من سواه، انتهى، وحيث كان معناه لغة الواضح الظاهر، صح وصف كل من الطول والقصر به، فإذا نفيا عنه معًا، فمعناه أنه بينهما.

وعن أبي هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه. رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وابن حبان.

قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ، قال: ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرًا ومكانًا للشمس ......

وفي حديث أنس وغيره: إنه كان ربعة، لكنه إلى الطول أقرب، كما في رواية البيهقي، ثم الجمع بين النفيين، لتوجه الأول إلى الوصف، أي: ليس طوله مفرطًا، ففيه إثبات الطول، فاحتيج للثاني، ثم الوصفان صفة ذاتية له، فلا ينافي أنه كان إذا ماشى الطويل زاد عليه، لأنه معجزة.

روى ابن أبي خيثمة عن عائشة: لم يكن أحد يماشيه من الناس، ينسب إلى الطول إلاَّ طاله رسول اللَّه ﷺ، وربما اكتنفه الرجلان الطويلان، فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ونسب ﷺ إلى الربعة.

(**وعن أبي هريرة: ما رأيت شيئًا،**) بصرية فما بعده، صفة لشيئًا أو علمية، وهو أبلغ، فقوله: (**أحسن من رسول اللَّه** ﷺ) مفعول ثان، يعني، ولا مثله، كما هو مدلول العبارة عرفًا، (**كأن الشمس تجري في وجهه، رواه الترمذي، والبيهقي، وأحمد، وابن حبان،**) وابن سعد.

(**قال الطيبي: شبه جريان الشمس،**) حركتها (**في فلكها،**) كما قال تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ [يس: ٣٨]، (**بجريان الحسن في وجهه** ﷺ)، وفيه عكس التشبيه للمبالغة، هذا أسقطه من كلام الطيبي، فهو من باب التشبيه المصطلح عليه، وهو تشبيه حالة بحالة، وهو أن شدة النور وسريانه في وجه الناظر إليه، منزل منزلة الشمس التي ظهر نورها في وجهه، فشبه ظهور النور في وجهه، بظهور الشمس في وجهه، لكنه عكس التشبيه، فجعل نور الشمس هو المشبه، وجعل وجهه مقرًا لظهور نورها، وليس استعارة تبعية على معنى: أن جريان الشمس في فلكها، كجريان الحسن في وجهه، أي: شدة البريق واللمعان فيه، وعدم انحصاره في بعض منه دون باقيه، يشبه نور الشمس في فلكها، لفقد ضابطها، وهو تشبيه مصدر بمصدر، ثم يستعار اسم المصدر المشبه به إلى المشبه، كما يستعار قتل للضرب الشديد، وهنا لفظ يجري، متحد في المشبه والمشبه به، لأن مفهوم الجريان واحد، إلاَّ أن ينزل تغايرهما بالاعتبار منزلة تغايرهما بالذات، فتصح الإستعارة، لأن جريان الشمس في فلكها حقيقي، وجريان الحسن في وجهه مجازي.

(**قال**) الطيبي: (**ويحتمل أن يكون من تناهى**) . بهاء بعد ألف . (**التشبيه**) من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: من التشبيه الذي بلغ النهاية، حيث (**جعل وجهه مقرًا ومكانًا للشمس**) تجري فيه، فهذا بيان لجهة التناهي، أي: أنه جعل ما حقه أن يكون مشبهًا مشبهًا به، إذ جريان

ولله در القائل:

لـم لا يضيء بك الوجود وليلة فيه صباح من جمالك مسفر

فبشمس حسنك كل يوم مشرق وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفي البخاري: سئل البراء: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل القمر.

وكأن السائل أراد مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء فقال: بل مثل القمر، أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة،

الشمس في فلكها أمر ظاهر، وجريان الحسن في الوجه الوجيه، وإن كان أعظم، إلاَّ أن التشبيه به ليس متعارفًا، فجعله مشبهًا به، مبالغة في التشبيه، كما يقال الأصل: زيد كأسد، وأبلغ منه زيدًا أسد، وأبلغ منه الأسد، كزيد، فلا وجه لما قيل، لعل العبارة من تناسى بسين لا هاء، لأن تناسي التشبيه استعارة، نحو: رأيت أسدًا، وما هنا ليس استعارة لجمعه بين طرفي المشبه، وبعبارة أخرى شبه وجهه بالشمس في الإشراق، ثم عكس التشبيه ليكون أبلغ، فقال: كأن الشمس وجهه، ثم زاد في المبالغة على طريق التجريد، فانتزع منها شمسًا، جعلها في وجهه، كقوله لهم فيها دار الخلد، وأقحم، تجري على أنه حال، وأصله كأن الشمس، ثم كأن الشمس وجهه، ثم كأن الشمس في وجهه، وإنما قيدها بكونها جارية، لأن المراد ظاهرة، أو سائرة على وجه الأرض، أو لأن تلألؤ النور في وجهه، كتحركها، وهو أقوى في التشبيه، (**ولله در القائل**).

(**لـم لا يضيء بك الوجود**) استفهام تعجبي، أو إنكاري، على من منع الإضاءة به، (**وليلة فيه صباح من جمالك،**) أي: لا مانع لا يضيء بك، والحال أن ليله فيه نور أعظم من نور المصباح، ووصفه بقوله (**مسفر**) إشارة إلى أنه ليس المراد مجرده، فإن الصباح، كالصبح الفجر ونوره قليل، فدفع ذلك بالوصف، (**فبشمس حسنك كل يوم مشرق**) تعليل، (**وببدر وجهك**) من إضافة الصفة للموصوف، أي: بوجهك الذي هو كالبدر، (**كل ليل مقمر**) شديد البياض.

(**وفي البخاري**) عن أبي إسحٰق، قال: (**سئل البراء**) بن عازب، (**أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف، فقال: لا، بل مثل القمر**).

قال في فتح الباري: (**وكأن السائل أراد مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء**) ردًا بليغًا، (**فقال: بل مثل القمر، أي: في التدوير،**) فهو رد، لما توهمه السائل، وإثبات لخلافه.

قال السيوطي: زاد مسلم مستديرًا، وهو يؤيد أن السائل أراد هذا الاحتمال، (**ويحتمل أن يكون**) السائل (**أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة**) ـ بكسر الصاد ـ الجلاء ـ بجيم، فهو عطف

فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان.

وقال الحافظ النسابة أبو الخطاب بن دحية رحمه الله تعالى في كتابه «التنوير» في مولد البشير النذير» عند إيراد حديث البراء المذكور ما لفظه: ففي هذا الحديث من العلم أن التشبيه ممن لا يحسنه لا يصلح الإقرار عليه، لأن السائل شبه وجه رسول الله ﷺ بالسيف، ولو شبهه بالشمس كان أولى، فرد عليه البراء قوله وقال: بل مثل القمر، وأبدع في تشبيهه، لأن القمر يملأ الأرض بنوره، ويؤنس كل من يشاهده، ونوره من غير حر يفزع، ....

سبب على مسبب، إذ الجلاء سبب اللمعان، **(فقال: بل فوق ذلك، وعدل)** عن التشبيه بالشمس، **(إلى)** التشبيه بـ **(القمر؛ لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان،)** فهو رد لتوهم السائل أن لمعانه، كلمعان السيف، بأنه وإن شاركه في اللمعان، لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء، قيل: ويحتمل أن السائل سأل عنهما جميعًا، ويبعد إرادة الأول فقط زيادة مسلم، لا بل مثل الشمس والقمر، وكان مستديرًا، إذ لو كان السؤال عن طوله، كفاه في الجواب، لا بل مثل القمر، أي: لا كان مثل السيف في الاستنارة، ولا الاستطالة، انتهى.

ويجاب بأنه تبرع بزيادة في الجواب، تعليمًا للسائل كيف يسأل، فكأنه قال مفاد سؤالك أنه مثله في الطول، ولا يليق السؤال عنه.

(وقال الحافظ النسابة أبو الخطاب) عمر بن حسن بن علي بن محمد، الشهير بأنه **(ابن دحية،)** لأنه من ذرية دحية الكلبي، الصحابي، الأندلسي، كان بصيرًا بالحديث، متقنًا، معروفًا بالضبط؛ جال البلاد، ودخل أصبهان والعراق ومصر، وأدب الملك الكامل، ونال دنيا عريضة، ومات سنة ثلاث وثلاثين وستمائة **(رحمه الله تعالى في كتابه التنوير في مولد البشير النذير،)** أحازه على تأليفه الملك المظفر، صاحب إربل . بكسر الهمزة، والموحدة، ولام . بألف دينار **(عند إيراد حديث البراء المذكور ما لفظه، ففي هذا الحديث من العلم أن التشبيه ممن لا يحسنه لا يصلح،)** أي: لا يليق **(الإقرار عليه، لأن السائل شبه وجه رسول الله ﷺ بالسيف، ولو شبهه بالشمس كان أولى)** لظهورها، لكن السائل لم يتعرض لغير السيف، فلعل المعنى أن هذا أمر قدر على لسانه، كأنه حذف معادل مثل السيف، وهو الشمس، وإن تشبيهه بها أولى، **(فرد عليه البراء قوله وقال: بل مثل القمر، وأبدع في تشبيهه،)** أتى بأمر بالغ؛ لا يساويه غيره من أنواع التشبيه هنا، **(لأن القمر يملأ الأرض بنوره،)** لا سيما ليلة كماله، وقد تكون أل في القمر للإشارة إلى أن المراد ليلة تمامه بخلاف الشمس؛ فإنها تطلع وقت طلوعها مع ظل، ثم ترتفع شيئًا فشيئًا إلى أن يميل الظل، **(ويؤنس كل من يشاهده ونوره، من غير حر يفزع)** . بفاء وزاي .

ولا كلل ينزع، والناظر إلى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس التي تعشي البصر.

وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة، وقال له رجل أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا.

وإنما قال: مستديرًا، للتنبيه على أنه جمع الصفتين، لأن قوله: مثل السيف يحتمل أن يريد به الطول، ويحتمل أن يريد به اللمعان كما تقدمت إليه الإشارة فيما سبق من العبارة، فرده المسؤول ردًا بليغًا، ولما جرى ....

يؤلم، **(ولا كلل ينزع)**. بفتح الياء، وسكون النون، وكسر الزاي، أي: ولا ثقل في العين يضعفها، حتى كأنه يقلع البصر منها، **(والناظر إلى القمر متمكن من النظر)** عطف مسبب على سبب، **(بخلاف الشمس التي تعشى)**. بعين مهملة. تضعف **(البصر)** ويحتمل إعجامها، أي: تحدث في البصر ما هو كالغشاوة.

(وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة). بفتح المهملة، وضم الميم، وتسكن للتخفيف. ابن جنادة بن جندب، العامري، صحابي، ابن صحابي، روى له الستة. ومات سنة ثلاث، أو أربع، أو ست وسبعين، وصلى عليه عمرو بن حريث الصحابي، **(وقال له رجل:)** جملة حالية بتقدير قد، ويحتمل أنه الذي سأل البراء، فيكون سؤاله لأحدهما بعد الآخر زيادة في التثبت، ويحتمل أن يكون غيره وقد أعل النسائي هذا، فقال: إسناده إلى جابر خطأ، وإنما هو عن البراء، وتعقب بقول البخاري الحديث صحيح عن جابر وعن البراء جميعًا، **(أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف، فقال: لا، بل مثل الشمس)** في البهاء والإشراق، **(والقمر)** في الاستدارة والنور، **(وكان مستديرًا)** لا طويلاً كالسيف، فالمراد استدارة مع الأسالة، كما في حديث أبي هريرة: كان أسيل الخدين، والقصد تشبيهه بمحاسن كل حسن، مجردًا عما في ذلك المشبه به من الخلل، كما قال بديع الزمان:

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبًا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

(وإنما قال: مستديرًا،) كما قال الحافظ بعد نقله رواية مسلم في الفتح، **(للتنبيه على أنه جمع الصفتين، لأن قوله: مثل السيف، يحتمل أن يريد به الطول، ويحتمل أن يريد به اللمعان، كما تقدمت إليه الإشارة،)** قريبًا **(فيما سبق من العبارة،)** ويحتمل إرادتهما معًا، **(فرده المسؤول ردًا بليغًا)**، بنفي قوله مثل السيف، بقوله لا، ثم إضرابه إلى التشبيه بالنيرين، **(ولما جرى**

التعارف به أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالبًا الإشراق، وبالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرهما، فقوله وكان مستديرًا، إشارة إلى أنه أراد به التشبيه بالصفتين معًا: الحسن والاستدارة.

وقال المحاربي عن أشعث عن أبي إسحٰق عن جابر بن سمرة أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان وعليه حلة حمراء، ....

التعارف،) أي الأمر المتعارف (**به**) بين الناس (**أن التشبيه بالشمس، إنما يراد به غالبًا الإشراق**،) دون الضرر والإحراق، (**وبالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرهما**)، وجواب لما سقط من قلم المصنف لما نقل من الفتح، وهو ثابت فيه بلفظ أتى بقوله: وكان مستديرًا، إشارة الخ، ويحتمل أن المصنف جعل، (**فقوله: وكان مستديرًا**) دليلاً على جواب، لما الذي حذفه، أو أنه جواب، لما دخلته الفاء على قلة، وهو واقع في كلامه كثيرًا، أو أن لفظ لما بكسر اللام، وخفة الميم عطف على للتنبيه، وما مصدرية، (**إشارة إلى أنه أراد به التشبيه بالصفتين معًا، الحسن والإستدارة**،) ولو اقتصر على هذا جاعلاً له جواب لما، وحذف لفظ فقوله: وكان مستديرًا، أو أتى بلفظ الفتح، كما هو لا غنى عن ذلك التمحل.

(**وقال المحاربي عن أشعث**) . بفتح الهمزة، وإسكان المعجمة، فمهملة، فمثلثة. هو ابن سوار، كما في الشمائل. بفتح المهملة، وشد الواو.

قال في التقريب قاضي الأهواز: ضعيف. مات سنة ست وثلاثين ومائة.

روى له البخاري في تاريخه، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي في الشمائل، ولفظه: حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا عبثر، عن أشعث، يعني ابن سوَّار، (**عن أبي إسحٰق**،) عمرو بن عبد اللَّه، الهمداني، السبيعي. بفتح المهملة، وكسر الموحدة. ثقة مكثر عابد.

روى له الستة من أواسط التابعين، مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل: قبلها (**عن جابر بن سمرة؛ أنه قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ في ليلة إضحيان**) . بكسر الهمزة، وسكون المعجمة، وكسر الحاء المهملة، فياء، فألف، فنون منوّنة. صفة لليلة، أي: مضيئة مقمرة من أولها إلى آخرها، لا ظلمة فيها، ولا غيم، والألف والنون زائدتان، كما في النهاية، والقياس أضحيانة، وكأنه لتأويل ليلة بليل.

قال الزمخشري: وافعلان في كلامهم قليل جدًا، ومنع بعضهم إضافته، لأنه صفة لقمر، ورد بأنه لا يمنع من الإضافة، لجواز أن ليلة مضافة إلى أضحيان بعد حذف موصوفة، والأصل ليلة قمر أضحيان، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه، (**وعليه حلة حمراء**،) بيان لما

فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو في عيني أحسن من القمر، وفي رواية: بعد قوله حمراء: فجعلت أماثل بينه وبين القمر.

وروى الترمذي والبيهقي عن علي أنه نعته ﷺ فقال: لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير. والمكلثم: المدور الوجه، أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل.

وأنه في حديث علي عند أبي عبيد في الغريب: وكان في وجهه تدوير قليل، قال أبو عبيد.........................

أوجب التأمل فيه، لظهور مزيد حسنه حينئذ، **(فجعلت أنظر إليه)** تارة، **(وإلى القمر)** أخرى، **(فلهو)** بلام الابتداء، وجواب قسم **(في عيني)** قيد بذلك افتخارًا باعتقاده، لا لتخصيصه دون غيره، فإنه **(أحسن من القمر)** في عيني كل من رآه.

وفي رواية: فلهو عندي أحسن من القمر، **(وفي رواية بعد قوله: حمراء، فجعلت أماثل بينه وبين القمر)**، فلهو عندي أحسن من القمر.

(وروى الترمذي والبيهقي، عن علي؛ أنه نعته) وصفه **(ﷺ، فقال)** في جملة حديث: **(لم يكن بالمطهم)**.

قال المصنف في شرح الشمائل الرواية فيه وفي قوله: **(ولا بالمكلثم)** بلفظ اسم المفعول فقط، والمطهم، الفاحش السمن، وهذا قريب من قول الترمذي: البادن، الكثير اللحم، أو المنتفخ الوجه، الذي فيه عبوس ناشيء عن السمن، أو النحيف الجسم، وهو من الأضداد، أو طهمة اللون، أن تجاوز سمرته إلى سواد، ووجه مطهم إذا كان كذلك، ولا مانع من إرادة هذا الأربع هنا، وغلط من فسره هنا بالبارع، الجمال التام، كل شيء منه على حدته، لأنه مدح، وقد نفاه، **(وكان في وجهه تدوير، والمكلثم المدور الوجه)** نحو قوله الصحاح: الكلثمة اجتماع لحم الوجه، زاد القاموس: بلا جهومة ـ بالجيم، أي: غلظ فيه يوجب كراهته، فتنكير تدوير للنوعية، أي: نوع منه، أو للتقليل، أي: شيء منه، فلا ينافي نفي الكلثمة، كما توهم، وإلى هذا أشار بقوله، **(أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل)** فهذه الجملة، كالمبينة بقوله، ولا بالكلثم، إشارة إلى أنه ليس كل تدوير حسنًا، **(و)** يدل على إرادة علي رضي الله عنه ذلك، **(أنه في حديث علي)** نفسه، **(عند أبي عبيد في)** كتاب **(الغريب)**، أي: ما يحتاج إلى تفسيره من الحديث، **(وكان في وجهه تدوير قليل)**، فزاد لفظ قليل، فيحمل عليه حديثه الذي فيه إسقاطه، لأن الحديث يفسر بعضه بعضًا، لا سيما مع اتحاد المخرج، ولذا **(قال أبو عبيد)** القٰسم بن سلام بالتشديد، البغدادي، الإمام، الحافظ المشهور، له تصانيف. مات سنة أربع

في شرحه: يريد أنه ما كان في غاية التدوير، بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب.

وفي حديث أبي هريرة عند الذهلي في الزهريات في صفته ﷺ: كان أسيل الخدين. قال ابن الأثير: الأسالة في الخد: الاستطالة وأن لا يكون مرتفع الوجنة. وقال شيخ الإسلام الحافظ بن حجر: ولعل هذا هو الحامل لمن سأل أكان وجهه مثل السيف.

وأخرج البخاري عن كعب بن مٰلك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، أي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو

وعشرين ومائتين.

قال في التقريب: ثقة من العاشرة ولم أر له في الكتب، أي: الستة حديثًا مسندًا، بل من أقواله في شرح الغريب، (**في شرحه يريد أنه ما كان في غاية التدوير، بل كان فيه سهولة، وهي أحلى**) . بالحاء المهملة. (**عند العرب**) وغيرهم من كل ذي دوق سليم وطبع قويم، بل قال الترمذي الحكيم، استدارته المفرطة دالة على الجهل. (**وفي حديث أبي هريرة عند الذهلي**) . بذال معجمة وهاء، تليها لام. محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري الحافظ، روى عن أحمد، وإسحٰق، وابن المديني، وخلق، وعنه البخاري، وأصحاب السنن، وأمم.

قال أبو بكر بن أبي داود: كان أمير المؤمنين في الحديث، وقال الخطيب: كان أحد الأئمة العارفين، والحافظ المتقنين، والثقات المأمونين، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين على الصحيح، وله ست وثمانون سنة (**في الزهريات**،) كتاب جمع فيه حديث ابن شهاب الزهري وجوَّده.

قال الخطيب: كان أحمد بن حنبل يثني عليه، ويشكر فضله (**في صفته ﷺ، كان أسيل**) بهمزة مفتوحة، فسين مهملة مكسورة، فياء ساكنة، فلام. لين (**الخدين**) غير مرتفع الوجنتين، وهو بمعنى حديث هند سهل الخدين.

(**قال ابن الأثير**) في النهاية: (**الأسالة في الخد الاستطالة، وأن لا يكون مرتفع الوجنة**،) أي: عاليها، (**وقال شيخ الإسلام، الحافظ ابن حجر: ولعل هذا**) لفظ الفتح، وكأن قوله: أسيل الخدين، (**هو الحامل لمن سأل أكان وجهه مثل السيف**)، لأن الأسالة الاستطالة، فيؤيد احتمال أنه سأل عن الطول، (**وأخرج البخاري عن كعب بن مٰلك**،) الأنصاري، الخزرجي (**قال: كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار**،) أي: أضاء (**وجهه**،) حتى (**كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه**،) أي: استنارة وجهه إذا سر، وقوله: كأنه، (**أي: الموضع الذي يتبين فيه السرور، وهو جبينه**،) ولذا قال: قطعة قمر، ولعله كان حينئذ متلثمًا، وكان التشبيه وقع على بعض الوجه،

جبينه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: دخل عليَّ النبي ﷺ يومًا مسرورًا تبرق أسارير وجهه.

ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر.

وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني: التفت إلينا رسول الله ﷺ بوجه مثل شقة القمر، فهذا محمول على صفته عند الالتفات.

وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مُلك من طرق في بعضها: كأنه دارة قمر.

ويسأل عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد للبلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير ....

فناسب أن يشبه ببعض القمر، قاله في الفتح، والجبين فوق الصدغ، وهو جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، كما في المختار، وعليه فالنور المشاهد منه ليس في الجبهة، **(وقالت عائشة رضي الله عنها: دخل عليّ النبي ﷺ يومًا مسرورًا،)** فرحًا **(تبرق)** . بضم الراء. تضيء وتستنير من الفرح **(أسارير وجهه،)** جمع أسرار جمع سر. بكسر السين، وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح، وبقية الحديث في البخاري، فقال ﷺ: ألم تسمعي ما قال المدلجي لزيد أسامة، ورأى أقدامهما أن بعض هذه الأقدام من بعض، **(ولذلك قال كعب: كأنه قطعة قمر،)** إشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين، **(وفي حديث جبير بن مطعم،)** القرشي، النوفلي **(عند الطبراني: التفت إلينا رسول الله ﷺ بوجه مثل شقة)** . بكسر الشين. قطعة **(القمر،)** وأما الشقة . بضم الشين، فالقطعة من الثوب والسفر البعيد، كما في الصحاح وغيره، **(فهذا محمول على صفته عند الالتفات،)** كما قاله الحافظ، يدل عليه لفظ التفت، وأما قول كعب قطعة قمر، فيحتمل أنه كان حينئذ متلثمًا، فوقع التشبيه على البعض، كما مر، ويحتمل كما قال الحافظ أيضًا أن يريد بقطعة قمر القمر نفسه.

(وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مُلك، من طرق في بعضها، كأنه دارة قمر،) أي: الدائرة حوله، وهي الهالة، أي: كأنه في شدة نور هالة القمر، يعني، فهذا يؤيد احتمال أنه أراد بالقطعة القمر نفسه من التعبير بالبعض عن الكل، **(ويسأل عن السر،)** النكتة الخفية **(في التقييد بالقطعة)** في قول كعب، كأنه قطعة قمر، **(مع كثرة ما ورد للبلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير**

تقييد. وقد كان كعب بن مٰلك قائل هذا من شعراء الصحابة، فلا بد للتقييد بذلك من حكمة. وما قيل في أن ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بالقوي، لأن المراد بتشبيهه ما في القمر من الضياء والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها أقل مما في القطعة المجردة، فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر، أخرجه أبو نعيم.

وروى البيهقي عن أبي إسحٰق الهمداني ....

تقييد، وقد كان كعب بن مٰلك قائل هذا من شعراء الصحابة،) الفصحاء، البلغاء، فلا يعدل عن المتعارف بينهم إلاَّ لسبب، **(فلا بد للتقييد بذلك من حكمه،)** لئلا يضيع، **(وما قيل)** القائل هو السراج البلقيني، كما قاله المصنف وغيره، وأبهمه هنا تبعًا للحافظ تأدبًا، لأنه شيخه، **(في أن ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر)** بيان لما قيل، ولفظ المصنف في الشرح، أجاب السراج البلقيني: بأن وجه العدول أن القمر فيه قطعة، يظهر فيها سواد، وهو المسمى بالكلف، فلو شبه بالمجوع لدخلت هذه القطعة في المشبه، وغرضه إنما هو التشبيه على أكمل الوجوه، فلذا قال: كأنه قطعة قمر، يريد القطعة الساطعة الإشراق، الخالية من شوائب الكدر اهـ. **(ليس بالقوي، لأن المراد بتشبيهه،)** أي: الوجه، وفيه حذف هو تشبيهه **(ما في القمر من الضياء والاستنارة،)** لا بما فيه من النور والسواد معًا، **(وهو،)** أي: القمر **(في تمامه لا يكون فيها أقل مما في القطعة المجردة،)** بل ما فيها في غير التمام يكون مساويًا، لما في القمر بجملته، أو أكثر، وقد يقال: بل هو قوي، لأن المراد بالقطعة المشبه بها ما فيه من النور، خاصة وهو خال من السواد، كبرت القطعة، أو صغرت؛ والقمر أبدًا لا يخلو من سواد، سواء وقت التمام وغيره، ومن قوله: ويسأل إلى هنا ذكره الحافظ في المغازي، وقال عقبه: فيوجه بأنه إشارة إلى موضع الاستنارة، وهو الجبين، وفيه يظهر السرور، كما قالت عائشة: مسرورًا، تبرق أسارير وجهه، **(فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه)** الذي هو الجبين، **(فناسب أن يشبه ببعض القمر،)** وتقدم له قريبًا مزيد.

(وعن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، قال: كان وجه رسول اللّه ﷺ كدارة القمر،) قال الجوهري: الدارة أخص من الدار، والدارة التي حول القمر، وهي الهالة، **(أخرجه أبو نعيم، وروى البيهقي، عن أبي إسحٰق،)** عمرو بن عبد اللّه، **(الهمداني)** . بفتح الهاء، وإسكان الميم، ومهملة.

عن امرأة من همدان ـ سماها ـ قالت: حججت مع النبي ﷺ مرات فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران يكاد يمس شعره منكبه إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إلى فمه فيقبله. قال أبو إسحٰق: فقلت لها شبهيه فقالت: كالقمر ليلة البدر، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن

نسبة إلى همدان شعب من قحطان السبيعي. بفتح المهملة وكسر الموحدة. التابعي الجليل تقدم قريبًا، (**عن امرأة من همدان، سماها**) أبو إسحٰق، ونسيها الراوي، عنه (**قالت: حججت مع النبي ﷺ مرات**) كذا هنا، فلعلها قبل الهجرة، إذ لم يحج بعدها سوى حجة الوداع، (**فرأيته على بعير له**) في حجة الإسلام، (**يطوف بالكعبة بيده محجن**). بكسر الميم، وإسكان المهملة، وفتح الجيم، ونون عصا معوجة الرأس (**عليه بردان أحمران، يكاد**) يقرب، (**يمس شعره منكبه إذا مر بالحجر**) الأسود، (**استلمه بالمحجن، ثم يرفعه إلى فيه فيقبله**).

(**قال أبو إسحٰق: فقلت لها شبهيه**) ﷺ، (**فقالت: كالقمر ليلة البدر**) فاستعملت البدر في الصفة اللازمة، وهي الكمال، فكأنها قالت: كالقمر ليلة كماله، (**لم أر**) لم أبصر (**قبله، ولا بعده مثله**) من يساويه خلقًا وخلقًا، وهذه جملة ثانية معربة عن كمال حسنه، ونهاية جماله (ﷺ)، وظاهره نفي رؤية مثله قبل رؤيته وبعدها، وذلك متعارف في المبالغة في نفي المثل، سواء وجد المتكلم في زمن قبل أم لا. فهو كناية عن نفي كون أحد مثله، فيدل عرفًا على أنه أحسن من كل أحد، وإذا انتفى المثل الذي هو أقرب إليه من الأحسن في مقام ذكر المحاسن، فالأحسن أنقى، لأنه إن وجد كان مثلاً وزيادة.

(**وروى الدارمي**). بفتح الدال المهملة، وكسر الراء، نسبة إلى دارم، بطن من تميم عبد اللّٰه بن عبد الرحمٰن بن الفضل بن بهرام، أبو محمد السمرقندي، الحافظ، صاحب المسند، أحد الأعلام الثقات.

روى عن يزيد بن هٰرون، وأبي عاصم وغيرهما، وعنه مسلم، وأبو داود، والترمذي وخلق، سئل عنه أحمد، فقال للسائل: عليك بذاك السيد.

قال ابن حبان: كان من الحفاظ المتقنين، جمع، وتفقه، وصنف، وحدث، وأظهر السنة ببلده، ودعا إليها، وذب عن حريمها، وقمع من خالفها، ومات يوم التروية، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله أربع، أو خمس وسبعون سنة.

(**والبيهقي، وأبو نعيم**) أحمد بن عبد اللّٰه الأصبهاني، (**والطبراني**) سليمان بن أحمد بن أيوب، تقدم بعض ترجمة الثلاثة، (**عن أبي عبيدة**). بضم العين مصغر. (**ابن محمد بن عمار بن**

عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوّذ صفي لنا رسول الله ﷺ، قالت: لو رأيته لقلت: الشمس طالعة، وفي لفظ: يا بني لو رأيته لرأيت الشمس طالعة.

وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض مليح الوجه.

وفيما خرجه الترمذي من حديث هند بن أبي هالة: ....

ياسر) العنسي - بالنون - المدني، أخي سلمة، وقيل: إنه هو التابعي الوسط مقبول، روى له الأربعة، **(قال: قلت للربيع)** - بضم الراء، وفتح الموحدة، وشد التحتية مصغر - صحابية صغيرة، روى لها الستة **(بنت معوّذ)** - بضم الميم، وفتح المهملة، وتشديد الواو، وفتحها على الأشهر، وجزم الوقشي - بالكسر، كما في الفتح في غزوة بدر صحابي جليل، مشهور بأنه ابن عفراء، استشهد ببدر رضي اللّه عنه، **(صفي لنا رسول اللّه ﷺ، قالت: لو رأيته، لقلت الشمس طالعة)** أي: لرأيت نورًا عظيمًا، بحيث تظن، لما ترى من بهجة وجهه أن الشمس طالعة.

(وفي لفظ: يا بني) بالتصغير، للتحبب والشفقة، **(لو رأيته لرأيت الشمس طالعة)**.

وقال الطيبي معناه: لرأيت شمسًا طالعة، جردت من نفسه الشريفة نفسًا، نحو قولك: لئن لقيته، لتلقين أسدًا، وإذا نظرت إليه لم تر إلاَّ أسدًا.

(وروى مسلم عن أبي الطفيل) عامر بن واثلة، بمثلثة، ابن عبد اللّه الليثي: رأى النبي ﷺ، وروى عن أبي بكر، فمن بعده وعمر، إلى أن مات سنة عشر ومائة، على الصحيح عند الذهبي، وتبعه في التقريب، وجزم مسلم وابن عبد البر؛ بأنه مات سنة مائة، واقتصر عليه العراقي، وهو آخر من مات من الصحابة، قاله مسلم وغيره.

ولد عام الهجرة، أو ثانيها، وفي رواية لمسلم أيضًا، والترمذي عنه: رأيت النبي ﷺ، وما بقي على وجه الأرض أحد رآه غيري، **(أنه قيل له: صف لنا رسول اللّه)** القائل له سعيد الجريري - بضم الجيم، وراءين مصغر، فلفظ رواية مسلم عن الجريري، قلت لأبي الطفيل: رأيت رسول اللّه ﷺ؟ قال: نعم، قلت: كيف رأيته؟ وفي رواية الترمذي، قلت: صفه لي، **(ﷺ، فقال: كان أبيض)** يعني: بياضًا مشربًا بحمرة، كما يأتي إيضاحه مع زيادة **(مليح الوجه)** أي: حسنه من ملح، حسن منظره، فهو مليح، ولمسلم أيضًا، والترمذي، قال، أي أبو الطفيل: كان أبيض مليحًا مقصدًا - بشد الصاد المهملة، أي: متوسطًا في جميع أوصافه، كان خلقه نحى به القصد، أي: الوسط، كما أن شرعه وسط بين الشرائع، وأمته وسط بين الأمم، فكان في لونه، وهيكله، وشعره، وشرعه مائلاً عن طرفي الإفراد والتفريط، وكان معتدل القوى، **(وفيما)** أي: الحديث الطويل، الذي **(خرجه الترمذي من حديث هند بن أبي هالة)** من رواية الحسن بن علي، قال:

كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر.

وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها: مبلج الوجه، يعني: مشرقه مضيئه، ومنه تبلج الصبح إذا أسفر، وما أحسن قول سيدي علي بن وفى حيث قال:

سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصفًا عن خلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال: **(كان رسول الله ﷺ)** من ابتداء طفوليته إلى آخر عمره، كما تفيده، كان التي للإستمرار عند قوم **(فخمًا)** . بفتح الفاء، وإسكان الخاء المعجمة. على الأشهر، واقتصر عليه السيوطي، وكأنه الرواية، وإلا فيجوز كسرها، أي: عظيمًا في نفسه **(مفخمًا)** . بضم الميم، وفتح الفاء، والخاء المعجمة المشددة، معظمًا في صدور الصدور، وعيون العيون، لا يستطيع مكابر أن لا يعظمه، وإن حرص عليه، خالف باطنه، أو فخمًا، عظيم القدر عند صحبه مفخمًا، عند من لم يره قط، فهو عظيم أبدًا، أو فخمًا عند الله، مفخمًا عند الخلق، وعليها، فليست الفخامة في الجسم، وقيل: هو المراد، ففخامة الوجه امتلاؤه بالجمال والمهابة، أو كثرة لحم الوجنتين مع كمال الجمال، وبدأ الوصاف بالوجه دون الهامة، لأنه أول ما يتوجه إليه النظر، وأشرف ما في الإنسان وغيره، فقال: **(يتلألأ وجهه،)** يشرق ويضيء، وأصل تلألأ أبيض، فأشبه بياض اللؤلؤ، سمي لؤلؤًا لضوئه، **(تلألأ القمر)** مثل إشراقه واستنارته **(ليلة البدر،)** ليلة أربعة عشر، سمى بدر السبق طلوعه مغيب الشمس، وهو أحسن ما يكون، وشبهه به دون الشمس، لأنه ظهر في عالم مظلم بالكفر، ولأن نور القمر أنفع من نورها، فنور وجهه أنفع من نور الشمس، وهذا أحسن من الوجه الآتي للمصنف.

(وقالت أم معبد:) . بفتح الميم، وإسكان المهملة، وفتح الموحدة، ومهملة. عاتكة بنت خالد، الخزاعية، صحابية **(حين وصفته لزوجها)** أبي معبد أكثم. بفتح الهمزة والمثلثة. أو حبيش . بضم المهملة، وفتح الموحدة، وسكون التحتية، ومعجمة. أو لا يعرف اسمه صحابي، قديم الوفاة، **(مبلج الوجه)** . بموحدة وجيم، **(يعني: مشرقه مضيئه، ومنه تبلج الصبح إذا أسفر،)** وأما الأبلج الذي وضع ما بين حاجبيه، فلم يقترنا، فهو أبلج، والاسم البلج. بفتح اللام، فلم ترده أم معبد، لأنها وصفته بالقرن، كما تقدم مبسوطًا في الهجرة، **(وما أحسن قول سيدي علي،)** أبي الحسن **(بن)** محمد، **(وفي)** رضي الله عنه، الشاذلي، العارف الكبير، ابن العارف الكبير اليقظ، حاد الذهن، المالكي، صاحب الكرامات الباهرة، والحكم المتكاثرة، المتوفى سنة سبع وثمانمائة، وله تسع وأربعون سنة، **(حيث، قال:)** لا حاجة له مع قوله، أو لا ما أحسن قوله، ولذا سقط من نسخ، وإن أمكن توجيهه بأنه من ظرفية الجزئي لكليه، الذي هو قول، ولا يرد أنه يوهم حصر أحسنية قوله، المذكور هنا عما سواه، لأنه بالنسبة لكونه مدحًا في المصطفى، ثم قول يجوز أنه

ألا يا صاحب الوجه المليح سألتك لا تغيب عني فأنت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني رجعت فلا ترى إلا ضريحي
بحقك جد لرقك يا حبيبي وداوي لوعة القلب الجريح
ورقَّ لمغرم في الحب أمسى وأصبح بالهوى دنفًا طريح
محب ضاق بالأشواق ذرعًا وآوى منك للكرم الفسيح

وفي النهاية: أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سر فكان وجهه المرآة، وكان الجدر تلاحك وجهه. قال: والملاحكة، شدة الملاءمة، أي يرى شخص الجدر في وجهه ﷺ.

وفي حديث ابن أبي هالة: يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ....

مصدر، بمعنى المقول، فقوله: (**ألا يا صاحب الوجه المليح**) بدل منه، وأنه مصدر لا، بمعناه فهو مقول القول، (**سألتك لا تغيب**) عني، بحيث لا أراك، (**فأنت روحي**،) أي: كروحي التي بها حياتي، فغيبتك عني سبب هلاكي، (**متى ما غاب شخصك عن عياني**) . بكسر العين. مشاهدتي له هلكت، فحذف جواب الشرط، فإذا (**رجعت**،) فهو شرط لمقدر، بدليل الفاء في، (**فلا ترى إلاَّ ضريحي**،) أي: قبري.

قال المصباح: شق في وسط القبر، فعيل بمعنى مفعول، (**بحقك**) أسألك، فأقول (**جد لرقك**) مرقوقك، أي: مملوكك ولامه للتعدية، أي: أوصل عطاءك لرقك أو تعليلية، أي: جدبًا لوصل، لأجل رقك (**يا حبيبي**،) والمراد التوسل به، وهو مطلوب، (**وداوي لوعة القلب**،) حرفته (**الجريح**) المجروح، (**ورق لمغرم**) مولع، أي: ارحم محبًا احترق قلبه بإقبالك عليه (**في الحب**،) متعلق بقوله (**أمسى، وأصبح بالهوى دنفًا**،) مريضًا بمرض لازم لا يفارقه، (**طريح**) ملقى لما أصابه من الحب، صفة لمغرم بلا ياء، وبياء إما للإشباع ساكنة، أو ياء، نسبة للطرح، لكثرته بالغرام، (**محب**) نعت ثان لمغرم، (**ضاق بالأشواق ذرعًا**،) أي: صدرًا، كناية عن شدة الانقباض لعجزه عن مدافعة الأشواق، ولم يطقها صدره، ولم يبق فيه سعة، لامتلائه بها، (**وآوى منك**،) أي: أقام عندك، (**للكرم الفسيح**) الواسع.

(**وفي النهاية**) لابن الأثير؛ (**أنه عليه الصلاة والسلام، كان إذا سر فكان وجهه المرآة**) التي ترى فيها صور الأشياء، (**وكان الجدر**،) جمع جدار (**تلاحك وجهه، قال: والملاحكة شدة الملاءمة**،) أي: الموافقة، (**أي: يرى شخص الجدر في وجهه ﷺ**) لشدة ضيائه.

وهذا التفسير من تتمة كلام النهاية، (**وفي حديث ابن أبي هالة: يتلألأ وجهه تلألؤ القمر**

ليلة البدر.

وذلك: لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس كل من يشاهده، وهو يجمع النور من غير أذى، ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التي تغشي البصر فتمنع من تمكن الرؤية، والتشبيه بالبدر أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر، لأنه وقت كماله، كما قال الفاروق حين رآه أو كلما رآه:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنوّر ليلة البدر

وقد صادف هذا التشبيه تحقيقًا، فمن أسمائه ﷺ: البدر:

ليلة البدر،) أي: يلمع لمعانه ليلة كماله، فاستعمل البدر في صفة القمر التي هي له، وجرده عن معناه الذي هو الموصوف والصفة، أو هو من استعمال المطلق في القيد، أي: ليلة كونه بدرًا، فلا يرد أن المعنى تلألؤ القمر ليلة القمر الكامل، ولا معنى له، **(وذلك،)** أي: وجه التشبيه بالقمر دون الشمس، **(لأن القمر يملأ الأرض بنوره، ويؤنس كل من يشاهده،)** أي: يسكن قلبه إليه، ولا ينفر منه، **(وهو يجمع النور من غير أذى، ويتمكن من النظر إليه،)** بل قد يستلذه، **(بخلاف الشمس التي تغشي البصر،)** بمهملة أو بمعجمة، كما مر قريبًا، **(فتمنع من تمكن الرؤية،)** ولا يؤنس إليها لشدة حرها، وسبق توجيه آخر؛ على أنه ورد تشبيهه بالشمس، كما مر.

(والتشبيه بالبدر أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر، لأنه،) أي: البدر هو القمر **(وقت كماله، كما قال الفاروق:)** لقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكثرة فرقه، أي: فصله بين الحق والباطل، وفي أن الملقب له جبريل، أو المصطفى، أو أهل الكتاب، روايات **(حين رآه،)** أي: قال البيت مرة واحدة حين رؤيته في بعض الأزمان، **(أو)** كان يقوله **(كلما رآه،)** وكأنه شك من الراوي: **(لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنوَّر،)** أي: القمر **(ليلة البدر،)** واستعمل سوى، صفة لشيء، بناء على خروجها عن الظرفية، إلى معنى غير، وهو الأصح خلافًا، فالقول سيبويه أنها ظرف لا تتصرف إلاّ في الضرورة، وهذا البيت تمثل به عمر، وليس منشئه، إذ هو من قصيدة للمسيب بن عبس بن مُلك، خال الأعشى، يمدح بها قيسًا وبعده:

ولا أنت أجود بالعطاء من الزمان لما جاد بالقطر

ولا أنت أشجع من أسامة إذ دعيت نزال ولج في الذعر

(وقد صادف هذا التشبيه) بالبدر **(تحقيقًا،)** أي: معناه الحقيقي، وهو ما وضع له الاسم، **(فمن أسمائه ﷺ البدر،)** لتمام كماله، وعلو شرفه.

وفي قصص الكسائي، أن الله، قال لموسى: إن محمدًا هو البدر الباهر، والنجم الزاهر، والبحر الراجز، ولهذا أنشدوا، لما قدم المدينة في الهجرة أو من غزوة تبوك:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ولقد أحسن من قال:

كالبدر والكاف إن أنصفت زائدة فلا تظننها كافًا لتشبيه

وما أحلى قول ابن الحلاوي:

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية في الفخر بهذا التشبيه، على أن هذه التشبيهات الواردة في صفاته عليه الصلاة والسلام إنما هي على عادة الشعراء والعرب، ....

(طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا للّه داع)

(ولقد أحسن من قال:)

(كالبدر والكاف إن أنصفت زائدة فلا تظننها كافًا لتشبيه)

يعني: إذا أتيت بالعدل في وصفه ﷺ، قلت الكاف زائدة، فإنه البدر لا مشبه به، **(وما أحلى قول ابن الحلاوي)**. بفتح الحاء وخفة اللام، نسبة إلى الحلاوة لبيع أو غيره، **(يقولون)** في صفته عليه السلام، **(يحكي البدر)** بالرفع فاعل **(في الحسن وجهه)** بالنصب مفعول، **(وبدر الدجى عن ذلك الحسن،)** الذي في وجهه، **(ينحط)** عنه فكيف يحكيه، فما أنصفوا في قولهم، **(كما شبهوا غصن النقا)** في الاعتدال **(بقوامه)**. بفتح القاف. اعتداله، **(لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا،)** جاروا وظلموا، لأن التشبيه يستدعي وجهًا جامعًا بين المشبه والمشبه به، والبدر وغصن النقا، لا نسبة بينهما وبين وجهه وقوامه، **(فقد حصل للبدر والغصن غاية في الفخر بهذا التشبيه، على أن هذه التشبيهات الواردة في صفاته عليه الصلاة والسلام، إنما هي على عادة الشعراء والعرب،)** ولذا لما عيب على أبي تمام تشبيه ممدوحه بمن دونه في قوله:

ما في وقوفك ساعة من بأس تقضي ذمام الأربع الأدراس
أقدام عمرو وفي سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

تفطن لذلك، فقال في أواخر شعره:

وإلا فلا شيء في هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخَلْقية والخُلْقية، ولله در إمام العارفين سيدي محمد وفي الشاذلي رحمه الله تعالى حيث قال:

كم فيه للأبصار حسن مدهش ... كم فيه للأرواح راح مسكر

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شرودًا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

(وإلاَّ، فلا شيء في هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية). بفتح، فسكون، **(والخلقية)**. بضمتين، كما يدل له كلامه أول الفصل الثاني عن الراغب، فليس الأول بالكسر كما قد يتوهم من نسبته إلى الخلقة، **(ولله در إمام العارفين، سيدي محمد)** بن محمد بن محمد، ثلاثة الإسكندراني، أو المغربي، ثم المصري، صاحب الموشحات التوحيدية التي لم ينسج على منوالها أحد من البرية، وشيخ الخرقة الوفائية، كان وافر الجلال، فائق الخلال، تمسك من فنون العلم بأفنان، وأفاد بنظمه، ونثره عقود الجمان، وقلائد العقيان، ولم يتسم بالسادات في مصر غير ذريته الأعيان. ولد بالإسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة، فجاء التاج بن عطاء الله، ومعه أصحابه إلى بيته، فأتى له به، فقبله، وهو في القماط، وقال لأصحابه: هذا جامع علم حقائقنا، ومات أبوه، وهو صغير، فكفله جده النجم محمد، وكان من أصحاب الأحوال.

قال الشعراوي: وكان أميًا، وله مؤلفات كثيرة، ألفها وهو ابن سبع أو عشر، ولقبه **(وفي)**. بالياء. على القياس، وإن رسم بألف في النسخ، إذ هو منقول عن الفعل، وهو وفى، يفي إذا تم، لأنه وقف النيل، ولم يزد أو أن الوفاء حتى عزم أهل مصر على الرحيل، فقصدوه، وكان معروفًا بإجابة الدعوة فجاء، وتوضأ بالمقياس، وصلى ركعتين، ثم دعا الله، فصار كلما يطلع من الفسقية درجة، يطلع البحر معه، حتى وفي ذلك اليوم سبعة عشر ذراعًا، فعاد ماشيًا، وهو يقول وفي وفي، وأخذ عن داود بن باخلا، عن ابن عطاء الله، عن أبي العباس المرسي، عن أبي الحسن، ولذا ينسب **(الشاذلي)** بذال معجمة، ومهملة، نسبة إلى شاذلة. بلد المغرب، منها الشيخ أبو الحسن، أستاذ الشاذلية، وفيهم يقول أبو العباس بن عطاء:

تحقق بحب الشاذلية تلق ما ... تروم فحقق ذاك فيهم وحصل

ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... شموس الهدى في أعين المتأمل

ومات سنة ستين، وقيل: خمس وستين وسبعمائة، **(رحمه الله تعالى، حيث قال: كم)** للتكثير **(فيه للإبصار حسن مدهش)** محير، أي أن كثيرًا من الأبصار أدهشها حسنه، بحيث تحيرت فيه، لفرط ما أصابها من الدهش، **(كم فيه للأرواح راح مسكر)** أي: وكثير من صفاته التي إدراكها والتعلق بها، يحصل حالة تشبه الخمر لمن قامت به، فيصير كالسكران، الذي

سبحان من أنشاه من سبحاته بشرًا بأسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلا بالغزال تغزلاً هيهات يشبهه الغزال الأحور
هذا وحقك ما له من مشبه وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتي عظيم الذنب في تشبيهه لولا لرب جماله يستغفر
فخر الملاح بحسنهم وجمالهم وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة وله منار كل وجه نير
جنات عدن في جنى وجناته ودليله أن المراشف كوثر

لا يحس بشيء مما عليه الناس، **(سبحان من أنشأه من سبحاته)** . بضمتين، خلقه من أنواره **(بشرًا بأسرار الغيوب يبشر)**.

قال القاموس: سبحات وجه اللّه . بضمتين، أنواره، وفي الصحاح: جلالته، والأول أنسب هنا، إشارة إلى النور الذي خلق منه، كما قال ﷺ: «يا جابر إن اللّه تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره»، رواه عبد الرزاق، كما مر أول الكتاب، **(قاسوه جهلاً)** منهم **(بالغزال،)** الحيوان المعروف **(تغزلاً،)** لتوهمهم أن بينهما مشابهة، والحال أنها منفية، كما قال: **(هيهات)** بعد **(يشبهه الغزال الأحور)** من الحور . بفتحتين. شدة بياض العين في شدة سوادها، **(هذا)** أي: خذ، وهي كلمة يؤتى بها للفصل والانتقال من معنى لآخر، **(وحقك ما له من مشبه، وأرى المشبه بالغزالة)** الشمس التي هي أجل من الغزال، **(يكفر)** نعمته الواصلة إليه، حيث شبهه بما لا نسبة بينه وبينه، لا خلاف الإيمان، **(يأتي عظيم)** بالرفع فاعل، والنصب مفعول، فاعله ضمير، يعود على المشبه، أي: كبير **(الذنب في تشبيهه، لولا لرب جماله يستغفر)** من هذا الذنب لهلك، فجواب لولا محذوف **(فخر،)** غلب هو **(الملاح)** . بالكسر، جمع مليح الحسان، الذين فخروا **(بحسنهم وجمالهم، وبحسنه كل المحاسن تفخر)** . بفتح الخاء. من باب منع، كما في القاموس، فلا يقاربه شيء يجعل بينه وبينه مشابهة، **(فجماله مجلى)** . بالجيم. محل جلاء، أي: ظهور **(لكل)** صفة **(جميلة،)** إذ كله محاسن، لا يشوبه شيء ينافي الكمال بخلاف غيره، إذا اشتمل على صفات جميلة، ربما سترها وصف يغايرها، فيمتنع ظهوره، **(وله منار)** علم الطريق، استعمل فيما يدل على كماله **(كل وجه نير)** دليل عليه، إذ جميع الأنوار مقتبسة منه **(جنات عدن في جني وجناته)** . بفتحتين، وهي ما ارتفع من الخد، يعني: أن نعيم الجنات الذي يناله العبد في الآخرة، إنما هو مما اقتبسه من علومه ومعارفه، عبر عنه بذلك، لأن الوجنات أشرف دليل على المحاسن، **(ودليله أن المراشف:)** ما يرشف بالشفتين لإزالة العطش الأكبر يوم القيامة، **(كوثر)** نهر في الجنة، وعده ربه به، فيه خير كثير، أحلى من العسل، وأبيض من اللبن،

هيهات ألهو عن هواه بغيره والغير في حشر الأجانب يحشر
كتب الغرام علي في أسفاره كتبًا تؤول بالهوى وتفسر
فدع الدعي وما ادعاه في الهوى فدعيه بالهجر فيه تهجر
وعليك بالعلم العليم فإنه لخطيبه في كل خطب منبر

وأما بصره الشريف ﷺ فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ [النجم/ ١٧].

وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، لا يظمأ من شرب منه، (**هيهات**) بعد (**ألهو**،) أشتغل (**عن هواه**) ميلي ومحبتي له (**بغيره**)

(**والغير في حشر الأجانب يحشر**)، وشتان ما بينهما، فكيف اشتغل بغيره (**كتب الغرام**،) الولوع والتعلق به، ومحبته (**علي في أسفاره**،) كتبه الكبيرة (**كتبًا**،) أحكامًا كثيرة، كلها (**تؤول بالهوى**،) الميل، وخلوص المحبة، (**وتفسر**) بها، (**فدع**) اترك (**الدعي**،) المنتسب لقوم، وليس منهم، (**وما ادعاه في الهوى**) من الدعاوى الكاذبة، يعد نفسه من أهل المحبة، وما هو منهم، (**فدعيه**) المنتسب إليه (**بالهجر**) ـ بضم فسكون، الهذيان والتخليط (**فيه تهجر**،) أمر يعود عليه بالأذى والهلاك، من هجر المريض، هجر اخلط، وهذي وتهجر، سار وقت الهاجرة شدة الحر، فكأنه قال مدعي المحبة، بمجرد اللفظ، شبيه بالسائر في شدة الحر، فأتعب نفسه، وآذاها بما يلام عليه، عاجلاً وآجلاً، (**وعليك بالعلم العليم**،) أي: الزم واتبع الرسل، الكثير العلم، الذي هو في ظهوره، كعلم الطريق الذي يهتدي به من البعد، (**فإنه لخطيبه في كل خطب منبر**،) أي: فإنه كالمنبر لكل خطيب في كل أمر مهم، (**وأما بصره الشريف** ﷺ،) وهو النور الذي تدرك به الجارحة المبصرات، كما في المصباح، وهو بمعنى قول المتكلمين قوة مودعة في العين، وهو صريح في أنه شيء مخلوق في العين، زائد عليها، ومقتضى قول القاموس البصر محركة، حسن العين أنه صفة للعين، ليست زائدة عليها، إلاَّ أن يكون على حذف مضاف، أي: سبب حسن العين، أي: جمالها.

واستعمل الحسن في نفس سببه مجازًا لغويًا، فأطلق المسبب مريدًا سببه، (**فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز**،) الغالب على الكتب التي قبله، بنسخه ما فيها، وإعجازه (**بقوله ﴿ما زاغ البصر﴾**،) ما مال بصره ﷺ، عما رآه، (**﴿وما طغى﴾**) ما تجاوزه، بل أثبته إثباتًا صحيحًا مستيقنًا، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها، وما جاوزها، كما في البيضاوي، فإن قيل الآية لا تصلح جوابًا ما، لأن المراد الخلق الحسي لا الصفة، فالقياس أن الجواب، فهو في

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء. رواه البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء. رواه البيهقي.

غاية الحدة والقوّة المودعة فيه، فالجواب أنه من التعبير باللزوم عن اللازم، لأن وصفه بما في الآية ملزوم، ويلزمه غاية، قوّة بصره، بحيث إنه لا يتخيل في شيء رآه ما يخالف الواقع فيه، بل متى تعلق بمبصر ما أدركه على ما هو به في الواقع، وإن كان في غاية الخفاء، **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة،)** احترازًا عما إذا كان مع القمر، **(كما يرى بالنهار في الضوء،)** متعلق بالنهار للاحتراز، عما إذا كان في بيت مظلم، أو في يوم غيم، فلا يقال لا حاجة إليه بعد ذكر النهار، فالمعنى أن رؤيته في النهار الصافي، والليل المظلم متساوية، لأن الله تعالى، لما رزقه الاطلاع بالباطن، والإحاطة بإدراك مدركات القلوب، جعل له مثل ذلك في مدركات العيون، ومن ثم كان يرى المحسوس من وراء ظهره، كما يراه من أمامه، ذكره الحرالي ملخصًا، ويأتي نصه في المصنف، ولا يرد عليه حديث أنه ﷺ قام ليلة، فوطىء على زينب بنت أم سلمة بقدمه، وهي نائمة فبكت، فقال: «أمطيوا عنا زناياكم، لأنه حجب عن ذلك حينئذ ليعلم أنه لا ينام أحد ببيت ذي الأهل»، وفي حديث: كان يرى من خلفه من الصفوف، كما يرى من بين يديه.

قال عياض: وإنما حدثت هذه الآية له بعد ليلة الإسراء، كما أن موسى كان يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطور اهـ.

والظاهر أن مراده بالآية ما يشمل الآيتين في الحديثين، **(رواه البخاري)** كذا في النسخ، ولم أجده فيه، وإنما عزاه السيوطي وغيره للبيهقي في الدلائل، وقال: إنه حسن.

قال شارحه: ولعله لاعتضاده، وإلاَّ فقد قال السهيلي: ليس بقوي، وضعفه ابن دحية، أي: نقل تضعيفه في كتاب الآيات البينات عن ابن بشكوال، لأن في سنده ضعفًا، فكيف يكون في البخاري، **(وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء،)** مرادف للظلمة.

قال في القاموس: الظلمة . بالضم وبضمتين، والظلماء والظلام ذهاب النور، **(كما يرى في الضوء، رواه البيهقي)** وابن عدي، وكذا بقي بن مخلد، كما في الشفاء، وضعفه ابن الجوزي والذهبي، لكنه يعتضد بشواهده، فهو حسن، كما قال السيوطي.

وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: هل ترون قبلتي هٰهنا، فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري. رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم من رواية أنس بن مٰلك أنه ﷺ قال: أيها الناس، إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي.

(**وعن أبي هريرة أنه ﷺ، قال: هل ترون**) . بفتح التاء والاستفهام إنكاري، أي: أتظنون (**قبلتي**،) أي: مقابلتي ومواجهتي (**ههنا**) فقط، لأن من استقبل شيئًا، استدبر ما وراءه، فبين أن رؤيته لا تختص بجهة واحدة، (**فوالله ما**،) وفي رواية: لا (**يخفى على ركوعكم، ولا سجودكم**،) هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري في موضع من كتاب الصلاة: فوالله ما يخفى على خشوعكم، ولا ركوعكم، وفي موضع آخر ركوعكم، ولا خشوعكم.

قال الحافظ وغيره: أي في جميع الأركان، ويحتمل أن يريد به السجود، لأن فيه غاية الخشوع.

وقد صرح بالسجود في رواية مسلم، وإذا كان المراد به الأعم، فذكر الركوع بعده من الأخص بعد الأعم، إما لأن التقصير فيه كان أكثر، أو لأنه أعظم الأركان، من حيث إن المسبوق يدرك الركعة بتمامها بإدراك الركوع، (**إني لأراكم**). بفتح الهمزة، بدل من جواب القسم، وهو ما يخفى، أو بيان له (**من وراء ظهري**) رؤية حقيقية، اختص بها عليكم، وهو تنبيه لهم على الخشوع في الصلاة، لأنه قاله لهم، لما رآهم يلتفتون، وهو مناف لكمال الصلاة، فيكون مستحبًا لا واجبًا، إذ لم يأمرهم بالإعادة.

وقد حكى النووي الإجماع على عدم وجوبه، وتعقب بأن في الزهد لابن المبارك عن عمار ابن ياسر، لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه، وفي كلام غير واحد ما يقتضي وجوبه، ثم الخشوع، تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارة من فعل البدن كالسكون، وقيل: لا بد من اعتبارهما، حكاه الرازي في تفسيره.

وقال غيره: هو معنى يقوم بالنفس، يظهر عنه سكون في الأطراف، يلائم مقصود العبادة، ويدل على أنه من عمل القلب، حديث على الخشوع في القلب، أخرجه الحاكم.

وأما حديث: لو خشع هذا خشعت جوارحه، ففيه إشارة إلى أن الظاهر عنوان الباطن، (**رواه البخاري، ومسلم**،) كلاهما في الصلاة، (**وعند مسلم من رواية أنس بن مٰلك أنه ﷺ، قال: «أيها الناس إني أمامكم، فلا تسبقوني بالركوع، ولا بالسجود، فإني أراكم من أمامي**،) قدامي (**ومن خلفي**،) تعليل للنهي عن السبق أو تحذير عنه، لأنهم إذا علموا أنه يراهم اجتنبوا السبق بكل اعتبار، ومن أمامي حال من المفعول، أو هو لغو متعلق بأراكم.

وعن مجاهد: في قوله تعالى: ﴿**الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين**﴾ [الشعراء/ ٢١٩]. قال: كان ﷺ يرى من خلفه من الصفوف، كما يرى من بين يديه، رواه الحميدي في مسنده، وابن المنذر في تفسيره.

وهذه الرؤية رؤية إدراك: والرؤية لا تتوقف على ....

وفي البخاري عن أنس: صلى بنا النبي ﷺ صلاة، ثم رقى المنبر، فقال في الصلاة وفي الركوع: «إني لأراكم من ورائي، كما أراكم من أمامي».

وفي مسلم: إني لأبصر من ورائي، كما أبصر من بين يدي.

قال الحافظ: وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة، ويحتمل أن يكون ذلك واقعًا في جميع أحواله، وقد نقل عن ذلك عن مجاهد، وحكى: بقي بن مخلد أنه ﷺ، كان يبصر في الظلمة، كما يبصر في الضوء، انتهى، وتعقب بأن جماعة من المتقدمين صرح بالعموم، وعللوه بأنه إنما كان يبصر من خلفه، لأنه كان يرى من كل جهة.

(وعن مجاهد) بن جبير ـ بفتح الجيم، وسكون الموحدة ـ المخزومي، مولاهم المكي ثقة، روى له الجميع إمام في التفسير، وفي العلم تابعي وسط. مات سنة إحدى، أو اثنتين، أو ثلاث، أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة، **(في)** تفسير **(قوله تعالى: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾** [الشعراء: ٢١٩]، أي: المصلين، **(قال كان ﷺ: يرى من)** بفتح الميم موصول ـ **(خلفه من الصفوف، كما يرى من)** ـ بفتح الميم ـ الذي **(بين يديه)** ووجه إدخال ذا الحديث المرسل في تفسير الآية، أن أخباره برؤيته، يتصفح أحوالهم، يستدعي أنه يراهم، سواء كانوا خلفه، أو أمامه، قربوا منه، أو بعدوا، **(رواه الحميدي)** عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي، الأسدي، المكي، أبو بكر، الثقة، الحافظ، الفقيه، أجل أصحاب ابن عيينة، جالسه تسع عشرة سنة، وروى عن خلق سواء، وعنه البخاري وخلائق.

قال الحاكم: كان البخاري إذا وجد الحديث عن الحميدي لا يعدوه إلى غيره. مات سنة تسع عشرة ومائتين، وقيل بعدها.

(في مسنده) مرسلاً عن مجاهد: فليس مجرد استنباط، وفهم من الآية، كما يوهم، **(وابن المنذر)** الحافظ، العلامة، الفقيه محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، شيخ الحرم، كان غاية في معرفة الخلاف، والدليل مجتهد ألاَّ يقلد أحدًا مات بمكة سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، **(في تفسيره)** أحد تصانيفه التي لم يصنف مثلها، **(وهذه الرؤية)** المذكورة في حديث ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وأنس، ومجاهد، **(رؤية إدراك)** إبصار حقيقي، خاص به ﷺ، انخرقت له فيه العادة، **(والرؤية)** من حيث هي، لا بقيد وصف المصطفى بها، **(لا تتوقف على**

وجود آلتها التي هي العين عند أهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة، وهذا بالنسبة إلى القديم العالي، أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق، ولهذا كان خرق عادة في حقه عليه الصلاة والسلام، وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها.

قال الحرالي: وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالة على ما في حقيقة أمره في الاطلاع الباطن لسعة علمه، ومعرفته لما عرف بربه لا بنفسه أطلعه على ما بين يديه مما تقدم من أمر الله، وعلى ما وراء الوقت ....

وجود آلتها، التي هي العين عند أهل الحق، ولا) تتوقف على وجود **(شعاع،)** وهو بالجر عطف على آلتها، **(ولا)** على **(مقابلة، وهذا)** الإدراك المفسر بذلك إنما هو **(بالنسبة إلى القديم العالي،)** ولعل قصده الرد على من زعم أنه كان يدرك ذلك بلا رؤية أصلاً، بل بمجرد العلم، إما بأن يوحى إليه كيفية فعلهم، وإما بأن يلهم، كما يأتي.

قال الحافظ: وفيه نظر، لأن العلم لو كان مرادًا لم يقيده بقوله من وراء ظهري، انتهى، فلا يقال لا مناسبة في إيراد ما يتعلق به تعالى في ذا المقام.

(أما المخلوق، فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة، والشعاع، والمقابلة بالاتفاق، ولهذا كان) ما ذكر من أبصار، من وراء ظهره **(خرق عادة في حقه عليه الصلاة والسلام، وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها،)** فيجوز أنه سبحانه خلق فيه قوّة البصر في غيرها، فيدرك من خلفه بآلة في، أي: محل من جسده، وهذا بناه المصنف على مجرد الجواز، وهو لا يستلزم الوقوع، فلا ينافي ما يأتي أن الأقعد حمله على الإدراك من غير آلة.

(قال الحرالي:) - بفتح المهملة، والراء، وشد اللام. نسبة إلى قبيلة بالبربر، واسمه علي بن أحمد بن الحسن، ذو التصانيف المشهورة، **(وهذه الآية قد جعلها اللّٰه تعالى دالة على ما في حقيقة أمره في الاطلاع الباطن،)** أي: الخفي **(لسعة علمه، ومعرفته، لما)** - بشد الميم. **(عرف)** الناس - بشد الراء. **(بربه،)** بأن بلغهم أنه إلٰه واحد في ذاته وصفاته، مستحق لأن يعبد، وغير ذلك مما يليق به، **(لا بنفسه،)** أي: لم يعرفهم بما اشتملت عليه ذاته من الكمالات، **(أطلعه)** جواب لما، أي: جوزي بأن أطلعه، ويحتمل خفة راء عرف، أي: لما عرف الأحكام الشرعية بالوحي، لا بنفسه، فلم يستقل بأخذ حكم يليق بحال البشر، جوزي بأن أطلعه اللّٰه **(على ما بين يديه،)** أي: الأمور الحاضرة عنده، ولا ينافيه قوله **(مما تقدم من أمر اللّٰه،)** لأن التعليق التنجيزي بالأمور الحاضرة عنده، حاصل قبل علمه ﷺ بها، ويحتمل أن يريد بما بين يديه ما لم يتأخر عن الوقت الذي هو فيه، فيشمل الحاضر والماضي من الأمور التي أطلعه اللّٰه عليها، **(وعلى ما وراء الوقت،**

مما تأخر من أمر الله، فلما كان على ذلك من الإحاطة في إدراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له ﷺ مثل ذلك في مدركات العيون، فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال ﷺ. انتهى.

ومن الغريب ما ذكره الزاهدي يختيار محب بن محمود، شارح القدوري في رسالته الناصرية أنه ﷺ كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما، ولا تحجبهما الثياب

وقيل: بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة أمثلتهم فيها، فيشاهد أفعالهم، وهذا إن كان نقلاً عن الشارع عليه الصلاة والسلام بطريق صحيح فمقبول وإلا فليس المقام مقام رأي، على أن الأقعد في إثبات كونه معجزة حملها على الإدراك من غير آلة والله أعلم.

مما تأخر من أمر الله،) من كل ما يكون إلى يوم القيامة، **(فلما كان على ذلك من الإحاطة في إدراك مدركات القلوب، جعل الله تعالى له ﷺ مثل ذلك في مدركات العيون، فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره، كما يراها من بين يديه، كما قال ﷺ، انتهى)** كلام الحرالي، وحاصله، كما قال بعضهم: إنه من قبيل الكشف له عن المرئيات، فهو من الخوارق، **(ومن الغريب)** الذي لا يعرف **(ما ذكره الزاهدي)** . بزاي ودال مهملة. **(يختيار،)** كذا في النسخ، وفي بعضها باختيار **(محب،)** وكتب عليه بهامش، بخت بموحدة، ومعجمة سعد ويار، صاحب على طريق العجم من تقديم المضاف إليه على المضاف، وليس بشيء، فالذي في طبقات الحنفية لأبي الوفاء الغزميني في حرف الميم، مختار **(بن محمود)** بن محمد، أبو الرجاء الغزميني، بمعجمتين، نسبة إلى قصبة من خوارزم، يلقب نجم الدين، **(شارح القدوري،)** بضمتين، نسبة إلى بيع القدور، شرحًا نفيسًا. مات سنة ثمان وخمسين وستمائة، **(في رسالته)** التي سماها **(الناصرية، أنه ﷺ كان له بين كتفيه عينان، كسم الخياط)** . بفتح السين وضمها. ثقب الإبرة، **(يبصر بهما، ولا تحجبهما الثياب،)** ونوزع بأنه لا يصح كيف، ولو أن إنسانًا كان له عينان في قفاه، لكان أقبح شيء، وانتصر له بعضهم، بأن الظاهر أن مثله لا يقال بالرأي، **(وقيل: بل)** معناه أنه **(كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته، كما تنطبع في المرآة، فيرى أمثلتهم فيها، فيشاهد أفعالهم، وهذا)** المذكور من القولين، **(إن كان نقلاً عن الشارع عليه الصلاة والسلام، بطريق صحيح، فمقبول،)** ويكون أيضًا من الخوارق، **(وإلاَّ)** بأن كان رأيًا في فهم الحديث، **(فليس المقام مقام رأي)** فلا يقبل لما فيه من إثبات، ما لم يرد **(على أن الأقعد في إثبات كونه معجزة، حملها على الإدراك من غير آلة،)** لأنه الظاهر من الحديث، **(والله أعلم)** بما في الواقع.

وقد ذهب بعضهم إلى أن هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف.

وعن بعضهم: المراد بها العلم إما بأن يوحي إليه كيفية فعلهم أو بأن يلهم، والصحيح والصواب ما تقدم.

وقد استشكل على قول من يقول: إن المراد بذلك العلم، ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد: أنه ﷺ قال: إني لا أعلم ما وراء جداري هذا. فإن صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات، ....

(**وقد ذهب بعضهم**،) في معنى الحديث (**إلى أن هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف**،) وهو خلاف الظاهر أيضًا، (**وعن بعضهم المراد بها العلم، إما بأن يوحى إليه كيفية**) صفة (**فعلهم، أو بأن يلهم**،) وهو من الوحي أيضًا، ومر تنظير الحافظ فيه؛ بأنه لو كان مرادًا، لم يقيد بقوله من وراء ظهري، وفي الشفاء الظواهر تخالفه، أي: هذا التأويل، ولا إحالة في ذلك، وهي من خواص الأنبياء، كما أخبرنا عبد اللّٰه بن أحمد العدل، فذكر إسناده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «لما تجلى اللّٰه لموسى، كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ»، ولا يبعد أن يخص نبينا بذلك بعد الإسراء، والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى، انتهى، ولذا قال: (**والصحيح والصواب ما تقدم**) من أنه الإدراك من غير آلة، وقيل: المراد أنه يرى من عن يمينه، ومن عن يساره، ممن تدركه عينه، مع التفات يسير في النادر، ويوصف من هو هناك؛ بأنه وراء ظهره.

قال الحافظ: وهذا ظاهر التكلف، وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب، والصواب المختار أنه محمول على ظاهره، وإن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ، انخرقت له فيه العادة، وعلى هذا عمل البخاري، فأخرج هذا الحديث، أي: حديث هل ترون قبلتي الخ.... في علامات النبوَّة، وكذا نقل عن الإمام أحمد وغيره، ثم ذلك الإدراك يجوز أن يكون برؤية عينه، انخرقت له العادة فيه أيضًا، فكان يرى من غير مقابلة، لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها عقلاً، عضو مخصوص، ولا مقابلة، ولا قرب، وإنما تلك أمور عاديه، يجوز حصول الإدراك مع عدمها عقلاً، ولذلك حكموا بجواز رؤية اللّٰه تعالى في الآخرة، خلافًا لأهل البدع، لوقوفهم مع العادة انتهى.

(**وقد استشكل على قول من يقول: إن المراد بذلك العلم ما ذكره**) نائب فاعل استشكل، يعني إذا بنى على أن الرؤية هي العلم بلا إبصار، يشكل ما ذكره (**ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد؛ أنه ﷺ، قال: إني لا أعلم ما وراء جداري هذا، فإن صح، فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات**،) لا خصوص ما وراء الجدار، فهو مناقض لقوله: إني لأراكم، أي:

فكيف يجتمعان؟

وأجيب: بأن الأحاديث الأُوَل ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة، ويحمل المطلق منها على المقيد. وأما إذا ذهبنا إلى أن الإدراك بالبصر وهو الصواب فلا إشكال، لأن نفي العلم هنا عن الغيب وذاك عن مشاهدة.

وفي «المقاصد الحسنة» للحافظ شمس الدين السخاوي حديث: ما أعلم ما خلف جداري هذا. قال شيخنا ـ يعني شيخ الإسلام ابن حجر ـ: لا أصل له. قلت: ولكنه قال في تلخيص تخريج أحاديث الرافعي عند قوله في الخصائص: ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه. هو في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره، والأحاديث الواردة في ذلك ....

أعلمكم من وراء ظهري، وهو مغيب، فيصير المعنى أعلم المغيبات، ولا أعلمها، **(فكيف يجتمعان،)** فمبنى التناقض على تفسيره بالعلم، إذ لو فسر عدم التناقض بما وراء الجدار المشار إليه، لم يتحقق تناقض، **(وأجيب بأن الأحاديث، الأول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة، ويحمل المطلق منها على المقيد)** بحالة الصلاة، فقوله لا أعلم ما وراء جداري، معناه في غير الصلاة، فلا إشكال، **(وأما إذا ذهبنا إلى أن الإدراك بالبصر، وهو الصواب، فلا إشكال، لأن نفي العلم هنا)** في خبر الجدار **(عن الغيب، وذاك)** الذي هو قوله: إني لأراكم من وراء ظهري **(عن مشاهدة،)** فلم يتواردا على محل، وأيضًا، فعدم رؤية ما وراء الجدار، لا ينافي الرؤية بلا حائل، وأورد على حديث الرؤية أيضًا قوله ﷺ: «أيكم الذي ركع دون الصف»، فقال أبو بكر: أنا إذا لو كان يرى ما سأل، وأجاب ابن عبد البر؛ بأن قصة أبي بكر كانت قبل أن فضله الله بهذه الفضيلة، فإن شؤونه ﷺ تتزايد دائمًا.

وفي أبي داود عن معٰوية ما يدل على أن ذلك كان في آخر عمره، **(وفي المقاصد الحسنة،)** في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة، **(للحافظ شمس الدين)** محمد بن عبد الرحمٰن، **(السخاوي،)** شيخ المصنف، نسبة إلى سخا، من أعمال مصر، على غير قياس، **(حديث ما أعلم ما خلف جداري هذا)**.

(قال شيخنا: يعني شيخ الإسلام ابن حجر). الحافظ أبو الفضل العسقلاني **(لا أصل له، قلت: ولكنه،)** أي الحافظ نفسه، **(قال في تلخيص تخريج أحاديث الرافعي،)** الواقعة في شرحه على وجيز الغزالي، في الفقه، **(عند قوله في الخصائص، ويرى من وراء ظهره، كما يرى من قدامه، هو)** بمعناه **(في الصحيحين، وغيرهما من حديث أنس وغيره، والأحاديث الواردة بذلك**

مقيدة بحالة الصلاة وبذلك يجمع بينه وبين قوله: لا أعلم ما وراء جداري هذا. انتهى.

قال شيخنا، وهذا مشعر بوروده، وعلى تقدير وروده لا تنافي بينهما لعدم تواردهما على محل واحد.

فإن قيل يشكل على هذا ـ أيضًا ـ إخباره ﷺ بكثير من المغيبات التي في زمنه وبعده، ووقعت كما أخبر ﷺ.

فالجواب: إن نفي العلم في هذا ورد على أصل الوضع، وهو أن علم الغيب مختص بالله ....

مقيدة بحالة الصلاة،) كذا جزم به في التخريج، وجعله في فتح الباري ظاهرًا فقط، وقابله بإحتمال الإطلاق، وأنه منقول عن مجاهد، **(وبذلك يجمع بينه وبين قوله: لا أعلم ما وراء جداري هذا، انتهى)** كلام الحافظ في التخريج.

(قال شيخنا،) يعني السخاوي: **(وهذا مشعر بوروده،)** فينافي قوله: لا أصل له، فهو تناقض منه، ويمكن أن مراده لا أصل له معتبر لكونه ذكر بلا إسناد، لا أن مراده بطلانه، **(وعلى تقدير وروده، لا تنافي بينهما، لعدم تواردهما على محل واحد،)** إذ الظاهر من الثاني؛ أن معناه نفي علم المغيبات، مما لم يعلم به ﷺ، قد أخبر بمغيبات كثيرة كانت وتكون، وحينئذ، فهو نظير لا أعلم إلاَّ ما علمني الله، ولكن مشى ابن الملقن، وقلده شيخنا على أن معناه نفي رؤية من خلفه، ومع ذلك، فلا تنافي بينهما أيضًا، أن مشينا على ظاهر الأول من تقييده بالصلاة لكونه فيها، لا حائل بينه وبين المأمومين، وإن كان ابن الملقن لم ينظر لهذا، بل جعل الأول مقيدًا للثاني، والظاهر ما قلته، أما على قول مجاهد: إن ذلك كان واقعًا في جميع أحواله ﷺ، فلا على أن بعضهم زعم أن المراد بالأول خلق علم ضروري له بذلك، والمختار حمله على الحقيقة، ولذا، قال ابن المنير: لا حاجة إلى التأويل، فإنه في معنى تعطيل، لفظ الشارع من غير ضرورة.

وقال القرطبي: حمله على ظاهره أولى، لأن فيه زيادة في كرامته ﷺ، فإن قيل: قد روى أنه ﷺ ورد عليه وفد عبد القيس، وفيهم غلام وضيء، فاقعد وراء ظهره، فالجواب أنه مع كونه روى مسندًا ومرسلاً، والحكم عليه بالنكارة فعله ﷺ، إن صح، كما قال ابن الجوزي: ليسن، أو لأجل غيره، وقد أطلت الكلام على هذا الحديث في بعض الأجوبة. انتهى كلام المقاصد، وإن تكرر فيه بعض ما تقدم لما فيه من الفوائد، **(فإن قيل: يشكل على هذا أيضًا إخباره ﷺ بكثير من المغيبات التي في زمنه وبعده،)** كفتح الأمصار، وغير ذلك، **(ووقعت كما أخبر ﷺ، فالجواب أن نفي العلم في هذا، ورد على أصل الوضع، وهو أن علم الغيب، مختص بالله**

تعالى، وما وقع منه على لسان نبيه ﷺ وغيره فمن الله تعالى، إما بوحي أو إلهام، ويدل على ذلك الحديث الذي فيه: أنه لما ضلت ناقته ﷺ تكلم بعض المنافقين وقال: إن محمدًا يزعم أنه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال ﷺ لما بلغه ذلك: والله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي، وقد دلني الله عليها وهي في موضع كذا وكذا، حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما أخبر ﷺ.

فصح أنه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره إلا ما أعلمه ربه تبارك وتعالى.

وذكر القاضي عياض في الشفاء أنه ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا، وعند السهيلي، اثني عشر.

تعالى،) كما قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلاَّ من ارتضى من رسول، (**وما وقع منه على لسان نبيه ﷺ وغيره، فمن الله تعالى، إما بوحي**) على يد مَلك، أو منام (**أو إلهام**،) وهو من الوحي، (**ويدل على ذلك الحديث الذي فيه أنه لما ضلت ناقته**،) غابت وخفيت، فلم يهتد إليها، وهي القصواء، حين كان سائر إلى غزوة تبوك (ﷺ، **تكلم بعض المنافقين**،) وهو زيد بن اللصيت، (**وقال: إن محمدًا يزعم أنه يخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، فقال ﷺ لما بلغه ذلك**) بإخبار الله له بوحي، أو إلهام، لا مبلغ من الناس، كما في الحديث: («**والله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي**»،) فإخباري بأمر السماء إنما هو بتعليم الله، والنبي لا يعلم كل غيب.

قال: ذلك رد الزعم المنافق؛ أنه لو كان نبيًا، لعلم مكان ناقته، (**وقد دلني الله عليها، وهي في موضع كذا وكذا**،) لشعب عينه لهم، وأشار لهم إليه (**حبستها**،) منعتها (**شجرة بخطامها**) بزنة كتاب، وفي رواية بزمامها، (**فذهبوا، فوجدوها، كما أخبر ﷺ**،) فجاؤوا بها، (**فصح أنه لا يعلم ما وراء جداره، ولا غيره، إلاَّ ما أعلمه ربه تبارك وتعالى**،) فإن ثبت الحديث، فلا إشكال عليه.

(**وذكر القاضي عياض في الشفاء**) بلفظ، وحكى عنه (**أنه ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا**،) أي: ليلاً أو ليلاً ونهارًا، لما مر أن رؤيته فيهما سواء.

(**وعند السهيلي اثني عشر**،) وجزم القرطبي بالأول، وقال في مناهل الصفاء: هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث، ونحوه قول الحيضري ما ذكره القرطبي والسهيلي: لم أقف له على سند، ولا أصل يرجع إليه، والناس يذكرون أنها لا تزيد على تسعة أنجم، فيما يرون انتهى، وهذا عجيب مع قول التلمساني جاء في حديث ثابت عن العباس، ذكره ابن أبي خيثمة

وفي حديث أبي هالة: وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة.

وهي مفاعلة من اللحظ: وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ، وأما الذي يلي الأنف فالمؤق والماق. وقوله: وإذا التفت التفت جميعًا أراد أنه لا يسارق

اهـ، والثريا مصغر ثروى من الثروة، وهي الكثرة.

قال في مناهج الفكر: ستة أنجم صغار طمس، يظنها من لا معرفة له، سبعة مجتمعة بينها نجوم صغار، كالرشاش، وحكى أنها اثنا عشر نجمًا، لم يتحقق الناس منها غير ستة، أو سبعة، ولم ير جميعها غير النبي ﷺ لقوّة جعلها الله في بصره، والنجم علم عليها بالغلبة، كالكوكب للزهرة.

(**وفي حديث أبي هالة: وإذا التفت التفت جميعًا،**) جملة شرطية، معطوفة على الشرطية الأولى، وهي قوله: إذا زال زال قلعًا، (**خافض**) من الخفض، ضد الرفع (**الطرف،**) أي: إذا نظر إلى شيء، خفض بصره، ولا ينظر إلى الأطراف والجوانب بلا سبب، بل لم يزل مطرقًا؛ متوجهًا إلى عالم الغيب، مشغولاً بحاله، متفكرًا في أمور الآخرة، لأن هذا شأن المتواضع، وهو متواضع سليقة، وشأن المتأمل، المتفكر، المشتغل بربه، وقيل: هو كناية عن شدة حيائه، أو لين جانبه، أو عدم كثرة سؤاله واستقصائه إلاّ في واجب، وأردفه بما هو، كالتفسير له، أو التأكيد، فقال: (**نظره إلى الأرض**) حال السكوت، وعدم التحدث (**أطول،**) أي: أكثر (**من نظره إلى السماء،**) لأنه أجمع للفكرة، وأوسع للإعتبار، لاشتغاله بالباطن، وأعمال جنانه فيما بعث لأجله، أو لكثرة حيائه وأدبه مع ربه، أو لأنه بعث لتربية أهل الأرض، لا أهل السماء، والأول أحسن، والنظر ـ بفتحتين ـ تأمل الشيء بالعين، كما في الصحاح، وبالتقييد بعدم التحدث لا ينافي رواية أبي داود، كان إذا جلس يتحدث، يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء، أو يحمل الإكثار على الحقيقي، لا الإضافي، وقيل: أكثر، لا ينافي الكثرة (**جل نظره**) ـ بضم الجيم، أي: معظمه، وأكثره (**الملاحظة، وهي مفاعلة من اللحظ، وهو النظر بشق العين، الذي يلي الصدغ،**) وهو لحاظ العين ـ بالفتح، أي: مؤخره، أي أن أكثر نظره في غير أوان الخطاب الملاحظة، فلا ينافي قوله: وإذا التفت التفت جميعًا، وتطلق الملاحظة أيضًا لغة على المراقبة والمراعاة، وتفسيره بهذا أنسب وأكمل بمفرمه ﷺ، وقيل: المراد أن نظره إلى الأشياء لم يكن كنظر أهل الحرص إلى الدنيا وزخرفها، امتثالاً لأمر ربه بقوله: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ [الحجر: ٨٨] الآية.

(**وأما الذي يلي الأنف فالمؤق**) ـ بالهمز ـ (**والماق**) ـ بالألف، (**وقوله: وإذا التفت التفت جميعًا،**) وفي رواية جمعًا كضربا، نصب على المصدر أو الحال، (**أراد أنه لا يسارق النظر،**

النظر، وقيل: لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة إذا نظر إلى الشيء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعًا ويدبر جميعًا. قاله ابن الأثير.

وعن علي قال: كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العين بحمرة، رواه البيهقي.

وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس القدمين، رواه مسلم.

والشكلة: الحمرة ....

وقيل: لا يلوي عنقه يمنة، ولا يسرة إذا نظر إلى الشيء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف» صفة كاشفة، فالطيش لغة الخفة، **(ولكن كان يقبل جميعًا، ويدبر جميعًا؛ قاله ابن الأثير)** في النهاية.

(وعن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه، **(قال: كان رسول الله ﷺ عظيم العينين،)** أي: شديد اتساعهما، فهو بمعنى رواية الترمذي وغيره عن علي أدعج العينين، قال الجوهري: الدعج محركًا شدة سواد العين مع سعتها **(أهدب الأشفار،)** جمع شفر بالضم وتفتح، وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، أي: الهدب، وإيهامه أن الأشفار هي الأهداب غير مراد، فقد قال ابن قتيبة: العامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط، وفي المغرب، وغيره لم يذكر أحد من الثقات، أن الأشفار والأهداب، فهو إما على حذف مضاف، أي: الطويل شعر الأشفار، أو سمى النابت باسم المنبت للملابسة، **(مشرب العين)** بصيغة اسم المفعول مخففًا، ومشددًا **(بحمرة،)** وهي عروق حمر رقاق من علاماته في الكتب السابقة **(رواه البيهقي)**.

(وعن جابر بن سمرة) . بضم الميم وإسكانها، **(قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم)** . بفتح الضاد المعجمة. عظيمة، أو واسعة، ولذا كان يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، والعرب تذم ضيقه، وتمدح سعته لدلالته على قوّة الفصاحة، وقيل: هو كناية عن فصاحته، وقيل: المراد ذبول شفتيه ورقتهما وحسنهما، وكما تتمدح العرب بعظم الفم، تتمدح بكثرة ريقه عند المقامات والخطب والحروب، لدلالته على ثبات الجنان، بخلاف الجبان، فيجف ريقه في هذه المحافل، **(أشكل العينين)** بالتثنية، وفي نسخة العين: بالإفراد على إرادة الجنس **(منهوس)** . بسين مهملة، وفي رواية: معجمة، والمعنى واحد، أي: قليل لحم **(القدمين)**.

وفي رواية العقب بفتح، فكسر مؤرخ القدم، وفي القاموس: المنهوس من الرجال، قليل اللحم، ومنهوس القدمين معرقهما، **(رواه مسلم)** والترمذي، **(والشكلة)** . بضم الشين. **(الحمرة**

تكون في بياض العين وهو محمود محبوب، وأما الشهلة: فإنها حمرة في سوادها. وهذا هو الصواب: لا ما فسره به بعضهم، بأنه طول شق العين.

وعند الترمذي في حديث عن علي، أنه نعت رسول الله ﷺ فقال: كان في وجهه تدوير أبيض مشرب بحمرة، أدعج العينين، أهدب الأشفار.

والأدعج: الشديد سواد الحدقة.

تكون في بياض العين،) يقال: ماء أشكل إذا خالطه دم، **(وهو محمود، محبوب،)** قال الشاعر:

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عناق الخيل شكل عيونها

قال الحافظ العراقي: وهي إحدى علامات نبوّته ﷺ، ولما سافر مع ميسرة إلى الشام سأل عنه الراهب ميسرة، فقال في عينيه حمرة، فقال: ما تفارقه، قال الراهب هو هو، **(وأما الشهلة)** . بضم الشين، وإسكان الهاء **(فإنها حمرة في سوادها)** ولم ترد في وصفه عليه السلام، وإنما ذكر معناها كغيره للفرق بينها وبين الشكلة الواردة، **(وهذا)** التفسير للشكلة **(هو الصواب)** المعروف في كتب اللغة، والغريب **(لا ما فسر به بعضهم،)** وهو سماك بن حرب، راويه عن جابر؛ **(بأنه طول شق العين)**.

قال عياض: هو وهم من سماك، باتفاق العلماء، وغلط ظاهر، فقد اتفق العلماء وأصحاب الغريب، أن الشكلة حمرة في بياض العين، كالشهلة في سوادها، انتهى لفظ عياض، وما في الشارح عنه مقلوب، **(وعند الترمذي في حديث عن علي أنه نعت)** وصف **(رسول الله ﷺ، فقال: كان في وجهه تدوير،)** بالتنكير للنوعية، أو التقليل، أي: شيء قليل منه، كما مر **(أبيض)** بالرفع، أي: هو أبيض، فهي جملة مستقلة على نمط تعديد النعت، **(مشرب بحمرة،)** بصيغة اسم المفعول، مخففًا ومثقلاً للتكثير، والمبالغة من الإشراب، وهو خلط لون بلون **(أدعج العينين)** . بمهملة وجيم، أي: شديد سواد الحدقة مع سعتها، فلا يشكل بأنه أشكل، لأن الشكلة في البياض لا في السواد، **(أهدب الأشفار،)** جمع شفر بالضم، وقد تفتح، **(والأدعج: الشديد سواد الحدقة)** من الدعج . بفتحتين، أي: مع اتساعها، كما في الصحاح وغيره.

وفي النهاية الدعج السواد في العين وغيرها، وقيل: شدة بياض البياض، وسواد السواد، وكأن من عارض رواية أدعج برواية أشكل، بناه على ذا القول، وإلا فالشكلة في البياض، لا في السواد، فلا إشكال على التفسيرين الأوّلين، ودعوى أن الدعج زرقه في بياض لقوله:

يا رب إن العيون السود قد فتكت فينا وصالت بأسياف من الدعج

لأن السيوف زرق، ردت بأن المراد تشبيهها بالسيوف في فتكها لا في لونها، فإنه أبيض وزرق، إنما يقال للسهام، كما قال امرؤ القيس:

والأهدب: الطويل الأشفار: وهي شعر العين.

وعنده ـ أيضًا ـ عن علي قال: كان أسود الحدقة أهدب الأشفار.

وعن علي: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن لأخطب يومًا على الناس، وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر ينظر فيه، فلما رآني قال: صف لي أبا القسم، فقلت: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. الحديث، وفيه: قال علي: ثم سكت، فقال الحبر: وماذا؟ قلت: هذا ما يحضرني، قال الحبر: في عينيه حمرة حسن اللحية، ثم قال علي: هذه والله صفته، قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي، وإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة. الحديث.

وأما سمعه الشريف فحسبك أنه قد قال ....

أتقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

(والأهدب الطويل الأشفار، وهي شعر العين.) فسره على ظاهره، وتقدم أنه ليس بمراد، وأنه إما على حذف مضاف، أي: مغارز شعر العين، أو من تسمية الحال، وهو الشعر باسم المحل، وما في الشرح مقلوب، فلا ينافي قول ابن قتيبة العامة، تجعل أشفار العين الشعر، وهو غلط، إنما هي حروف العين التي ينبت عليها الشعر، فكأن لسان حال المصنف يقول ما قيل في الحديث، يقال على تفسيري، **(وعن علي بعثني النبي ﷺ إلى اليمن لأخطب يومًا على الناس،)** أعظهم وأذكرهم، ليتمكن إيمان من آمن، ويؤمن من لم يكن آمن، فخطبت **(وحبر)** . بفتح الحاء وكسرها ـ لغتان مشهورتان عالم **(من أحبار يهود، واقف بيده سفر)** ـ بكسر السين. كتاب كبير **(ينظر فيه، فلما رآني، قال: صف لي أبا القسم)** ﷺ؟ **(فقلت: ليس بالطويل البائن)** بالهمز، وقراءته بالياء غلط.

قال في النهاية، أي: المفرط طولاً، الذي بعد عن قدر الرجال الطوال، وقال في فتح الباري: اسم فاعل من بان، أي ظهر على غيره، أو فارق من سواه، **(ولا بالقصير،)** أي البائن، بل هو ربعة، ولكنه إلى الطول أقرب **(الحديث، وفيه قال علي، ثم سكت، فقال الحبر: وماذا قلت هذا ما يحضرني)** من صفته الآن، **(قال الحبر: في عينيه)** بالتثنية **(حمرة حسن اللحية، ثم قال علي: هذه والله صفته، قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة)** التي وصفتها يا علي، والتي ذكرتها أنا، فتذكرتها، وحلف أنها صفته **(في سفر آبائي، وإني أشهد أنه نبي، وأنه رسول الله إلى الناس كافة الحديث،)** فذكر منه مقصوده هنا، وهو أن جمرة عينيه من آيات نبوّته في الكتب السابقة، **(وأما سمعه الشريف، فحسبك أنه قد قال)** خير حسبك، والرابط بينهما محذوف، دل

ﷺ: إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي من رواية أبي ذر.

عليه المقام، أي: كافيك في بيان كماله ووصوله إلى ما لم يصل إليه غيره قوله (ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون**»،) لما أعطاه اللّٰه تعالى من قوّة البصر.

قال في الشفاء: والأحاديث كثيرة، صحيحة في رؤيته ﷺ الملائكة والشياطين، ورفع النجاشي له حتى صلى عليه، وبيت المقدس حتى وصفه لقريش، والكعبة حين بنى مسجده، وحكى عنه أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا، وهذه كلها محمولة على رؤية العين، وهو قول ابن حنبل وغيره، وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم، والظواهر تخالفه، ولا إحالة في ذلك، وهي من خواص الأنبياء انتهى.

ونازعه السيوطي في رفع النجاشي؛ بأنه لم يجده في كتب الحديث، وإنما الوارد فيها أنه رفع إليه معٰوية المزني، حتى صلى عليه، والنبي ﷺ بتبوك، أخرجه أبو يعلى والبيهقي عن أنس انتهى، والمصنف ذكر هذا الحديث بتمامه، وإن كان غرضه منه قوله: (**وأسمع ما لا تسمعون**،) فهو صريح في قوّة سمعه، وقوي ذلك بقوله: (**أطت السماء**) . بفتح الهمزة، وشد الطاء. صاحت وصوتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة، وكثرة الساجدين فيها، منهم من الأطيط، وهو صوت الرحل والإبل منحمل أثقالها وأل للجنس، ومعنى الحديث: وأنا سمعت ذلك لقوله في الحديث التالي: إني لأسمع أطيط السماء، (**وحق**) . بفتح الحاء وضمها. على ما يفيده القاموس، فالضم من حق لك فعل كذا، والفتح من وقع ووجب، (**لها أن تئط**) . بفتح الفوقية، وكسر الهمزة، وشد الطاء، أي: تصوت، والجملة حالية أو معترضة، لبيان أنه لا ينكر أطيطها، ولا يستغرب، وذلك لأنه (**ليس فيها موضع أربع أصابع**،) وهذه الرواية مبنية، أن قوله في رواية حكيم موضع شبر، أي: ولا أقل منه (**إلا وملك واضع جبهته**،) استعارة، أو حقيقة في البعض، كذا، قيل (**ساجدًا للّٰه تعالى**).

وفي رواية: إلا وفيه جبهة ملك، ساجد يسبح اللّٰه ويحمده، وقد ادعى ابن الأثير أن أطيط السماء مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن أطيط، وإنما هو كلام تقريبي، أريد به تعزيز عظمة اللّٰه تعالى، ونظر فيه الشامي بقوله: إني لأسمع أطيط السماء، فالظاهر حمله على الحقيقة؛ فإنه أمر ممكن، ولا يتم الدليل إلا به، وألفاظه ﷺ يجب بقاؤها على ظاهرها إلاَّ لمانع، ولا مانع هنا، فكيف إذا كان الصرف على الظاهر يفوِّت المقصود، (**رواه الترمذي**،) وأحمد، وابن ماجه، والحاكم، وصححه، كلهم (**من رواية أبي ذر**،) عنه ﷺ بزيادة: «والله لو تعلمون ما أعلم

وما رواه أبو نعيم عن حكيم بن حزام، بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال إني لأسمع أطيط السماء، وما تلازم أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم.

لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات، تجأرون إلى اللّه»، **(وما رواه أبو نعيم،)** عطف على أنه قد قال، أي: وحسبك رواية أبي نعيم، **(عن حكيم)** . بفتح الحاء وكسر الكاف. **(ابن حزام)** . بكسر المهملة وبالزاي. ابن خويلد بن أسد، بن عبد العزى، بن قصي القرشي، الأسدي، أبو خالد المكي، ابن أخي خديجة، أم المؤمنين، أسلم يوم الفتح، وصحب له أربع وسبعون سنة، وروى أحاديث في الكتب الستة وغيرها، وكان عالمًا بالنسب، وولد في جوف الكعبة، وعاش إلى سنة أربع وخمسين، أو بعدها، قال: **(بينما رسول اللّه ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: «تسمعون ما أسمع»؟)** أي: أتسمعون، فهمزة الإستفهام التقديري مقدرة، **(قالوا: ما نسمع من شيء،)** زائد على ما جرت العادة بسماعه، وأما أنت، فلا نصل إلى ما تسمع، ففيه حذف الصفة، فلا يرد أن جوابهم بنكرة منفية، لا يلاقي سؤاله، فكان حقهم أن يقولوا: لم نسمع ما تسمع، وعدلوا عن هذا لئلا يقتضي أنهم علموا ما سمع، لكن بغير السمع، وهو غير واقع، **(قال: إني لأسمع أطيط،)** صوت **(السماء،)** أي: جنسها، فالمراد السبع، فإن قيل: كيف يكون صوتًا مسموعًا لسامع في محل لا يسمعه آخر معه، وهو مثله سليم الحاسة عن آفة تمنع الإدراك، أجيب بأن الإدراك معنى يخلقه اللّه تعالى لمن يشاء، ويمنحه من يشاء، وليس بطبيعة، ولا وتيرة واحدة، أي: طريقة مطردة، لا تختلف الناس فيها، **(وما تلازم)** لا يعترض عليها في **(أن تئط،)** كأن يقال في شأنها لم أطت، **(وما فيها موضع شبر،)** فأقل لقوله في الرواية السابقة أربع أصابع، إذ هو كناية عن كثرة اشتغال أجزائها كلها، **(إلاّ وعليه،)** أي: الموضع، وفي نسخة عليها إما لتأويل الموضع بالبقعة، أو لعود الضمير للسماء، أي إلا وعليها في ذلك الموضع **(ملك ساجد، أو قائم)**.

فزاد في ذا الحديث القيام، لأن وضع الجبهة للسجود في الحديث قبله، كناية عن العبادة بغاية الخضوع والذلة، فلا ينافي ذا الحديث المفصل، وقد روى ابن عساكر أن في السماء ملائكة قيام، لا يجلسون أبدًا، وسجود لا يرفعون أبدًا، وركوع لا يقومون أبدًا، يقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك، ثم لا يرد أن الملائكة أجسام نورانية، لا يحصل بهم ثقل تئط به السماء، لأن المعنى يغلب عليها النور، فلا ينافي أن كثرتهم توجب ثقلاً، تئط منه على أنه حقيقي، وفي ذا الحديث ونحوه: أن الملائكة أكثر الخلق، لكن معرفة قدر كثرتهم وأصنافهم موكولة إلى اللّه، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ويروى في حديث مناجاة موسى، قال: يا رب من عبدك قبل ءادم،

وأما جبينه الكريم ﷺ فقد كان واضح الجبين، مقرون الحاجبين. بهذا وصفه علي، كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال: مقرون الحاجبين صلت الجبين. أي: واضحه، والقرن: اتصال شعر الحاجبين.

وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: ....

قال الملائكة، قال: كم هم؟ قال: اثنا عشر ألف سبط، قال: مثل الجن والإنس، والطير والبهائم اثني عشر ألف مرة، وفي رواية: كم عدد السبط، قال: عدد التراب والأخبار والآثار الدالة على أكثريتهم، لا تكاد تحصى، **(وأما جبينه الكريم)** أي: صفته، والمراد جبيناه **(ﷺ)** فالإضافة للاستغراق، وهما جبينان فوق الصدغين، مكتنفان الجبهة، يمينًا وشمالاً، وأفرد لوقوعه كذلك في رواية علي وغيره، ولعله أخره على البصر والسمع مع كونه فوقهما، لأن مدركاتهما لقوتهما تناسب مدركات الدماغ، وقدم البصر على السمع، مع أنه أفضل على ما قال بعض، لأن مدركات البصر يستلذ بها عادة أقوى من السمع، **(فقد كان واضح الجبين)** لم يقل واضحًا، محافظة على الوارد، **(مقرون الحاجبين)** ثني فيهما، لأن وصفهما بالقرن يستدعي التعدد **(بهذا وصفه عليّ، كما عند ابن سعد وابن عساكر، فقال: مقرون الحاجبين،)** أي: الشعر المسمى بالحاجبين على أحد القولين لغة، والثاني أنهما العظمان فوق العينين بالشعر واللحم، فإن أريد هذا ففيه مضاف، أي: شعر الحاجبين، **(صلت الجبين)**. بفتح المهملة، وإسكان اللام، وفوقية، وفي حديث ابن أبي هالة: واسع الجبين، أي: جنسه، والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضًا، وسعتهما محمودة عند كل ذي ذوق سليم، وهو معنى رواية علي صلت الجبين، **(أي: واضحه،)** ففي الصحاح: الصلت الجبين: الواضح، تقول منه صلت بالضم، أي: للام صلوتة اهـ، فهو صفة ذاتية لجبين كل من وصف بذلك، لا من حيث ظهوره للرائي له ﷺ لما قام به من النور، وذكر ابن أبي خيثمة كان ﷺ أجلى الجبين، إذا طلع جبينه من بين الشعر، أو طلع من فلق الشعر، أو عند الليل، أو طلع بوجهه على الناس تراءى، أي: جبينه، كأنه هو السراج المتوقد يتلألأ، وكانوا يقولون هو، كما قال شاعره حسان رضي الله عنه:

متى يبد في الليل البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد ... نظام لحق أو نكال لملحد

فهذا هو الزائد عن مطلق وضح الجبين، المسفر بالاتساع والامتداد **(والقرن)**. بفتحتين. **(اتصال شعر الحاجبين،)** إضافة بيانية أن فسر الحاجب بالشعر، ولامية من إضافة الجزء إلى كله أن فسر بالعظم مع الشعر واللحم.

(وعند البيهقي عن رجل من الصحابة:) لا ضير في إبهامه، لأنهم كلهم عدول، **(قال:**

رأيت رسول الله ﷺ، فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين. ولله در القائل:

جبينه مشرق من فوق طرته يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته من فوق نوناتها سيناً ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه منضر الحسن قد قلت نظائره

وقال ابن أبي هالة: أزج الحواجب ـ وفسر: بالمقوّس الطويل الوافر الشعر ـ

رأيت رسول الله ﷺ، فإذا هو **(رجل حسن الجسم،)** أي: الجسد، **(عظيم الجبهة، دقيق الحاجبين،)** بالدال من الدقة، خلاف الغلظ، أي: رقيقهما، **(ولله در القائل:)** هو الأستاذ العارف محمد، وفي من قصيدة أولها:

إذا أباح ذم المهجور هاجره باح المحب بما تخفي ضمائره

(جبينه مشرق من فوق طرته). بضم الطاء المهملة. جانب الثوب الذي لا هدب له والناصية، كما في القاموس، فكان المعنى هنا: أن جبينه يزيد لكثرة نوره، فيجاوز ناصيته، وينتشر على جوانب ثوبه، **(يتلو الضحى،)** أي: نوره الذي كبياض النهار وقت الضحى **(ليله،)** أي: سواد شعره الذي كالليل، **(والليل كافره،)** ساتر لذلك النور والإشراق، رحمة من اللّه، ورفقًا بالناس، إذ لولاه ما استطاع أحد نظر وجهه الشريف **(بالمسك خطت)** كتبت **(على كافور،)** قال في القاموس: نبت طيب، نوره كنور الأقحوان، وطيب معروف لونه أحمر، وإنما يبيض بالتصعيد، انتهى باختصار **(جبهته، من فوق نوناتها سينًا،)** مفعول خطت، والفاعل **(ضفائره)** بضاد معجمة، جمع ضفيرة، والمعنى على التشبيه والاستعارة ظاهر، **(مكمل الخلق)**. بفتح الخاء، وإسكان اللام. **(ما تحصى خصائصه،)** أي: لا يمكن إحصاؤها وعدها، لكثرتها **(منضر،)** محسن **(الحسن،)** فهو مبالغة في المدح، **(قد قلت نظائره،)** عدمت فلا وجود لها، فالقلة تنتهي للعدم، كقولهم: قل رجل يقول كذا، أي: ليس رجل يقوله، **(وقال ابن أبي هالة: أزج)**. بفتح الهمزة، والزاي، وتشديد الجيم. صفة مشبهة **(الحواجب،)** جمع حاجب من الحجب، المنع سمي به لمنعه الشمس عن العين، وعدل عن التثنية إلى الجمع، مبالغة امتدادهما، حتى صار كعدة حواجب، كأنه جعل كل قصحة اسمها حاجب، فوقع الجمع على القطع المختلفة مبالغة، وهذا أدق من قول جمع، لأن التثنية جمع، **(وفسر)** عند عياض في الشفاء **(بالمقوّس،)** أي: الحاجب المشبه بالقوس كالمتقوّس، كما في القاموس **(الطويل الوافر الشعر،)** أي: المتصل بعضه ببعض، بحيث لا يتخلله فرج، فلا ينافي دقته، أي: رقته في نفسه، المستفادة من نعته بأزج، وهو الدقة

ثم قال: سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أي يمتلىء دما إذا غضب كما يمتلىء الضرع لبنًا إذا در. قاله في النهاية.

وعن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إني خلقتك من غير فحل، فجعلتك آية

في طول وامتداد، كما قال حسان:

أزج كشق النون من يد ِ كاتب

والزجج ما كان خلقه، والتزجيج ما صنع، كزججن الحواجب والعيونا، وتسمية العوام تخفيفًا بمهملة، **(ثم قال)** ابن أبي هالة: **(سوابغ)**. بسين وصاد، والسين أفصح. جمع سابغة، أي: كاملات

قال الزمخشري: حال من المجرور، وهو الحواجب، وهي فاعلة في المعنى، إذ تقديره أزج حواجبه، أي: زجت حواجبه انتهى، أو منصوب على المدح **(من،)** وفي رواية: في، وهي بمعنى من **(غير قرن)**. بفتحتين، أي: اجتماع، يعني أن طرفي حاجبيه، قد سبغا، أي: طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا، فهو مكمل للوصف المذكور، أو هو حال أيضًا من الحواجب على الترادف، أو التداخل، ويأتي قريبًا الجمع بينه وبين وصفه باقرن **(بينهما،)** أي: الحاجبين، فهو إشارة إلى أن الحواجب في معنى الحاجبين، وهو حال أيضًا من الحواجب، وترك العطف في الجملة الإسمية جائز **(عرق)**. بكسر، فسكون. **(يدره)**. بضم أوله، وكسر ثانيه، وشد ثالثه، أي: يحركه ويظهره **(الغضب)** فيمتلىء ذلك العرق دمًا، فيظهر ويرتفع، وقوله: **(أي: يمتلىء دمًا إذا غضب)** تفسير للإدرار باللازم، وأثر له لا بيان لمعناه، يعني: إذا غضب حرك الغضب ذلك العرق، فامتلأ دمًا، **(كما يمتلىء الضرع لبنًا إذا در، قاله في النهاية،)** فجعله من در اللبن إذا كثر ونوزع، بأنه لا استقامة لهذا التجوّز، وقيل: هو من در السهم إذا دار على الظفر، وقيل: من الإدرار، وهو إخراج الريح المطر من السحاب، وجعله الزمخشري من أدرت المرأة الغزل، إذا فتلته شديدًا، واعترض بأنه لا قرينة لهذا المجاز.

(وعن مقاتل بن حيان). بمهملة وتحتية مشددة. النبطي. بفتح النون والموحدة. أبي بسطام البلخي الخزاز. بمعجمة، وزايين منقطوتين، صدوق فاضل، روى له مسلم وأصحاب السنن، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعًا كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمان. مات قبل الخمسين ومائة بأرض الهند.

ذكره الحافظ، **(قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول)**، المنقطعة عن الرجال، **(إني خلقتك من غير فحل، فجعلتك آية)**، **علامة دالة على قدرتي (للعالمين)**، الإنس والجن والملائكة، حيث خلقتك من غير فحل،

للعالمين، فإياي فاعبد، وعلي فتوكل، فسر لأهل سوران أني أنا الله الحي القيوم، لا أزول، صدقوا النبي الأمي، صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة، الجعد الرأس، الصلت الجبين، المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأقنى الأنف، الواضح الخدين، الكث للحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريحه كالمسك ينفح منه، كأن عنقه إبريق فضة. ....

(فإياي فاعبد) لا غيري، **(وعليَّ فتوكل)** لا على غيري، **(فسر لأهل سوران إني أنا اللّه الحي)**، الدائم البقاء **(القيوم،)** المبالغ في القيام بتدبير خلقه، **(لا أزول، صدقوا النبي الأمي، صاحب الجمل والمدرعة)**. بكسر الميم، أي: القتال والملاحم، كما في الشامي في الأسماء، وإن كانت في الأصل كالدراعة، ثوب ولا يكون إلاَّ من صوف، كما في القاموس، **(والعمامة والنعلين والهراوة)**. بكسر الهاء، ثم راء، فألف، فواو، فتاء تأنيث. العصا مطلقًا، أو الضخمة، **(الجعد الرأس)**. بفتح الجيم، وإسكان العين، أي: جعودة متوسطة، فلا يخالف قول أنس في الصحيحين، والترمذي ليس بالجعد القطط، ولا بالسبط القطط. بفتحتين. الشديد الجعودة كالسودان، والسبط. بفتح فكسر، أو سكون. المنبسط، المسترسل، الذي لا تكسر فيه، فهو متوسط بين الجعودة والسبوطة **(الصلت،)** أي: الواضح **(الجبين، المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأقنى الأنف، الواضح الخدين،)** أي: ليس فيهما نتوء، ولا ارتفاع، فهو كقول هند: سهل الخدين، **(الكث للحية)**. بفتح الكاف ومثلثة. غير دقيقها، ولا طويلها، وفيها كثافة، كما في النهاية.

وفي التنقيح: كثير شعرها غير مسبلة، واللحية. بكسر اللام وفتحها، وهو لغة الحجاز، الشعر النابت على الذقن، خاصة **(عرقه)**. بالتحريك. ما يرشح من جلده **(في وجهه، كاللؤلؤ)** في الصفاء والبياض.

وللبيهقي عن عائشة: كان يخصف نعله، وكنت أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نورًا، **(وريحه كالمسك ينفح)**. بفتح الفاء، أي: يهب **(منه)** ويظهر رائحته، **(كأن عنقه)**. بضم المهملة والنون وتسكن. **(إبريق فضة،)** صفاء، وطولاً متوسطًا لا مفرطًا، ففي حديث هند: معتدل الخلق، وفي حديث أبي هريرة: كان ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة، رواه الترمذي، وعنده في حديث هند: كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، وجيد. بكسر الجيم وإسكان الياء. العنق عبر به تفننًا وكراهة للتكرار اللفظي، ودمية. بضم المهملة، وسكون الميم، وتحتية. الصورة، أو المنقوشة من نحو رخام، أو عاج شبه عنقه بعنقها، لأنه يتأنق في صنعتها، مبالغة في حسنها، وخصها لكونها كانت مألوفة عندهم دون غيرها، وقوله في صفاء الفضة حال

الحديث.

والأنجل: الواسع شق العين.

والقرن: بالتحريك: التقاء الحاجبين.

وما وصفه به ابن أبي هالة مخالف لما في حديث مقاتل بن حيان وما في حديث أم معبد فإنها قالت: أزج أقرن، أي مقرون الحاجبين، قال ابن الأثير: والأول هو الصحيح في صفته، يعني: سوابغ في غير قرن.

مقيدة بالتشبيه به، أي: هو حال صفائه.

قال الزمخشري: وصف عنقه بالدمية في الإشراق والاعتدال، وظرف الشكل، وحسن الهيئة والكمال، وبالفضة في اللون والإشراق والجمال، (**الحديث، والأنجل: الواسع شق العين،**) لم يتقدم حتى يحتاج إلى بيانه، لكنه سقط من قلمه بعد قوله: الأدعج العينين، لفظ الأنجل العينين، وهو بنون وجيم من النجلة السعة، ومنه طعنة نجلاء (**والقرن بالتحريك،**) أي: فتح الأول والثاني، (**التقاء**) شعر (**الحاجبين،**) ففيه مضاف، (**وما وصفه به ابن أبي هالة**) من قوله: سوابغ من غير قرن، (**مخالف لما في حديث مقاتل بن حيان**) من قوله: المقرون الحاجبين، (**و**) مخالف (**ما في حديث أم معبد، فإنها قالت:**) أحور، أكحل، (**أزج،**) يوصف به الرجل، والحاجب في المدح (**أقرن، أي: مقرون الحاجبين**).

قال ثابت في كتاب خلق الإنسان: رجل أقرن، وامرأة قرناء، فإذا نسب إلى الحاجبين، قالوا: مقرون الحاجبين.

(**قال ابن الأثير: والأول هو الصحيح في صفته**) ﷺ، (**يعني سوابغ في غير قرن،**) وقال غيره: إنه المشهور، وإن قول الحسن: سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصافًا، فارد لما جاء بخلافه، وجمع على تقدير الصحة، بأنه يحسب ما بيده للناظرين من بعد، أو بلا تأمل، وأما القريب المتأمل، فيرى بين حاجبيه فاصلاً لطيفًا مستثنيًا، فهو أبلج في الواقع، أقرن بحسب الظاهر للناظر من بعد، أو بلا تأمل، كما في وصف أنفه، يحسبه من لم يتأمله، أشم، ولم يكن أشم، وبأن بينهما شعرًا خفيفًا جدًا، يظهر إذا وقع عليه الغبار، في نحو سفر، وحديثهما سفري، وبأن القرن حدث له بعد، وكان أولاً بلا قرن واستبعد.

قال الأنطاكي وغيره: والقرن معدود من معايب الحواجب، والعرب تكرهه، وأهل القيافة تذمه، ويستحبون البلج، خلاف ما عليه العجم، وإذا دققت النظر، علمت أن نظر العرب أدق،

والقنى في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع خدب في وسطه.

وقد وصفه عليه الصلاة والسلام غير واحد: بأنه كان عظيم الهامة، كما في حديث ابن أبي هالة المشهور. وقال علي بن أبي طالب ـ في حديث رواه الترمذي وصححه البيهقي ـ : ضخم الرأس. وكذا قال أنس في رواية البخاري.

وكان عليه الصلاة والسلام أيضًا ضخم الكراديس، وهي رؤوس العظام، كما وصفه به علي في حديث الترمذي. وقال أيضًا في رواية: جليل المشاش والكتد. وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أي عظيمهما.

والكتد ـ بفتحتين ويجوز كسر التاء ـ مجتمع الكتفين.

وكان عليه الصلاة والسلام دقيق العرنين، ....

وطبعهم أرق، **(والقنى في الأنف طوله، ودقة أرنبته مع خدب)** . بمهملتين. **(في وسطه،)** وهو معنى قول ابن الأثير: وهو السائل الأنف، المرتفع وسطه، وقيل: هو نتوء في وسط القصبة، والأول أولى بالمدح، **(وقد وصفه عليه الصلاة والسلام غير واحد)** من الصحابة؛ **(بأنه كان عظيم الهامة)** . بالتخفيف. الرأس عظمًا متوسطًا لا خارجًا، لأنه آية البلادة، **(كما في حديث ابن أبي هالة، المشهور)** في الترمذي، **(وقال علي بن أبي طالب في حديث رواه الترمذي وصححه،)** رواه **(البيهقي)** في الدلائل، **(ضخم الرأس،)** أي: عظيمه، وهو محبوب ممدوح، لأنه أعون على الإدراكات، ونيل الكمالات، **(وكذا، قال أنس في رواية البخاري)** بلفظ: كان ضخم الرأس واليدين والقدمين، **(وكان عليه الصلاة والسلام أيضًا ضخم الكراديس،)** جمع كردوس بالضم، **(وهي رؤوس العظام،)** كما قاله عياض وغيره، وقيل: هي كل عظمين التقيا في مفصل نحو الركبتين، والمنكبين، والوركين، وكيفما كان، يدل على وفور المادة، وقوة الحواس، وكثرة الحرارة، وكمال القوى الدماغية، **(كما وصفه به علي في حديث الترمذي، وقال)** الترمذي **(أيضًا في رواية)** عن علي أيضًا: **(جليل،)** أي: عظيم **(المشاش)** بضم الميم، ومعجمتين. جمع مشاشة بالضم والتخفيف، **(والكتد،)** وذلك علامة النجابة ونهاية القوّة، **(وفسر برؤوس العظام، كالركبتين، والمرفقين، والمنكبين، أي: عظيمهما)** تفسير لجليل، أي: المشاش والكتد، فهو مثل قوله في الرواية الأولى، وضخم الكراديس.

وفي الصحاح: المشاشة رؤوس الأصابع، والعظام اللينة التي يمكن مضغها، **(والكتد ـ بفتحتين ـ)** للكاف والفوقية، **(ويجوز كسر التاء، مجتمع الكتفين،)** كما قاله عياض وغيره، **(وكان عليه الصلاة والسلام دقيق العرنين)** . بكسر المهملة، وإسكان الراء، وكسر النون الأولى،

أي أعلى الأنف، كما وصفه به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر. وفي روايته أيضًا عن ابن عمر من وصف علي له أيضًا: أقنى الأنف، وفسر بالسائل المرتفع وسطه، وقال ابن أبي هالة: أقنى العرنين له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ، والأشم: الطويل قصبة الأنف.

وأما فمه الشريف ﷺ ففي مسلم من حديث جابر أنه ﷺ كان ضليع الفم، ....

(**أي: أعلى الأنف،**) أي: أوله حيث يكون فيه الشمم، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين، أو ما صلب من عظم الأنف، أو كله، ويجمع على عرانين، ويوصف به أشراف الناس، لشموخ أنفهم، وارتفاعهم على أقرانهم، ويكنى به عن العزيز، المحسود في قومه لعزه ومنه:

إن العرانين تلقاها محسدة ... وما ترى للئام الناس حسادا

(**كما وصفه به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر، وفي روايته أيضًا، عن ابن عمر**) ابن الخطاب (**من وصف علي له أيضًا،**) فهو رواية صحابي، عن صحابي، (**أقنى الأنف**). بقاف فنون مخففًا من القنى، (**وفسر**) في النهاية (**بالسائل**) الأنف، (**المرتفع وسطه**) مع احديدابه، وارتفاع أعلاه، كما مر قريبًا.

(**وقال ابن أبي هالة: أقنى العرنين، له نور،**) أي: للعرنين، لأنه أقرب، وقيل: للنبي، لأنه الأصل، فلامه بمعنى على (**يعلوه،**) يغلبه من حسنه، وبها رونقه، (**يحسبه**). بفتح السين وكسرها، قيل: وهو أولى يظنه (**من لم يتأمله،**) يمعن النظر فيه، (**أشم**) مفعول ثان ليحسبه، أي: وليس باشم، (**والأشم: الطويل قصبة الأنف،**) مع استواء أعلاه، وانفراق الأرنبة، وقيل: الشمم: طول الأنف مع سيلانه ودقته، والأوَّل أصح، وقد يعبر به عن عزَّة النفس، وعدم التنزل للأمور، ومما يمدح به، كما قال كعب:

شم العرانين إبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

(**وأما فمه الشريف ﷺ،**) أي: صفته ظاهرة وباطنة، فدخل الأسنان والخدان، فليس المراد حقيقته التي هي الخلاء الداخل، وجواب أما مقدر، أي: فكان على غاية من الرونق والكمال، (**ففي مسلم:**) الفاء للتعليل، بمعنى اللام (**من حديث جابر**) بن سمرة، كما في مسلم والترمذي، فكان عليه زيادته، لأنه عند الإطلاق ابن عبد اللَّه، لكنه استغنى عن التقييد، لتقدمه قريبًا (**أنه ﷺ كان ضليع الفم**). بفتح الضاد المعجمة، (**يعني واسعة**) أو عظيمة.

قال الزمخشري: والضليع في الأصل الذي عظمت أضلاعه ووفرت، فاجفر جنباه، ثم

يعني واسعة. وكذا وصفه به ابن أبي هالة، وزاد يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، يعني لسعة فمه، والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم.

وقال شمر: عظيم الأسنان.

وفي حديث عند البزار والبيهقي قال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ أسيل الخدين واسع الفم.

ووصفه ﷺ ابن أبي هالة فقال: أشنب مفلج الأسنان. والشنب: رونق الأسنان ....

استعمل في موضع العظيم، وإن لم يكن، ثم أضلاع، وقيل: ضليعه: مهزوله وذابله، والمراد ذبول شفتيه، ورقتهما، وحسنهما، وقيل: هو كناية عن قوّة فصاحته، وكونه يفتتح الكلام، يختمه بأشداقه، والأوّل قول الأكثر.

قال النووي: وهو الأظهر، **(وكذا وصفه به ابن أبي هالة، وزاد)** في بعض طرق حديثه: **(يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه،)** جمع شدق. بكسر الشين وفتحها، وسكون المهملة. جوانب فمه، **(يعني لسعة فمه، والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم،)** لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضدها، والمولدون من الشعراء يمدحون صغره، وهو خطأ منهم، أو لمعنى لا يلتفت إليه لقبحه، **(وقال شمر)**. بكسر الشين المعجمة، وسكون الميم. ابن عطية الأسدي، الكاهلي، الكوفي: معنى ضليع الفم، **(عظيم الأسنان،)** وتعقب بأن المقام مقام مدح، وعظمها مذموم بخلاف الفم، وأجيب بأن مراده بعظمها: شدتها وقوّتها وتمامها، ولا يتوهم في سياق المدح غير هذا، وتعقب تفسيره أيضًا؛ بأن المتبادران ذلك إنما هو من معاني الضليع من غير إضافة إلى الفم، فلما إضيف إليه استبان أن المراد عظمه، لا عظم الأسنان، إلا أن ثبت نقل عن أئمة هذا الشأن، وأجاب شيخنا: إملاء بأنه لا يلزم من استعماله مضافًا إلى معنى تخصيصه بما أضيف إليه، ومن تتبع ما ورد من استعمالات اللغة لا يتوقف فيه، فضلاعة الفم لا تتقيد بكونها في خصوص الفم، بل يجوز أن تكون صفة له باعتبار ما وجد فيه.

(وفي حديث عند البزار والبيهقي، قال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ أسيل الخدين،) بزنة أمير لينهما، غير مرتفع الوجنتين، فهو كقول هند: سهل الخدين، **(واسع الفم)** فهذا يؤيد تفسير الأكثر ضليع بواسع، لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضًا، **(ووصفه ﷺ ابن أبي هالة، فقال:)** عقب ضليع الفم **(أشنب)**. بفتح الهمزة، وإسكان المعجمة، وفتح النون، وموحدة، أي: ذو شنب، **(مفلج الأسنان)**. بضم الميم، وشد اللام، **(والشنب رونق،)** أي: حسن **(الأسنان**

وماؤها. وقيل: رقتها وتحديدها. وأفلج الأسنان أي متفرقها.

وقال علي: مبلج الثنايا، بالموحدة، أخرجه ابن سعد من حديث أبي هريرة.

وعند ابن عساكر: عن علي: براق الثنايا.

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، إذا تكلم ريء

وماؤها).

قال المجد: رونق السيف والضحى ماؤه وحسنه، **(وقيل: رقتها وتحديدها)** . بحاء ودالين مهملات، أي: الأسنان على ظاهر المتن، وبه فسره الجوهري، وقصره المجد على الأنياب، فيحتمل الموافقة والمخالفة، وفي نسخة: وتحزيزها . بزاءين منقوطتين، وهو قول في معنى الشنب أيضًا، إذ قيل: إنه نقط بيض، وتحزيز في الأسنان، وسئل رؤبة عن قول ذي الرمة:

لمياء في شفتيها حوّة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

فأخذ حبة رمان، وقال: هذا هو الشنب، أي أن صفاء ما فيها كهذا، وقيل: هو برد وعذوبة فيها، وقيل: بياض، وبريق، وصفاء، وتحديد في الأسنان، **(وأفلج الأسنان، أي: متفرقها،)** وهو أنقى للفم، وأطيب، وأبلغ في الفصاحة، لأن اللسان يتسع فيها، والمراد الثنايا لحديث ابن عباس: أفلج الثنيتين، والمراد الثنايا والرباعيات، لأن تباعد الأسنان كلها عيب، وفي القاموس: مفلج الثنايا منفرجها، **(وقال علي: مبلج)** . بضم الميم، وإسكان الموحدة من أبلج. **(الثنايا،)** أي: مشرقها ومضيئها، صفة مستقلة، لا تفسير للفلج **(بالموحدة)** الساكنة من أبلج، كما في القاموس وغيره، ويحتمل فتحها، وشد اللام من بلج مثقلاً، لكن لم يذكروه.

(أخرجه ابن سعد من حديث أبي هريرة) عن علي، ففيه من اللطائف صحابي، عن صحابي، **(وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا)** أي: مضيئها، فهو مساوٍ للرواية الأولى، عنه أبلج، وكلاهما يرجع لمعنى الشنب.

(وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين) من الفلج، أي: بعيد ما بين الثنايا والرباعيات، والفرق فرجة ما بين الثنايا، فاستعمل الفلج مكان الفرق بقرينة، نسبته إلى الثنايا فقط، ذكره ابن الأثير، لكن ذكر الجوهري أنه مشترك بينهما، فلا حاجة إلى أنه استعمل في محله، إلاّ أن يكون إطلاق الفلج على تفريج الثنايا مجازًا لغويًا، قيل: أكثر الفلج في العليا، وهي صفة جميلة، لكن مع القلة، لأنه أتم في الفصاحة، لاتساع الأسنان **(إذا تكلم)** خبر ثان لكان **(ريء)** . بكسر الراء بزنة، قيل: على الأفصح، ويقال بضم الراء، وكسر الهمزة، وبني للمجهول إشارة إلى أن الرؤية لا تختص بأحد دون أحدًا، ولذا لم يقل إذا تكلم يخرج **(كالنور،)** أي شعاع

كالنور يخرج من بين ثناياه. رواه الترمذي في الشمائل، والدارمي، والطبراني في الأوسط.

وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم.

بحر من الشهد في فيه مراشفه ياقوته صدف فيه جواهره

وعن أبي قِرْصافة قال: بايعنا رسول الله ﷺ أنا وأمي وخالتي، فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي: يا بني، ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهًا ولا أنقى ثوبًا ولا ألين كلامًا، ورأينا كالنور يخرج من فيه.

وأما ريقه الشريف، ....

مثله، فالكاف بمعنى مثل، فلا حاجة لتقدير شيء (**يخرج من بين ثناياه**) أما من الثنايا نفسها، أو من داخل الفم، وطريقه من بينها معجزة له، وهو نور حسي، ووهم من قال معنوي، والمراد ألفاظه بالقرءان، أو السنة، لأنه خلاف الظاهر المتبادر من قوله: ريء، والثنايا جمع ثنية، وهي أربع في مقدم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من تحت، (**رواه الترمذي في الشمائل**) النبوية، (**و**) رواه أيضًا شيخ الترمذي، فيه عبد اللّٰه بن عبد الرحمٰن الحافظ، (**الدارمي**) في مسنده، (**والطبراني في**) معجمه (**الأوسط**)، وكذا في الكبير، وفيه عند الجميع عبد العزيز أبي ثابت، وهو ضعيف جدًا، كما قاله الحافظ نور الدين الهيثمي، (**وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد اللّٰه شفتين، وألطفهم ختم فم**) وأنشد قول العارف الرباني سيدي محمد وفى:

(**بحر من الشهد في فيه مراشفه ياقوتة صدف فيه جواهره**)

(**وعن أبي قرصافة**) . بكسر القاف، وسكون الراء، بعدها مهملة وفاء . اسمه جندرة . بفتح الجيم، ثم نون ساكنة، ثم مهملة مفتوحة، ثم راء فهاء . ابن خيشنة . بمعجمة، ثم تحتية، ثم نون . الكناني، الليثي، الصحابي، المشهور بكنيته، ذكره الحافظ، (**قال: بايعنا رسول اللّٰه ﷺ أنا وأمي**،) ذكرها في الإصابة في الكنى، ولم يسمها، فقال أم جندرة، والدة أبي قرصافة، وقع ذكرها عند الطبراني في مسند ولدها، (**وخالتي، فلما رجعنا، قالت لي أمي وخالتي**:) مفعول معه، أي: مع مصاحبتها لخالتي، فقوله: (**يا بني**) مقول أمه خاصة، أو معطوف، يعني أن كلاً منهما وصفه بالبنوّة، فهو حقيقي بالنسبة لأمه مجازى لخالته (**ما رأينا مثل هذا الرجل**) خلقًا وخلقًا (**أحسن**،) الرواية لا أحسن (**وجهًا**،) بل هو أحسن وجهًا من جميع الناس، (**ولا أنقى**) بنون وقاف. أنظف (**ثوبًا**)، بل ثوبه أنظف من جميع الثياب، (**ولا ألين كلامًا، ورأينا كالنور يخرج من فيه**،) هذا محل شاهده من هذا الحديث، (**وأما ريقه الشريف**،) أي: وصفه، فكان

ففي الصحيحين، عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوًا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع. ....

يشفي الداء الحسي والمعنوي، كإزالة ملوحة الماء، فالجواب محذوف اكتفاء بما دل عليه، وهو قوله: **(ففي)** التي بمعنى اللام، أي لما في **(الصحيحين)** للبخاري ولمسلم، **(عن سهل بن سعد)** بن مالك بن خالد الأنصاري، الخزرجي، الساعدي، صحابي، ابن صحابي. مات سنة ثمان وثمانين أو بعدها، وقد جاوز مائة، **(أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر:)** بعدما أرسل أبا بكر بالراية، فقاتل شديدًا، ولم يكن فتح، ثم أرسل عمر من الغد، فقاتل أشده من الأوّل، ثم رجع، ولم يكن فتح، كما عند أحمد والنسائي وغيرهما، ففي هذه الرواية اختصار، فقال ﷺ: **«لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»**).

قال الحافظ: أراد وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة، وفيه تلميح بقوله: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»، فكأنه إشارة إلى أن عليًا تام الإتباع، حتى وصفه بصفة محبة الله، ولذا كان حبه علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق، كما في مسلم وغيره، **(فلما أصبح الناس غدوا)** . بمعجمة. أتوا صباحًا **(على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو)** بلا نون، دون ناصب وجازم، وهو لغة، كما قال المصنف.

وفي رواية: يرجون **(أن يعطاها،)** أي: الراية، قال عمر: ما أحببت الأمارة إلا يومئذ، رواه مسلم، وفي حديث بريدة: فما منا رجل له منزلة عنده ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولت أنا لها.

(قال: «أين علي بن أبي طالب»؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه،) مثنى، **(قال: «فأرسلوا إليه»)** . بكسر السين. أمر من الإرسال وفتحها، أي: قال سهل: فأرسلوا إليه، أي: الصحابة إلى علي، وهو بخيبر لم يقدر على مباشرة القتال لرمده، قاله المصنف، **(فأُتي به،)** وفي مسلم عن سلمة: فأرسلني إلى علي، فجئت به أقوده أرمد، **(فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، فبرأ)** . بفتح الراء والهمزة بوزن ضرب، ويجوز كسر الراء بوزن علم، قاله الحافظ، فأفاد أن الرواية بالأوَّل، أي: شفي **(كأن لم يكن به وجع،)** مع أنه كان أرمد، شديد الرمد، قاله جابر في الطبراني، وقال ابن عمر: أرمد لا يبصر، رواه أبو نعيم.

قال علي: فما رمدت، ولا صدعت مذ دفع إليّ النبي ﷺ الراية يوم خيبر، وفي رواية:

الحديث متفق عليه.

وأتي بدلو من ماء، فشرب من الدلو، ثم صب في البئر، أو قال: مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك. رواه أحمد من حديث وائل بن حجر.

وبزق في بئر في دار أنس، فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها، رواه أبو نعيم.

وكان عليه الصلاة والسلام يوم عاشوراء يدعو برضعائه وبرضعاء ابنته فاطمة فيتفل في أفواههم ويقول للأمهات لا ترضعنهم إلى الليل، فكان ريقه يجزيهم.

فما اشتكيتهما حتى يومي هذا، رواهما الطبراني (**الحديث**) بقيته، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول اللّه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللّه فيه، فواللّه لأن يهدي اللّه بك رجلاً واحدًا خير من أن يكون لك حمر النعم»، (**متفق عليه**) بمعنى أخرجه الشيخان.

(**وأتي بدلو من ماء، فشرب من الدلو**)، لم يقل منه، لئلا يوهم أنه شرب من الماء في غير الدلو، بأن صبه في إناء غيره من الدلو، ثم صب (**ثم صب**) باقي شربه (**في البئر**) قصدًا لإظهار المعجزة المصدقة له، (**أو قال:**) شك الراوي (**مج في البئر، ففاح منها مثل رائحة المسك**) معجزة له، ويحتمل قصره على ما عند الصب وبقاؤه مدة.

(**رواه أحمد من حديث وائل بن حجر**). بضم المهملة، وسكون الجيم. ابن مسروق الحضرمي، صحابي جليل، كان من ملوك اليمن، ثم سكن الكوفة، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، وعنه جماعة. مات أوائل خلافة معٰوية، (**وبزق**). بالزاي وبالصاد، وفي لغة بالسين، خلافًا لمن أنكرها (**في بئر في دار أنس**) بن مٰلك، (**فلم يكن في المدينة بئرٌ أعذب**) أحلى (**منها**،) ببركة بزاقه، (**رواه أبو نعيم**) وغيره عن أنس، (**وكان عليه الصلاة والسلام يوم عاشوراء يدعو برضعائه**،) أي: صبيانه الذين ينسبون إليه، (**وبرضعاء ابنته فاطمة**،) أي: أولادها، ورضيع الشخص أخوه رضاعة، وليس مرادًا هنا، كما هو ظاهر، (**فيتفل**). بكسر الفاء وضمها. يبصق (**في أفواههم، ويقول للأمهات: لا ترضعنهم إلى الليل**،) لعله أراد مشاركتهم للصائمين في عدم تناول شيء، لتعود عليهم بركة تصوُّرهم بهم، ولا مانع أن يكتب لهم ثواب من صامه، إكرامًا له، (**فكان ريقه يجزيهم**). بفتح الياء، يكفيهم إلى الليل، ويجوز ضم الياء مع سكون الجيم، آخره همزة، أي: يقضيهم عن اللبان، (**رواه البيهقي**) في الدلائل.

رواه البيهقي.

ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قديدًا فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة بينهن قطعة فلقين الله وما وجد لأفواههن خلوف، رواه الطبراني.

ومسح ﷺ بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى، فما كان يشم أطيب رائحة منه. رواه الطبراني.

وأعطى الحسن لسانه ـ وكان قد اشتد ظمؤه ـ فمصه حتى روى. رواه ابن عساكر. والله در إمام العارفين سيدي محمد وفي الشاذلي المالكي رضي الله عنه

(ودخلت عليه عميرة بنت مسعود) الأنصارية، **(هي وأخواتها يبايعنه، وهن خمس، فوجدنه يأكل قديدًا)** لحمًا مقددًا، أي: مجففًا في الشمس، **(فمضغ لهن قديدة، فمضغنها كل واحدة،)** بدل من الفاعل في مضغتها، وذلك بعد أخذ عميرة لها من المصطفى، ففي رواية عنها: فمضغ لمن قديدة، ثم ناولني القديدة فقسمتها **(بينهن)**، فمضغت كل واحدة **(قطعة فلقين اللّه)**، أي: متن، **(وما وجد لأفواههن خلوف)**. بضم الخاء. تغير ريح، **(رواه الطبراني)** وأبو نعيم، وأبو موسى في الصحابة، وفي روايتها: فلقين اللّه ما وجدن في أفواههن خلوفًا، ولا اشتكين من أفواههن شيئًا، **(ومسح ﷺ بيده الشريفة بعد أن نفث،)** تفل **(فيها من ريقه، على ظهر عتبة)** بن فرقد بن يربوع السلمي، صحابي نزل الكوفة ومات بها، وهو الذي فتح الموصل زمن عمر، **(وبطنه، وكان به شرى)** خراج صغار، لها لذع شديد، كما في المختار، **(فما كان يشم أطيب رائحة منه، رواه الطبراني)** في الكبير والصغير، من طريق أم عاصم زوجة عتبة بن فرقد، عنه قال: أخذني الشرى على عهد رسول اللّه ﷺ، فأمرني فتجردت، فوضع يده على بطني وظهري، فعبق الطيب من يومئذ، قالت أم عاصم: كنا عنده أربع نسوة، فكنا نجتهد في الطيب، وما كان هو يمس الطيب، وأنه لا طيب ريحًا منا، **(وأعطى الحسن)** ابنه **(لسانه، وكان قد اشتد ظمؤه، فمصه حتى روي)**. بفتح الراء، وكسر الواو. زال ظمؤه، **(رواه ابن عساكر)** وروى الطبراني: أن امرأة بذية اللسان جاءته ﷺ، وهو يأكل قديدًا، فقالت: ألا تطعمني، فناولها من بين يديه، فقالت: لا، إلاَّ الذي في فيك، فأخرجه، فأعطاه لها فأكلته، فلم يعلم منها بعدما كانت عليه من البذاءة، **(ولله در إمام العارفين سيدي محمد)**.

(وفي الشاذلي المالكي رضي اللّه عنه حيث يقول: جنى النحل،) أي: مجنيه، كقوله تعالى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾ [الرحمٰن: ٥٤] **(في فيه)**، أي: في فمه، أي كلامه في

حيث يقول:

جنى النحل في فيه وفيه حياتنا ولكنه من لي بلثم لثامه

رحيق الثنايا والمثاني تنفست إذا قال في فيح بطيب ختامه

وأما فصاحة لسانه، وجوامع كلمه، وبديع بيانه وحكمه، فكان ﷺ أفصح خلق الله، ....

الحلاوة، كالشهد المجني من النحل، **(وفيه)** أي: ما يجني منه **(حياتنا)** لأنه يأتي بما تحيا به القلوب، ويقرب إلى علام الغيوب، فنحيا في الدنيا بالعبادة والإيمان، وفي الأخرى الحياة الأبدية في رياض الجنان، **(ولكنه من)** يتكفل **(لي بلثم لثامه)** حتى أجنى منه ذلك الجني، تمنى رؤيته يقضة ليسمع منه، ويأخذ عنه، وما ذلك عليه بعزيز، **(رحيق الثنايا)** خمرها، شبه ما يخرج من بينها بالخمر الخالص من الدنس، في أنه يستلذ به، كالرحيق الممتن به على المتقين في الجنة، يسقون من رحيق مختوم، **(والمثاني)** القرءان، أو ما ثنى منه مرة بعد مرة، أو الحمد، أو البقرة إلى براءة، أو غير ذلك مما قيل في تفسير المثاني، أو المراد المزامير، وهو أظهر تشبيهًا لصوته الخارج من فيه، لشدة حسنه بنغمتها، **(تنفست)**: خرج منها نفس طيب، **(إذا قال)**، أي: تكلم **(في فيح)** . بفاء، فتحتية، فمهملة ظرف، لتنفست، أي: انتشار رائحة يقال: فاح المسك فوحًا وفيحًا: انتشرت رائحته **(بطيب ختامه)** متعلق بتنفست، تلميح بقوله: ختامه مسك، **(وأما فصاحة)** أي: طلاقة وجودة **(لسانه)** الجارحة، المخصوصة، بحيث ينطق بالكلام البليغ بلا تكلف، فالمراد الفصاحة اللغوية، يقال لسان فصيح، أي: طلق، فلا يرد أن الفصاحة لا توصف بها الجارحة، بل اللفظ والمتكلم به، لأن تخصيصها ألفاظ أمر اصطلاحي، ولا يرد حصرهم لها في الكلام، والكلمة، والمتكلم، لأن الحصر إضافي بالنسبة للبلاغة التي يوصف بها الأخيران فقط، واللسان العضو يذكر، فيجمع على ألسنة، ويؤنث، فيجمع على السن.

قال أبو حاتم: والتذكير أكثر، وهو في القرءان كله مذكر، **(وجوامع كلمه)** من إضافة الصفة للموصوف، أي: كلمه الجوامع للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، كما قال ﷺ: أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارًا، رواه أبو يعلى والبيهقي عن ابن عمر، والدارقطني عن ابن عباس.

(وبديع بيانه وحكمه) . بكسر، ففتح . جمع حكمة، أي: بيانه البديع، وحكمه البديعة، فهما أيضًا من إضافة الصفة للموصوف، **(فكان ﷺ أفصح خلق الله)** أي: مخلوقه الذي يوصف بالفصاحة، وهو نوع الإنسان، أي: أقدرهم على المجيء بالكلام الفصيح، أي: البليغ،

وأعذبهم كلامًا، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقًا، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح. شعر:

ينظم در الثغر نثر مقوله فيا حسنه ونثره ونظامه
يناجي فينجي من يناجي من الجوى فكل كليم برؤه في كلامه

ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها، ....

فالفصاحة قد تطلق ويراد بها البلاغة، (**وأعذبهم كلامًا،**) فيتكلم بألفاظ حلوة لطيفة لا يلتوي الذهن في فهمها، فما من لفظه يسبق فهمها للذهن، إلا ومعناها أسبق إليه، (**وأسرعهم أداء،**) اسم مصدر من أدى، أي: تأدية للمعاني التي يريد إيرادها، فينطبق بغاية من الله السرعة بلا تلعثم، ولا تأن، (**وأحلاهم منطقًا**) مصدر ميمي، أي: نطقًا، وعذوبة الكلام وحلاوته، المراد بهما حسنه بحيث يستلذ بسماعه، كما يستلذ بتناول الشيء الحلو، كما قيل:

يكاد من عذوبة الألفاظ تشربه مسامع الحفاظ

(**حتى كان**) بالتشديد (**كلامه يأخذ بمجامع،**) أي: جميع، واحده مجمع، بفتح الميم، وكسرها (**القلوب:**) بأن يستولي عليها، بحيث تصير كأنها في يده، يقلبها كيف شاء، (**و**) كأنه (**يسلب الأرواح،**) جمع روح، (**شعر**) للأستاذ محمد، وفي جملة القصيدة التي قدم بيتين، منها قريبًا، فقال عقبهما: (**ينظم در**) . بضم الدال، جمع درة، اللؤلؤة العظيمة، (**الثغر**) المبسم، ثم أطلق على الثنايا (**نثر**) بالرفع (**مقوله،**) أي: قوله، يعني إذا تكلم بنثر أشبه اللآليء الكبار في حسنها، وقبول النفوس لها، (**فيا حسنه، ونثره، ونظامه،**) إتيانه بكلامه المنثور والمنظوم.

وليس المراد الشعر، فنادى حسنه ليتعجب مه، (**يناجي**) يسارر، والمراد مطلق الكلام، (**فينجي من يناجي من الجوى،**) بالقصر الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن، أي: يخاطب من كرب، فيزول بخطابه، (**فكل كليم**) جريح (**برؤه،**) شفاؤه حاصل (**في كلامه**) ﷺ له، والمراد أن كلامه يداوي المرضى، ويزيل عللهم، (**ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية**) مدى (**لا يدرك مداها،**) بفتحتين، غايتها، كما في اللغة، فكأنه قيل: نهاية لا تدرك نهايتها، فيشكل بأن نهاية الشيء آخره، ووجه بأنه من نفي القيد، والمقيد جميعًا، أي: لا لها غاية، ولا منتهى حتى تدرك كقوله:

على لاحب لا يهتدي لمناره

أو قصد المبالغة، حتى أنه جعل النهاية بمنزلة شيء ممتد لا تدرك نهايته، أو الغاية هنا بمنزلة المرتبة، أو الحالة، وهي لا تدرك نهايتها، على نحو قول الرضى قولهم: من لابتداء الغاية، معناه

ومنزلة لا يداني منتهاها، وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفًا من سيوفه، يبين عنه مراده،

ويدعو إليه عباده، فهو ينطق بحكمه عن أمره، ويبين عن مراده بحقيقة ذكره.

أفصح خلق الله إذا لفظ، وأنصحهم إذا وعظ لا يقول هجرًا، ولا ينطق هذرًا، كلامه كله يثمر علمًا، ....

لابتداء المسافة، فلا منافاة بين الحكم بأنها للابتداء، وأن ذلك الابتداء للغاية، **(ومنزلة)** رتبة عليه، **(لا يداني)** يقارب **(منتهاها،)** غايتها لما لخصه اللّه به من القوة النطقية، التي اختص بها الإنسان على غيره الحيوان، إذا علاه، من يقدر على ضبط سائر المعاني، والتعبير عنها إلى أقصى الغايات، وهذه القدرة هي فصل الخطاب، فهو القدرة على كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بتفصيل كل فرد منه والتعبير عنه، بما يطابقه من أمور الدنيا والدين، وغاية ذلك التي لم يصل إليها مخلوق مختصة بنبينا ﷺ، ولذا، قيل كلامه معجز كالقرءان، ولم يقل في غيره ذلك، لأن كتبهم ليست معجزة، فكذا كلامهم بخلاف كتابه، وكلامه مثل، وهذا وإن كان ضعيفًا، لكنه من حيث الكل، أما الأكثر سيما جوامع كلمه، فلا شك في إعجازها، كما بينه في الإيعاب، **(وكيف لا يكون ذلك)** استفهام تعجبي، والواو للاستئناف، **(وقد جعل اللّه تعالى لسانه سيفًا،)** أي: كسيف **(من سيوفه)** في شدة تأثير ما يقوله في النفوس، وأنه لا يرد **(يبين عنه مراده،)** أي: اللّه، **(ويدعو إليه عباده،)** كما قال، وداعيًا إلى اللّه، **(فهو ينطق بحكمه،)** بضم، فسكون، الذي شرعه **(عن أمره،)** امتثالاً لنحو قوله: بلغ ما أنزل إليك من ربك، أو بكسر، ففتح جمع حكمه، أي: كلماته الحق، المطابقة للواقع، نطقًا ناشئًا عن أمر اللّه تعالى له بذلك، وما ينطق عن الهوى، **(ويبين)** . بضم فكسر فسكون، أو بضم، ففتح، فكسر وشد. من أبان وبين، أي: يكشف **(عن مراده بحقيقة ذكره،)** أي ذكر الحق الذي لا ريب فيه، **(أفصح)** بالفاء **(خلق اللّه)** الذين يوصفون بالفصاحة، فلا يرد الحيوانات والجمادات، فإنها لا توصف بها، وأفعل التفضيل يقتضي المشاركة، وأورد بالخلق المجموع، فلا يستلزم الحكم على كل فرد فرد، **(إذ لفظ)** تكلم، **(وأنصحهم)** . بالنون . أشدهم نصحًا، **(إذا وعظ)** ذكر وخوف العواقب، **(لا يقول هجرًا)** . بضم الهاء، وإسكان الجيم . فحشًا، **(ولا ينطق هذرًا)** . بفتح الهاء، وذال معجمة ساكنة، أي: لا يخلط في كلامه، ولا ينطق بما لا ينبغي، بل كان أشد حياء من العذراء في خدرها، **(كلامه كله يثمر علمًا،)** فهو شجرة طيبة، يجتني منها الثمار المشتهاة، ولذا كان طالب العلم لا يشبع منه، **(ويمتثل)** . بضم التحتية، وإسكان الميم، وفتح الفوقية، ومثلثة، أي: يمتثل ما جاءته، حال كونه

ويمتثل شرعًا وحكمًا، لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه في مقالته، ولا أجزل منه في عذوبته.

وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه، وأقام به الحجة على عباده ببيانه، وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه، وزواجره ووعده ووعيده وإرشاده أن يكون أحكم الخلق جنانًا وأفصحهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا.

وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين، يعده العاد، ليس بهذر مسرع لا يحفظ، ....

(**شرعًا**،) أي: مشروعًا، (**وحكمًا**) أمورًا محققة متقنة.

وفي البيضاوي: الحكمة تحقيق العلم، وإتقان العمل، (**لا يتفوه**) ينطق (**بشر، بكلام أحكم منه في مقالته**،) بل لا يقدر على مساواة مقالته، (**ولا أجزل**) . بجيم وزاي. أحسن وأسلس (**منه في عذوبته**،) قبول النفوس له، كالحلو، (**وخليق**) جدير وحقيق (**بمن عبر عن مراد الله بلسانه، وأقام**) الله (**به الحجة**)، البرهان والدليل الواضح (**على عباده ببيانه، وبين مواضع فروضه، وأوامره، ونواهيه، وزواجره، ووعده**) بالخير لمن أطاع، (**ووعيده**) بالشر لمن عصى، (**وإرشاده أن يكون أحكم الخلق جنانًا**،) بفتح الجيم قلبا فاعل. سد مسد الخبر لقوله: وخليق بناء على قول الأخفش، الذي لا يشترط اعتماد الوصف في أعماله، أو هو مبتدأ، وخليق في خبره، وقد جوَّزوا الوجهين في قوله:

خبير بنو لهب فلا تك ملغيًا مقالة لهبي إذا الطير مرت

فخبير مبتدأ، وبنو فاعله، أو مبتدأ خبره خبير، ولا يجوز أن خليق مبتدأ، والخبر أن يكون، لأن المنسبك من أن والفعل بمنزلة المضاف للضمير، فيكون أعرف، والخبر لا يكون أعرف، ومن ثم قال ابن هشام: اتفقوا على نصب حجتهم في قوله تعالى: ﴿ما كان حجتهم﴾ [الجاثية: ٢٥]، إلاَّ أن قالوا، وهو متعين، (و) أن يكون (**أفصحهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا**) لأجل ذلك الذي أريد منه، (**وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا تكلم**،) أي: إذا أراد أن يتكلم، (**تكلم بكلام مفصل مبين**،) صفة كاشفة، بحيث يمتاز بعضه عن بعض، فلا يلتبس، (**يعده العاد**،) لمبالغته في الترتيل والتفهيم، بحيث لو أراد مستمعه عد كلماته أو حروفه، لأمكنه ذلك، لوضوحه، وبيانه (**ليس بهذر**) . بفتحتين. اسم من هذر، وأما بالسكون، فالمصدر والأوَّل أنسب هنا، وفي نسخة بهذ، بحذف الراء، وهو السرعة، فقوله (**مسرع**،) صفة كاشفة، (**لا يحفظ**،) وهذا ورد بمعناه عن عائشة، عند الترمذي، (**وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها**:) فيما رواه مسلم، والبخاري،

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، كان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه. وكان يعيد الكلمة ثلاثًا حتى تعقل عنه.

وأبو داود، (**ما كان رسول اللّه ﷺ يسرد**) . بضم الراء. الحديث (**سردكم**،) وفي رواية: كسردكم، والمعنى واحد (**هذا**،) أي: ما كان يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض، لئلا يلتبس على المستمع.

زاد الإسماعيلي في روايته: إنما كان حديث رسول اللّه ﷺ فهمًا تفهمه القلوب، (**كان يحدث حديثًا لوعده العاد لأحصاه**،) أي: لو عد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه، لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهم، قاله الحافظ: وفيه إشارة إلى أن الشرط والجزاء مختلفان، وأوضحه المصنف بقوله: لا يقال فيه اتحاد الشرط والجزاء، لأنه كقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة اللّه لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقد فسر بلا تطيقوا عدها وآخرها، وهذا أتت به عائشة، تعرض بأبي هريرة، فصدر الحديث عن عروة، عنها أنها قالت: ألا يعجبك أبو فلان؟ ولفظ مسلم: أبو هريرة جاء، فجلس إلى جانب حجرتي، يحدث عن رسول اللّه ﷺ، يسرد يسمعني ذلك، وفي رواية، فقال: ألا تسمعي يا ربة الحجرة، وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول اللّه ﷺ كان، فذكرته.

قال الحافظ: وأعتذر عن أبي هريرة، بأنه كان واسع الرواية، كثير المحفوظ، فكان لا يتمكن من الترتيب عند إرادة التحديث، كما قال بعض البلغاء، أريد أن أقتصر، فتتزاحم على القوافي.

(**و**) روى الترمذي، والحاكم، عن أنس (**كان**) ﷺ (**يعيد الكلمة**) الصادقة بالجملة، أو الجمل نحو أنها كلمة، والمراد بها ما لا يتبين مبناها، أو معناها إلا بالإعادة (**ثلاثًا**) أي: ثلاث مرات، معمول لمحذوف، أي: فقالها ثلاثًا، أو ضمن عاد قال، فلم تقع الإعادة إلاَّ مرتين، ولا يصح بقاؤه على ظاهره لاستلزامه قول الكلمة أربع مرات، إذ الأولى لا إعادة فيها.

قاله البدر الدماميني وغيره، وبيّن المراد بذلك بقوله: (**حتى تعقل عنه**،) وفي رواية البخاري: حتى تفهم عنه، والمعنى واحد، أي: ليتدبرها السامعون، ويرسخ معناها في القوّة العاقلة، وحكمته أن الأولى للأسماع، والثانية للوعي، والثالثة للفكرة، أو الأولى إسماع، والثانية تنبيه، والثالثة أمر.

وفيه كما قال ابن التين: أن الثلاثة غاية الأعذار والبيان، فمن لم يفهم بما لا يفهم بها زيد عليها، ولو مرات عديدة، وقد ورد أنه ﷺ كان لا يراجع بعد ثلاث، وفيه رد على من كراه إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة، وعده من البلادة.

وكان يقول: أنا أفصح العرب.

وقد قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله، مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال: كانت لغة إسمٰعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها. رواه أبو نعيم.

قال ابن المنير: والحق أنه يختلف باختلاف القرائح، فلا عيب على المستفيد، الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذ لم يعد، بل الإعادة عليه آكد من الابتداء، لأن الشروع ملزم، وقد علمت أن قوله، وكان يعيد، ليس من بقية كلام عائشة، بل هو حديث أنس، أخرجه الترمذي، والحاكم بهذا اللفظ، إلاَّ أن الحاكم، وهو في استدراكه ودعواه أن البخاري لم يخرجه، فقد رواه في كتاب العلم، عن أنس من طريقين، لفظ أوَّلهما، كان إذا سلم سلم ثلاثًا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا، ولفظ ثانيهما، كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم، فسلم عليهم، سلم عليهم ثلاثًا، **(وكان يقول: أنا أفصح العرب)** وهم أفصح الناس، فهو أفصح الفصحاء، وهذا اللفظ ذكره أصحاب الغريب.

قال ابن كثير والسيوطي: لم نقف على سنده، **(وقد قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما لك أفصحنا،)** حال من الكاف، وما مبتدأ خبره لك، (و) الحال أنك **(لم تخرج من بين أظهرنا،)** حتى تزيد علينا بالفصاحة، لأنك لو خرجت من بيننا، لقلنا تعلم من لغات من عاشرهم غيرنا، ومراده الاستفهام، ولذا أجابه، **(فقال: كانت لغة إسمٰعيل)** بن إبراهيم جده عليهم الصلاة والسلام، التي هي أفصح اللغات **(قد درست،)** عفت وخفيت آثارها، فلم يبق من ينطق بها على وجهها، **(فجاءني بها جبريل، فحفظتها،)** وفي رواية ابن عساكر: فحفظنيها، أي: جبريل، فلذا كنت أفصح العرب، ينطق بأفصح اللغات، وأتم البلاغات، وأفحم بلغاء العرب قاطبة، فلم يدع منهم أحدًا إلاَّ أعجزه، وأدله، وحيره في أمره، وأعله.

قال العلامة المحدث أحمد المتبولي: دلت الأحاديث عن أن لسان ءادم الذي علمه اللّٰه له، وتكلم به عربي، وعلمه اثنين وسبعين، أو ثمانين لسانًا، لكنه لم يتكلم إلاَّ بالعربية، فلما أكل من الشجرة، تكلم بالسريانية، ثم رد اللّٰه إليه العربية، لما تاب اللّٰه عليه واجتباه، واستمرَّ الناس عليها إلى أن تبلبلت ألسنتهم بعد الطوفان، وقول بعض المفسرين: إن اللّٰه علم ءادم سبعمائة ألف، غريب لم أقف له على أصل، والمعوَّل عليه ما قررناه.

وذكر في الإتقان: أن القرءان فيه خمسون لغة، سردها في النوع السابع والثلاثين، وذكرها هنا يخرج عن المقصود، **(رواه أبو نعيم)** في تاريخ أصبهان، بإسناد ضعيف، وكذا ابن عساكر، وأبو أحمد الغطريف، بلفظ: أن لغة إسمٰعيل كانت درست، فأتاني بها جبريل، فحفظنيها، **(وروى**

وروى العسكري في الأمثال من حديث علي بسند ضعيف جدًا قال: قدم بنو نهد على النبي ﷺ: الحديث وفيه: ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي ﷺ قال: فقلنا: يا نبي الله، نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بلد واحد، وإنك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره، قال: إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد بن بكر.

العسكري). بفتح العين المهملة، والكاف، وبالراء. نسبة إلى عسكر مكرم مدينة بالأهواز، الحافظ، الإمام، أبو الحسن، علي بن سعيد بن عبد اللّه، نزيل الري، صنف وجمع، ومات سنة خمس وثلاثمائة، **(في الأمثال)** كتاب جمع فيه ألف مثل عن النبي ﷺ، **(من حديث علي، بسند ضعيف جدًا، قال: قدم بنو نهد)**. بفتح النون، وإسكان الهاء. ابن زيد **(على النبي ﷺ، الحديث، وفيه ذكر خطبتهم، وما أجابهم به النبي ﷺ)** وسيذكر المصنف ذلك كله مع كتاب المصطفى، لهم أواخر هذا المبحث.

(قال) علي: **(فقلنا: يا نبي اللّه نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بلد واحد)** وهي مكة، **(وإنك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره)** فلم ذلك، **(قال: «إن اللّه عز وجل أدبني»)** أي: علمني رياضة النفس، ومحاسن الأخلاق، الظاهرة والباطنة، **(«فأحسن تأديبي»)** بإفضاله عليّ بالعلوم الوهبية، مما لم يقع نظيره لأحد من البرية.

قال بعضهم: أدبه بآداب العبودية، وهذبه بمكارم الأخلاق الربوبية، لما أراد إرساله، ليكون ظاهر عبوديته، مرآة للعالم، كقوله: «صلوا، كما رأيتموني أصلي»، وباطن أحواله مرآة للصادقين في متابعته، وللصديقين في السير إليه «واتبعوني يحببكم اللّه».

وقال القرطبي: حفظه اللّه من صغره، وتولى تأديبه بنفسه، ولم يكله في شيء من ذلك لغيره، ولم يزل اللّه يفعل ذلك به حتى كره إليه أحوال الجاهلية، وحماه منها، فلم يجر عليه شيء منها، كل ذلك لطف به، وعطف عليه، وجمع للمحاسن لديه، وقال بعضهم: أدب اللّه روح رسوله، ورباها في محل القرب، قبل اتصالها ببدنه، باللطف والهيبة، فتكامل له الأنس باللطف، والأدب بالهيبة، واتصلت بعد ذلك بالبدن، ليخرج من اتصالها كمالات أخرى من القوة إلى الفعل، وينال كل من الروح والبدن، بواسطة الآخر من الكمال ما يليق بالحال، ويصير قدوة لأهل الكمال والأدب، استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، أو الأخذ بمكارم الأخلاق، أو الوقوف المستحسنات، أو تعظيم من فوقه مع الرفق بمن دونه، وقيل غير ذلك، **(ونشأت في بني سعد بن بكر)** فجمع له بذلك قوّة عارضة البادية، وجزالتها، وخلوص ألفاظ الحاضرة، ورونق كلامها.

قال السخاوي: وسند هذا الحديث ضعيف جدًا، وإن اقتصر شيخنا، يعني الحافظ. على

وعن محمد بن عبد الرحمٰن الزهري عن أبيه عن جده قال: قال رجل: يا رسول الله، أيدلك الرجل امرأته؟ قال: نعم إذا كان ملفجًا. فقال له أبو بكر: يا رسول الله، ما قال لك، وما قلت له؟ قال: قال: أيماطل الرجل أهله؟ قلت له: نعم إذا كان مفلسًا. قال أبو بكر: يا رسول الله، لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، قال: أدبني ربي ونشأت في بني سعد، رواه السرقسطي في الدلائل ....

الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح، ولذا جزم بحكايته ابن الأثير في خطبة النهاية وغيرها، وقد أخرج أبو سعد السمعاني في أدب الإملاء بسند منقطع فيه من لم أعرفه عن عبد اللّٰه، أظنه ابن مسعود، قال: قال ﷺ: «إن اللّٰه أدبني فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق»، فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية.

وذكر حديث عمر السابق في المصنف، وحديث الصديق الآتي شاهدين له، ثم قال: وبالجملة، فهو كما قال ابن تيمية لا يعرف له إسناد ثابت اهـ، وجزم السيوطي في الدرر وغيرها بأنه ابن مسعود قائلاً، وضعفه ابن السمعاني، وابن الجوزي، وصححه أبو الفضل بن ناصر.

(وعن محمد بن عبد الرحمٰن الزهري، عن أبيه، عن جده، قال: قال رجل) من بني سليم **(يا رسول اللّٰه أيدالك الرجل امرأته؟ قال: نعم، إذا كان ملفجًا، فقال له أبو بكر)**، مستفهمًا عما لم يفهمه على عادة الصحابة: **(يا رسول اللّٰه ما قال لك، وما قلت له؟ قال)** ﷺ: («**قال)** الرجل: **(أيماطل الرجل أهله؟ قلت له: نعم، إذا كان مفلسًا**»، **قال أبو بكر)** الصديق: **(يا رسول اللّٰه، لقد طفت،)** سعيت **(في العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك،)** فمن أدبك؟ هذا أسقطه من الرواية، **(قال: «أدبني ربي، ونشأت في بني سعد»،)** فجمع له قوّة الحاضرة والبادية، بخلاف غالبهم، فإنما نشأ في مكة فقط.

أو البادية فقط. **(رواه)** ثابت بن حزم بن عبد الرحمٰن بن مطرّف، العوفي، **(السرقسطي)** . بفتح المهملة، والراء، وضم القاف، وسكون المهملة. نسبة إلى سرقسطة مدينة بالأندلس، العلامة الحافظ، أبو القٰسم، سمع ابن وضاح والنسائي، وكان عالمًا، متقنًا، بصيرًا بالحديث، والنحو، واللغة، والغريب والشعر ولي قضاء سرقسطة، وبها مات في رمضان سنة ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة وثلاثمائة، وهو ابن خمس وتسعين سنة. **(في الدلائل)** في شرح ما أغفل أبو عبيد، وابن قتيبة من غريب الحديث، وناهيك به إتقانًا.

قال أبو علي القالي: ما أعلم به، وضع بالأندلس، مثل كتاب الدلائل.

بسند واه. وكذا أخرجه ابن عساكر.

قال في القاموس: ودالكه أي ماطله. انتهى.

وقوله: «ملفجًا» بضم الميم وفتح الفاء، اسم فاعل من «ألفج الرجل» فهو ملفج، إذا كان فقيرًا، وهو غير مقيس. ومثله أحصن فهو محصن، وأسهب فهو مسهب، في ألفاظ شذت، والقياس الكسر، قاله ابن مرزوق. لكن ابن الأثير: لم يجىء إلا في ثلاثة أحرف، أسهب وأحصن وألفج.

وقال غيره: معناه: أيداعب الرجل امرأته، يعني قبل الجماع؟ وسماه مطلا لكون غرضها الأعظم الجماع. قال: إذا كان عاجزًا، ليكون ذلك محركًا لشهوته، ولعجزه سمي مفلسًا.

قال ابن الفرضي: ولو قال ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد (**بسند واه**،) أي: شديد الضعف، من وَهْي الحائط إذا مال للسقوط، (**وكذا أخرجه ابن عساكر، قال في القاموس: ودالكه، أي: مطاله، انتهى، وقوله: ملفجا ـ بضم الميم**،) وإسكان اللام، (**وفتح الفاء**،) وبالجيم. (**اسم فاعل من ألفج الرجل، فهو ملفج إذا كان فقيرًا، وهو غير مقيس، ومثله**) في الخروج عن القياس، (**أحصن، فهو محصن**) . بفتح الصاد . على غير قياس، حكاه ابن القطاع، (**وأسهب**) . بسين مهملة . الفرس، اتسع في الجري، وسبق، وأسهب الرجل إذا أكثر الكلام، (**فهو مسهب**) . بفتح الهاء، ولا يقال بكسرها، وهو نادر، قاله الجوهري (**في**،) أي: مع (**ألفاظ شذت، والقياس الكسر، قاله ابن مرزوق**،) شارح البردة، (**لكن قال ابن الأثير: لم يجىء إلاَّ في ثلاثة أحرف، أسهب، وأحصن، وألفج**،) فقوله في ألفاظ مستدرك، إلاَّ أن يقال من حفظ حجة، ولفظ الجوهري لا حصر فيه، قال: ألفج الرجل، أي: أفلس، وقال رؤبة:

أحسابكم في العسر والألفاج شيت بعذب طيب المزاج

فهو مفلج، بفتح الفاء، مثل: أحصن، فهو محصن، وأسهب، فهو مسهب، فهذه الثلاثة جاءت بالفتح نوادر، وقال:

جارية شبت شبابًا عسلجًا في حجر من لم يك عنها ملفجا

(**وقال غيره: معناه**،) أي: أيدالك، (**أيداعب الرجل امرأته، يعني قبل الجماع، وسماه مطلاً، لكون غرضها الأعظم الجماع؟ قال**:) ﷺ إذا كان ملفجًا، أي: (**إذا كان عاجزًا، ليكون ذلك محركًا لشهوته ولعجزه، سمي مفلسًا**) تشبيهًا بمن لا يملك ما لا يجامع العجز.

(**وقال ابن الأثير**): معناه (**يماطلها بمهرها إذا كان فقيرًا**) لعجزه عن دفعه، فحمله على

وقال ابن الأثير: يماطلها بمهرها إذا كان فقيرًا.

وأما ما يروى: أنا أفصح من نطق بالضاد. فقال ابن كثير: لا أصل له. انتهى لكن معناه صحيح والله أعلم.

وقد حدوا الفصاحة: بخلوص الكلام من التنافر والغرابة ومخالفة القياس.

والمراد بالتنافر: تقارب مخارج الحروف كقوله:

غدائره مستشزرات إلى العلا

فإن السين والشين والتاء والزاي كلها متقاربة المخارج.

الحقيقة، **(وأما ما يروى أنا أفصح من نطق بالضاد،)** أي: المعجمة، **(فقال ابن كثير: لا أصل له، انتهى، لكن معناه،)** وهو أنا أفصح العرب، لأنهم هم الذين ينطقون بالضاد، وليست في لغة غيرهم **(صحيح،)** إذ لا شك في أنه أفصح العرب، وإن لم يعلم لهذا اللفظ سند، كما قاله ابن كثير أيضًا، وتقدم **(والله أعلم،)** بما في نفس الأمر، وقد زاد بعضهم بيد أني من قريش، أي: من أجل أني منهم، **(وقد حدوا،)** أي: علماء البيان، **(الفصاحة)** التي هي في الأصل تنبىء عن الظهور والإبانة، **(بخلوص الكلام من التنافر)** وهو صفة توجب ثقله على اللسان، وعسر النطق به **(والغرابة، ومخالفة القياس)** اللغوي، أي: المستنبط من استقراء اللغة، **(والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف، كقوله،)** أي: امرىء القيس:

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل

غدائره، أي: ذوائبه، جمع غديرة، وضميره للفرع في البيت قبله، ومستشزرات مرتفعات إن قرىء بكسر الزاي، أو مرفوعات إن قرىء بفتحها، وتضل تغيب العقاص، جمع عقيصة، وهي الخصلة المجموعة من الشعر، والمثنى المفتول، يعني أن ذوائبه مفتولة على الرأس بخيوط، وإن شعره ينقسم إلى عقاص، ومثنى، ومرسل، والأوّل يغيب في الأخيرين، والغرض بيان كثرة شعره، **(فإن السين، والشين، والتاء، والزاي، كلها متقاربة المخارج،)** وذلك سبب للثقل المخل بالفصاحة، وقد رد هذا السعد، وارتضى أن الضابط هنا أن كل ما يعده الذوق الصحيح ثقيلاً، متعسرًا لنطق، فهو متنافر، سواء كان من قرب المخارج، أو بعدها، أو غير ذلك، على ما صرح به ابن الأثير في المثل السائر، **(والغرابة كون الكلمة،)** وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة

والغرابة: كون الكلمة لا تدل على المراد من أول وهلة لاحتمال معنى آخر.

ومخالفة القياس: استعمال الكلمة على غير قياس، كإبقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير إدغام. كقوله: الحمد لله العلي الأجلل.

والفصاحة: يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم.

والبلاغة: أن يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته، والجزالة خلاف الركاكة.

ففصاحته ﷺ إلى الحد الخارق للعادة، البالغ نهاية المزية ....

الاستعمال، (**لا تدل على المراد من أول وهلة، لاحتمال معنى آخر**)، كقوله:

وفاحمًا ومرسنًا مسرجًا

فمسرج، يحتمل أنه كالسيف السر، يجيء في الدقة والاستواء، وسريج اسم حداد، تنسب إليه السيوف، ويحتمل كالسراج في البريق واللمعان، والفاحم بالفاء شعر أسود كالفحم، والمرسن الأنف، (**ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير قياس**) مستنبط من تتبع لغة العرب، أعني مفردات ألفاظهم الموضوعة، أو ما هو في حكمها، كوجوب الإعلال في قام، والإدغام وغير ذلك، فمخالفه ليس بفصيح، (**كإبقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير إدغام، كقوله: الحمد لله العلي الأجلل**)، بفك الإدغام، والقياس الأجل بالإدغام، وأما نحو أبي، يأبى، وعور، واستحوذ، وقطط شعره، وآل، وما أشبه ذلك، من الشواذ الثابتة في اللغة، فليست من المخالفة في شيء، لأنها كذلك ثبتت عن الواضع، فهي في حكم المستثناة، كما قاله السعد، (**والفصاحة يوصف بها الكلام**)، فيقال: كلام فصيح، وقصيدة فصيحة، (**والكلمة**) من كلمة فصيحة، (**والمتكلم**)، فيقال: كاتب فصيح، وشاعر فصيح، (**والبلاغة**) ويوصف الكلام والمتكلم، لا الكلمة إذ لم يسمع كلمة بليغة، وهي لغة تنبيء عن الوصول والانتهاء، واصطلاحًا (**أن يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته**)، أي: الكلام، والحال هو الأمر الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام، الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وهو مقتضى الحال مثلاً كون المخاطب منكرًا للحكم، حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضى الحال، فقولك: إن زيدًا في الدار، مؤكدًا بأن مطابق لمقتضى الحال.

(**والجزالة**) بجيم وزاي، (**خلاف الركاكة**)، وبسط ذلك معلوم في فنه، وإنما سقت بعضه ضرورة ذكر المصنف له، (**ففصاحته ﷺ إلى الحد الخارق للعادة، البالغ نهاية المزية**)، فعيلة، وهي التمام والفضيلة، ولفلان مزية، أي: فضيلة يمتاز بها عن غيره، قالوا: ولا يبنى منه فعل، وهو

والزيادة التي تصدع القلوب قبل الأذهان، وتقرع الجوانح قبل الآذان، مما يروق ويفوق، ويثبت له على سائر البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق، فهو صاحب جوامع الكلم وبدائع الحكم، وقوارع الزجر وقواطع الأمر، والأمثال السائرة، والغرر السائلة، والدرر المنثورة والدراري المأثورة والقضايا المحكمة، والوصايا المبرمة، والمواعظ التي هي على القلوب محكمة، والحجج التي هي للد الخصماء .....

ذو مزية في الحسب والشرف، أي: ذو فضيلة، والجمع مزايا مثل عطية وعطايا، ذكره في المصباح، **(والزيادة)** مصدر زاد **(التي تصدع)** تشق **(القلوب قبل الأذهان)** جمع ذهن، وهو الذكاء والفطنة، **(وتقرع)** ـ بفتح الراء ـ من باب نفع، تطرق **(الجوانح:)** الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصدر، كالضلوع مما يلي الظهر الواحدة جانحة.

قاله الجوهري. **(قبل الآذان)** جمع أذن **(مما يروق)** يصفو من راق الماء صفًا، **(ويفوق)** يفضل ويرجح ويغلب على غيره **(ويثبت له على سائر،)** أي: جميع **(البشر الحقوق)** جمع حق، والتقييد بالبشر، لأنهم المنازعون، فلا ينافي أن حقوقه ثابتة أيضًا، على الجن والملائكة **(التي لا تقابل بالعقوق:)** العصيان، **(فهو صاحب جوامع الكلم،)** أي: إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف لا يعثر الفكر في طلبه، ولا يلتوي الذهن في فهمه، فما من لفظة يسبق فهمها إلى الذهن إلاَّ معناها إليه أسبق، وقيل: المراد القرءان، وقيل: الأمور الكثيرة التي كانت في الأمم المتقدمة، جمعت له في الأمر الواحد أو الأمرين، **(وبدائع الحكم)** جمع حكمة، وهي تحقيق العلم، وإتقان العمل من إضافة الصفة للموصوف، أي: الحكم البديعة من أبدع، إذا أتى بشيء بديع غير مسبوق بمثله، **(وقوارع الزجر،)** المنع من المعاصي، **(وقواطع الأمر، والأمثال،)** جمع مثل ـ بفتحتين ـ بمعنى الوصف، ضرب اللّه مثلاً، أي: وصفًا **(السائرة والغرر)** جمع غرر ـ بالضم ـ **(السائلة والدرر)** جمع درة ـ بالضم ـ اللؤلؤة العظيمة الكبيرة، كغرفة وغرف، ويجمع أيضًا على در بحذف الهاء **(المنثورة والدراري:)** الكواكب المضيئة جمع درى ـ بكسر الدال وضمها ـ من الدر، بمعنى الدفع لدفعه الظلام **(المأثورة،)** أي: المنقولة المروية من الأثر، وهو ما يدل على الشيء من آثاره وعلاماته **(والقضايا،)** أي: الأحكام جمع قضية، مصدر قضى، يقضي، قضاء وقضية، وهي الاسم أيضًا، أي: حكم، كما في القاموس.

(المحكمة،) المتقنة، **(والوصايا المبرمة،)** المحكمة من أبرم الأمر، كبرمه أحكمه، كما في القاموس، **(والمواعظ التي هي على القلوب محكمة، والحجج التي هي للد)** ـ بضم اللام ـ جمع ألد، مثل أحمر، وحمر **(الخصماء)** من إضافة الصفة للموصوف، أي: الخصماء اللد، أي الذين اشتدت خصومتهم، **(مفحمة،)** مسكتة، **(ملجمة،)** فجعل حجتهم دابة تلجم باللجام وتقاد،

مفحمة ملجمة.

وقليل هذا الوصف في حقه ﷺ وزاده فضلاً وشرفًا لديه، وقد روى الحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس: إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ. وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد، ولا ينكرها موافق ولا معاند، وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق إليه دواوين، وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل.

(وقليل هذا الوصف في حقه ﷺ، وزاده فضلاً وشرفًا لديه، وقد روى الحاكم في مستدركه) على الصحيحين، **(وصححه من حديث ابن عباس: أن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ،)** وهذا حكمه الرفع إذ هو لا يقال رأيًا، وفيه من تشريف المصطفى ما لا يخفى، **(وبالجملة، فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد)** لقوة ظهورها، **(ولا ينكرها موافق، ولا معاند،)** يشبه عطف العلة على المعلول، **(وقد جمع الناس)** العلماء الكبار، كابن السني، والقضاعي، وابن الصلاح في آخرين **(من كلامه الفرد،)** الذي لا نظير له، وفي نسخة المفرد، أي: المتميز عن غيره لا مقابل المركب، والمثنى والنسخة الأولى أحسن. **(الموجز)** . بفتح الجيم، أي: القليل الألفاظ الكثير المعاني، وبكسر الجيم من أوجز، فإسناده للكلام مجاز، كعيشة راضية، أي: موجز صاحبه، إذ الكلام لا يوصف بأنه موجز، اسم فاعل، أو حقيقي من أوجز اللازم، ففي القاموس: أوجز الكلام قل، وأوجز كلامه اختصره، **(البديع)** الذي لا مثال له، فقوله **(الذي لم يسبق إليه)** صفة كاشفة، أي: إلى جملته فلا ينافي أن منه ما سبق إليه، أو لم يسبق إلى شيء منه بالترتيب الخاص الذي اشتمل عليه، ولذا قال في الشفاء: وأما كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه، وحكمه المأثورة، فقد ألف الناس فيها **(دواوين،)** أي: كتبًا مستقلة، جمع ديوان . بكسر الدال والفتح لغة، وقال أبو عمرو: إنه خطأ، لأنه كان يجمع على دياوين ولم يسمع، قاله الجواليقي.

قال عياض: وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوارى فصاحة، ولا يبارى بلاغة، وذكر عدة أحاديث، ثم قال: وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها، ولا قدر أحد أن يفرغ في قالب عليها، كقوله: حمي الوطيس، ومات حتف أنفه، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، والسعيد من وعظ بغيره، في إخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها، وتذهب به الفكر في أدنى حكمها.

(وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل) . بعين مهملة . المريض، **(كقوله ﷺ:)** فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أنس، وأبي موسى، وابن مسعود، قيل:

كقوله ﷺ: المرء مع من أحب.

وقوله: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين.

يا رسول اللَّه الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، قال: («**المرء مع من أحب**) في الجنة، بحسن نيته من غير زيادة عمل»، لأن محبته لهم لطاعتهم، والمحبة من أفعال القلوب، فأنيب على ما اعتقده، لأن الأصل النية، والعمل تابع لها، ولا يلزم من المعية استواء الدرجات، بل ترفع الحجب حتى تحصل الرؤية والمشاهدة، وكل في درجته، قاله المصنف.

وقال السخاوي: قال بعض العلماء: ومعنى الحديث أنه إذا أحبهم عمل بمثل أعمالهم، قال الحسن البصري: من أحب قومًا اتبع آثارهم، واعلم أنك لن تلحق بالأخيار حتى تتبع آثارهم، فتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتهم، وتصبح وتمسي على مناهجهم، حرصًا أن تكون منهم، أسنده العسكري، ولذا قيل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وسأل رجل أبا عثمان الواعظ: متى يكون الرجل صادقًا في حب مولاه؟ قال: إذا خلا من خلافه، كان صادقًا في حبه، فوضع الرجل التراب على رأسه، وصاح: كيف أدعي حبه، ولم أخل طرفة عين من خلافه، فبكى أبو عثمان وأهل المجلس، وصار أبو عثمان يقول في بكائه: صادق في حبه، مقصِّر في حقه، أورده البيهقي قائلاً: يشهد لقوله صادق الخ، هذا الحديث انتهى، وهذا الحديث متواتر.

قال في الفتح: جمع أبو نعيم الحافظ طرقه في كتاب المحبين مع المحبوبين، وبلغ عدد الصحابة فيه نحو العشرين، وفي رواية: أكثرهم المرء مع من أحب، وفي بعضها بلفظ حديث أنس: أنت مع من أحببت، انتهى.

قال ابن العربي: يريد في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي، وفي الآخرة بالمعاينة والقرب الشهودي، فمن لم يتحقق بهذا، وادعى المحبة، فدعواه كاذبة.

ولفظ حديث أنس: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول اللَّه؟ قال: «ما أعددت لها»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة، ولا صوم، ولا صدقة، ولكني أحب اللَّه ورسوله، قال: أنت مع من أحببت، فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم، ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا. (**وقوله**) ﷺ في كتابه لهرقل والمقوقس: («**أسلم**) - بكسر اللام - (**تسلم**) - بفتحها - (**يؤتك اللَّه أجرك مرتين**»)، لإيمانه بنبيه، ثم بالمصطفى.

وقوله: السعيد من وعظ بغيره.

ومما لم يذكره القاضي عياض رحمه الله:

قوله عليه الصلاة والسلام: إنما الأعمال بالنيات ....

قال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ [القصص: ٥٤]، أو لأن إسلامه سبب لإسلام أتباعه، ويؤتك بالجزم جواب ثان للأمر، أو بدل اشتمال منه، أو عطف عليه بحذف العاطف، فلا يردان جواب الأمر حصل بتسلم، أو هو جواب لأمر محذوف، هو وأسلم يؤتك، كما هو رواية البخاري في الجهاد بتكرير الأمر تأكيدًا، أو الأول الدخول في الإسلام، والثاني مداوم عليه، وتقدم بسط هذا في المكاتبات، **(وقوله)** ﷺ: **(السعيد)** المبارك المرضي عند اللّه، وعند الناس **(من وعظ بغيره)** أي: تأمل عواقب الأمور، فلم يفعل ما يضره، لما رأى ما أصاب غيره من فعلها، ومفهومه، والشقي من وعظ به غيره، وهذا الحديث رواه الديلمي عن عقبة بن عامر، والعسكري عن زيد بن خالد بهذا اللفظ مختصرًا، وصححه الحافظ، وشيخه العراقي، خلافًا لقول ابن الجوزي في أمثاله لا يثبت، وأخرجه العسكري، والقضاعي، والبيهقي في المدخل عن ابن مسعود، رفعه بزيادة: والشقي من شقي في بطن أمه، ورواه مسلم موقوفًا بالزيادة، وللبزار بسند صحيح عن أبي هريرة، رفعه: السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه، **(ومما لم يذكره القاضي عياض رحمه اللّه)** كذا في نسخ، وفي بعضها اقتصر على قوله: ومما لم يذكره، اكتفاء بعود الضمير له، **(قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال)** البدنية، أقوالها، وأفعالها، فرضها، ونفلها قليلها وكثيرها، الصادرة من المكلفين المؤمنين، صحيحة أو مجزئة، أو كاملة» **(بالنيات)** من مقابلة الجمع بالجمع، أي: كل عمل بنيته.

وقال الحربي كأنه أشار إلى تنويع: النية كالأعمال، كمن قصد بعمله وجه اللّه، أو تحصيل وعده، أو اتقاء وعيده، وفي معظم الروايات: بالنية بالإفراد، لأن محلها القلب، وهو متحد، فناسب أفرادها بخلاف الأعمال، فإنها متعلقة بالظواهر، وهي متعددة، فناسب جمعها، أو لأن النية ترجع إلى الإخلاص، وهو واحد للواحد الذي لا شريك له.

وفي صحيح ابن حبان: الأعمال بالنيات، بحذف إنما وجمعهما، وللبخاري في الإيمان، والعتق، والهجرة، الأعمال بالنية، بجمع الأعمال، وإفراد النية، وله في النكاح العمل بالنية بإفرادهما، والنية . بكسر النون، وشد التحتية على المشهور، وفي لغة تخفيفها، وهذا التركيب يفيد الحصر عند المحققين، لأن أل في الأعمال للاستغراق، وهو مستلزم للحصر، لأن معناه

....

كل عمل بنية، فلا عمل إلاَّ بنية، أو لأن إنما للحصر، وهل إفادتها له بالمنطوق، أو بالمفهوم، أو تفيد الحصر بالوضع، أو بالعرف، أو تفيده بالحقيقة، أو بالمجاز، ومقتضى كلام الإمام وأتباعه أنها تفيده بالمنطوق وضعًا حقيقيًا، بل نقله شيخ الإسلام البلقيني، عن جميع أهل الأصول من المذاهب الأربعة، إلا اليسير كالآمدي، وعلى العكس من ذلك أهل العربية، واستدل على إفادة إنما للحصر بأن ابن عباس، استدل على أن الربا لا يكون إلاَّ في النسيئة بحديث: إنما في الربا النسيئة، وعارضه جماعة من الصحابة في الحكم، ولم يخالفوه في فهمه، فكان كالاتفاق منهم على إفادتها الحصر، وتعقب باحتمال أنهم تركوا المعارضة تنزلاً، وأوضح من ذلك الحديث: إنما الماء من الماء، فإن الصحابة الذين ذهبوا إليه، لم يعارضهم الجمهور في فهم الحصر منه، وإنما عارضوهم في الحكم من أدلة أخرى، كحديث: إذا التقى الختانان.

وقال ابن عطية: إنما لفظ لا تفارقه، المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويصلح مع ذلك للحصر، إن دخل في قضية ساعدت عليه، فجعل ورودها للحصر، مجازًا يحتاج إلى قرينة، وعكسه غيره، فقال: أصل ورودها للحصر، لكن قد يكون في شيء مخصوص، كقوله تعالى: ﴿إنما اللَّه إله واحد﴾ [النساء: ١٧١] فكأنه سيق باعتبار منكري الوحدانية، وإلاَّ فللَّه سبحانه صفات أخرى، كالعلم والقدرة، وكقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ [الرعد: ٧] [النازعات: ٤٥]، فإنه سبق باعتبار منكري الرسالة، وإلا فله ﷺ صفات أخرى كالبشارة، والأعمال تقتضي عاملين، فالتقدير الصادرة من المكلفين.

قال الحافظ: فالظاهر إخراج أعمال الكفار، لأن المراد أعمال العبادة، وهي لا تصح من الكافر، وإن كان مخاطبًا بها، معاقبًا على تركها، ولا يرد العتق والصدقة، لأنهما بدليل آخر انتهى، وعبر بالأعمال دون الأفعال، لأن الفعل قد يكون زمانه يسيرًا، ولا يتكرر.

قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ [الفيل: ١]، وتبين لكم كيف فعلنا بهم، حيث كان إهلاكهم في زمان يسير، ولم يتكرر بخلاف العمل، فإنه الذي يوجد من الفاعل في زمان مديد، بالاستمرار والتكرار الذين آمنوا وعملوا الصالحات، طلب منهم العمل الدائم المتجدد لأنفس الفعل، قال تعالى: ﴿فليعمل العاملون﴾، ولم يقل الفاعلون والنيات جمع نية.

قال البيضاوي: وهي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا لغرض من جلب نفع، أو دفع ضر، حالاً أو مآلاً، والشرح خصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل، لابتغاء رضا اللَّه وامتثال حكمه، وهي محمولة على المعنى اللغوي، ليحسن تطبيقه على ما بعده، وتقسيمه أحوال المهاجر، فإنه تفصيل

رواه الشيخان وغيرهما.

وقوله: ليس للعامل من عمله إلا ما نواه.

وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم ....

لما أجمل، والحديث متروك الظاهر، لأن الذوات غير منفية، إذ التقدير لا عمل إلاَّ بنية، فليس المراد نفي ذات العمل، لأنه قد يوجد بلا نية، بل المراد نفي أحكامها، كالصحة والكمال، لكن الحمل على نفي الصحة أولى، لأنه أشبه بنفي الشيء نفسه، ولأن اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح، وعلى نفي الصفات بالتبع، فلما منع الدليل نفي الذات، بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة انتهى، والباء سببية بمعنى أنها مقوّية للعمل فكأنها سبب في إيجاده، أو للمصاحبة، فهي من نفس العمل، فيتشرط أن لا تتخلف عن أوله، ولا بد من محذوف يتعلق به الجار والمجرور، فلذا احتيج للتقدير.

وقال ابن القيم: هذا كلام مستقل بنفسه، لا يحتاج لإضمار صحة، ولا إجزاء، ولا قبول، إنما دل على أن وقوع الأعمال بالنيات، وأن النية هي الباعثة على العمل، المثيرة له، وهي أصله، وهو فرعها، ولما تكلف الناس بعض هذه التقديرات المستغنى عنها، وقعوا في الإشكال والاضطراب، فبعضهم قدر متعلق الظرف الصحة، وبعضهم الكمال، وعليه فالأول هو اللائق، لأن الصحة أكثر لزومًا للحقيقة، فلا يصح عمل، كتيمم خلافًا للأوزاعي، وكوضوء عند الأئمة الثلاثة، إلا بنية خلافًا للحنفية، ولا نسلم أن الماء يطهر بطبعه، والخلاف في الوسائل.

أما المقاصد، فلا خلاف في اشتراط النية، وإنما لم تشترط في إزالة الخبث، لأنها من قبيل التروك، وشرعت تمييزًا للعبادة عن العادة، أو لتمييز مراتب العبادة بعضها عن بعض، **(رواه الشيخان)** البخاري في سبعة مواضع، ومسلم **(وغيرهما،)** كالإمام أحمد، وأصحاب السنن، كلهم من حديث عمر، ولم يخرجه في الموطأ، رواية الأكثرين، وخرجه في رواية محمد بن الحسن عنه.

قال السيوطي: وبه يتبين صحة قول من عزا روايته للموطأ، وهم من خطأه في ذلك انتهى، وفيه تعريض، يقول الحافظ: هذا الحديث متفق على صحته، أخرجه الأئمة المشهورون، إلا الموطأ، وهم من زعم أنه في الموطأ مغترًا بتخريج الشيخين له، والنسائي من طريق لملك انتهى، وهذا من كثر، **(وقوله: ليس للعامل من عمله إلاَّ ما نواه، وتحت هاتين الكلمتين كنوز)** أبواب كثيرة **(من العلم،)** عبر عنها بالكنوز للمشابهة.

قال ابن مهدي: يدخل في ثلاثين بابًا من العلم، وقال الشافعي: يدخل في سبعين، ويحتمل أن مراده المبالغة، **(ولهذا قال)** الإمام **(الشافعي رحمه الله تعالى)** في إحدى الروايتين،

ولهذا قال الشافعي رحمه الله تعالى: حديث الأعمال بالنيات يدخل فيه نصف العلم، وذلك أن للدين ظاهرًا وباطنًا، والنية متعلقة بالباطن، والعمل هو الظاهر، وأيضًا فالنية عبودية القلب، والعمل عبودية الجوارح.

وقال بعض الأئمة: حديث الأعمال بالنيات ثلث الدين، ووجهه أن الدين: قوله وعمل ونية.

عنه (**حديث: الأعمال بالنيات يدخل فيه نصف العلم، و**) وجه (**ذلك أن للدين ظاهرًا وباطنًا، والنية متعلقة بالباطن،**) فهي نصف، (**والعمل هو الظاهر،**) فهو النصف الآخر، (**وأيضًا**) توجيه ثان، (**فالنية عبودية القلب،**) أي: عبادته، وهي انقياده وخضوعه، (**والعمل عبودية الجوارح**).

قال الراغب: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلاَّ اللَّه، والذي في الرسالة القشيرية، وشرحها أن العبودية، وهي تذلل وتبرٌّ من الحول، والقوّة في العبادة أتم من العبادة، وأعلى منها العبودة، فالعبادة لعوام المؤمنين، لأن غايتهم علم ما أمروا به، ونهوا عنه، والقيام بمقتضاهما، والعبودية للخواص لزيادة التذلل والتبري من الحول والقوّة، والعبودية لخواص الخواص، لكمال معرفته بربه، حيث أتى بما طلب منه، ورأى نفسه محلاً لجريان قضاء للَّه فيه، ولتوفيقه له في فعل ما طلب منه أقرب إلى مقام الجمع، وهو إفراد الحق بالفعل من الثاني، لأنه يشاهد كسبًا واختيارًا، وإن كان مفتقرًا لعون ربه فيما يختاره، والأول أقرب إلى مقام التفرقة، لأنه يرى نفسه عابدًا، محسنًا، مطيعًا، ويطلب الجزاء على عمله، وحاصله أن العابد واقف مع الأعمال، والثاني مستغرق في الجلال والجمال، والثالث، وهو ذو العبودة، متبر مما فيه نظر العون المتعال، والتفرقة اصطلاح للقوم، للفرق بين المقامات، وإن كان الأصل العبادة.

(**وقال بعض الأئمة**) كأحمد، وابن مهدي، وابن المديني، وأبي داود، والدارقطني، وحمزة الكناني، والشافعي، في نقل البويطي عنه: (**حديث الأعمال بالنيات ثلث الدين،**) ومنهم من قال: ربعه، واختلفوا في تعيين الباقي، (**ووجهه أن الدين قول، وعمل، ونية**).

وفي الفتح: وجه البيهقي، كونه ثلث العلم؛ بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد الثلاثة وأرجحها، لأنها قد تكون عبادة مستقلة، وغيرها يحتاج إليها، ومن ثم ورد نية المؤمن خير من عمله، وكلام أحمد يدل على أنه أراد بكونه ثلث العلم؛ أنه أحد القواعد الثلاث، التي يرد إليها جميع الأحكام عنده، وهي هذا، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد، والحلال بين الحرام بين، (**وقوله: نية المؤمن خير من عمله، رواه الطبراني**) في الكبير، عن

وقوله: نية المرء خير من عمله. رواه الطبراني. لكن قال بعضهم لا يصح رفعه قال: ورواه القضاعي عن إسمٰعيل بن عبد الله الصفار، أخبرنا علي بن عبد الله بن الفضل حدثنا محمد بن الحنفية الواسطي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحلبي، حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان يقول: نية المؤمن أبلغ من عمله. قال: وهذا الإسناد لا ضوء عليه، ويوسف بن عطية أحد رجاله متروك الحديث.

ورواه عثمٰن بن عبد الله الشامي من حديث النوّاس بن سمعان وقال: نية المؤمن خير من عمله، ....

سهيل بن سعد مرفوعًا بزيادة، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملاً صالحًا نار في قلبه نور، **(لكن قال بعضهم: لا يصح رفعه)** إنما هو موقوف عن سهل، وأطلق الحافظ العراقي أنه ضعيف، لكن قال رفيقه الحافظ نور الدين الهيتمي، رجاله موثوقون إلاَّ حاتم بن عباد، لم أر من ذكر له ترجمة.

(قال: ورواه القضاعي) أبو عبد الله، محمد بن سلامة المصري، **(عن إسمٰعيل بن عبد الله الصفار،)** نسبة إلى بيع النحاس، **(أخبرنا علي بن عبد الله بن الفضل، حدثنا محمد بن الحنفية الواسطي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحلبي، حدثنا يوسف بن عطية)** بن ثابت الصفار البصري، أبو سهل، متروك من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين.

(عن ثابت) بن أسلم البناني. بضم الموحدة، ونونين، أبي محمد البصري، عابد ثقة، من رجال الجميع، **(عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ، كان يقول: «نية المؤمن أبلغ»)** هو مساو لقوله: خير **(من عمله، قال: وهذا الإسناد لا ضوء عليه،)** كناية عن ضعفه، **(ويوسف بن عطية، أحد رجاله، متروك الحديث، ورواه عثمان بن عبد الله، الشامي من حديث النوَّاس)** . بفتح النون، وشد الواو، ثم مهملة، **(ابن سمعان،)** الكلابي، أو الأنصاري، صحابي مشهور، سكن الشام.

روى له مسلم، وأصحاب السنن، والبخاري في التاريخ، كذا في التقريب، ونسبه في الإصابة كلابيًا، وقال له ولأبيه صحبة، ولم أجد في التقريب أن سمعان . بفتح السين، ويجوز كسرها، **(وقال)** في سياق لفظه: **(نية المؤمن خير من عمله، ونية الفاجر شر من عمله).**

(وقال ابن عدي: عثمان بن عبد الله الشامي، له أحاديث موضوعات، هذا من جملتها، وقال: من الجوزي، لا يصح رفعه)، وتعقب ادعاء الوضع؛ بأن مفرداته ضعيفة فقط، لكن بانضمامها يقوى، كما أشار إليه السخاوي، فقال ما حاصله، أخرجه الطبراني، عن سهل،

ونية الفاجر شر من عمله. وقال ابن عدي: عثمٰن بن عبد الله الشامي له أحاديث موضوعات، هذا من جملتها، وقال من الجوزي: لا يصح رفعه، ومعناه: أن النية سر، والعمل ظاهر، والعمل السر أفضل، وهو يقتضي أنه لو نوى أن يذكر الله أو يتفكر، تكون نية الذكر ونية التفكر خيرًا منه، وليس بصحيح.

وقيل: معناه إن النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية، وهذا بعيد، لأن العمل إذا خلا عن النية لم يكن فيه خير أصلاً.

وقيل: النية عمل القلب، والفعل عمل الجوارح، وعمل القلب خير من عمل الجوارح، فإن القلب أمير الجوارح، وبينه وبينها علاقة، فإذا تألمت تألم القلب، وإذا تألم القلب تألمت فارتعدت الفرائض وتغير اللون، فإن القلب الملك الراعي والجوارح خدمه ورعيته، وعمل الملك أبلغ من عمل رعيته.

والعسكري، عن النوّاس، وهو والبيهقي، وضعفه عن أنس، والديلمي، عن أبي موسى، وهي وإن كانت ضعيفة، فبمجموعها يتقوّى الحديث انتهى.

فمن حكم بحسنه، أراد أنه حسن لغيره لا لذاته، **(ومعناه: أن النية سر، والعمل ظاهر، والعمل السر أفضل،)** لما فيه من السلامة من الوقوع في الرياء، وسائر حظوظ النفس، ومن ثم، ورد في بعض الآثار: عمل السر يفضل عمل العلانية بسبعين ضعفاً، وللديلمي مرفوعًا: السر أفضل من العلانية، والعلانية لمن أراد الاقتداء، **(وهو يقتضي أنه لو نوى أن يذكر الله أو يتفكر، تكون نية الذكر، ونية التفكر خيرًا منه،)** أي: من نفس الذكر، **(وليس بصحيح،)** فيصرف عن هذا الظاهر، **(وقيل: معناه أن النية بمجردها، خير من العمل بمجرده، دون النية، وهذا بعيد، لأن العمل إذا خلا عن النية، لم يكن فيه خير أصلاً،)** فيبطل أفعل التفضيل، فلا ينبغي حمل الحديث عليه، **(وقيل)** في معناه: **(النية عمل القلب، والفعل عمل الجوارح، وعمل القلب خير من عمل الجوارح، فإن القلب أمير الجوارح، وبينه وبينها علاقة)** . بفتح العين. إرتباط واتصال، **(فإذا تألمت تألم القلب، وإذا تألم القلب تألمت، فارتعدت الفرائص،)** جمع فريصة، بمهملة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد، كما في القاموس، فالمراد هنا زادت رعدتها، **(وتغير اللون، فإن القلب الملك الراعي، والجوارح خدمه ورعيته، وعمل الملك أبلغ من عمل رعيته،)** فلذا كانت النية التي القلب محلها أبلغ وخيرًا من العمل، وحاصله أنها فعل القلب، وهو أشرف، ففعل الأشرف أشرف، وزاد غيره: لأن القصد من الطاعة تنوير القلب، وتنويره بالنية أكثر،

وقيل: لما كانت النية أصل الأعمال كلها وروحها ولبها، والأعمال تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها، وهي التي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدًا، وغير الصالح تجعله صالحًا مثابًا عليه، ويثاب عليها أضعاف ما يثاب على العمل، فلذا كانت نية المؤمن خيرًا من عمله. وقال أبو بكر بن دريد في محتباه: المعنى ـ والله أعلم ـ أن المؤمن ينوي الأشياء من أنواع البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك فلعله يعجز عن بعض ذلك وهو معقود النية عليه، فنيته خير من عمله.

لأنها صفته.

(**وقيل: لما كانت النية أصل الأعمال كلها**،) إذ لا توجد شرعًا إلاَّ بها، (**وروحها ولبها**) خالصها، (**والأعمال تابعة لها، تصح بصحتها، وتفسد بفسادها، وهي التي تقلب العمل الصالح**،) كالصلاة، (**فتجعله فاسدًا**،) بقصد الرياء، وظاهره قلبها نفس العمل، وفي التحفة: أنه لا ينقلب، إنما المنقلب ثوابه وإثمه، (**وغير**) العمل (**الصالح، تجعله صالحًا مثابًا عليه، ويثاب عليها أضعاف ما يثاب على العمل، فلذا كانت نية المؤمن خيرًا من عمله**،) جواب لما دخلته الفاء، ولذا قيل: إذا فسدت النية وقعت البلية، ومن الناس من يكون همه ونيته أجل من الدنيا وما عليها فتبلغ النية بصاحبها في الخير والشر ما لا يبلغه عمله، فأين نية من طلب العلم لوجه الله، والنظر إليه وسماع كلامه، وتسليمه عليه في الجنة، وليصلي الله عليه وملائكته، وتستغفر له حيتان البحر، ودوابه في الدنيا من نية من طلبه، لا كل أو وظيفة، كتدريس ونحوه من الغرض الفاني.

(**وقال أبو بكر**،) محمد بن الحسن (**بن دريد**،) الأزدي، البصري: انتهى إليه علم لغة البصرة، وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علمًا، وأقدرهم على الشعر، تصدر للعلم ستين سنة. ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ومات بعمان في رمضان، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، (**في محتباه المعنى**) في الحديث: (**والله أعلم أن المؤمن ينوي الأشياء من أنواع البر نحو: الصدقة والصوم وغير ذلك، فلعله يعجز عن بعض ذلك، وهو معقود النية**،) عازم، ومصمم (**عليه**،) أي: البعض المعجوز عنه، والجملة حالية، (**فنيته خير من عمله**،) لذلك العقد، وقيل: لأن تخليد العبد في الجنة إنما هو بنيته لا بعمله، إذ لو كان لأقام فيها بقدره، أو إضعافه، لكن لما نوى الطاعة أبدًا، وأتته المنية حازاه الله بالنية، وكذا الكافر، إذ لو جوزي بعمله، لم يخلد في النار، إلا بقدر مدة كفره، لكنه نوى الكفر أبدًا، فجوزي بها.

وقال الكرماني: المراد أن النية خير من عمل بلا نية، إذ لو كان المراد من عمل مع نية، لزم كون الشيء خيرًا من نفسه مع غيره، أو المراد أن الجزء الذي هو النية، خير من الجزء الذي

وقوله ﷺ: يا خيل الله اركبي.

رواه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير، والعسكري عن أنس، وابن عائذ في المغازي عن قتادة ولفظه عن ابن عائذ: قال بعث رسول الله ﷺ يومئذ ـ يعني يوم الأحزاب ـ مناديًا ينادي: يا خيل الله اركبي. قال العسكري وابن دريد في مجتباه، وهذا على المجاز والتوسع، أراد: يا فرسان خيل الله اركبي، فاختصره.

هو العمل، لاستحالة دخول الرياء فيها، أو أن النية خير من جملة الخيرات الواقعة بعمله، وقيل: معناه إن جنس النية راجح على جنس العمل، بدليل أن كلاً من الجنسين إذا انفرد عن الآخر، يثاب على الآخر دون الثاني، وهذا لا يتمشى في حق الكافر، ولذا قال: نية المؤمن.

وأفاد أن الثواب المرتب على الصلاة مثلاً أكثره للنية، وباقيه لغيرها من قيام وغيره، وقيل: معناه إن المؤمن كلما عمل خير نوى أن يعمل ما هو خير منه، فليس لنيته في الخير منتهى، والفاجر كلما عمل شرًا نوى أن يعمل ما هو شر منه، فليس لنيته في الشرّ منتهى، **(وقوله ﷺ: «يا خيل اللّه اركبي»، رواه أبو الشيخ)** عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حيان. بفتح المهملة وتحتانية. الأصبهاني، الحافظ، الإمام، المصنف، الخير، الصالح، القانت، الصدوق، المأمون، الثقة، المتقن، مات في محرم سنة تسع وستين وثلاثمائة **(في)** كتاب **(الناسخ والمنسوخ، عن سعيد بن جبير)** في قصة المحاربين، قال: كان ناس أتوا رسول اللّه ﷺ، فقالوا: نبايعك على الإسلام، فذكر القصة وفيها: فأمر ﷺ، فنودي في الناس: يا خيل اللّه اركبي، فركبوا لا ينتظر فارس فارسًا.

(والعسكري عن أنس؛) أنه ﷺ، قال لحارثة بن النعمان: كيف أصبحت.. الحديث، وفيه أنه قال: يا نبي اللّه ادع اللّه لي بالشهادة، فدعا له، قال: فنودي يومًا: يا خيل اللّه اركبي، فكان أوّل فارس ركب، وأوّل فارس استشهد.

(وابن عائذ في المغازي عن قتادة) بن دعامة، **(ولفظه عند ابن عائذ)** مستغني عنه، **(قال: بعث رسول اللّه ﷺ يومئذ ـ يعني يوم الأحزاب،)** أي: يوم انصرافه من غزوهم، ومسيره إلى بني قريظة **(مناديًا ينادي: يا خيل اللّه اركبي،)** وللعسكري مرفوعًا الإناة في كل شيء خير إلاَّ في ثلاث، إذا صيح في خيل اللّه، فكونوا أوّل من يشخص، **(قال العسكري، وابن دريد في مجتباه، وهذا على المجاز)** بالحذف **(والتوسع، أراد يا فرسان خيل اللّه اركبي، فاختصره)** لعلم المخاطب بما أراده، لكن لا يناسبه قوله: اركبي، إذ لو أراده لقال: اركبوا، إلاَّ أن يقال نسب

وقوله: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

رواه الشيخان وغيرهما، ـ والله أعلم ـ أن حظ العاهر الحجر ولا شيء له في الولد، وقيل: أراد أن حظه الغلظة والخشونة من إقامة الحد التي نهايتها رميه بالحجر. وقيل: أراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة على الولد إذا لم تكن المرأة زوجًا له، والله أعلم.

ما لهم من الركوب للخيل، لأنها آلة القتال وبها الاستعداد، والأولى على جعله مجازًا بالنقص أن يقدر يا جماعة خيل اللّه، ويمكن جعله مجازًا في الإسناد، استعمل الخيل في نفس الفرسان لملازمتها لها، **(وقوله)** ﷺ: **(الولد)** ذكر وأنثى مفرد ومتعدد، تابع أو محكوم به **(للفراش،)** أي: صاحبه زوجًا كان أو سيدًا، لأنهما يفترشان المرأة بالاستحقاق، ومحله ما لم ينقه بلعان في الزوجة، وليس لزان نصيب في النسب، إنما حظه الحد، كما قال: **(وللعاهر)** الزاني، يقال: عهر إلى المرأة، إذا أتاها ليلاً للفجور بها، والعهر ـ بفتحتين ـ الزنا، **(الحجر،)** الخيبة والحرمان، **(رواه الشيخان، وغيرهما)** من حديث عائشة وأبي هريرة، وهو متواتر، وفيه قصة **(واللّه أعلم، أن حظ،)** أي: نصيب **(العاهر،)** الزاني **(الحجر،)** أي: من الخيبة والحرمان، كقولهم: بفيه الحجر، **(ولا شيء له في الولد،)** لعدم اعتبار دعواه مع وجود الفراش للآخر، فأبطل بذلك إثبات بعض العرب النسب بالزنا، **(وقيل: أراد أن حظه الغلظة والخشونة من إقامة الحد، التي نهايتها رميه بالحجر،)** إذا كان محصنًا.

قال الطيبي تبعًا للنووي: أخطأ من زعم أن المراد الرجم بالحجر، لأنه خاص بالمحصن، ولأنه لا يلزم من الرجم نفي الولد الذي الكلام فيه.

قال السبكي: المعول على الأوّل لتعم الخيبة كل زان، ودليل الرجم مأخوذ من أدلة أخرى، فلا حاجة للتخصيص بلا دليل، **(وقيل: أراد بالحجر هنا، الكناية عن رجوعه بالخيبة على الولد، إذا لم تكن المرأة زوجًا له،)** أي: الزاني، فيخيب الولد بكونه لا أب له شرعًا، فلا يثبت نسب بوطء زنا، وأوّل من استلحق في الإسلام ولد الزنا معوية، استلحق في خلافته زياد بن سمية أخًا، لأن أباه كان زنى بها زمن كفره، فجاءت به، وفيه يقول أبو سفيٰن، ولم يستلحقه، يخاطب عليًا رضي اللّه عنهما:

أما واللّه لولا خوف واش ... يراني يا علي من الأعادي

لأظهر أمره صخر بن حرب ... ولم تكن المقالة عن زياد

لقد علمت معاشرتي ثقيفًا ... وتركي فيهم ثمر الفؤاد

قال البارزي: واستلحاقه خلاف إجماع المسلمين، **(واللّه أعلم)** بمراد رسوله، **(وقوله)**

وقوله: كل الصيد في جوف الفرا.

وهو بفتح الفاء، حمار الوحش، رواه الرامهرمزي في الأمثال، وسنده جيد، ولكنه مرسل، ونحوه عند العسكري وقال: جوف أو جنب.

وهذا خاطب به النبي ﷺ أبا سفيٰن بن الحٰرث بن عبد المطلب حين جاءه مسلمًا بعد أن كان عدوًا له وهجاء كثير الهجاء مُقْذِعًا فيه، فكأنه يقول ﷺ إن الحمار الوحشي من أعظم ما يصاد، وكل صيد دونه، كما أنك أعظم أهلي

ﷺ: (**«كل الصيد في جوف الفراء»، وهو بفتح الفاء**) مقصور مهموز، كما في النهاية (**حمار الوحش،**) وفي القاموس: الفرأ، كجبل، وسحاب حمارالوحش أو فنيه، أي: صغيرة الجمع أفراء، وفراء انتهى، فقراءته بالألف خلاف الرواية واللغة، وإن أمكن توجيهه، بأن الهمزة قلبت ألفًا، على غير قياس، أو سكنت للوصل بنية الوقف، ثم أبدلت، (**رواه الرام هرمزي،**) بفتح الراء، والميم الأولى، وضم الهاء، والميم الثانية، وإسكان الراء بينهما. وزاي منقوطة، نسبة إلى رام هرمزة بالأهواز، الحافظ، الإمام، البارع، أبو محمد، الحسن بن عبد الرحمٰن، الفارسي، كان من أئمة هذا الشأن. عاش إلى قريب الستين وثلاثمائة. (**في**) كتاب (**الأمثال،**) من طريق ابن عيينة، عن وائل بن مازن، عن نصر بن عاصم الليثي، قال: أذن رسول الله ﷺ لقريش وآخر أبا سفيٰن، ثم أذن له، فقال: ما كدت أن تأذن لي، حتى كدت أن تأذن الحجارة الجلهمتين، وبكى، فقال: «وما أنت وذاك يا أبا سفيٰن، إنما أنت كما قال الأوّل: كل الصيد في جوف الفرا»، (**وسنده جيد،**) أي: مقبول، (**ولكنه مرسل،**) لأن نصر بن عاصم، تابعي وسط، (**ونحوه عند العسكري، و**) لكنه (**قال:**) كل الصيد في (**جوف، أو جنب**) الفرا بالشك، (**وهذا خاطب به النبي ﷺ أبا سفيٰن بن الحٰرث بن عبد المطلب، حين جاءه مسلمًا،**) بالإبواء بين مكة والمدينة، والنبي ﷺ سائر إلى فتح مكة، (**بعد أن كان عدوًا له هجاء كثير الهجاء**) بعد البعثة، وكان يألفه قبلها، (**مُقذعًا فيه،**) ،بضم الميم، وإسكان القاف، وذال معجمة، وعين مهملة. من أفذع، أي: مبالغًا في الهجو والفحش.

قال في القاموس: فذعه، كمنعه، رماه بالفحش وسوء القول كأقذعه، فلما أسلم، كان لا يرفع رأسه إلى المصطفى حياء منه، وكان ﷺ يحبه ويشهد له بالجنة، ويقول: «أرجو أن يكون خلفًا من حمزة»، (**فكأنه يقول ﷺ: إن الحمار الوحشي من أعظم ما يصاد، وكل صيد دونه،**) أي: أقل منه، (**كما أنك أعظم أهلي وأمسهم رحمًا بي، ومن أكرم من يأتيني كل دونك انتهى،**) فقال ذلك ملاطفة له، لأنه استأذن فلم يأذن له، وقال: إنه هتك عرضي، كما تقدم بسطه

وأمسهم رحمًا بي، ومن أكرم من يأتيني وكل دونك. انتهى.

وقوله: الحرب خدعة.

رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: سمى النبي ﷺ الحرب خدعة. وليس عند مسلم «سمى»، وقوله: «خدعة» مثلث الخاء، أشهرها: فتح الخاء وإسكان الدال، قال ثعلب وغيره: وهي لغة النبي ﷺ، والثانية، ضم الخاء وإسكان الدال. والثلاثة: ضم الخاء وفتح الدال.

في الفتح.

(وقوله) ﷺ: (**«الحرب خدعة»، رواه البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة قال: سمى النبي ﷺ الحرب خدعة،**) مبالغة، لكونها أعظم نافع فيه حتى من الشجاعة لخطرها وسلامة هذه، فهو كقوله: الحج عرفة، (**وليس عند مسلم سمي، وقوله: خدعة ـ مثلث الخاء ـ**) ظاهره أنه روى بالكسر مع إسكان الدال، وبه صرح في التوشيح والقاموس، إلا أن المصنف صرح في شرحه للبخاري، تبعًا للحافظ، بأنها لغة حكاها مكي وغيره، وأن الرواية إنما هي بالثلاث التي أفادها بقوله، (**أشهرها فتح الخاء، وإسكان الدال**).

قال النووي: اتفقوا على أنها أفصح حتى (**قال ثعلب وغيره،**) كأبي ذر الهروي والقزاز: (**وهي لغة النبي ﷺ**).

قال أبو بكر بن طلحة: أراد ثعلب أن النبي كان يستعملها، كثير الوجازة، لفظها وكونها تعطي معنى الآخرين، أي: الضم مع الإسكان، أو الفتح.

قال: ويعطي معناها أيضًا الأمر باستعمال الحيلة، مهما أمكن ولو مرة، فكانت مع اختصارها كثيرة المعنى، ومعناها أنها تخدع أهلها من وصف الفاعل باسم المصدر، وأنها وصف للمفعول، كهذا الدرهم ضرب الأمير، أي: مضروبه.

وقال الخطابي: إنها المرة الواحدة، يعني أنه إذا خدع مرة واحدة لم تقل عثرته، (**والثانية ضم الخاء، وإسكان الدال،**) وهي رواية الأصيلي، ومعناها أنها تخدع الرجال، أي: هي محل الخداع وموضعه، (**والثلاثة ضم الخاء وفتح الدال،**) صيغة مبالغة كهمزة لمزن، المعنى أنها تخدع الرجال، أي: تمنيهم الظفر، ولا تفي لهم، كالضحكة إذا كان يضحك بالناس، وقيل: حكمة الإتيان بالتاء الدلالة على الوحدة، فإن الخداع إذا كان من المسلمين، فكأنه حضهم عليه ولو مرة واحدة، وإن كان من الكفار، فكأنه حذرهم مكرهم ولو وقع مرة واحدة فلا ينبغي التهاون

وقد قال ذلك النبي ﷺ يوم الأحزاب، لما بعث نعيم بن مسعود وأمره أن يخذل بين قريش وغطفان واليهود، وأشار بذلك إلى أن المماكرة أنفع من المكاثرة.

قال النووي: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن إلا أن ....

بهم، لما ينشأ عنه من المفسدة، ولو قال، وحكى المنذري لغة رابعة بالفتح فيهما، قال: وهو جمع خادع، أي أن أهلها بهذه الصفة، فكأنه قال: أهل الحرب خدعة، وحكى مكي، ومحمد بن عبد الواحد لغة خامسة، كسر أوّله مع الإسكان، ذكره الحافظ في قوله: لغة رابعة لغة خامسة، أفاد أن الرواية لم تأت بهما، وتبعه المصنف فيتوقف في قول القاموس، والحرب خدعة مثلثة كهمزة، وروى بهن جميعًا، لكن يوافقه قول السيوطي: بفتح الخاء، وضمها، وكسرها سكون الدال، أمر باستعمال الحيلة فيه ما أمكن.

(**وقد قال ذلك النبي ﷺ يوم الأحزاب، لما بعث نعيم بن مسعود**،) الأشجعي، الصحابي المشهور، المتوفى أوّل خلافة علي، حين جاء له مسلمًا، وقال: إن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، (**وأمره أن يخذل بين قريش وغطفان، و**) بين (**اليهود**،) فأتي بني قريظة، وكان نديمًا لهم، فقال: قد عرفتم ودي لكم، قالوا: صدقت، قال: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم إن رأوا نهزة أصابوها، وإلا لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين محمد، ولا طاقة لكم به وحدكم، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنًا من أشرافهم، فقالوا: أشرت بالرأي، ثم أتى قريشًا، فقال: قد عرفتم ودي، وفراقي محمدًا، وقد بلغني أمر رأيت حقًا عليَّ أن أبلغكموه نصحًا لكم، أن يهود ندموا على ما صنعوا، وأرسلوا بذلك إلى محمد وقالوا: أيرضيك أن نأخذ لك من أشراف قريش وغطفان رجالاً تضرب أعناقهم، ثم نكون معك حتى نستأصل باقيهم، ثم أتى غطفان فقال لهم مثل ذلك، فأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين، فقالوا: لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا، فقالت القلبيتان: إن الذي حدثكم نعيم لحق، وأرسلوا إليهم لا ندفع لكم رجلاً واحدًا، فقالت قريظة: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق. (**وأشار بذلك إلى أن المماكرة**،) الاحتيال في بلوغ الغرض، (**أنفع من المكاثرة**،) المغالبة بالكثرة، ولذا قال ابن المنير: معناه الحرب الكاملة في مقصودها البالغة، إنما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة، وحصول الظفر بالمخادعة بلا مواجهة.

(**قال النووي: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد وأمان، فلا يحل**) ذلك.

يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل.

وقوله: إياكم وخضراء الدمن.

رواه الرامهرمزي والعسكري في الأمثال، وابن عدي في الكامل، وأبو بكر بن دريد في المجتبى والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي قال: حدثنا محمد بن سعيد بن دينار عن أبي وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد مرفوعًا: قيل يا رسول الله وما زاد؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء. قال ابن عدي: تفرد به الواقدي.

ومعناه: أنه كره نكاح الفاسدة، وقال: إن أعراق السوء تنزع ....

قال ابن العربي: ويقع الخداع بالتعريض وبالكمين ونحوهما، **(وقوله)** ﷺ: «**(إياكم وخضراء الدمن)** ». بكسر الدال وفتح الميم، **(رواه الرام هرمزي والعسكري،)** كلاهما **(في)** كتاب **(الأمثال وابن عدي في الكامل، وأبو بكر بن دريد في المجتبى، والقضاعي في مسند الشهاب، والديلمي)** في الفردوس، والدارقطني في الإفراد، والخطيب في إيضاح الملتبس، كلهم **(من حديث الواقدي قال: حدثنا محمد،)** صوابه كما في المقاصد ناسباً للمذكورين يحيى **(بن سعيد بن دينار، عن أبي وجزة)**. بفتح الواو، سكون الجيم، بعدها زاي. **(يزيد)**. بتحتية وزاي. **(ابن عبيد،)**. بضم العين. السعدي، الشاعر المدني، الثقة، التابعي، الصغير. مات سنة ثلاثين ومائة. روى له أبو داود والنسائي، **(عن عطاء بن يزيد الليثي)** ،المدني، نزيل الشام، ثقة، من رجال الجميع. مات سنة خمس أو سبع ومائة، وقد جاوز الثمانين.

(عن أبي سعيد) سعد بن مٰلك الخدري، **(مرفوعًا)** باللفظ المزبور، **(قيل: يا رسول الله وما زاد؟)** المراد بخضرة الدمن **(قال: «المرأة الحسناء)** الجميلة، **(في المنبت السوء)** وفي نسخة: في البيت، والذي في المقاصد المنبت بالميم، **(قال ابن عدي: تفرد به الواقدي،)** وهو متروك متهم، زاد السخاوي، وذكره أبو عبيد في الغرائب فقال: يروى عن يحيى بن سعيد بن دينار.

قال ابن الصلاح: وابن طاهر يعد في أفراد الواقدي، وقال الدارقطني: لا يصح من وجه، **(ومعناه: أنه كره نكاح الفاسدة، وقال: إن أعراق)** جمع عرق **(السوء، تنزع)** تميل وتشبه **(أولادها)** بها، **(وتفسير حقيقته أن الريح تجمع الدمن، وهي البعر في البقعة من الأرض، ثم**

أولادها، وتفسير حقيقته: أن الريح تجمع الدمن، وهي البعر، في البقعة من الأرض، ثم يركبه الساقي، فإذا أصابه المطر أنبت نباتًا غضًا ناعمًا، يهتز وتحته الأصل الخبيث، فيكون ظاهره حسنًا وباطنه قبيحًا فاسدًا. والدمن جمع دمنة وأنشد زفر بن الحٰرث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ومعنى البيت: أن الرجلين قد يظهران الصلح والمودة، وينطويان على البغضاء والعداوة، كما ينبت المرعى على الدمن. وهذا أكثري أو كلي في زمننا، أشار إليه شيخنا.

وقوله: الأنصار كرشي وعيبتي.

رواه البخاري، أي إنهم بطانته وموضع سره، ....

يركبه الساقي، فإذا أصابه المطر أنبت نباتًا غضًا) . بمعجمتين. طريًا **(ناعمًا، يهتز)** يتمايل، **(وتحته الأصل الخبيث،)** وهو البعر، **(فيكون ظاهره حسنًا وباطنه قبيحًا فاسدًا، والدمن جمع دمنة،)** بزنة سدرة وسدر، وهو البعر، أي: نفسه، هذا ظاهره، وفي المصباح: الدمن من وزان حمل، ما يتلبد من البعر، والدمنة موضعه، والجمع دمن، **(وأنشد زفر بن الحٰرث)** . بضم الزاي، وفتح الفاء:

(وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا)

(ومعنى البيت: أن الرجلين قد يظهران الصلح والمودة، وينطويان على البغضاء،) شدة البغض وأقواه، **(والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن، وهذا أكثري أو كلي في زمننا، أشار إليه،)** بمعنى ذكره **(شيخنا،)** يعني السخاوي في المقاصد الحسنة.

(وقوله) ﷺ: **(«الأنصار كرشي»)** . بفتح الكاف وكسر الراء والشين المعجمة. **(وعيبتي)** . بفتح المهملة والموحدة، بينهما تحتية ساكنة، ثم تاء تأنيث، **(رواه البخاري)** ومسلم، والترمذي، والنسائي، عن أنس بزيادة: والناس سيكثرون ويقلون، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزا عن مسيئهم، **(أي: أنهم بطانته، وموضع سره،)** إذ البطانة. بالكسر. الوليجة. بالجيم، وهو الذي يكون محلاً لسر صاحبه، فالمعنى أنهم كالباطنة يسر لهم أموره، فيكتمونها ولا يظهرونها، فكانوا كالكرش.

قال القزاز: ضرب المثل بالكرش، لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال

والعيبة كذلك، لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يجمع ثيابه في عيبته. وقيل: أي هم الذين أعتمد عليهم وأفزع إليهم وأقوى بهم، وقيل أراد بالكرش الجماعة، أي جماعتي وصحابتي، ويقال: عليه كرش من الناس أي جماعة، ووقع في رواية الترمذي: ألا إن عيبتي التي آوي ....

فلان كرش منثورة، أي: عيال كثيرة، (**والعيبة كذلك**،) إذ هي ما يجعل الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته، (**لأن المجتر**) من ذي الخف، والظلف، ويربوع، وأرنب، (**يجمع علفه في كرشه**،) لأنه له بمنزلة المعدة للإنسان، (**والرجل يجمع ثيابه في عيبته**،) تعليل لوجه التشبيه، (**وقيل**) في بيانه أيضًا: (**أي هم الذين اعتمد عليهم، وأفزع**). بالفاء والزاي. ألجأ (**إليهم وأقوي بهم**،) كما يقوي الحيوان بما في كرشه، ويلجأ الرجل إلى ما في عيبته، (**وقيل: أراد بالكرش الجماعة**،) وهو أحد إطلاقاته لغة، (**أي: جماعتي وصحابتي**) عطف تفسير، (**ويقال:**) عطف علة على معلول، أي: لأنه يقال لغة (**عليه كرش من الناس، أي: جماعة**،) وقيل: أي أنهم مني في المحبة والرأفة بمنزلة الأولاد الصغار، لأن الإنسان مجبول على محبة ولده الصغير، ذكره المصباح، ولكنه لا يناسب سياقه في الثناء عليهم، كما قال شيخنا في التقرير: ففي بعض طرق الحديث في الصحيح، مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟، قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل فأخبره، فخرج ﷺ، وقد عصب على رأسه حاشية برد ، فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»، وفي الفتح: أي: بطانتي وخاصتي.

قال القزاز: ضرب المثل بالكرش، لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال لفلان: كرش منثورة، أي: عيال كثيرة، والعيبة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته.

قال ابن دريد: هذا من كلامه ﷺ الموجز الذي لم يسبق إليه، وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة مستودع الثياب، والأول أمر باطن، والثاني أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة، والأول أولى، وكل من الأمرين مستودع لما يخفي فيه انتهى.

(**ووقع في رواية الترمذي: ألا أن عيبتي التي آوى**،) . بفتح الهمزة الممدودة، أي: جماعتي التي أرجع (**إليها**،) وأقيم عندها، حتى كأنها حافظة لي (**أهل بيتي، وإن كرشي**

إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار.

وقوله: ولا يجني على المرء إلا يده.

رواه الشيخان، ولأحمد وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص: لا يجني جان إلا على نفسه. وقد أراد ﷺ بهذا: أنه لا يؤخذ إنسان بجناية غيره، إن قتل أو جرح أو زنى، وإنما يؤخذ بما جنته يده، فيده هي التي أدته لذلك.

وقوله: ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه.

رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه الشيخان ....

الأنصار) ضبطه المصنف بزنة كتف، فإن كان الرواية، وإلاَّ ففيه الكسر مع الإسكان أيضًا، كما في القاموس، **(وقوله)** ﷺ: **(ولا يجني على المرء)** أي: الرجل، والمراد الإنسان، فيشمل المرأة، أي: لا يوصل إليه مكروهًا، **(إلا يده)** لأنه يذنب فيعاقب من اللَّه، أو الحاكم فكأنه المعاقب لنفسه لتسببه في إيصال العقاب لها، وخص اليد لمباشرتها غالباً الجنايات، **(رواه الشيخان)** في حديث، **(ولأحمد وابن ماجه من حديث عمر بن الأحوص)** الجشمي. بضم الجيم، وفتح المعجمة. صحابي له حديث في السنن الأربعة أنه شهد حجة الوداع فيه، **(لا يجني جان إلا على نفسه)** أي: لا يؤخذ أحد بجناية أحد، ولا تزر وازرة وزر أخرى، فهو خبر بمعنى النهي، وفيه مزيد تأكيد، كأنه نهاه فقصد أن ينتهي، فأخبر عنه، ولذا عدل عن النهي إلى الخبر، ولمزيد من التأكيد والحث على الانتهاء، أضاف الجناية إلى نفسه، والمراد الغير لأنها كانت سببًا للجناية عليه، قصاصاً ومجازاة، فأبرزها على ذلك ليكون أدعى إلى الكف، وأمكن في النفس لتضمنه الدلالة على المعنى الموج للنهي، كما أشار إليه البيضاوي، وإلى حاصله يومىء قول المصنف.

(وقد أراد ﷺ بهذا، أنه لا يؤخذ إنسان بجناية غيره إن قتل، أو جرح، أو زنى، وإنما يؤخذ بما جنته يده، فيده هي التي أدته لذلك.) فهو إبطال لأمر الجاهلية، كانوا يقودون بالجناية من يجدونه من الجاني وأقاربه، الأقرب فالأقرب، وعليه الآن أهل الجفاء من سكان البوادي والجبال، **(وقوله)** ﷺ: **(ليس الشديد،)** أي: القوي **(من غلب الناس،)** بل هو ضعيف، فإن الظفر بالغير ينشأ غالبًا عن تعد في القول، أو الفعل، فيذم فاعله عند اللَّه وعند الخلق، فهو نفي للمتعارف عندهم، **(إنما الشديد من غلب نفسه،)** بأن منعها من مطلوباتها المخالفة للشرع، لأنه يجازي على منعها من اللَّه الثواب الجزيل، **(رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه)** بمعناه **(الشيخان)** في الأدب، عن أبي هريرة بلفظ: **(ليس الشديد بالصرعة،)**. بضم الصاد المهملة، وفتح الراء،

بلفظ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب يعني أنه إذا ملكها كان قد قهر أكبر أعدائه وشر خصومه. ولذلك قال: أعدى عدو لك نفسك التي بينك جنبيك. وهذا من باب المجاز، ومن فصيح الكلام، لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة من الغضب وقهرها بحلمه، وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع ....

الذي يصرع الناس كثيرًا بقوّته، والهاء للمبالغة في الصفة، والصرعة ـ بسكون الراء ـ بالعكس، وهو من يصرعه غيره كثيرًا، وكل ما جاء بهذا الوزن بالضم والسكون، فهو كذلك كهمزة ولمزة وحفظة وخدعة، ووقع بيان ذلك في حديث ابن مسعود عند مسلم وأوله: ما تعدون الصرعة فيكم، قالوا: الذي لا تصرعه الرجال.

قال ابن التين: ضبطناه بفتح الراء، وقرأه بعضهم بسكونها وليس بشيء، لأنه عكس المطلوب، قال: وضبط أيضاً في بعض الكتب بفتح الصاد، وليس بشيء، ذكره الحافظ والنفي للمبالغة، أي: ليس القوي من يقدر على صرع أبطال الرجال وإلقائهم إلى الأرض بقوّة، **(إنما الشديد)** على الحقيقة **(الذي يملك نفسه عند الغضب،)** أي: إنما القوي من كظم غيظه عند فوران الغضب وقهر نفسه وغلب عليها، فحوَّل المعنى فيه من القوّة الظاهرة إلى القوّة الباطنة، **(يعني أنه إذا ملكها كان)** هو الشديد، لأنه **(قد قهر أكبر أعدائه،)** إذ من عداها أذاه دونها، لأنها موجبة لعقوبة اللَّه، وأقلها أشد من عقوبات الدنيا **(و)** قهر **(شر)** بالنصب، **(خصومه،)** جمع خصم على لغة المطابقة في التثنية والجمع، والمشهور وقوع خصم على الذكر والأنثى والمفرد، والجمع فآثر الجمع وإن كان لغة قليلة، لأنه أبلغ في إفادة المراد **(ولذلك)** المذكور من الأمرين. **(قال)** عليه الصلاة والسلام، فيما ذكره في النهاية بلا إسناد: **(أعدى عدو لك،)** أي: أشد عداوة لك من بين أعدائك، **(نفسك التي بين جنبيك،)** والعدو خلاف الصديق الموالي، وليس المراد البغض لاستحالته بل فعلها معه فعل العد، ولحملها له على اكتساب المال من غير حله، وإنفاقه في اللذات والشهوات، وصدها عن العلم والجهاد، وميلها للكسل وما يفوّت الكمالات، أن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، **(وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام،)** أي: بليغه إلى الغاية بحيث اشتمل على أعلى البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فليس المراد الفصاحة الاصطلاحية التي هي خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها، **(لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ، وقد ثارت عليه شدة من الغضب، وقهرها بحلمه، وصرعها بثباته)** وعدم عمله بمقتضى الغضب، **(كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه،)** فهو تشبيه بليغ بحذف الأداة أو استعارة، **(وقوله)** ﷺ: **(«ليس الخبر**

الرجال ولا يصرعونه.

وقوله: ليس الخبر كالمعاينة. رواه أحمد وابن منيع والطبراني والعسكري.

كالمعاينة») وفي رواية: كالعيان. بكسر العين. ومعناهما واحد، أي: المشاهدة، لأنها تحصل العلم القطعي، وقد جعل الله لعباده آذانًا واعية، وأبصارًا ناظرة، ولم يجعل الخبر في القوّة كالنظر بالعيان، وكما جعل في الرأس سمعًا وبصرًا جعل في القلب ذلك، فما رآه الإنسان ببصره قوي علمه به، وما أدركه ببصر قلبه كان أقوى عنده.

وقال الكلاباذي: الخبر خبر إن صادق، لا يجوز عليه الخطأ وهو خبر الله ورسوله، ومحتمله، وهو ما عداه، فإن حمل الخبر على الأول، فمعناه ليس المعاينة كالخبر في القوّة، بل الخبر أقوى وأبعد عن الشكوك، إذا كان خبر الصادق والمعاينة قد تخطىء، فقد يرى الإنسان الشيء على خلاف ما هو عليه، كما في قصة موسى والسحرة، وإن حمل على الثاني، فمعناه أنها أقوى، لأن المخبر لا يطمئن قلبه، وتزول عنه الشكوك في خبر من يجوز عليه السهو والغلط، وحاصله: أن الخبر إذا كان خبر الصادق، فهو أقوى من المعاينة، أو غيره فعكسه انتهى، وهذا الفهم يشكل عليه بقية الحديث الآتية، **(رواه أحمد)** بن حنبل الإمام، **(و)** أحمد **(ابن منيع)** بفتح الميم، وكسر النون، وإسكان التحتية ومهملة. ابن عبد الرحمٰن أبو جعفر البغوي، نزيل بغداد، ثقة حافظ. مات سنة أربع وأربعين ومائتين، وله أربع وثمانون سنة.

روى عنه مسلم والأربعة وغيرهم، **(والطبراني والعسكري)** من حديث ابن عباس بزيادة: أن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح فانكسرت، ورواه أحمد، وابن طاهر، والبغوي، والدارقطني، والطبراني في الأوسط، وابن حبان والعسكري أيضًا، عن ابن عباس مختصرًا بدون الزيادة، وصحح الحديث ابن حبان والحاكم والضياء.

قال العسكري: أراد ﷺ أنه لا يهجم على قلب المخبر من الهلع، بالأمر والاستفظاع له مثل ما يهجم على قلب المعاين، قال: وظن بعض الملحدين في حديث موسى، أنه لم يصدق بما أخبره ربه، ولا دلالة فيه على ذلك، ولكن للعيان روعة هي أنكأ للقلب، وأبعث لهلعه من المسموع، قال: ومن هذا قول إبراهيم: ولكن ليطمئن قلبي، أي: بيقين النظر، لأن للمشاهدة والمعاينة حالاً ليست لغيره، وقال غيره: كان خبر الله ثابتًا عند موسى وخبره كلامه، وكلامه صفته، فعرف فتنة قومه بصفة الله، لكن صفة البشرية لا تظهر عند صفة الله، لعجز البشرية وضعفها، فتمسك موسى بما في يديه ولم يلقه، فلما عاين قومه عاكفين على العجل عابدين له، عاتبهم بصفة نفسه التي هي نظره ببصره ورؤيته بعيه، فلم يتمالك أن طرح الألواح من شدة

وقوله: المجالس بالأمانة. رواه العقيلي في ترجمة حسين بن عبد الله بن ضمرة عن أبيه عن جده عن علي ....

الغضب، وفرط الضجر حمية للدين.

روي أنها كانت سبعة، فانكسر ستة كان فيها تفصيل كل شيء، وبقي السابع فيه المواعظ والأحكام، **(وقوله)** ﷺ: **(«المجالس»)** أي: ما يقع فيها قولاً وفعلاً ملحق **(بالأمانة)** فيجب حفظها، فلا يشيع أحد حديث جليسه، إلا فيما يحرم ستره ولا يبطن، خلاف ما يظهر، وفيه إشارة إلى مجالسة أهل الأمانة وتجنب أهل الخيانة، ذكره العامري في شرح القضاعي، وقال العسكري: أراد ﷺ أن الرجل يجلس إلى القوم، فيخوضون في الحديث، ولعل فيه ما إن نمي كان فيه ما يكرهون، فيأمنونه على أسرارهم، فيريد أن الأحاديث التي تجري بينهم، كالأمانة التي لا يجب أن يطلع عليها، فمن أظهرها فهو قتاب، وفي التنزيل: ﴿هماز مشاء بنميم﴾، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»، أي: نمام.

وروي مرفوعًا، إلاَّ أنَ من الخيانة أن يحدث الرجل أخاه بالحديث فيفشيه، انتهى. ولعبد الرزاق مرفوعًا: إنما يتجالس المتجالسون بأمانة اللّه، فلا يحل لأحد أن يفشي عن صاحبه ما يكره، وقال ابن الأثير: هذا ندب إلى ترك إعادة ما يجري في المجلس من قول أو فعل، فكان ذلك أمانة عند من سمعه أو رآه، والأمانة تقع على الطاعة والعبادة، والوديعة، والثقة، والأمان، وقد جاء كل منها حديث، انتهى.

(رواه) الديلمي، والعسكري، والقضاعي، و **(العقيلي)** الإمام، الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، كثير التصانيف، مقدم في الحفظ، ثقة عالم بالحديث، مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

(في ترجمة حسين بن عبد اللّه بن ضمرة، عن أبيه، عن جده، عن علي) بن أبي طالب، **(رفعه)** بلفظ الترجمة فقط، لكن قصر المصنف في عزوه، فقد رواه ابن ماجه عن جابر بهذا اللفظ فقط، ورواه أبو داود والعسكري عن جابر بن عبد اللّه مرفوعًا بزيادة: إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق.

قال البيضاوي: يريد أن المؤمن إذا حضر مجلسًا، ووجد أهله على منكرات يستر عوراتهم، ولا يشيع ما رأى منهم إلا أن يكون أحد هذه الثلاثة، فإنه فساد كبير وإخفاؤه إضرار عظيم، وقال غيره، أي: من قال في مجلس أريد قتل فلان، أو الزنا بفلانة، أو أخذ مال فلان ظلمًا، فلا يجوز لسامعه حفظ سره، بل يجب عليه إفشاؤه دفعًا للمفسدة، **(و)** جاء **(عن جابر بن**

رفعه، وعن جابر بن عتيك: إذا حدث الرجل ثم التفت فهي أمانة، ورواه أبو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن أبي الدنيا في الصمت. وغيرهم.

ففي هاتين الكلمتين من الحمل على آداب العشرة وآداب الصحبة وكتم السر، وحفظ الود وحفظ العهد، وإصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الإخوان، الموقعة للشنآن ما لا يكاد يخفى على مبادي الأذهان.

عتيك) بن قيس الأنصاري، صحابي جليل، اختلف في شهوده بدرًا، مات سنة إحدى وستين، وهو ابن إحدى وتسعين، له في أبي داود والنسائي: **(إذا حدث الرجل،)** أي: الإنسان، فذكر الرجل غالبي ومفعول حدث محذوف في رواية ابن عتيك، وقد ثبت في رواية ابن عبد اللّه بلفظ: إذا حدث الرجل.. الحديث، **(ثم التفت،)** أي: غاب عن المجلس، كما قال المظهري، أو يمينًا وشمالاً، كما قال الطيبي، فثم الحقيقة الترتيب على الأول لا الثاني، **(فهي)** أي: الكلمة التي حدث بها قبل التفاته، **(أمانة)** عند المحدث أودعه إياها، فإن حدث بها غيره، فقد خالف أمر اللّه بتأدية الأمانة إلى غير أهلها، فيكون من الظالمين، فيجب عليه كتمها إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق، لأن التفاته إعلام لمن يحدثه أنه يخاف أن يسمع حديثه أحد، وأنه قد خصه بسره، فكأن التفاته قائم مقام قومه، أكتم هذا عني، وهو عندك أمانة، **(ورواه)** ،أي حديث: إذا التفت لا بقيد كونه من حديث ابن عتيك، **(أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه،)** وقال: حديث حسن، **(وابن أبي الدنيا في)** كتاب **(الصمت وغيرهم،)** كالإمام أحمد، والطيالسي، وأبي يعلى، كلهم من حديث جابر بن عبد اللّه مرفوعًا، بلفظ: إذا حدث الرجل.. الحديث، ثم التفت فهي أمانة، وفيه عبد الرحمٰن بن عطاء، وثقه جماعة، ولينه آخرون، فتحسين الترمذي اعتماد لتوثيقه، أو لشاهده، عند أبي يعلى، عن أنس به مرفوعًا، كما أفاده السخاوي.

(ففي هاتين الكلمتين) هذا الحديث والمجالس بالأمانة، سماهما كلمتين لقلة حروفهما، وفي نسخة الخصلتين، أي: المستفادتين من الخبرين، وكلاهما من جوامع الكلم **(من الحمل على آداب العشرة، وآداب الصحبة، وكتم السر، وحفظ الود، وحفظ العهد، وإصلاح ذات البين،)** أي: الحالة التي تكون بين الناس من التعارف والمخالطة، **(والتحذير من النميمة،)** هي نقل الكلام إشاعة له وإفسادًا، وتزيين الكلام بالكذب، كما في القاموس، **(بين الإخوان الموقعة للشنآن،)** أي: البغضاء، **(ما لا يكاد يخفى،)** لشدة ظهوره **(على مبادي الأذهان،)** أي: أوائلها، أي أنها تدرك بأدنى التفات، فلا تحتاج لإمعان نظر وتأمل، وإفشاء السر حرام إن أضر.

قال الماوردي: إظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهار سر نفسه، لأنه يبوء بإحدى

وقوله: البلاء موكل بالمنطق. رواه ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، من رواية إبرٰهيم عن ابن مسعود، ورواه الديلمي عن أبي الدرداء مرفوعًا: البلاء موكل بالمنطق. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي الدرداء وابن مسعود. قال شيخنا في المقاصد الحسنة: ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه

وصمتين؛ الخيانة إن كان مؤتمنًا، والنميمة إن كان مستخبرًا، وأما الضرر فيما استويا فيه، أو تفاضلاً، فكلاهما مذموم، وهو فيهما ملوم.

وقال الراغب: السر ضربان، أحدهما ما يلقي إلى الإنسان من حديث يستكتم، وذلك إما لفظًا، كقولك لغيرك: اكتم ما أقول لك؛ وإما حالاً وهو أن يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده، أو خفض صوته، أو بخفيه عن مجالسيه، وهو المراد في هذا الحديث، انتهى. **(وقوله)** ﷺ: **(«البلاء موكل بالمنطق.»)**

قال الديلمي: البلاء الامتحان والاختبار، ويكون حسنًا ويكون سيئًا، واللّٰه يبلو عبده بالصنع الجميل، ليمتحن شكره، ويبلوه بما يكره ليمتحن صبره، ومعنى الحديث: أن العبد في سلامة ما سكت، فإذا تكلم عرف ما عنده بمحنة النطق، فيتعرض للخطر، أو للظفر، ولذا قال ﷺ لمعاذ: «أنت في سلامة ما سكت فإذا تكلمت فلك أو عليك»، ويحتمل أن يريد التحذير من سرعة النطق بلا تثبت، خوف بلاء لا يطيق دفعه، وقد قيل: اللسان ذنب الإنسان، وما شيء أحق بسجن من اللسان، **(رواه ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد من رواية إبرٰهيم)** النخعي، **(عن ابن مسعود)** مرفوعًا بهذا اللفظ وزيادة: لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا، رواه الخطيب، والديلمي، وأبو نعيم والعسكري مرفوعًا، البلاء موكل بالمنطق، فلو أن رجلاً عير رجلاً برضاع كلبة لرضعها، وسنده ضعيف، وهو عند أحمد في الزهد موقوفًا على ابن مسعود، قاله السخاوي، **(ورواه الديلمي عن أبي الدرداء مرفوعًا: البلاء موكل بالمنطق،)** وزاد: ما قال عبد لشيء واللّٰه لا أفعله إلا ترك الشيطان كل شيء، وولع به حتى يؤثمه، ولا حاجة إلى ذكر المصنف لفظ الحديث إذ هو مساو لترجمته، وقد رواه القضاعي وابن السمعاني عن علي، والديلمي عن ابن مسعود، والعسكري عن أبي الدرداء رفعوه، وابن لال في المكارم عن ابن عباس، عن الصديق موقوفًا، وابن أبي الدنيا من مرسل الحسن، خمستهم بلفظ: البلاء موكل بالقول. **(وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي الدرداء وابن مسعود. قال شيخنا)** السخاوي **(في المقاصد الحسنة: ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه،)** وهو هذه الطرق التي لخصتها من كلامه **(الحكم عليه بالوضع،)** لأن تعدد الطرق، وتباين مخارجها دليل على

الحكم عليه بالوضع، ويشهد لمعناه قوله ﷺ للأعرابي الذي دخل عليه يعوده. وقال: عليه الصلاة والسلام لا بأس هو طهور، فقال الأعرابي: بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، فقال عليه الصلاة والسلام: فنعم إذًا.

وأنشد في معناه:

لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون

أن للحديث أصلاً، وورد أيضًا من حديث أنس، أشار إليه الديلمي، (**ويشهد لمعناه قوله ﷺ**) عند البخاري وغيره، عن ابن عباس (**للأعرابي الذي دخل عليه**) المصطفى (**يعوده،**) أي: الأعرابي، (**وقال**) عليه السلام: (**«لا بأس**) عليك (**هو طهور**) لك من الذنوب»، أي مطهر.

قال ابن عباس في البخاري: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «لا بأس طهور»، (**فقال الأعرابي:**) مستبعد الحصول الشفاء، (**بل**) لفظ البخاري: قلت طهور كلابل، (**هي حمى تفور**) بالفاء، أي: يظهر حرها ووهجها وغليانها، ولفظ البخاري: تفور، أو قال: تثور، أي: بالشك من الراوي هل قاله بفاء أو مثلثة، ومعناهما واحد. (**على شيخ كبير تزيره**) . بضم الفوقية، وكسر الزاي. من أزاره حمله على الزيارة، والمعنى أنها سبب في إدخاله (**القبور، فقال عليه الصلاة والسلام: فنعم إذاً**) . بالتنوين.

قال الطيبي: الفاء مرتبة على محذوف، تقديره أرشدتك بقولي لا بأس طهور إلى أن تحمي تطهرك وتنقي ذنوبك، فاصبر واشكر اللّه عليها، فأبيت إلا اليأس والكفران، فكان كما زعمت، وما اكتفيت بذلك، بل رددت نعمة اللّه، قاله غضبًا عليه انتهى.

عند الطبراني وغيره، فقال ﷺ: «أما إذا أبيت، فهي كما تقول وقضاء اللّه كائن»، فما أمسى الأعرابي من الغد إلا ميتًا، وعند الدولابي، فقال ﷺ: «ما قضى اللّه فهو كائن»، فأصبح الأعرابي ميتًا.

قال الحافظ: وقع في ربيع الأبرار، أن اسم هذا الأعربي قيس بن أبي حازم، ولم أر تسميته لغيره، فإن كان محفوظًا فهو غير قيس بن أبي حازم، أحد المخضرمين، لأن هذا مات في حياة النبي ﷺ، والمخضرم لا صحبة له، وإن أسلم في حياته، وعاش بعده دهرًا طويلاً ولأبيه صحبة، (**وأنشد**) بالبناء للمجهول، وفي المقاصد أنشد القاضي البهلول (**في معناه:**

(لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون)

وقال الخرائطي: أنشدونا:

لا تعبثن بحادث فلربما عبث اللسان بحادث فيكون

وقوله عليه الصلاة والسلام: ترك الشر صدقة.

رواه بعضهم، ومعنى ذلك أن من ترك الشر وأذى الناس فكأنه تصدق عليهم، وعلم من ذلك أن فضل ترك الشر كفضل الصدقة.

وقوله: وأي داء أدوى من البخل.

رواه البخاري، ....

وأنشد غيره:

لا تمزحن بما كرهت فربما ضرب المزاح عليك بالتحقيق

وفي تاريخ الخطيب: اجتمع الكسائي واليزيدي عند، الرشيد، فقدموا الكسائي يصلي جهرية، فأرتج عليه في قراءة الكافرون، فقال اليزيدي: قارىء الكوفة يرتج عليه في هذه، فحضرت جهرية أخرى، فقام اليزيدي فارتج عليه في الفاتحة، فقال الكسائي:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلي إن البلاء موكل بالمنطق

وقال النخعي: تحدثني نفسه بالشيء، فلا أتكلم به مخافة أن أبتلي به، **(وقوله عليه الصلاة والسلام: «ترك الشر:)** السوء والفساد والظلم»، وجمعه شرور، وهذا شر من ذاك، أصله أشر بالألف على أفعل، واستعمال الأصل لغة لبني عامر، وقرىء شاذًا من الكذاب الأشر على هذه اللغة **(صدقة، رواه بعضهم)** كذا زاده في بعض النسخ، ولا كبير فائدة فيه، **(ومعنى ذلك أن من ترك الشر، و)** ترك **(أذى الناس،)** وهو إيصال المكروه إليهم، **(فكأنه تصدق عليهم وعلم من ذلك أن فضل ترك الشر كفضل الصدقة،)** أي: ثوابها في الجملة، **(وقوله)** ﷺ: **(«وأي داء أدوى من البخل»،)** أي: أي عيب أقبح، وأي مرض أعظم منه، أي لا شيء أعظم منه، لأن من ترك الإنفاق خشية الإملاق لم يصدق بوعد الرزاق، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه.

قال عياض: هكذا يرويه المحدثون أدوى غير مهموز من دوى، أي: بكسر الواو، وإذا كان به مرض في جوفه، والصواب أدوأ بالهمز، لأنه من الداء، فيحمل على أنهم سهلوا لهمزة، أي: قلبوها ألفًا، قاله الحافظ.

(رواه البخاري،) ومسلم، والإمام أحمد عن جابر، وله سبب، أخرجه البخاري في الأدب المفرد والسراج، وأبو الشيخ، وأبو نعيم، والبيهقي عن جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «من سيدكم يا بني سلمة»؟، قالوا: الجد بن قيس على أنا نبخله، فقال: «بيده هكذا، ومد يده، وأي داء أدوى من البخل، بل سيدكم عمرو بن الجموح»، وكان عمرو يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج، وفي بعض طرقه عند أبي نعيم: بل سيدكم الأبيض، الجعد عمرو بن الجموح، ورواه

والبخل قد جعله ﷺ داء، وليس بداء مؤلم لصاحبه، وإنما شبهه بالداء إذ كان مفسدًا للرجل مورثًا له سوء الثناء، كما أن الداء المرض المشي يؤول إلى طول الضنا وشدة العنا، والمقصد من هذا النهي عن البخل أعاذنا الله منه.

الحاكم في المستدرك، وأبو الشيخ بإسناد غريب عن أبي هريرة، وفي رواية ابن جرير عن أبي هريرة: بل سيدكم وابن سيدكم بشر بن البراء بن معرور، وكذا في بعض طرقه عن جابر عند أبي نعيم.

وروى ابن منده وأبو الشيخ في الأمثال، والوليد بن إبان في كتاب الجود عن كعب بن ملك: أن النبي ﷺ قال: من سيدكم؟ قالوا: جد بن بشير، فقال: سيدكم بشر بن البراء بن معرور، وسنده جيد.

قال الحافظ: ويمكن حمل قصة بشر على أنها كانت بعد قتل عمرو بأحد جمعا بين الحديثين، وروى الحديث الأوّل ابن عائشة في نوادره عن الشعبي مرسلاً، وزاد، فقال في ذلك بعض الأنصار:

وقال رسول الله والحق قوله ... لمن قال منا من تسمون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي ... نبخله منها وإن كان أسودا
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده ... وحق لعمرو بالندى أن يسوّدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي ... على مثلها عمرو لكنت المسوّدا

(والبخل) . بضم الباء، وسكون الخاء، وبفتح الباء والخاء، كذا ضبطه الزركشي، **(قد جعله ﷺ داء:)** مرضًا مؤلمًا لصاحبه في العقبى، **(وليس بداء)** حسي، **(مؤلم لصاحبه)** حقيقة، كالأمراض الحسية، فهو تشبيه، **(وإنما شبهه بالداء إذ)** تعليلية، **(كان مفسدًا للرجل)** أكثري، فالمراد الإنسان، **(مورثًا له سوء الثناء، كما أن الداء المرض الحسي، يؤول إلى طول الضنا،)** شدة المرض، **(وشدة العنا،)** التعب، **(والمقصد)** مصدر ميمي بمعنى القصد، **(من هذا النهي عن البخل، أعاذنا الله منه،)** ولذا عد من جوامع الكلم، وكما نطق بهذا اللفظ النبي ﷺ، في ذا الحديث الصحيح، قاله خليفته أبو بكر بعده لما أتاه بعده مال البحرين، ونادى: من كان له عند النبي ﷺ عدة، أو دين فليأتني، فجاءه جابر، فأخبره أن المصطفى قال له: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا، ثلاثًا، فلم يعطه ثم أتاه ثانيًا وثالثًا، فلم يعطه، فقال له: إما أن تعطيني، وإما أن تبخل عني، فقال: أقلت تبخل عني، وأي داء أدوي من البخل؟، قالها ثلاثًا، ما منعتك من مرة إلاَّ وأنا أريد أن أعطيك، رواه البخاري ومسلم، وفي بعض طرقه عند البخاري.

وقوله: لا ينتطح فيها عنزان.

أي لا يجري فيها خلف ولا نزاع.

وقوله: الحياء خير كله. متفق عليه.

وقوله: اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع.

وقال ابن المنكدر: وأي داء أدوى من البخل، وهو يوهم أنه لم يقله أبو بكر وليس بمراد، لأن معناه وقال ابن المنكدر في حديثه، كما رواه مسدد، أي في حديثه عن جابر، عن الصديق، كما بينه الحافظ والله أعلم.

(وقوله) ﷺ: **(«لا ينتطح فيها»)** أي: في عصماء بنت مروان اليهودية التي قتلها عمير بن عدي، وكان أعمى في بيتها ليلاً، ثم رجع وصلى الصبح مع المصطفى، فقال له: أقتلت ابنة مروان؟، قال: نعم فهل عليّ في ذلك من شيء؟، فقال: لا ينتطع فيها **(عنزان)** وكانت هذه الكلمة أوّل ما سمعت من النبي ﷺ، رواه ابن سعد وغيره. **(أي: لا يجري فيها خلف ولا نزاع)** بل هي هدر لا يسأل عنها، ولا يؤخذ لها بثأر، ومر بسط القصة في محلها.

(وقوله) ﷺ: **(الحياء)** .بالمد، وهو تغير وانكسار عند خوف ما يعاب أو يذم.

قال الراغب: وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة، **(خير كله)** لأن مبدأه انكسار يلحق الإنسان مخافة نسبته إلى القبيح، ونهايته ترك القبيح، وكلاهما خير، ومن علم أنه مشهد النعمة والإحسان، وأن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه، وإنما يفعله اللئيم منعه مشهد إحسانه إليه ونعمته عليه، من عصيانه حياء منه أن يكون خيره وإنعامه نازلاً عليه، ومخالفته صاعدة إليه، فملك ينزل بهذا، وملك يعرج بهذا، ولذا قال ﷺ في الصحيحين: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، أي: لأن من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح، دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من الله أشد، فلا يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة»، وقال: «الحياء زينة». **(متفق عليه)** عن عمران بن حصين، **(وقوله)** ﷺ: **(«اليمين الفاجرة»)** أي: الكاذبة، **(تدع الديار بلاقع)** جمع بلقع، وبلقعة الأرض القفراء التي لا شيء بها، يريد أن الحالف كاذبًا يفتقر، ويذهب ما في بيته من الرزق، وقيل: هو أن يفرق الله شمله، ويغير عليه ما أولاه من نعمه، كما في النهاية.

(رواه الديلمي في مسند الفردوس) لأبي شجاع الديلمي، ألفه محذوف الأسانيد،

رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة.

وقوله: سيد القوم خادمهم.

رواه أبو عبد الرحمٰن السلمي في كتاب «آداب الصحبة» له عن عقبة بن عامر رفعه، وفي سنده ضعف أو انقطاع. ورواه غيره أيضًا.

وقوله: فضل العلم خير من فضل العبادة. ....

ومسنده لولده أبي منصور شيرويه بن شهردار بن شيرويه الحافظ، خرج سند كل حديث تحته **(من حديث أبي هريرة)** مرفوعًا.

(وقوله: سيد القوم خادمهم،) إذ السيد من يفزع إليه في النوائب فيحمل الأثقال، فلما تحمل الخادم الأمور، وكفى المؤنة، وما لا يطيقونه كان سيدهم، فخادم مبتدأ مؤخر، وأصله خادم القوم كسيدهم، فبولغ فيه بالقلب المكاني حتى جعل السيد خادمًا.

(رواه أبو عبد الرحمن) محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري **(السلمي)** . بضم السين. إلى جد له اسمه سليم، كان وافر الجلالة، وحدث أكثر من أربعين سنة.

قال في اللسان: كأصله وليس بعمدة. وقال الخطيب: ثقة صاحب علم وحال.

قال السبكي: وهو الصحيح ولا عبرة بالطعن فيه، **(في كتاب آداب الصحبة له،)** أحد تصانيفه التي بلغت مائة أو ألفًا، **(عن عقبة بن عامر رفعه، وفي سنده ضعف، أو انقطاع، ورواه غيره أيضًا)** كابن عساكر من حديث ابن عباس، عن جرير مرفوعًا، وأبو نعيم في الحلية بسند ضعيف جدًا مع انقطاعه، عن أنس رفعه بلفظ: ربح الخادم في الدنيا سيد القوم في الآخرة، والحاكم في تاريخه، ومن طريقه البيهقي والديلمي عن سهل بن سعد، رفعه سيد القوم في السفر خادمهم، فمن سبقهم لخدمة لم يسبقوه بعمل إلا الشهادة، وعزاه الديلمي للترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة فوهم، أفاده السخاوي.

(وقوله) ﷺ: **(«فضل العلم خير»،)** هذا لفظ الطبراني، ولفظ البزار: أحب إليّ **(من فضل العبادة،)** أي أن زيادة العلم خير من زيادتها، فنفله أفضل من نفلها، كما أن فرضه أفضل من فرض العمل، ونفله ما زاد على الواجب، وظاهره يشمل العلوم بجميع أنواعها، كتوحيد وتفسير، وحديث، وفقه، ونحو وغير ذلك.

وقال السهروردي: ليس المراد علم البيع والشراء ونحوهما، بل العلم باللّٰه واليقين، وقد يكون العبد عالمًا باللّٰه، وليس عنده شيء من فروض الكفايات، وقد كانت الصحابة أعلم من

رواه الطبراني والبزار.

وقوله: الخيل في نواصيها الخير.

علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة، وفي علماء التابعين من هو أقوم بعلم الفتوى من بعض الصحابة، وفيه حث على العلم، لكن لا مع ترك العبادة، بل هو إشارة إلى أن العبادة إنما يعتد بها من العالم، إذ العلم يحكمها، ويصححها، ويخلصها، ويصفيها، ولذا قال ﷺ: «لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»، رواه البيهقي وغيره.

وقال الغزالي: العلم أشرف جوهرًا من العبادة لكن لا بد منها مع العلم، وإلاَّ كان هباءً منثورًا، إذ العلم بمنزلة الشجر، والعبادة بمنزلة الثمر، فالشرف للشجرة، لكونها الأصل، لكن الانتفاع بثمرتها أشرف، فلا بد من الأمرين، ولذا قال الحسن: اطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم.

(رواه الطبراني) في الأوسط بلفظه، **(والبزار)** بلفظ: أحب إليّ كلاهما، عن حذيفة رفعه بزيادة: وخير دينكم الورع، وصححه الحاكم، وحسنه المنذري، وشواهده كثيرة.

(وقوله) ﷺ: **(الخيل:)** اسم جمع لهذا الجنس المجبول على الاختيال، لما خلق له من الاعتزاز به وقوّة المنة في الافتراس عليه، ومنه سمي واحدة فرسًا **(في نواصيها الخير)**.

قال الطيبي: يحتمل أن الخير المفسر بالأجر والمغنم استعارة لظهوره وملازمته، وخص الناصية لرفعة قدره، فكأنه شبهه لظهوره بشيء محسوس معقود على مكان مرتفع، فنسب الخير إلى لازم المشبه به، وذكر الناصية تجريد للاستعارة، والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة.

قال الخطابي وغيره قالوا: ويحتمل أنه كني بالناصية عن جميع ذات الفرس، كما يقال فلان مبارك الناصية، ويبعد لفظ الحديث الثالث، أي في البخاري، وهو البركة في نواصي الخيل، وفي مسلم عن جرير: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرسه بأصبعه، ويقول.. فذكر الحديث، فيحتمل أنها خصت بذلك لكونها المقدم منها، إشارة إلى الفضل في الإقدام بها على العدوّ، دون المؤخر لما فيه من الإشارة إلى الإدبار، قاله في فتح الباري، وسبقه شيخه الحافظ العراقي، فقال: إنه خاص بناصيتها، بدليل النهي عن قصها، وقول البيضاوي: أي ملازم لها كأنه معقود فيها، فهو استعارة مكنية، قال الشاعر:

ويصعد حتى يظن الجهول   بأن له حاجة في السماء

رده شيخنا بأن ضابط المكنية أن لا يذكر من أركان التشبيه سوى المشبه، ويرمز إلى

متفق عليه من حديث مٰلك عن نافع عن ابن عمر رفعه: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ....

التشبيه بشيء من خواص المشبه به، وما ذكره لا يصلح أنه مشبه. نعم يمكن أن تجعل الملازمة للنواصي كالاستقرار فيها، فيتجوّز بالظرفية للملازمة، ويستعمل فيها ما يستعمل للظرفية، وهو في نفيه استعارة تبعية في الحرف، **(متفق عليه،)** أي رواه البخاري ومسلم **(من حديث مٰلك)** الإمام **(عن نافع، عن ابن عمر رفعه،)** أي قال: قال ﷺ: **(الخيل،)** أي ما تتخذ للغزو بأن يقاتل عليها، أو تربط لأجل ذلك، لقوله في حديث مٰلك والشيخين أيضًا، عن أبي هريرة: الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستره وعلى رجل وزر.. الحديث، وفيه: ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء لأهل الإسلام، فهي له وزر، **(في نواصيها الخير إلى يوم القيامة،)** أي: إلى قربه أعلم به، أن الجهاد قائم إلى ذلك الوقت، زاد في حديث عروة البارقي عند مسلم والبخاري: الأجر والمغنم، وهو بدل من قوله: الخير، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الأجر، وفي مسلم، قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟، قال: «الأجر والمغنم».

قال عياض في هذا الحديث مع وجيز لفظه من البلاغة: والعذوبة ما لا مزيد عليه في الحسن، مع الجناس السهل الذي بين الخيل والخير.

قال الخطابي: وفيه إشارة إلى أن المال المكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها، والعرب تسمى المال خيرًا، كما في قوله: إن ترك خيرًا.

وقال ابن عبد البر: فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب، لأنه لم يأت عنه ﷺ في شيء غيرها مثل هذا القول، وفي النسائي عن أنس: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل، واستدل به على أن قوله ﷺ: «إنما الشؤم في ثلاث: الفرس والمرأة والدار»، أخرجه الشيخان وغيرهما على غير ظاهره، لأنه أثبت لها الخير.

قال عياض: فيبعد أن يكون فيها شؤم، فيحتمل أن الشؤم في غير التي ربطت للجهاد، والتي أعدت له هي المخصوصة بالخير والبركة، أو يقال الخير والشرك ممكن اجتماعهما في ذات واحدة، فإنه فسره بالأجر والمغنم، ولا يمنع ذلك أن يكون الفرس مما يتشاءم به، أو المراد جنس الخيل، أي أنها بصدد أن فيها الخير، فلا ينافي حصول غيره لأمر عارض.

وقد روى أبو داود عن ابن القٰسم، عن مٰلك أنه سئل عن حديث الشؤم، فقال: كم من دار سكنها ناس فهلكوا، قال المازري: فحمله مٰلك على ظاهره، والمعنى: إن قدر الله بما وافق ما يكره عند سكنى الدار، فيصير كالسبب، فيتشاءم في إضافة الشؤم إليها اتساعًا.

وقال ابن العربي: لم يرد مٰلك إضافة الشؤم إلى الدار، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها،

وفي لفظ لغيرهما: معقود بنواصيها الخير.

وقوله: أعجل الأشياء عقوبة البغي.

فأشار إلى أنه ينبغي الخروج عنها، صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل، وقيل: معنى الحديث: إن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها، لملازمتها بالسكنى والصحبة، ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها، فأشار إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب، وقيل: شؤم الفرس عدم الغزو عليه، والمرأة عدم ولادتها، والدار الجار السوء، وقيل: إنه سيق لبيان اعتقاد الناس ذلك، لا إخبار بثبوته، وسياق الأحاديث الصحيحة يبعد هذا التأويل، بل قال ابن العربي: هو جواب ساقط، لأنه ﷺ لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم الماضية، أو الحاصلة، إنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه، وما رواه الترمذي مرفوعًا لا شؤم، وقد يكون اليمن في المرأة والدار والفرس، ففي إسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة.

وروى الطيالسي عن مكحول، قيل لعائشة: إن أبا هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشؤم في ثلاثة»، فقالت: لم يحفظ أنه دخل، وهو يقول: قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاثة، فسمع آخر الحديث، ولم يسمع أوّله، وهو منقطع، فمكحول لم يسمع من عائشة، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم: أن رجلين من بني عامر دخلا عليها، فأخبراها بذلك، فغضبت غضبًا شديدًا، وقالت ما قاله، إنما قال: إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك، إلا أنه لا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة، مع موافقة جماعة من الصحابة له في ذلك، انتهى ملخصًا من فتح الباري، قال وقوله في نواصيها الخير، كذا في الموطأ ليس فيه معقود، **(وفي لفظ لغيرهما،)** غير البخاري ومسلم، اللذين عبر عنهما بقوله متفق عليه، **(معقود بنواصيها الخير،)** ومن الغير الإسماعيلي، من رواية عبد الله بن نافع عن مالك به، ورواه البخاري في علامات النبوّة، من طريق عبيد الله ابن عمر، عن نافع شيخ مالك فيه بإثباتها، وذلك في رواية أبي ذر عن الكشميهني وحده، والنزاع إنما هو في إثباتها في حديث ابن عمر، فمالك في الموطأ، وفي الصحيحين عنه بدونها، والإسماعيلي عنه بإثباتها، وإلا فهي ثابتة في حديث عروة البارقي عند الشيخين، وجابر عند أحمد، وجرير عنده، وعند مسلم وأبي هريرة، عند أبي يعلى والطبراني، **(وقوله: أعجل)** أسرع **(الأشياء،)** أي: الذنوب **(عقوبة البغي،)** مجاوزة الحد والتعدي بلا حق، وعقوبة تمييز محوّل عن المضاف، والبغي حذف منه المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، أي: أسرع عقوبات الأشياء عقوبة البغي، والمعنى لكل ذنب عقوبة، لكنها قد تتأخر، إلا البغي، فينجز للباغي في الدنيا، إن لم يعف الله تعالى.

وقد روى الطبراني في الكبير، والبخاري في التاريخ، عن أبي بكرة مرفوعًا،اثنان يعجلهما

وقوله: وإن من الشعر حكمًا.

رواه أبو داود من رواية صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من البيان لسحرًا، ....

الله تعالى في الدنيا، البغي وعقوق الوالدين، قال في الفائق: وأصل التعجيل إيقاع الشيء قبل أوانه، أعجلتم أمر ربكم سبقتموه، **(وقوله: «وإن من الشعر حكمًا»)** جمع حكمة قولاً صادقًا، **(رواه أبو داود)** في الأدب، **(من رواية صخر بن عبد الله بن بريدة)** بن الحصيب . بمهملتين مصغر وصحف . من أعجم الحاء الأسلمي، **(عن أبيه)** عبد الله الأسلمي، أبي سهل المروزي، قاضيها ثقة، روى له الجميع، مات سنة خمس ومائة، وقيل: بل سنة خمس عشرة، وله مائة سنة، **(عن جده)** بريدة بن الحصيب بن عبد الله الحرث الأسلمي، أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجرًا بالغميم، وأقام بموضعه حتى مضت بدر واحد، ثم قدم، وقيل: أسلم بعد انصرافه عليه السلام من بدر، وفي الصحيحين عنه: أنه غزا مع النبي ﷺ ست عشرة غزوة، ويقال اسمه عامر، وبريدة لقب سكن البصرة، ثم تحول إلى مرو، فسكنها حتى مات سنة ثلاث وستين. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان لسحرًا»)**.

قال البيضاوي: البيان جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة باعتبار المعنى، والسحر في الأصل الصرف، قال تعالى: ﴿فأنى تسحرون﴾ [المؤمنون: ٨٩]، وسمى السحر سحرًا، لأنه منصرف عن جهته، وقال الخطابي وابن التين: البيان نوعان: أحدهما ما يقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان، والآخر ما دخلته صنعته، تحسين اللفظ بحيث يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، وهذا هو الذي يشبه بالسحر، لأن السحر صرف الشيء عن حقيقته، يعني أن منه لنوعًا يحل من العقول والقلوب في التمويه محل السحر، فإن الساحر بسحره يزين الباطل في عين المسحور حتى يراه حقًا، فكذا المتكلم بمهارته في البيان، وتقلبه في البلاغة، وترصيف النظم يسلب عقل السامع، ويشغله عن التفكير فيه والتدبر له، حتى يخيل إليه الباطل حقًا والحق باطلاً، فتستمال به القلوب، كما تستمال بالسحر، فشبه به تشبيهًا بليغًا بحذف الأداة.

قال التوربشتي: وأصله أن بعض البيان كالسحر، لكنه جعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الأصل فرعًا، والفرع أصلاً.

قال الباجي: قال قوم: وهذا خرج مخرج الذم، لأنه أطلق عليه سحرًا، والسحر مذموم، ولأن مالكًا أدخله في باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، وقال قوم: خرج مخرج المدح، لأن الله أمتن به على عباده، خلق الإنسان علمه البيان، وكان ﷺ أبلغ الناس، وأضلهم بيانًا، قال: «هؤلاء، وإنما جعله سحرًا لتعلقه بالنفس وميلها إليه».

وإن من العلم جهلاً، وإن من الشعر حكمًا، ....

قال ابن العربي وغيره: حمله على الأول صحيح، لكن لا يمنع حمله على المعنى الثاني، إذا كان في تزيين الحق، وقال ابن بطال: أكثر ما يقال هذا الحديث، ليس ذمًا للبيان كله، ولا مدحًا لقوله من البيان، فأتى بمن التي للتبعيض، قال: وكيف يذمه وقد امتن الله به؟ فقال: خلق الإنسان علمه البيان.

قال الحافظ: والذي يظهر أن المراد به في الآية، ما يقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان لا خصوص ما نحن فيه، وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وعلى مدح الإطناب في مقام الخطابة بحسب المقام، هذا كله من البيان بالمعنى الثاني.

نعم الإفراط في كل شيء مذموم، وخير الأمور أوسطها، وهذه الجملة رواها مالك في الموطأ، وأحمد، والبخاري، والترمذي، وأبو داود أيضًا من حديث ابن عمر، قال: جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي ﷺ: إن من البيان لسحرًا، قال الحافظ: لم أقف على تسمية الرجلين صريحًا، وزعم جماعة أنهما لزبرقان. بكسر الزاي والراء. بينهما موحدة ساكنة، ثم قاف وعمرو بن الأهتم، لما رواه البيهقي وغيره عن ابن عباس، قال: جلس إلى رسول اللّه ﷺ الزبرقان ابن بدر وعمرو بن الأهتم، أي: حين قدما في وفد تميم، ففخر الزبرقان، فقال: يا رسول اللّه أنا سيد بني تميم، والمطاع فيهم، والمجاب لديهم، أمنعهم من الظلم، وآخذ لهم حقوقهم، وهذا، أي عمرو يعلم ذلك، فقال عمرو: إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذنيه، فقال الزبرقان: واللّه لقد علم مني أكثر مما قال، ما منعه إلا الحسد، فقال عمرو: أنا أحسدك، واللّه إنك لئيم الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مضيع في العشيرة، واللّه يا رسول اللّه لقد صدقت في الأولى، وما كذبت في الأخرى، لكنني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعًا، فقال ﷺ: «إن من البيان لسحرًا»، وأخرجه الطبراني عن أبي بكرة.

كنا عند النبي ﷺ، فقدم علينا وفد تميم، فذكر نحوه، وهذا لا يلزم منه أن يكونا هما المراد بحديث ابن عمر، فإن المتكلم، إنما هو عمرو وحده، وكان كلامه في مراجعة الزبرقان، فلا يصح نسبة الخطبة إليهما إلا على طريق التجوّز، **(وإن من العلم جهلاً)** لكونه علمًا مذمومًا، فالجهل به خير من علمه، كعلوم الفلسفة، وعلم أيام الجاهلية، ووقائعهم ونحو ذلك، أو المراد أن يتعلم ما لا يحتمل عليه، كالنجوم، وعلوم الأوائل، فيشتغل به عن تعلم ما يحتاجه في دينه من علم القرءان والسنة، فيصير علمه بما لا يعنيه جهلاً بما يعنيه، **(وإن من الشعر حكمًا)**. بكسر الحاء وفتح الكاف. جمع حكمة، أي قولاً صادقًا مطابقًا للحق، موافقًا للواقع، كذا ضبطه

فقال صعصعة بن صوحان: صدق رسول الله ﷺ. ....

بعضهم، فإن كان رواية فصحيح ظاهر، وإلا فقد ضبطه ابن رسلان. بضم الحاء وسكون الكاف، قال في النهاية: أي: كلامًا نافعًا يمنع من الجهل والسفه وينهي عنهما، قيل: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس والحكم العلم والفقه، والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم، وهذا قد رواه أبو داود أيضًا، وأحمد من حديث ابن عباس بلفظه، وفي رواية البخاري: الحكمة، وهي بمعنى الحكم، وأسقط المصنف من رواية أبي داود عقب هذا ما لفظه، وإن من القول عيالاً.

قال الراغب: جمع عيل لما فيه من الثقل، فكأنه أراد به الملال، فالسامع إما عالم فيمل، أو جاهل فلا يفهم فيسأم، وفي النهاية هو عرض الحديث على من لا يريده، وليس من شأنه، كأنه لم يهتدي لمن يطلب علمه، فعرضه على من لا يريده.

قال الخطابي: هكذا رواه أبو داود عيالاً، ورواه غيره عيلاً، قال الأزهري: من قولك: علت الضلالة أعيل عيلاً وعيلاً إذا لم تدر أي جهة تبغيها. قال أبو زيد: كأنه لم يهتد إلى من يطلب علمه، فعرضه على من لا يريده انتهى. فبين ﷺ أن البيان الحسن، وإن كان محمودًا، ففيه ما يذم لكونه معربًا عن باطل، وأن العلم كذلك لما سبق، وأن الشعر وإن ذم في الجملة، لكنه قد يكون فيه ما يحمد، لاشتماله على الحكم ومنه ما يعذب، ويقضي له بالعجب، وتقصر عنه العامة، كالسحر الذي لا يقدر عليه كل أحد، ويسمى السحر الحلال، **(فقال)** ليس قوله حين سمع صخرًا يرويه، بل عند تحديث بريدة، فلفظ أبي داود عن صخر، عن أبيه عبد اللَّه، قال: بينما بريدة جالس مع أصحابه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ، فذكره، فقال **(صعصعة بن صوحان)** . بضم الصاد، وبالحاء المهملتين. العبدي، نزيل الكوفة، تابعي كبير، مخضرم، ثقة، فصيح، قال في الإصابة: ذكر الإمام أبو بكر الطرطوشي أنه صحابي، ولم يذكر مستنده، وما أظن ذكره لذلك إلاَّ بالتوهم لشهرته في عصر كبار الصحابة، فله ذكر في السنن مع عمر، وقد جزم ابن عبد البر بخلاف قوله، فقال: كان مسلمًا في عهد النبي ﷺ، ولم يره، قلت: وله رواية عن عثمان وعلي، وشهد معه صفين، وكان خطيبًا فصيحًا، وله مع معٰوية مواقف، وقال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب، وروى عنه أيضًا أبو إسحٰق السبيعي، والمنهال بن عمرو، وعبد اللَّه بن بريدة، وغيرهم. مات بالكوفة في خلافة معٰوية، وقيل: بعدها، وذكر العلائي: أن معٰوية نفاه من الكوفة إلى جزيرة بالبحرين، وقيل: إلى جزيرة ابن كافان، فمات بها. **(صدق رسول اللَّه ﷺ.)** لفظ أبي داود، فقال صعصعة: وهو أحدث القوم سنًا، صدق اللَّه ورسوله، ولو لم يقلها كان كذلك، فتوسمه رجل من الحلقة، فقال له بعدما تفرق القوم: ما حملك على أن قلت، ولو لم يقلها كان

أما قوله: إن من البيان سحرًا: فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق. وأما قوله: إن من العلم جهلاً، فتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم بجهله، وأما قوله: إن من الشعر حكمًا، فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس. ومفهومه: أن بعض الشعر ليس كذلك. لأن من تبعيضية. وفي البخاري: ....

كذلك؟ قال: (**أما قوله: «إن من البيان سحرًا، فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحجج»،**) أي: أقوى على إقامة البراهين (**من صاحب الحق،**) إما لجودة كلامه، واقتداره على تأليفه، وإما لشدة فطنته وفهمه، بحيث يتمكن من إقامة مدعاه، (**فيسحر القوم ببيانه،**) أي: يخدعهم حتى يأخذ بعقولهم بسبب ما ألقاه عليهم من الكلام المشتمل على ما يخيل لسامعه، أنه الحق لدقته، (**فيذهب بالحق،**) فيحل به الوعيد.

فقد روى مٰلك، وأحمد، والستة عن أم سلمة عنه ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار فليأخذها، أو ليتركها»، (**وأما قوله: «إن من العلم جهلاً، فتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم بجهله»،**) أي: معه، فهو صلة تكلف، أي: أن العالم إذا سئل عن شيء لا يعلمه، فتحمل الشقة في تحصيل الجواب عنه بلا استناد إلى حجة تهديه، ولا بناء على القواعد كان عين الجهل في الواقع، وإن كان علمًا عند الناس لحصول الجواب به صورة، وهذا جعله ابن الأثير أحد قولين في معناه، ثانيهما أن يتعلم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلوم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرءان والسنة، وتقدم ثالث هو حمله على العلم المذموم، (**وأما قوله: «إن من الشعر حكمًا» فهي،**) أي: الحكم، (**هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس،**) ومقتضى هذا قراءته، بكسر، ففتح، ومر أن ابن رسلان ضبطه بضم، فسكون، محتجًا بتفسير النهاية، وهو أيضًا صريح قول العسكري، والمعنى أن من الشعر ما يحث على الحسن، ويمنع من القبيح، لأن أصل الحكم في اللغة المنع، ومنه حكمة الدابة، لأنها تمنعها أن تنصرف كيف شاءت، قال: وفي بعض كتب المتقدمين أحكموا سفهاءكم، أي: امنعوهم عن القبيح، انتهى.

وفي المصباح: حكمة وزان قصبة، وبقيته في أبي داود، وأما قوله: إن من القول عيالاً، فعرضك كلامك على من ليس من شأنه ولا يريده، (**ومفهومه أن بعض الشعر ليس كذلك، لأن من تبعيضية،**) فقوله من الشعر، أي: بعضه، وكذا في باقيها كما مر، (**وفي البخاري**) من حديث أبي بن كعب، وكذا الترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعًا: (**إن من الشعر حكمة، أي: قولاً**

إن من الشعر حكمة. أي قولاً صادقًا مطابقًا للحق.

قال الطبري: وفي هذا رد على من كره الشعر مطلقًا، واحتج بقول ابن مسعود: الشعر مزامير الشيطان. وعن أبي أمامة ـ رفعه ـ أن إبليس لما هبط إلى الأرض قال: رب اجعل لي قرءانًا، قال: قرءانك الشعر.

ثم أجاب عن ذلك: بأنها أحاديث واهية. وهو كذلك. فحديث أبي أمامة فيه: علي بن زيد الألهاني، وهو ضعيف. وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الإفراط فيه والإكثار منه.

صادقًا، مطابقًا للحق،) موافقًا للواقع، والمراد جنس حكمة، فلا ينافي رواية حكمًا على أنه جمع، وأولى على أنه مصدر.

(قال الطبري) الإمام ابن جرير: **(وفي هذا رد على من كره الشعر مطلقًا،)** سواء كان ثناء على اللَّه ورسوله، وذبًا عنهما، أم لا؟ سواء كان في مسجد، أم لا؟ وثالثها، وهو الأولى التفصيل، فما اقتضى الثناء على اللَّه ورسوله، أو الذب عنهما، كشعر حسان، أو تضمن الحث على الخير، فحسن في المساجد وغيرها، وما لم يكن كذلك لم يجز، لأن الشعر لا يخلو غالبًا عن الكذب والفواحش، والتزين بالباطل، ولو سلم فأقل ما فيه اللغو والهذر والمساجد منزهة عن ذلك، والحجة لهذا قوله ﷺ: «الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام».

رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى والطبراني بإسناد حسن، كما قال النووي: وقصر ابن بطال في جعله من كلام الشافعي، وقد عاب القرطبي المفسر ذلك على جماعة من الشافعية، وثم أدلة سواء، **(واحتج)** المانع مطلقًا **(بقول ابن مسعود: الشعر مزامير الشيطان، و)** بما جاء **(عن أبي أمامة)** صدي بن عجلان، **(رفعه أن إبليس لما هبط إلى الأرض، قال: رب اجعل لي قرآنًا، قال: قرآنك الشعر، ثم أجاب)** الطبري **(عن ذلك بأنها أحاديث واهية،)** ضعيفة جدًا، فلا حجة فيها، **(وهو كذلك)** في جميعها، وبين سبب ضعف بعضها بقوله: **(فحديث أبي أمامة فيه علي بن زيد الألهاني)** بزنة الأنصاري، نسبة إلى ألهان بن مُلك أخي همدان، **(وهو ضعيف، وعلى تقدير قوتها،)** أي: الأحاديث الواردة في ذم الشعر، **(فهو محمول على الإفراط فيه، والإكثار منه،)** لما يؤول إليه أمره من تشاغله به عن العبادة، وأما قوله ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرًا»، رواه أحمد والستة، فالمراد به ما تضمن تشبيبًا، أو هجاء، أو مفاخرة، كما هو الغالب في أشعار الجاهلين، أو هو مخصوص بما لم يشتمل على الذكر، والزهد، والمواعظ والرقائق، مما لا إفراط فيه، وقال النووي: هو محمول على التجرد للشعر بحيث يغلب عليه، فيشغله عن القرءان والذكر، وقال القرطبي: من غلب عليه

ويدل على الجواز أحاديث كثيرة، منها: ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، عن عمرو بن الشريد عن أبيه: استنشدني النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته مائة قافية.

وقوله: الصحة والفراغ نعمتان. رواه البخاري.

الشعر لزمه بحكم العادة الأدبية الأوصاف المذمومة، وعليه يحمل الحديث.

وقول بعضهم: عني به الشعر الذي هجي به هو أو غيره، رده ابن بطال بأن هجوه كفر كثر، أو قل، وهجو غيره حرام، وإن قل، فلا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى، **(ويدل على الجواز أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد،)** وكذا مسلم في الصحيح، فالعزو له أولى، ولا يصح الاعتذار عن المصنف، بتجويز أنه في مسلم عن الشريد بغير تعيين الواسطة، وفي الأدب بتعيين أنه عن أبيه، فإن هذا من تجويز العقل المخالف للنقل، المؤدي لضعف الإسناد، فينافي كونه في الصحيح، فإن مسلمًا والبخاري في الأدب روياه معًا **(عن عمرو بن الشريد)** بفتح المعجمة. الثقفي أبي الوليد الطائفي، التابعي، الثقة، **(عن أبيه)** الشريد بوزن الطويل، الثقفي، الصحابي شهد بيعة الرضوان، قيل: كان اسمه مالكًا، **(استنشدني النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت،)** الذي قال فيه المصطفى: «آمن شعره وكفر قلبه»، واسم أبي الصلت عبد الله كان يتعبد في الجاهلية، ويؤمن بالبعث، وأدرك الإسلام ولم يسلم، **(فأنشدته مائة قافية،)** أي: بيت لما في مسلم أيضًا من حديث عمرو بن الشريد، عن أبيه ردفت النبي ﷺ يومًا، فقال: «هل معك من شعر أمية»؟ قلت: نعم، قال: «هيه» فأنشدته بيتًا فقال: «هيه»، ثم أنشدته بيتًا، فقال: «هيه»، حتى أنشدته مائة بيت، فقال: «إن كاد ليسلم».

قال القرطبي: فيه دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها، إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعًا وطبعًا، وقد أنشد كعب بن زهير للنبي ﷺ: بانت سعاد، وأتى فيها من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع، وتشبيه ريقها بالراح، ولم ينكر عليه.

(وقوله: «الصحة والفراغ نعمتان»،) قال العسكري: الصحة عند بعضهم الشباب، والعرب تجعل مكان الصحة الشباب، كما قالوا بالقلب الفارغ، والشباب المقبل تكسب الآثام، إن يكن الشغل محمده، فالفراغ مفسده، ولا تفرغ قلبك من فكر، ولا ولدك من تأديب، ولا عبدك عن مصلحة، فإن القلب الفارغ يحث على السوء، واليد الفارغة تنازع إلى الآثام، وقال ابن دريد: أفضل النعم العافية والكفاية، لأن الإنسان لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا، والعافية هي الصحة، ومن عوفي وكفى، فقد عظمت عليه النعمة، **(رواه البخاري)** تسمح في غزوه بهذا اللفظ له، فلفظه في كتاب الرقائق عن ابن عباس، قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة

....

والفراغ».

قال في فتح الباري: كذا لسائر الرواة، لكن عند أحمد الفراغ والصحة، أخرجه أبو نعيم في المستخرج بلفظ: الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، وأخرجه الدارمي عن مكي بن إبراهيم، شيخ البخاري، فيه بلفظ: أن الصحة والفراغ نعمتان من نعم الله، والباقي سواء انتهى، فما عزاه المصنف للبخاري، إنما هو لفظ أبي نعيم في مستخرجه ونقص باقيه.

قال الحافظ: والغبن بالسكون والتحريك، وقال الجوهري: هو في البيع بالسكون، في الرأي بالتحريك، وعلى هذا، فيصح كل منهما في هذا الخبر، فإن من لا يستعملهما فيما ينبغي، فقد غبن لكونه باعهما ببخس، ولم يجد رأيه في ذلك.

قال ابن بطال: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال، أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك، فهو المغبون، وأشار بقوله كثير من الناس، إلى أن الذي يوفق لذلك قليل.

وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحًا، ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون غنيًا، ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعتا، فغلب عليه الكسل عن الطاعة، فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة للآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله، فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله، فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم، كما قيل:

يسر الفتى طول السلامة والبقا ... فكيف ترى طول السلامة تفعل

ترد الفتى بعد اعتدال وصحة ... ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقال الطيبي: ضرب ﷺ للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، فينبغي له أن يعامل الله بالإيمان، ومجاهدة النفس، وعدو الدين ليربح خيري الدنيا والآخرة، وقريب منه قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ [الصف: ١٠] الآيات، وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس، ومعاملة الشيطان، لئلا يضيع رأس ماله مع الربح، وقوله مغبون، فيهما كثير من الناس، كقوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣]، فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: اختلف في أوّل نعمة الله على العبد، فقيل: الإيمان، قيل:

وقوله ﷺ: استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود.
رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه، ....

الحياة، وقيل: الصحة. والأوّل أولى؛ فإنه نعمة مطلقة، وأما الحياة والصحة، فإنهما نعمة دنيوية، ولا تكون نعمة حقيقية إلاً إذا صاحبها الإيمان، وحينئذ يغبن فيهما كثير من الناس، أي: يذهب ربحهم، أو ينقص، فمن استرسل مع نفسه الأمارة بالسوء، الخالدة إلى الراحة، فترك المحافظة على الحدود، والمواظبة على الطاعة، فقد غبن، وكذلك إذا كان فارغًا، فإن المشغول قد يكون له معذرة، بخلاف الفارغ، فإنه يرتفع عنه المعذرة، وتقوم عليه الحجة، انتهى.

(وقوله) ﷺ: **(«استعينوا على)** قضاء **(الحاجات بالكتمان»)**. بالكسر، أي: إخفائها عن الغير، مستعينين بالله على الظفر بها، فالكتمان وإن كان سببًا عاديًا لقضائها، لكنه في الحقيقة لله، وعلل ذلك بقوله: **(فإن كل ذي نعمة محسود،)** فإن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم، فعارضوكم في أمركم.

قال السخاوي وغيره: والأحاديث الواردة في التحدث بالنعم محمولة على ما بعد وقوعها، فلا تعارض هذا، نعم إن ترتب على التحدث بها حسد، فالكتمان أولى انتهى.

قال الراغب: وإذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر، ويوصف به ضعفه الرجال والنساء والصبيان، وسبب صعوبة كتمان السر أن للإنسان قوّتين: آخذة ومعطية، وكلتاهما متشوّفة إلى الفعل المختص به، ولولا أن الله وكل المعطية بإظهار ما عندها، لما أتاك بالأخبار من لم تزوّده، فصارت هذه القوّة تتشوف إلى فعلها الخاص بها، فعلى الإنسان أن يمسكها، ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها، **(رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه،)** لكن بلفظ: استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، والباقي سواء، كما عزاه السخاوي للمعاجيم الثلاثة، ومثله للسيوطي، وفي شرحه: أن لفظ الطبراني استعينوا على قضاء حوائجكم، فلعل في الطبراني روايات، وكذا أخرج الحديث البيهقي في الشعب، وأبو نعيم، وابن أبي الدنيا، والعسكري، والقضاعي، وابن عدي كلهم عن معاذ، وفيه عند الجميع سعيد بن سلام العطار، كذبه أحمد وغيره، وقال فيه العجلي: لا بأس به، ولكن أخرجه العسكري أيضًا من غير طريقه، بسند ضعيف مع انقطاعه بلفظ: استعينوا على طلب حوائجكم بالكتمان لها، فإن لكل نعمة حسدة، ولو أن أمرأ كان أقوم من قدح، لكان له من الناس غامزًا، ويستأنس له بما أخرجه الطبراني في الأوسط، عن ابن عباس، مرفوعًا؛ أن لأهل النعم حسادًا، فاحذروهم في الباب عن جماعة منهم: عمر عند الخرائطي، وابن عباس عند الخطيب، فلا يسوغ دعوى وضعه، كما صنع ابن الجوزي، وقد جزم الحافظ العراقي، بأنه ضعيف فقط، ومنهم: علي، كما أفاده بقوله، **(وأخرجه الخلعي)**. بكسر

وأخرجه الخلعي عن علي مرفوعًا، استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها.

وقوله: المكر والخديعة في النار.

رواه الديلمي عن أبي هريرة، ومعناه: أن ذا المكر والخداع لا يكون تقيًا ولا خائفًا لله، لأنه إذا مكر غدر، وإذا غدر خدع، وإذا فعلهما أوبق وهذا لا يكون في تقي، فكل خلة جانبت التقى فهي في النار.

الخاء، وفتح اللام، نسبة إلى بيع الخلع. أبو الحسن بن الحسن بن الحسين، له الخلعيات في عشرين جزء، (**عن علي مرفوعًا: استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها،**) فمن كتم سره ملك أمره، كما قيل، وليس بحديث.

وقال الشافعي: من كتم سره كانت الخيرة في يده، قال: وروى لنا عن عمرو بن العاصي، أنه قال: ما أفشيت إلى أحد سرًا، فأفشاه، فلمته، لأني كنت أضيق منه سرًا، وأخذ من الحديث أن على العقلاء إذا أرادوا التشاور في أمر إخفاء التحاور فيه والاجتهاد في طي سرهم.

قال حكيم: من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من بلوغ مآربه، ولو كتمه كان من سطواته آمنًا ومن عواقبه سالمًا، وبنجاح حوائجه فائزًا، وقال بعضهم: سرك من دمك، فإذا تكلمت به، فقد أرقته، وقال أنوشروان: من حصن سره، فله بتحصينه خصلتان: الظفر بحاجته، والسلامة من السطوات.

وفي منثور الحكم: انفرد بسرك، ولا تودعه حازمًا فيزول، ولا جاهلاً فيحول، لكن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق، ومشورة ناصح فيتحري له من يأتمنه عليه، ويستودعه إياه، فما كل من كان أمينًا على الأموال أمينًا على الأسرار، والعفة عن المال أيسر من العفة عن السر.

(**وقوله** ﷺ: «**المكر والخديعة في النار**»، **رواه الديلمي عن أبي هريرة**،) والقضاعي عن ابن مسعود به زاد الثاني: ومن غشنا فليس منا، وفي الباب غيرهما، ونحوه ليس منا من ضار مسلمًا، أو ما كره، رواه الترمذي، (**ومعناه**،) كما قال العسكري: (**أن ذا**،) صاحب (**المكر والخداع لا يكون تقيًا، ولا خائفًا لله، لأنه إذا مكر**) أضمر السوء لغيره، (**غدر**) به، فنقض عهده ولم يف به، (**وإذا غدر خدع**) أوصل المكروه للغير من حيث لا يعلم، (**وإذا فعلهما أوبق**) نفسه، أي: أهلكها، (**وهذا**) الفعل (**لا يكون في تقي فكل خلة**) . بالفتح. خصلة (**جانبت التقى، فهي في النار،**) أي: صاحبها، ومقتضى هذا تغاير المكر للخديعة، لأنه جعل المكر سبب الغدر، وهو سبب الخديعة والسبب مغاير للمسبب.

وقوله: من غشنا فليس منا. رواه مسلم في صحيحه عن حديث أبي هريرة.
وقوله: المستشار مؤتمن.

وفي القاموس: وغيره المكر الخديعة، والجواب أنه جرد المكر عن معناه، كما ذكرنا، فلا يخالف ترادفهما.

وقال الراغب: المكر والخديعة متقاربان، وهما اسمان لكل فعل، يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره، ويكون سيئًا كقصد إنزال مكروه بالمخدوع، وإياه قصد ﷺ بهذا الحديث، ومعناه يؤديان بقاصدهما إلى النار ويكون حسنًا، وهو أن يقصد فاعلهما مصلحة بالمخدوع والممكور به، كما يفعل بالصبي إذا امتنع من فعل خير، ولكونهما ضربين قال تعالى: ﴿الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد﴾ [فاطر: ١٠]، ومكر أولئك هو يبور، ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله، ووصف نفسه بالمكر الحسن، فقال: ﴿والله خير الماكرين﴾ [آل عمران: ٥٤]، [الأنفال: ٣٠].

(وقوله) ﷺ: (**«من غشنا»**) أي: لم ينصحنا، وزين لنا غير المصلحة (**«فليس منا»**) أي: ليس على طريقنا ومنهاجنا، لأن طريقتنا الزهد في الدنيا، والرغبة عنها، وعدم الرغبة والطمع، الباعثين على الغش.

قال الطيبي: لم يرد به نفيه عن الإسلام، بل نفي خلقه عن أخلاق المسلمين، أي: ليس هو على سنتنا وطريقتنا من مناصحة الإخوان، كما يقول الإنسان لصاحبه أنا منك، يريد الموافقة والمتابعة، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنه مني﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وهذا قاله ﷺ لما مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فابتلت أصابعه، فقال: «ما هذا»؟ قال: أصابته السماء، قال: أفلا جففته فوق الطعام ليراه الناس، ثم ذكر الحديث.

(**رواه مسلم في صحيحه عن حديث أبي هريرة**) بزيادة: ومن حمل علينا السلاح فليس منا، وفي رواية له أيضًا: من غشّ فليس مني، وأخرجه العسكري بلفظ الترجمة، وزاد: قيل: يا رسول الله ما معنى ليس منا، فقال: ليس مثلنا.

وعند أبي نعيم والطبراني في الكبير والصغير برجال ثقات عن ابن مسعود رفعه: من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار، أي: صاحبهما يستحق دخولها إن لم يعف الله، لأن الداعي إلى ذلك الحرص والشح والرغبة في الدنيا، وذلك يجر إلى النار، وأخذ الذهبي أن الثلاثة من الكبائر، فعدها منها، وللدارقطني بسند ضعيف عن أنس: من غش أمتي فعليه لعنة الله.

(وقوله) ﷺ: (**«المستشار مؤتمن»**) أي: أمين على ما استشير فيه، ولذا احتاج كالناصح إلى كونه أمينًا، مجربًا، حازمًا، ناصحًا، ثابت الجأش، غير معجب بنفسه، ولا متلون في رأيه،

رواه أحمد وغيره. ومعناه: أن من أفضى إليك بسره وآمنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه، فيجب عليك أن لا تشير عليه إلا بما تراه صوابًا، .....

ولا كاذب في مقاله، فارغ البال وقت الاستشارة، ولذا قيل: إنهما يحتاجان إلى علم كبير كثير، فيحتاج أوّلاً إلى علم الشريعة، وهو العام المتضمن لأحوال الناس، وعلم الزمان والمكان، وعلم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور، فقد يكون ما يصلح الزمان يفسد الحال، أو المكان، وهكذا، فينظر إلى الترجيح، فيفعل بحسب الأرجح عنده، مثاله أن يضيق الزمن عن فعل أمرين اقتضاهما الحال، فيشير بأهمها، وإذا عرف من حال إنسان المخالفة، وأنه إذا أرشده لشيء فعل ضده، أشار عليه بما لا ينبغي ليفعل ما ينبغي، وهذا يسمى علم السياسة، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة، الشاردة عن طريق مصالحها، فلذا يحتاج المشير والناصح إلى علم، وعقل، وفكر صحيح، وروية حسنة، واعتدال مزاج، وتؤدة وتأن، فإن لم يجمع هذه الخصال، فخطؤه أسرع من إصابته، فلا يشير، ولا ينصح، قالوا وما في مكارم الأخلاق أدق، ولا أخفى، ولا أعظم من النصيحة.

قال الراغب: والاستشارة استنباط الرأي من غيره، فيما يعرض من المشكلات، ويكون في الأمور الجزئية التي يتردد فيها بين فعل وترك ونعمت العدة هي.

قال علي: المشاورة حصن من الندامة، وأمن من الملامة، ويقال الأحمق من قطعه العجب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة، **(رواه أحمد)** من حديث ابن مسعود بزيادة: وهو بالخيار إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فإن تكلم، فليجتهد رأيه، **(وغيره)** كأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة، والترمذي عن أم سلمة، والطبراني عن سمرة بزيادة: إن شاء أشار، وإن شاء لم يشر، والقضاعي عنه بلفظ المستشار مؤتمن، فإن شاء أشار، وإن شاء سكت، فإن أشار فليشر، بما لو نزل به لفعله، والطبراني عن علي، وزاد: فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه، وللعسكري عن عائشة: المستشير معان، والمستشار مؤتمن، فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صالح لنفسه، وفي الباب جابر بن سمرة، وأبو الهيثم، وابن عباس، وآخرون.

قال السيوطي: وهو متواتر، **(ومعناه)** كما قال العسكري: **(أن من أفضى إليك بسره، وآمنك على ذات نفسه)** إضافة بيانية إن أريد بالذات النفس، ومن إضافة المحل للحال حقيقة، أو اعتبارًا على أن النفس الروح، أو جوهر مجرد خارج عن البدن، متعلق به تعلق التدبير، **(فقد جعلك بموضع نفسه، فيجب عليك أن لا تشير عليه إلاَّ بما تراه صوابًا)** وهذا صادق بالترك مع العلم بالصواب، إذ المعنى إذا أشرت فلا تشر إلا بالصواب، وهو مدلول سين الطلب في المستشار، وأصرح منه قوله: وهو بالخيار.. الخ، فإنه صريح في أنه لا يجب، لأنه لم يتعين عليه ما لم يتحقق بالترك ضرر المحترم من نفس، أو مال، أو عرض، وإلاَّ تعين نصحه، بل لو علمه

فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا الثقة في نفسه، والسر الذي ربما كان في إذاعته تلف النفس أولى بأن لا يجعل إلا عند الموثوق به.

وقوله ﷺ: الندم توبة. رواه الطبراني في الكبير.

وجب، وإن لم يستشره، كما تفيده أدلة أخرى، كالدين النصيحة، ولا ضرر، ولا ضرار، بل وأدلة خاصة كقوله: فليشر، بلام الأمر، وهو للوجوب.

وقد روى ابن ماجه والخرائطي، وغيرهما عن جابر مرفوعًا: إذا استشار أحدكم أخاه، فليشر عليه بما هو الأصلح، وإلا فقد خانه، فقوله: وإلاَّ صادق بما إذا ترك مع علم الأصلح، وبما إذا أشار بغيره على أن حديث الخيار يمكن تأويله بأن معناه فعل ما ظهر له؛ أنه الخيار من السكوت والنصح، لا أنه يخير بينهما، وإن ظهر له الأصلح، (**فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلاَّ الثقة في نفسه، والسر الذي ربما كان في إذاعته**) إفشائه (**تلف النفس أولى بأن لا يجعل إلاَّ عند الموثوق به،**) فيجب عليه بذل النصح إن تعين، فيذكر الأخف من عيوب المستشار فيه إن لم يكتف، وإلاَّ استوعب مراعيًا في بيانها الأخف، فالأخف فإن لم يكتف إلا بأعظمها ذكره.

(**وقوله**) ﷺ: (**الندم توبة،**) أي: الحزن على ما فعله، أو كراهته له بعد فعله من حيث كونه تاركًا فيه لإجلال الله، ومخالفًا أمره أو نهيه، إما لافتضاح، أو مرض، أو عقاب ونحو ذلك، فليس توبة، بل قد يكون معصية، لأنه لولا مراقبة الناس لم يكن عنده حرج من فعل المعصية، ثم المعنى أنه معظم أركانها، لأنه شيء يتعلق بالقلب والجوارح تبع له، فإذا ندم القلب انقطع عن المعاصي، فرجعت برجوعه، وليس المراد أن الندم وحده كاف فيها، فهو نحو الحج عرفة.

قال الغزالي: إنما نص على أنه توبة، ولم يذكر جميع شروطها ومقدماتها، لأن الندم غير مقدور للعبد، لأنه قد يندم على أمر، وهو يريد أن لا يكون، والتوبة مدورة له، مأمور بها، فعلم أن في الحديث معنى لا يفهم من ظاهره، وهو أن الندم لتعظيم حقوق الله وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح، فإذا ذكر مقدماتها الثلاث، وهي ذكر غاية قبح الذنب، وذكر شدة عقوبة الله وأليم غضبه، وذكر ضعف العبد وقلة حيلته، يندم ويحمله الندم على ترك اختيار الذنب، وتبقى ندامته بقلبه في المستقبل، فيحمله على الابتهال والتضرع، ويجزم بعدم العود، وبذلك تتم شروط التوبة الأربعة، فلما كان من أسبابها سماه باسمها، (**رواه الطبراني في الكبير،**) وأبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الأنصاري بزيادة: والتائب من الذنب، كمن لا ذنب له، وسنده ضعيف، وأخرجه ابن ماجه، والطيالسي عن ابن مسعود بلفظ الترجمة فقط، ورجاله ثقات، بل قال الحافظ

وقوله: الدال على الخير كفاعله.

رواه العسكري وابن جميع، ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ: كل معروف صدقة ....

في الفتح: سنده حسن.

قال السخاوي: يعني لشواهده، إلا فأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود، انتهى، وقد رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي عن أنس بلفظ الترجمة فقط، وفي الباب ابن عباس، وأبو هريرة، وغيرهما.

(وقوله) ﷺ: **(الدال على الخير)** شامل لجميع أنواع الخصال الحميدة، **(كفاعله)** فإن حصل ذلك الخير، فله مثل ثوابه، وإلاَّ فله أجر دلالته، وقد ذهب جمع منهم: عياض، وتبعه النووي إلى أن المثل بلا تضعيف، لأن الدال لم يفعله.

قال في المفهم: وليس كما قال، بل ظاهر اللفظ المساواة، ووجهه أن أجر الأعمال إنما هو بفضل الله، يهبه لمن يشاء، على أن فعل شاء وجاء في الشرع في ذلك كثير، وقال الأبي: ظاهر الحديث المساواة، وقاعدة أن الثواب على قدر المشقة تقتضي خلافة، إذ من أنفق عشرة دراهم، ليس كمن دل، ويدل عليه أن من دل إنسانًا على قتل آخر يعزر، ولا يقتص منه.

قال شيخنا: وقد يقال: التشبيه في أصل الثواب، ولا يلزم منه التساوي في مقداره، وقد يقترن به ما يربو بسببه ثواب الدال على الفاعل، كما لو ترتب على دلالته خير لغير من دله، كأمره ﷺ بالإيمان والطاعة امتثالاً لقوله: ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]، فإن ترتب على تبليغه ما لا يعلم قدره إلاَّ الله، مع مخالفة كثير من المأمورين فيما أمر به، **(رواه العسكري)** والبيهقي في الشعب **(وابن جميع، ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ: كل معروف صدقة،)** أي: كل ما يفعل من البر، فثوابه كثواب المتصدق بالمال، والمعروف لغة ما عرف وشرعًا.

قال ابن عرفة: الطاعة ولما تكرر الأمر في الكتاب والسنة بالصدقة مالت إليها القلوب، فأخبرهم بأن كل طاعة من قول، أو فعل، أو بذل صدقة، يشترك فيها المتصدقون، حثا منه للكافة على المبادرة إلى فعل المرء طاقته، وسميت صدقة، لأنها من تصديق الوعد بنفع الطاعة عاجلاً وثوابها آجلاً.

وقال البيضاوي: المعروف في اصطلاح الشرع ما عرف فيه حسنه، وبإزائه المنكر، وهو ما أنكره وحرمه.

والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان. والمعنى: أن من دلك على خير وأرشدك إليه فنلته بإرشاده فكأنه فعل ذلك الخير.

وقوله: حبك للشيء يعمي ويصم.

رواه أبو داود والعسكري من حديث بقية ....

وقال الراغب: المعروف اسم لكل ما عرف حسنه في الشرع والعقل معًا، ويطلق على الاقتصاد لثبوت النهي عن السرف.

وقال ابن أبي جمرة: يطلق المعروف على ما عرف بأدلة الشرع، أنه من عمل البر، جرت به العادة أم لا؟ وقال الماوردي: المعروف نوعان قول وعمل، فالقول طيب الكلام وحسن البر والتودد بجميل القول، والباعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع، لكن لا يسرف فيه، فيكون ملقًا مذمومًا، وإن توسط واقتصد، فهو بر محمود، والعمل بذل المال والإسعاف بالنفس، والمعونة بالنائبة، والباعث عليه حب الخير للناس، وإيثارًا لصلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف، ولا لغايتها حد، بخلاف الأولى، فإنها وإن كثرت أفعال تعود بنفعين، نفع يعود على فاعلها باكتساب الأجر، وجميل الذكر، ونفع المعان بها في التخفيف والمساعدة، فذلك سماه صدقة، **(والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان،)** المكروب، المتحير في أمره، وأخرج ذا الحديث بتمامه الدارقطني عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، والعسكري، وأحمد، وأبو يعلى عن بريدة بلفظ الترجمة، وزيادة: والله يحب إغاثة اللهفان، والبزار عن أنس بلفظ الدال على الخير كفاعله، والدال على الشر كفاعله، أي: لإعانته عليه، فعليه كفل من الإثم، وإن لم يحل بمباشرته، وعزوه للبزار عن ابن مسعود سهو، إنما هو عن أنس، ورواه مسلم بمعناه عن ابن مسعود بلفظ: من دل على خير، فله مثل أجر فاعله.

وقال أبو الدرداء: الدال على الخير وفاعله شريكان، أخرجه ابن عبد البر، **(والمعنى: أن من دلّك على خير وأرشدك إليه فنلته بإشادة، فكأنه فعل ذلك الخير،)** فيثاب كثواب الفاعل، أو أقل، أو أزيد على ما سبق، ومقتضى قوله: فنلته لو لم تنله لمانع، أو عدم إرادة الفعل، لا يكون له مثل ثواب الفعل، ومقتضى الحديث الإطلاق، ولا مانع منه.

(وقوله) ﷺ: **(حبك للشيء)** بلام، ودونها روايتان **(يعمي)** عن عيوب المحبوب، **(ويصم)** عن سماعها، فلا تبصر قبيح فعله، ولا تسمع فيه نهي ناصح، بل ترى قبيحه حسناً، وتسمع منه الجفاء قولاً جميلاً، أو المعنى يعمي ويصم عن طريق الآخرة، أو عن طريق الهدى، وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه، **(رواه أبو داود والعسكري من حديث بقية،)** بموحدة، فقاف **(ابن الوليد)** بن صائد بن كعب الكلاعي، صدوق، كثير التدليس عن الضعفاء، مات سنة

ابن الوليد، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعًا، ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه. وابن أبي مريم ضعيف. وقد حكم الصغاني عليه بالوضع. وتعقبه العراقي وقال: ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب، ويكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع، بل ولا شديد الضعف، فهو حسن.

وقال العسكري: أراد النبي ﷺ أن من الحب ما يعميك عن طريق الرشد، ويصمك عن استماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه عن الرشد فلا، ولذا قال بعض الشعراء:

سبع وتسعين ومائة، وله سبع وثمانون سنة، (**عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم**) الغساني الشامي، وقد ينسب إلى جده، قيل: اسمه بكير، وقيل: عبد السلام ضعيف، وكان قد سرق بيته فاختلط، مات سنة ست وخمسين ومائة.

روى له أبو داود، والترمذي، والنسائي، (**عن خالد بن محمد الثقفي**،) الدمشقي، نزيل حمص، ثقة، (**عن بلال بن أبي الدرداء**،) الأنصاري، قاضي دمشق، ثقة مات سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، (**عن أبيه**،) الصحابي، الجليل، المشتهر بكنيته، وفي اسمه خلف (**مرفوعًا**) إليه عليه الصلاة والسلام، (**ولم ينفرد به بقية، بل توبع عليه**،) فتابعه شريح بن يزيد، ومحمد بن حرب عند العسكري، ويحيى البابلي عند القصاعي، وعصام بن خالد ومحمد بن مصعب عند أحمد في مسنده، (**وابن أبي مريم ضعيف، وقد حكم الصغاني عليه بالوضع، وتعقبه العراقي، وقال ابن أبي مريم: لم يتهمه أحد بكذب**،) إنما سرق له حلي، فأنكر عقله وضعفه غير واحد، (**ويكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع، بل ولا شديد الضعف، فهو حسن**) على رأي ابن الصلاح، فيما سكت عليه أبو داود.

(**وقال العسكري: أراد النبي ﷺ أن من الحب ما يعميك**) أيها المحب (**عن طريق الرشد، ويصمك عن استماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه، ولم يكن له رادع**:) مانع (**من عقل، أو دين أصمه حبه**،) أي: جعله كالأصم (**عن العدل**،) اللوم لا يسمعه فيه، (**وأعماه عن الرشد، فلا**) يبصر فيه عيبًا، بل يرى مساويه، وما يسمعه فيه محاسن، والحب، لذة يعمي عن رؤية غير المحبوب، ويصم عن سماع العدل فيه، وإذا استولت على القلب سلبته عن صفاته، (**ولذا قال بعض الشعراء**:

(**وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا**)

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

أشار إليه شيخنا السخاوي في المقاصد الحسنة.

وقوله عليه الصلاة والسلام: العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم. رواه الترمذي وأبو داود.

وقوله: سبقك بها عكاشة. ....

لكن هنا بمعنى الواو لا للاستدراك، إذ لا يتوهم من كون عين الرضا كليلة، أن تكون عين السخط كذلك حتى يستدرك، وأنشده غيره، كما أن وهو واضح، (**أشار إليه شيخنا السخاوي في المقاصد الحسنة**) وزاد على ما هنا، وعن ثعلب، قال: تعمى العين عن النظر إلى مساويه، وتصم الأذن عن استماع العذل فيه، وأنشأ يقول:

وكذبت طرفي في فيك والطرف صادق وأسمعت أذني فيك ما ليس يسمع

وقيل: تعمى وتصم عن الآخرة، وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه، انتهى.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «العارية مؤداة»**) أي: واجبة الرد على مالكها عينًا حال الوجود، وقيمة عند التلف عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: هي أمانة في يده لا تضمن إلا بالتعدي، وقال مٰلك: إن خفي تلفها ضمن، وإلا فلا، (**والمنحة**) ـ بالكسر ـ شاة، أو ناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها، ثم يردها إذا انقطع اللبن (**مردودة**) إلى مالكها، لأنه لم يعطه عينها، بل لبنها، فإذا مضت أيامه ردها، (**والدين**) بفتح الدال (**مقضي**) إلى صاحبه، أي: صفته اللازمة هي القضاء وجوبًا، وعبر فيه بالقضاء، وفيما قبله بالرد، لأن المردود بدل الدين لا نفسه، (**والزعيم**) أي: الكفيل، يعني الضمين، (**غارم**) لما ضمنه بمطالبه المضمون له، سواء كان عن ميت ترك وفاء أم لا، عند الشافعي ومٰلك، خلافًا لأبي حنيفة، لأنه قول عام على تأسيس القواعد، فحمل على عمومه، فإن كانت الكفالة بالبدن، فلا غرم عند الشافعي مطلقًا، كمٰلك إن أحضره وإلا غرم، وهل ولو أثبت عدمه تردد، (**رواه الترمذي**) وابن ماجه في الوصايا، (**وأبو داود**) في البيع، وأحمد، كلهم عن أبي أمامة، ورجاله ثقات، وأورده الضياء في المختارة، وضعفه ابن خرم، فلم يصب، قاله الحافظ في تخريج الرافعي، وهو يرد جزمه في تخريج الهداية بضعفه.

(**وقوله** ﷺ: (**«سبقك بها»**) أي: الفضيلة التي هي دخول الجنة بغير حساب (**عكاشة**) ـ بشد الكاف ـ في الأشهر.

قال القرطبي: لم يره أهلاً لذلك، فأجابه بهذا الجواب، وقد ضرب المثل به، فيقال لمن

رواه البخاري.

وقوله: عجب ربك من كذا.

روي من عدة روايات عند البخاري وغيره. ومعناه كما قال ابن الأثير: عظم ذلك عنده وكبر لديه، أعلم الله أنه إنما يتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده.

وقيل معنى عجب ربك أي رضي وأثاب، فسماه عجبًا مجازًا وليس بعجب في الحقيقة. والأوّل الوجه.

وقوله: قتل صبرًا. ....

سبق في الأمر سبقك بها عكاشة، (**رواه البخاري**) ومسلم، كلاهما عن ابن عباس، في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عكاشة: ادع اللَّه أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، فقام آخر فذكره.

(**وقوله: عجب ربك من كذا، روي من عدة روايات عند البخاري وغيره،ومعناه كما قال ابن الأثير: عظم ذلك عنده وكبر**) . بضم الباء. (**لديه**) عطف تفسير، (**أعلم اللَّه**) عباده على لسان رسوله؛ (**أنه**) أي الشأن والحال (**إنما بتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده**) مصدر ميمي، أي وقوعه، أو اسم مكان، أي محل وقوعه، ومنه موقع الغيث، موضعه الذي يقع فيه، (**وخفي عليه سببه**) وذلك محال على اللَّه، (**فأخبرهم بما يعرفون، ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده**) أي مقدارها شرفًا ومكانة، فيسارعوا إليها، (**وقيل: معنى عجب ربك، أي رضي وأثاب، فسماه عجبًا مجازًا**) لأن صفات العباد إذا أطلقت على اللَّه، أريد بها غاياتها، فغاية التعجب من الشيء الرضى به، واستعظام شأنه، (**وليس بعجب في الحقيقة**) لأنه أمر جائز، وواقع والقدرة صالحة التعلق بأعظم منه، (**والأوَّل الوجه**) لأن التعجب من الشيء إنما يستلزم استعظامه عند المتعجب، ولكنه قد يصرف للمخاطب إذا منع نسبته للمتكلم به مانع، كنسبته إلى اللَّه تعالى، إذ التعجب انفعال النفس، لزيادة وصف في المتعجب منه، نحو ما أشجعه، ونحو أسمع بهم وأبصر، إنما هو بالنظر للسامع، نقله المصباح عن بعض النحاة، وقال: التعجب يستعمل على وجهين: أحدهما ما يحمده الفاعل، ومعناه الاستحسان والأخبار عن رضاه به، والثاني ما يكرهه، ومعناه الإنكار والذم له، ففي الاستحسان، يقال: أعجبني بالألف، وفي الذم والإنكار عجبت وزن تعبت.

(**وقوله: «قتل صبرًا»**) هو أن يمسك، ثم يرمى بشيء حتى يموت، وكل من قتل في غير معركة، ولا حرب، ولا خطا، فإنه مقتول صبرًا، كما في النهاية، (**رواه غير واحد**) وروى البزار

رواه غير واحد.

وقوله: ليس المسؤول بأعلم من السائل. رواه مسلم وغيره.

وقوله: ولا ترفع عصاك عن أهلك أدبًا.

رواه أحمد، أي لا تدع تأديبهم وجمعهم على طاعة الله تعالى، يقال شق العصا، أي فارق الجماعة، وليس المراد: الضرب بالعصا، ولكنه جعله مثلاً، وقيل معناه: لا تغفل عن أدبهم ومنعهم من الفساد، قاله ابن الأثير.

عن أبي هريرة رفعه: قتل الرجل صبرًا كفارة لما قبله من الذنوب، وعنده أيضًا بسند رجاله ثقات عن عائشة مرفوعًا: قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه.

(وقوله) ﷺ جواباً لقول جبريل: ما الساعة؟ فقال ﷺ: **(«ليس المسؤول»)** زاد في رواية عنها **(بأعلم من السائل»)** زيدت الباء في أعلم التأكيد، معنى النفي، والمراد نفي علم وقتها، لأن علم مجيئها مقطوع به، فهو علم مشترك، وهذا وإن أشعر بالتساوي في العلم؛ إلاَّ أن المراد التساوي في العلم؛ بأن اللّه استأثر بعلم وقت: مجيئها، وليس السؤال عنها ليعلم الحاضرين، كالأسئلة السابقة، بل لينزجروا عن السؤال عنها، كما قال تعالى: ﴿يسئلونك عن الساعة﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فلما وقع الجواب كفوا، وهذا السؤال والجواب وقعا بين عيسى وجبريل أيضًا، لكن عيسى هو السائل.

روى الحميدي في نوادره عن الشعبي، قال: سأل عيسى بن مريم جبريل عن الساعة، فانتقض بأجنحته، وقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، **(رواه مسلم)** من حديث عمر **(وغيره)** كالبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، ولم يخرج البخاري حديث عمر لاختلاف فيه على بعض رواته.

(وقوله) ﷺ: **(«لا ترفع عصاك عن أهلك أدبا»، رواه أحمد، أي: لا تدع تأديبهم وجمعهم على طاعة اللّه تعالى،)** بأي وجه كان، فمن يتأدب ويطيع بنحو التقريع، أو مجرد الأمر بذلك لم يحتج لضربه، وذلك من مشمول الحديث، لأنه **(يقال)** لغة **(شق العصا، أي: فارق الجماعة، وليس المراد الضرب بالعصا، ولكنه جعله مثلاً، وقيل معناه: لا تغفل عن أدبهم ومنعهم من الفساد، قاله ابن الأثير)** ومن تأديبهم تعليق السوط.

روى البخاري في الأدب المفرد، عن ابن عباس رفعه: علق سوطك حيث يراه أهلك، وروى أبو نعيم عن ابن عمر، والطبراني عن ابن عباس مرفوعًا: علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه آدب لهم، وعن جابر رفعه: رحمه اللّه رجلاً علق في بيته سوطًا يؤدب به أهله، وفي

وقوله: إنما مما ينبت الربيع ما يقتل حبطًا أو يلم.

رواه البخاري، ....

سنده عباد بن كثير وهو ضعيف، ذكره السخاوي.

(وقوله) ﷺ: «**(إن مما ينبت**»)، بضم التحتية. من الإنبات **(الربيع)** فاعل **(ما)**، أي شيئًا، أو إنباتًا **(يقتل)** قتلاً **(حبطًا)**. بمهملتين. بينهما موحدة مفتوحات نصبه على التمييز، أو مفعول مطلق، **(أو يلم)**. بضم التحتية، وكسر اللام، وشد الميم. يقرب من الهلاك، والمعنى يقتل، أو يقارب القتل وكذا المكثر من جمع الدنيا، لا سيما من غير حلها، ويمنع ذا الحق حقه، يهلك في الآخرة بدخول النار، وفي الدنيا بأذى الناس وحسدهم له، وغير ذلك من أنواع الأذى، **(رواه البخاري)** ومسلم في الزكاة، والبخاري أيضًا، والنسائي في الرقاق، كلهم عن أبي سعيد الخدري مطوّلاً في حديث، ولفظ البخاري في الرقاق: حدثنا إسمٰعيل، حدثني مٰلك عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»، قيل: وما بركات الأرض؟ فقال: «زهرة الدنيا»، فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر، فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنه لن ينزل عليه، ثم جعل يمسح جبينه، فقال: «أين السائل»؟ قال: أنا، قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع ذلك، قال: «لا يأتي الخير إلاّ بالخير، إن هذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيع، ويقتل حبطًا، أو يلم إلاّ أكلة الخضرة، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاه استقبلت الشمس، وثلطت وبالت، ثم عادت فأكلت وأن هذاالمال خضرة حلوة، من أخذه بحقه وضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل، ولا يشبع»، وأخرجه في الزكاة من طريق آخر عن عطاء، عن أبي سعيد: أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»، فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت، فذكر الحديث.

وقال في آخره: وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحبه المسلم ما أعطى منه المسكين، واليتيم، وابن السبيل، أو كما قال ﷺ: «وإنه من يأخذه بغير حقه، كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة»، وقوله: «هل يأتي الخير بالشر»؟ أي: هل تصير النعمة عقوبة، لأن زهرة الدنيا نعمة من الله، فقال: «لا يأتي الخير إلاّ بالخير»، أي: وإنما يعرض له الشر لعارض البخل به، عن مستحقه، والإسراف في إنفاقه فيما لم يشرع، وخضرة. بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين، أي: الحياة بالمال، أو المعيشة به خضرة في المنظر، حلوة في الذوق، أو المراد التشبيه، أي: الحال، كالبقلة الخضرة الحلوة، أو أنث، باعتبار ما يشتمل عليه المال، من زهرة

وذكره ابن دريد وقال: إنه من الكلام المفرد الوجيز الذي لم يسبق ﷺ إلى معناه.

الدنيا، أو المراد بالمال الدنيا، لأنه من زينتها، كما قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقوله؛ إلا آكلة الخضرة. بكسر الهمزة، وشدة اللام استثناء، وآكلة بمد الهمزة، وكسر الكاف، والخضرة بفتح الخاء، وكسر الضاد المعجمتين، وفي رواية: الخضرة بلا هاء، وفي رواية: الخضرة بضم الخاء، وإسكان الضاد، ضرب من الكلا، شبه بها، لأن المخاطبين ألفوا أحوالها، في سومها ورعيها، وما يعرض لها من بشم وغيره، والاستثناء منقطع لوقوعه في الكلام المثبت؛ أي: لكن آكلة الخضرة لا يقتلها آكلها، ولا يلم بقتلها، ويجوز اتصاله بتأويل في المستثنى، والمعنى من جملة ما يثبت الربيع شيء يقتل آكله إلاَّ آكلة الخضرة، وفي رواية: ألا بفتح الهمزة، وخفة اللام استفتاح، كأنه قيل ألاَّ انظروا آكلة الخضرة، واعتبروا شأنها وخاصرتاها بالتثنية جنباها، أي: امتلأت شبعًا، وعظم جنباها، وفي رواية: بالإفراد، فاجترت بجيم ساكنة، وفتح الفوقية، والراء المشددة استرجعت ما أدخلته في كرشها من العلف، فمضغته ثانيًا ليزداد نعومة وسهولة لإخراجه، وثلطت، بمثلثة، ولام، وطاء مهملة مفتوحات، وضبطه ابن التين بكسر اللام، ألقت ما في بطنها رقيقًا، بخلاف من لم يتمكن من ذلك، فيقتلها الانتفاخ سريعًا، وإن هذا المال في الرغبة والميل إليه بحرص النفوس عليه، كالفاكهة خضرة في المنظر، حلوة في الذوق، كالذي يأكل، ولا يشبع، أي: كذي الجوع الكذب بسبب السقم، كلما ازداد أكلاً ازداد جوعًا.

قال ابن المنير: في هذا الحديث وجوه من التشبيهات البديعة، تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره، وتشبيه المنهمك في الاكتساب، والأسباب بالبهائم المنهمكة في الأعشاب، وتشبيه الاستكثار منه، والادخار له بالشره في الأكل والامتلاء منه، وتشبيه المال مع عظمه في النفوس، حتى أدى إلى المبالغة في البخل به بما تطرحه البهيمة من السلح، ففيه إشارة بديعة إلى استقذاره شرعًا، وتشبيه التقاعد عن جمعه وضمه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبيها، مستقبلة الشمس، فإنها من أحسن حالاتها سكونًا وسكينة، وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها، وتشبيه موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها، وتشبيه المال بالصاحب الذي لا يؤمن أن ينقلب عدوّ، فإن المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه، وذلك يقتضي منعه من مستحقه، فيكون سببًا لعقاب مقتنيه، وتشبيه آخذه بغير حق، بالذي يأكل، ولا يشبع، فهي ثمانية انتهى، وهذا، كما قال ابن الأثير: حديث يحتاج إلى شرح ألفاظه مجتمعة، فإنه إذا فرق لا يكاد يفهم الغرض منه.

(وذكره ابن دريد، وقال: إنه من الكلام المفرد، الوجيز الذي لم يسبق ﷺ إلى معناه، أي: كل ما أنبت الجدول،) فسره المصنف كغيره بالنهر الصغير.

أي كل ما أنبت الجدول، وإسناد الإنبات إليه مجاز، والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وليست «من» للتبعيض، وحبطا: بفتح المهملة والموحدة والطاء المهملة أيضًا، وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل حتى تنتفخ فتموت، ويلم: بضم الياء، أي يقرب من الهلاك. وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا، المانع من إخراجها في وجهها.

قال شيخنا: وليس معنى الربيع إنما هو الزمن المسمى فصل الربيع، وهو أحد الفصول عند العرب، لأن فيه الخصب والمياه والزرع، ولعله فسر بذلك، لأنه السبب المترتب عليه الإنبات ظاهرًا، ولأن ترتبه عليه لا يختص بزمن، إذ يسقي به الأرض، فتحيا وتصلح للإنبات، (**وإسناد الإنبات إليه مجاز**) على رأي الشيخ عبد القاهر الجرجاني، إذ المسند إليه ملابس الفعل، وليس فاعلاً حقيقيًا له، (**والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى،**) والسكاكي يرى أن الإسناد ليس مجازيًا، وأن المجاز في الربيع، فجعله استعارة بالكناية على أن المراد به الفاعل الحقيقي بقرينة، نسبة الإسناد إليه، (**وليست من للتبعيض**)، بل للابتداء، أو زائدة في الإثبات، على قلة لرواية البخاري في الرقاق، وإن كل ما أنبت، والمعنى أنه لا ينبغي الاغترار بشيء من زهرة الدنيا وزينتها، لأن جميعها مضر، ويجوز جعلها تبعيضية؛ وبه جزم الدماميني على معنى أن بعض النبات مهلك، أو مقرب منه، وبعضه ليس كذلك، وهو ما سد الرمق، وأعان على العبادة، لأنه سبب لإقامة هذا العالم، لكن الأوّل أبلغ في ذم الدنيا، وكأنه نزل الأمر الضروري منزلة العدم، لقلته بالنسبة لغيره؛ (**وحطبًا بفتح**) الحاء (**المهملة، و**) فتح (**الموحدة، و**) فتح (**الطاء المهملة أيضًا**) منوَّنة، يقال: حبطت الدابة تحبط حبطًا، (**وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل، حتى تنتفخ فتموت ويلم ـ بضم الياء، أي: يقرب من الهلاك،**) فالمعنى يقتل أو يقارب القتل، هكذا فسره به شراح الحديث، ومثله في القاموس.

وجوز شيخنا أن معنى يلم، يورث الجنون، لقول المصباح اللمم بفتحتين، مقارفة الذنب، وطرف من الجنون، (**وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا، المانع من إخراجها في وجهها،**) وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول، فتستكثر منه الماشية لاستطابتها إياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاحتمال؛ فتنشق أمعاؤها من ذلك فتهلك، أو تقارب الهلاك، وكذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها، ويمنعها مستحقها، قد تعرض للهلاك في الآخرة بدخول النار، وفي الدنيا بأذى الناس وحسدهم إياه، وغير ذلك من أنواع الأذى، وأما قوله: إلا آكلة الخضرة، فإنه مثل للمقتصد، وذلك أن الخضرة ليس من جيد البقول التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره، فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي، بعد يبس البقول حيث لا تحبسوها، فلا ترى

وقوله عليه الصلاة والسلام: خير المال عين ساهرة لعين نائمة.

ومعناه: عين ماء تجري ليلاً ونهارًا وصاحبها نائم، فجعل دوام جريانها: سهرًا لها.

وقوله: خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة.

رواه الإمام أحمد ....

الماشية تكثر من أكلها، ولا تستمر بها، فضربها مثلاً للمقتصد في أخذ الدنيا وجمعها، ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها، كما نجت آكلة الخضرة، ألا تراه، قال: أكلت حتى الخ... ذكره في النهاية.

زاد المصنف: وقيل الربيع، قد ينبت أحرار العشب والكلا، فهي كلها خبر في نفسها، وإنما يأتي الشر من قبل آكل، مستلذ، مفرط، منهمك فيها بحيث تنتفخ أضلاعه منه، وتمتلىء خاصرتاه، ولا يقلع منه فيهلكه سريعًا، فهذا مثل الكافر؛ ولذا أكد القتل بالحبط، أي: يقتل قتلاً حبطًا، والكافر هو الذي تحبط أعماله، أو من قبل آكل، كذلك فيقربه إلى الهلاك، وهذا مثال للمؤمن الظالم لنفسه، المنهمك في المعاصي، أو من آكل مسرف حتى تنتفخ خاصرتاه، ولكنه يتوخى إزالة ذلك، ويتحيل في دفع مضرته، حتى يهضم ما أكل، وهذا مثال المقتصد، وآكل غير مفرط، ولا مسرف، يأكل منها ما يسد جوعه، ولا يسرف فيه حتى يحتاج إلى دفعه، وهذا مثال الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، لكن ليس هذا صريحًا في الحديث، لكنه ربما يفهم منه انتهى.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «خير المال عين ساهرة لعين»**،) متعلق بساهرة، والأولى أنه صفة ثانية لعين، أي: مملوكة، أو مستحقة لعين (**نائمة**) أي: تاركة للتعب في تحصيلها، فهو تشبيه بليغ، أو مجاز مرسل، باستعمال النائمة في لازمها من الراحة، وترك السعي في أسباب التحصيل، من إطلاق الملزوم، وإرادة لازمه، (**ومعناه: عين ماء تجري ليلاً ونهاراً وصاحبها نائم،**) فقوله: نائمة مجاز عقلي، أي: نائم صاحبها، (**فجعل دوام جريانها سهرًا لها،**) فشبه جريان الماء وعدم انقطاعه بسهر المشغول، بأسباب مقتضية لملازمة السهر، فاستعاره لدوام جريانه، واشتق منه ساهرة، فهو استعارة تصريحية، تبعية لجريانها في المشتق بعد جريانها في المصدر، ولم يذكر المصنف مخرج الحديث.

(**وقوله**) ﷺ: (**«خير مال المرء مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة»، رواه الإمام أحمد**) برجال ثقات، (**والطبراني**) في الكبير، كلاهما من طريق روح بن عبادة، عن أبي نعامة، عن مسلم بن

والطبراني عن سويد بن هبيرة. ومعنى مأمورة: أي كثيرة النتاج، وسكة مأبورة: أي طريقة مصطفة من النخل، ومنه قيل للأزقة: سكة، والتأبير تلقيح النخل. انتهى.

وقوله عليه الصلاة والسلام: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

بديل، عن إياس بن زهير، **(عن سويد بن هبيرة)** بن عبد الحرث، الديلي ابن عمر وبطن من عبد القيس.

وقال أبو أحمد: هو عدوى من عدي بن عبد مناف، وكذا نسبه ابن قانع، وقال أبو عمر: سكن البصرة، قال سويد: سمعت النبي ﷺ يقول، فذكره.

قال ابن منده: لم يقل سمعت إلاَّ روح بن عبادة، وقد رواه عمرو بن عيسى عن أبي نعامة، فقال: يرفع الحديث.

قال الحافظ: وأخرجه الطبراني من طريق عبد الوارث عن أبي نعامة كذلك، ورواه معاذ بن معاذ عن أبي نعامة، فقال فيه: إلى سويد بلغني عن النبي ﷺ، ذكره البخاري في تاريخه.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: غلط فيه روح، وإنما هو تابعي، وقال ابن حبان في ثقات التابعين: يروى المراسيل، انتهى.

(ومعنى مأمورة، أي:) الأولى إسقاط، أي: **(كثيرة النتاج،)** يقال: أمرهم اللَّه، **فأمروا** . بكسر الميم، أي: كثرهم فكثروا، فيه لغتان مأمورة ومؤمرة، كما في النهاية، وهو من باب تعب، كما في المصباح، فوصفها بمأمورة مع وحدتها إسناد مجازي، أي: مأمور نتاجها، أو باعتبار ما ينشأ عنها منه، كما قال كثيرة النتاج، **(وسكة مأبورة)** بموحدة، **(أي: طريقة مصطفة من النخل، ومنه قيل للأزقة سكة)** لاصطفافها، زاد النهاية، وقيل: هي سكة الحرث ومأبورة، أي: مصلحة له، أراد خير المال نتاج أو زرع، **(والتأبير تلقيح النخل، انتهى،)** والمناسب للفظ الحديث والإبر، لأنه من أبرت النخل من بابي ضرب وقتل، لقحته وأبرته تأبيرًا مبالغة وتكثير، كما في المصباح، فلعله عبر بالتأبير لشهرته في الاستعمال.

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «من أبطأ) بألف ودونها» روايتان، وهما بمعنى إلاَّ أن السخاوي ادعى أن لفظ مسلم بلا ألف، وأن رواية القضاعي أبطأ بألف **(به عمله،)** أي: أخره عمله السيء، أو تفريطه في العمل الصالح، بأن لم يأت به على الوجه الأكمل، **(لم يسرع به نسبه،)** أي: لا ينفعه في الآخرة شرف النسب، فلا يعجل به إلى منازل السعداء، **(رواه مسلم،)** وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والعسكري، والقضاعي، كلهم **(من حديث أبي هريرة)** في آخر حديث لفظه: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس اللَّه عنه كربة من كرب

وقوله: زر غبًا، تزدد حبًا.

رواه البزار، والحٰرث بن أبي أسامة عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي بعض أحاديث الباب، أنه قيل: يا أبا هريرة أين كنت أمس؟ قال: زرت ناسًا من أهلي، فقال: يا أبا هريرة زر غبًا تزدد حبًا.

يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه؛ ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلاَّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه انتهى.

(وقوله ﷺ: «**(زر)** أخاك **(غبًا)** وقتًا بعد وقت، ولا تلازم زيارته بحيث يملك، **(تزدد)** عنده **(حبًا)** وبقدر الملازمة تهون عليه»، ونصب غبًا على الظرف، وحبًا على التمييز المحول عن الفاعل، فالمدار على عدم ملازمة الزائر للمزور حتى يسأم منه، وذلك يختلف باختلاف أحوالهما.

قال في الدرر: كأصله الغب من أوراد الإبل أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا، فنقل إلى الزيارة بعد أيام، وإلى عيادة المريض انتهى، وقول القاموس: الغب بالكسر في الزيارة أن تكون كل أسبوع، إما من مجاز اللغة الواقعة فيه، أو جري على عرف اللغة، وذاك على أصلها، وبينهما فرق، **(رواه البزار)** والبيهقي وضعفاه، **(والحٰرث بن أبي أسامة)** ومن طريقه أبو نعيم في الحلية، **(عن أبي هريرة مرفوعًا،)** رواه عنه ابن عدي في أربعة عشر موضعًا من كامله، وضعفها كلها، لكنه ورد من طرق كثيرة، يتقوى بمجموعها، كما قال السخاوي؛ فروي عن ابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وجابر، وأنس، وعائشة، وأبي الدرداء، وأبي ذر، ومعٰوية بن حيدة وآخرين.

(وفي بعض أحاديث الباب،) أي: باب إغباب الزيارة، جرت عادتهم بتسمية ما أفاده الحديث بابًا، **(أنه قيل)** لفظ الرواية، قال لي النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة أين كنت أمس»؟ قال: زرت ناسًا من أهلي، فقال: «يا أبا هريرة زر غبًا تزدد حبًا»،)** وأنشد ابن دريد في معناه:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت الغيث يسأم دائمًا ... ويسئل بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال غيره:

قلل زيارتك الصديق تكـ ... ـون كالثوب استجده
وأمل شيء لامرىء ... أن لا يزال يراك عنده

(وقوله ﷺ: **(إنكم لن تسعوا)**. بفتح السين، وفي رواية: لا تسعون بالفتح أيضًا، أي:

وقوله: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم.

رواه أبو يعلى والبزار من طرق، أحدها حسن بلفظ: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق.

وقوله: الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل. رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي.

لا تطيقون أن تعموا (**الناس بأموالكم،**) لعزة المال وكثرة الناس، فلا يمكنكم ذلك، (**فسعوهم بأخلاقكم،**) بحيث تقبلون على كل منهم بالبشاشة، وإظهار المودة وكأنه جعل المال محلاً لطالبيه، لاستراحة من حصل له منك مال، فاطمأن به، كما يطمئن من هبيء له منزل يدفع عنه الضرر، (**رواه أبو يعلى والبزار من، طرق أحدها حسن**) عن أبي هريرة رفعه (**بلفظ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»،**) أي: لا تتسع أموالكم لعطائهم، فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم، والوسع والسعة الجدة والطاقة، وذلك لأن استيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل لا يمكن، فأمر بجعل ذلك بالقول، كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنًا﴾ [البقرة ٨٣].

وروى العسكري عن الصولي: لو وزنت كلمة النبي ﷺ بأحسن كلام الناس كلهم، لرجحت على ذلك، وهي قوله: إنكم.. الخ، قال: وقد كان ابن عباد كريم الوعد، كثير البذل، سريعًا إلى فعل الخير، فطمس ذلك سوء خلقه، فما ترى له حامدًا، وقال إبراهيم بن أدهم: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه، ما لا يدركه بماله، لأن المال عليه فيه زكاة، وصلة أرحام وأشياء أخر، وخلقه ليس عليه فيه شيء، وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامي بالهواجر»، رواه الطبراني.

(**وقوله**) ﷺ: (**«الخلق الحسن يذيب الخطايا، كما يذيب الماء الجليد، والخلق السيء يفسد العمل»،**) أي: يفوت المقصود منه، فربما فعل جميلاً يستحق به الثناء العاجل والثواب الآجل، فيقترن به ما يتولد منه ضرر لمن فعل معه الجميل، فينقلب الثناء ذمًا، ويترتب عليه استحقاق العقاب، (**كما يفسد الخل العسل،**) بتفويت الحلاوة واللذة الحاصلة به، فلا ينافي حصول منافع طيبة بخلطهما، وفيه إشارة إلى أن الإنسان إنما يحوز جميع الخيرات، ويبلغ أقصى المنازل، وأنهى الغايات بحسن الخلق، وهو بضمتين، وضم، فسكون الطبع والسجية، (**رواه**) تاماً، كما ذكرته (**الطبراني في الكبير، والأوسط، والبيهقي**) في الشعب، كلاهما عن ابن عباس، وضعفه المنذري وغيره، لأن في إسناده عيسى ابن ميمون المديني، وهو ضعيف، لكن

وقوله: إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

رواه البزار والحاكم في علومه، والبيهقي في سننه، ....

له شواهد كثيرة، كقوله: وخالق الناس بخلق حسن، وقوله: الخلق وعاء الدين، وقوله: الخلق الحسن زمام من رحمة الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الملك والملك، يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة، وأن الخلق السيء زمام من عذاب الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان، والشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار؛ رواه أبو الشيخ.

(وقوله) ﷺ: **(«إن هذا الدين»)** أي: دين الإسلام **(متين)** صلب شديد، أي: كثير النفع عديم النظير، منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه، **(فأوغل)** أي: سر أمر لغير معين، فهو كرواية أحمد أوغلوا بالجمع **(فيه برفق)** من غير تكلف، ولا تحمل نفسك ما لا تطيق فتعجز وتترك العمل، **(ولا تبغض)** بضم الفوقية، وفتح الموحدة، وشد المعجمة، وآخره معجمة ساكنة، وفي نسخة بزيادة نون ثقيلة، تأكيدًا للنفي، فالضاد مفتوحة، لكن الذي في المقاصد بلا نون، **(إلى نفسك عبادة الله)** بأن تأتي بكثير تمله النفس، وتنفر منه، فيحملك على الترك.

قال الغزالي: أراد بهذا الحديث أن يكلف نفسه أعمال الدين بتلطف وتدريج، فلا ينتقل دفعة واحدة إلى أقصاها إذ الطبع نفور، لا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلاً شيئًا فشيئًا، فمن لم يراع التدريج، وتوغل دفعة واحدة، ترقى إلى حالة تشق عليه، فتنعكس أموره، فيصير ما كان محبوبًا عنده ممقوتًا، وما كان مكروهًا عنده مشربًا هنيًا، لا ينفر عنه، وهذا لا يعرف إلاً بالتجربة والذوق، ونظيره في العادات الصبي يحمل على التعلم، ابتداء قهرًا، فيشق عليه الصبر على اللعب والصبر مع المعلم، حتى إذا انفتحت بصيرته، وأنس بالعلم، انقلب الأمر، فصار يشق عليه الصبر عن العلم، وعلل النهي عن ذلك بقوله: **(فإن المنبت)** . بضم الميم، وسكون النون، وفتح الموحدة، وشد الفوقية. المنقطع في السفر عن رفقته من البت، القطع مطاوع بت، يقال بته وأبته **(لا أرضًا قطع)** أي: لم يقطع الأرض التي قصدها، **(ولا ظهرًا أبقى)** أي: ولم يبق ظهره، أي: دابته تنفعه، فكذا من تكلف من العبادة ما لا يطيق، فيكره التشديد فيها، واستعمل الظهر في الراحلة مجازًا، لكن في القاموس الظهر خلاف البطن، مذكر والركاب وعليه، فهو حقيقي، إلاً أن المراد هنا مطلق المركوب لا الإبل فقط، **(رواه البزار والحاكم في علومه)** أي: في كتابه المسمى علوم الحديث، وهو ما يعبر عنه المتأخرون بمصطلح الحديث.

(والبيهقي في سننه) من طريق شيخه الحاكم، وكذا ابن طاهر من طريقه، وأبو نعيم، والقضاعي، والعسكري، والخطابي في العزلة، **(كلهم من طريق محمد بن سوقة)** . بضم السين

كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعًا.

وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة في إرساله ووصله، وفي رفعه ووقفه، ثم في الصحابي، أهو جابر أو عائشة أو عمر. ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر الإرسال، ....

المهملة. الغنوي. بفتح المعجمة، والنون الخفيفة. أبي بكر الكوفي، العابد، ثقة، مرضي من الخامسة، روى له الستة، كما في التقريب، **(عن محمد بن المنكدر)** بن عبد اللَّه التيمي المدني، التابعي، الثقة من رجال الجميع. مات سنة ثلاثين ومائة، أو بعدهما **(عن جابر)** بن عبد اللَّه **(به،)** أي: اللفظ الذي ذكره **(مرفوعًا)** بمعنى قال: قال ﷺ: وهذا صريح في أن الجميع رووا جميع اللفظ المذكور، ومثله في المقاصد، ووقع في الجامع عزوه للبزار وحده، مسقطًا قوله: ولا تبغض إلى نفسك عبادة اللَّه، فلعلهما روايتان في مسند البزار، وفيه يحيى بن المتوكل، أبو عقيل، وهو كذاب، وفيه أيضًا اضطراب بينه بقوله: **(وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة)** في أمور **(في إرساله،)** فرواه بعضهم عنه عن ابن المنكدر مرسلاً مرفوعًا، **(ووصله،)** فروى عنه عن ابن المنكدر، عن جابر والمرسل ما رفعه التابعي، وتسمح من قال ما سقط منه الصحابي، لأنه لو تحقق أن الساقط صحابي، لم يتوقف أحد في الاحتجاج بالمرسل، لعدالة الصحابة كلهم، كما بين ذلك في علوم الحديث، **(وفي رفعه،)** فروى عنه مرفوعًا مرسلاً، أو موصولاً، فهو شامل للأمرين قبله، **(ووقفه،)** فروى عنه موقوفًا على الصحابي، **(ثم)** اختلف عليه أيضًا، **(في الصحابي أهو جابر،)** كما رواه الجماعة المتقدمون، **(أو عائشة، أو عمر،)** كما عند غيرهما.

قال الدارقطني: ليس فيها حديث ثابت، **(ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر الإرسال،)** أي: روايته عنه مرسلاً مرفوعًا على روايتي الوصل والوقف.

زاد السخاوي، وأخرجه البيهقي من حديث ابن عمرو بن العاصي بلفظ: فإن المنبت لا سفرًا قطع، ولا ظهرًا أبقى، فاعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبدًا، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غدًا، وسنده ضعيف أيضًا، مع كون صحابيه عند العسكري عمر إلاَّ ولده، لكن الظاهر أنه من الناسخ، فطريقهما متحد، ورواه ابن المبارك في الزهد عن ابن عمر، موقوفًا بلفظ: إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة اللَّه، فإن المنبت... الخ، وله شاهد عند العسكري، عن علي رفعه: إن دينكم متين، فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا ظهرًا أبقى، ولا أرضًا قطع.

وعند أحمد عن أنس رفعه: أن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، وهو مع اختصاره أجود مما قبله، **(ومعناه: أنه بقي في طريقه عاجزًا عن مقصده لم يقض وطره وقد أعطب)**. بفتح

ومعناه: أنه بقي في طريقه عاجزًا عن مقصده، لم يقض وطره، وقد أعطب ظهره.

والوغول: الدخول، فكأنه قال: إن هذا الدين ـ مع كونه يسيرًا سهلاً ـ شديد، فبالغوا فيه بالعبادة، لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق، فإن من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك أن يمل حتى ينقطع عن الواجبات، فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها من السير على ما لا تطيق رجاء الإسراع، فينقطع ظهره، فلا هو قطع الأرض التي أراد، ولا هو أبقى ظهره سالمًا ينتفع به بعد ذلك.

وقوله عليه الصلاة والسلام: من شاد هذا الدين غلبه.

الهمزة، وإسكان العين، وفتح الطاء المهملتين، وموحدة. **(ظهره)**، أي: مركوبة مجازًا، أو حقيقة على ما في القاموس، كما مر، والإيغال، كما في النهاية السير الشديد، **(والوغول: الدخول)** في الشيء، والظاهر، كما قال بعض: إن المراد في الحديث السير لا بقيد الشدَّة، إذ لا يلائم قوله برفق انتهى، ولذا عدل المصنف عن الإيغال الموافق لقول الحديث: فأوغل، إشارة إلى أنه مستعمل فيه في غير مدلوله اللغوي، بل بمعنى الدخول الذي هو من وغل بوزن وعد، إذا توارى بشجرة ونحوها، ووغل في الشيء دخل فيه مطلقًا، **(فكأنه قال: إن هذا الدين مع كونه يسيرًا،)** أي: مع كون تكاليفه قليلة **(سهلاً)** لانتقاء الأصر الذي كان على من قبلنا، **(شديد)** خبران، أي: شديد القيام به، فلا ينبغي المبالغة في القيام بحقوقه، خارجًا عن الحد، ولا التهاون في ترك شيء منه، **(فبالغوا فيه بالعبادة، لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق،)** فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، **(فإن من بالغ بغير رفق، وتكلف من العبادة فوق طاقته، يوشك أن يمل)** . بفتح الياء والميم. يسأم **(حتى ينقطع عن الواجبات، فيكون مثله)** . بفتحتين. صفته وحاله، **(كمثل الذي يعسف)** . بكسر السين. من باب ضرب يأخذ بقوة **(الركاب)** . بكسر الراء. المطي الواحد، راحلة من غير لفظها، أو المعنى يظلمها.

ففي القاموس عسف السلطان ظلم، فقوله: **(ويحملها من السير،)** أي: يغريها **(على ما لا تطيق،)** عطف علة على معلول، والمعنى ألجأها إلى ما لا تقدر عليه **(رجاء الإسراع فينقطع ظهره)** دابته، **(فلا هو قطع الأرض التي أراد، ولا هو أبقى ظهره سالمًا، ينتفع به بعد ذلك؛)** وهذه كلها عبارة شيخه السخاوي، ثم هذا الحديث، وإن كان ضعيفًا لاضطرابه وضعف راويه، لكنه تقوى بشواهده التي منها قوله: **(وقوله عليه الصلاة والسلام: «من شاد هذا الدين»،)** أي: غالبه، فزاد فيه على طاقته، **(غلبه)** الدين وقهره بحيث ينقطع عن مطلوبه، **(رواه العسكري،)** كذا

رواه العسكري عن بريدة، وللبخاري من حديث معن بن محمد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا: إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه،

أورده المصنف: شاد وغلب فعلاً ماضيًا، والذي عزاه السخاوي للعسكري **(عن بريدة)** بن الحصيب، من يشاد هذا الدين، يغلبه بالمضارع فيهما، قال: وأوّله عند العسكري عليكم هديًا قاصدًا، فإنه من، فذكره، وذكره بهذا اللفظ أيضًا في النهاية، وقال: أي: من يقاومه، ويكلف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته، والمشادة والمشاددة المغالبة، وهو مثل الحديث الآخران هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق اهـ، ورواه القضاعي بدون أوّله، وفي لفظ آخر عند العسكري، فإنه من يغالب الخ...

(وللبخاري) في كتاب الإيمان **(من حديث)** عمر بن عطاء، عن **(معن)** . بفتح الميم، وسكون العين المهملة . **(ابن محمد)** بن معن الغفاري . بكسر الغين المعجمة . الحجازي، المدني، ثقة، قليل الحديث، **(عن سعيد)** ابن أبي سعيد كيسان **(المقبري)** . بضم الموحدة . نسبة إلى مقبرة بالمدينة، كان مجاورًا بها المدني. مات سنة خمس وعشرين ومائة، **(عن أبي هريرة مرفوعًا،)** بمعنى أنه قال عن النبي ﷺ، قال: **(إن الدين،)** أي: دين الإسلام **(يسر،)** أي: ذو يسر، لأن التوافق بين المبتدأ والخبر شرط ولا يكون إلاَّ بالتأويل، أو هو الخبر نفسه، بوضعه موضع اسم المفعول، مبالغة لشهرة اليسر وكثرته، كأنه اليسر نفسه، والتأكيد بأن رد على منكر يسره، إما لأن المخاطب منكر، أو لتنزيله منزلته، أو على تقدير المنكر غيره، أو لأن القصة مما يهتم به، **(ولن يشاد الدين)** بنصبه مفعول فاعله، **(أحد)** الثابت في رواية ابن السكن، وفي بعض الروايات عن الأصيلي، وكذا هو في طرق هذا الحديث عند الإسماعيلي، وأبي نعيم، وابن حبان وغيرهم، وأكثر رواة البخاري بإسقاط لفظ أحد على إضمار الفاعل للعلم به، فالدين نصب على المفعولية أيضًا، وحكى صاحب المطالع، أن أكثر الروايات برفع الدين على أن يشاد، مبني لما لم يسم فاعله، وعارضه النووي بأن أكثر الروايات بالنصب.

قال الحافظ: ويجمع بينهما، بأنه بالنسبة إلى روايات المغاربة والمشارقة، ويؤيد النصب لفظ حديث بريدة عند أحمد، أنه من يشاد هذا الدين يغلبه، ذكره في حديث آخر، يصلح أن يكون هو سبب حديث الباب، **(إلا غلبه)** الدين، والمشادة بالتشديد المغالبة، يقال: شاده يشاده إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلاَّ عجز وانقطع، فيغلب.

وقال الطيبي: بناء المفاعلة في يشاد ليس للمغالبة، بل للمغالبة نحو طارقت النعل، وهو من جانب المكلف، ويحتمل أن يكون للمبالغة في سبيل الاستعارة، والمستثنى منه أعم، عام الأوصاف، أي: لم يحصل، ويستقر ذلك الشاد على وصف من الأوصاف، إلا على وصف

فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة.

المغلوبية.

قال ابن المنير في هذا الحديث: علم من أعلام النبوّة فقد رأينا، ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله، ويغالب النوم، إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس، فخرج وقت الفريضة، وفي حديث: محجن بن الأدرع عند أحمد: لن تنالوا هذا الأمر بالمبالغة، وخير دينكم أيسره، وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء، فيفضي استعماله إلى حصول الضرر، انتهى، (**فسددوا**) بمهملة، أي: الزموا بالسداد، هو الصواب من غير إفراط ولا تفريط.

قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

قال الطيبي: والفاء جواب شرط محذوف، أي: إذا بينت لكم ما في المشادة من الوهن، فسددوا (**وقاربوا**) بموحدة في العبادة، أي: إن لم يستطيعوا الأخذ بالأكمل، فاعملوا بما يقرب من الطيبي، وهو تأكيد للتسديد من حيث المعنى، (**وأبشروا**) بقطع الهمزة، وكسر الشين. من الأبشار، وفي لغة: بضم الشين من البشر، أي: بالثواب على العمل الدائم، وإن قل، أو المراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بأن العجز إذا لم يكن من صنعه، لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيمًا له وتفخيمًا، (**واستعينوا بالغدوة**) بالفتح سير أوّل النهار.

وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداء إلى طلوع الشمس، كذا ضبطه الحافظ، كالكرماني والزركشي، وتوقف فيه المصنف بأن في النهاية الغدوة بالضم ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، وتبعه العيني فضبطه، بالضم (**والروحة**) - بالفتح. السير بعد الزوال، (**وشيء**) أي: واستعينوا بشيء (**من الدلجة**) - بضم أوّله، وفتحه، وإسكان اللام. سير آخر الليل، وقيل: سير الليل كله ولهذا عبر فيه بالتبعيض، ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار، قال الحافظ: وظاهره أن الرواية بضم الدال وفتحها معًا، وذكر الكرماني، وتبعه الزركشي أن الرواية بالضم والفتح لغة.

قال الحافظ: أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات النشيطة، أي: كأوّل النهار، وبعد الزوال، وبالليل قال: فهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر، فكأنه ﷺ خاطب مسافراً إلى مقصده، فنبهه على أوقات نشاطه، لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع،

وقوله: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. ....

وإذا تحرى السير في هذه الأوقات النشيطة أمكنته المداومة من غير مشقة، وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة انتهى، ونحوه للكرماني قائلاً: فنبه الأمة على اغتنام أوقات فرصتهم، وقال البيضاوي: الغدوة والروحة والدلجة استعير بها عن الصلاة في هذه الأوقات، لأنها سلوك وانتقال من العادة إلى العبادة، ومن الطبيعة إلى الشريعة، ومن الغيبة إلى الحضور.

قال الحافظ: وهذا الحديث من إفراد البخاري عن مسلم وصححه، وإن كان من رواية مدلس بالعنعنة، وهو عمر بن علي المقدمي. بضم الميم، وفتح القاف، والدال المشددة، البصري، لتصريحه بالسماع عند ابن حبان من طريق أحمد بن المقدام، أحد شيوخ البخاري عن عمر بن علي المذكور قال: سمعت معن بن محمد، فذكره، وهو من إفراد معن، وهو ثقة، قليل الحديث، لكن تابعه على شقه الثاني ابن أبي ذئب عن سعيد، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق بمعناه، ولفظه: سددوا وقاربوا، وزاد في آخره: والقصد القصد، تبلغوا، ولم يذكر شقه الأوَّل، ومن شواهده حديث عروة الفقيمي. بضم الفاء، وفتح القاف. عن النبي ﷺ، قال: «إن دين اللّه يسر»، وحديث بريدة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «عليكم هديًا قاصدًا، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه»، رواهما أحمد، وإسناد كل منهما ثقات، انتهى.

(وقوله ﷺ: **(«الكيس»)** أي: العاقل بشد الياء مكسورة مأخوذة، من الكيس بفتح فسكون.

قال الزمخشري: حسن التأني في الأمور، وقال ابن الأثير: الرفق في الأمور، وقال الراغب: القدرة على استنباط ما هو أصلح في بلوغ الخير **(من دان نفسه)** أي: أذلها واستعبدها، وقيل: حاسبها، يعني جعل نفسه مطيعة منقادة لأوامر ربها مجتنبه لنواهيه، فلازم الطاعة، وتجنب المعصية.

قال أبو عبيد الدين: الدأب، وهو أن يداوم على الطاعة والدين الحساب، **(وعمل لما بعد الموت)** قبل نزوله ليصير على نور من ربه، فالموت عاقبة أمور الدنيا، فالعاقل من أبصر العاقبة، والأحمق من عمي عنها، وحجبته الشهوات والغفلات، وعاجل الحاصل يشترك في درك ضره ونفعه جميع الحيوانات بالطبع، وإنما الشأن في العمل للآجل، فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، ومنكر ونكير جليسه، والدود أنيسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة والنار مورده، أن لا يكون له فكر، إلاَّ في الموت وما بعده، ولا ذكر الإله، ولا استعداد إلاَّ لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا اهتمام إلا به، ولا انتظار إلا له، وحقيق أن يعد نفسه

والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

رواه الحاكم عن شداد بن أوس، وقال: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي بأن فيه ابن أبي مريم وهو واه. وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن ماجه.

من الموتى، ويراها في أهل القبور، فكل ما هو آت قريب، والبعيد ما ليس بآت، **(والعاجز)** بمهملة، وجيم، وزاي. من العجز، أي: المقصر في الأمور، ورواه العسكري، الفاجر بالفاء والراء من الفجور، **(من أتبع نفسه هواها،)** فلم يكفها عن الشهوات، ولم يمنعها عن المحرمات واللذات.

قال الطيبي: العاجز الذي غلبت عليه نفسه وقهرته، فأعطاها ما تشتهيه، قوبل الكيس بالعاجز، والمقابل الحقيقي السفيه، إيذانًا بأن الكيس هو القادر، والعاجز هو السفيه، **(وتمنى على الله الأماني)**. بشد الياء. جمع أمنية، فهو مع تقصيره في طاعة ربه، واتباع شهوات نفسه، لا يستعد، ولا يعتذر، ولا يرجع، بل يتمنى على الله العفو والجنة، وسقط في رواية لفظ الأماني: وأصل الأمنية ما يقدره الإنسان في نفسه من مني إذا قدر، ولذا يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى.

قال الحسن: إن قومًا ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن أحسن العمل، ذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم، أرداكم فأصبحتم من الخاسرين، وقال سعيد بن جبير: الغرة بالله أن يتمادى الرجل على المعصية، ويتمنى على الله المغفرة.

قال العسكري: وفيه رد على المرجئة، وإثبات الوعيد، وفيه ذم التمني، وأما الرجاء فمحمود، لأن التمني يصاحب الكسل، بخلاف الرجاء، فتعليق القلب بمحبوب يحصل حالاً، **(رواه الحاكم)** في المستدرك في كتاب الإيمان، من حديث أبي بكر بن أبي مريم الغساني، عن ضمرة بن حبيب، **(عن شداء بن أوس، وقال)** الحاكم: **(صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي بأن فيه ابن أبي مريم، وهو واه)** ضعيف جدًا، فكيف يكون على شرط البخاري، **(وكذا رواه العسكري، والقضاعي، والترمذي، وابن ماجه،)** كلاهما في الزهد؛ والإمام أحمد، وفيه عند الجميع ابن أبي مريم.

قال ابن طاهر: مدار الحديث عليه، وهو ضعيف جدًا انتهى، لكن له شاهد، أخرجه البيهقي بإسناد فيه ضعف، عن أنس، رفعه الكيس من عمل، لما بعد الموت، والعاري العاري من الدين، اللهم لا عيش إلاَّ عيش الآخرة.

وقوله: ما حاك في صدرك فدعه.

رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة.

وقوله ﷺ: تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها ....

(**وقوله**) ﷺ: («**ما حاك**») قال في النهاية، أي: أثر ورسخ، يقال: ما يحيك كلامك في فلان، أي: ما يؤثر فيه، وقال غيره: أي: تردد من حاك يحيك إذا تردد، («**في صدرك**») أي: قلبك من المجاز اللغوي استعمل الصدور، أراد القلب والعلاقة، إما المجاورة إن لم يكن القلب في الصدر، وإما الحالية والمحلية إن كان فيه وهذا أقرب من قول بعضهم، أي: قلبك الذي في صدرك، لأن فيه حذف الموصول الإسمي وموصوفه، (**فدعه**) أي: أتركه، لأن نفس المؤمن الكامل ترتاب من الإثم والكذب، فتردده في شيء أمارة كونه حرامًا، فالمتعين أن الذي يعمل بذا الحديث مثل المخاطب به كراويه، (**رواه الطبراني في الكبير**) برجال الصحيح، (**من حديث أبي أمامة**) قال: قال رجل: ما الإثم.. فذكره.

وقوله ﷺ «**تنكح**»، بضم التاء وفتح الكاف. («**المرأة**»)، أي: يقصد عادة نكاحها («**لجمالها**»، أي: حسنها، ويقع على الصور والمعاني، فشمل حسن الصفات أيضًا، والجمال مطلوب في كل شيء، لا سيما المرأة التي تكون قرينة وضجيعة، وعند الحاكم حديث: خير النساء من تسر إذا نظرت، وتطيع إذا أمرت، ولا تخالف في نفسها ومالها.

قال الماوردي: لكنهم كرهوا ذات الجمال البارع، لكونها تزهو بجمالها، («**ومالها**») لأن ذات المال قد لا تكلفه في النفقة، وغيرها فوق طاقته.

قال المهلب: وفيه أن للزوج الاستمتاع بمال زوجته، فإن طابت نفسها بذلك، حل له وإلاَّ فله من ذلك قدر ما بذل لها من الصداق، وتعقب بأن هذا التفصيل ليس في الحديث، ولم ينحصر، قصد نكاح ذات المال في الاستمتاع بمالها، بل قد يقصد حصول ولد منها، فيعود إليه مالها بالإرث، أو لكونها تستغني بمالها عن مطالبته بما تحتاج إليه النساء، واحتج به بعض المالكية، على أن للرجل الحجر على امرأته في ماله، لأنه إنما تزوجها لمالها، فليس لها تفويته، وفيه نظر لا يخفى، («**ودينها**») أي: صيانتها في نفسها ومالها مجرد الإسلام («**وحسبها**») بفتحتين وموحدة. شرفها، وهو في الأصل الشرف بالآباء والأقارب، مأخوذ من الحساب، لأنهم كانوا إذا تفاخروا، عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم، وحسبوها، فيحكم لمن زاد عدده على غيره.

قال أكثم بن صيفي: يا بني تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة الحسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف، وقيل:

وأول خبث المرء خبث ترابه   وأول لؤم المرء لؤم المناكح

فعليك بذات الدين تربت يداك. متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقيل: المراد بالحسب الفعال الحسنة، قال: شمر الحسب، الفعل الجميل للشخص وآبائه، وقيل: المراد به المال، ورد بذكره قبله، وعطفه عليه وللنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم مرفوعًا: إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه المال، وللترمذي والحاكم مرفوعًا: الحسب المال، والكرم، والتقوى، وحمل على أن المراد أن المال حسب من لا حسب له.

وروى الحاكم حديث: تخيروا لنطفكم، (**«فعليك بذات الدين»**) إنما هذا لفظ جابر عند مسلم (**«تربت يداك»**) لصقتا بالتراب وافتقرتا، إن خالفت ما أمرتك به، وهي كلمة جارية على ألسنة العرب، لا يريدون بها حقيقتها.

وروى ابن ماجه مرفوعًا: لا تزوَّجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، أي: يهلكن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن يطغيهن، ولكن تزوَّجوهن على الدين، (**متفق عليه من حديث أبي هريرة**) لكن لا بهذا اللفظ، بل بلفظ: تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك، وذكر اللام، وفي الأربع رواية مسلم، وأسقطها البخاري من وجمالها فقط، ولفظ: فعليك بذات الدين، ليس مما اتفقا عليه، ولا هو من حديث أبي هريرة، إنما انفرد به مسلم من حديث جابر، فتسمح المصنف تسمحًا شديدًا سامحه الله.

قال النووي: الصحيح في معنى هذا الحديث، أنه ﷺ أخبر بما يفعله الناس عادة، وآخرها عندهم ذات الدين، فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين، لأنه أمر بذلك.

وقال البيضاوي: المعنى أن اللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات، أن يكون الدين مطمح نظرهم في كل شيء، لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذا اختاره ﷺ بآكد وجه وأبلغه، فأمر بالظفر الذي هو غاية البغية ومنتهى الاختيار والطلب، الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة.

وقال الطيبي: قوله: فاظفر جزاء مشرط محذوف، أي: إذا تحققت ما فصلته لك تفصيلاً بينًا، فاظفر أيها المسترشد بذات الدين، فإنها تكسبك منافع الدارين.

قال: واللامات المكررة مؤذنة بأن كلاً منها مستقلة في الغرض، وتربت يداك ليس دعاء عليه، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا مقدامًا في الحرب أبلى فيه بلاءً حسنًا، يقولون: قاتله الله ما أشجعه، يريدون به ما يزيد قوّته وشجاعته، وكذلك هنا، فالرجل إنما يؤثر الثلاثة على ذات الدين لإعدامها الثلاثة، فينبغي أن يحمل الدعاء على ما يجب عليه من الفقر، أي: عليك بذات الدين يغنك الله، فيوافق معنى الحديث النص التنزيلي: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من

وقوله: الشتاء ربيع المؤمن، قصر نهاره فصامه وطال ليلة فقامه. رواه البيهقي وأحمد وأبو نعيم مختصرًا، والعسكري بتمامه، كلهم من حديث دراج عن أبي الهيثم ....

عبادكم﴾ [النور: ٣٢]، وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، والصالح هو صاحب الدين، انتهى.

قال النووي: وفي الحديث الحث على مصاحبة أهل الصلاح في كل شيء، لأن من صاحبهم استفاد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم، ويا من المفسدة من جهتهم، وحكى أن رجلاً، قال للحسن: إن لي بنتًا أحبها، وقد خطبها غير واحد، فمن ترى أن أزوجها؟ قال: زوجها رجلاً يتقى الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقال الغزالي: ليس أمره ﷺ بمراعاة الدين نهيًا عن مراعاة الجمال، ولا أمرًا بالإضراب عنه، وإنما هو نهي عن مراعاته مجردًا عن الدين، فإن الجمال في الغالب يرغب الجاهل في النكاح دون التفات إلى الدين، ولا نظر إليه، فوقع النهي عن هذا، قال: وأمره ﷺ مريدًا التزوج بالنظر إلى المخطوبة يدل على مراعاة الجمال، إذ النظر لا يفيد معرفة الدين، وإنما يعرف به الجمال، أو القبح.

(وقوله) ﷺ: **(«الشتاء ربيع المؤمن»،)** تشبيه بليغ، أي: أنه له لسهولة العبادة فيه، ولذته بها، والقيام بها بلا مشقة، كفصل الربيع للماشية الذي يكثر فيه الخصب والماء، فترتفع فيه وتنمو.

قال العسكري: إنما قال ذلك، لأن أحد الفصول عند العرب فصل الربيع، فيه الخصب ووجود المياه والزرع، ولذا كانوا يقولون للرجل الجواد هو ربيع اليتامى، فيقيمونه مقام الخصب في الخير الكثير، كوجوده في الربيع، **(قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه،)** وفي رواية: فصام، فقام بحذف المفعول، لأنه لطوله تأخذ النفس حظها من النوم، ثم تقوم للتهجد والأوراد بنشاط، فيجتمع له فيه نومه المحتاج إليه، مع إدراكه وظائف العبادات، فيكمل له فيه مصلحة دينه وراحة بدنه، بخلاف ليل الصيف، لقصره وحره يغلب فيه النوم، فلا يتوفر فيه ذلك، **(رواه البيهقي، وأحمد،)** وأبو يعلى، **(وأبو نعيم، مختصرًا)** بلفظ الشتاء ربيع المؤمن، **(والعسكري،)** وكذا أبو يعلى، والبيهقي في السنن أيضًا، والقضاعي **(بتمامه)** المذكور، **(كلهم من حديث دراج)** . بفتح الدال المهملة، وتثقيل الراء، فألف، فجيم، ابن سمعان أبي السمع . بفتح المهملة، وسكون الميم، ومهملة، قيل: اسمه عبد الرحمٰن، ودرج لقب السهمي، مولاهم المصري، القاص، روى له الأربعة والبخاري في التاريخ، ومات سنة ست وعشرين ومائة. **(عن أبي الهيثم)** سليمان بن عمرو الليثي، المصري، الثقة.

عن أبي سعيد، وله شواهد.

وإنما كان الشتاء ربيع المؤمن لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويشرح في ميادين العبادات، وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه من الطاعات، فإن المؤمن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش، فإن نهاره قصير بارد فلا يحصل فيه مشقة الصيام.

روى له البخاري في التاريخ، وأصحاب السنن، **(عن أبي سعيد)** الخدري، قال الحافظ: النور الهيثمي إسناده حسن، وقال السخاوي: ودراج ممن ضعفه جماعة، وعد هذا الحديث فيما أنكر عليه، لكن وثقه ابن معين وابن حبان.

وقال ابن شاهين في ثقاته: ما كان من حديثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، فلا بأس به، ومشى عليه شيخنا، يعني الحافظ في تقريبه، فقال: صدوق في حديثه عن أبي الهيثم، ضعيف في غيره، وعكسه أبو داود، فقال: أحاديثه مستقيمة، إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، **(و)** لكن **(له شواهد،)** منها ما رواه الطبراني، وابن أبي عاصم، وغيرهما من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس مرفوعًا: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة، وسعيد ضعيف عند أكثرهم، وقد رواه همام عن قتادة، عن أنس، عن أبي هريرة موقوفًا، أخرجه البيهقي، وأبو نعيم، وعبد اللّٰه بن أحمد، وهو أصح، ومنها ما رواه أحمد، والترمذي، وابن خزيمة، والطبراني، والقضاعي عن ابن مسعود، رفعه بلفظ حديث أنس، وللديلمي عن ابن مسعود مرفوعًا: مرحبًا بالشتاء، تنزل فيه الرحمة، أما ليله فطويل للقيام، وأما نهاره فقصير للصيام، وفي المجالسة عن قتادة لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم، إلا عند انسلاخ الشتاء، **(وإنما كان الشتاء ربيع المؤمن، لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات،)** أي: يجتهد في أنواعها قراءة، وصلاة، وذكرًا وغيرها، فشبه اجتهاده برتوع الماشية، أي: رعيها، كيف شاءت لتيسر الخصب وكثرته، وعدم مانع يمنعها من الرعي، وأطلق عليها بساتين، لأنها باعتبار ما يحصل للنفس الكاملة من اللذات المختلفة بتلك الأنواع، أشبهت البساتين المشتملة على أنواع الفواكه الكثيرة، **(ويشرح في ميادين العبادات)** جمع ميدان، . بفتح الميم وتكسر. محل تسابق الفرسان، أي: يتقلب في محلات العبادات، فهو مساو لسابقه، فالسروخ هو رعي الماشية بنفسها، **(وينزه قلبه في رياض الأعمال)** جمع روضة، وهي الموضع المعجب بالزهور وهو بمعنى ما قبله أيضًا، من حيث المراد **(الميسرة فيه من الطاعات، فإن المؤمن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة، ولا كلفة،)** عطف تفسير، **(ولا يحصل له جوع، ولا عطش، فإن نهاره قصير بارد، فلا يحصل فيه مشقة الصيام،)** أي: وليله طويل لا يحصل فيه مشقة القيام، وتركه اكتفاء.

وقوله عليه الصلاة والسلام: القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى.

رواه الطبراني في الأوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر، والقضاعي بدون: وكنز لا يفنى عن أنس.

وفي القناعة أحاديث كثيرة، ولو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه، وكان من ....

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «**القناعة**») الرضا بالمقسوم («**مال**») أي: كمال بجامع أنها تغني صاحبها عن الناس، كما يغنيه مال («**لا ينفد**») . بفتح الفاء، أي: لا يفنى («**وكنز لا يفنى**») أي: مال مدفون، فهو أخص من الأول، وإن ساواه في المعنى، وذلك، لأن ذا المال ينفق منه متى شاء كيف شاء، والقانع متى تعذر عليه شيء رضى بما دونه، إذ القناعة تنشأ عن غنى القلب ومزيد الإيقان، ومن قنع أخذ بالبركة ظاهرًا وباطنًا، لأن الإنفاق منها لا ينقطع، إذ صاحبها كلما تعذر عليه شيء قنع بما دونه، فلا يزال غنيًا عن الناس، ولذا كان ما يقنع به خير الرزق، كما قال ﷺ: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي»، رواه أحمد والبيهقي وابن حبان، وقال ﷺ: «خير الرزق ما كان يومًا بيوم كفافًا»، رواه ابن عدي والديلمي، أي: ما يقنع به، ويرضى على الوجه المطلوب شرعًا، ومن قنع بالمقسوم، كانت ثقته بالله التي شأنها أن لا تنقطع كنزًا له لا ينقد إمداده، واشعر تشبيه القناعة بالمال أنها إنما تطلب في أمور الدنيا، ليستغني بها عن الناس، ولئلا يشتغل بكثرتها عن الآخرة، لكونه مجبولاً على الشح، كما أجاب به بعض الصوفية قائلاً: أما القناعة من المعرفة بالقليل فمذمومة بنص قوله: ﴿وقل ربي زدني علمًا﴾ [طه: ١١٤]، أي: بك وبأسرار أحكامك لا زيادة التكاليف، فإنه كان يكره السؤال في الأحكام.

(**رواه الطبراني في الأوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر**) القرشي، التيمي، المدني، لين الحديث، روى له الترمذي والبخاري في التاريخ، مات سنة ثمانين ومائة، (**عن أبيه، عن جابر**) بن عبد الله.

قال الذهبي: وإسناده واه، (**والقضاعي بدون وكنز لا يفنى، عن أنس**) رفعه، وكذا رواه بدونها العسكري من الطريق الأولى عن جابر، (**وفي القناعة أحاديث كثيرة**) منها حديث عمرو مرفوعًا: قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه، وعن علي في قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧]، قال: القناعة، وكذا قال: الأسود أنها القناعة والرضا، وعن سعيد بن جبير، قال: لا يحوجنه إلى أحد، (**ولو لم يكن**) كما قال بشر بن الحرث (**في القناعة إلا التمتع بالعز**) أي: شرف النفس وقوّتها بالصبر على ما أعطته، (**لكفى صاحبه، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللهم قنعني بما رزقتني»، وأنشد بعضهم**) وهو ابن دريد:

دعائه عليه الصلاة والسلام: اللّهم قنعني بما رزقتني. وأنشد بعضهم:

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعًا ما عاش مفتقرا

وقوله ﷺ: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، ....

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعًا ما عاش مفتقرا)

والعرف من ياته يحمد مغبته ما ضاع عرف وإن أوليته حجرا

قنوع بضم القاف، المراد الرضا، ويروى: ما ذاق روح الغني، قال المجد: القنوع بالضم السؤال، والتذلل، والرضا بالقسم ضد والفعل كمنع، ومن دعائهم: نسأل اللّه القناعة، ونعوذ به من القنوع، وفي المثل: خير الغني القنوع، وشر الفقر الخضوع، ومقتضاه اتحاد الماضي والمضارع معنى، وفي المصباح: قنع يقنع . بفتحتين. قنوعًا سال، وقنعت به قنعًا من باب تعب، وقناعة رضيت، وهو قنع وقنوع انتهى، وعلى هذا قول القائل:

العبد حران قنع والحر عبدان قنع

فاقنع ولا تقنع فما شيء يشين سوى الطمع

فقوله: إن قنع . بكسر النون، أي: رضي، وثانيًا بفتحها، أي: سال، وفاقنع فارض، ولا تقنع ولا تسأل، وقال أبو العتاهية:

تسربلت أخلاقي قنوعًا وعفة فعندي بأخلاقي كنوز من الذهب

فلم أر خصبًا كالقنوع لأهله وإن يحمل الإنسان ما عاش في الطلب

(**وقوله** ﷺ: «**ما خاب من استخار**) اللّه تعالى»، أي: طلب الخيرة في الأمور منه تعالى، وحقيقتها تفويض الاختيار إليه تعالى، فإنه الأعلم بخيرها للعبد، والقادر على ما هو خير لمستخيره، إذا دعاه بخير له، فلا يخيب أمله، والخائب من لم يظفر بمقصوده، وكان ﷺ كثيرًا ما يقول: «اللهم خر لي واختر لي».

قال ابن أبي جمرة: هذا الحديث عام أريد به الخصوص، فالواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما، والحرام، والمكروه لا يستخار في تركهما، فانحصر الأمر في المباح، وفي المستحب إذا تعارض فيه أمران أيهما يبتدىء به، أو يقتصر عليه.

قال الحافظ: ويدخل في الواجب والمستحب المخير، وفيما كان منه موسعًا، وشمل العموم العظيم والحقير، فرب حقير يترتب عليه أمر عظيم، («**ولا ندم من استشار**») غيره ممن له تبصر ونصيحة.

قال الحراني: والمشورة أن تستخلص حلاوة الرأي وخالصه من خبايا الصدر، كما يشور

ولا عال من اقتصد. رواه الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنس.

وقوله عليه الصلاة والسلام: الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، ....

العسل جانيه، وفي بعض الآثار: نقحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة، وقال الحكماء: من كمال عقلك استظهارك عليه، وإذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور، فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة الفضلاء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا الاستمداد.

وقال بعض العارفين: الاستشارة بمنزلة تنبيه النائم، أو الغافل، فإنه يكون جازمًا بشيء، يعتقد أنه صواب، وهو بخلافه، ولا يشاور لا أمينًا مجربًا، حازمًا، ناصحًا، ثابت الجأش غير معجب بنفسه، ولا متلون في رأيه، ولا كاذب في مقاله، زاد بعضهم: وليس محبًا لغلبة هوى محبوبه عليه، ولا امرأة، ولا متجردًا عن الدنيا لعدم معرفته، ولا منهمكًا في حبها، لأن استيلائها عليه يظلم قلبه، فيفسد رأيه، ولا بخيلاً.

قال ابن عباس: لما نزل وشاورهم في الأمر قال ﷺ: «إما أن اللّٰه ورسوله لغنيان عنها، لكن جعلها اللّٰه رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشدًا، ومن تركها لم يعدم غيًا»، رواه البيهقي بإسناد غريب.

وقال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة لأصحابه من النبي ﷺ رواه الشافعي، ويستحب تقديمها على الاستخارة، كما في المدخل، **(ولا عال من اقتصد،)** أي: ما افتقر من توسط في النفقة على عياله، **(رواه الطبراني في معجمه الأوسط،)** وكذا في الصغير، كما قال النور الهيثمي **(من حديث أنس)** بإسناد ضعيف جداً انتهى، فمن عزاه للصغير فقط، كالفتح والمقاصد، أو للأوسط فقط، كالمصنف والجامع، فقد قصروا وهم، وكذا جزم الحافظ بأن إسناده واه جدًا، لكن له شواهد كثيرة.

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «الاقتصاد»،) أي: التوسط **(«في النفقة»)** وتجنب الإفراط والتفريط فيها **(«نصف المعيشة»).**

قال الطيبي: وذلك لأن كلا طرفي التبذير والتقتير ينغص المعيشة، والتوسط فيه هو العيش، والعيش نوعان: عيش الدنيا وعيش الآخرة، كما أن العقل نصفان مطبوع ومسموع، والمسموع صنفان: معاملة مع اللّٰه، ومعاملة مع الخلق، وقال غيره: التوسط في النفقة يحصل به راحة للعبد وحسن حال، وذلك نصف ما به الحياة، فقد قيل: كمال العيش شيئان: مدة الأجل وحسن الحال، فمدة الأجل لا دخل للعبد فيها بوجه، وحسن الحال وإن كان من اللّٰه، لكنه جعل للعبد مدخلاً فيه، بالسعي في أسبابه المحصلة له عادة، **(«والتودد»،)** أي: التحبب **(إلى**

والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم.

رواه البيهقي في الشعب، والعسكري في الأمثال، وابن السني والديلمي من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعًا. وضعفه البيهقي، لكن له شاهد عن العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن أنس رفعه: الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين. وكذا أخرجه الطبراني وابن لال. ....

الناس،) بالأخذ في أسباب المحبة، كملاقاتهم بالبشر، وطلاقة الوجه، وحسن الخلق، والرفق وغير ذلك، (**«نصف العقل»**،) لأنه يبعث على السلامة من شرهم ومحبتهم، أي: نصف ما يرشد إليه العقل، ويحصله جعله نصفان مبالغة، حتى كأن ما يرشد إليه من المحاسن هو نفسه، وقال بعضهم: ما يرشد إليه العقل صنفان: معاملة مع اللَّه، ومعاملة مع الخلق، كما قيل: العقل العبودية للَّه، وحسن المعاملة مع خلقه، (**«وحسن السؤال نصف العلم»**،) فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هو بشأنه، أعني، وهذا يحتاج إلى فضل تمييز بين مسؤول ومسؤول، فإذا ظفر بمبتغاه وفاز به، كمل علمه، وعليه يحمل قوله: لا أدري نصف العلم، ذكره الطيبي، وقال غيره: إذا أحسن سؤال شيخه أقبل عليه بقلبه وقالبه، وأوضح له ما أشكل، وأبان له ما أعضل، لكونه وجد استعدادًا وقابلاً، وإذا لم يحسن السؤال أعرض عنه، وضن بإلقاء النفائس إليه، وقنع من الجواب يئزر يسير مما يورده عليه، (**رواه البيهقي في الشعب**،) والطبراني في مكارم الأخلاق، (**والعسكري في الأمثال، وابن السني**) . بضم المهملة، وشد النون. نسبة إلى السنة، ضد البدعة الحافظ، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحٰق بن إبراهيم الدينوري.

روى عن جماعة منهم النسائي، واختصر سننه الكبرى، وسماه المجتبى، وله عمل يوم وليلة، وغير ذلك، وتوفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، (**والديلمي من طريقه، والقضاعي كلهم من طريق نافع، عن ابن عمر مرفوعًا، وضعفه البيهقي، لكن له شاهد عن العسكري من حديث خلاد بن عيسى**) الصفار، أبي مسلم الكوفي لا بأس به، روى له الترمذي، وابن ماجه (**عن ثابت**) البناني، (**عن أنس رفعه «الاقتصاد نصف العيش»**،) أي: المعيشة (**«وحسن الخلق**) . بالضم. **نصف الدين»**،) لأنه يكسب صاحبه ملكة تامة، يقتدر بها على تجنب ما يخل بمروءاته ودينه، فمن حازه توفر عليه نصف الدين، فليتق اللَّه في النصف الثاني، بخلاف سوء الخلق، فيوقع صاحبه في رقة الديانة، وقلة الأمانة، ويورطه في القبائح كرهًا عليه، فإنه عند ثوران الغضب لا يدري ما يقول، ولا ما يفعل، (**وكذا أخرجه الطبراني**،) والخطيب، (**وابن لال**) أحمد بن علي، ولال أخرس، (**ومن شواهده أيضًا للعسكري عن أنس، رفعه السؤال نصف العلم**،) أي: حسنه

ومن شواهده أيضًا: ما للعسكري عن أنس رفعه: السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال امرؤ في اقتصاد. وللديلمي من حديث أبي أمامة رفعه: السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة.

وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق. وهذا

بدليل اللفظ السابق (**والرفق**،) أي: الاقتصاد في النفقة بقدر ذات (**نصف المعيشة**،) وهي ما يعاش به من أسباب العيش، (**وما عال امرؤ**،) أي: افتقر، (**في اقتصاد**)، وورد الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة، ورواه الدارقطني والطبراني وغيرهما، ويروى كما في الفردوس: خير من كثير من التجارة، (**وللديلمي من حديث أبي أمامة رفعه السؤال**،) أي: حسنه، (**نصف العلم، والرفق نصف المعيشة**،) وجاء في خبر من فقه الرجل رفقه في معيشته.

قال مجاهد: ليرفق أحدكم بما في يده، ولا يتأول قوله: وما أنفقتم من شيء، فهو يخلفه، فإن الرزق مقسوم، فلعل رزقه قليل، فينفق نفقة الموسع، ويبقى فقيرًا حتى يموت، بل معنى الآية: إن ما كان من خلف، فمنه سبحانه، فلعله إذا أنفق بلا إسراف ولا إقتار، كان خيرًا من معاناة بعض التجار.

(**وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي ﷺ، قال له: «يا أبا ذر لا عقل»**،) أي: لا شيء مما يؤدي إليه العقل من المحاسن، (**كالتدبير**،) وهو النظر في العواقب لأمن صاحبه الغوائل والوقوع فيما يضره.

قال الطيبي: أراد بالتدبير العقل المطبوع، وقال القيصري: هو خاطر الروح العقلي، وهو خاطر التدبير لأمر المملكة الإنسانية، والنظر في جميع الخواطر الواردة عليه من جميع الجهات، ومنه يؤخذ الفهوم والعلوم الربانية، (**ولا ورع**،) أي: لا شيء من أسباب تؤدي إلى الورع، وهو اجتناب الشبهات، خوفًا من الوقوع في الحرام، (**كالكف**،) أي: منع النفس عن الحرام والمكروه، فمن فعله بعد عن الشبهات، والورع في الأصل الكف، ثم استعير للكف عن المحارم، فإن قيل: يلزم اتحاد المشبه والمشبه به، أجيب بأنه إذا أطلق فهم منه كف الأذى، أو كف اللسان، فكأنه قيل: لا ورع كالصمت، أو كف الأذى عن الناس، أو عن المحارم، (**ولا حسب**،) أي: لا شيء يفتخر به من الصفات الحميدة، (**كحسن الخلق**) مع الخلق، فالأوّل عام والثاني خاص، (**وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب**،) وقد أبعد شيخه السخاوي النجعة في الغزو، فإنه في سنن

اللفظ عند البيهقي في الشعب. وله وأيضًا وللعسكري عن علي مرفوعًا: التودد نصف الدين، وما عال امرؤ قط على اقتصاد، أي: ما افتقر من أنفق قصدًا ولم يجاوزه إلى الإسراف.

وقوله عليه الصلاة والسلام: المؤمن من أمنه الناس. رواه الترمذي.

وقوله: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ....

ابن ماجه عن أبي ذر بلفظه، (**وله أيضًا وللعسكري عن علي مرفوعًا، التودد نصف الدين، وما عال امرؤ قط على اقتصاد،**) صلة لمحذوف، أي: اشتمل على اقتصاد، وتتمة ذا الحديث: «واستنزلوا الرزق بالصدقة، وأبى اللّه أن يجعل رزق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون»، (**أي: ما افتقر من أنفق قصدًا،**) توسطًا بقدر ذات اليد، (**ولم يجاوزه إلى الإسراف،**) وفي التنزيل: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ [الفرقان: ٦٧] الآية، وللديلمي عن أنس رفعه: أن أحدكم يأتيه اللّه عز وجل برزق عشرة أيام في يوم واحد، فإن هو حبس عاش تسعة أيام بخير، وإن هو وسع وأسرف قتر عليه تسعة أيام.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من أمنه الناس»،**) أي: من حقه أن يكون موصوفاً بذلك، أو المراد المؤمن الكامل، (**رواه الترمذي،**) وحسنه وابن ماجه، كلاهما من حديث فضالة بن عبيد بزيادة: من أموالهم وأنفسهم، والمهاجرة من هجر الخطايا والذنوب، وهو عطف تفسير، أو عام على خاص.

(**وقوله** ﷺ: («**المسلم**) الكامل، فأل للكمال نحو زيد الرجل»، أي: الكامل في الرجولية، وإثبات اسم الشيء على معنى إثبات الكمال له مستفيض، أو المراد علامة المسلم، الذي يستدل بها على إسلامه، (**من سلم المسلمون**) والمسلمات وأهل الذمة، فخرج مخرج الغالب، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه أشد تأكيدًا، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا، وإن كان فيهم من يجب الكف عنه (**من لسانه ويده،**) إلاَّ في حد، أو تعزير، أو تأديب، وخص اللسان بالذكر، لأنه المعبر عما في النفس واليد، لأن أكثر الأفعال بها، واستشكل تقدير الكامل باستلزامه أن المتصف بهذا فقط يكون كاملاً، وأجيب بأن المراد مع مراعاة باقي الصفات التي هي أركان الإسلام.

قال الخطابي: أفضل المسلمين من جمع أداء حقوق اللّه وأداء حقوق المسلمين.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه، لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه، فأولى أن يحسن معاملة ربه من باب التنبيه بالأدنى على

والمهاجر من هجر ما حرم الله عليه، متفق عليه عن ابن عمرو، به مرفوعًا، وعن أبي موسى، ومسلم عن جابر.

وقوله: قلة العيال أحد اليسارين.

الأعلى.

قال: والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد، لأن اللسان يمكنه القول في الماضين والموجودين والجائين بخلاف اليد، نعم يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة، وإن أثرها في ذلك لعظيم، ونكتة التعبير باللسان دون القول شموله من أخرج لسانه استهزاء، وذكر اليد دون غيرها من الجوارح، ليدخل اليد المتعدية على حق الغير بلا حق، وفيه من أنواع البديع تجنيس الاشتقاق، وهو كثير، **(والمهاجر)** حقيقة بمعنى الهاجر، وإن اقتضى المفاعل وقوع فعل بين اثنين، لكنه هنا للواحد كالمسافر، ويحتمل أنه على بابه، إذ من لازم كونه هاجرًا وطنه، مثلاً أنه مهجور منه، **(من هجر ما حرم الله عليه،)** هذا لفظ رواية النسائي وأبي داود، ولفظ البخاري: من هجر ما نهى الله عنه.

قال الحافظ: والهجرة ضربان: ظاهرة، وهي الفرار بالدين من الفتن، وباطنة، وهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك، لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم، حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه، ويحتمل أن يكون ذلك قبل انقطاع الهجرة، فلما فتحت مكة تطييبًا لقلوب من لم يدرك ذلك، بأن حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى عنه، فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع من معاني الحكم والأحكام، **(متفق عليه، عن ابن عمرو)** بن العاصي **(به مرفوعًا وعن أبي موسى،)** كذا وقع المصنف تبعًا لشيخه في المقاصد بالحرف، وهو منابذ لقول الحافظ في الفتح، هذا الحديث من إفراد البخاري عن مسلم، أخرج مسلم معناه من وجه آخر، وزاد ابن حبان، والحاكم في المستدرك من حديث أنس صحيحًا، والمؤمن من أمنه الناس وكأنه اختصره هنا لتضمنه لمعناه انتهى، **(ومسلم)** وحده **(عن جابر)** بلفظ: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده دون بقيته، فإيذاء المسلم من نقصان الإيمان، والإيذاء ضربان: ضرب ظاهر بالجوارح،، كأخذ المال بنحو سرقه، أو نهب، وضرب باطن كالحسد، والغل، والبغض،، والحقد، والكبر، وسوء الظن، والقسوة ونحو ذلك، فلذلك كله مضربًا لمسلم مؤذ له، وقد أمر الشرع بكف النوعين من الإيذاء، وهلك بذلك خلق كثير.

(وقوله) ﷺ: **(«قلة العيال أحد اليسارين»،)** لأن الغنى نوعان: غنى بالشيء والمال، وغنى عن الشيء لعدم الحاجة إليه، وهذا هو الحقيقي، فقلة العيال لا حاجة معها إلى كثرة المؤن، وقيل: اليسار خفض العيش، أي: سعته والراحة فيه، وزيادة الداخل على الخرج، أو وفاء الدخل

رواه صاحب مسند الفردوس ولفظه: التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين.

وقوله عليه الصلاة والسلام: أد الأمانة إلى من ائتمنك ....

بالخرج، فمن كثر عياله، ودخله، وفضل له من دخله، أو وفى دخله بخرجه، أو قل عياله ودخله وفضل، أو وفى، فهو في يسر،، ومن قل دخله، وكثر عياله في عسر، (**رواه صاحب مسند الفردوس**) الديلمي عن أنس، وكذا القضاعي عن علي، (**ولفظه: التدبير،**) أي: النظر في عواقب الأمور (**نصف المعيشة،**) إذ به يحترز عن الإسراف والتقتير، وكمال العيش شيئان: مدة الأجل وحسن الحال فيها، ولا يعارض هذا قول الصوفية: أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك، لأن الحديث في تدبير صحبة تفويض، وكلامهم فيما لم يصحبه، (**والتودد**) التحبب إلى الناس (**نصف العقل، والهم نصف الهرم،**) وهو ضعف ليس وراءه قوّة، فإن لم يصل إلى الهرم؛ وزال الهم عادت القوّة،، فالهم إذا نصف الضعف، (**وقلة العيال أحد اليسارين**).

وفي المقاصد: حديث قلة العيال أحد اليسارين، وكثرته أحد الفقرين، القضاعي عن علي، والديلمي عن غيره بالشطر الأول، مرفوعًا بسندين ضعيفين، وذكره في الإحياء بتمامه.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «أد»**) . بفتح الهمزة وكسر الدال، وجوبًا في الواجب، وندبًا فيما تطلب فيه المعاونة من الأداء.

قال الراغب: وهو دفع ما يجب دفعه وتوفيته، أي: أوصل (**«الأمانة»،**) وهي كل حق لزمك أداؤه، أو حفظه، ومن قصرها على حق الحق، أو حق الخلق، فقد قصر.

قال القرطبي: الأمانة تشمل أعدادًا كثيرة، لكن أمهاتها الوديعة، واللقطة، والرهن، والعارية، (**«إلى من ائتمنك»**) عليها، ولا مفهوم له، بل غالبي، فإن حفظها أثر كمال الإيمان، فإذا نقص نقصت الأمانة في الناس، وإذا زاد زادت، والمراد من جعل لك شرعًا على ما لديه يدًا، فشمل ما إذا ألقت الريح ثوبًا ببيتك، أو دخل فيه جائع، والمراد بأدائها إيصالها إليه بالتخلية بينه وبينه، فليست الأمانة بالمعنى المصطلح عليه عند الفقهاء، من أنها ما لم يضمنه ذو اليد إذا لم يقصر.

وقال النووي: الظاهر أن المراد بالأمانة التكليف الذي كلف الله به عباده، والعهد الذي أخذه الله عليهم، وهي التي في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية، وفي النهاية: الأمانة تقع على الطاعة، والعبادة، والوديعة، والثقة، والأمان.

وقال الفخر الرازي: قيل هي التكاليف سمى أمانة، لأن من قصر فعليه الغرامة، ومن وفى

ولا تخن من خانك.

رواه أبو داود والترمذي من رواية شريك وقيس بن الربيع، ....

فله الكرامة، وقيل: هي لا إلٰه إلاّ اللّٰه، وهو بعيد، فالأكوان ناطقة بأن اللّٰه واحد، وقيل: هي الأعضاء، فالعين أمانة ينبغي حفظها، والأذن كذلك، وبقية الأعضاء، وقيل: هي معرفة اللّٰه، ولما كانت النفوس نزاعة إلى الخيانة، رواغة عنه مضايق الأمانة، وربما تأولت جوازها مع من لم يلتزمها، أعقبه بقوله: **«ولا تخن من خانك»** أو لأن الأول عام، والثاني في شيء خاص، فلا يقال يستغنى بالأول عن الثاني، أي: لا تعامله بمعاملته، ولا تقابل خيانته بخيانتك، فتكون مثله، وليس منها ما يأخذه الإنسان من مال من جحد حقه إذ لا تعدى فيه، أو المراد إذا خانك صاحبك، فلا تقابله بجزاء خيانته وإن كان حسنًا، أي: جائزًا، بل قابله بالأحسن الذي هو العفو، وادفع بالتي هي أحسن.

قال الطيبي: وهذا أحسن، وهذه مسألة خلافية، لا تخن من خانك مطلقًا، وهذا ظاهر الحديث: خن من خانك، قاله الشافعي، وهو مشهور. ومذهب مٰلك، وأجابوا عن ذا الحديث: بأنه لم يثبت أولاً، أتأخذ منه أزيد من حقك، أو هو إرشاد إلى الأكمل، كما مر، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤]، وبحديث هند، وهو قوله ﷺ: «خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف».

ثالثها إن كان من ائتمنك عليه، من خانك فلا تخنه، وإن كان ليس في يدك، فخذ حقك منه، قاله مٰلك.

رابعها: إن كان من جنس حقك فخذ، وإلا فلا، قاله أبو حنيفة.

قال ابن العربي: والصحيح جواز الإعتداء، بأن تأخذ مثل مٰلك من جنسه، أو غير جنسه إذا عدلت، لأن ما للحاكم فعله إذا قدرت تفعله إذا اطررت انتهى. وسبب الحديث، كما رواه إسحٰق بن راهويه في مسنده أن رجلاً زنى بامرأة آخر، ثم تمكن الآخر من زوجة الزاني، بأن تركها عنده، وسافر، فاستشار النبي ﷺ في الأمر، فقال له، فذكره.

(رواه) البخاري في التاريخ، و**(أبو داود، والترمذي)** في البيوع، **(من رواية شريك)** بن عبد اللّٰه النخعي، الكوفي، قاضيها صدوق يخطىء كثيرًا، تغير حفظه منذ ولي القضاء، وكان عادلاً فاضلاً شديدًا على أهل البدع، مات سنة سبع، أو ثمان وسبعين ومائة، **(وقيس بن الربيع،)** الأسدي، الكوفي، ضعيف تغير، لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه، فحدث به، مات سنة بضع وستين ومائة، **(كلاهما عن أبي صالح،)** ذكوان السمان الزيات المدني، ثقة ثبت،

كلاهما عن أبي صالح والحٰرث من رواية الحسن، كلاهما عن أبي هريرة. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه الدارمي في مسنده، والحاكم وقال: إنه صحيح على شرط مسلم، ولكن أعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي. وقال أبو حاتم: إنه منكر، وقال الشافعي: إنه لي بثابت عند أهله. وقال أحمد: هذا حديث باطل لا أعرفه عن النبي ﷺ من وجه صحيح. قال شيخنا: لكن بانضمامها يقوى الحديث. انتهى.

وقوله: الرضاع يغير الطباع، ....

كان يجلب الزيت إلى الكوفة، مات سنة إحدى ومائة، (و) رواه (**الحٰرث**) بن أبي أسامة (**من رواية الحسن**) البصري، (**كلاهما**) يعني أبا صالح والحسن، (**عن أبي هريرة**).

(**وقال الترمذي حديث حسن غريب، وأخرج الدارمي في مسنده، والحاكم، وقال: إنه صحيح على شرط مسلم**) لأنه روى لشريك، (**ولكن أعله ابن حزم، وكذا ابن القطان والبيهقي**).

(**وقال أبو حاتم: إنه منكر**) أي: ضعيف، (**وقال الشافعي**) الإمام: (**إنه ليس بثابت**) أي: ضعيف (**عند أهله**) أي: الحديث.

(**وقال أحمد**) الإمام: (**هذا حديث باطل**) ولعله باعتبار ما وقف عليه، وإلاَّ فليس في رواته، وضاع، ولا كذاب أو ليس مراده حقيقة البطلان، بل الضعف، بدليل قوله: (**لا أعرفه عن النبي ﷺ من وجه صحيح**) وقال ابن ماجه: له طرق ستة، كلها ضعيفة.

(**قال شيخنا**) أي: السخاوي في المقاصد: (**لكن بانضمامها يقوي الحديث، انتهى**) لأن تباين الطرق وكثرتها يفيد قوّة، وأن للحديث أصلاً، وقد رواه الدارقطني والطبراني في الكبير والصغير، من حديث أنس ورجاله ثقات، وصححه الضياء في المختارة، ورواه الطبراني في الكبير، وابن عساكر والبيهقي من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف، والدارقطني عن أبي بن كعب بإسناد ضعيف، والطبراني أيضًا عن رجل من الصحابة، فحديث أبي هريرة: لا يقصر عن درجة الحسن، وقد صححه ابن السكن.

(**وقوله**) ﷺ: («**الرضاع**») أي: اللبن الذي يشربه الطفل من غير أمه، وحقيقته مصّ الثدي، استعمل في اللبن مجازًا، («**يغير الطباع**») أي: يغير طبع الصبي عن لحوقه بطبع والديه إلى طبع مرضعته، لصغره ولطف مزاجه، فمراد الحديث حث الوالدين على توخي مرضعة، ظاهرة العنصر، زكية الأصل، ذات عقل ودين، وخلق حسن، والطباع ما تركب في الإنسان من جميع

رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر.

وقوله عليه الصلاة والسلام: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد

الأخلاق التي لا يكاد يزاولها من خير وشر، كذا في النهاية.

وفي المصباح: الطبع . بالسكون . الجبلة التي خلق الإنسان عليها.

قال الديريني: والعادة جارية بأن من ارتضع امرأة غلب عليه أخلاقها من خير وشر، ومن ثم لما دخل الشيخ أبو محمد الجويني بيته، ووجد ابنه الإمام أبا المعالي يرضع ثدي غير أمه اختطفه منها، ثم نكس رأسه، ومسح بطنه، وأدخل أصبعه في فيه، ولم يزل يفعل كذلك حتى خرج ذلك اللبن قائلاً: يسهل عليّ موته، ولا تفسد طباعه بشرب لبن غير أمه، ثم لما كبر الإمام كان إذا حصلت له كبوة في المناظر، يقول: هذه من بقايا تلك الرضعة، (**رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر**) بن الخطاب، والقضاعي، والديلمي، وابن لال عن ابن عباس، وادعى بعضهم أنه حديث حسن، وتعقب بأن فيه صالح بن عبد الجبار.

قال في الميزان: أتى بخبر متكبر جدًا، وساق هذا الحديث، وفيه أيضًا عبد الملك بن مسلمة مدني ضعيف.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا إيمان**) كامل (**لمن لا أمانة له»**) فالأمانة لب الإيمان، وهي منه بمنزلة القلب من البدن، وهي في العين، والسمع، واللسان، واليد، والرجل، والبطن، والفرج، فمتى ضيع جزء منها ضعف إيمانه بقدره، (**«ولا دين»**) أي: لا خضوع، ولا انقياد لأوامر اللَّه ونواهيه وأمانته، والعهد الذي وضعه اللَّه بينه وبين عباده يوم إقرارهم بالربوبية في حمل أعباء الوفاء في جميع جوارحه، فمن استكمل الدين استوفى الجزاء، ومن أوفى بعهده من اللَّه، (**«لمن لا عهد له»**) لأن اللَّه إنما جعل المؤمن مؤمنًا ليأمن الخلق جوره، واللَّه عدل لا يجور، وإنما عهد إليه، ليخضع له بذلك العهد فيأتمر بأموره، ذكره الحكيم والترمذي.

قال البيضاوي: هذا وأمثاله وعيد لا يراد به الوقوع، وإنما يقصد به الزجر والردع، ونفي الفضيلة والكمال دون الحقيقة في رفع الإيمان وإبطاله.

وقال المظهري: معنى: لا دين لمن لا عهد له، أن من جرى بينه وبين أحد عهد، ثم غدر بلا غدر شرعي، فدينه، ناقص إما لعذر، كنقض الإمام المعاهدة مع الحربي لمصلحة فجائز.

قال الطيبي: وفي الحديث إشكال، لأن الدين والإيمان والإسلام أسماء مترادفة موضوعة، لمفهوم واحد في عرف الشرع، فلم فرق بينها، وخص كل واحد منها بمعنى، وجوابه أنهما وإن اتفقا لفظًا، فقد اختلفا هنا معنى، لأن الأمانة ومراعاتها إما مع اللَّه، فهي ما كلف به من الطاعة، وتسمى أمانة، لأنه لازم الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء، وأما مع الخلق فظاهر، وأن العهد

له. رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والبيهقي في الشعب عن أنس.

وقوله: النساء حبائل الشيطان. رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر.

وقوله عليه الصلاة والسلام: حسن العهد من الإيمان.

رواه الحاكم في مستدركه ....

توثيقه، أما مع الله فاثنان: الأوَّل ما أخذه على ذرية ءادم في الأزل، وهو الإقرار بروبيته قبل خلق الأجساد، والثاني ما أخذه عند هبوط ءادم إلى الدنيا من متابعة هدى الله من الاعتصام بكتاب ينزله ورسول يرسله، وأما مع الخلق فظاهر أيضًا، فحينئذ ترجع الأمانة والعهد إلى طاعته تعالى بأداء حقوقه وحقوق عباده، كأنه لا إيمان، ولا دين لمن لا يفي بعهد الله بعد ميثاقه، ولا يؤدي أمانته بعد حملها، وهي التكاليف من أمر ونهي، (**رواه أحمد، وأبو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الشعب، عن أنس.**) قال الذهبي: وسنده قوي، وصححه ابن حبان.

(**وقوله** ﷺ: «الشباب شعبة من الجنون، و (**النساء حبائل الشيطان**»،) أي: مصايده جمع حبالة بالكسر، ما يصاد به من أي شيء كان ويروى بهما، والرواية بالجمع أكثر، قاله السخاوي، والمراد أن النساء آلات للشيطان، يتوصل بهن إلى إغواء الفسقة، فإنهم إذا رأوا النساء، مالت قلوبهم إليهن سيما المتبرجات، فالنساء له كالشبكة التي تصاد بها الوحوش النافرة، فأرشد ﷺ لكمال شفقته على أمته إلى الحذر من النظر إليهن، والقرب منهن، وكف الخاطر عن الالتفات إليهن باطنًا ما أمكن.

وقال في حديث: اتقوا الدنيا والنساء، فخصهن لكونهن أعظم أسباب الهوى، وأشد آفات الدنيا، (**رواه**) الديلمي بتمامه (**في مسند الفردوس**) وكذا القضاعي، (**عن عقبة بن عامر**) الجهني، ورواه الديلمي أيضًا عن عبد الله بن عامر، وأبو نعيم عن عبد الرحمٰن بن عابس، وابن لال عن ابن مسعود، والخرائطي والتيمي عن زيد بن خالد، وهو حديث حسن، ولا ينافي قوله: الشباب شعبة من الجنون، قول سفيٰن الثوري: يا معشر الشباب عليكم بقيام الليل، فإنما الخير في الشباب، لكونه محلاً للقوة والنشاط غالبًا.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «حسن العهد»**)، قال السخاوي: ينصرف لغة إلى وجوه أحدها، الحفظ والمراعاة، وهو المراد هنا (**من الإيمان**،) أي: من أخلاق أهله وخصائلهم، أو من شعب الإيمان، أو كماله، وأما عهد الدخول في الإيمان، فذاك الإيمان، وظاهر أيضًا أنه يسمى وفاء بالإيمان، ويكفيه مشرفًا ومدحًا، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، (**رواه الحاكم في مستدركه**) في كتاب الإيمان، ومن طريقه الديلمي من حديث الصغاني، عن أبي عاصم قال: حدثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة، (**عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي** ﷺ **وهو عندي، فقال**

عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها: من أنت؟ فقالت: جثامة المزنية قال: أنت حسانة، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان، وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة.

وقوله عليه الصلاة والسلام: الخمر جماع الإثم.

لها: «**من أنت**»؟ **فقالت: جثامة المزنية**،) قال في الإصابة: بجيم ومثلثة ثقيلة، أي: فألف، فميم غير النبي ﷺ اسمها، و(**قال**: «**أنت حسانة**»)، بحاء وسين مهملتين، أي: وبعد الألف نون ا هـ، فلم يصب من قال هو من تمام إظهار الميل إليها والشفقة عليها، لا للشك في أنها هي أو غيرها، لأنه مبني على تصحيف أخبارها باسمها بالاسم الذي غيره المصطفى دون مراجعة المنقول (**كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي**) يا رسول اللّه، (**فلما خرجت قلت: يا رسول اللّه تقبل**،) بحذف همزة الاستفهام التقريري، أي: أتقبل (**على هذه العجوز هذا الإقبال**) الزائد، (**قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة**،) فلنا بها معرفة قديمة، (**وإن حسن العهد**) الوفاء والحفظ، ورعاية الحرمة (**من الإيمان، وقال**) الحاكم: (**إنه صحيح على شرط الشيخين، وليس له علة**،) وأقره الذهبي، وأخرجه ابن عبد البر من الطريق التي أخرجه الحاكم، وقال: هذا أصح من رواية من روى ذلك في ترجمة الحولاء بنت تويت، ثم رواه من طريق الكديمي، عن أبي عاصم، عن صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: استأذنت الحولاء على رسول اللّه.. فذكره.

وقال: هكذا رواه الكديمي، والصواب: أن هذه القصة لحسانة المزنية، كما تقدم، وتعقبه في الإصابة؛ بأنه لا يمتنع احتمال التعدد، كما لا يمتنع احتمال أن حسانة اسمها والحولاء وصفها، أو لقب لها، وقد اعترف أبو عمر؛ بأن الكديمي لم يقل بنت تويت، فلم يصب في إيراده في ترجمة بنت تويت، ثم اعتراضه، وإنما هي أخرى أن ثبت السند والعلم عند اللّه اهـ، وقول السخاوي يحتمل التعدد مع بعده لاتحاد الطريق فيه نظر فليست متحدة، لأن طريق الحاكم، وأبي عمر في أنها حسانة، ليس فيها الكديمي الذي سماها الحولاء، وإن توافقا فيما فوقه، ولذا يستبعد شيخه في الإصابة احتمال التعدد.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام**،) فيما رواه الديلمي في حديثه عن عقبة: («**الخمر جماع الإثم**») . بكسر الجيم والتخفيف، أي: مجمعه ومظنته، كما في النهاية، أي: شربها سبب لكل إثم، لحملها الشارب على مجاوزة الحدود، كما قال ﷺ: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر،

وقوله ﷺ: جمال الرجل فصاحة لسانه.

رواه القضاعي من حديث الأوزاعي والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر، كلاهما عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعًا.

وأخرجه أيضًا الخطيب وابن طاهر، وفي إسناده أحمد بن عبد الرحمٰن بن الجارود الرقي والديلمي من حديث جابر رفعه: الجمال صواب المقال، ....

من شربها ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته»، رواه الطبراني، وقال: «الخمر أم الخبائث»، رواه القضاعي.

(وقوله ﷺ: **«جمال الرجل فصاحة لسانه»**)، أي: قدرته على التكلم ببلاغة وفصاحة، بلا تلعثم ولا لكنة، لأنه يظهره ويميزه على غيره، فأطلق الجمال على الكمال مجازًا، إذ الجمال الحسن، والمراد هنا كونه من فصحاء المصاقع، الذين أوتوا سلاطة الألسن وبسطة المقال من غير تصنع ولا ارتحال، فلا يناقضه خبر أن اللّٰه يبغض البليغ من الرجال، لأنه فيما فيه تيه ومبالغة في التشدق والتفصح، وذا في خلقي صحبة اقتصاد وساسه العقل، ولم يرد به الاقتدار على القول إلى أن يصغر عظيمًا، أو يعظم صغيرًا، أو ينض الشيء، أي: يظهره وضده، كما يفعله أهل زماننا، ذكره ابن قتيبة، (**رواه القضاعي من حديث الأوزاعي**) عبد الرحمٰن بن عمر، والأوزاعي، الفقيه، الثقة، الجليل من رجال الستة، مات سنة سبع وخمسين ومائة، (**والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر**،) التيمي، (**كلاهما**،) أي: الأوزاعي والمنكدر، (**عن محمد بن المنكدر**) بن عبد اللّٰه التيمي، المدني، الثقة، أحد رجال الجميع، مات سنة ثلاثين ومائة، أو بعدها، (**عن جابر**) بن عبد اللّٰه (**مرفوعًا، وأخرجه أيضًا الخطيب، وابن طاهر**) محمد، أبو الفضل بن طاهر بن علي المقدسي، الشيباني، الحافظ، الكبير، الجوال، روى عن خلائق بأربعين بلدًا، أو أكثر، وعنه الديلمي وغيره.

قال ابن منده: كان أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقًا عالمًا بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لازمًا للأثر، وقال غيره: ما كان له نظير، وكان ظاهريًا يرى إباحة السماع،، ونظر المرد، ولحنة لا يحسن النحو، مات سنة ثمان وخمسمائة وله ستون سنة.

(**وفي إسناده أحمد بن عبد الرحمٰن بن الجارود الرقي**،) وهو كذاب، ومن بلاياه هذا الخبر، قاله الخطيب، وقال ابن طاهر: كان يضع الحديث، (**وللديلمي من حديث جابر، رفعه الجمال صواب المقال**،) من إضافة الصفة للموصوف، أي: القول الصواب، وكذا يقال في قوله: (**«والكمال حسن الفعال»**،) أي: الفعال الحسنة، (**بالصدق**،) أي: معه، وخص الجمال

والكمال حسن الفعال بالصدق.

وعند العسكري من حديث العباس: قلت يا نبي الله ما الجمال في الرجل: قال: فصاحة لسانه.

وقوله عليه الصلاة والسلام: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا.

بالمقال لظهوره، وظهورًا تامًا للناس بخلاف الكمال، فأمر باطني، غالبًا لا يظهر إلاَّ بالفعال، وفي رواية الحكيم الترمذي: الجمال صواب القول بالحق، وباقيه سواء، **(وعند العسكري من حديث العباس قلت: يا نبي الله ما الجمال في الرجل؟ قال: «فصاحة لسانه)** الخلقية بلا تكلف»، وفي إسناده محمد بن زكريا الغلابي، وهو ضعيف جدًا.

وروى الحاكم في المستدرك، عن علي بن الحسين، قال: أقبل العباس إلى رسول الله ﷺ وعليه حلتان، وله ضفيرتان، وهو أبيض، فلما رآه تبسم، فقال: يا رسول الله ما أضحكك، أضحك الله سنك، فقال: «أعجبني جمال عم النبي ﷺ»، قال العباس: ما الجمال؟ قال: «اللسان»، وهو مرسل.

قال ابن طاهر: وإسناده مجهول، وروى العسكري عن ابن عمر: مرَّ عمر بقوم يرمون، فقال: بئسما رميتم، فقالوا: إنا متعلمين، فقال عمر: لذنبكم في لحنكم أشد عليّ من ذنبكم في رميكم، سمعت النبي ﷺ يقول: «رحم الله امرأ أصلح من لسانه».

(قوله عليه الصلاة والسلام: «منهومان») تثنية منهوم، ومن نهم بالبناء للمفعول إذا أولع بالشيء، واشتد حرصه عليه، أي: اثنان مولعان لا يكتفيان بما يصل إليهما، فشبه عدم اكتفائهما بالجوع، فقال: (**«لا يشبعان طالب علم، وطالب دنيا»**) بخلاف المنهوم في شهوة الطعام، وهو المعروف بهذا الوصف، فإنه قد يشبع.

قال في النهاية: النهمة شدة الحرص على الشيء، ومنه النهم من الجوع.

قال الطيبي: إن ذهب في الحديث إلى الأصل كان لا يشبعان استعارة، لعدم انتهاء حرصهما، وإن ذهب إلى الفرع كان تشبيهاً، جعل إفراد المنهوم ثلاثة: أحدها المعروف، وهو المنهوم من الجوع، والآخرين العلم والدنيا، وجعلهما أبلغ من المتعارف، ولعمري أنه كذلك، وإن كان المحمود منهما هو العلم، ومن ثم أمر الله رسوله بقوله: ﴿وقل رب زدني علمًا﴾، ويعضده قول ابن مسعود: ولا يستويان الخ...

وقال الراغب: النهم بالعلم استعارة، وهو أن يحمل على نفسه ما تقصر قواها عنه، فينبت، والمنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى، **(رواه الطبراني في الكبير، والقضاعي عن ابن مسعود،**

رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود رفعه، وهو عند البيهقي في المدخل: عن القسم قال: قال ابن مسعود: منهومان لا يشبعان طالب العلم وصاحب الدنيا. ولا يستويان، أما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمٰن. وقال: إنه موقوف منقطع. وكذا رواه البزار والعسكري ....

رفعه) بهذا اللفظ، (**وهو عند البيهقي في المدخل عن القسم**) بن محمد موقوفًا، فإنه (**قال: قال ابن مسعود: منهومان لا يشبعان، طالب العلم، وصاحب الدنيا،**) عبر بصاحب إشارة إلى شدة رغبته فيها.

قال الماوردي: وفيه تنبيه على أن العلم يقتضي ما بقي منه، ويستدعي ما تأخر عنه، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه، (**ولا يستويان، أما صاحب الدنيا،**) الراغب فيها، المبالغ في الانهماك عليها، (**فيتمادى في الطغيان، وأما صاحب العلم، فيزداد من رضا الرحمٰن،**) والمعنى: أن من شأن صاحب الدنيا الازدياد فيما يبعده عن القرب من الله، ويوجب سخطه عليه، ومن شأن طالب العلم السعي، فيما يقربه من رضا الله بالطاعة والإخلاص.

قال الغزالي: اجتمع في الإنسان أربعة أوصاف، سبعية وبهيمية وشيطانية وربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب، يتعاطى أفعال السباع بنحو: ضرب وشتم وبغضاء، ومن حيث الشهوة يتعاطى أفعال البهائم كشره وحرص وشبق، من حيث سلط عليه السعي من الفتن، وأسباب الفساد يتعاطى أفعال الشيطان، ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني، كما قال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥]، يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء، والاستعلاء، والتخصيص، والاستبداد بالأمور، والتفرد بالربانية، والانسلال عن ربقة العبودية، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، ويدعي لنفسه العلم، والمعرفة، والإحاطة بحقائق الأمور، ويفرح إذا نسب إلى العلم، وهو حريص على ذلك لا يشبع.

(**وقال**) البيهقي: (**إنه موقوف منقطع،**) ويمكن أن ابن مسعود كان يحدث به مرفوعًا، إذا لم يزد عليه شيئًا، وإذا زاد عليه قوله: ولا يستويان الخ... حدث به موقوفًا عليه، (**وكذا رواه،**) أي: الحديث، لا بقيد صحابيه، (**البزار**) من حديث ليث، عن طاوس أو مجاهد، عن ابن عباس رفعه بلفظ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا».

قال البزار: لا أعلمه، يروى من وجه أحسن من هذا، (**والعسكري**) من حديث ليث عن طاوس، ولم يشك في مجاهد، عن ابن عباس، أحسبه مرفوعًا، منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته، منهوم في طلب العلم، ومنهوم في طلب الدنيا، وللعسكري عن أبي سعيد رفعه: لن يشبع

وغيرهما وبمجموعها يتقوى، وإن كانت مفرداته ضعيفة فيكون حسنًا، والله أعلم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعز من العقل، ولا وحشة أشد من العجب. رواه ابن ماجه.

وقوله عليه الصلاة والسلام: الذنب لا ينسى، والبر لا يبلى، ....

المؤمن، خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة، (**وغيرهما**،) كابن عدي، والقضاعي، والبيهقي عن أنس بلفظ الترجمة، وفي الباب ابن عمر، وأبو هريرة، (**وبمجموعها يتقوى**) الحديث، (**وإن كانت مفرداته ضعيفة، فيكون حسنًا**) لغيره، (**والله أعلم**) بالواقع.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا فقر»**)، أي: لا احتياج في شيء يهتم بدفعه، والتخلص منه (**«أشد من الجهل»**،) لأنه المواقع في مهالك الدنيا، والأخرى، فهو أقوى شيء يتخلص منه، فاستعمل الفقر الذي هو قلة المال في لازم معناه، وهو الاحتياج، لاحتياجه للناس في كل مسألة وللتخلص منه، (**«ولا مال»**،) أي: لا غنى عن الناس، (**«أعز من العقل»**،) لأنه المرشد إلى كل كمال، والموصل إلى كل خير ونوال، إذ به يدبر صاحبه ما لا يدبر ذو المال، فاستعمل في لازم معناه أيضًا، (**«ولا وحشة»**،) أي: لا انقطاع، ولا بعد للقلوب من المودة (**«أشد من العجب»**،) لحمله صاحبه على احتقار الغير، والتلبس بكل خطر وضير، فلا يألف أحدًا يستأنس به، لأنه يراهم أقل منه، فهو دائمًا في وحشة وحرمان، وإن كان في غاية القرب والمخالطة بمن يتصوَّرهم ظاهرًا بصورة الإخوان، (**رواه ابن ماجه**).

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «الذنب»**)، أي: الإثم، بمعنى المؤثم، أي: ما يحصل به لوم، أو إثم على فاعله (**«لا ينسى»**،) بل هو محفوظ في صحف الملائكة، ولا بد أن يجازي عليه، إن لم يحصل عفو، لا يضل ربي، ولا ينسى، ونبه به على شيء دقيق، يغلط الناس فيه كثيرًا، وهو أنهم لا يرون تأثير الذنب، فينساه الواحد منهم، ويظن أنه لا يضره ذلك، وأنه كما قال:

إذا لم يغبر حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار

قال ابن القيم: وسبحان الله! ما أهلكت هذه البلية من الخلق، وكم أزالت من نعمة، وكم جلبت من نقمة، وما أكثر المغترين بها من العلماء، فضلاً عن الجهال، ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض ولو بعد حين، كما ينقض السم والجرح المندمل على دغل.

(**والبر**) ـ بالكسر ـ الخير والفضل (**«لا يبلى»**،) أي لا ينقطع ثوابه، ولا يضيع، بل هو باق عند الله تعالى، وقيل: أراد الإحسان، وفعل الخير لا يبلى ثناؤه، وذكره في الدنيا والآخرة، فهو بمنزلة الثوب الجديد، الذي لا يفنى، ولا يتغير، (**«والديان لا يموت»**،) بل هو سبحانه حي باق، عالم

والديان لا يموت، فكن كما شئت. رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر.

وقوله عليه الصلاة والسلام: ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم.

رواه العسكري في الأمثال من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي زين العابدين مرفوعًا بزيادة: وأفضل الإيمان التحبب إلى الناس، ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله، حلم يرد به جهل الجاهل، ....

بأحوال عباده، فيجازيهم عليها، وإذا علمت هذا، («**فكن كما شئت**») من أحوال وأفعال خير، أو شر، فإن الديان يجازيك عليه، ففيه وعيد وتهديد شديد، وفيه جواز إطلاق الديات على الله لو صح الخبر، وفي رواية عبد الرزاق وغيره: اعمل ما شئت، كما تدين تدان، أي: كما تجازي تجازى، يقال دنته بما صنع، أي: جزيته، ذكره الديلمي، ومن مواعظ الحكماء: عباد الله الحذر الحذر، فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر، ولقد أمهل حتى كأنه أهمل، (**رواه**) الديلمي (**في مسند الفردوس**،) وأبو نعيم (**عن ابن عمر**) بن الخطاب، وفيه محمد بن عبد الملك الأنصاري ضعيف، وقد رواه عبد الرزاق في جامعه، والبيهقي في الزهد، وفي الأسماء والصفات له عن أبي قلابة، رفعه مرسلاً البر لا يبلى الخ، ووصله أحمد في الزهد، فرواه عن أبي قلابة، عن أبي الدرداء من قوله، لكنه منقطع مع وقفه، وللديلمي عن أنس رفعه الذنب شؤم على غير فاعله إن عيره ابتلى، وإن اغتابه أثم، وإن رضى به شاركه.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «ما جمع شيء إلى شيء أحسن**»،) وفي رواية: أفضل (**،من حلم إلى علم»**) إذ باجتماعهما تحصل الكمالات والنجاة من الوقوع في المهلكات، (**رواه العسكري في الأمثال، من حديث جعفر بن محمد**،) أبي عبد الله، المعروف بالصادق، فقيه صدوق، إمام، روى له مسلم، وأصحاب السنن، والبخاري في التاريخ، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، (**عن أبيه**) محمد بن علي أبي جعفر الباقر، ثقة فاضل، مات سنة بضع عشرة ومائة، (**عن**) أبيه (**علي بن الحسين**) بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ثقة، ثبت، عابد، فقيه، فاضل، مشهور.

قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه، مات سنة ثلاث وتسعين، وقيل غير ذلك، (**عن أبيه**) الحسين، سبط المصطفى، (**عن**) أبيه (**علي زين العابدين**،) أمير المؤمنين، (**مرفوعًا بزيادة: وأفضل الإيمان التحبب إلى الناس**،) بالبشر، وطلاقة الوجه، والإحسان، والتجاوز، ونحو ذلك، (**ثلاث من لم تكن فيه، فليس مني**،) أي: متصلاً بي، (**ولا من الله حلم يرد به جهل الجاهل، وحسن خلق**،) . بالضم . (**يعيش به في الناس، وورع يحجزه**) . بضم الجيم . يكفه ويمنعه (**عن**

وحسن خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن معاصي الله.

وعنده أيضًا من حديث جابر مرفوعًا: ما أوى شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، وصاحب العلم غرثان إلى الحلم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

رواه في جزء ب ي ب ى عن ابن أبي شريح ....

معاصي الله») وقد أخرج الحديث مختصرًا بدون الزيادة، الطبراني في الأوسط عن علي من الطريق المذكورة.

قال الحافظ الهيثمي: وهو من رواية حفص بن بشر عن حسن بن حسين بن زيد العلوي، عن أبيه، ولم أر أحدًا ذكر أحدًا منهم، أي بتعديل، ولا تجريح، **(وعنده)** أي: العسكري **(أيضًا من حديث جابر مرفوعًا: ما أوى)** أي: قام **(شيء إلى شيء أحسن)** لفظ المقاصد عن رواية العسكري، هذه أفضل **(من حلم إلى علم، وصاحب العلم غرثان)** . بفتح المعجمة، وسكون الراء، ومثلثة. جائع، أي: محتاج **(إلى الحلم)** إذ به يقام العلم، ولأبي الشيخ عن أبي أمامة مرفوعًا: ما أضيف شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم.

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «التمسوا)، أي: اطلبوا، **(الرزق في خبايا الأرض)»**، جمع خبية، كخطية وخطايا، أي: اطلبوه في الحرث بنحو زرع وغرس، فإن الأرض تخرج ما فيها مخبًا من النبات، الذي به قوام الحيوان، فارشد إلى طلب الرزق فيها، لأنه أقرب شيء إلى التوكل وأبعده من الحول والقوّة، فإن الزارع إذا أثار الأرض، وتقاها، وقام عليها، ودفن فيها الحب، تبرأ من حوله وقوّته، ونفذت حيلته، فلا يرى لنفسه حيلة في إنباته وخروجه، بل ينظر إلى القضاء والقدر، ويرجو ربه دون غيره في إرسال السماء، ورفع الآفة مما لا حيلة لمخلوق فيه، ولا يقدر عليه إلاَّ الله، **(رواه في جزء ب ي ب ى)** كذا بخط المصنف، مقطع الحروف، بموحدة مكسورة، بعدها تحتانية ساكنة، ثم مثلهما، وهي بنت عبد الصمد بن علي بن محمد الهرثمية، وجزؤها من عوالي الأجزاء، **(عن ابن أبي شريح)** كذا وقع للمصنف، ولا ذكر له في الجزء المذكور، فلفظها.

حدثنا عبد الرحمٰن بن أحمد الأنصاري، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا مصعب بن ثابت، حدثني هشام بن عبد الله المخزومي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ، قال: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»، وقد أبعد المصنف النجعة، وأغرب بالعز، ولغير الحفاظ المشاهير، فهذا الحديث أخرجه أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي، كلهم من طريق هشام المخزومي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة بلفظ: اطلبوا الرزق في خبايا

والمراد الزرع، وأنشدوا:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يومًا أن تجاب فترزقا

وقوله عليه الصلاة والسلام: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور ....

الأرض، وضعفه البيهقي وغيره، (**والمراد الزرع**) كما قاله عروة بن الزبير وغيره، وقيل: المراد استخراج الجواهر والمعادن من الأرض، (**وأنشدوا**) استشهادًا على أن المرادِ الزرع.

قال السخاوي: قال عروة بن الزبير: عليكم بالزرع، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

لعل الذي أعطى العزيز بقدرة وذا حسب أعطى وقد كان زردقا

سيؤتيك ماء واسعًا ذا قرارة إذا ما مياه الناس غاضت تدفقا

(**تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يومًا أن تجاب فترزقا**)

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «كن في الدنيا كأنك غريب»**) قدم بلدًا لا مسكن له فيها يأويه، ولا سكن يسكنه، خال من الأهل والعيال، والعلائق التي هي سبب الاشتغال عن الخالق، (**«أو عابر سبيل»**).

قال الطيبي: ليست أو للشك للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى بل، فشبه الناسك السالك بالغريب الذي لا مسكن له يأويه، ثم ترقى، وأضرب عنه إلى عابر السبيل، لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شائع، وبينهما أودية مردية، ومفاوز مهلكة، وقطاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة، ولا يسكن لمحة، ومن ثم عقبه بقوله: (**«وعد نفسك من أهل القبور»**) أي: استمر سائرًا، ولا تفتر، فإنك إن فترت انقطعت وهلكت في تلك الأودية.

وقال ابن بطال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس، بل هو مستوحش منهم، إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه يتأنس به، فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل، لا ينفذ في سفره إلاَّ بقوة عليه، وتخفيفه من الأثقال، غير متشبث بما يمنعه من قطعه سفره معه زاد، وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده شبهه بهما، وفيه إشارة إلى الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا أكثر مما يبلغه المحل.

وقال غيره: هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا، والزهد فيها، والاحتقار لها، والقناعة فيها بالبلغة.

رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعًا في حديث. وأخرجه البخاري والترمذي وغيرهم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: صنائع المعروف تقي مصارع السوء، ....

وقال النووي: معنى الحديث: لا تركن إلى الدنيا، ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق الغريب به في غير وطنه، وقال غيره: عابر السبيل هو المار على الطريق طالباً وطنه، والمرء في الدنيا، كعبد أرسله سيده في حاجته إلى غير بلده، فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه، ثم يعود، ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه، وقال غيره: المراد أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا منزلة الغريب، فلا يعلق قلبه بشيء من بلد الغربة، بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، ويجعل إقامته في الدنيا ليقضي حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه، وهذا شأن الغريب، أو يكون كالمسافر، لا يستقر في مكان بعينه، بل هو دائم السير إلى بلد الإقامة، واستشكل عطف عابر السبيل على الغريب، وتقدم جواب الطيبي، وأجاب الكرماني: بأنه من عطف العام على الخاص، وفيه نوع من الترقي، لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب المقيم، (**رواه البيهقي في الشعب، والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعًا في**) جملة (**حديث، وأخرجه البخاري**) في كتاب الرقاق عن ابن عمر، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك، (**والترمذي**) بمثل رواية البخاري، إلاَّ أنه قدم جملة: وإذا أصبحت، وقال: ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدًا، أي: هل يقال لك شقي، أو سعيد، ولم يرد اسمه الخاص به، لأنه لا يتغير، وقيل: المراد هل يقال حي، أو ميت، (**وغيرهم**) كأبي داود، وابن ماجه، وأحمد.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «صنائع»**) جمع صنيعة، وهي العطية، والكرامة، والإحسان، (**«المعروف»**) اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، أي: والحسنات السيئات، وهو من الصفات الغالبة، أي: أمر معروف بين الناس، إذ رأوه لا ينكروه، والمعروف النصفة، وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم، والمنكر ضد ذلك جميعه، قاله في النهاية، فالإضافة بيانية، أي: العطايا التي هي مطلوبة شرعًا، معروفة بين الناس، (**تقي مصارع السوء**) أي: تكون سببًا لوقايته، فالإسناد مجازي، والصرع في الأصل الطرح على الأرض، لكنه استعمل هذا في مطلق الوصول تجريدًا، وهذا تنويه عظيم بفضل المعروف وأهله.

وصدقة السر تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر. أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن.

قال علي رضي اللَّه عنه: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفر، فقد يشكره الشاكر إضعاف جحود الكافر.

قال الماوردي: فينبغي لمن أراد إسداء المعروف أن يجعله حذرًا من فوته، ويبادر به خيفة عجزه، ويعتقد أنه من فرص زمانه وغنائم إمكانه، ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فاتت، فأعقبت ندمًا، ومعوَّل على مكنة زالت، فأورثت خجلاً، ولو فطن لنوائب دهره، وتحفظ من عواقب فكره، لكانت مغارمه مدحورة، ومغانمه محبورة، وقيل: من أضاع الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها، (**وصدقة السر**) أي: فيه، وهو ما لم يطلع عليه إلاَّ اللَّه، وفي رواية: والصدقة خفيًا (**تطفىء غضب الرب**).

قال الطيبي: يمكن حمله على المنع من إنزال المكروه في الدنيا، ووخامة العاقبة في العقبى من إطلاق السبب على المسبب، فإنه نفي الغضب، وأراد الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن في العقبى.

قال ابن العربي: وهو الموفق عبده، لما تصدق به، فهو المطفىء غضبه بما وفق عبده، وقال بعضهم: معنى الحديث الحث على إخفاء الصدقة، لأنه دليل على إخلاصه لمشاهدته ربه، وهي درجة لإحسان، وفي القرءان: ﴿إن رحمة اللَّه قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦]، فبنور الإخلاص، ورحمة الإحسان إطفاء نار الغضب، وفي رواية: وصدقة العلانية تقى ميتة السوء، وفي الترمذي، وقال حسن غريب من حديث أنس: أن الصدقة لتطفىء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، (**وصلة الرحم**) القرابة، بالتعهد والمراعاة، والمواساة، ونحو ذلك (**تزيد في العمر**) بالبركة فيه، حتى يحصل منه في الزمن اليسير طاعات لا تحصل من غيره في الزمن الكثير، أو حقيقة بأن يزاد فيه على ما كتب في صحف الملائكة، والأول أولى إذ هذا ليس زيادة حقيقة، إذ علم اللَّه يتعلق بكونه يصل ويمد له عمره، (**أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن**) عن أبي أمامة، ورواه في الأوسط عن أم سلمة بزيادة: وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف، قال السخاوي: وسنده ضعيف، قال الماوردي: وللمعروف شروط لا يتم إلاَّ بها، ولا يكمل إلاَّ معها، فمنها ستره عن إذاعته، وإخفاؤه عن إشاعته.

قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا صنع معك فانشره، لما جبلت عليه النفس، من إظهار ما أخفى، وإعلان ما كتم، ومنها تصغيره بالنسبة لنعم اللَّه عليه، وإن كان

وقوله عليه الصلاة والسلام: العفو لا يزيد العبد إلا عزًا، والتواضع لا يزيده إلا رفعة. وما نقص مال من صدقة.

وروى مسلم: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، ..

عظيمًا.

قال العباس: لا يتم المعروف إلاَّ بتعجيله وتصغيره وستره، ومنها ترك الامتنان به والإعجاب بفعله، لما فيهما من إسقاط الشكر وإحباط الأجر، ومنها أن لا يحتقر منه شيئًا، وإن قل إذا عجز عن الكثير.

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «العفو:) التجاوز من الشخص عن عقوبة ثبتت له على غيره، وقدر على مؤاخذته، وتركها للَّه سبحانه، لا لغرض آخر **(لا يزيد العبد إلاّ عزًا)** أي: رفعة عند اللَّه في الدنيا، فإن من عرف بالعفو والصفح عظم في القلوب، أو في الآخرة، بأن يعظم ثوابه، أو فيهما، ثم محل حمد العفو، إن لم يطغ الجاني، وإلاَّ فالأولى عدمه زجرًا، **(والتواضع)** خفض الجناح، والخشوع، والذلة، **(لا يزيده)** عند اللَّه وعند خلقه **(إلاَّ رفعة)** إذا كان حقيقيًا، أما من أظهر صورته، معتقدًا عظمة نفسه، فهو بالتكبر أشبه، **(وما نقص مال)** نقصًا يعود على صاحبه منه ضرر، **(من)** أجل **(صدقة)** بل قد يبارك له فيه بسببها، فيربح، فيزيد ماله حسًا، أو يحصل له رفق، فيسد القليل مسد الكثير.

قال القرطبي: فيه وجهان: أحدهما أنه بقدر ما ينقص منه يزيد اللَّه فيه وينميه ويكثره، والثاني أنه وإن نقص في نفسه، ففي الأجر والثواب ما يجبر ذلك النقص بإضعافه، **(وروى مسلم،)** والترمذي، وأحمد عن أبي هريرة رفعه: **(ما نقصت صدقة من مال).**

قال الطيبي: يحتمل أن من زائدة، أي: ما نقصت صدقة مالاً، وأنها صلة لنقصت، والمفعول الأوّل محذوف، أي: ما نقصت شيئًا من مال في الدنيا بالبركة فيه، ودفع المفسدات عنه والإخلاف عليه بما هو أجدى، وأنفع، وأكثر، وأطيب، وما أنفقتم من شيء، فهو يخلفه، أو في الآخرة بإجزال الأجر، وتضعيفه أو فيهما، وذلك جابر لإضعاف ذلك النقص، بل وقع لبعض الكمل؛ أنه تصدق من ماله، فلم يجد فيه نقصًا.

قال الفاكهاني: أخبرني من أثق به أنه تصدق من عشرين درهمًا بدرهم، فوزنها، فلم تنقص، قال: وأنا لي ذلك، وقول الكلاباذي: يراد بالصدقة الفرض، وبإخراجها ما لم ينقص ماله بعده لا يخفى، **(وما زاد اللَّه عبدًا بعفو،)** أي: بسبب عفوه، أي: تجاوزه **(إلاَّ عزًا)** في الدنيا، بعظمته في القلوب، وفي الآخرة تعظم ثوابه، **(وما تواضع أحد للَّه،)** من المؤمنين رقًا وعبودية،

وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

وروى القضاعى عن أبي سلمة عن أم سلمة مرفوعًا: ما نقص مال من صدقة ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله تعالى بها عزًا.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة. ورواه الترمذي وقال حسن صحيح.

في الائتمار بأمره، والانتهاء عن نهيه ومشاهدته لحقارة نفسه، ونفي العجب عنها **(إلاَّ رفعه اللَّه)** في الدنيا؛ بأن يثبت له في القلوب بتواضعه منزلة عند الناس، ويجل مكانه، وكذا في الآخرة على سرير خلد لا يفنى، ومنبر ملك لا يبلى، ومن تواضع للَّه في تحمل مؤن خلقه، كفاه اللَّه مؤنة ما يرفعه إلى هذا المقام، ومن تواضع في قبول الحق ممن دونه، قبل اللَّه منه مدحور طاعته، وقليل حسناته، وزاد في رفعة درجاته، وحفظه بمعقبات رحمته من بين يديه ومن خلفه.

قال القرطبي: التواضع الانكسار والتذلل، ونقيضه الكبر والترفع، والتواضع يقتضي متواضعًا له، وهو اللَّه، أو من أمر بالتواضع له، كالرسول، والإمام، والحاكم، والعالم، والوالد، فهو التواضع الواجب المحدود، الذي يرفع اللَّه به صاحبه في الدنيا والآخرة، وأما التواضع لسائر الخلق، فالأصل أنه محمود، ومندوب إليه ومرغب فيه، إذا قصد به وجه اللَّه، ومن كان كذلك رفع اللَّه قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة، وأما التواضع لأهل الدنيا، ولأهل الظلم، فذلك هو الذل الذي لا عز معه، والخسة التي لا رفعة معها، بل يترتب عليها ذل الآخرة، وكل صفقة خاسرة، وقال غيره: من جبلة الإنسان الشح بالمال، ومتابعة السبعية من إيثار الغضب، والانتقام، والاسترسال في الكبر، الذي هو من نتائج الشيطنة، فأراد ﷺ أن يقلعها من شحها، فحث أولاً على الصدقة، ليتحلى بالسخاء والكرم، وثانيًا على العفو، ليعزز بعز الحلم والوقار، وثالثًا على التواضع، ليرفع درجاته في الدارين.

(وروى القضاعي عن أبي سلمة) بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد اللَّه، وقيل: إسمٰعيل، وقيل: اسمه كنيته عن أبيه وعثمان وأم سلمة وغيرهم، ثقة مكثر من رجال الجميع، ولد سنة بضع وعشرين، ومات سنة أربع وتسعين، أو أربع ومائة، **(عن أم سلمة)** هند بنت أبي أمية القرشية، المخزومية، أم المؤمنين **(مرفوعًا: ما نقص مال من صدقة،)** بل يزد دنيا وأخرى، **(ولا عفا رجل)**، وصف طردي لقوله: قبل عبد **(عن مظلمة إلا زاده اللَّه تعالى بها عزًا)** في الدارين، **(وروى الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «والذي نفس محمد بيده»)** أقسم تقوية، وتأكيدًا **(«لا ينقص مال من صدقة»، ورواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم»)** بالميم بدل ياء النداء، ولذا لا يجمعان إلاَّ شذوذًا، قيل:

وقوله عليه الصلاة والسلام: اللَّهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي ومن شر منيي. أخرجه أبو داود في جامعه والحاكم في مستدركه عن شكل.

وقوله ﷺ: اللَّهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى. ....

وهذه الميم، كالواو في الدلالة على الجمع كأنه قيل: يا من اجتمعت له الأسماء الحسنى، قال الحسن البصري: اللهم مجتمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال: اللهم، فقد سأل اللَّه بجميع أسمائه، (**«إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري»**) فلا أسمع، ولا أبصر بهما ما يسخطك عليَّ، (**«ومن شر لساني»**) أي: نطقي، فإن أكثر الخطايا منه، وهو الذي يورد المر في المهالك، وخص الثلاثة، لأنها مناط الشهوة، ومثار اللذة، (**«ومن شر قلبي»**) أي: نفسي، فإنها مجمع الشهوات والمفاسد لحب الدنيا، والرهبة من الخلق، وخوف فوت الرزق، والأمراض القلبية من نحو: حسد وحقد وطلب رفعة، وغير ذلك، (**«ومن شري منيي»**)، أي: شدة الغلمة، وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع في الزنا، أو مقدماته لا محالة، فهو حقيق بالإستعاذة من شره، وخص هذه الأشياء بالاستعاذة، لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه، (**أخرجه أبو داود في جامعه**) أي: سننه، وكذا الترمذي والنسائي خلافًا لإيهام المصنف، (**والحاكم في مستدركه عن شكل**). بفتح المعجمة، والكاف. ابن حميد العبسي، بالموحدة صحابي، نزل الكوفة حديثه في الكوفيين، روى أصحاب السنن من طريق بلال بن يحيى العبسي، عن شتير بمعجمة، وفوقية، مصغر عن أبيه، شكل ابن حميد قال: قلت: يا رسول اللَّه علمني دعاء، وفي رواية الترمذي: تعوذاً أتعوَّذ به، فأخذ بكفي، فقال: قل...، فذكره.

قال البغوي: ولا أعلم له غير هذا الحديث، ولم يرو عنه إلاَّ ابنه.

قال الترمذي: حسن غريب، قال في الإصابة: وأشكل له رواية عن علي.

(**وقوله ﷺ: «اللهم»**) الميم عوض عن الياء، ولذا لا يجتمعان، وقيل: أصله: يا اللَّه أمنا بخير، فخفف بحذف حرف النداء والميم، دلت على الجملة المحذوفة.

قال ابن الأثير: وهي ثلاثة أنحاء النداء المحض، والثاني يذكره المجيب، تمكينًا للجواب في نفس السائل، يقول لك القائل: أزيد قائم، فتقول اللهم نعم أولاً، والثالث يستعمل دليلاً على الندوة، وقلة وقوع المذكور، كقولك: أنا لا أزورك، اللهم إذا لم تدعني (**«إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى»**) أي: الفتنة التي تحصل بسببه من البطر، والطغيان، والتفاخر، وصرف المال في المعاصي.

وقال الغزالي: هي الحرص على جمع المال وحبه، حتى تكتسبه من غير حله، وتمنعه من

رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

وقوله عليه الصلاة والسلام: إن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر، يحق فيها الحق ويبطل الباطل، فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا. فإن كل أم يتبعها ولدها. رواه أبو نعيم في الحلية من حديث شداد.

واجبات إنفاقه.

قال الطيبي: استعاذ مما عصم منه، ليلتزم خوف اللَّه وإعظامه، والافتقار إليه، وليقتدي به، وليبين صفة الدعاء والباء، للإلصاق المعنوي التخصيصي، كله خص الرب بالاستعاذة، وقد جاء في الكتاب والسنة: أعوذ باللَّه، ولم يسمع باللَّه أعوذ، لأن تقديم المعمول تفنن وانبساط، والاستعاذة حالة خوف، وقبض بخلاف الحمد للَّه، وللَّه الحمد، لأنه حال شكر، وتذكر إحسان ونعم.

(**رواه الترمذي، والنسائي، وأبو داود،، وابن ماجه،**) عن عائشة مرفوعًا في حديث، وهو في الصحيحين من جملة حديث طويل.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الدنيا عرض»**،) . بفتحتين. متاع (**حاضر**) موجود، أي: هي مع دناءتها إلى فناء، فالمتاع ما لا بقاء له، فإنما خلق ما فيها، لأن يستمتع به مع حقارته أمداً قليلاً، ثم ينقضي، ولذا («**يأكل منه البر والفاجر**») كل بحسب ما قدر له، بل قد يكون متاع الفاجر فيها أوسع، كما قال ﷺ: «إذا أحب اللَّه عبدًا حماه الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»، رواه الترمذي، وصححه الحاكم، أي: حال بينه وبين التوسع في اللذات والشهوات، بأن يعسر عليه حصول ذلك، وقال ﷺ: «الدنيا لا تصفو لمؤمن، كيف وهي سجنه وبلاؤه»، رواه ابن لال والديلمي، (**وإن الآخرة وعد صادق**،) لا شك في وقوعه، ويحتمل التنوين والإضافة، فالصادق من أسماء اللَّه، (**يحكم فيها ملك**) . بكسر اللام، (**عادل**) لا يجور، (**قادر**) على ما يشاء، وهو اللَّه سبحانه، (**يحق فيها الحق**) يظهره ويحكم به، (**ويبطل الباطل**)، يمحقه ويذهبه، (**فكونوا أبناء الآخرة**،) بالأعمال الصالحة، النافعة فيها، (**ولا تكونوا أبناء الدنيا**،) بالرضا بها، والطمأنينة إليها، (**فإن كل أم يتبعها ولدها**)، فمن تبع الدنيا خاب وخسر، ومن تبع الآخرة حيي الحياة الطيبة في روضات الجنات، (**رواه أبو نعيم في الحلية من حديث شداد**) بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبي يعلى، الخزرجي، صحابي، مات بالشام قبل الستين، أو بعدها، وهو ابن أخي حسان بن ثابت.

وقوله عليه الصلاة والسلام: أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره.

وعند ابن النجار من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وهو مما بيض له الديلمي: أخسر الناس صفقة رجل أخلق يديه في آماله ولم تساعده الأيام على أمنيته، ....

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «أخسر الناس صفقة»**) أي: من أشدهم خسرانًا لعظيم الثواب، وأعظمهم حسرة يوم المآب، (**«من أذهب آخرته»**) بترك الواجب، أو المندوب (**«بدنيا غيره»**) أي: بسبب اشتغاله بحلب دنيا غيره، كخدام العظماء يشتغلون بنفع مخاديمهم، والقيام بمصالحهم، ويتركون الصلوات، ويحلفون الإيمان الفاجرة، ويأخذون أموال الناس لاسترضاء مخاديمهم، (**وعند ابن النجار**) في تاريخ بغداد (**من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة**) العنزي، حليف بني عدي أبي محمد المدني، ولد على عهد النبي ﷺ، ووثقه العجلي، وروى له الستة، مات سنة بضع وثمانين، (**عن أبيه**) عامر بن ربيعة بن كعب بن مٰلك العنزي . بسكون النون، حليف الخطاب صحابي مشهور، أسلم قديمًا، وهاجر، وشهد بدرًا وما بعدها، ومات ليالي قتل عثمان، (**وهو مما بيض له الديلمي**) لعدم وقوفه له على سند.

قال عامر: قال ﷺ: (**«أخسر الناس»**) أي: من أخسرهم، كما علم (**صفقة**) هي في الأصل ضرب اليد على اليد في البيع والبيعة، والخسر في الأصل نقص رأس المال، ثم استعمل في المعينات الخارجة كالمال والجاه، وأكثر استعماله في النفيس منها، كصحة وسلامة، وعقل، وإيمان، وثواب، وهو المراد هنا ذكره، الراغب (**رجل**) وصف طردي، والمراد مكلف (**أخلق**) أتعب (**يديه**) وأفقرهما بالكد والجهد، وتجوَّز بهما عن النفس، لأن المزاولة بهما غالباً (**في**) بلوغ (**آماله**) جمع أمل، وهو الرجاء، وأكثر استعماله في مستبعد الحصول (**ولم تساعده**) أي: نعاونه (**الأيام على أمنيته**) أي: بلوغها في تحصيل مطلوبه من مال ومناصب وجاه ونحوها، بل عاكسته وغدرته، فلا يزال يتشبث بالطمع الفارغ، والرجاء الكاذب، ويتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته، ولم تسبق به كلمته.

قال بعض العارفين: أماني النفس حديثها بما ليس عندها، ولها حلاوة إذ استصحبها عبد لا يفلح أبدًا، وأهل الدنيا فريقان، فريق يتمنون ما يتمنعون، ولا يعطون إلاَّ بعضًا منه، وكثير منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، فصاروا أخسر الناس صفقة، وأما المؤمن المتقي، فقد حاز مراده، وهو غنى القلب المؤدي لغنى الآخرة، فما يبالي أوتي حظًا من الدنيا أو لا، فإن أوتي منها، وإلاَّ فربما كان الفقر خيرًا له، وأعون على مراده، فهو أربح الناس صفقة، واشتقاق الأمنية من منى إذا قدر، لأن المتمني يقدر في نفسه، ويحزر

فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة.

وقوله عليه الصلاة والسلام إن من كنوز البر كتمان المصائب.

ما يتمناه، (**فخرج من الدنيا**) بالموت (**بغير زاد**) يوصله إلى دار المعاد، وينفعه يوم تقوم الأشهاد، ويفصل بين العباد، لأن خير الزاد إلى الآخرة اتقاء القبائح، وقد تلطخ بأقذارها الخبيثة الروائح، فهو مهلك لنفسه باسترساله مع الأمل، وهجره للعمل حتى تتابعت على قلبه ظلمات الغفلة، وغلب عليه رين الشهوة، ولم يسعفه المقدور بنبيل مرامه من ذلك الحطام الفاني، فلم يزل مغمومًا مقهورًا إلى أن فرق الموت بينه وبين آماله، وكل جارحة منه متعلقة بالدنيا التي فاتته، فهي تجاذبه إلى الدنيا، والموت يجاذبه إلى الآخرة التي لا يريدها، (**وقدم على اللّٰه بغير حجة**) معذرة يعتذر بها، وبرهان يتمسك به على تفريطه، بتضييعه عمره النفيس في طلب شيء خبيث خسيس، وإعراضه عن عبادة ربه التي إنما خلق لأجلها ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الغزالي: ومن هذا حاله، فهو كالأنعام، بل أمل، إذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات، وهذا قد خلق له وعطله، فهو الناقص عقلاً، والمدبر يقينًا، ولذا قيل:

ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

وفي الحديث إلزام للحجة، ومبالغة في الإنذار، وإعذار فيه، وتنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم، مما يؤد إلى طول الأمل، ويعطل العمل، وهذه هجيرًا أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين، ومن، ثم قيل: التمرغ في الدنيا من أخلاق الكافرين، ذكره الزمخشري، هكذا حمل بعض الشراح الحديث على أمنية الدنيا، وحمله بعض آخر على أمنية الأعمال الصالحة، فقال: المعنى ضل وهلك رجل قدر أن يعمل في المستقبل أعمالاً صالحة، ولم تعاونه الأوقات على ذلك، فخرج بلا زاد، أي: عمل، وقدم على اللّٰه بغير حجة، لأنه في وقت التقدير كان فارغًا صحيحًا انتهى، وكلاهما حسن.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن من كنوز البر»**) أي: من نفس ما يتوصل به العبد إلى مقصده، («**كتمان المصائب**»)، أي: عدم التحدث بها، إلاَّ لمصلحة كإخبار طبيب، أو مشير ناصح، فإظهارها، والتحدث بها قادح في الصبر، مفوت للأجر، وكتمانها رأس الصبر، وقد شكا الأحنف إلى عمه وجع ضرسه، وكرره، فقال: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة، فما شكوتها لأحد، وهذا بعض حديث، رواه البيهقي، وأبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عمر رفعه بلفظ: من كنوز البر كتمان المصائب، والأمراض، والصدقة، أخبر عليه السلام أن كتم هذه الثلاثة يدخر

وقوله عليه الصلاة والسلام: اليمين حنث أو ندم.

رواه أبو يعلى وابن ماجه إلا أنه قال: إنما الحلف.

وقوله عليه الصلاة والسلام: لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة، ....

لصاحبه يوم فاقته، لا يطلع على ثوابه ملك، ولا يدفع إلى خصمائه، بل يعوضهم اللَّه من باقي أعماله، وخزائن فضله ليبقي له كنزه، وذلك، لأنه لصفاء توحيده كتم مصائبه وأمراضه ومهماته عن الخلق صبرًا من رضا عن ربه، وحياء منه، أن يشكو ويستعين بأحد من خلقه.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «اليمين حنث، أو ندم»**)، قال العسكري: معناه إنك إذا حلفت حنثت، أو فعلت ما لا تشتهي كراهة الحنث فندمت، وقال الميداني في الأمثال: معناه: إن كانت صادقة ندم، وإن كانت كاذبة حنث يضرب للمكروه من وجهين.

قال الغزالي: والندم توجه القلب عند شعوره بفوت محبوبه، وعلامته طول الحسرة والحزن انتهى، والقصد بذا الحديث وأمثاله: التنفير عن اليمين، لأنه يغلب على الحالف أن يجعلها عرضة للوقوع في منهي عنه، إذ كثرة الحلف، لا بد لها من سقطة، فلا ينافي حلف النبي ﷺ كثيرًا، وحلف الصحابة، وجوازها شرعًا الشامل لوجوبها، (**رواه أبو يعلى، وابن ماجه**) كلاهما عن ابن عمر (**إلاَّ أنه**) أي: ابن ماجه، (**قال: إنما الحلف**) بدل اليمين، وبلفظ: إنما أوله، كما في المقاصد والجامع، وبين السخاوي: أن أبا يعلى رواه بلفظ: إنما اليمين، وبلفظ الحلف بدون إنما، فتسمح المصنف في العزو له أيضًا، نعم، أخرجه الطبراني، والعسكري بلفظ اليمين حنث، أو ندم، فكان اللائق عزوه لهما، ثم بيان لفظ من خالفهما، ثم فيه عند الجميع بشار بن كدام، بكسر الكاف، الكوفي ضعيف.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تظهر الشماتة بأخيك»**) بباء موحدة، وفي رواية: لأخيك، باللام، في الدين، وهي الفرح ببلية من يعاديك، أو تعاديه، (**فيعافيه اللَّه**) رغمًا لأنفك، (**ويبتليك**،) حيث زكيت نفسك، ورفعت منزلتك.

قال الطيبي: بالنصب جوابًا للنهي، ويبتليك عطف عليه، (**رواه الترمذي من حديث مكحول**) الشامي ثقة، فقيه كثير الإرسال مشهور، وروى له مسلم والأربعة، مات سنة بضع عشرة ومائة، (**عن واثلة**،) بمثلثة، ابن الأسقع، بالقاف، ابن كعب الليثي، صحابي نزل الشام، وعاش إلى سنة خمس وثمانين، ومات وله مائة وخمس سنين.

(**وقال**) الترمذي: (**حسن غريب، وهو عند الطبراني أيضًا**،) وزعم ابن الجوزي أنه

وقال: حسن غريب، وهو عند الطبراني أيضًا، وفي رواية لابن أبي الدنيا: فيرحمه الله، بدل: فيعافيه الله.

وروى الترمذي مرفوعًا من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله.

وقوله عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة: جف القلم بما أنت لاق.

موضوع، ولذا انتقده الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح زاعمًا وضعه، وتعقبه العلامة الحافظ العراقي، وصوب كلام الترمذي، (**وفي رواية لابن أبي الدنيا: فيرحمه اللَّه، بدل: فيعافيه اللَّه**) الواقعة في رواية الترمذي، ومثل ما ذكر المصنف لشيخه السخاوي بالحرف، وساقه في الجامع، ناسيًا للترمذي بلفظ: فيرحمه اللَّه، وأخذ جماعة من ذا الخبران في الشماتة بالعد وغاية الضرر، فالحذر الحذر، نعم أفتى ابن عبد السلام؛ بأنه لا ملام في الفرح بموت العدوّ، من حيث انقطاع شره عنه وكفاية ضرره.

(**وروى الترمذي**) عن معاذ بن جبل، (**مرفوعًا من عير أخاه بذنب**)، أي: وصف مذموم انتقاصًا له، وإن لم يحرم، (**لم يمت حتى يعمله**).

قال الترمذي: حسن غريب، وليس إسناده بمتصل، قال: وقال أحمد بن منيع، يعني شيخه، قالوا: من ذنب، قد تاب منه.

قال السخاوي ونحوه: فليجلدها الحد، ولا يثرب، أي: لا يوبخ، ولا يقرع بالزنا بعد الجلد، ولعله، كما قال شيخنا احترز به، عمن تلبس بقبيح شرعًا، وإن لم يحرم، واسترسل فيه فغيره غيره، لينزجر عنه لقبحه شرعًا، لا لحظ نفس المعير، فلا يعاقبَ على تعييره، لأنه إنما قصد به الحث على المطلوب، وترك النهي عنه.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة**،) فيما أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما، عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه إني رجل شاب، وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوّج به النساء، فائذن لي أختصي، فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكت، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة (**جف القلم بما أنت لاق**)» أي: نفذا المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به حافًا لإمداد فيه، لفراغ ما كتب به.

قال عياض: كتاب اللَّه، ولوحه، وقلمه من غيب علمه الذي نؤمن به، ونكل علمه إليه، وبقية الحديث: فاختص على ذلك، أو ذر، بكسر الصاد المهملة، أمر من الاختصاء، أي: اختص حال استعلائك على العلم، بأن كل شيء بقضاء اللَّه وقدره، أو أترك، وفي رواية: فاختصر، براء بعد الصاد، أي: اقتصر على ما أمرتك به، أو أتركه، وافعل ما ذكرت من الخصاء، وعلى كل من

قال صاحب فتح المنة بشرح الأخبار لمحيي السنة: هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منها، فإن الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده، فهو من إطلاق اللازم على الملزوم، وهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب، بل هو من الألفاظ التي لم يهتد إليها البلغاء، بل اقتضتها الفصاحة النبوية.

وقوله عليه الصلاة والسلام: اليوم الرهان وغدًا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار.

الروايتين: الأمر ليس لطلب الفعل، بل للتهديد، كقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩].

(قال صاحب فتح المنة بشرح الأخبار لمحيي السنة) البغوي، **(هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منها، فإن الفراغ بعد الشروع، يستلزم جفاف القلم عن مداده)** لفراغ ما كتب به، **(فهو من إطلاق اللازم على الملزوم)** وفي النهاية أنه تمثيل بفراغ الكاتب من كتابته وييس قلمه، **(وهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب، بل هو من الألفاظ التي لم يهتد إليها البلغاء، بل اقتضتها الفصاحة النبوية)** التي لا تنطق عن الهوى.

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «اليوم) أي: الدنيا، **(الرهان»)** بكسر الراء، قال المجد: المخاطرة والمسابقة على الخيل، انتهى، استعير للمسابقة على الأعمال في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ [الحديد : ٢١].

قال البيضاوي: سابقوا سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار، **(«وغدًا»)** أي: يوم القيامة، **(«السباق»)** بالكسر، مصدر سابق مسابقة، وسباقًا بمعنى السبق، بفتحتين، وهو ما يجعل من المال رهنًا على المسابقة، استعير للأعمال التي تلقاها العاملون يوم القيامة، وفي القاموس: السبق محركة، والسبقة بالضم الخطر، يوضع بين أهل السباق، وفيه كالصحاح الخطر محركة السبق الذي يتراهن عليه، وقد أخطر المال، أي: جعله خطرًا بين المتراهنين انتهى، وفي الحديث: لا سبق إلاَّ في خف، أو حافر.

قال الخطابي: الرواية الصحيحة بفتح الباء، وهو ما يجعل من المال رهنًا على المسابقة، وبالسكون مصدر سبقت أسبق،**(والغاية)** التي يقع عليها الرهان **(الجنة)** فيه حذف دل عليه المذكور، أي: أو النار، فالفائز من دخل الجنة، **(والهالك من دخل النار)** والمعنى الفائز من عمل الأعمال الصالحة، وفعل المأمورات، واجتنب المنهيات، فدخل الجنة، فرفعت له فيها الدرجات، والهالك من فعل المعاصي، فآل إلى استحقاق دخول النار، وحاصل معنى الحديث: إن الدنيا بتمامها للناس، كيوم تتسابق المتسابقون فيه على خيلهم إلى غاية معلومة لهم، وقد

وقوله عليه الصلاة والسلام: من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة.

رواه جماعة، منهم العسكري عن جابر به، وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ: من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة.

جعلوا ما لا يأخذه السابق غدًا، فمن عمل الصالحات فاز بذلك الجعل، الذي هو الجنة بمقتضى الوعد الصادق، ومن عمل السيئات حرم الجعل، واستحق النار بمقتضى الوعيد ما لم يعف عنه إن كان مسلمًا، هذا ما ظهر لي، ولم أر أحدًا شرحه، وبقية الحديث: أنا الأول، وأبو بكر الثاني، وعمر الثالث، والناس بعد علي السبق الأول، فالأول رواه الطبراني، وابن عدي، والخطيب، عن ابن عباس بتمامه مرفوعًا، وفيه أصرم بن حوشب، منكر الحديث.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «من ضمن»**) في رواية: من حفظ، (**«لي ما بين لحييه»**) بفتح اللام، وسكون المهملة، والتثنية، هما العظمان في جانب الفم، (**«وما بين رجليه»**) فرجه، ترك التصريح به استهجانًا له واستحياءً، لأنه كان أشد حياء من البكر في خدرها، (**«ضمنت له على الله الجنة»، رواه جماعة منهم: العسكري عن جابر به،**) أي: بهذا اللفظ مرفوعًا.

(**وفي البخاري،**) في الرقاق والمحاربين، (**والترمذي**) في الزهد، وقال: حسن صحيح غريب، (**عن سهل بن سعد،**) بسكون الهاء والعين، الساعدي، عن النبي ﷺ (**بلفظ: «من يضمن»**).

قال الحافظ: بفتح أوله وسكون المعجمة، والجزم من الضمان، بمعنى الوفاء بترك المعصية، (**لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن،**) بالجزم جواب الشرط (**له الجنة،**) أي: على الله، كما في الرواية السابقة، ولم تقع في البخاري والترمذي، فزيادتها في بعض نسخ المصنف هنا لا تنبغي، والمراد بالضمان لازمه، وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال، وكفه عن الحرام، قاله الحافظ وغيره.

وقال الطيبي: أصل الكلام من يحفظ ما بين لحييه من اللسان والفم، فيما لا يعنيه من الكلام والطعام يدخل الجنة، فأراد أن يؤكد الوعد تأكيدًا بليغًا، فأبرزه في صورة التمثيل، ليشير بأنه واجب الأداء، فشبه صورة حفظ المؤمن نفسه، مما وجب عليه من أمر النبي ﷺ ونهيه، وشبه ما يترتب عليه من الفوز الجنة، وأنه واجب على الله تعالى بحسب الوعد أداؤه، وأنه ﷺ هو الواسطة والشفيع بينه وبين الله تعالى بصورة شخص له حق واجب الأداء على آخر، فيقوم به ضامنًا من يتكفل له بأداء حقه، وأدخل المشبه في جنس صورة المشبه به، وجعله فردًا من أفراده، ثم ترك المشبه به، وجعل القرينة الدالة عليه ما يستعمل فيه من الضمان ونحوه في

والمراد بما بين لحييه: اللسان وما يتأتى به النطق، وما بين رجليه: الفرج، وقال الداودي: المراد بما بين اللحيين: الفم، فيتناول الأقوال والأكل والشرب وسائر ما يتأتى بالفم.

وفي لفظ: من توكل لي ما بين فقميه ورجليه أتوكل له بالجنة، والفقم: بالضم والفتح: اللحى.

وفي لفظ آخر: من تكفل لي تكفلت له.

وللديلمي ـ بسند ضعيف ـ عن أنس رفعه: من وُقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له الجنة، ولفظ الإحياء: من وقي يعني البطن ....

التمثيل؛ أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة انتهى، (**والمراد بما بين لحييه اللسان، وما يتأتى به النطق، وما بين رجليه الفرج، وقال الداودي**) أحمد بن نصر، المالكي، شارح البخاري: (**المراد بما بين اللحيين: الفم**،) بتمامه، (**فيتناول الأقوال**) كلها، (**والأكل، والشرب، وسائر ما يتأتى بالفم**،) من النطق، والفعل، كتقبيل، وعض، وشتم.

قال: أعني الداودي، ومن يحفظ من ذلك أمن من الشر كله، لأنه لم يبق إلاَّ السمع والبصر.

قال الحافظ: وخفي عليه أنه بقي البطش باليدين، وإنما محمل الحديث على أن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب، فإذا لم ينطق به إلاَّ في خير سلم.

وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلايا على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر انتهى، يعني فخصهما بالذكر لذلك، (**وفي لفظ**) عند الطبراني بسند جيد، عن أبي رافع: (**من توكل**،) أي: التزم (**لي**) حفظ (**ما بين فقميه ورجليه أتوكل له بالجنة**،) أي: بدخوله إياها، (**والفقم بالضم، والفتح**) للفاء، وأما القاف فساكنة فيهما (**اللحى**،) واقتصر الجوهري على الضم، وظاهر القاموس أن الفتح أفصح، وعبارته، والفقم، ويضم اللحى، أو إحدى اللحيين، والفقم بضمتين الفم، (**وفي لفظ آخر: من تكفل لي تكفلت له**،) أي: من ضمن ضمنت له، (**وللديلمي**) والبيهقي (**بسند ضعيف، عن أنس رفعه: من وقى شر قبقبه**،) أي: بطنه (**وذبذبه**) بمعجمتين بعد كل موحدة بزنة مذهب، أي: ذكره سمى بذلك لتذبذبه، أي: تحركه، (**ولقلقه**) بلامين وقافين، أي: لسانه، (**وجبت له الجنة**،) أي: استحق دخولها مع السابقين، أو بغير عذاب، (**ولفظ الإحياء من وقى، يعني البطن**،) بيان لمفعوله وقى، فيصير اللفظ: من وقى البطن (**من القبقبة، وهو صوت يسمع في البطن، وكأنها حكاية ذلك الصوت**،

من القبقبة، وهو صوت يسمع في البطن، وكأنها حكاية ذلك الصوت، ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه، والذكر واللسان.

فهذا وأشباهه، مما يعسر استقصاؤه. يدلك على ذلك أنه ﷺ قد رقى في الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره، وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره ﷺ.

ومما عد من وجوه بلاغته: ما ذكر أنه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الإسلام في أربعة أحاديث وهي:

حديث إنما الأعمال بالنية.

وحديث الحلال بين والحرام بين ....

ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام، وشبهه والذكر واللسان،) بالنصب عطفًا على البطن.

وروى الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة رفعه: من وقاه اللّه شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة، وفي هذا كله تحذير عظيم من شهوتي البطن والفرج، وأنهما مهلكة، ولا يقدر على كسر شهوتهما إلاَّ الصديقون، **(فهذا،)** أي: المذكور من جوامع الكلم **(وأشباهه، مما يعسر استقصاؤه، يدلك على ذلك، أنه ﷺ، قد رقي،)** بكسر القاف، من باب تعب، كما في المصباح، **(في الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره، وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره ﷺ، ومما عد من وجوه،)** جمع وجه، أي: طرق أدلة **(بلاغته ما ذكر)** بالبناء للمفعول، أي: ما ذكره الأئمة، **(أنه جمع متفرقات الشرائع)** القديمة، **(و)** جمع **(قواعد الإسلام في أربعة أحاديث،)** فجعل المصنف جمعهم دليلاً على البلاغة، لا أنه نفسه من البلاغة، إذ ليس منها على أن هذا، إنما يجيء إن فسر وجوه بصفات، إما بطرق بمعنى أدلة فلا، **(وهي حديث: إنما الأعمال بالنية،)** أي: الحديث الذي منه هذه الجملة، وكذا، يقال في الباقي، وتقدم في أوائل هذا المبحث شرح هذا اللفظ بما يغني عن إعادته حين ذكره المصنف، **(وحديث: الحلال)** ضد الحرام لغة وشرعًا، **(بين)** ظاهر بالنظر إلى ما دل عليه بلا شبهة، وهو ما نص اللّه ورسوله، أو أجمع المسلمون على حله بعينه، أو جنسه، ومنه ما لم يرد فيه منع في أظهر الأقوال، أما المختلف فيه، فليس من البين الخفاء، الحل عن القائل بالحرمة وعكسه، **(والحرام بين،)** أي: ظاهر بالنظر إلى ما دل عليه بلا شبهة.

قال الحافظ: أي: في عينهما ووصفهما بأدلتهما الظاهرة انتهى، أي: فإنما هما بالنص، أو

رواه مسلم.

وحديث البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

وحديث لا يكمل إيمان المرء ....

الإجماع على تحريمه بعينه، أو جنسه، أو بورود عقوبة، أو وعيد عليه لا بنفسهما، فلا حجة فيه للمعتزلة في قولهم: العقل يميز الحسن من القبيح، حتى لو لم تبعث الرسل لعلم ذلك، وإنما بعثت لاختلاف العقول، بل الحسن ما حسنه الشرع، وكذلك القبيح، ثم التحريم إما لمفسدة، أو مضرة خفية، كالزنا، ومذكي المجوس، وإما المفسدة، أو مضرة واضحة، كالسم والخمر، وتفصيله يطول هذا، والظاهر من مقابلة الحلال بالحرام شموله الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، وخلاف الأولى، كذا قيل، لكن وصفه ببين، بمعنى ظاهر يبعد ذلك، إذ لو بان ما كره، أو كان خلاف الأولى، (**رواه مسلم**) في البيوع، وكذا البخاري فيه، وفي كتاب الإيمان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في البيوع، وابن ماجه في الفتن، فما هذا التقصير للمصنف في العزو، فلا أقل من رواه الشيخان كلهم من حديث النعمان بن بشير، سمعت النبي ﷺ يقول... فذكره مطوّلاً.

(**وحديث: البينة على المدعي**) وفي رواية: على من ادعى، وهو من يخالف قوله الظاهر، أو من لو سكت خلى، (**واليمين على من أنكر**) المدعى عليه به، لأن جانب المدعي ضعيف، فكلف حجة قوية هي البينة، وجانب المدعى عليه قوي، فقنع بحجة ضعيفة هي اليمين.

قال ابن العربي: وهذا الحديث من قواعد الشريعة التي ليس فيها خلاف، وإنما اختلف في تفاصيل الوقائع.

قال البيضاوي: والبينة في الأصل، الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل، وقال غيره: هي ما ظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل، بحيث لا مندوحة عن شهود وجوده، ثم هذا الحديث رواه عبد الرزاق، والبيهقي، وابن عساكر، والدارقطني عن ابن عمرو بن العاصي بزيادة، إلاَّ في القسامة.

قال الحافظ: وهو حديث غريب معلول، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وأيضًا بلفظ: البينة على المدعي عليه، وله شاهد عن ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما. (**وحديث: لا يكمل إيمان المرء**) نقل بالمعنى لبيان المراد، وإلاَّ فرواية الصحيحين، وغيرهما لا يؤمن أحدكم، وفي رواية: أحد، وفي رواية: عبد، وزاد مسلم أوّله: والذي نفسي بيده، وقال الشراح: معناه إيمانًا كاملاً، فالمراد بنفيه هنا نفي بلوغ حقيقته ونهايته كخبر: لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن، ونفى اسم الشيء على معنى نفى الكمال مستفيض في كلامهم، كقولهم فلان ليس بإنسان، ولا

حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان.

يرد استلزامه إن فاعل ذلك يكمل إيمانه، وإن ترك بقية الأركان، لأن هذا ورد مورد المبالغة، ويستفاد من قوله لأخيه المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم، وصرح في رواية ابن حبان بالمراد ولفظه: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان، إذ معنى الحقيقة الكمال ضرورة إن من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرًا، **(حتى يحب)** بالنصب، لأن حتى جارة، وإن بعدها مضمرة، ولا يجوز الرفع، فتكون عاطفة لفساد المعنى، إذ عدم الإيمان ليس سببًا للمحبة، قاله الكرماني **(لأخيه)** المسلم، كما زاده في رواية الإسماعيلي، ولعله غالبي، فالمسلم ينبغي حبه للكافر الإسلام وما يترتب عليه من خير وأجر، **(ما يحب لنفسه،)** من الخير، كما في رواية النسائي، وابن منده، والإسماعيلي والقضاعي، فلا حاجة لقوله بعضهم، وهو عام مخصوص، إذ الرجل يحب لنفسه وطء حليلته لا لغيره، والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدينية، أو الدنيوية، وتخرج المنهيات، لأن اسم الخير لا يتناولها، والمحبة إرادة ما يعتقده خيرًا.

قال النووي: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد يكون بحواسه كحسن الصورة، أو بعقله، إما لذاته كالفضل والكمال، أو لإحسانه كجلب نفع ودفع ضر انتهى.

والمراد هنا الميل الاختياري دون الطبيعي والقسري، والمراد أيضًا نظير ما حصل له، لا عينه سواء، كان ذلك في الأمور المحسوسة والمعنوية، وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له، مع سلبه عنه، ولا مع بقائه بعينه له، إذ قيام الجوهر، أو العرض بمحلين محال، قيل: وظاهر الحديث طلب المساواة، وحقيقته تستلزم التفضيل، لأن كل أحد يجب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه مثاله، فقد دخل في جملة المفضولين.

قال الحافظ: أقر عياض هذا وفيه نظر، إذ المراد الزجر عن هذه الإرادة، لأن المقصود الحث على التواضع، فلا يكون أفضل من غيره، فهو مستلزم للمساواة، ويستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض، ولا فسادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ولا يتم ذلك إلاَّ بترك الحسد والغل والحق والغش، وكلها خصال مذمومة.

قال الكرماني: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره، لأن حب الشيء مستلزم لبعض نقيضه، فترك النص عليه اكتفاء انتهى، وذلك ليكون المؤمنون كنفس واحدة، ومن زعم كابن الصلاح أن هذا من الصعب الممتنع، فقد غفل عن المعنى المراد، وهو أن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، كما علم، وبه دفع زعم أن هذه محبة عقلية لا تكليفية، لأن الإنسان جبل على حب الاستئثار، فتكليفه بأنه يحب له ما يحب لنفسه مفض، لأن لا يكمل إيمان أحد إلاَّ نادرًا، ثم مقصود الحديث انتظام أحوال

فالحديث الأول: يشتمل على ربع العبادات.

والثاني: على ربع المعاملات.

والثالث: على ربع الحكومات وفصل الخصومات.

والرابع: على ربع الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات.

المعاش، والمعاد، والجري على قانون السداد ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وعماد ذلك كله وأساسه السلامة من الأمراض القلبية، فالحاسد يكره أن يفوقه أحد، أو يساويه في شيء، والإيمان يقتضي المشاركة في كل خير من غير أن ينقص على أحد من نصيب أحد شيء، نعم، ومن كمال الإيمان تمنى مثل فضائله الأخروية التي فارق عليها غيره، وقوله: «لا تتمنوا ما فضل اللّه به بعضكم على بعض»، نهي عن الحسد المذموم، فإذا فارقه أحد في فضل ديني، اجتهد في لحاقه، وحزن على تقصيره لا حسدًا، بل منافسة في الخير وغبطة، **(رواه الشيخان،)** والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس، لكن لفظ رواية مسلم: حتى يحب لأخيه، أو قال: جاره، ورواية البخاري: وغيره لأخيه، بلا شك.

(فالحديث الأول:) «إنما الأعمال بالنية»، **(يشتمل على ربع العبادات،)** عند بعضهم، ومنهم من قال، كالشافعي في إحدى الروايتين، عنه يدخل فيه نصف العلم، ووجهه المصنف فيما مر تبعًا لغيره، بأن للدين ظاهر، أو باطنًا، فالنية متعلقة بالباطن، والعمل هو الظاهر، وبأن النية عبودية القلب، والعمل عبودية الجوارح، ومنهم من قال ثلثه، كأحمد وابن مهدي، والشافعي في الرواية الثانية، ووجهه: أن الدين قول وعمل ونية.

(والثاني:) الحلال بين والحرام بين **(على ربع المعاملات،)** كما نقل عن أبي داود.

وقال ابن العربي: جعلوا هذا الحديث ثلث الإسلام وربعه، وأكثروا في التقسيمات، وكلها تحكمات، تحتمل الزيادة والنقص، وبالجملة، فالمعاني مشتركة، ولو قيل: إنه نصف الإسلام، لكان له وجه، ولو قيل: إنه جملة الدين، لما عدم وجهًا.

قال القرطبي: لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا، يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه.

(والثالث): حديث البينة **(على ربع الحكومات، وفصل الخصومات)**.

(والرابع: على ربع الآداب والمناصفات،) جمع مناصفة بمعنى إنصاف، أي: العدل في معاملة الإخوان بعضهم مع بعض، **(ويدخل تحته التحذير من الجنايات،)** لأنه إذا جنى على أخيه لم يحب له ما يحب لنفسه، إذ هو لا يحب أن أحدًا يجني عليه، ومنهم من عد حديث:

قال ابن المنير.

ومما عدَّ أيضًا من أنواع بلاغته كلامه عليه الصلاة والسلام مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعًا في الفصاحة، واستحداثًا للألفة، فكان ﷺ يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن، ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب.

فانظر إلى دعائه لأهل المدينة حين سألوه ذلك فقال: اللَّهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم، ....

إزهد في الدنيا يحبك اللَّه ربعًا، وأسقط البينة، وعد حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وأسقط حديث: لا يؤمن، وفي ذلك البيتان المشهوران:

عمدة الدين عندنا كلمات ... مسندات من قول خير البرية

اترك الشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملن بنية

(قال ابن المنير) في المقتفى: **(ومما عد أيضًا من أنواع بلاغته كلامه عليه الصلاة والسلام، مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعًا،)** أي: زيادة **(في الفصاحة، واستحداثًا للألفة،)** بضم الهمزة وكسرها، كما يفيده المصباح، وهي الأنس والمحبة، **(فكان ﷺ يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن، وأرق من المزن،)** السحاب الأبيض، جمع مزنة، **(ويخاطب أهل البدو)** الملازمين للبادية، ولم يخالطوا أهل الحاضرة، حتى تفسد لغتهم، وليس المراد بهم الإخلاط الذين لا يحسنون اللغات **(بكلام أرسى،)** أثبت **(من الهضب)** جمع هضبة، وتجمع أيضًا على هضاب، وجمع الجمع أهاضيب، كما في القاموس قائلاً، وهي: الجبل المنبسط على الأرض، أو جبل خلق من صخرة واحدة، والطويل الممتنع المنفرد، ولا يكون إلاً في حمر الجبال، والمعنى أنه يخاطبهم بكلام أثبت من الجبال الراسية في تمكنه من اللغة لشدة فصاحته، **(وأرهف من العضب،)** بمهملة، ومعجمة ساكنة، السيف القاطع، **(فانظر إلى دعائه لأهل المدينة،)** الذين هم أهل حضر، **(حين سألوه ذلك،)** أي: الدعاء، **(فقال: «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم»،)** أي: فيما يكال بذلك.

قال الراغب: أصل البرك صدر البعير، وإن استعمل في غيره وبرك البعير ألقى بركه، واعتبر فيه معنى اللزوم، ومنه بركاء الحرب، لمكان تلزمه الأبطال، والبركة لمحبس الماء، والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾ [الأعراف: ٩٦]

وفي حديث آخر: اللّهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا. اللّهم إني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة ومثله معه.

ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود، فقام طهفة بن رهم ....

لثبوت خيرها ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى، ولا يحصر، قيل: لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة، مبارك فيه بركة، وإلى هذه الزيادة أشير بحديث: «لا ينقص مال من صدقة»، لا إلى النقصان المحسوس، كما قال بعض الخاسرين، حين قيل له: ذلك بيني وبينك الميزان، وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، تنبيه على ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والنيرين المذكورة، وكل موضع ذكر فيه تبارك، فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة، مع ذكر تبارك انتهى، وهو تحقيق نفيس لا مزيد عليه.

(**وفي حديث آخر**) عند مسلم بمعناه: (**اللهم بارك لنا في تمرنا، وبارك لنا في مدينتنا**) أي: كثر خيرها، (**وبارك لنا في صاعنا،**) أي: فيما يكال بصاع مدينتنا، (**وبارك لنا في مدنا،**) أي: وفيما يكال به، ثم يحتمل كون البركة دينية، وتكون بمعنى الثبات، أي: ثبتنا في أداء حقوق الحق المتعلقة بهذه المقادير، وكونها دنيوية، وتكون بمعنى الزيادة، بحيث يكفي المد فيها ما لا يكفي في غيرها، ويحتمل الأمرين معًا، (**اللهم إني أدعوك للمدينة**) طيبة، (**بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة**) بقوله: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات﴾ [إبراهيم: ٣٧] الآية، (**ومثله معه**،) وفي رواية مسلم: اللهم اجعل مع البركة بركتين، وعند الترمذي: أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم، مثل ما باركته لأهل مكة مع البركة بركتين، وتمسك بهذا من فضلها على مكة، لأن التضعيف شامل للأمور الدينية أيضًا، (**ثم انظر دعاءه لبني نهد،**) بفتح النون، وسكون الهاء، ودال مهملة، قبيلة باليمن الذين هم أهل بدو، أي: تأمل الفرق بينه وبين دعائه لأهل المدينة، حيث دعا لنهد بنوع ما جاؤوا به، (**وقد وفدوا عليه في جملة الوفود، فقام طهفة**،) بكسر الطاء المهملة، وفتحها، وهاء ساكنة تليها فاء، كما قال ابن عبد البر، وضبطه غيره بالتحتية بدل الفاء، ويقال بخاء معجمة بدل الهاء وبالفاء، ثم هاء تأنيث، ويقال: طغية بغين معجمة وياء، وقيل: طقفة بقاف، ثم فاء، ويقال: اسمه يعيش، أو قيس (**ابن رهم**،) كذا في النسخ، والذي في الإصابة طهفة بن أبي زهير، وقال أبو عمر: طهفة بن زهير انتهى، فإن ثبت ما للمصنف، فيجوز أن أبا زهير اسمه رهم (**النهدي**،) روى قصته هذه بطولها ابن الأعرابي في

النهدي يشكو الجدب إليه فقال: فقال يا رسول الله أتيناك من غورى تهامة، بأكوار الميس، نرتمي بنا العيس، نستخلب الصبير، ونستخلب الخبير، ونستعضد البرير، ونستحيل الرهام، ونستحيل الجهام، من أرض غائلة النطاء، غليظة الوطاء، قد نشف المدهن، ويبس الجعثن، وسقط الأملوج، ومات العسلوج، وهلك الهدي، ومات الودي، برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث من الزمن، لنا دعوة الإسلام وشرائع الإسلام ما طما البحر وقام تعار، ولنا نعم همل، أغفال ما تبل ببلال، ووقير كثير الرسل، قليل الرسل، أصابتها سنية حمراء مؤزلة، لي لها علل ولا نهل.

معجمه، وأبو نعيم في الصحابة عن عمران بن حصين، وابن الجوزي في العلل من وجه ضعيف جدًا، عن علي بن أبي طالب قالا: قدم وفد بني نهد على النبي ﷺ، فقام طهفة لفظ عمران، ولفظ علي: طخفة بالخاء المعجمة ابن أبي زهير، (**يشكو الجدب إليه**) بدال مهملة، ضد الخصب، (**فقال: يا رسول الله أتيناك من غوري**) بفتح المعجمة، والراء، وإسكان الواو بينهما، (**تهامة،**) أي: ما انحدر مغربًا عنها، كما في القاموس (**بأكوار،**) أي: رحال، (**الميس،**) بفتح الميم، وإسكان التحتية، ومهملة، (**نرتمي**) نقصد (**بنا العيس،**) أي: الإبل مطلقًا، وإن كانت في اللغة الإبل البيض إلى صفرة، (**نستخلب الصبير، ونستخلب الخبير،**) بمعجمة فيهما، (**ونستعضد البرير، ونستخيل**) بمعجمة (**الرهام،**) بكسر الراء: الأمطار الضعيفة الدائمة، (**ونستحيل،**) بحاء مهملة، على الأشهر، وروى بجيم وخاء معجمة (**الجهام،**) بفتح الجيم، السحاب لا ماء فيه، أو انقطع ماؤه (**من أرض غائلة النطاء،**) بكسر النون، مهلكة لبعدها (**غليظة الوطاء، قد نشف المدهن،**) بضم الميم، والهاء، من النوادر التي جاءت على خلاف القياس، والقياس الكسر، كما في المصباح، (**وييس الجعثن،**) بكسر الجيم، وسكون المهملة، وكسر المثلثة، (**وسقط الأملوج، ومات العسلوج، وهلك الهدى، ومات الودى، برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعنن، وما يحدث من الزمن لنا دعوة الإسلام وشرائع الإسلام ما طما البحر،وقام تعار ولنا نعم همل،**) بفتحتين، وبضم أوّله، وفتح ثانيه، ثقيلاً (**أغفال**) بمعجمة، وفاء (**ما تبل ببلال ووقير،**) بقاف، وتحتية وراء، قطيع من الغنم، (**كثير الرسل،**) بفتح الراء، أي: شديد التفرق في طلب المرعى، (**قليل الرسل،**) بكسر فسكون، اللبن، كما في النهاية، (**أصابتها سنية حمراء**) أي: جدب شديد، تصغير تعظيم، قاله في النهاية، (**مؤزلة**).

قال ابن الأثير: الأزل الضيق، والشدة، وسنة مؤزلة آتية بالأزل والقحط، (**ليس لها علل، ولا نهل،**) أي: شرب ثان بعد شرب أوّل لشدة القحط، (**فقال لهم رسول الله ﷺ: «اللهم بارك**

فقال لهم رسول الله ﷺ: اللَّهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها، وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر، وافجر له الثمد، وبارك له في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلمًا، ومن آتى الزكاة كان محسنًا، ومن شهد أن لا إلٰه إلا الله كان مخلصًا، لكم يا بني نهد ودائع الشرك، ووضائع الملك، لا تلطط في الزكاة، ولا تلحد في الحياة، ....

لهم في محضها ومخضها ومذقها») متعلق ببارك، أي: اجعل البركة، وزيادة الرزق وثباته مقسومًا وأصلاً لهم، **(وابعث)** أرسل **(راعيها في الدثر)** بفتح المهملة، وإسكان المثلثة وتفتح، المال الكثير، **(بيانع الثمر)** من إضافة الصفة للموصوف، أي: بالثمر اليانع، **(وأفجر)** بضم الجيم **(له)** للراعي **(الثمد)** بمثلثة مفتوحة، وميم ساكنة، وتفتح. الماء القليل، أي: كثره للراعي، وإذا كثر له كثر لغيره، فافجر مجاز عن معنى التكثير للزومه له غالبًا، **(وبارك له في المال والولد)** عطف على ما قبله، أو على بارك الأوّل، والمال كل ما يتموّل ويملك، وهو في كلام العرب في الأكثر يختص بالإبل، ويجوز إرادة كل منهما هنا **(من أقام الصلاة كان مسلمًا)** أي: كاملاً، كقوله: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، أو المراد يحكم بإسلامه الظاهر، أو المراد الحث على إقامة الصلاة، أي: المداومة والمحافظة عليها، أو هو على ظاهره، لأن من تركها مستحلاً لتركها كفر، أو لأن تاركها كافر في قول كثيرين منهم أحمدًا، وهو في حكم الكافر، لأنه يقتل، **(ومن آتى)** بالمد، أعطى وأدى **(الزكاة كان محسنًا)** منعمًا متفضلاً على الفقراء، أو إتيانًا بأمرٍ حسن، مطلوب في الدين، **(ومن شهد أن لا إلٰه إلاَّ اللَّه)** أي: أتى بكلمة التوحيد، وأعلن بها **(كان مخلصًا)** في إيمانه، لأن الظاهر مطابقة قوله، لما في قلبه حملاً لأحوال المؤمن على الصلاح، والمراد بالإخلاص عدم النفاق.

وقيل: المراد من قال كلمة الشهادة، وهي لا إلٰه إلاَّ اللَّه محمد رسول اللَّه، كما يقال: قرأت حم والكتاب المبين، أي: السورة بتمامها **(لكم يا بني نهد ودائع الشرك)** لكم خير مقدم للاهتمام، لا للحصر القلبي، بناء على ما يأتي من تفسيره، وجملة النداء معترضة لبيان المخاطب **(ووضائع الملك)** بكسر الميم، على تفسيره الآتي ما يلزم الناس في أموالهم من زكاة وصدقة، أي: يلزمكم من غير زيادة، ولا نقص، أو بضم الميم، أي: ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعايا، ويستأثرون به من غنائم الحروب لا يؤخذ منكم، فهو لكم **(لا تلطط)** بضم الفوقية، وإسكان اللام، وكسر الطاء الأولى، مجزوم على النهي، **(في الزكاة)** متعلق به، أي: لا تمنعها، **(ولا تلحد)** بضم التاء والجزم، **(في الحياة)** من ألحد إذا جار وعدل عن الحق، أي: لا تمل عن الحق ما دمت حيًا، **(ولا تتثاقل)** بالجزم أيضًا، أي: لا تتوان وتتكاسل، **(عن الصلاة)** كناية

ولا تتثاقل عن الصلاة.

ثم كتب معه كتابًا إلى بني نهد: بسم الله الرحمٰن الرحيم: من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد، السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة، ولكم الفارض والفريش، وذو العنان الركوب، والفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم، ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق، وتأكلوا الرباق، من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله ﷺ الوفاء بالعهد ....

عن تركها، كأن عليه ثقلاً يمنعه عن الحركة إليها، والخطاب في الثلاثة لطهفة، فأفرده بعد خطاب الجماعة بقوله: يا بني نهد لجواز أنه ذكرهم به حال خطابه لطهفة، ويدلّ عليه قوله: (**ثم كتب معه كتابًا إلى بني نهد: «بسم الله الرحمٰن الرَّحيم، من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد، السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة**»،) بظاء معجمة وفاء، بزنة سفينة، وجمعها وظائف، ووظف كسفن (**الفريضة ولكم الفارض**،) بالفاء والعين المهملة، (**والفريش**،) بالفاء المعجمة، (**وذو العنان**،) بالكسر، (**الركوب**،) بفتح الراء والرفع صفة، ذوو روى بالجر صفة العنان، (**والفلو**،) بفتح الفاء، وضم اللام، وشد الواو، المهر الصغير سمى فلوًا، لأنه يفلي عن أمه، أي: يقطع بالفطام عنها.

قال الجوهري: يقال: فلوته إذا قطعته، وعن أبي زيد: إذا افتحت الفاء شددت الواو، وإذا كسرتها خففت، فقلت: فلو كجرو، وفي القاموس: الفلو بالكسر وكعدوّ وسمو الجحش والمهر طمًا، أو بلغا السنة (**الضبيس**،) بمعجمة، وإهمالها وهم (**لا يمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم**،) بفتح المهملة، وسكون اللام ومهملة، شجر عظيم، يقال له: العضاء، وأم غيلان، وكل شجر له شوك، والمراد لا يقطع لكم شجر طلحًا، أو غيره، وخصه، لأنه لا ثمر له، فإذا منع من قطعه علم عدم قطع غيره بالأولى، (**ولا يحبس دركم**،) بفتح الدال، وشد الراء المهملتين، أصل معناه اللبن، والمراد به هنا الإنعام ذوات الدر، أي: لا تمنع عن المرعى (**ما لم تضمروا**) تخفوا، أو تكتموا (**الإماق**) بهمزة مكسورة، وميم ساكنة، وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة الإكرام، أي: الغدر والبغض، وقد تخفف همزته، كما في التلمساني، ويأتي للمصنف أن في رواية الرماق، بكسر الراء والميم، قيل: وهي التي اتفق عليها شراح الشفاء، ومحشوها، (**وتأكلوا الرباق**،) براء وموحدة خفيفة وقاف، جمع ربقة، (**من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله ﷺ الوفاء بالعهد**،) أل عهدية، أي: ما عاهدهم عليه في كتابه هذا، أو ما علم من عهود الإسلام، (**والذمة**) بمعنى العهد

والذمة، ومن أبى فعليه الربوة.

وتحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة إلى التفسير:

فالميس: شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها.

ونستحلب ـ بالحاء المهملة ـ الصبير: بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة، وهو سحاب أبيض متراكب متكاثف. أي نستدر السحاب.

ونستخلب ـ بالخاء المعجمة ـ الخبير: بالخاء المعجمة أيضًا ثم الموحدة: النبات والعشب، شبه بخبير الإبل وهو وبرها، واستخلابه: احتشاشه بالمخلب، وهو المنجل، والخبير: يقع على الوبر والزرع والأكار قاله ابن الأثير.

والأمان والضمان والحرمة والحق، والمراد الأوّلان سميت ذمة، لأن تركها يوجب الذم، ثم سمى محل الالتزام بها في قول الفقهاء ثبت في ذمته، كذا قال القرافي في قواعده: لم يعرف أكثر الفقهاء معناها، وحقيقتها حتى ظنوا أنها أهلية المعاملة، أو صحة التصرف، وليس كذلك، لأن كلا يوجد بدون الآخر، وهي عبارة عن معنى مقدر في المكلف، قابل للالتزام واللزوم، مسبب عن أشياء خاصة في الشرع، وهي البلوغ والرشد وعدم الحجر، وهي من خطاب الوضع، **(ومن أبى)** امتنع من قبول العهد، أو نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع الزكاة، **(فعليه الربوة،)** مثلث الراء ساكن الموحدة.

(وتحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة إلى التفسير، فالميس) بفتح الميم، وسكون التحتية، **(شجر صلب يعمل منه أكوار الإبل ورحالها)** عطف تفسير، ففي القاموس: الكور بالضم الرحل، أو بأدواته، **(ونستحلب بالحاء المهملة الصبير، بفتح الصاد المهملة، وكسر الموحدة، وهو سحاب أبيض متراكب، متكاثف،)** كان بعضه صبر على بعض، أي: حبس، **(أي: نستدر السحاب،)** أي: نطلب نزول دره، وهو المطر، **(ونستخلب بالخاء المعجمة الخبير، بالخاء المعجمة، أيضًا، ثم الموحدة النبات والعشب،)** خاص على عام، **(شبه بخبير الإبل، وهو وبرها،)** فهو مجاز، **(واستخلابه احتشاشه بالمخلب، وهو المنجل،)** بكسر الميم، الآلة المعروفة، **(والخبير يقع على الوبر والزرع، والأكار)** الزراع، ومنه المخابرة، وهي المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض، **(قاله ابن الأثير)** في النهاية، والمراد هنا الزرع، أي: النبات.

قال الجوهري: وفي الحديث: نستخلب الخبير، أي: نقطع النبات ونأكله انتهى، ثم ظاهر قوله يقع أنه حقيقة لغوية في كل، وهو ظاهر إطلاق القاموس والصحاح، فيخالف قوله شبه

ونستعضد البرير: أي نقطعه ونجنيه من ثمره للأكل، وهو بموحدة وراءين بينهما مثناة تحتية، ثمر الأراك إذا اسود وبلغ، وقيل: هو اسم له في كل حال، وكانوا يأكلونه في الجدب.

ونستخيل ـ بالخاء المعجمة ـ الرهام: بكسر الراء، وهي الأمطار الضعيفة، واحدتها رهمة، أي نتخيل الماء في السحاب القليل، وقيل: الرهمة أشد وقعًا من الديمة.

ونستجيل: بالجيم، أي نراه جائلاً يذهب به الريح هٰهنا وهٰهنا.

والجهام: بالجيم، أي السحاب الذي فرغ ماؤه.

ومن روى نستخيل ـ بالخاء المعجمة بدل الجيم ـ فهو نستفعل من «خلت، أخال» إذا ظننت، أراد لا نتخيل في السحاب حالاً إلاَّ المطر وإن كان جهامًا لشدة حاجتنا إليه، ومن رواه بالحاء المهملة ـ وهو الأشهر ـ أراد: لا ننظر من السحاب في حال إلا إلى جهام من قلة المطر.

بخبير الإبل، اللهم إلاَّ أن يريد يقع مجازًا فلا تخالف، (**ونستعضد البرير: أي نقطعه**) فالسين للتأكيد، (**ونجنيه من ثمره للأكل، وهو بموحدة وراءين، بينهما مثناة تحتية، ثمر الأراك إذا اسود وبلغ، وقيل: هو اسم له في كل حال،**) وإن لم يسود ويبلغ، (**وكانوا يأكلونه في الجدب**) لقلة الزاد، (**ونستخيل، بالخاء المعجمة الرهام، بكسر الراء، وهي الأمطار الضعيفة**) الدائمة، كما في القاموس، (**واحدتها رهمة**) بكسر الراء، وتجمع أيضًا على رهم كعنب، كما في القاموس (**أي: نتخيل الماء في السحاب القليل، وقيل: الرهمة أشد وقعًا من الديمة**) المطر، (**ونستجيل بالجيم، أي: نراه جائلاً يذهب به الريح هٰهنا وهٰهنا، والجهام بالجيم**) المفتوحة، (**أي: السحاب الذي فرغ ماؤه،**) كذا فسره ابن الأثير، وهو أحد قولين حكاهما المجد، فقال: الجهام السحاب لا ماء فيه، أو قد هراق ماءه، وجزم الجوهري بأوّلهما، وقد يكون أنسب هنا، (**ومن روى: نستخيل بالخاء المعجمة، بدل الجيم، فهو نستفعل،**) ذكره لبيان مأخذه، وإلاَّ فوزنه كذلك على الرايات الثلاث، (**من خلت أخال إذا ظننت أراد لا نتخيل في السحاب حالاً، إلاَّ المطر، وإن كان جهامًا لشدة حاجتنا إليه،**) فنظن ما لا وجود له موجودًا، (**ومن رواه بالحاء المهملة**) لا بمعجمة، ولا جيم، (**وهو الأشهر، أراد لا ننظر من السحاب في حال، إلاَّ إلى جهام من قلة المطر،**) فقده بعد وجوده، أو عدم وجوده أصلاً، وهذا كله لفظ النهاية، (**وأرض**

وأرض غائلة ـ بالغين المعجمة ـ والنطاء ـ بكسر النون ـ أي مهلكة للبعد، يقال: بلد نطي، أي بعيد، ويروى المنطأ وهو مفعل منه.

والمدهن: نقرة في الجبل.

والجعثن: بالجيم والمثلثة، أصل النبات، ويقال: أصل الصليان خاصة وهو نبت معروف.

والعسلوج: بضم العين وبالسين المهملتين، آخره جيم، وهو الغصن إذا يبس وذهبت طراوته، وقيل: هو القضيب الحديث الطلوع، يريد أن الأغصان يبست وهلكت من الجدب، وجمعه: عساليج.

والأملوج: بالضم والجيم، ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو، وقيل: هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان، وقيل: هو نوى المقل. وفي رواية: وسقط الأملوج من البكارة ـ بالكسر ـ جمع البكرة ـ بالفتح ـ يريد أن السمن الذي قد علا بكارة الإبل بما رعت ....

غائلة بالغين المعجمة، والنطاء، بكسر النون، أي: مهلكة بيان لغائلة، (**للبعد، يقال: بلد نطي، أي: بعيد، ويروى المنطأ، وهو مفعل منه**).

فالروايتان بمعنى، (**والمدهن نقرة في الجبل**،) كما قال ابن الأثير، ويخالفه قول القاموس: المدهن، بالضم، آلة الدهن، وقارورته شاذ ومستنقع الماء، أو كل موضع حفره سيل، ومنه حديث: طهفة نشف المدهن، اللهم إلاَّ أن يريد بنقرة الجبل ما حفره السيل مما اعتيد حفره فيه، وهو كناية عن جفاف الماء في جميع نواحيهم، (**والجعثن بالجيم والمثلثة**) المكسورتين، بينهما مهملة ساكنة، آخره نون، (**أصل النبات**) مطلقًا، (**ويقال: أصل الصليان**) بكسرتين مشددة اللام، واحدته بهاء، ذكره القاموس في باب اللام، (**خاصة، وهو نبت معروف، والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم، وهو الغصن إذا يبس وذهبت طراوته، وقيل: هو القضيب الحديث**،) الجديد (**الطلوع، يريد أن الأغصان يبست وهلكت من الجدب، وجمعه عساليج، والأملوج بالضم**) بالألف واللام (**والجيم**) آخره: (**ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو، وقيل: هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان، وقيل: هو نوى المقل**).

قال في القاموس: بالضم، إلى أن قال: ثمر الدوم، (**وفي رواية: وسقط الأملوج من البكارة، بالكسر جمع البكرة، بالفتح**) للباء (**يريد أن السمن الذي، قد علا بكارة الإبل بما رعت**

من هذه الشجرة قد سقطت عنها، فسماه باسم المرعى، إذ كان سببًا له.

وهلك الهدي: بفتح الهاء وكسر الدال المهملة والتشديد، كالهدي بالتخفيف، وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من النعم لينحر، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هديا، تسمية للشيء ببعضه، يقال: كم هدي بني فلان؟ أي كم إبلهم.

ومات الودي: بالتشديد، فسيل النخل، يريد هلكت الإبل ويبست النخل.

وبرئنا إليك من الوثن والعنن، الوثن: الصنم، والعنن، الاعتراض، يقال: عنَّ لي شيء أي اعترض، كأنه قال: برئنا إليك عن الشرك والظلم، وقيل: أراد به الخلاف والباطل.

وماطمى البحر: أي ارتفع بأمواجه.

وتعار: بكسر التاء المثناة الفوقية، يصرف ولا يصرف، اسم جبل.

ولنا نعم همل: أي مهملة لا رعاء لها، ولا فيها ما يصلحها ويهديها، فهي كالضالة.

والإبل الأغفال: لا لبن فيها. ....

من هذه الشجرة، قد سقط عنها، فسماه باسم المرعى إذ كان سببًا له)، فهو مجاز، (وهلك الهدى بفتح الهاء، وكسر الدال المهملة، والتشديد، كالهدى بالتخفيف، وهو ما يهدي إلى البيت الحرام من النعم لينحر، فأطلق على جميع الإبل، وإن لم تكن هديًا) لصلوحها له، (تسمية للشيء ببعضه، يقال: كم هدى بني فلان، أي: كم إبلهم، ومات الودي بالتشديد) للياء، (فسيل النخل يريد هلكت الإبل، ويبست النخل، وبرئنا إليك من الوثن والعنن، الوثن: الصنم، والعنن: الاعتراض، يقال: عن لي شيء، أي: اعترض، كأنه قال: برئنا إليك من الشرك والظلم، وقيل: أراد به الخلاف والباطل، وما طمي البحر،) بالطاء المهملة (أي: ارتفع بأمواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية) بعدها عين مهملة، فألف، فراء بزنة كتاب (يصرف، ولا يصرف،) بالاعتبارين البقعة والمكان (اسم جبل) ببلاد قيس، كما في القاموس، (ولنا نعم همل) بفتحتين وبضم أوله، وشد الميم مفتوحة، جمع هامل مثل: راكع وركع، كما في المصباح والقاموس، (أي: مهملة لا رعاء لها، ولا فيها ما يصلحها ويهديها، فهي كالضالة، والإبل الأغفال لا لبن فيها،) جمع غفل بالمعجمة والفاء.

وقوله عليه الصلاة والسلام: اللّٰه بارك لهم في محضها: بالحاء المهملة والضاد المعجمة، أي خالص لبنها.

ومخضها: بالمعجمتين، ما مخض من اللبن وأخذ زبده.

ومذقها: بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف، أي ممزوج بالماء.

وابعث راعيها في الدثر: بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الراء، المال الكثير، وقيل: الخصب والنبات الكثير.

وافجر له الثمد: بفتح المثلثة، الماء القليل، أي صيره كثيرًا.

وودائع الشرك: قيل المراد بها العهود والمواثيق، يقال: توادع الفريقان، إذا أعطى كل واحد ....

(وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم بارك لهم في محضها»، **بالحاء المهملة، والضاد المعجمة، أي: خالص لبنها»**) ومادته كلها تدل على الخلوص، والصفاء، ومنه محض الإيمان، ومحض الود، وعربي محض، ونحو ذلك، (**ومخضها، بالمعجمتين، ما مخض من اللبن وأخذ زبده**) وأصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن حتى يتميز زبده، فيؤخذ منه، ويسمى ذلك اللبن المأخوذ زبده مخيضًا، وهو صفة لا مصدر ميمي، (**ومذقها، بفتح الميم، وسكون المعجمة، وبالقاف، أي:**) لبنها، وهو (**ممزوج بالماء**) وأصل معناه الخلط، والمزج، ثم استعمل في اللبن المخوط بالماء، قال: جاؤوا بمذاق هل رأيت الذئب قط، والضمائر راجعة لأرضهم، أو لأنعامهم المذكورة في كلام طهفة، فدعا المصطفى لهم بالبركة في ألبانهم بأقسامها، ما كان خالصًا لم يتميز زبده، وما خرج بالماء، ومجموعه كناية عن خصب أرضهم، وسقيها، فإن الألبان إنما تكثر بنبات المرعى، وهو إنما يكون بالمطر المخلوط، فكأنه قال: «اللهم اسق بلادهم، واجعلها مخصبة ملبنة»، ويدل عليه قوله: (**«وابعث راعيها في الدثر، بالمهملة المفتوحة، ثم المثلثة الساكنة**) ويجوز فتحها، (**ثم الراء، المال الكثير**»، **وقيل: الخصب والنبات الكثير**) لأنه من الدثار، وهو الغطاء، لأنها تغطي وجه الأرض، (**وافجر**) بضم الجيم، (**له الثمد، بفتح المثلثة**) وإسكان الميم، وتفتح، كما في القاموس، (**الماء القليل**) لا مادة له، أو ما يبقى في الجلد، أو ما يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف، كما في القاموس، (**أي: صيره كثيرًا**) فافجر مجاز عن التكثير للزومه له غالبًا، (**وودائع الشرك، قيل: المراد بها العهود، والمواثيق**) التي كانت بينهم، وبين من جاورهم من الكفار في المهادنة، (**يقال: توادع الفريقان إذا أعطى كل واحد**

منهم عهده للآخر لا يغزوه، وقيل: المراد ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط.

ووضائع الملك: جمع وضيعة، وهي الوظيفة التي تكون على الملك، وهو ما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة، أي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم ولا نريد عليكم فيها شيئًا.

ولا تلطط؛ بضم المثناة الفوقية، ثم اللام الساكنة ثم طاءان، الأولى مكسورة والثانية مجزومة على النهي، أي لا ....

منهم عهده للآخر لا يغزوه،) ويسمى ذلك العهد وديعًا بلا هاء، فيقال: أعطيته وديعًا، أي: عهدًا، قيل: والظاهر أن المراد عهودهم الواقعة بينهم بعد الحروب، بعدم المؤاخذة بما قتلوا، وإن ما أراقوا من الدماء هدر، كما في الحديث الآخر: كل دم في الجاهلية تحت قدمي هذه، أي: متروك هدرًا، **(وقيل: المراد ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، أراد إحلالها لهم، لأنها مال كافر، قدر عليه من غير عهد، ولا شرط،)** فهو فيء لم يوجف عليه بخيل، ولا ركاب، فهو على هذا جمع وديعة بالهاء، ولا ينافيه أنه ﷺ، لما هاجر خلف عليًا، لرد الودائع والأمانات التي كانت عنده، لأنه كان قبل حل الغنائم له، أو لأنه ﷺ فر من نسبته للخيانة، وذهاب شهامته وأمانته، فيطعنوا في الإسلام، ويبعدوا من الإيمان.

(ووضائع الملك جمع وضيعة،) بمعنى موضوعة، **(وهي الوظيفة التي تكون على الملك،)** بكسر الميم، ما يملك، **(وهو ما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة، أي: لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم، ولا نريد عليكم فيها شيئًا،)** بل هم فيها، كسائر المسلمين، وقيل: الملك بضم الميم، والمعنى أن ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعايا، ويستأثرون به من غنائم الحروب لا يؤخذ منكم، فهو لكم، فلام لكم على ظاهرها على التفسيرين الأخيرين للودائع، والوضائع، وعلى الأولين بمعنى عليّ كقوله: «وإن أسأتم فلها»، واعترض بأن العهد إذا لزم الوفاء به يكون على المعاهد، لأنه فرض مطلوب منه، وعهود مهادنتهم قبل الإسلام، لا يجب الوفاء بها بعده، والقائل: ظن وجوب الوفاء، فجعل اللام، بمعنى على، وليس كذلك، لأن عهد الكافر، لا يعتد به، وإنما الوضائع بمعنى تكاليف الزكاة، فهي وإن ثقلت على بعضهم لهم، باعتبار الأجر عليها، لكن هذا مبني على تفسيره، وليس بمتعين، كما علم، **(ولا تلطط، بضم المثناة الفوقية، ثم اللام الساكنة، ثم طاءان)** بعدها الأولى، ثم طاءين **(الأولى مكسورة، والثانية مجزومة،)** فيه مسامحة، إذ الجزم صفة للفعل بتمامه، فالمراد ساكنة **(على النهي، أي: لا**

تمنعها.

ولا تلحد في الحياة: بضم المثناة الفوقية وإسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة، أي: لا تمل عن الحق ما دمت حيًا. قال بعضهم: كذا رواه القتيبي: ولا تلطط ولا تلحد على النهي للواحد، ولا وجه له لأنه خطاب الجماعة، ورواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة، ولا تلطط في الزكاة وتلحد في الحياة. قال الحافظ أبو السعادات الجزري، وهو الوجه، لأنه خطاب للجماعة واقع على ما قبله.

تمنعها).

قال ابن الأعرابي: لط الغريم، إذا منعه حقه، وأصله من لطت الناقة فرجها بذنبها، إذا ضمته عليه، وقد أرادها الفحل، وفي شعر الأعشى في امرأته حين نشزت:

أخلفت الوعد ولطت بالذنب وهن شر غالب لمن غلب

(«**ولا تلحد في الحياة**»، **بضم المثناة الفوقية، وإسكان اللام، وكسر الحاء المهملة، آخره دال مهملة**) مجزوم، (**أي: لا تمل عن الحق ما دمت حيًا**،) من ألحد إلحادًا، إذا جار، وعدل عن الحق، وأصله مطلق العدول، ويقال: لحد قليلاً، (**قال بعضهم: كذا رواه القتيبي**،) بضم القاف، وفتح الفوقية، وإسكان التحتية، وبالموحدة عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري نسب إلى جده، (**ولا تلطط، ولا تلحد على النهي للواحد، ولا وجه له، لأنه خطاب الجماعة**) المذكورين في قوله: «لكم يا بني نهد»، (**ورواه غيره**) عقب قوله: وضائع الملك (**ما لم يكن عهد، ولا موعد، ولا تثاقل عن الصلاة، ولا تلطط**،) بزنة تفعل، (**في الزكاة، وتلحد في الحياة**،) باسم المصدر، وشد العين في الثلاث.

(**قال الحافظ أبو السعادات الجزري**،) وهو ابن الأثير في النهاية: (**وهو**) أي: المروي عن غير القتيبي، (**الوجه**) الواضح، (**لأنه خطاب للجماعة واقع على ما قبله**،) وتلك الرواية جاءت على غير أسلوبه، لتوجه الخطاب الواحد من بينهم، فقياسه، ولا تلططوا، ولا تلحدوا، ولذا ضبطه ابن رسلان: لا نلطط، ولا نلحد، بالنون، فيهما من باب نهي الإنسان نفسه، لينتهي غيره، ولكن، قد أجيب رواية القتيبي؛ بأن الخطاب لمن تلقى الكلام من النبي ﷺ من بين جميع المخاطبين ابتداء، ونظيره، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك، حيث خوطب المتلقي بلفظ ذلك، ولم يقل ذلكم، وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي للتعريض بالباقين، والصون لهم عن توجه صيغة النهي إليهم، رجاء الانقياد للامتثال بألطف وجه، أو الخطاب لهم برمتهم

وقوله: ولا تتثاقل عن الصلاة، أي لا تتخلف.

والوظيفة: الحق الواجب.

والفريضة: أي الهرمة المسنة، أي لا تأخذ في الصدقات هذا الصنف كما أنا لا نأخذ خيار المال.

والفارض: ـ بالفاء والضاد المعجمة ـ المريضة.

والفريش: بفتح الفاء آخره شين معجمة، وهي من الإبل كالنفساء من بنات ءادم، أي لكم خيار المال وشراره، ولنا وسطه.

أولاً، ثم توجه لواحد في المجلس، فنهاه تعريضًا بهم، أو نهاهم نهى غيبة تنزيلاً لهم منزلة الغائبين، أي: لا تلطط، ولا تلحد هي، والضمير لبني نهد، وبنون، وإن كان جمع مذكر سالم، لا يعود له ضمير المؤنث، ولا تلحقه التاء، فلا يقال: الزيدون قامت، ولا قامت الزيدون، إلاَّ أنه، لما غير مفرده عند جمعه أشبه جمع التكسير، فأعطى حكمه، فجاز إلحاق التاء بفعله نحو: قامت البنون، ومنه إلاَّ الذي آمنت به بنو إسرائيل، فيجوز البنون، قامت، وتقوم بتاء التأنيث، (**وقوله: «لا تتثاقل»**،) بالجزم نهي للواحد، وفيه ما مر (**«عن الصلاة»، أي: لا تتخلف**) عنها وتتركها، بجعل التناقل كناية عن ذلك، كأن عليه ثقلاً يمنعه عن الحركة إليها، (**والوظيفة الحق، الواجب، والفريضة، أي: الهرمة المسنة**) لفرضها سنها، أي: قطعها له، أو لانقطاعها عن العمل، والانتفاع بها، (**أي: لا تأخذ في الصدقات هذا الصنف، كما أنا لا نأخذ خيار المال والفارض، بالفاء والضاد المعجمة، المريضة،**) فهي لكم، لا نأخذها في الزكاة أيضًا، هكذا ضبطه البرهان الحلبي، وغيره، بالفاء، وضبطه التحاني بالعين مهملة، بدل الفاء، وذكره الشمني أيضًا، وفسروه بالناقة التي يصيبها كسرًا، ومرض، فهي باقية لأصحابها لا تؤخذ في الزكاة، وفي الغريبين: الفارض بالفاء، وقيل: بالعين التي أصابها كسر، يقال: عرضت الناقة، إذا أصابها آفة، أو كسر، وبنو فلان أكالون للعوارض، إذا لم ينحروا، إلاَّ ما أصابه مرض، أو كسر، خوفًا أن يموت، فلا ينتفعون به.

والعرب تعير بأكله، (**والفريش، بفتح الفاء،**) وكسر الراء، وتحتية ساكنة، (**آخره شين معجمة، وهي من الإبل**) الحديثة العهد بالنتاج، (**كالنفساء من بنات ءادم، أي: لكم خيار المال،**) كالفريش، لأنها لبون نفيسة، (**و**) لكم، (**شراره**)، كالفريضة والفارض، (**ولنا وسطه**) رفقًا بالفريقين، وقيل: الفريش ما لا يطيق حمل الأثقال من الإبل لصغره، يقال: فرش وفريش، بمعنى، وإن كان المشهور فرش، قال تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]، وعلى هذا،

وذو العنان: بكسر العين، سير اللجام.

والركوب: بفتح الراء، أي الفرس الذلول.

والضبيس، بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره مهملة، المهر العسر الصعب.

امتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ورديئها.

ولا يمنع ـ بضم المثناة التحتية وفتح النون ـ، سرحكم ـ بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ـ ما سرح من المواشي، أي لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم.

ولا يعضد طلحكم: أي لا يقطع.

ولا يحبس دركم: أي لا تحبس ذوات الدر عن المرعى إلى أن تجتمع

فالمعنى لا تؤخذ لحسنها، **(وذو العنان، بكسر العين،)** ونونين، بينهما ألف **(سير اللجام، والركوب، بفتح الراء، أي: الفرس الذلول،)** أي: المذلل المركوب، قال تعالى: ﴿فمنها ركوبهم﴾ [يس: ٧٢]، ووصفه بذي العنان في محله، أي: لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه، (و) الفلو: **(الضبيس، بفتح المعجمة، وكسر الموحدة،)** وسكون التحتية، **(آخره)** سين **(مهملة. المهر العسر)** الركوب، **(الصعب،)** وهو من رجال كذلك، كأنه كنى به عن صغره، ولو عطف كان المراد به الحرون إلاَّ أنه وقع بلا عطف، **(أمتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها،)** وهو ذو العنان الركوب **(ورديئها،)** وهو الغلو الضبيس، أي: أظهر المنة عليهم بذلك، وإلاَّ، فعدم زكاة الخيل إنما يقوله المصطفى بالوحي، **(ولا يمنع، بضم المثناة التحتية، وفتح النون، سرحكم، بفتح السين المهملة، وسكون الراء، وبالحاء المهملة، ما سرح من المواشي، أي: لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم،)** وأصل السرح: الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى، والمراد أن مطلق الماشية، لا تمنع عن مرعاها، يقال: سرحت تسرح، إذا خرجت للمرعى، وفعله يتعدى، ولا يتعدى، فإذا رجعت، قيل: أراحت، قال تعالى: ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ [النحل: ٦]، وهذا كقوله في كتابه للكندي: لا تعدل سارحتكم وفاردتكم من مرعى، إلاَّ أن عبر فيه بالسارحة لمشاكلة الفاردة، كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله: **(«ولا يعضد طلحكم»، أي: لا يقطع)** من عضده إذا قطعه، والمعنى لا يقطع شجركم طلحًا، أو غيره، لأنه إذا نهى عن قطع الطلح الذي، لا ثمر له، فغيره أولى، وقد تقدم، **(ولا يحبس دركم، أي: لا تحبس ذوات الدر عن المرعى إلى أن تجتمع الماشية، ثم تعد،)** أي:

الماشية ثم تعد، أو أن معناه أن لا نأخذها لما في ذلك من الأضرار.

والإماق: بالميم، أي ما لم تضمروا الغيظ، والبكاء، مما يلزمكم من الصدقة، قاله في القاموس. وقال الزمخشري: المراد إضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله، وفي رواية: الرماق ـ بالراء والميم ـ أي النفاق، يقال: رامقته رماقًا، وهو أن تنظر إليه شزرًا نظر العداوة، يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق، يقال: عيش رماق، أي ضيق، وعيش رمق، ومرفق: أي ممسك الروح، والرمق: بقية الروح وآخر النفس.

وتأكلوا الرباق: ـ بكسر الراء وبالموحدة المخففة ـ أي إلا أن تنقضوا العهد، واستعار الأكل لنقض العهد لأن البهيمة إذا أكلت الربق ـ وهو الحبل يجعل فيه عرى وتشد به ـ خلصت من الرباط.

بعدها الساعي، لما فيه من ضرر صاحبها، بعدم رعيها، ومنع درها عنه، والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة بعدم حبسها، وروى لا تحشر، أي: لا تجمع في مكان عند الساعي، لما فيه من ضرر ربها، فهما، بمعنى، **(أو أن معناه: أن لا نأخذها، لما في ذلك من الإضرار)** بأخذ الكرائم، **(والإماق، بالميم)** الساكنة، بين همزتين، أولاهما مكسورة، والثانية ممدودة تليها قاف، وقد تخفف همزته، **(أي: ما لم تضمروا الغيظ، والبكاء مما يلزمكم من الصدقة، قاله في القاموس،)** وقال غيره: معناه الغدر والبغض.

(وقال الزمخشري) في الفائق: **(المراد إضمار الكفر، والعمل على ترك الاستبصار في دين الله،)** مع إظهار خلافه، فهو نفاق، **(وفي رواية: الرماق بالراء)** المكسورة، **(والميم،)** وهي التي وجدت بخط عياض، واتفق عليها شراحه محشوه، أي: النفاق، **(يقال: رامقته رماقًا، وهو أن تنظر إليه شزرًا)** بمعجمتين، ثم راء، **(نظر العداوة، يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق، يقال: عيش رماق، أي: ضيق)** عن مسك الرمق بقية الروح، **(وعيش رمق، ومرفق، أي: ممسك الروح، والرمق بقية الروح وآخر النفس، وتأكلوا الرباق، بكسر الراء، وبالموحدة المخففة، أي: إلاّ أن تنقضوا العهد، واستعار الأكل لنقض العهد،)** استعارة تصريحية، أو تمثيلية، شبه ما يلزم من العهد، بالرباق، واستعار الأكل لنقضه، **(لأن البهيمة إذا أكلت الربق، وهو الحبل يجعل فيه عرى، وتشد به،)** جملة معترضة، لبيان معنى الربق **(خلصت من الرباط،)** وما مصدرية ظرفية قيد، لما قبله، أو الجميع ما تقدم، والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا، ما لم تنقضوا العهد، وترجعوا عن الإسلام،

والربوة: ـ بكسر الراء وفتحها وضمها ـ أي الزيادة. يعني: من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له.

فانظر إلى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم، وجاد وزاد عليها في الجزالة والبداوة. أين هذا من كتابه ﷺ لأنس في الصدقة، ....

فإن فعلتم، فعليكم ما على الكفرة، وهذا معنى حسن في ضمنه الترتيب، إذ المعنى ما لم تضمروا النفاق، ثم تظهروا نقض العهد، وقريب منه تفسيره بالغدر والعداوة، إذ إضمار ذلك نفاق، وأما تفسير إضمار الرماق بإخفاء قطيع من الغنم عن الساعي، وذلك جناية تقتضي التضييق على ذي المواشي، بحبسها عنهم، فهو متعلق على هذا بقوله: لا حبس دركم، وهو معنى صحيح لغة، إذ الرمق: القطيع من الغنم فارسي معرب، قاله الجوهري، واعتراض البرهان عليه؛ بأنه لم يره لغير الصحاح، وأخشى أن لا يكون أحد، قاله قبله لا يليق، نعم المشهور في تفسيره ما مر.

(**والربوة، بكسر الراء وفتحها وضمها،**) فهي مثلثة والاقتصار على عضها تقصير، (**أي: الزيادة، يعني من تقاعد، عن إعطاء الزكاة، فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له،**) قاله ابن الأثير، وهو صادق، بأي زيادة كانت.

وقال التجاني معناه يؤخذ منه الفرض، ويزاد مثله، كما في الصحيحين، بعث ﷺ عمر على الصدقة، فقيل: منع ابن جميل، وخالد بن الوليد، والعباس، فقال ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلاّ أنه كان فقيرًا، فأغناه اللَّه، وأما خالد، فإنكم تظلمونه، وقد احتبس أدراعه في سبيل اللَّه»، وأما العباس، فهي عليه، ومثلها معها، وفي رواية البخاري: فهي عليه صدقة، ومثلها معها، أي: عليه صدقة واجبة تؤخذ منه، لا أنه يعطاها، لأنه لا يحل له الصدقة، انتهى باختصار، وفي ذا الحديث كلام يخرج عن المقصود، (**فانظر**) أي: اعرف وقف، بأي طريق كان (**إلى هذا الدعاء،**) الذي دعا به لبني نهد، (**والكتاب**) الذي كتبه لهم، (**الذي انطبق،**) اشتمل (**على**) موافقة (**لغتهم،**) من حيث المماثلة لها في غرابة الألفاظ، لا من حيث اشتماله على جميع الألفاظ التي يعرفونها لاستحالة ذلك، وأفرد ضمير انطبق كاللذين بعده، وهما جاد وزاد، والقياس التثنية باعتبار النوع، إذ هما نوع واحد، وهو لغتهم، أو المراد انطبق جاد، وزاد كل من الدعاء والكتاب، (**وجاد**) أي: حسن في سبكه، وترتيب ألفاظه، وعدم الصعوبة في فهمه من حيث الأسلوب، فلم يخل بالفصاحة، (**وزاد**) فاق (**عليها في الجزالة،**) أي: حسن النظم والتأليف، وهي لغة، خلاف الركاكة، (**والبداوة،**) أي: **الوضوح**، والظهور، فالعطف مغاير، ويحتمل أنه عطف علة على معلول، أي: جاد لأنه زاد، والجاران، والمجروران متعلقان بزاد، (**أين هذا من كتابه ﷺ لأنس في الصدقة،**) أي: شأنها، أي: الزكاة، وقد تقدم، وهو استفهام تعجبي، ولم يقل أين هو، إشارة إلى

وأين ذلك من كتابه بين قريش والأنصار إنهم أمة واحدة دون الناس من قريش على رباعتهم، يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، ويفكون عافيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على من بغى عليهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، وأن سلم المؤمنين واحد على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم ....

ظهوره، حتى صار كالمحسوس الذي استحق أن يشار إليه إشارة حسية، (**وأين ذلك من كتابه بين قريش والأنصار إنهم**،) بكسر الهمزة، أي: الأنصار (**أمة واحدة دون الناس**) حال من اسم إن (**من قريش**،) صفة لأمة بعد صفة، أي: جزء منهم، كأبنائهم وإخوانهم على نحو: أنت مني بمنزلة هٰرون من موسى، يعني: أن الأنصار دون غيرهم من الناس طائفة من قريش، فهو مبالغة في اتحادهم معهم، حتى، كأنهم من نسلهم، (**على رباعتهم**،) بكسر الراء، أي: على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه، ورباعة الرجل شأنه، وحاله التي هو رابع عليها، أي: ثابت مقيم، قاله في النهاية، وهو خبر ثان، لأن يعني أن الأنصار مع قريش باقون على حالهم، التي كانوا عليها من الإنجاد والمودة، (**يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى**،) يأتي بيانه، (**ويفكون عافيهم**) أي: أسيرهم؛ بأن يسعوا في خلاصه بمال، أو غيره، وكذا يخلصون من أصابه تعب، أو مشقة، بحسب الطاقة (**بالمعروف**،) بحيث لا يرتكبون في ذلك محرمًا، بل يحافظون على إزالة تعب من أصابه مصيبة مع رعاية قوانين الشرع.

(**والقسط**،) بكسر القاف، اسم مصدر من أقسط إذا عدل، لا من قسط، لأن مصدره، بالفتح مشترك بين العدل والجور، والمراد هنا العدل (**بين المؤمنين، وأن المؤمنين المتقين أيديهم**،) قوّتهم، وسلطانهم بالقهر والغلبة، (**على من بغى**) تعدى (**عليهم**،) وظلمهم، وقيد بالمتقين، إشارة إلى أن هذه حالة الكاملين، فمن اتصف بأصل الإيمان، قد يرتكب الحرام، فينبغي ويخالف الحدود، فيمنع من ذلك، (**أو ابتغى**) طلب (**دسيعة ظلم**،) بفتح الدال، وكسر السين المهملتين، فتحتية، فمهملة، ثم تاء التأنيث، أي: عظيمة من الظلم، فأضافه إليه على معنى من، ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية، أي: ابتغى أن يدفع إليه عطية على وجه الظلم، أو أضافها للظلم، لأنها سبب الدفع، وقال أبو ذر: الدسيعة العطية، وهي ما يخرج من حلق البعير إذا رغا، فاستعاره هنا للعطية، وأراد به ما ينال من الظلم ذكره في النور، (**وإن سلم**،) بفتح السين، وكسرها، يذكر ويؤنث، صلح (**المؤمنين واحد على سواء، وعدل بينهم**،) والمراد أن حالهم، وصفتهم حالة واحدة لا تختلف، بل هي على استقامة، وعدل، بحيث لا يطلب أحد أن يتميز على غيره، (**وإن كل**) طائفة (**غازية**) اسم فاعل كراضية من غزا يغزو، وقصد العدوّ في بلاده، (**غزت يعقب بعضهم**

بعضًا، ومن اعتبط مؤمنًا قتلاً فهو قود إلا أن يرضى ولي المقتول، ومن ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن.

كذا روي مختصرًا من حديث ابن شهاب.

وقوله: دسيعة ظلم: أي عظيمة من الظلم.

ورباعتهم: أمرهم القديم الذي كانوا عليه.

ويتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى: أي ....

بعضًا،) أي: يكون الغزو بينهم نوبًا، كما يأتي، (**ومن اعتبط،**) بعين مهملة، أي: ذبح (**مؤمنًا،**) بلا جناية، (**قتلاً**) مفعول مطلق، لأنه نوع منه، (**فهو قود**) جواب الشرط، وكان الظاهر أن يقال: يقتص منه، فأقيم السبب، وهو القود، أي الانقياد مقام السبب، أي: القصاص، قاله الطيبي، وفي النهاية، أي: قتله، بلا جناية كانت منه، ولا جريرة توجب قتله، فإن القاتل يقاد به، ويقتل، وكل من مات بغير علة، فقد اعتبط، ومات فلان عبطة، أي: شاباً صحيحًا.

وحديث أبي داود: من قتل مؤمنًا، فاعتبط بقتله، لم يقبل اللّه منه صرفًا، ولا عدلاً، جعله الخطابي من ذلك، فقال: أي: قتله ظلمًا لا عن قصاص، ومقتضى تفسير غيره؛ أنه من الغبطة، بالغين المعجمة، وهي الفرح، والسرور، وحسن الحال، لأن القاتل يفرح بقتل خصمه، فإذا كان المقتول مؤمنًا، وفرح بقتله دخل في هذا الوعيد انتهى ملخصًا، وهما روايتان في حديث أبي داود، كما في المنضدة، قائلاً: ورواية الإهمال أولى، لأن القاتل ظلما عليه القود هبه فرح بقتله أولاً انتهى، فأما حديثنا هذا، فبالمهملة لا غير، (**إلاّ أن يرضى،**) بضم أوله رباعي فاعله، هو أي: القاتل، ومفعوله (**ولي المقتول،**) بالعفو مجانًا، أو على مال، فلا قود على القاتل، ويجوز أن يرضى، بفتح أوله ثلاثي، وفاعله، ولي، كذا ذكر الضبطين في النور.

قال الطيبي: وهذا استثناء في الحقيقة من المسبب، (**ومن ظلم، وأثم، فإنه لا يوتغ،**) بضم التحتية، وكسر الفوقية، وغين معجمة، أي: يهلك (**إلاّ نفسه، وأولاهم بهذه الصحيفة البر**)، التقي، الصادق، المطيع، (**المحسن، كذا روى مختصرًا من حديث ابن شهاب**) محمد الزهري، وذكره ابن إسحٰق مطوّلاً في نحوه، ورقتين في مبحث الهجرة.

قال ابن سيد الناس: وأسنده ابن أبي خيثمة عن عمرو المزني؛ أن رسول اللّه ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار، فذكره مطوّلاً بنحوه، (**وقوله: «دسيعة ظلم»، أي: عظيمة من الظلم،**) فالإضافة على معنى، من، ومر قريبًا بسطه، (**ورباعتهم أمرهم القديم الذي كانوا عليه،**) يقال القوم على رباعهم ورباعتهم، أي: استقامتهم، (**ويتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، أي:**

يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، وهو تفاعل من العقل، والمعاقل الديات، جمع معقلة، يقال: بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها، أي على مراتبهم وحالاتهم.

ولا يوتغ: أي لا يهلك.

ويعقب بعضهم بعضًا: أي يكون الغزو بينهم نوبًا فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف أن تعود ثانية حتى يعقبها غيرها.

وأين هذا اللين في القول، وقرب المأخذ في اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور أيضًا من كتابه لذي المشعار الهمداني، لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك، فقال له مُلك بن نمط: يا رسول الله، نصية ....

يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات، وإعطائها، وهو تفاعل من العقل، والمعاقل الديات جمع معقلة،) بضم القاف: الدية، كما في المختار، **(يقال: بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها، أي: على مراتبهم، وحالاتهم،)** وهذا كله لفظ النهاية، **(ولا يوتغ، أي: لا يهلك،)** يقال: وتغ وتغاو أوتغه غيره أهلكه، قاله أبو عبيد، **(ويعقب بعضهم بعضًا، أي: يكون الغزو، بينهم نوبًا، فإذا خرجت طائفة، ثم عادت، لم تكلف أن تعود ثانية، حتى يعقبها غيرها،)** بضم القاف، من باب قتل، كما في المصباح، **(وأين هذا اللين في القول، وقرب المأخذ في اللفظ على طريق الحاضرة، وعرف الجمهور المشهور،)** استفهام تعجبي، **(أيضًا من كتابه لذي المشعار،)** بكسر الميم، وإسكان الشين المعجمة، وعين مهملة، فألف، فراء، كما صححه الصغاني في الذيل قائلاً: لقب بذلك، لأن المشعار موضع باليمن ينسب إليه، وتبعه في القاموس، فذكره في شعر، بالمعجمة، بعدها مهملة.

وقال التلمساني: إنه بشين معجمة، ومهملة، وغين معجمة، ومهملة، وهو أبو ثور مُلك بن نمط، بفتحتين، **(الهمداني)**، بفتح الهاء، وإسكان الميم، ودال مهملة، نسبة إلى شعب عظيم من قحطان، ثم الأرحبي، بفتح الهمزة، والحاء المهملة، بينهما راء ساكنة، ثم موحدة، إلى أرحب بطن من همدان، ويقال له: اليامي، بتحتية، فألف، فميم، والخارقي، بمعجمة، وراء مكسورة، كان شاعرًا، محسنًا، له في النبي ﷺ أبيات حسان، تقدمت في الوفود، وهم ابن إسحٰق في قوله مُلك بن نمط، وأبو ثور، إلاَّ أن يكون من عطف الكنية على الاسم، **(لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك، فقال له مُلك بن نمط،)** من إقامة الظاهر مقام المضمر لبيان اسم ذي المشعار، والنمط في الأصل نوع من البسط، فهو علم منقول منه: **(يا رسول الله نصية،)** بنون مفتوحة،

من همدان من كل حاضر وباد، أتوك على قلص نواج، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل، ولا سوداء عنقفير، ما قام لعلع، وما جرى اليعفور بصلع.

فكتب لهم النبي ﷺ: هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار مٰلك بن النمط ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها، ويرعون عفاها، لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ....

وصاد مهملة مكسورة، وتحتية ثقيلة مفتوحة، أشراف **(من همدان من كل حاضر وباد،)** صفة ثانية لنصية، أو حال، فيفيد أن همدان متفرقة في محلات، ويدل على هذا قوله الآتي: نصية من كل حاضر وباد، حيث جمع بين نصية، وقوله من الخ..، فهو أظهر من جعله متعلقًا بقوله: **(أتوك على قلص،)** بضمتين، نوق **(نواج،)** بجيم، سراع **(متصلة بحبائل الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف، ويام لا ينقض عهدهم عن سنة،)** طريقة، **(ما حل،)** ساع بالنميمة والإفساد.

وفي رواية: شية بمعجمة، وتحتية، أي: وشاية، ويأتي بسطه،(**(ولا سوداء عنقفير)**، براء آخره، أي: داهية شديدة من إضافة الصفة للموصوف **(ما قام لعلع)** جبل، **(وما جرى اليعفور بصلع،)** بضم الفتح، مثقلاً، **(فكتب لهم النبي ﷺ)** أمر يكتب ما صورته: بسم الله الرحمٰن الرحيم، **(هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف،)** بخاء معجمة.

قال في الفائق: هو لليمن كالرستاق لغيرهم، وفي المصباح: الرستاق معرب، ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم والرزداق، بزاي، ودال مهملة، **(خارف وأهل جناب،)** بكسر الجيم، **(الهضب،)** بفتح الهاء، وسكون المعجمة، وموحدة، جمع هضبة، مركب تركيب مزج، **(وحفاف الرمل،)** بحاء مهملة مكسورة، ففاءين، بينهما ألف، أسماء بلادهم، كما ضبطه الشامي، **(مع وافدها، ذي المشعار مٰلك بن النمط،)** بدل من وافدها، أي: مخلاف خارف، وما عطف عليه **(ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها،)** بالكسر، **(ووهاطها،)** بالكسر أيضًا **(وعزازها)**، بالفتح، كما يأتي، يعني أنه ﷺ أقطعهم ذلك **(ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة،)** أي: مدة إقامتهم على ذلك، **(يأكلون علافها،)** بالكسر، **(ويرعون عفاها،)** بالفتح، **(لنا من دفئهم،)** بكسرٍ فسكون وهمز، **(وصرامهم)**، بالكسر، **(ما سلموا)**، بشد اللام، والعائد محذوف، أي: سلموه، أي: أعطوه من الزكاة المفروضة **(بالميثاق،)** العهد الذي أخذ عليهم، أو الإسلام **(والأمانة،)** أي: كونهم

ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري، وعليهم فيها الصالغ والقارح.

وقوله: نصية من كل حاضر وباد، قال ابن الأثير: النصية من ينتصي من القوم أي يختار من نواصيهم، وهم الرؤوس والأشراف، ويقال للأشراف: نواص، كما يقال للأتباع أذناب.

وأتوك على قلص: بضم القاف واللام، جمع قلوص، وهي الناقة الشابة. قال ولا تزال قلوصًا حتى تصير نازلاً.

والنواج: السراع.

مؤتمنين على أموالهم، لأن رب المال يصدق في الزكاة، فما موصول مبتدأ خبره، قوله: لنا مقدم عليه، والباء في بالميثاق سببية، أي: لنا عليهم ما يعطونه من زكاة مواشيهم، ونمارهم بسبب الميثاق، ولا يبحث عن أموالهم، لأنهم مؤتمنون، (**ولهم من الصدقة الثلب**) بكسر، فسكون، الهرم (**والناب**) الهرمة، (**والفصيل**) الصغير، (**والفارض**) بالفاء، المسن، (**الداجن**) التي تألف البيوت.

وفي رواية: والدواجن، بالعطف، يعني أن هذه لا تؤخذ في الزكاة، لكونها من شرارها، فتترك لهم، (**والكبش الحوري**) لأنه من الخيار، فلا يؤخذ في الصدقة (**وعليهم فيها**)، أي: الزكاة (**الصالغ**) بصاد، ولام، ومعجمة، ويقال بسين، لأن كل صاد تبدل سينًا مع الغين، (**والقارح**) بقاف، وراء، ومهملة من الخيل، يعني إذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ منه مما ليس هرمًا، ولا معيبًا، ففيه حجة لمن، قال بالزكاة في الخيل السائمة، وحمله المانعون على ما إذا كانت معدة للتجارة، جمعًا بينه، وبين قوله ﷺ: «ليس على المسلم في عبده، ولا في فرسه صدقة»، رواه الشيخان.

(**وقوله: «نصية من كل حاضر وباد»، قال ابن الأثير**) في النهاية: (**النصية من ينتصي من القوم، أي: يختار من نواصيهم، وهم الرؤوس، والأشراف، ويقال للأشراف نواص،**) لعلوهم على غيرهم، كالناصية، (**كما يقال للأتباع أذناب،**) قال في الفائق ومثله في الوزن: السرية لمن يستري من العسكر، أي: يختار من سراتهم، (**وأتوك على قلص، بضم القاف، واللام**) بعدها صاد مهملة، (**جمع قلوص،**) بفتح القاف، (**وهي الناقة الشابة، قال: ولا تزال قلوصًا حتى تصير نازلاً،**) بموحدة، وزاي، وهو ما تم له ثمان سنين، ودخل في التاسعة من الإبل، وحينئذ يطلع نابه، وتكمل قوّته، ثم يقال له بعد ذلك بازل عام، وبازل عامين، (**والنواج: السراع**) جمع ناجية.

وقوله: متصلة بحبائل الإسلام أي عهوده وأسبابه.

وخارف: بالخاء المعجمة.

ويام: بالمثناة التحتية: قبيلتان.

ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل: أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والإفساد، كما يقال: لا أفسد ما بيني وبينك بمذاهب الأشرار وطرقهم في الفساد.

والسنة: الطريقة، والسنن أيضًا.

والعنقفير: بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف، الداهية. أي لا ينقض عهدهم بسعى الواشي ولا بداهية تنزل.

ولعلع: جبل.

وما جرى اليعفور: بفتح التحتية، ....

(**وقوله: متصلة بحبائل الإسلام، أي: عهوده**) مواثيقه: (**وأسبابه:**) طرقه الموصلة إليه، فهو عطف مغاير، (**وخارف، بالخاء المعجمة**) المفتوحة، والراء المكسورة، وفاء، (**ويام بالمثناة التحتية،**) فألف، فميم، ويقال: أيام بهمزة (**قبيلتان**) من همدان، (**ولا ينقض عهدهم عن سنه ما حل، أي: لا ينقض بسعي ساع بالنميمة، والإفساد، كما يقال، لا أفسد ما بيني، وبينك بمذاهب الأشرار، وطرقهم في الفساد،**) عطف تفسير، (**والسنة الطريقة، والسنن أيضًا،**) فقوله عن سنة، بالسين المهملة، بعدها نون، أي: طريقته، وهو إحدى روايتين.

قال في الفائق: وهي أشبه، وفي رواية: عن شية ماحل بشين معجمة وتحتية، وهي الوشاية.

قال في النهاية: أي: من أجل وشى واش، حذفت الواو وعوّضت الهاء، كزنة انتهى. (**والعنقفير، بفتح العين المهملة، وسكون النون، وتقديم القاف**) على الفاء، بعدها تحتية، فراء: (**الداهية، أي: لا ينقض عهدهم بسعي الواشي، ولا بداهية تنزل،**) وإضافة السوداء إليها من إضافة الصفة للموصوف، أي: ولا ينقض عن داهية شديدة، (**ولعلع،**) بلامين، وعينين (**جبل،**) كانت به وقعة، قال الشاعر:

لقد ذاق متاعًا يوم لعلع حسامًا إذا ما هز بالكف صمما

ذكره الجوهري، (**وما جرى اليعفور، بفتح التحتية،**) وإسكان المهملة، وضم الفاء، فواو،

الخشف، وولد البقرة الوحشية، وقيل: هو تيس الظباء، والجمع: اليعافير، والياء: زائدة.

ويصلح: بضم الصاد المهملة وتشديد اللام، الأرض التي لا نبات فيها.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

وأهل جناب الهضب: بكسر الجيم، اسم موضع.

وحفاف الرمل: أسماء بلادهم.

وفراعها: بكسر الفاء وبراء وعين مهملة، أي ما علا من الجبال أو الأرض.

ووهاطها: بكسر الواو، وبطاء مهملة، المواضع المطمئنة، واحدها وهط، وبه سمي الوهط، مال كان لعمرو بن العاص بالطائف. وقيل الوهط: قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها.

وعزازها: بفتح العين المهملة ....

فراء، (**الخشف**،) مثلث الخاء المعجمة، وسكون الشين المعجمة، وبالفاء، ولد الظبي أول ما يولد، أو أول سنة، أو الذي يقرب من ولادها، كما في القاموس، (**وولد البقرة الوحشية**،) واقتصر ابن سبع عليه، (**وقيل: هو تيس الظباء، والجمع اليعافير، والياء زائدة**،) وكذا الواو، إنما نبه على الياء لئلا يتوهم وزنه فعلول، فأشار إلى أن وزنه يفعول، فالياء زائدة، كالواو، لأن أصل الماء عفر فقط، (**ويصلح، بضم الصاد المهملة**،) قبلها ياء خفض، (**وتشديد اللام، الأرض التي لا نبات فيها**،) فالمراد أن عهدًا لم لا ينقض أصلاً، لأن لعلعاً مقيم، واليعفور، لا ينفك عن جريه بالأرض القفراء.

(**وقوله عليه الصلاة والسلام: «وأهل جناب الهضب، بكسر الجيم، اسم موضع، وحفاف الرمل أسماء بلادهم، وفراعها»، بكسر الفاء، وبراء، وعين مهملة،**) جمع فرعة، بفتح، فسكون، (**أي: ما علا من الجبال، أو الأرض ووهاطها، بكسر الواو، وبطاء مهملة، المواضع المطمئنة، واحدها وهط،**) كسهم، وسهام، ومثله لابن سبع، وفي الصحاح.

قال الأصمعي: يقال، لما اطمأن من الأرض وهطة، وهي لغة في وهدة، والجمع وهط، ووهاط، (**وبه سمى الوهط مال**)، أي: أعناب، (**كان لعمرو بن العاصي**)، الصحابي، (**بالطائف**) على ثلاثة أميال من وج، كان يعرشه على ألف ألف خشبة شراء، كل خشبة درهم، ذكره القاموس، (**وقيل: الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها، وعزازها، بفتح العين المهملة،**)

ثم زاءين مخففتين، ما صلب من الأرض واشتد وخشن، وإنما يكون في أطرافها.

وتأكلون علافها: بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء، جمع علف، وهو ما تأكله الماشية.

وعفاءها: بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد، أي المباح.

ومن دفئهم: بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز. قال في المجمل: نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها.

وصرامهم: بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء، أي من نخلهم.

والثلب: بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة، ما هرم ....

ثم زاءين مخففتين، ما صلب من الأرض واشتد وخشن،) مما لا ملك لأحد عليه، فيوطأ ويحرث، فيصير رخوًا، وإليه أشار بقوله: **(وإنما يكون في أطرافها،)** ومنه العز لصلابة جانبه، **(وتأكلون علافها، بكسر العين المهملة، وتخفيف اللام، وبالفاء، جمع علف، وهو ما تأكله الماشية،)** مثل جمل وجمال، كما في النهاية، ففي قوله: تأكلون مجاز الحذف، أي: تأكل ماشيتكم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه الذي هو الكاف، وعبر عنها، مع الميم، بواو الضمير، أو مجاز لغوي، بجعل تأكلون، بمعنى تملكون، **(وعفاءها، بفتح المهملة، وتخفيف الفاء، وبالمد، أي: المباح)** الذي ليس لأحد فيه ملك، ولا أثر من عفا الشيء إذا اندرس، أو من عفا يعفو إذا خلص، ومنه الحديث: أقطعهم ما كان عفا، وقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ [الأعراف: ١٩٩]، أو المراد به الكلأ، سمى بالعفا الذي هو المطر، كما يسمى بالسماء، وقال التجاني: روى عفاء، بكسر العين، جمع عفو، كجبل وجبال، وهو بمعنى الأول والرعي للبهائم، ففيه ما مر، ولذا قال جاهل لأديب، أنت عندي، كالأب بشد الباء، فقال: فلذا تأكلني، ولو قال ترعاني كان ألطف للتورية من الرعي، أو الرعية، كالأب بمعنى الوالد والتبن، فعني أنه لجهله، كالأنعام.

(ومن دفئهم، بكسر الدال المهملة، وسكون الفاء، وبالهمز، قال في المجمل: نتاج الإبل، وألبانها، والانتفاع بها،) وسماها دفئًا، لأنها يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يستدفأ به، وفصله عما قبله ملتفتًا من الخطاب إلى التكلم لشبه انقطاع بينهما، إذ ذاك فيما خصهم به من أرضهم، وما يخرج منها، وهذا مما خص به نفسه، ومن معه من مواشيهم **(وصرامهم، بكسر الصاد المهملة،)** وجوّز فتحها، **(وتخفيف الراء، أي: من نخلهم،)** أي: ما يصرم، أي: يقطع، وما يخرج منه، وهو التمر **(والثلب، بكسر المثلثة، واللام الساكنة، وبباء موحدة، ما هرم،)** بكسر

من ذكور الإبل وتكسرت أسنانه.

والناب: بالنون والموحدة: الناقة الهرمة التي طال نابها.

والفصيل: بالمهملة الذي انفصل عن أمه.

والفارض: بالفاء المسن من الأبل.

والداجن: بالمهملة والجيم، الدابة التي تألف البيوت.

والكبش الحوري: بالحاء المهملة، ثم واو مفتوحتين فراء مكسورة: الذي في صوفه حمرة.

والصالغ: بالصاد المهملة والغين المعجمة، ....

الراء، **(من ذكور الإبل، وتكسرت أسنانه،)** فهو مخصوص بالذكور، والأنثى ثلبة، قاله الهروي، **(والناب، بالنون والموحدة، الناقة الهرمة التي طال نابها،)** فهو مثل الثلب معنى إلاَّ أنه مختص بالنوق الإناث، فلا يقال للجمل ناب، بل أسن، وسميت نابًا، لأنها إذا هرمت طال نابها، **(والفصيل، بالمهملة: الذي انفصل عن أمه)** من أولاد النوق، وأنثاه فصيلة، والجمع فصال، وفصلان، وقيل: هو من أولاد البقر، والمعروف لغة الأول، **(والفارض، بالفاء، والراء المسن من الإبل،)** لعله من البقرة، قال تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر﴾ [البقرة: ٦٨].

قال الراغب: الفارض المسن من البقر، قيل: سمي به لكونه فارضًا للأرض، أي: قاطعًا، أو فارضًا، لما يحمل من الأحمال الشاقة من الفرض، وهو القطع، وقيل: لأن فريضة البقر تبيع، ومسنة، فالتبيع يجوز في حال دون حال، والمسنة يجوز بدلها في كل حال، فسميت المسنة فارضًا، فعلى هذا يكون اسمها إسلاميًا انتهى، **(والداجن بالمهملة، والجيم: الدابة التي تألف البيوت،)** ولا ترسل للمرعى، وكذا الراجن بالراء، كما في الصحاح، وعلى هذا، فالداجن غير الفارض، فينبغي عطفها، كغيرها، وهو في غالب النسخ، بلا عطف، اللهم إلاَّ أن، يقال ما ذكر معناه الحقيقي، وهي هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفًا للفارض، **(والكبش الحوري، بالحاء المهملة، ثم واو مفتوحتين،)** وقد تسكن الواو، **(فراء مكسورة: الذي في صوفه حمرة،)** منسوب إلى الحورة، وهي جلود تتخذ من الضأن، وقيل: ما دبغ من الجلود بغير القرظ، وهو مما جاء على أصله، ولم يعل إعلال ناب، قاله ابن الأثير، وروى الحواري بزيادة ألف، وكلاهما بمعنى، وهو كبير الغنم، فلا يؤخذ في الزكاة، لأنه أنفسها، ويحتاج إليه للضراب.

(والصالغ، بالصاد المهملة، والغين المعجمة،) وزعم أنه، بضاد معجمة، وعين مهملة،

من صلغت الشاة ونحوها: إذا تمت أسنانها.

والقارح: بالقاف والراء والحاء المهملة، وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة.

وهذا من جنس كتابه لقطن ابن حارثة العليمي من كلب:

هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأحلافها، ومن ظأره الإسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي، بإقام الصلاة لوقتها، ....

وعزوه للنهاية غلط **(من صلغت الشاة، ونحوها، إذا تمت أسنانها،)** وذلك إذا دخلت في السادسة، وقيل: الخامسة، وقيل: السابعة، **(والقارح، بالقاف، والراء، والحاء المهملة، وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة،)** الذي في الفائق في السنة، وفي النهاية: الصالغ والقارح من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه، وذلك في السنة السادسة، **(وهذا من جنس كتابه لقطن،)** بفتح القاف، والطاء المهملة، ونون، **(ابن حارثة،)** بحاء وراء مهملتين، **(العليمي،)** بمهملة مصغر نسبة لبني عليم، **(من كلب)** هو عليم بن جناب بن كلب.

قال المرزباني في معجم الشعراء: وفد مع قومه على النبي ﷺ فأسلم، وأنشد النبي ﷺ من قوله:

رأيتك يا خير البرية كلها نبت نضارًا في الأرومة من كعب
أغر كأن البدر سنة وجهه إذا ما بدا للناس في خلل العضب
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها ودنت اليتامى في السقاية والجدب

قال: فروى أنه ﷺ رد عليه خبرًا، وكتب له كتابًا، قال أبو عمر: حديثه كثير الغريب من رواية ابن شهاب، عن عروة، قال: وابن سعد يقول حارثة بن قطن بدل قطن بن حارثة، ذكره في الإصابة، **(هذا كتاب من محمد لعمائر كلب)** جمع عمارة، بالفتح والكسر، أصغر من القبيلة، يقال للحي العظيم شعب، بفتح، فسكون، ولما دونه قبيلة، ولما دونها عمارة، بالفتح، لاجتماعهم على بعضهم، والتفافهم، كالتفاف العمامة على الرأس، وبالكسر، لأن بهم عمارة الأرض، وما دون العمارة بطن، وما دونه فخذ، وما دونه فصيلة، **(وأحلافها،)** بحاء مهملة، جمع حليف، كأشراف، وشريف، أو جمع حلف، بمعنى صديق، قال المجد: الحلف، بالكسر: العهد بين القوم، والصداقة، والصديق يحلف لصاحبه، أن لا يغدر به، جمعه أحلاف، **(ومن ظأره الإسلام،)** بظاء معجمة، كما يأتي **(من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي،)** حال من كتاب، أي: أن حامله قطن **(بإقام)**، أي: بطلب إقام **(الصلاة لوقتها،)** فالباء للملابسة، أو متعلق بمحذوف،

وإيتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها، بمحضر من شهود المسلمين، وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي، عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار، والحمولة المائرة لهم لاغية، وفي الشوي الوري مسنة حامل أو حائل، وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر،

أي: أمر، **(وإيتاء الزكاة بحقها،)** بأن يخرجها سالمة مما يخل بأدائها، بأن تشمل على الحقوق المطلوبة فيها، التي عوهد المسلمون عليها، فيوفوا بتلك العهود **(في شدة عقدها)** الذي عقده اللّه عليها، **(ووفاء عهدها)** يشبه عطف التفسير.

وفي القاموس: العقد الضمان، والعهد وفيه العهد الوصية، والتقدم إلى المرء في الشيء، والوثق، واليمين، والحرمة، والأمان، والذمة، فيمكن أن يراد بالعقد العهد، وبالعهد الوصية، أي: على أدائها بطيب نفس، فهو مغاير، وخص الزكاة بهذه الأوصاف المقتضية للتأكيد دون الصلاة، لما جبلت النفوس عليه من عزة المال، والرغبة فيه **(بمحضر)** مصدر ميمي، أي: حضور، أو بمعنى القوم الحضور، **(من شهود المسلمين، وسمى)** النبي ﷺ **(جماعة منهم، دحية بن خليفة الكلبي،)** وسعد بن عبادة، وعبد اللّه بن أنيس، كما عند ابن قتيبة وغيره، **(عليهم)** متعلق بمحذوف، أي: يجب عليهم **(من الهمولة الراعية،)** بالجر نعت **(البساط،)** بكسر الباء، وضمها، روايتان جمع بسط بالكسر، والضم وبضمتين، كما في القاموس، أي: التي معها أولادها، وهو بالخفض أيضًا على الصفة، ويروى، بفتح الباء، أي: الأرض الواسعة، فهو منصوب بالراعية، أي: الهمولة التي ترعى الأرض الواسعة، أي: نباتها **(الظئار)**، بالظاء المعجمة: جمع ظئر، وهي المرضعة بجره أيضًا على الصفة **(في كل خمسين ناقة،)** بالرفع فاعل يجب المقدر، **(غير ذات عوار،)** بفتح العين وضمها، لغة، أي: عيب، والمراد بالناقة الحقة، ثم النعت بالهمولة الموصوفة بما ذكر، ليس للتخصيص، لما علم في غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع أصناف الإبل، حتى، لو تمحضت من بنات المخاض، لوجبت فيها الزكاة، **(والحمولة المائرة لهم لاغية، وفي الشوى الورى مسنة: حامل، أو حائل،)** هذا بظاهره يخالف ما في الفروع، أن الواجب في الغنم جذعة ضأن لها سنة، أو أجذعت مقدم أسنانها، أو ثنية معزلها سنتان، ويمكن حمل ما هنا عليه، ولعل حكمة اقتصاره على زكاة الإبل، والغنم؛ أنها غالب أموالهم، وإلاً، فوجوب الزكاة في غيرها، ثابت في غير هذا الحديث.

(وفيما سقى الجدول،) بفتح الجيم وسكون الدال، النهر الصغير **(من العين المعين،)** الظاهر الجاري على وجه الأرض بلا تعب، **(العشر)** مبتدأ خبره ما قبله، أو فاعل: يجب مقدار زاد

وفي العثري شطره بقيمة الأمين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق. عهد لي ذلك الله ورسوله، وكتب ثابت بن قيس بن شماس.

وتفسير غريبه أن قوله:

من ظأره الإسلام: بالظاء المعجمة والهمزة، آخره هاء أي: عطفه عليه وعليهم.

في الهمولة: بفتح الهاء، هي التي ترعى بأنفسها. ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة.

والبساط: التي معها أولادها.

في الفائق من ثمرها، ومما أخرجت أرضها، (**وفي العثري**) بفتح المهملة، والمثلثة، وقيل: بإسكانها،) بإسكانها فسرها الجوهري بالزرع، لا يسقيه إلاَّ ماء المطر، وغيره مما سقى من النخل سيحًا، وهذا الواجب فيه العشر لا نصفه، فتعين أن المراد به هنا نوع آخر لم يعرفه هؤلاء، يسقي بنحو النضح لقوله الواجب فيه، (**شطره بقيمة الأمين**) أي: الخراص، وفي لفظ الأوسط، أي: العدل بأن يخرج من كل بقسطه، فإن عسر، فالوسط، ولا يخرج رديء عن جيد، (**لا يزاد عليهم**) قدر غير ما بين في نصب الزكاة، فيصير (**وظيفة**)، حقًا لازمًا، (**ولا يفرق**) الحق الواجب، كان يدفع الملك أجزاء من شياه، لا تنقص جملتها عن مقدار الواجب، (**عهد على ذلك الله ورسوله، وكتب ثابت بن قيس بن شماس**)، بالتشديد، الأنصاري، (**وتفسير غريبه أن قوله: من ظأره الإسلام، بالظاء المعجمة والهمزة**) المفتوحة، يقال: ظأره، كمنعه (**آخره هاء، أي: عطفه عليه**)، فالمعنى هذا الكتاب لعمائر كلب، ومن جمعه الإسلام عليهم من غيرهم، (**وعليهم في الهمولة، بفتح الهاء: هي التي ترعى بأنفسها**) بأن تكون سائمة في كلا مباح عبر عنه بذلك، لأنه لا مالك له يصدها عنه، (**ولا تستعمل**) في حرث، أو نضح، فإن استعملت، فلا زكاة فيها، وبه أخذ قوم (**فعولة**) خبر مبتدأ محذوف، هو وزن همولة فعولة، (**بمعنى مفعولة**) أي: متروكة للرعي، لا تستعمل في نحو حرث، أي: لا بمعنى فاعلة.

(**والبساط التي معها أولادها**) قال في النهاية: يروى، بفتح الباء، وكسرها، وضمها، قال الأزهري: هو بالكسر جمع بسط، وهي الناقة التي تركت، وولدها لا يمنع منها، ولا تنعطف على غيره، وبسط بمعنى مبسوطة، كالطحن والقطن، أي: بسطت على أولادها.

وقال القتيبي، والجوهري: هو بالضم جمع بسط أيضًا، كظئر، وظؤار، فأما بالفتح، فالأرض الواسعة، فإن صحت به الرواية، فيكون المعنى في الهمولة التي ترعى الأرض الواسعة،

والظئار: أن تعطف الناقة على غير ولدها.

والحمولة المائرة لهم لاغية: يعني أن الإبل التي تحمل عليها الميرة - وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع - لا تؤخذ منها زكاة لأنها عوامل.

وفي الشوي: بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة: اسم جمع للشاة.

والوري: السمينة.

ومن هذا النمط كتابه ﷺ لوائل بن حجر - بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة ....

وحينئذ تكون الظاء منصوبة انتهى، (**والظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها،**) فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة، وهو بكسر الظاء وضمها، كما في المصباح، (**والحمولة،**) بفتح المهملة، (**المائرة لهم لاغية، يعني أن الإبل التي تحمل عليها الميرة،**) بكسر الميم، (**وهي الطعام ونحوه، مما يجلب للبيع، لا تؤخذ منها زكاة، لأنها عوامل،**) وبه قال قوم: (**وفي الشوى**) الأولى حذف في، لأن المفسر ما بعده، (**بفتح الشين المعجمة، وكسر الواو، والياء المشددة اسم جمع للشاه، والورى السمينة،**) بفتح الواو، وكسر الراء، وشد الياء.

(**ومن هذا النمط كتابه ﷺ لوائل بن حجر، بتقديم الحاء المهملة، المضمومة على الجيم الساكنة،**) ابن ربيعة بن وائل بن يعمر، ويقال: ابن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحرث بن عوف بن عدي بن ملك بن شرحبيل بن ملك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمي، كان أبوه من أقيال اليمن، ووفد هو على النبي ﷺ، واستقطعه أرضًا، فأقطعه إياها، وبعث معه معوية ليسلمها له، فقال له: أردفني، فقال: لست من أرداف الملوك، فلما استخلف معوية قصده، فتلقاه، وأكرمه. قال وائل: فوددت لو كنت حملته بين يدي.

قال ابن سعد: نزل الكوفة، وروى عن النبي ﷺ، وعنه ابناه علقمة، وعبد الجبار، وزوجته أم يحيى، ومولى لهم، وكليب بن شهاب، وآخرون، ومات في أوائل خلافة معوية، وقال أبو نعيم: أصعده النبي ﷺ إليه على المنبر، وأقطعه، وكتب له عهدًا، وقال: هذا وائل سيد الأقيال، ثم نزل الكوفة وعقبه بها، وذكر ابن ظفر أنه كان له صنم من عقيق يعبده ويسجد له، فنام عنده في الظهيرة، فسمع صوتًا هائلاً، فأتاه، فسجد له، فسمع هاتفًا يقول:

واعجبًا لوائل بن حجر … يخال يدري، وهو ليس يدري
ماذا ترجى من نحيت صخر … ليس بذي عرف ولا ذي نكر

-إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب، وذكر الفرائض فقال:

في التبعة شاة لا مقوّرة الألياط ولا ضناك، وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس، ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عامًا، ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله تعالى، وكل مسكر حرام، ....

ولا بـذي نـفـع ولا ذي ضـر لـو كـان ذا حـجـر أطـاع أمـري

فرفع رأسه، وقال: بماذا تأمرني؟، فقال:

ارحـل إلـى يـثـرب ذات الـنـخـل وسـر إلـيـهـا سـيـر مـسـتـقـل

فـدن بـديـن الـصـائـم الـمـصـلـي مـحـمـد الـرسـول خـيـر الـرسـل

ثم خر الصنم لوجهه، فقام إليه، فجعله رفاتًا، ثم سار حتى أتى المدينة، ودخل المسجد، فناداه النبي ﷺ، وبسط له رداءه، وأجلسه معه، ثم صعد المنبر، وقال: «أيها الناس هذا وائل بن حجر، أتاكم من أرض بعيدة، راغباً في الإسلام»، فقال: يا رسول الله بلغني ظهورك، وأنا في ملك عظيم، فتركته، واخترت دين الله، فقال: «صدقت اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»، وقع في الشفاء: نعته بالكندي، فقيل: غلط إذ هو حضرمي، ورد، بأن ابن الجوزي، قال الحضرمي، أو الكندي انتهى، فلا مانع من كونه حضرميًا، كنديًا (**إلى الأقيال العباهلة،**) أي: الملوك القار ملكهم، (**والأرواع:**) الحسان الوجوه، وقيل: إنه جمع رائع، وهم الذين يروعون الناس، أي: يخوفونهم بمنظرهم لجماله، وهيآتهم، قاله ابن الأثير، قيل: الأوّل أولى، وجمع فاعل على أفعال نادر جدًا، ولكن ارتضى المبرد في الكامل الثاني، لما فيه من البلاغة، فإن زائد الحسن إذا رآه من له إدراك أدهشه وحيره، فيشبه الخائف الفزع.

(**المشابيب:**) السادة الرؤساء، وروى الأشباء جمع شبيب كأخلاء وخليل، أوهم الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود، كما يقال في الحسناء ذات الذوائب السود شعرها يشب لونها، أي: يظهره، ويحسنه، وقيل: المراد الأذكياء، (**وذكر**) ﷺ في هذا الكتاب (**الفرائض، فقال:**) المشابيب من أهل حضرموت بإقام الصلاة المفروضة، وأداء الزكاة المعلومة عند محلها، أي: وقت وجوبها، (**في التبعة شاة، لا مقوّرة الألياط، ولا ضناك،**) بالكسر.

وهذا بيان لبعض أنواع الزكاة المذكورة في قوله: وأداء الزكاة، (**وأنطوا الثبجة، وفي السيوب الخمس، ومن زنى مم بكر، فاصعقوه مائة،**) بالقاف، وبالفاء، (**واستوفضوه عامًا، ومن زنى مم ثيب، فضرّجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى، وكل مسكر حرام،**) أي: ما شأنه الإسكار، ولو قطرة، وإنما ذكر هذا، لأنهم سألوه، فقالوا: يا رسول الله

ووائل بن حجر يترفل على الأقيال.

وفسر الأقيال - وهو بالقاف والمثناة التحتية - بالرؤساء الذين دون الملوك.

والعباهلة: بالمهملة المفتوحة والموحدة، الذين أقروا على ملكهم لا يزالون.

والأرواع: - بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة - جمع رائع، وهم ذوو الهيئات الحسان الوجوه.

والمشابيب: - بفتح الميم والشين والمعجمة ....

إن شرابًا يصنع بأرضنا، يقال له المزر، والبتع، وأهل تلك الديار لهم به ولع، **(ووائل بن حجر يترفل على الأقيال،)** يتأمر، ويترأس، وهذا، كقوله في كتاب آخر له، وقد وجهه إلى المهاجر من محمد رسول اللّه إلى المهاجرين أبو أمية: أن وائلاً يستسعر، ويترفل على الأقيال، حيث كانوا من حضرموت، أي: هو مستعمل على الصدقات، وأمير على الأقيال، قال الشاعر:

إذا نحن رفلنا أمرأ ساد قومه وإن لم يكن من قبل ذلك يذكر

وقوله: ابن أبو أمية، كذا الرواية بحكاية أوّل أحواله، وأشرفها، كما يقال علي بن أبي طالب: وقريش، لا تغير الأب في الكنية، بل تجعله بالواو في أحواله الثلاثة، حكاه أبو زيد عن الأصمعي، **(وفسر الأقيال، وهو بالقاف، والمثناة التحتية)** جمع: قيل، بفتح القاف، وشد الياء، أو فتح، فسكون **(بالرؤساء الذين دون الملوك،)** كالوزراء، وهو أحد أقوال الثاني؛ أنهم الملوك مطلقًا الثالث، ملوك حمير واليمن، سمي به، لأنه يقول ما يشاء فينفد، وفي النهاية: روى أنه كتب لوائل إليّ الأقوال، وفي رواية: الأقيال، فقيل: إنه من القيالة، وهي الأمارة، وقيل: من القول لنفوذ قوله، وأمره، فأصله على هذا، قيل: بتشديد الياء على إعلال ميت، ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه، وأقوال على الأصل، وأقيال على لفظ، قيل، كما قيل: ريح وأرياح، والقياس أرواح، لكنه لم يرجع لأصله فرقًا، بينه، وبين جمع روح، **(والعباهلة، بالمهملة المفتوحة، والموحدة، الذين أقروا على ملكهم، لا يزالون)** من عبهلت الإبل، إذا تركتها ترعى متى شاءت واحده عبهل، فالتاء لتأكيد الجمعية، كقشعم، وقشاعمة، أو جمع عبهول، وأصله عباهيل، حذفت الياء، وعوّض منها التاء، كما في فرازنة، وفرازين.

وفي كتاب تثقيف اللسان: العباهلة بموحدة الذين، لا يد لأحد عليهم، وبتحتية السنان، وكلاهما مدح **(والأرواع، بفتح الهمزة، وسكون الراء،)** فواو، فألف، **(آخره عين مهملة: جمع رائع، وهم ذوو الهيئات: الحسان الوجوه، والمشابيب، بفتح الميم، والشين المعجمة، وباءين**

وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة ـ السادة الرؤوس، الحسان الوجوه.

وفي التيعة: ـ بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة ـ أربعون من الغنم. وفي القاموس والنهاية: أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان.

ولا مقوّرة: بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو.

والألياط: ـ بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طاء مهملة ـ أي: لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة.

ولا ضناك: ـ بكسر المعجمة وتخفيف النون ـ ضدها وهي الكثيرة اللحم.

وأنطوا: بقطع الهمزة ....

موحدتين، بينهما مثناة تحتية ساكنة: السادة الرؤوس الحسان الوجوه،) فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم رؤساء سادة، فلا يرد أنه مساو ولمفهوم الأرواع، وقال غيره: المشابيب جمع مشبوب، وهو الأزهر الحسن اللون، قال ذو الرمة:

أنا الأروع المشبوب أضحى كأنه على الرحل مما منه السير أحمق

والمراد السيد الطاهر الأزهر اللون المنير، كأنه وقد في وجهه سراج منير، وهو يجمع من الأروع، كما في البيت، فإن النار مما يروّع ناظره، **(وفي التيعة، بكسر المثناة الفوقية، وسكون المثناة التحتية، وبالعين المهملة، أربعون من الغنم،)** تفسير للتيعة، فالأولى إسقاط في، **(وفي القاموس والنهاية:)** التيعة **(أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان،)** أي: غير البقر، فلا يرد اقتضاء هذا أجزاء شاة عن ثلاثين من البقر، وليس كذلك، كما في أحاديث آخر، وقيل: التيعة الخمس من الإبل، وقيل: ما يأخذه الساعي من الزكاة، ولا يناسب هنا، **(ولا مقوّرة، بضم الميم، وفتح القاف، وتشديد الواو،)** كذا ضبطه المصنف هنا، وشراح الشفاء، إنما ضبطوه، بإسكان القاف، وفتح الواو الخفيفة، وراء مهملة ثقيلة، من الإقورار، كحمرة من الاحمرار، **(والألياط، بفتح الهمزة، وسكون اللام،)** بعدها تحتية، فألف، و**(آخره طاء مهملة، أي: لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة،)** جمع ليط بكسر اللام، وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه إذا ألصقه، وقيل: المقوّرة المقطوعة، والمعنى بها الناقصة، فالتفاسير متقاربة، **(ولا ضناك، بكسر المعجمة،)** وفتحها، قاله الفارابي.

قال الصغاني: والصواب الكسر، **(وتخفيف النون ضدها، وهي الكثيرة اللحم)** السمينة، فلا تؤخذ لجودتها، وفي نسخة: المكتنزة اللحم، وهي بضم الميم، وسكون الكاف، وفتح الفوقية، وكسر النون، وفتح الزاي، وبالهاء، أي: الكثيرة اللحم، **(وأنطوا بقطع الهمزة،)** بعدها

أي أعطوا.

والثبجة: بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات، وقد تكسر الموحدة، أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته.

وفي السيوب: ـ بضم المهملة والمثناة التحتية وواو وآخره موحدة ـ أي: الركاز، قاله الهروي، وقيل: المال المدفون في الجاهلية والمعدن.

ومن زنى مم بكر: ـ بكسر الراء بلا تنوين، لأن أصله من البكر، لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميمًا، وهي ساكنة فأدغمت النون فيها، والمراد بالبكر الجنس، ....

نون، (**أي: أعطوا**) بلغة اليمن، أو بني سعد، وقرىء شاذًا: إنا أنطيناك، وروي في الدعاء: لا مانع، لما أنطيت، (**والثبجة، بالمثلثة، ثم الموحدة، ثم جيم مفتوحات**) آخرها، للنقل من الإسمية للوصفية، (**وقد تكسر الموحدة**) مع خفة الجيم، كما أفاده التجاني، أما مع شدها ففيه نظر، كما قال البرهان، (**أي: أعطوا الوسط في الصدقة، لا من خيار المال، ولا من رذالته،**) بفتح الراء، على تقدير مضاف، أي: من ذي رذالته، وبضمها، بلا تقدير، فالرذالة بالضم ما انتقى جيده، كما في القاموس، (**وفي السيوب، بضم المهملة، والمثناة التحتية، وواو، وآخره موحدة**)، جمع سيب، (**أي: الركاز، قاله الهروي،**) بمهملة، وكاف، وزاي بزنة كتاب، بمعنى مركوز، وهو المال المدفون الجاهلي، من ركز الرمح إذا غرزه في الأرض، وأقره، أو من الركز، وهو الإخفاء، قال تعالى: ﴿أو تسمع لهم ركزًا﴾ [مريم: ٩٨]، أي: صوتًا خفيفًا، وسمي سيبًا، لأنه عطية من اللّه تعالى، إذ السيب لغة العطاء، وقيل: هو الذهب والفضة المدني من تسيب، بمعنى تكوّن من غير صاحب له، فكأنه مسيب، فأطلق على كل جزء منه سبب، فجمع، ثم أطلق عليه الركاز.

(**وقيل:**) السيوب (**المال المدفون في الجاهلية، والمعدن،**) فهو على هذا أعم من الركاز، لإطلاقه على المعدن، فيشترك القولان في إطلاقه على المال المدفون في الجاهلية، ويختص الثاني بإطلاقه على المعدن، (**ومن زنى مم بكر، بكسر الراء، بلا تنوين، لأن أصله من البكر، لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميمًا، وهي ساكنة، فأدغمت النون فيها،**) وفي جواز الإدغام نظر، فإنه إذا كان الأصل أل، فهمزته همزة وصل، تثبت في الابتداء، والخط، وتسقط في الدرج لفظًا، وثبوتها خطًا فاصلاً بين النون، واللام، فيمنع الإدغام، ويمكن الجواب بأن الألف حذفت تخفيفًا، كحذفها في بسم اللّه، فاتصلت النون، بالميم خطًا، ولفظًا، فأدغمت، إذ لم يبق مانع من الإدغام، (**والمراد بالبكر الجنس،**) لأن بكر نكرة عامة لوقوعها في سياق

وقال ابن الأثير: أي من بكر ومن ثيب، فقلبت النون الساكنة ميمًا، أما مع بكر فلأن النون إذا سكنت قبل الباء فإنها تقلب ميمًا في النطق، نحو: عنبر وشنباء، وأما مع غير الباء فإنها لغة يمانية، كما يبدلون الميم من لام التعريف. انتهى.

وفاصقعوه: بهمزة وصل وإسكان الصاد المهملة، وفتح القاف وضم العين المهملة، أي اضربوه.

واستوفضوه: بهمزة وصل وكسر ....

الشرط.

(**وقال ابن الأثير، أي: من بكر، ومن ثيب، فقلبت النون الساكنة ميمًا، أما مع بكر فلأن النون، إذا سكنت قبل الباء، فإنها تقلب ميمًا في النطق،**) سواء كان من كلمة (**نحو عنبر وشنباء،**) كحمراء، وهي المرأة التي كثر ماء أسنانها ورقيه، وعذوبته، أو من كلمتين، نحو من بكر، (**وأما مع غير الباء، فإنها لغة يمانية، كما يبدلون الميم من لام التعريف،**) نحو: ليس من أميرًا مصيام في امسفر، قال: أعني ابن الأثير، فإما أن يكون ما نحن فيه من الثاني، وأصله من البكر، فحذفت نون من فبكر غير منوّن، واستعمل البكر موضع الإبكار، والأشبه أن يكون نكرة منوّنة وأبدل نون من ميمًا (**انتهى**) كلام ابن الأثير، واعترض بأن كون بكر بمعنى إبكار، لأجل من التبعيضية، فتقديره من زنى من الإبكار، ويجوز أنها لبيان الجنس، فبكر على أصلها، ومع هذا يحتمل أنه بمعنى الإبكار أيضًا، لأن في معنى العموم، ثم قلبت النون ميمًا على نهج الإقلاب التجريدي، لا يتأتى في قوله مم ثيب، فلذا قال الشمني أنه من باب الازدواج، والمشاكلة، كقولهم: ما قدم وحدث، بضمهما، مع أن حدث بالفتح.

وقال التجاني: قلبت النون ميمًا، لأنها تعاقبها كثيرًا، كقولهم: بنان، وبنام، وقال الدلجي: بكر نكرة عامة، لوقوعها في سياق الشرط، فراؤها منونة، وأبدلت فيه نون من ميمًا، لكثرة استعمالهم ذلك لفظًا، نحو: من ماء دافق أنزلناه، من ماء مما كانا فيه، سيما إذا كان بعدها باء، كما هنا، ولو كان معرفة، لقال بلغتهم، ومن زنى من امبكر، كما قال ليس من امبرا مصيام في امسفر، ومن الجارة تبعيضية، أو بيانية، مفسرة للاسم المبهم الشرطي، أي: ومن زنى من الإبكار، (**وفاصقعوه بهمزة وصل، وإسكان الصاد المهملة، وفتح القاف، وضم العين المهملة، أي: اضربوه،**) ويقال: بالسين أيضًا من الصقع، وهو الضرب، وأصله الضرب على الرأس، وقيل: الضرب ببطن الكف، ونقل التلمساني أن بعض الشراح ضبطه، بالفاء بدل القاف، يقال: صفعت فلانًا، أصفعه إذا ضربت قفاه، ورجل مصيفعاني يفعل به ذلك، (**واستوفضوه، بهمزة وصل، وكسر**

الفاء وضم الضاد المعجمة، أي غربوه وانفوه.

وفضرجوه: بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم.

وبالأضاميم: بفتح الهمزة والضاد المعجمة، أي أدموه بالضرب بجماهير الحجارة.

ولا توصيم: بصاد مهملة مكسورة، أي لا كسل عن إقامة الحدود.

ولا غمة: بضم الغين المعجمة وتشديد الميم، أي لا تستر ولا تخفى.

ويترفل: بتشديد الفاء المفتوحة: يتسوّد ويترأس، استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله.

الفاء، وضم الضاد المعجمة،) ثم واو ساكنة، بعدها الضمير، **(أي: غربوه، وانفوه، وفضرجوه، بالضاد المعجمة)** المفتوحة، **(وتشديد الراء)** المكسورة، **(وبالجيم)** المضمومة، من التضريج، وهو القدمية، أي: ارجموه حتى يسيل دمه، ويموت، قال:

إن بـنـي ضـرجـونـي بـالـدم

(وبالأضاميـم، بفتح الهمزة، والضاد المعجمة،) وميمين أولهما مكسورة، بينهما تحتية ساكنة، **(أي: أدموه،)** تفسير لضرجوه **(بالضرب بجماهير الحجارة،)** تفسير للأضاميم جمع إضمامة، بكسر الهمزة، أو أضموم، بضمها، سميت به، لأنه يضم بعضها البعض، **(ولا توصيم)** في الدين **(بصاد مهملة مكسورة،)** تفعيل من الوصم، وهو العيب والعار، **(أي:)** لا عار، و**(لا كسل عن إقامة الحدود،)** فلا تحابوا فيها أحدًا، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين اللّه﴾ [النور: ٢].

(ولا غمة) في فرائض اللّه، **(بضم الغين المعجمة، وتشديد الميم، أي: لا تستر، ولا تخفى،)** بل تظهر، ويجهر بها إقامة، وإظهارًا لشعائر الدين، ففيه أن إظهار الفرائض أفضل، فإظهار الزكاة أفضل من إخفائها، وقوله تعالى: ﴿إن تبدو الصدقات، فنعمّا هي، وإن تخفوها، وتؤتوها الفقراء، فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٧١]، محمول على صدقة التطوّع، فإخفاؤها أفضل، وقيل: شامل للزكاة، وقيل: يستحب إخفاؤها إذا خاف الرياء ونحوه، وقيل: يختلف باختلاف الأحوال والزمان، وفي رواية: لا عمه، بفتح العين المهملة، والميم المخففة، والهاء، أي: لا حيرة، ولا تردد فيها، وروى: ولا غمد، بكسر المعجمة، وسكون الميم، ودال مهملة، أي: لا ستر ولا خفاء كتغمدنا للّه برحمته، أي: سترنا بها، **(ويترفل، بتشديد الفاء المفتوحة، يتسوّد، ويترأس استعارة من ترفيل الثوب، وهو إسباغه)** تطويله، **(وإسباله،)** للفخر، والعظمة،

وقريب من هذا، كتابه ﷺ لأكيدر وأهل دومة الجندل، كما قدمته في مكاتبته عليه الصلاة والسلام.

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث عطية السعدي: فإن اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة. قال: فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا.

فاستعير، أو جعل كناية، وهو أظهر، لجعله رئيسًا عليهم محكمًا فيهم، وفي أخذ صدقاتهم، لأن الترفل للتعظيم، والرئيس، والحاكم معظم، فجعل عبارة عن أنه ﷺ جعله واليًا على أمورهم، وقبض صدقاتهم، (**وقريب من هذا كتابه ﷺ لأكيدر، وأهل دومة الجندل، كما قدمته في مكاتباته عليه الصلاة والسلام**).

(**وقال عليه الصلاة والسلام في حديث عطية**) ابن عروة، وقيل: ابن عمرو، وقيل: ابن سعد، وقيل: ابن قيس (**السعدي،**) قيل: هو من بني سعد بن بكر، وقيل: من بني جشم بن سعد، صحابي معروف، له أحاديث، نزل الشام، وجزم ابن حبان بأنه عطية بن عروة بن سعد. ووقع عند الطبراني والحاكم عطية بن سعد، وذكر المدائني عنه أنه كان ممن كلم النبي ﷺ في سبي هوازن، قاله في الإصابة، وفي التقريب له ثلاثة أحاديث، روى له أبو داود، والترمذي وابن ماجه، وأخرج ابن عبد البر، والحاكم من طريق عروة بن محمد بن عطية، قال: حدثني أبي أن أباه حدثه أنه قدم على رسول الله ﷺ في ناس من بني سعد، قال: وأنا أصغرهم، فخلفوني في رحالهم، ثم أتوه ﷺ، فقضى حوائجهم، ثم قال: «هل بقي منكم أحد»؟، قالوا: يا رسول الله غلامًا خلفناه في رحالنا، فأمرهم أن يبعثوني إليه، فأتوا إليّ، وقالوا: أجب رسول الله ﷺ، فأتيته، فلما رآني، قال: «ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئًا، (**فإن اليد العليا هي المنطية، والسفلى هي المنطاة**»،) وبقية الحديث: «وما الله مسؤول ومنطي».

(**قال: فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا،**) أي: بني سعد، وهي إبدال العين نونًا، ولا ينافيه القول، بأنها لغة يمانية لجواز، أنها لغة لهما، وفي رواية: فكلمني بلغتنا، ولا خلف، لأنه وجه إليه الكلام لنجابته، وقومه يسمعون، فيصح أن، يقال: كلمنا، وكلمني، أو النون للعظمة، إظهارًا لإنعام الله عليه بخطابه ﷺ، له، ثم اليد العليا المعطية، والسفلى يد السائل الآخذة، وهي المعطاة، وقد فسر بذلك في حديث آخر أنه ﷺ، قال على المنبر، وهو يذكر الصدقة، والتعفف عن المسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة، والسفلى السائلة، رواه الشيخان، والمنفقة، بنون، وفاء، وقاف، ويروى المتعففة، بعين، وفاءين التي لا تسأل أحدًا، وقيل: إنه تصحيف، ويروى المنفعة، بشد الفاء، وقيل: اليد العليا المعطية، والسائلة المانعة، وقيل:

وقد كان هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها، كان أحدهم لا يتجاوز لغته، وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي، وما ذلك منه ﷺ إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية، لأنه بعث إلى الكافة طرًا، وإلى الناس سودًا وحمرًا، والكلام باللسان يقع في غاية البيان، ولا يوجد غالبًا متكلم بغير لغته إلا قاصرًا في الترجمة نازلاً عن صاحب الأصالة في تلك اللغة، إلا نبينا وسيدنا محمدًا ﷺ كما تقدم، فإنه زاده الله تكريمًا وشرفًا تكلم في كل لغة من لغة العرب أفصح وأنصع بلغاتها منها بلغة نفسها، ....

العليا يد الفقير، لتحصيلها الثواب لصاحب المال، ودفع البلاء عنه، واختار بعض الصوفية، قال ابن قتيبة: وما أرى هذا إلاَّ كلام قوم استحبوا السؤال وحسنوه، وكله مضمحل بعد التصريح بتفسيره في الصحيح، وأن قيل: إنه مدرج، (**وقد كان هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه**) وأبدل من اسم الإشارة قوله: (**أن يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب**) فكان يعلمها كلها، (**وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها**) فلما كان كلام من تقدم على هذا الحد، وبلاغتهم على هذا النمط، وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم، فاستعمالها مع من هي لغتهم لا يخل بالفصاحة، بل هو من أعلى طبقاتها، وإن كان فيها ما هو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم.

وقد نص الجاحظ في كتاب البيان على أن كلام البادية الوحشيّ فصيح بالنسبة لهم، وإن أوهم كلام أهل المعاني خلافه، وأنه يحل بالفصاحة، (**كان أحدهم لا يتجاوز لغته، وإن سمع لغة غيره، فكالعجمية يسمعها العربي، وما ذلك منه ﷺ إلاَّ بقوة إلهية وموهبة ربانية، لأنه بعث إلى الكافة طرًا، وإلى الناس سودًا وحمرًا،**) فعلمه الله جميع اللغات، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه﴾ [إبراهيم: ٤]، أي: لغتهم، فلما بعثه للجميع علمه الجميع، (**والكلام باللسان،**) اللغة، (**يقع في غاية البيان،**) وقد، قال تعالى: ﴿ليبين لهم﴾ [إبراهيم: ٤] فلو كان بغيرها احتاج إلى ترجمان، فقد لا يقع به البيان، (**ولا يوجد غالبًا متكلم بغير لغته، إلاَّ قاصرًا في الترجمة، نازلاً عن صاحب الأصالة في تلك اللغة، إلاَّ نبينا وسيدنا محمدًا ﷺ، كما تقدم، فإنه زاده الله تكريمًا، وشرفًا، تكلم في كل لغة من لغة العرب،**) بكلام (**أفصح**) حال، (**وأنصع،**) بنون، وصاد، وعين مهملتين، أخلص (**بلغاتها منها بلغة نفسها،**) يعني أنه أعرف بلغة العرب، وأقدر عليها من أهلها، (**وجدير**) حقيق (**به ذلك، فقد أوتي في سائر القوى**) بالضم

وجدير به ذلك، فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودية زيادة ومزية على الناس، مع اختلاف الأصناف والأجناس ما لا يضبطه قياس ولا يدخل في تحقيقه إلباس.

وأما صوته الشريف، فعن أنس قال: ما بعث الله نبيًا قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت، حتى بعث الله نبيكم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت، رواه ابن عساكر.

وروي نحوه عن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(البشرية المحمودة، زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الأصناف والأجناس، ما لا يضبطه قياس، ولا يدخل في تحقيقه إلباس،) بموحدة وإشكال، **(وأما صوته الشريف).**

أي: صفته، فكان على غاية من الحسن، والسعة، كما صرحت به الأحاديث، لا حقيقته التي هي غرض يخرج من داخل الرئة، لأن الكلام في شمائله، ولذا أولنا في المبتدأ، لا الخبر، ولا يردان كل حكم ورد على اسم، فهو على مدلوله إلاَّ لقرينة، لأن القرينة هنا صارفة عن إرادة الحقيقة، **(فعن أنس، قال:)** ظاهره أنه موقوف عليه، لكنه مرفوع حكمًا، إذ لا دخل فيه للرأي، **(ما بعث اللَّه نبيًا قط إلاَّ بعثه،)** انظر ما نكتته، مع أنه يكفي إلاَّ **(حسن الوجه، حسن الصوت،)** ونبيًا نكرة في سياق النفي، فعمومها شمولي، فوجه الإغياء في قوله، واستمر ذلك في جميع الأنبياء **(حتى بعث اللَّه نبيكم،)** أنه لما احتمل النفي العموم احتمالاً ظاهرًا، وعدمه مرجوحًا قصد رفع الاحتمال المرجوح، واحتاج لقوله: **(فبعثه حسن الوجه، حسن الصوت،)** لأنه قد يتوهم من عدم ظهور تمام حسنه، لحجبه بالجلال، أنه دونهم، ولم ينبه في هذا الحديث على أنه أحسن منهم في الأمرين، مع أنه لواقع الجوار أن المقام مقام إثبات المساواة، ردًا على زاعم أنه دونهم، وهذا من البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، واكتفاء بما علم أنه إذا شارك غيره في شيء فاق عليه فيه، وهذا أحسن، وهذا كله بالنظر لهذا اللفظ الذي **(رواه ابن عساكر،)** وإلاَّ فقد رواه الترمذي من حديث أنس نفسه بلفظ: ما بعث اللَّه نبيًا إلاَّ حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهًا، وأحسنهم صوتًا، فعلى المؤلف المؤاخذة في ترك الترمذي من وجهين: أحدهما: أن الحديث إذا كان في أحد الستة لا يعزى لغيرها، كما قال مغلطاي، ثانيهما: أن لفظه أصرح في الدلالة على المراد من لفظ ابن عساكر، **(وروى نحوه من حديث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه).**

قال الحافظ: وأما قوله في حديث المعراج في يوسف: فإذا أنا برجل حسن ما خلق اللَّه،

وروي أنه كان إذا تكلم ريء كالنور يخرج من ثناياه.

وقد كان صوته عليه الصلاة والسلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره. فعن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن. رواه البيهقي.

وقالت عائشة رضي الله عنها جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقال للناس: اجلسوا، فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه، رواه أبو نعيم.

وقال عبد الرحمٰن بن معاذ ....

قد فضل الناس بالحسن، كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، رواه البيهقي والطبري وابن عائذ ليحمل على أن المراد غير النبي ﷺ، ويؤيده القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه، وقوله في رواية مسلم: فإذا هو قد أعطى شطر الحسن، حمله ابن المنير على أن المراد أعطى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا ﷺ.

(وروي) عند الترمذي، والدارمي، والطبراني عن ابن عباس **(أنه)** ﷺ **(كان)** أفلج الثنيتين **(إذا تكلم،)** خبر ثان لكان **(ريء،)** بكسر الراء، بزنة، قيل: على الأفصح، ويقال، بضم الراء، وكسر الهمزة، وبني للمجهول، إيماء إلى أن الرواية لا تختص بأحد دون أحد، ولذا لم يقل إذا تكلم يخرج **(كالنور،)** أي: شعاع مثله، فالكاف، بمعنى مثل، فلا حاجة لتقدير شيء **(يخرج من)** بين **(ثناياه،)** إما من الثنايا نفسها، أو من داخل الفم، وطريقه من بينهما لمعجزة له، وهو نور حسي لا معنوي، والمراد ألفاظه بالقرءان، أو السنة، كما زعم، لأنه خلاف المتبادر من قوله ريء، وهو زائد على حسن الصوت، **(وقد كان صوته عليه الصلاة والسلام يبلغ حيث،)** أي: مكانًا، **(لا يبلغه صوت غيره،)** فحيث هنا، بمعنى المكان مجردة عن الظرفية.

(فعن البراء، قال: خطبنا رسول الله ﷺ)، فعلا صوته **(حتى أسمع العواتق)**، جمع عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك، وقيل: التي لم تبن من والديها، ولم تتزوّج، وقد أدركت وشبت وتجمع أيضًا على عتق، كما في النهاية **(في خدورهن)** جمع خدر، أي: ستر، ويطلق على البيت إن كان فيه امرأة، وإلاً فلا، **(رواه البيهقي،)** وخصهن بالذكر، لبعدهن، واحتجابهن في البيوت، فسماعهن آية علو صوته زيادة على غيره، **(وقالت عائشة رضي الله عنها: جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر، فقال للناس: «اجلسوا»، فسمعه عبد الله بن رواحة)** الأنصاري **(وهو في بني غنم،)** بمعجمة مفتوحة، فنون ساكنة، فميم، بطن من الخزرج بالمدينة، ونسخة تميم تحريف، **(فجلس في مكانه)** مبالغة في امتثال أمره ﷺ، مع أنه ليس مأمور بذلك إذ قصده أمر الحاضرين للخطبة بالجلوس، **(رواه أبو نعيم، وقال عبد الرحمٰن بن معاذ)** بن عثمان بن

التيمي: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى، ففتحت أسماعنا ـ وفي لفظ ففتح الله أسماعنا ـ حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا. رواه ابن سعد.

وعن أم هانيء قالت كنا نسمع قراءة النبي ﷺ في جوف الليل عند الكعبة، وأنا على عريشي، رواه ابن ماجه.

وأما ضحكه عليه الصلاة والسلام، ففي البخاري عن عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم،.... .

عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي، **(التيمي)** بن عم طلحة بن عبد اللَّه قال البخاري وغيره: له صحبة، وعده ابن سعد من مسلمة الفتح، **(خطبنا رسول اللَّه ﷺ بمنى، ففتحت،)** أي: فتح اللَّه، كما في الرواية التالية، **(أسماعنا)** حتى كنا نسمع ما يقول، ونحن في منازلنا الحديث، أخرجه أحمد وأبو داود، والنسائي، وأخرج البخاري عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ، بمثل حصى الخذف، فارموا، **(وفي لفظ: ففتح اللَّه أسماعنا،)** بأن خلق فيها قوّة سمع زيادة على معتادها، فكأنها كانت مغلقة، ففتحت، فشبه الأسماع بأبواب مغلقة، وأثبت لها الفتح تخييلاً، فهو استعارة بالكناية تخييلية، **(حتى)** غاية لقد رأى، فقويت حتى **(إن كنا)** مخففة من الثقيلة، بدليل اللام في **(لنسمع ما يقول، ونحن في منازلنا، رواه ابن سعد)** بهذا اللفظ، وإلاَّ، فقد رواه بلفظ: ففتحت، بالبناء للمجهول الأئمة الذين رأيت.

(وعن أم هانيء، قالت: كنا نسمع قراءة النبي ﷺ في جوف الليل عند الكعبة،) متعلق بقراءة: **(وأنا على عريشي،)** أي: سريري، وحمله عليه أبلغ من سقف بيتي، كما هو أحد معاني العريش، كالعرش في القاموس أيضًا، فسماعها له، وهي على سريرها، داخل بيتها البعيد عن محل القراءة، دليل على قوّته، **(رواه ابن ماجه)** وفي الصحيحين عن البراء: قرأ ﷺ في العشاء: ﴿والتين والزيتون﴾ [التين: ١]، فلم أسمع صوتًا أحسن منه، وروى أبو الحسن بن الضحاك عن جبير بن مطعم: كان ﷺ حسن النغمة، وفي حديث أم معبد: كان في صوته صحل، رواه ابن عساكر وغيره بفتح المهملتين، ولام شبه البحة، وهي غلظ الصوت.

قال ابن الأثير: بالتحريك كالبحة، وأن لا يكون حاد الصوت، وفي رواية: صهل بهاء بدل الحاء، وهو قريب منه، لأنه صوت الفرس، وهو يصهل بشدّة وقوّة، **(وأما ضحكه عليه الصلاة والسلام،)** قال في القاموس: ضحك ضحكًا، بالفتح، وبالكسر، وبكسرتين، وككتف **(ففي البخاري عن عائشة: ما رأيت رسول اللَّه ﷺ مستجمعًا، قط ضاحكًا)** ضحكًا تامًا، بحيث ينفتح فمه، **(حتى أرى منه لهواته)** غاية لضاحكًا، **(إنما كان يتبسم)**.

أي: ما رأيته مستجمعًا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك.

واللهوات: بفتح اللام، جمع لهاة، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

وهذا لا ينافي ما في حديث أبي هريرة في قصة المواقع أهله في رمضان، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. رواه البخاري. ....

قال المجد: بسم يبسم بسمًا، وابتسم، وتبسم، وهو أقل الضحك وأحسنه.

قال الكشاف: وكذلك ضحك الأنبياء لم يكن إلاَّ تبسمًا انتهى، وعليه، فهو من خواصه على الأمم دون الأنبياء، (**أي: ما رأيته مستجمعًا من جهة الضحك**) أي: مطمئنًا قاصدًا للضحك الذي يغلب وقوعه للناس، (**بحيث يضحك ضحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك، واللهوات، بفتح اللام**،) والهاء، والواو، (**جمع لهاة**) على الأصل.

وتجمع أيضًا على لهيات، ولهى مثل: حصاة، وحصى وحصيات، كما في المصباح، (**وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة،**) أي: الحلق، (**من أقصى الفم، وهذا لا ينافي ما في حديث أبي هريرة، في قصة المواقع،**) المجامع (**أهله في**) نهار (**رمضان،**) قيل: إنه سلمة بن صخر، رواه ابن أبي شيبة وابن الجارود، وجزم به عبد الغني، وانتقد بأن هذا هو المظاهر في رمضان، أتى أهله ليلاً رأى خلخالها في القمر، وفي رواية ابن عبد البر: تسميته سلمان بن صخر البياضي، قال ابن عبد البر: وأظنه وهمًا، لأن ذلك إنما هو المظاهر، أما المجامع، فأعرابي، فهما واقعتان، ففي قصة المجامع: أنه كان صائمًا، وقصة سلمان أنه كان ليلاً، كما عند الترمذي، فافترقا، نعم اشتركا في قدر الكفارة، وفي الإتيان بالتمر، وفي قول كل منهما أعلى أفقر منا، وسبب ظن من، قال: إن المحترق سلمان، أو سلمة، إن ظهاره من امرأته كان في رمضان، وجامع ليلاً، ولفظ الصحيح عن أبي هريرة: جاء رجل، فقال: يا رسول اللَّه هلكت، قال: «ما لك»؟، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها»؟، قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»؟، قال: لا، قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينًا»؟، قال: لا، فأتى ﷺ بتمر، فقال: «خذ هذا فتصدق به»، فقال: على أفقر مني يا رسول اللَّه، فواللَّه ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي، (**فضحك رسول اللَّه ﷺ حتى بدت نواجذه،**) وفي رواية: أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك، (**رواه البخاري**) في الصوم وغيره، ومسلم وأصحاب السنن في الصوم: وإنما ضحك كذلك ﷺ تعجبًا من حال الرجل في كونه جاء أولاً هالكًا محترقًا،

وهو بالجيم والذال المعجمة: أي أضراسه الأضراس. ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك، ولا منافاة لأن عائشة إنما نفت رؤيتها، وأبو هريرة أخبر عما شاهد، والمثبت مقدم على النافي.

وقد قال أهل اللغة: التبسم: مبادي الضحك، والضحك: انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة، وإلا فالضحك.

وقال ابن أبي هالة: جل ضحكه التبسم، ويفتر ....

كما في رواية احترقت خائفًا على نفسه، راغبًا في فدائها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع في أكل الكفارة، (**وهو بالجيم، والذال المعجمة، أي: أضراسه،**) ظاهره حقيقة.

وقال السيوطي تبعًا للزمخشري: الوجه حمله على مبالغة مثله في الضحك من غير ظهورها حقيقة، وهو أقيس، وقال ثعلب: المراد أنيابه للتصريح في الرواية الأخرى، ورجحه السيوطي، وغيره؛ بأنه لم يبلغ به الضحك إلى بدوّ أضراسه، وقيل: النواجذ الأسنان بين الضرس، والناب، وقيل: أربع من (**الأضراس**)، آخرها يسمى ضرس العقل، لأنه لا ينبت، إلاَّ بعد الحلم، (**ولا تكاد تظهر، إلاَّ عند المبالغة في الضحك،**) فينافي قول عائشة: إنما كان يبتسم، (**ولا منافاة، لأن عائشة إنما نفت رؤيتها وأبو هريرة أخبر عما شاهد، والمثبت مقدم على النافي،**) لأن معه زيادة علم خصوصًا، والنافي هنا إنما نفي رؤيته لا مطلقًا، (**وقد قال أهل اللغة: التبسم مبادي الضحك،**) أي: مقدماته، (**والضحك انبساط الوجه،**) تهلله وتلألؤه، (**حتى تظهر الأسنان من السرور،**) متعلق بانبساط، وكان المعنى: إذا تهلل وجهه لسرور قام به، انفتح فمه على الهيئة المعروفة، (**فإن كان بصوت، وكان بحيث يسمع من بعيد، فهو القهقهة، وإلاَّ**) يسمع من بعد، وهو بصوت (**فالضحك،**) فالفارق بين الثلاثة أن التبسم انفتاح الفم بلا صوت، والضحك انفتاحه مع صوت قليل، والقهقهة انفتاحه بصوت قوي.

(**وقال ابن أبي هالة: جلّ ضحكه،**) أي: أكثره (**التبسم،**) وقد يزيد عليه أحيانًا (**ويفتر،**) بفتح الياء، وسكون الفاء، وفتح الفوقية، وتشديد الراء، كما ضبطه شراح الشفاء، وفي القاموس: افتر ضحك ضحكًا حسنًا، قال الحريري:

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

قال في النهاية: أي: يتبسم، ويكشر حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة، وهو من فررت الدابة

عن مثل حب الغمام، أي يبدي أسنانه ضاحكًا، وحب الغمام: البرد.

وقال الحافظ بن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث: أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك. قال: والمكروه من ذلك إنما هو إكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار.

وقال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك.

وقد روى البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب.

أفرها فرًا، إذا كشفت شفتها لتعرف سنها، وافتر يفتر افتعل منه انتهى، فقول الشامي، بضم الفوقية سبق قلم، أو من النساخ، (**عن مثل حب الغمام**) متعلق بيفتر، (**أي: يبدي أسنانه ضاحكًا، وحب الغمام**) السحاب واحدة غمامة، كسحابة (**البرد،**) بفتحتين، الجامد المعروف، لا قطر الماء، كما توهم، لأنه مع عدم مناسبته، لا يسمى حبًا، إذ الحب الجامد، لا السائل شبه به أسنانه في صفاته، وبياضه، ولمعانه، ورطوبته دون جريه حتى، يقال إنه كنوع منه.

(**وقال الحافظ بن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث، أنه ﷺ كان في معظم أحواله، لا يزيد على التبسم ربما زاد على ذلك، فضحك،**) وظاهره أنه لم يقهقه البتة.

(**قال: والمكروه من ذلك، إنما هو إكثار منه، أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار،**) الحلم، والرزانة، والعظمة، وهذا جواب عما، يقال صرح الفقهاء بكراهة الضحك، وقد فعله ﷺ.

(**وقال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدي به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك،**) وهو التبسم، فيقتصر عليه، وضحكه لبيان أنه ليس بحرام، (**وقد روى البخاري في**) كتاب (**الأدب المفرد،**) الذي أفرده بالتأليف، احترازًا عن كتاب الأدب من صحيحه، (**وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب،**) إذ هي تورث قسوته، وهي مقضية إلى الغفلة، وليس موته إلاَّ لغفلة، قاله الطيبي.

وقال الغزالي: كثرة الضحك، والفرح بالدنيا سم قاتل، يسري إلى العروق، فيخرج من القلب الخوف، والحزن، وذكر الموت، وأهوال القيامة، هذا هو موت القلب، وزاد الطبراني من حديث أبي ذر: وتذهب بنور الوجه، أي: إشراقه، وضيائه، وقال الماوردي: اعتياد الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة، مذهل عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبة، ولا وقار، ولا لمن وسم به خطر، ولا مقدار.

وقال أبو هريرة: وإذا ضحك ﷺ يتلألأ في الجدر. رواه البزار والبيهقي، أي يضيء في الجدر - بضم الجيم والدال، جمع جدار وهو الحائط - أي يشرق نوره عليها إشراقًا كإشراق الشمس عليها.

وكان ﷺ إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكًا حتى يرتفع عنه، بل كان إذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم. رواه مسلم.

وكان بكاؤه عليه الصلاة والسلام من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى ....

(**وقال أبو هريرة**) في حديث: (**وإذا ضحك ﷺ يتلألأ في الجدر، رواه البزار، والبيهقي، أي: يضيء**)، تفسير يتلألأ (**في الجدر، بضم الجيم، والدال، جمع جدار، وهو الحائط، أي: يشرق نوره عليها إشراقًا، كإشراق الشمس عليها، وكان ﷺ، إذا كان حديث**) قريب، (**عهد بجبريل، لم يتبسم ضاحكًا، حتى يرتفع عنه**) بحيث، لا يراه إعظامًا له بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه، أو اعتبارًا، وتفكرًا فيما أتاه به، (**بل**) انتقالية، (**كان إذا خطب**) وعظ، (**أو ذكر الساعة**) القيامة (**اشتد غضبه**) للّه سبحانه، وتعالى على من خالف زواجره.

قال القاضي عياض: يغني بشدته أن صفته صفة الغضبان، وهذا شأن المنذر المخوف، ويحتمل أنه نهى، خولف فيه شرعه، وهكذا تكون صفة الواعظ مطابقة، لما يتكلم، وبه، قال النووي: أو كان عند إنذاره أمرًا عظيمًا، زاد في رواية: واحمرت عيناه، (**وعلا صوته،**) أي: رفعه ليؤثر وعظه في خواطر الحاضرين، حتى (**كأنه منذر،**) محذر، (**جيش،**) أي: كمن ينذر قومًا من جيش عظيم قصدوا الإغارة عليهم، فإن المنذر المعلم يعرف القوم بما يدهمهم من عدو، أو غيره، وهو المخوّف حال كونه، (**يقول: صبحكم،**) بفتح الصاد، والباء المشددة، أي: أتاكم الجيش وقت الصباح، (**ومساكم،**) بالفتح مثقلاً، أتاكم وقت المساء.

قال الطيبي: شبه حاله في إنذاره وخطبته بقرب يوم القيامة، وتهالك الناس فيما يرد بهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم، ويقصد الإحاطة بهم بغتة، بحيث، لا يفوته منهم أحد، فكما أن المنذر يرفع صوته، وتحمر عيناه، ويشتد غضبه على تغافلهم؛ فكذا حاله ﷺ، عند الإنذار، وفيه أنه يسن للخطيب تفخيم أمر الخطبة، ورفع صوته، وتحرك كلامه، ويكون مطابقًا، لما يتكلم به من ترغيب وترهيب، (**رواه مسلم**) من حديث جابر بن سمرة؛ (**وكان بكاؤه عليه الصلاة والسلام،**) وقياس ما مر أن يقول: وأما بكاؤه، فكان (**من جنس ضحكه لم يكن بشهيق، ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى**)

تهملان، ويسمع لصدره أزيز، يبكي رحمة لميت وخوفًا على أمته وشفقة، ومن خشية الله، وعند سماع القرءان، وأحيانًا في صلاة الليل، قاله في الهدي النبوي.

وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب، ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم: ما تثاءب النبي قط، لكن في رواية عند ابن أبي شيبة: ما تثاءب نبي قط.

وأما يده الشريفة ﷺ، فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين كما سيأتي، أي غليظ أصابعهما، ....

تهملان،) بضم الميم، يسيل دمعهما، وإثبات النون، مع حتى قليل، نحو: أن تقرآن على أسماء، أو على حذف المبتدأ، أي: أنهما تهملان، أو هما تهملان، فحتى ابتدائية نحو: حتى ماء دجلة، أشكل، **(ويسمع لصدره أزيز،)** بزاءين منقوطتين، أي: صوت، وأصله غليان القدر **(يبكي، رحمة لميت)** استئناف بياني، كأنه، قيل: لم كان يبكي، فأجيب بأنه رحمة لميت، **(وخوفًا على أمته، وشفقة)** عليهم **(ومن خشية الله، وعند سماع القرءان، وأحيانًا في صلاة الليل، قاله في الهدى النبوي، وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب،)** لأنه يكره، وذكره، لأن كلامه في شمائله، ومنها عدم التثاؤب، بخلاف غيره، فليس ذكره استطرادًا لمضادته للضحك، وفي المصباح: تثاءب بالهمز تثاؤبًا، وزان تقاتل تقاتلاً، قيل: هي فترة تعتري الشخص، فيفتح عندها فمه، وتثاوب بالواو عامي، **(ففي تاريخ البخاري، ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد،)** بتحتية وزاي، **(ابن الأصم،)** واسمه عمرو بن عبيد البكائي، بفتح الموحدة والتشديد، الكوفي ابن أخت ميمونة أم المؤمنين، ثقة، مات سنة ثلاث ومائة، **(ما تثاءب النبي قط،)** لأنه من الشيطان، وفي البخاري مرفوعًا: أن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، ثم أل في النبي عهدية، أي: نبينا ﷺ، فيفيد اختصاصه **(لكن في رواية)** من مرسل يزيد، المذكور، **(عند ابن أبي شيبة: ما تثاءب نبي قط،)** وهذا يعم الجميع، فهو من خصائصه على الأمم، لا على الأنبياء.

(وأما يده الشريفة ﷺ،) أي: صفة يديه معًا، لأن إضافة المفرد إلى المعرفة تفيد العموم، وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع، واليد الكف أيضًا، والظاهر إرادة الإطلاقين هنا معًا، لما يأتي من رؤية بياض إبطيه، **(فقد وصفه)** أي: النبي ﷺ، لا اليد، لأنها مؤنثة، **(غير واحد، بأنه كان شثن الكفين،)** بفتح الشين المعجمة، وإسكان المثلثة، كما ضبطه، جمع منهم المصنف، ووقع للسيوطي في زهر الخمائل، بمثناة فوقية، ولعله سهو، فإن اللغويين، وأصحاب الغريب؛ إنما ذكروه في الشين، مع المثلثة من أصرحهم الهروي، حيث، قال: باب الشين مع الثاء، وذكر فيه الحديث، وذكر قبله الشين مع التأويل، ولم يذكر فيه، **(كما سيأتي، أي: غليظ أصابعهما،)**

وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين.

وقد مسح ﷺ خد جابر بن سمرة قال: فوجدت ليده بردًا وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار، رواه مسلم.

وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي: لقد ....

وذلك جمال في الرجال، لأنه أشد لقبضهم، ويذم في النساء، وفسر أيضًا في النهاية، وغيرها بغلظ الأنامل، بلا قصر، والأنامل عقد الأصابع، فلا منافاة، نعم على تخصيص الأنامل برؤوس الأصابع يتنافيان، **(وبأنه عبل،)** بفتح العين، وسكون الموحدة، تليها لام، أي: قوي **(الذراعين،)** ضخمهما تثنية ذراع، وهو ما بين مفصل الكف، والمرفق، أو من المرفق إلى أطراف الأصابع، كذا ضبطه بعضهم، بإسكان الباء، فإن كان الرواية، وإلاَّ، ففيه أيضًا كسر الباء، بزنة فرخ **(رحب،)** بفتح، فسكون، **(الكفين،)** أي: واسعهما.

قال ابن الأثير: يكنون بذلك عن السخاء والكرم، وقال التجاني، أي: كبيرهما، وهو على ظاهره من كبر الجوارح، لدلالته على كمال الخلق، بخلاف صغرهما.

قال: والحق أنه إن كان في بيان الخلق بالفتح، فلا مناسبة للكناية، أو الخلق بالضم، فله مناسبة، وقال غيره: رحبهما حسًا، ومعنى، وقصره على الحقيقة، أو جعله كناية فقط تقصيرًا، لكن هذا، وإن كان حسنًا، لا يناسب المقام، لأن الكلام مسوق لبيان صفاته الصورية، إلاَّ أن، يقال الكناية، لا تنافي إرادة المعنى الحقيقي، **(وقد مسح ﷺ خد جابر بن سمرة،)** تأنيسًا، وشفقة، وتبريكًا، قال جابر: صليت مع النبي ﷺ، وأنا معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا، **(قال:)** وأما أنا، فمسح خدي، **(فوجدت،)** أي: أحسست **(ليده،)** أي: كفه، وما قاربها **(بردًا)** حقيقيًا لرواية أبرد من الثلج، لا لعارض مس ماء، وهذا ممدوح عند العرب، لا سيما في الزمن الحار، ولا بعد في أنه خاص به مع كمال حرارته الغريزية، وقيل: هو عبارة عن لين كفه، ورطوبته، والأقرب أنه، بمعنى الراحة، واللذة، والطيب.

قال في النهاية: كل محبوب عندهم بارد، وبرد الظل طيب العيش، والغنيمة الباردة الهنية، **(وريحًا، كأنما أخرجها،)** أي: اليد، لأنها مؤنثة **(من جؤنة عطار،)** بضم الجيم، وسكون الهمزة، ويقال: بواو ساكنة، تليها نون، وهاء تأنيث، شبه صندوق صغير، مغشى بجلد، وزند مستدير، يضع العطار فيها عطره، وهو كل ما طابت رائحته، أي: إن كان ريحها ريح، ما أخرج من جؤنة العطار مضمخًا بالعطر، والجملة صفة ريحًا، أو مستأنفة، **(رواه مسلم)** في الصحيح، **(وفي حديث وائل بن حجر،)** بمهملة مضمومة فجيم ساكنة، الحضرمي **(عند الطبراني، والبيهقي: لقد**

كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه بعد في يدي، وإنه لأطيب رائحة من المسك.

وقال يزيد بن الأسود: ناولني رسول الله ﷺ يده فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحًا من المسك، رواه البيهقي.

وعن المستورد بن شداد عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ فأخذت بيده فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج. رواه الطبراني.

ودخل ﷺ على سعد بن أبي وقاص يعوده بمكة، وقد اشتكى، قال: فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني، فما زلت يخيل إلي ....

كنت أصافح رسول الله ﷺ، أو يمس جلدي جلده،) أو للتنويع، لا للشك، فهو إخبار عن حالتين، (**فأتعرفه بعد في يدي،**) أي: فأعرف أثره بعد مفارقته لي، (**وأنه لأطيب رائحة من المسك**).

قال القاموس: تعرفت ما عندك، تطلبته حتى عرفته، (**وقال يزيد**): بتحتية وزاي، (**ابن الأسود**) بن سلمة بن حجر بن وهب الكندي، صحابي، ابن صحابي، قال ابن الكلبي: وفد به أبوه على النبي ﷺ، وهو غلام، فدعا له استدركه ابن فتحون، ذكره في الإصابة، (**ناولني رسول الله ﷺ يده، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحًا من المسك، رواه البيهقي،**) وفيه، كسابقه، ولاحقه إشارة إلى كمال الأعضاء النبوية حسًا، ومعنى، (**وعن المستورد،**) بضم الميم، وسكون السين المهملة، وفتح الفوقية، وكسر الراء، وبالدال المهملتين، (**ابن شداد**) بن عمرو القرشي، الفهري، صحابي، حجازي، نزل الكوفة، ثم مصر، وشهد فتحها، واختط بها، وتوفي بالإسكندرية سنة خمس وأربعين، ويقال اسم أبيه سلامة، وهو تغيير، والصواب شداد، كما في كتاب ابن يونس أفاده الإصابة، (**عن أبيه**) شداد بن عمرو بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محار بن فهر، القرشي، الفهري، الصحابي، (**قال: أتيت النبي ﷺ، فأخذت بيده، فإذا هي ألين من الحرير، وأبرد من الثلج، رواه الطبراني،**) بإسناد على شرط الصحيح، قاله الحافظ، (**ودخل ﷺ على سعد بن أبي وقاص،**) مالك القرشي، الزهري، أحد العشرة، (**يعوده بمكة**) في حجة الوداع، (**وقد اشتكى**) من مرض، أشرف معه على الموت، فاستأذنه في التصدق بثلثي ماله، أو بشطره، فأبى، فقال: فالثلث، قال: الثلث، والثلث كثير، الحديث في الصحيح.

(**قال: فوضع يده على جبهتي، فمسح وجهي، وصدري، وبطني، فما زلت يخيل إليّ،**)

أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة، رواه.

في البخاري من حديث أنس: قال ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ. وهو من باب عطف الخاص على العام، لأن الديباج نوع من الحرير.

قيل: وهذا الوصف في هذا الحديث يخالف ما وقع في حديث هند بن أبي هالة عند الترمذي في صفته ﷺ، فإن فيه ـ كما تقدم ـ كان شثن الكفين والقدمين، أي غليظهما في خشونة، وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي

أي: يقع في وهمي (**أني أجد**،) أي: وجود (**برد يده على كبدي حتى الساعة، رواه**) كذا في نسخة، وبعدها بياض، وفي الشامي، وقد رواه الإمام أحمد من حديث سعد، ويقع في نسخة رواه البخاري، وهي خطا، إذ البخاري إنما روى في الجنائز، والوصايا، وحجة الوداع، أصل الحديث بدون تلك الزيادة التي هي، فوضع يده إلى آخره، والله أعلم.

(**وفي البخاري**) في صفة النبي ﷺ (**من حديث أنس، قال: ما مسست**،) قال الحافظ وغيره: بمهملتين، الأولى مكسورة، ويجوز فتحها، والثانية ساكنة، (**حريرًا، ولا ديباجًا**،) بكسر المهملة، وحكى فتحها. وقال أبو عبيد: الفتح مولد، أي: ليس بعربي، (**ألين من كف رسول الله ﷺ**،) ولا شممت ريحًا قط، أو عرفًا قط أطيب من ريح، أو عرف النبي ﷺ، هذا بقية الحديث عند البخاري، وأخرجه مسلم بنحوه: وشممت، بكسر الميم الأولى، وتفتح، وإسكان الثانية، وعرف، بفتح المهملة، وسكون الراء، بعدها فاء، وهو شك من الراوي، يدل عليه قوله: أطيب من ريح، أو عرف، وهو الريح الطيب، ووقع في بعض الروايات، بفتح الراء، وبالقاف، وأو على هذا للتنويع الأوّل هو المعروف، فقد رواه البخاري في الصوم عن أنس: ما شممت مسكة، ولا عنبرة أطيب رائحة من ريح رسول الله ﷺ، (**وهو**) أي: قوله: ولا ديباجًا (**من باب عطف الخاص على العام، لأن الديباج نوع من**) ثياب (**الحرير**،) أي: كله حرير على ظاهره، كظاهر قول النهاية: الديباج، بكسر الدال، الثياب المتخذة من الإبريسم، فارسي معرب، وقد تفتح داله، ويجمع على ديابيج بالياء، أي: التحتية، ودبابيج بالباء، أي: الموحدة، وفي المصباح: الديباج: ثوب سداه، ولحمته إبريسم، (**قيل: وهذا الوصف**،) أي: كونه ألين من الحرير (**في هذا الحديث، يخالف ما وقع في حديث هند بن أبي هالة عند الترمذي في صفته ﷺ، فإن فيه، كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين، أي: غليظهما في خشونة، وهكذا وصفه علي**،) كما ورد عنه (**من عدة طرق**،) فهو صلة محذوف (**عند الترمذي، والحاكم، وغيرهما**،) كابن أبي خيثمة، (**وكذا وصف عائشة له عند ابن أبي خيثمة**) زهير بن حرب،

والحاكم وغيرهما، وكذا وصف عائشة له عند ابن أبي خيثمة.

والجمع بينهما: أن المراد اللين في الجلد. والغلظ في العظام، فتجتمع له نعومة البدن وقوته.

وقال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحمًا، غير أنها مع ضخامتها كانت لينة، كما في حديث أنس، قال وأما قول الأصمعي: الشثن: غلظ الكف في خشونة، فلم يوافق على تفسيره بالخشونة، والذي فسره به الخليل أولى، قال: وعلى تسليم ما فسر به الأصمعي الشثن: يحتمل أن يكون أنس وصف حالتي كف النبي ﷺ فكان إذا عمل بكفه في الجهاد، أو في مهنة أهله، صار كفه خشنًا للعارض المذكور، وإذا ترك ذلك رجع كفه إلى أصل جبلته من النعومة.

(والجمع بينهما،) كما في الفتح، أي: بين اللين المصرح به أنس، والغلظ الذي تضمنه شثن في حديث الجماعة على ما فسره به، **(أن المراد: اللين في الجلد، والغلظ في العظام،)** فلا تنافي، وكلاهما متعلق بمحذوف، أي: المراد باللين: اللين في الجلد، وبالغلظ في العظام، **(فتجتمع له نعومة البدن، وقوته،)** لكن هذا الجمع، لا يدفع التعارض بين وصف جلده باللين والخشونة، وإنما يدفع التعارض بين اللين والغلظ مع أنه، لا يرد، إذ مفهوم اللين، لا يعارض مفهوم الغلظ.

(وقال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحمًا، غير أنها مع ضخامتها،) الذي هو معنى الشثن **(كانت لينة، كما في حديث أنس)** المذكور، **(قال: وأما قول)** أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع **(الأصمعي)**، بفتح الهمزة، وسكون الصاد المهملة، وفتح الميم، وعين مهملة، نسبة إلى جده أصمع المذكور الباهلي، ثم البصري، إمام ثقة صدوق سني، روى له أبو داود، والترمذي، مات سنة خمس، أو ست، أو سبع عشرة ومائتين بالبصرة، عن ثمان وثمانين سنة، **(الشثن: غلظ الكف في خشونة، فلم يوافق على تفسيره بالخشونة،)** وإن تبعه عليه الجوهري، والمجد، وغيرهما، لأنه لا يليق هنا لمنابذته، لما صح من لين كفه ﷺ، **(والذي فسره به الخليل،)** من أنه غلظ الأصابع، وأنه جمال في الرجال، لدلالته على الشدة **(أولى)** بالقبول، لأن الغلظ، لا ينافي النعومة.

(قال) ابن بطال: **(وعلى تسليم ما فسر به الأصمعي الشثن، يحتمل أن يكون أنس، وصف حالتي كف النبي ﷺ، فكان إذا عمل بكفه في الجهاد، أو في مهنة أهله صار كفه خشنًا للعارض المذكور،)** فيحمل عليه قول أنس في الصحيح كان شثن القدمين، والكفين بناء

وقال القاضي عياض: فسر أبو عبيدة الشثن بالغلظ مع القصر. وتعقب: بأنه ثبت في صفته عليه الصلاة والسلام أنه كان سائل الأطراف. انتهى.

ويؤيد كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان: كان سبط الكفين. بتقديم المهملة على الموحدة، فإنه موافق لوصفها باللين.

والتحقيق في الشثن أنه الغلظ من غير قصر ولا خشونة. وقد نقل ابن خالويه: أن الأصمعي لما فسر الشثن بما مضى، قيل له إنه ورد في صفة النبي ﷺ أنه لين الكفين، فآلى ....

على تفسيره بالخشونة، و(إذا ترك ذلك رجع كفه إلى أصل جبلته:) طبيعته التي خلق عليها، وفي نسخة خلقته، (من النعومة،) وعليه يحمل قول أنس: أنها ألين من الحرير، فلا تخالف بين حديثيه.

(وقال القاضي عياض: فسر أبو عبيدة الشثن بالغلظ مع القصر، وتعقب بأنه ثبت في صفته عليه الصلاة والسلام) عند الترمذي وغيره، من حديث هند بن أبي هالة، (أنه كان سائل الأطراف،) بسين مهملة ولام، ممتد الأصابع، طويلها طولاً معتدلاً بين الإفراط، والتفريط، من غير تكسر جلد، ولا تشنج، بل كانت مستوية مستقيمة، وذلك مما يتمدح به، قال النابغة:

يهزون أرماحًا طوالاً متونها   بأيد طوال عاريات الأشادح

وقد وقع حديث هند بالشك، هل قاله بالسين المهملة، أو شائل بالمعجمة، أي: مرتفعها، وهو قريب من سائل من قولهم: شالت الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه، والمعنى: كان مرتفع الأصابع، بلا احديداب، ولا انقباض، وقال ابن الأنباري: روى سائل، وسائن بالنون، وهما بمعنى تبدل اللام من النون، ولم يتعرض أصحاب الغريب لشائل بمعجمة، لكنه مستقيم على قانون العربية، كما علم، ومقصود الكلمة، كما قال الزمخشري: أنها ليست معتقدة (انتهى) كلام عياض، (ويؤيد كونها كانت لينة، قوله في رواية النعمان: كان سبط الكفين، بتقديم المهملة) المفتوحة (على الموحدة) الساكنة، وحكى كسرها، وفتحها، وطاء مهملة، أي: ممتدهما، بلا تعقيد، ولا نتوّ، لكن هذه اللغات في الوصف، أما المصدر، فبالفتح، لا غير، (فإنه موافق لوصفها باللين) في المعنى، (والتحقيق في الشثن أنه الغلظ من غير قصر، ولا خشونة،) كما فسره به الخليل، ومن تبعه.

(وقد نقل ابن خالويه: أن الأصمعي، لما فسر الشثن بما مضى،) من الغلظ مع الخشونة، (قيل له: إنه ورد في صفة النبي ﷺ، أنه لين الكف،) فلا يصح تفسيرك بالخشونة، (فآلى:)

على نفسه أن لا يفسر شيئًا في الحديث. انتهى.

وفي حديث معاذ عند الطبراني والبزار: أردفني رسول الله ﷺ خلفه في سفر، فما مسست شيئًا قط ألين من جلده ﷺ.

وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين، فسال الدم على وجهه وصدره، فسلت النبي ﷺ الدم بيده عن وجهه وصدره، ثم دعا له، فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام إلى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس. رواه الحاكم وأبو نعيم وابن عساكر.

وأخرج البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن أبيه عن جده بشر بن معٰوية: أنه قدم مع أبيه معٰوية بن ثور على رسول الله ﷺ فمسح رأسه ودعا له بالبركة ....

حلف (**على نفسه أن لا يفسر شيئًا في الحديث،**) خوفًا من أن يفسره، بخلاف معناه في الواقع، (**انتهى،**) وهذا من قوّة دينه رحمه اللَّه.

(**وفي حديث معاذ**) بن جبل (**عند الطبراني والبزار: أردفني رسول اللَّه ﷺ خلفه في سفر، فما مسست شيئًا قط ألين من جلده ﷺ،**) وهذا شامل للكفين وغيرهما، (**وأصيب عائذ،**) بتحتية، وذال معجمة، (**ابن عمرو**) بن هلال بن عبيد بن يزيد المزني صحابي، بايع تحت الشجرة ابن صحابي، وسكن البصرة، وبها مات سنة إحدى وستين (**في وجهه يوم حنين، فسال الدم على وجهه، وصدره، فسلت النبي ﷺ الدم**)، أي: أزاله (**بيده عن وجهه وصدره، ثم دعا له، فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام، إلى منتهى ما مسح من صدره غرّة**) بياضًا (**سائلة، كغرة الفرس، رواه الحاكم، وأبو نعيم، وابن عساكر، وأخرج البخاري في تاريخه، والبغوي،**) أبو القٰسم من طريق عمران بن ماعز.

قال البغوي: وهو مجهول، (**وابن منده،**) كلاهما (**في**) معرفة (**الصحابة، من طريق صاعد بن العلاء بن بشر،**) كما بينه الإصابة، خلاف ما أوهمه المصنف؛ أن الكل من طريق صاعد، (**عن أبيه، عن جده بشر،**) بكسر الموحدة، ومعجمة، صحابي، عداده في أهل الحجاز، (**ابن معٰوية؛ أنه قدم مع أبيه معٰوية بن ثور**) بن معٰوية بن عبادة، بكسر العين، ابن البكاء، واسمه ربيعة بن عامر بن صعصعة، العامري، البكائي، (**على رسول اللَّه ﷺ، فمسح رأسه،**) لفظ رواية المذكورين، كما في الإصابة: فمسح رأس بشر، (**ودعا له بالبركة،**) وذلك بطلب أبيه، فروى

فكانت في وجهه مسحة النبي ﷺ كالغرة وكان لا يمسح شيئًا إلا برىء.

ومسح ﷺ رأس مدلوك أبي سفيٰن فكان ما مرت عليه يده أسود، وشاب ما سوى ذلك. رواه البخاري في تاريخه والبيهقي.

وكذا وقع له عليه الصلاة والسلام في رأس السائب. ....

ابن شاهين، وثابت في الدلائل: قدم معٰوية بن ثور على النبي ﷺ، وهو شيخ كبير، ومعه ابن له، يقال له بشرًا، فقال: يا رسول الله امسح وجه ابني هذا، ففعل، فذكر الحديث، وفيه، فقال محمد بن بشر بن معٰوية:

وأبي الذي مسح النبي بوجهه ودعا له بالخير والبركات

فأفادت الروايتان إن المسح وقع في الرأس والوجه معًا، فلا غبار على قوله: **(فكانت في وجهه مسحة النبي)**، أي أثر مسحته **(ﷺ، كالغرة)**، البياض، **(وكان، لا يمسح شيئًا إلاَّ برىء،** ببركة اليد الميمونة، قال ابن منده: لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وانتقده الإصابة؛ بأن له طريقًا أخرى عند أبي نعيم، بإسناد مجهول، وأخرى عند ابن شاهين بإسناد منقطع، وذكر ابن منده بهذا السند، قال، وكتب النبي ﷺ، لمعٰوية كتابًا، ووهب له من صدقة عامة، فلما رجع معٰوية إلى منزله، قال: إنما أنا هامة اليوم، أو غد، ولي مال كثير، وإنما لي إبنان، فرجع، فقال: يا رسول الله خذها مني، فضعها حيث ترى من مكابدة العدوّ، فإني موسر، فقال، أصبت يا معٰوية، فقبلها منه، **(ومسح ﷺ رأس مدلوك،)** بميم، فدال مهملة، فلام، فواو، فكاف، علم **(أبي سفيٰن)** كنيته الفزاري، مولاهم، صحابي، نزل الشام، وذكره البرديجي في الأسماء المفردة من الصحابة، **(فكان ما مرت عليه يده اسود، وشاب ما سوى ذلك، رواه البخاري في تاريخه، والبيهقي،)** وابن سعد، والبغوي، والطبراني من طريق مطر بن العلاء الفزاري، حدثتني عمتي آمنة، أو أمية بنت أبي الشعثاء، وقطبة مولاهم، قالا: سمعنا أبا سفيٰن مدلوكًا، يقول: ذهبت مع مولاي إلى النبي ﷺ، فأسلمت، فدعا بالبركة، ومسح رأسي بيده، قالت: فكان مقدم رأس أبي سفيٰن أسود، ما مسته يد النبي ﷺ، وسائره أبيض، وأخرجه ابن منده، وأبو نعيم من وجه آخر عن مطر، فقال عن مدلوك أبي سفيٰن، وقال عن آمنة، بالنون، ولم يشك، كما في الإصابة.

(وكذا وقع له عليه الصلاة والسلام في رأس السائب) بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي، أو الأزدي، وقيل في نسبه غير ذلك له ولأبيه صحبة، وفي البخاري عنه: حج بي مع النبي ﷺ، وأنا ابن ست سنين، وهو عند ابن شاهين، بلفظ حج بي أبي، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وعن أبيه، وعمر، وعثمٰن، وجماعة من الصحابة، وعنه الزهري، وآخرون، واستعمله عمر

رواه البغوي والبيهقي وابن منده.

وأخرج البيهقي وصححه، والترمذي وحسنه، عن أبي زيد الأنصاري قال: مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللَّهم جمله، قال: فبلغ بضعًا ومائة سنة وما في لحيته بياض. لقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات.

ومسح عليه الصلاة والسلام رأس حنظلة بن حذيم بيده وقال له: بورك فيك،

على سوق المدينة، ومات سنة اثنتين وثمانين، وقيل بعد التسعين سنة إحدى، أو أربع، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول: (**رواه البغوي، والبيهقي، وابن منده**)، عنه: أن المصطفى مسح رأسه، فما مسته يده، لم يشب وشاب ما عداه، وأصله في الصحيحين، عنه أن خالته ذهبت به، وهو وجع، فمسح النبي ﷺ رأسه، ودعا له، وتوضأ، وشرب من وضوئه، ونظر إلى خاتم النبوة، (**وأخرج البيهقي، وصححه، والترمذي، وحسنه**) من طريق علباء بن أحمر، (**عن أبي زيد الأنصاري**).

الخزرجي اسمه عمرو بن أخطب بن رفاعة، مشهور بكنيته، غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة غزوة، ونزل البصرة له في مسلم، والسنن، (**قال مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسي، ولحيتي، ثم قال: «اللهم جمله»، قال**) الراوي عنه، وهو علباء، بكسر المهملة، وسكون اللام، بعدها موحدة، (**فبلغ بضعًا، ومائة سنة، وما في لحيته بياض،**) ببركة اليد الميمونة، (**ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات،**) ببركة الدعوة المجابة.

وفي رواية لأحمد، عن أبي نهيك، حدثني أبو زيد، قال: استسقى رسول اللّه ﷺ ماء، فأتيته بقدح فيه ماء، فكانت فيه شعرة، فأخذتها، فقال: «اللهم جمله»، قال: فرأيته ابن أربع وتسعين سنة، ليس في لحيته شعرة بيضاء، صححه الحاكم، وابن حبان، (**ومسح عليه الصلاة والسلام رأس حنظلة بن حذيم**)، بكسر الحاء المهملة، وسكون المعجمة، وفتح التحتية، وميم، ابن حنيفة، بفتح المهملة، ابن جبير بن بكر بن حجر بن معد بن ثعلبة بن زيد مناة بن تميم التميمي، ويقال الأسدي أسد خزيمة، ويقال له الملكي، وملك بطن من أسد بن خزيمة، له ولأبيه، وجده صحبة، (**بيده، قال: له «بورك فيك»** لفظ رواية أحمد بارك اللَّه فيك، أو قال: بورك فيك بالشك، ولفظ الحديث من أوّله، قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا الذيال بن عبيد، سمعت جدي حنظلة بن حذيم، حدثني أبي أن جدي حنيفة، قال لحذيم: أجمع لي بني، فأوصاهم، فقال: إن ليتيمي الذي في حجري مائة من الإبل، فقال حميد: يا أبت!

فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم، فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم. رواه أحمد والبخاري في التاريخ وأبو يعلى وغيرهم.

وقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه.

فعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه.

سمعت بنيك يقولون: إنما تقر بهذا لتقر عين أبينا، فإذا مات رجعنا، فجاء حنيفة، وجذيم، ومن معهما، ومعهم حنظلة، وهو غلام رديف أبيه، فقص على النبي ﷺ قصته، فغضب ﷺ، فجثا على ركبتيه، وقال له: «لا الصدقة خمس»، وإلاَّ فعشر، وإلاَّ فعشرون، وإلاَّ، فثلاثون، فإن كثرت فأربعون.

قال: فودعوه، ومع اليتيم هراوة، فقال ﷺ: «عظمت هذه هراوة يتيم»، فقال جذيم، إن لي بنين ذوي لحاء، وإن هذا أصغرهم، يعني حنظلة، فادع لّله له، فمسح رأسه، وقال: «بارك اللّه فيك»، أو قال: «بورك فيك»، قال الذيال: **(فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها، والبعير والإنسان به الورم، فيتفل)**، بضم الفاء، وكسرها **(في يده)**، أي يد نفسه، **(ويمسح بصلعته)**، بفتح اللام، وإسكانها لغة أباها الحذاق، موضع الصلع، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس، أو يضع يده على رأسه موضع كفه ﷺ، **(ويقول: «بسم اللهّ، على أثر يد رسول اللّه ﷺ، فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم، فيذهب الورم، رواه أحمد، والبخاري في التاريخ، وأبو يعلى، وغيرهم)** كالطبراني، ويعقوب بن سفيٰن.

ورواه الحسن بن سفيٰن من وجه آخر عن الذيال، وزاد أن اسم اليتيم ضرار بن قطبة، وأنه كان شبه المحتلم، وأخرج هو، والباوردي، وابن السكن عن الذيال: سمعت جدي حنظلة سمعت رسول اللّه ﷺ، يقول: لا يتم بعد احتلام، ولا تصلي جارية، إذا هي حاضت، والذيال، بذال معجمة، وتحتية، فألف فلام، ابن عبيد بن حنظلة، تفرد بالرواية عن جده، **(وقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة، بياض إبطيه،)** قال الحافظ: واختلف في المراد بذلك، فقيل: لم يكن تحتهما شعر، فكانا، كلون جسده، ثم قيل: لم يكن تحت إبطيه شعر البتة، وقيل: كان لدوام تعاهده له لا يبقى فيه شعر، وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة إبطيه، ولا تنافي بينهما، لأن الأعفر ما بياضه ليس بالناصع، وهذا شأن المغابن، يكون لها في البياض دون بقية الجسد انتهى، **(فعن أنس، قال: رأيت رسول اللّه ﷺ يرفع يديه في الدعاء،)** أي في الاستسقاء، **(حتى رأيت بياض إبطيه،)** فلا ينافي قول أنس: كان لا يرفع يديه في شيء من

وقال الطبري: ومن خصائصه ﷺ أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره إلا هو عليه الصلاة والسلام، ومثله للقرطبي وزاد: وأنه لا شعر عليه، لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الأسانيد، وقال: إنه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه، قال: والخصائص لا تثبت بالاحتمال، ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض إبطيه أن لا يكون له شعر. قال عبد الله بن أقرم ـ وقد صلى معه ﷺ ـ كنت أنظر إلى عفرة إبطيه. حسنه الترمذي. والعفرة: بياض ليس بالناصع كما قاله الهروي وغيره، وسيأتي مزيد لذلك في الخصائص إن شاء الله تعالى.

وعن رجل من بني حريش قال: ضمني رسول الله ﷺ فسال علي من عرق إبطيه مثل ريح المسك. رواه البزار.

دعائه، إلاَّ في الاستسقاء، فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، متفق عليه.

(**وقال الطبري، ومن خصائصه ﷺ، أن الإِبط، من جميع الناس متغير اللون غيره،**) بالجر نعت للناس، (**إلاَّ هو عليه الصلاة والسلام، ومثله للقرطبي، وزاد: وأنه لا شعر عليه، لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الأسانيد**) للنووي، وهو العلامة، ولي الدين القرا تي الحافظ، ابن الحافظ، (**وقال: إنه لم يثبت ذلك،**) أي أنه لا شعر عليه (**بوجه من الوجوه، قال: والخصائص، لا تثبت بالاحتمال،**) وإنما تثبت بالنص الصحيح الصريح، (**ولا يلزم من ذكر أنس، وغيره،**) كعبد اللّه بن مٰلك بن بجينة، (**بياض إبطيه أن لا يكون له شعر،**) لاحتمال؛ أنه كان يديم تعاهده، وقد علله ابن العراقي نفسه، بقوله: فإن الشعر، إذا نتف بقي المكان أبيض، وإن بقي فيه آثار الشعر، (**وقال عبد اللّه بن أقرم،**) بفتح الهمزة، والراء، بينهما قاف ساكنة، آخر ميم، ابن زيد الخزاعي، أبي معبد، صحابي، مقل، له حديثان، (**وقد صلى معه ﷺ، كنت أنظر إلى عفرة إبطيه، حسنه الترمذي، والعفرة،**) بضم المهملة، وإسكان الفاء، (**بياض ليس بالناصع، كما قاله الهروي، وغيره،**) كابن الأثير، (**وسيأتي مزيد،**) قليل (**لذلك في الخصائص؛ إن شاء اللّه تعالى،**) وهو نقل قول العراقي، وهذا، أي حديث ابن أقرم، يدل على أن أثر الشعر هو الذي جعل المكان أعفر، وإلاَّ، فلو كان خاليًا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر، نعم الذي نعتقده أنه لم يكن لإِبطه رائحة كريهة انتهى.

وقد يمنع دلالته على ما، قال بما تقدم عن الحافظ، أن شأن المغابن كونها أقل بياضاً من باقي الجسد، (**وعن رجل**) لم يسم (**من بني حريش**)، بفتح المهملة، وكسر الراء، وإسكان التحتية، وشين معجمة، بطن من الأنصار، (**قال: ضمني رسول اللّه ﷺ، فسال علي من عرق إبطيه مثل ريح المسك، رواه البزار،**) وهو صريح في اختصاصه، بطيب رائحة إبطيه دون الناس،

ووصفه علي فقال: ذو مسربة، وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة.

وقال ابن أبي هالة: دقيق المسربة.

وعند ابن سعد عن علي: طويل المسربة.

وعند البيهقي: له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب. ليس على صدره ولا بطنه غيره.

ووصفت بطنه أم هانىء فقالت: ما رأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعض. رواه الطيالسي والطبراني.

وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة، ....

(**ووصفه علي**) عند الترمذي، (**فقال ذو مسربة**)، بفتح الميم، وإسكان المهملة، وضم الراء، وفتحها، وموحدة، وهاء، والتنوين للتعظيم، فهو كقوله: الآتي طويل المسربة، (**وفسر بخيط الشعر بين الصدر، والسرة،**) وفي المصباح شعر الصدر يأخذ إلى العانة، وفي القاموس شعر وسط الصدر إلى البطن، (**وقال ابن أبي هالة: دقيق،**) بالدال، وفي رواية بالراء: (**المسربة،**) ووصفها بالدقة للمبالغة، إذ هي الشعر الدقيق، (**وعند ابن سعد،**) وكذا الترمذي في الشمائل، (**عن علي طويل المسربة،**) فأفاد الحديثان أنها دقيقة طويلة، (**وعند البيهقي له شعرات من لبتة،**) بفتح اللام، (**إلى سرته تجري، كالقضيب:**) الغصن، أو العود، أو السيف اللطيف الرقيق، (**ليس على صدره، ولا بطنه غيره،**) الضمير للشعرات، ذكره لقوله، كالقضيب، (**ووصفت بطنه أم هانىء، فقالت: ما رأيت بطن رسول الله ﷺ، إلاَّ ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض،**) ولعل رؤيتها بطنه قبل تحريم رؤية الأجنبية للأجنبي، إذ هو ﷺ ابن عمها، أو قبل البعثة، فلا يشكل على قول مٰلك: ترى الأجنبية من الأجنبي ما يراه من محرمة، وهو الوجه والأطراف، ولا على قول الشافعي: لا ترى منه شيئًا، ولا الوجه، والأطراف، (**رواه الطيالسي**) أبو داود سليمٰن بن داود بن الجارود الحافظ المشهور، (**والطبراني**) سليمٰن بن أحمد بن أيوب، (**وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ**) من الصوغ بمعنى، الإيجاد، أي خلق (**من فضة،**) قال الجوهري والمجد: صاغ الله فلانًا صيغة حسنة خلقه، وقال الزمخشري: من المجاز، فلأن حسن الصيغة، وهي الخلقة، وصاغه الله صيغة حسنة، وفلان من صيغة كريمة، من أصل كريم، انتهى.

وهذا باعتبار ما كان يعلو بياضه من الإضاءة، ولمعان الأنوار، والبريق الساطع، فلا ينافي ما ورد، أنه كان مشربًا بحمرة، وآثره لتضمنه نعته، بتناسب التركيب، وتماسك الأجزاء، فلا اتجاه

رجل الشعر، مفاض البطن، عظيم مشاش المنكبين.

وتقدم أن المشاش هي: رؤوس العظام كالركبتين، ومفاض: أي واسع البطن، وقيل: مستوي البطن مع الصدر.

وخرج الإمام أحمد عن محرش الكعبي قال: اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وكان ﷺ بعيد ما بين المنكبين. رواه البخاري. أي عريض الصدر، ووقع عند ابن سعد من حديث أبي هريرة: رحب الصدر.

وأما قلبه الشريف ﷺ، ....

لجعله من الصوغ، بمعنى سبك الفضة (**رجل الشعر**) بفتح الراء، وكسر الجيم، وفتحها، وسكونها، كما في المفهم، أي مسرح الشعر، أو ما فيه تثن قليل، أو لم يكن شديد الجعود، ولا السبوطة، بل بينهما، قال القرطبي: كان شعره مثل خلقته مسرجًا، وهذا الحديث إلى هنا رواه الترمذي في الشمائل عنه، وزاد في رواية غيره، (**مفاض البطن**) بالفاء، والضاد المعجمة، كما قاله الهروي، وغيره، (**عظيم، مشاش المنكبين، وتقدم أن المشاش**) بضم الميم، ومعجمتين (**هي رؤوس العظام، كالركبتين، ومفاض، أي واسع البطن، وقيل**) معناه (**مستوى البطن مع الصدر**) وجزم به الهروي، وحكي ابن الأثير القولين، (**وخرج الإمام أحمد عن محرش**) بضم الميم، وفتح المهملة، وكسر الراء الثقيلة، ومعجمة، ضبطه ابن ماكولا تبعًا لهشام بن يوسف، ويحيى بن معين، ويقال، بسكون الحاء المهملة، وفتح الراء، وصوّبه ابن السكن، تبعًا لابن المديني، كما في الإصابة، وزاد في التبصير، وقال ابن سعد مخرش: بالخاء المعجمة، وقال بعضهم مهملة، وقال الزمخشري: الصواب، بالخاء المعجمة، انتهى.

وفي الجامع لابن الأثير، ويقال محرش، بكسر الميم، وسكون الحاء، وفتح الراء مخففة، وشين معجمة، قال في الإصابة، وهو ابن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعي، (**الكعبي**) عداده في أهل مكة، وقيل أنه ابن عبد الله، انتهى.

(**قال اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره، كأنه سبيكة فضة.**) فاعتمر، وأصبح بها، كبائت، هذا بقية الحديث، وأخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي بإسناد حسن، قال الترمذي: ولا يعرف له غيره، (**وكان ﷺ بعيد ما بين المنكبين، رواه البخاري**) عن البراء بن عازب في حديث، (**أي عريض الصدر،**) لفظ الفتح، وتبعه المصنف في شرحه، أي عريض أعلى الظهر، (**ووقع عند ابن سعد من حديث أبي هريرة رحب الصدر،**) أي واسعه، (**وأما قلبه الشريف،**) أي صفته (ﷺ،) فقد ثبت له من الكمال، كالشق، وشرح الصدر. وغير ذلك، ما لم

فاعلم أن القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنباط، فهو أخص من الفؤاد. قاله الواحدي، وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم، قال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلى لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وقال الزمخشري: مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه، ....

يثبت لغيره، فجواب، أما محذوف، وإذا أردت معرفة القلب من حيث هو، وموضعه، **(فاعلم،)** فالفاء فصيحة في جواب شرط مقدر، وصدر هذا المبحث بمقدمة كلية عنونها بالأمر بالعلم، تنبيهًا على جلالة ما فيه من الأبحاث دون بقية الجوارح، **(إن القلب مضغة،)** بميم، ومعجمة، وفي نسخة بضعة، بموحدة مثلثة، ومعجمة، ومهملة، وهما بمعنى قطعة **(في الفؤاد، معلقة بالنباط،)** بكسر النون، عرق متصل بالقلب، كما في المصباح، **(فهو أخص من الفؤاد،)** أي أشرف منه، لأنه قصد به حفظ القلب، فالقلب المقصود، وليس المراد الأخص المقابل للأعم؛ لأنه بعض أفراد العام، ولا يستقيم على ما ذكره، المقتضي تباينهما ضرورة تباين الظرف لمظروفه في متعددات، لا في شيء واحد، **(قاله الواحدي، وسمي به لتقلبه بالخواطر،)** أي ما يعرض له من أوّل أحواله قبل التصميم عليه، فشمل الأربع التي قبل العزم، الخاطر والهاجس، وحديث النفس والهم، بدليل مقابلته بقوله: **(والعزوم)** بالجمع على أمر واحد، لأدلة مختلفة كان يتردد في أمر، ويظهر له صواب، فيصمم عليه، ثم يظهر له خلافه، فيعزم عليه، ويعرض عن الأول، وهكذا، كما يقع للمجتهدين، أو المراد العزم على أمور متباينة يتعلق بها نظره، ليفعلها في أوقات مختلفة، فالجمع باعتبار أفراد العزوم في متعددات، لا في شيء واحد، **(قال الشاعر:**

وما سمي الإنسان إلاَّ لنسيه)

بكسر النون، كما في القاموس، بناءً على قول الكوفيين، مشتق من النسيان، فالهمزة زائدة، فوزنه أفعان على النقص، وفي نسخة لأنسه على قول البصريين، من الأنس، فالهمزة أصل، ووزنه فعلان، واتفقوا على زيادة النون الأخيرة، **(ولا القلب، إلاَّ أنه)** بفتح الهمزة، بتقدير اللام، أي لأنه **(يتقلب،)** فهذا سبب التسمية دون ملاحظة اشتقاق من شيء، إذ لا يلزم من حكمة التسمية اشتقاقه من مصدرها، كتسمية الوالد الذي فيه حمرة أحمر، فلذا عقبه بالنص عليه بقوله.

(وقال الزمخشري: مشتق من التقلب الذي هو المصدر،) فروعي فيه أخذه منه للمناسبة بينهما، أي أنه اعتبر لتسمية المضغة قلبًا، وجود التقلب في مسماه، لا أنه جزء من مدلوله، بحيث ينتفي بانتفائه، ولا يلزم منه تسمية كل متقلل قلباً، لأن الاشتقاق، قد يختص ببعض الأشياء كالقارورة، وقد يطرد، كاسم الفاعل **(لفرط تقلبه،)** أي تنقله مع حركته نفسه، أي اضطرابه عند رجفه مثلًا، أو المراد تنقله من خاطر لآخر، مع بقاء ذاته والأوّل أظهر، لمخالفته، لما قبله في

ألا ترى إلى ما روى أبو موسى عن النبي ﷺ: ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقة بفلاة يقلبها الريح بطنًا لظهر.

قال: والفرق بينه وبين الفؤاد، أن الفؤاد وسط القلب، سمي به لتفؤده، أي توفده.

وفسر الجوهري القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب.

قال الزركشي: والأحسن قول غيره: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، ويؤيد الفرق قوله ﷺ: ألين قلوبًا وأرق أفئدة، وهو أولى من قول بعضهم: إنه كرر لاختلاف اللفظ.

وقال الراغب: يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة.

وقيل: حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم. كقوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ [ق/٣٧]، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوهما انتهى.

أمرين، وهو ظاهر الحديث أيضًا، بخلاف الثاني، فمغاير، لما قبله في واحد، وهو الاشتقاق، (**ألا ترى إلى ما روى أبو موسى،**) عبد اللّه بن قيس الأشعري، (**عن النبي ﷺ، ومثل هذا القلب، كمثل ريشة ملقاة بفلاةٍ، يقلبها الريح بطنًا لظهر، قال: والفرق بينه، وبين الفؤاد أن الفؤاد وسط القلب سمي به لتفؤده،**) بالهمز، كما في القاموس، (**أي توفده،**) زاد القاموس وتحركه، (**وفسر الجوهري القلب بالفؤاد، ثم فسر الفؤاد بالقلب،**) فجعلهما مترادفين.

(**قال الزركشي، والأحسن، قول غيره: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه،**) عطف تفسير الجوهري: سواد القلب حبته، وكذا أسوده، وسويداؤه، وفي كفاية المتحفظ سويداء القلب، علقة سوداء في وسط القلب، يقال للرجل: اجعل ذلك في سويداء قلبك، (**ويؤيد الفرق، قوله ﷺ:**) «أتاكم أهل اليمن، (**ألين قلوباً، وأرق أفئدة**)» حيث وصف القلوب باللين، والأفئدة بالرقة، ومرت فيه مباحث نفيسة، (**وهو أولى من قول بعضهم، إنه كرر**) في الحديث (**لاختلاف اللفظ،**) وإن كانا بمعنى واحد، (**وقال الراغب: يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به، كالعلم والشجاعة، وقيل**) مما نقل عن بعض الحكماء، (**حيثما ذكر اللّه القلب، فإشارة إلى العقل والعلم، كقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى﴾**)، عظة (**﴿لمن كان له قلب﴾**): عقل وعلم، (**وحيثما ذكر الصدر، فإشارة إلى ذلك**) المذكور من العقل والعلم، (**وإلى سائر القوى**) التي في الصدر، (**من الشهوة، والغضب، ونحوهما، انتهى**).

قال بعض العلماء: ولقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعل له قلبًا يعقل عنه، وهو أصل وجوده، إذا صلح قلبه صلح سائره، وإذا فسد قلبه فسد سائره، وجعل سبحانه القلوب محل السر والإخلاص، الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده، فأول قلب أودعه إليه قلب محمد ﷺ لأنه أول خلق وصورته ﷺ آخر صورة ظهرت من صور الأنبياء، فهو أوّلهم وآخرهم.

وقد جعل سبحانه وتعالى أخلاق القلوب للنفوس أعلامًا على أسرار القلوب، فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت أخلاقه لجميع خلق الله، ولذلك جعل الله تعالى لمحمد ﷺ جثمانية ....

وفي تمريضه عدم ارتضائه، وفي البيضاوي لمن كان له قلب، أي قلب واعٍ يتفكر في حقائقه، (**قال بعض العلماء: ولقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعل له قلبًا يعقل عنه**)، أي يدرك الإنسان إدراكًا ناشئًا عن تصرف القلب، ففاعل يعقل الإنسان، وعنه متعلق بمقدر فسقط، ما عساه، يقال الأولى أن يقول به لا عنه؛ لأنه مبني على أن فاعل يعقل القلب، (**وهو أصل**) أي: سبب (**وجوده**) على الحالة المأمور بها، (**إذا صلح**) بضم اللام، وفتحها، (**قلبه صلح سائره**) وحسنت حاله، واعتد بوجوده، فكأنه أحياه من العدم، (**وإذا فسد قلبه فسد سائره**) وفسدت أحواله، وكأنه مات، وإليه أشار في حديث ألا، وأن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا، وهي القلب، (**وجعل سبحانه القلوب محل السر، والإخلاص، الذي هو سر الله، يودعه قلب من شاء من عباده، فأول قلب أودعه إليه قلب محمد ﷺ، لأنه أول خلق**) أي مخلوق، (**وصورته ﷺ، آخر صورة ظهرت من صور الأنبياء، فهو أوّلهم**) أي: المتقدم عليهم بوجود صورته النورية قبل خلق الأشياء كلها، (**وآخرهم**) ظهورًا لهذا العالم، إذ لا نبي بعده، (**وقد جعل الله سبحانه وتعالى أخلاق القلوب للنفوس، أعلامًا على أسرار القلوب، فمن تحقق قلبه بسر الله**) أي من أودع الله تعالى سره في قلبه، بحيث يكون منقادًا، باطنًا لأوامره، متباعدًا عن نواهيه، (**اتسعت أخلاقه لجميع خلق الله**) فيعاملهم برفق، ولين على مقتضى الحال، فيعامل كل إنسان بما يليق بحاله بغاية الرفق، حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم، ببيان ما يضرهم، وما ينفعهم، كما قال تعالى: ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب﴾ [آل عمران/١٥٩] الآية، فإذا لم يفد في كفهم عن المعاصي إلاّ الزجر الشديد، عاملهم به، وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود، إلى ما صدر منهم، وذلك من سعة الخلق، لأنه نفع لهم، بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق.

(**ولذلك جعل الله تعالى لمحمد ﷺ جثمانية**)، بضم الجيم، وإسكان المثلثة، أي

اختص بها من بين سائر العالمين، فتكون علامات اختصاص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه، وتكون علامات عظيم أخلاقه آيات على سر قلبه المقدس. ولما كان قلبه ﷺ أوسع قلب اطلع الله عليه ـ كما ورد في الخبر ـ كان هو الأولى أن يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن.

ولما كان كماله قبل الإسراء بمنزلة سائر النبيين كان صدره يضيق، فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ....

جسمًا على تفسير أبي زيد، وقال الأصمعي: الجثمان هو الشخص، كما في المصباح، **(اختص بها من بين سائر العالمين،)** فلا يكون لغيره جثمانية، تماثل جثمانيته في شيء من الصفات المختصة بها، والياء في جثمانية للمبالغة، لا النسبة؛ إذ المنسوب غير المنسوب إليه، ولا يظهر التغاير هنا بينهما، **(فتكون علامات اختصاص جثمانيته)** جسمه، أو شخصه، **(آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة، وعظيم خلقه،)** بالضم، **(وتكون علامات عظيم أخلاقه، آيات على سر قلبه المقدس)** المطهر، **(ولما كان قلبه ﷺ أوسع قلب اطلع الله عليه، كما ورد في الخبر، كان هو الأولى أن يكون هو قلب العبد، الذي يقول فيه تعالى ما وسعني أرضي، ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)**.

ذكره الغزالي في الأحياء، بزيادة اللين، الوادع، قال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أرَ له أصلاً، وقال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، ومعناه وسع قلبه الإيمان بي، ومحبتي، ومعرفتي، وإلاَّ فمن قال إن اللّه يحل في قلوب الناس، فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده، قال السخاوي، وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد، عن وهب بن منبه، قال: إن اللّه فتح السمٰوات لحزقيل: حتى نظر إلى العرش، فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال اللّه: إن السمٰوات والأرض ضعفن عن أن يسعنني، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين، ورأيت بخط ابن الزركشي، سمعت بعض العلماء يقول: حديث ما وسعني الخ، باطل من وضع الملاحدة، قلت، وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني، رفعه إن للّه آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها، وفيه بقية بن الوليد مدلس لكنه صرح بالتحديث ا هـ، **(ولما كان كماله قبل الإسراء بمنزلة سائر النبيين، كان صدره يضيق،)** كما قال تعالى: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك، بما يقولون من الشرك والطعن في القرءان، والاستهزاء بك، **(فاتسع قلبه، لما انشرح صدره، ووضع:)** حط **(عنه، وزره)** إن لو كان له وزر، وقيل غير ذلك،

ورفع له ذكره.

وقد صح أن جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه فأعاده في مكانه. قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره. رواه مسلم.

وإنما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية، فخلقها تكملة للخلق الإنساني فلا بد منها، ونزعها أمر رباني طرأ بعد ذلك، قاله السبكي.

كما يأتي للمصنف، **(ورفع له ذكره،)** فلا يذكر اللّه ألا ويذكر معه، وهذا صريح في أن هذه الأحوال؛ إنما حصلت له بعد الإسراء، وإن نزل ألم نشرح بعده، وقد نص المفسرون على أنها مكية، وهو محتمل لنزولها بعد الإسراء، وقبله، **(وقد صح أن جبريل عليه السلام شقه،)** أي قلبه، **(واستخرج منه علقة،)** وفي رواية مضغة: سوداء، فرمي بها، ولا تنافي، فقد تكون العلقة لكبرها تشبه المضغة، **(فقال له: هذا حظ الشيطان منك،)** أي هذا هو الموضع الذي يتوصل الشيطان منه إلى وسوسة الناس، ولا ينافيه قوله منك الجواز تقدير مضاف، أي: من مثلك من بني ءادم، كذلك تكلفه شيخنا، ولا حاجة له مع التصريح بنزعها منه؛ وأنه في حال الطفولية، وهو يلعب مع الغلمان، كما في مسلم، **(ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، فأعاده في مكانه، قال أنس)** راوي الحديث: **(فلقد كنت أرى أثر المخيط)** بكسر الميم، ما يخاط به **(في صدره،)** وظاهره أنه بآلة، وإن الشق كذلك بآلة، ويدل له قول الملك في حديث أبي ذر: خط بطنه، فخاطه، وفي حديث عتبة: حصه، فحاصه، وقد وقع السؤال عن ذلك، ولم يجب عنه أحد، ولم أرَ من تعرض له بعد التتبع، وأما قوله:، فأتيت بالسكينة، فوضعت في صدري، فالصواب، كما قال ابن دحية: تخفيف السكينة، لذكرها بعد شق البطن خلافًا للخطابي، ذكره الشامي **(رواه مسلم)**.

وكذا الإمام أحمد عن أنس، **(وإنما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة، ثم استخرجت منه، لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية،)** التي اقتضت الحكمة وجودها في الإنسان، وإن لم يحصل بعدمها نقص في صورته ظاهرًا، **(فخلقها تكملة للخلق الإنساني، فلا بدّ منها، ونزعها أمر رباني، طرأ بعد ذلك.)** الخلق، فإخراجها بعد خلقها دل على مزيد الرفعة، وعظيم الاعتناء، والرعاية من خلقه بدونها، **(قاله السبكي)** جوابًا لمن سأله عن حكمة ذلك، وقال غيره: لو خلق سليمًا منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته، فأظهره اللّه على يد جبريل ليتحققوا كمال

وعند أحمد وصححه الحاكم: ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال: ائتني بماء بَرَد فغسلا قلبي ثم قال: ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه حصه فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة.

باطنه، كما برز لهم مكمل الظاهر، **(وعند أحمد، وصححه الحاكم)** من حديث عتبة بن عبد، عن النبي ﷺ، قال: «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا، وابن لها في بهم لنا، ولم نأخذ معنا زادًا، فقلت: يا أخي إذهب، فأتتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي، ومكثت عند البهم، فأقبل إلى طيران، كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو، قال: نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني، فبطحاني للقفا، فشقا بطني، **(ثم استخرجا قلبي، فشقاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين!)**.

قال الشامي: إحداهما محل غمز الشيطان، والأخرى منشأ الدم الذي، قد يحصل منه أضرار في البدن، وعلى هذا، فلا حاجة، لما أجيب به عن حديث العلقتين، باحتمال أنها علقة واحدة انقسمت عند خروجها قسمين، فسمي كل جزء منهما علقة مجازًا، **(فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء وثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد،)** بفتحتين، أي مطر، وهو حب الغمام، **(فغسلا قلبي،)** قال السهيلي: حكمة ذلك ما يشعر به من ثلج اليقين، وبرده على الفؤاد، ولذا حصل له اليقين بالأمر الذي يراد به بوحدانية ربه، **(ثم قال ائتني، بالسكينة،)** بالتخفيف **(فذراها،)** بذال معجمة، بثاها **(في قلبي،)** وفي حديث أبي ذر عند البزار، وغيره، وصححه الضياء، ثم دعا بسكينة، كأنها برهرهة بيضاء، فأدخلت قلبي، قال السهيلي: البرهرهة بصيص البشرة، وزعم الخطابي أنه أراد بها سكينة بيضاء صافية، الحديد متمسكًا بأنه عثر على رواية فيها، فدعا بسكينة، كأنها درهمة بيضاء، قال ابن الأنباري: هي السكينة المعوجة الرأس التي تسميها العامة المنجل، بالجيم، قال ابن دحية.

والصواب السكينة، بالتخفيف لذكرها بعد شق البطن، فإنما عنى بها فعيلة، من السكون، والطمأنينة، وهي أكثر ما تأتي في القرءان، **(ثم قال أحدهما لصاحبه: حصه،)** بحاء مهملة مضمومة، بعدها صاد مهملة، أي خطه **(فحاصه،)** أي خاطه يقال: حاص الثوب يحوصه حوصًا، إذا خاطه، وهذا لفظ رواية عتبة بن عبد، وفي رواية أبي ذر، خطه فخاطه، بالخاء المعجمة، نقل فيهما، فما في نسخ هنا، بالخاء المعجمة، نقل بالمعنى، **(وختم عليه بخاتم النبوة،)** وتقدم الكلام فيه مستوفي بالمقصد الأوّل.

وفي رواية البيهقي أن ملكين جاآني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح أحدهما صدري، ومج الآخر بمنقاره فيه.

وعن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة. قال: إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأخذاني فألصقاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني، وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فإذا صدري - فيما أرى - مفلوقًا لا أجد له وجعًا، ثم قال: اشقق قلبه فشق قلبي، فقال أخرج الغل والحسد، فأخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة قلبه، فأدخل شيئًا كهيئة الفضة، ثم أخرج ....

(**وفي رواية البيهقي**) عن يحيى بن جعدة مرسلاً يرفعه، (**أن ملكين:**) هما جبريل، وميكائيل (**جاآني في صورة كركيين**) وسبق في حديث عتبة، كأنهما نسران، وهو أصح (**معهما ثلج وبرد**) بفتحتين، (**وماء بارد، فشرح أحدهما:**) لفظ رواية البيهقي، فشق أحدهما بمنقاره (**صدري، ومج الآخر بمنقاره فيه**) فغسله، فإن صحت هذه الرواية، أفادت آلة الشق في هذه المرة، لكن قال السهيلي: هي رواية غريبة ذكرها يونس عن ابن إسحٰق، (**وعن أبي هريرة أنه، قال: يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟، قال:«إني لفي صحراء أمشي**) حال كوني،(**ابن**) فهو بالنصب، وبالرفع خبر مبتدأ، أي: وأنا ابن (**عشر حجج،**) أي سنين (**إذا أنا برجلين،**) أي ملكين، في صفة رجلين، وهما: جبريل، وميكائيل (**فوق رأسي، يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو، قال: نعم، فأخذاني، فألصقاني،**) بالهمز، وفي نسخة لصقاني بدونه، لكنه إنما يتعدى، بالهمزة، قال المصباح: لصق الشيء من باب تعب، مثل لزق يتعدى، بالهمز، فيقال ألصقته، وفي نسخة، فألقياني (**لحلاوة القفا**) مثلث الحاء، وهو وسطه، (**ثم شقا بطني، وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب، والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه إفلق صدره،**) بكسر الهمزة، واللام، من باب ضرب، (**فإذا صدري فيما أرى**) نظر، (**مفلوقاً لا أجد له وجعًا»**).

زاد في رواية، ولا دماً، (**ثم قال: إشقق قلبه، فشق قلبي، فقال: أخرج الغل،**) بالكسر، الحقد (**والحسد**) منه، (**فأخرج شبه العلقة، فنبذ به، ثم قال: أدخل الرأفة،**) أرق الرحمة، قاله الهروي وغيره، (**والرحمة**) رقة القلب، وعطفه (**قلبه، فأدخل شيئًا، كهيئة الفضة، ثم أخرج**

ذرورًا كان معه فذر عليه، ثم نقر إبهامي، ثم قال: اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ورأفتي على الكبير. رواه عبد الله الإمام أحمد في زوائد المسند وأبو نعيم وقال: تفرد به معاذ عن أبيه، وتفرد بذكر السن.

وعند أبي نعيم في حديث يونس بن ميسرة: فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليه ذرورًا ثم قال: قلب وكيع يعي ما وقع فيه، عينان تبصران وأذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله المقفي الحاشر ....

ذرورًا) بمعجمة: نوع من الطيب، (**كان معه، فذر عليه، ثم نقر إبهامي، ثم قال: إغد**،) وأسلم، كما في الرواية، (**فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير، ورأفتي على الكبير**،) والحكمة في هذا الشق أن العشر قريب من سن التكليف، فشق قلبه، وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال، لكن هل كان في هذه المرة بختم لم أقف عليه في شيء من الأحاديث، وأما المرات الثلاث، ففي كل مرة منها بختم، كما هو مقتضى الأحاديث، قاله الشامي: (**رواه عبد الله، الإمام أحمد في زوائد المسند**) لأبيه، أي: الأحاديث التي رواها من غير أبيه في مسنده، (**وأبو نعيم، وقال: تفرد به معاذ**) بن هشام الدستوائي، البصري، صدوق، مات سنة مائتين، (**عن أبيه**) هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، بفتح الدال، وسكون السين المهملتين، وفتح الفوقية، والمد، ثبت من رجال الجميع، مات سنة أربع وخمسين ومائة، (**وتفرد بذكر السن**،) أي قوله ابن عشر حجج، ولكن تفرده، لا يضر، لأنه ثقة، كبقية رجاله، وقد صححه ابن حبان، والحاكم، والضياء في المختارة، فإن ورد كيف يجعل ﷺ من أمر النبوّة ما وقع له في هذا السن، وإنما كانت بعد الأربعين، أجيب باحتمال أنه لما رأى هذه الحالة العجيبة في صغره، علم أنه يكون له شأن، واطمأن بما يرد عليه، فلما جاءه الوحي علم أن ذلك كان من الله، لا سبيل للشيطان فيه.

(**وعند أبي نعيم في حديث يونس بن ميسرة**) بن حلبس، بمهملتين، في طرفيه، وموحدة، وزن جعفر، وقد ينسب لجده ثقة عابد معمر من الثالثة، أي الوسطي من التابعين، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، كما في التقريب، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني ملك بطست من ذهب، فشق بطني، (**فاستخرج حشوة**،) بضم الحاء، وكسرها أمعاء (**جوفي، فغسلها، ثم ذر عليها ذروراً، ثم قال: قلب وكيع**) واعٍ، أي: متين محكم، ومنه قولهم: سقاء وكيع إذا كان محكم الخرز، قاله في النهاية، (**يعي ما وقع فيه**،) متعلق بوقع، و(**عينان**) مبتدأ حذف خبره، أي له، أو فيه، خبر مقدم مبتدؤه عينان (**تبصران، وأذنان تسمعان**،) والجملة صفة ثانية لقوله قلب، كالسبب للأولى التي هي كونه يحفظ ما وقع فيه، (**وأنت محمد رسول الله المقفى، الحاشر**،) تقدماً في

قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وأنت قثم.

وهذا الشق روي أنه وقع عليه الصلاة والسلام مرات في حال طفوليته ارهاصًا. وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص، ومثل في حق الرسول عليه الصلاة والسلام كثير. وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لأنه من المعجزات، ولا يجوز أن تتقدم على النبوة، قاله الرازي.

والذي عليه أكثر أهل الأصول: اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت عليه في أوائل الكتاب، ويأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في المقصد الرابع.

وهو المراد بقوله: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ [الشرح، ١]، وقد قيل المراد

أسمائه الشريفة، (**قلبك سليم، ولسانك صادق، ونفسك مطمئنة، وخلقك قيم، وأنت قثم،**) بضم القاف، وفتح المثلثة، ومنع الصرف، للعلمية والعدل التقديري عن قاثم، ومر في الأسماء، (**وهذا الشق روي أنه وقع له عليه الصلاة والسلام مرات**) أربعاً، الأولى في بني سعد بن بكر، وهو ابن أربع سنين عند حليمة، والثانية، وهو ابن عشر، والثالثة عند البعثة، والرابعة عند المعراج، وروى خامسة، ولا تثبت، كما ذكره المصنف في المقصد الأولّ، كغيره، فقوله: (**في حال طفوليته،**) ظرف لمقدر، لا لمرات، أي بعضها في حال طفوليته، وهو الأولى والثانية، (**إرهاصاً**) تقوية، وتأسيساً للنبوة، (**وتقديم المعجزة،**) أي الأمر الخارق للعادة.

(**على زمان البعثة جائز للإرهاص،**) كذا أوّله شيخنا، قائلاً: لما يأتي أن الراجح اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى، وفيه أن هذا كلام الرازي، وهو ماش على غير الراجح، فلا معنى لرده إليه، (**ومثل هذا في حق الرسول عليه الصلاة والسلام كثير، وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته، لأنه من المعجزات، ولا يجوز أن تتقدم على النبوّة، قاله الرازي**): الإمام فخر الدين، (**والذي عليه أكثر أهل الأصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى،**) اعتراض على قوله من المعجزات، فالخوارق الواقعة قبل الرسالة، إنما هي كرامات، والأنبياء قبل النبوة، لا يقصرون عن درجة الأولياء، فيجوز ظهورها عليهم، وتسمى إرهاصًا، وبقي عليه كيف يجمع بين إرهاص، ومعجزة، مع تغاير الموضوعين، لأن مذهبه تسمية الكل معجزة، وأن ما قبل النبوة يسمى إرهاصًا أيضًا، كما يسمى معجزة، (**كما نبهت عليه في أوائل الكتاب**) في قصة الفيل، (**ويأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في المقصد الرابع، وهو،**) أي شق صدره الشريف، (**المراد بقوله**) تعالى: (﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾) [الإنشراح/١]، **وقد قيل المراد بالشرح**

بالشرح في الآية ما يرجع إلى المعرفة والطاعة. ثم ذكروا في ذلك وجوهًا منها أنه لما بعث الأحمر والأسود من جني وإنسي أخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم، وانفتح صدره حتى اتسع لجميع المهمات، فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البؤس والفرج منشرح الصدر مشتغل بإداء ما كلف.

فإن قلت: لم قال: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ ولم يقل: قلبك.

وأجيب: بأن محل الوسوسة الصدر، كما قال تعالى: ﴿**يوسوس في صدور الناس**﴾ [الناس/ ٥] فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، لا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب.

وقد قال محمد بن علي الترمذي: القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصده الشيطان، يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب فإذا دخل مسلكًا أغار فيه وأنزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذٍ، ولا يجد للطاعة لذة، ولا للإسلام حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء حصل الأمن

في الآية: ما يرجع إلى المعرفة والطاعة،) فكأنه، قيل ألم نفتح، ونوسع، ونلين قلبك بالإيمان، والنبوّة، والعلم، والحكمة، وبهذا جزم البغوي.

(**ثم ذكروا في ذلك وجوهًا، منها أنه، لما بعث الأحمر والأسود،)** كما في الحديث، فقيل المراد العرب، والعجم، وقيل الإنس والجن، وعليه جرى في قوله: (**من جني، وإنسى أخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم، وانفتح صدره حتى اتسع جميع المهمات، فلا يقلق، ولا يضجر، بل هو في حالتي البؤس والفرح منشرح الصدر، مشتغل بإداء ما كلف، فإن قلت لم قال: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾، ولم يقل قلبك)** مع إن الشرح، أي: الشق وقع فيه، (**وأجيب بأن محل الوسوسة الصدر، كما قال تعالى: ﴿يوسوس في صدور الناس﴾** [الناس/٥]، **فإزالة تلك الوسوسة، وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح)** الحقيقي، (**لا جرم**) حقًا، (**خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب، وقد قال محمد بن علي)** الحكيم، (**الترمذي**)) الحافظ، الزاهد، الواعظ، صاحب التصانيف: (**القلب محل العقل والمعرفة،)** كما عليه جماهير العلماء والأئمة، خلافًا لمن، قال محله الرأس، كالفلاسفة وبعض الأئمة، (**وهو الذي يقصده الشيطان، يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا دخل مسلكًا أغار فيه، وأنزل جنده فيه، وبث فيه الهموم والغموم والحرص، فيضيق القلب حينئذٍ، ولا يجد للطاعة لذة)** إذا أتى بها، (**ولا للإسلام حلاوة،)** كما يجد ذلك الصديقون المتمكنون، (**وإذا طرد العدو في الابتداء حصل الأمن، وزال**

وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام بأداء العبودية.

وهٰهنا دقيقة:

قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿**رب اشرح لي صدري**﴾ [طه/ ٢٥] وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ أعطي بلا سؤال، ثم إنه تعالى نعته عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿**وسراجًا منيرًا**﴾ فانظر إلى التفاوت، فإن شرح الصدر هو أن يصير قابلاً للنور، والسراج المنير هو الذي يقتبس منه النور فالفرق بينهما واضح.

قال الدقاق: كان موسى عليه السلام مريدًا إذ قال: ﴿**رب اشرح لي صدري**﴾ ونبينا ﷺ مراد إذ قال الله له: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ والله أعلم.

وأما جماعه ﷺ فقد كان يدور ....

الضيق، وانشرح الصدر،) اتسع، **(وتيسر له القيام بأداء العبودية،)** ووجد لذة الطاعة وحلاوة الإيمان، **(وهٰهنا دقيقة)**، نكتة لطيفة من الدقة، خلاف الغلظ، **(قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام، ﴿رب إشرح لي صدري﴾، وقال لنبينا محمد ﷺ، ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾، أعطي، بلا سؤال)**».

قال الزمخشري: استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار مبالغة في إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه، قيل شرحنا لك صدرك، ولذا عطف عليه، ووضعنا اعتبارًا للمعنى، قال الطيبي: أي أنكر عدم الشرح، فإذا أنكر ذلك ثبت الشرح، لأن الهمز للإنكار، والإنكار نفي، والنفي إذا دخل على النفي عادا ثباتًا، ولا يجوز جعل الهمزة للتقرير انتهى، أي لأن التقرير سؤال مجرد، إذ هو حمل المخاطب على الاعتراف بأمر استقر عنده ثبوته، أو نفيه، فلا يحسن عطف ووضعنا عليه، **(ثم إنه تعالى نعته عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿وسراجًا منيرًا﴾** [الأحزاب/٤٦]، **فانظر إلى التفاوت)** بين مقامي موسى، ومحمد ﷺ عليهما، **(فإن شرح الصدر هو أن يصير قابلاً للنور، والسراج المنير هو الذي يقتبس منه النور،)** فهو أعلى، **(فالفرق بينهما واضح)**.

(قال الدقاق) أبو علي: **(كان موسى عليه السلام مريدًا إذ قال: ﴿رب إشرح لي صدري﴾، ونبينا ﷺ مرادًا، إذ قال اللّه له ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾،)** وفرق بين المراد والمريد، **(واللّه أعلم، وأما جماعه ﷺ،)** أي: قدرته عليه، فكانت إلى الغاية، ودليله قوله: **(فقد كان يدور،)** فالجواب محذوف، والفاء للتعليل، أو أنه نفس الجواب، باعتبار ما دل عليه من ثبوت غاية القوة له.

على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، ....

وقد ذكروا الوجهين في نحو قوله تعالى: ﴿إنه من عمل منكم سوءًا بجهالة، ثم تاب من بعده، وأسلح، فأنه غفور رحيم﴾ [الأنعام/٥٤]، ويدور كناية عن الجماع، من دار على كذا، وطاف به إذا مشى حوله، وفي رواية يطوف (**على نسائه**) أي: يجامعهن في غسل واحد، كما أخرجه الترمذي، وقال حسن صحيح، وروى أبو داود، والنسائي، عن أبي رافع، أنه ﷺ طاف ذات يوم على نسائه، يغتسل عند هذه، وعند هذه، فقلت: يا رسول الله ألا تجعله غسلاً واحدًا؟، فقال: «هذا أزكى، وأطيب، وأطهر»، وأجمعوا على أن الغسل بينهما، لا يجب، وفي استحباب الوضوء، وعدمه، ووجوبه أقوال الجمهور على الاستحباب لقوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود، فليتوضأ بينهما وضوءًا»، رواه مسلم. زاد ابن خزيمة: فإنه أنشط للعود، ففيه أن الأمر ندب، ويدل له أيضًا قول عائشة: كان ﷺ يجامع، ثم يعود، ولا يتوضأ رواه الطحاوي، ثم اختلفوا هل المراد الوضوء اللغوي، وهو غسل الفرج؟، لأن في رواية، فليغسل فرجه، أو الحقيقي لما عند ابن خزيمة، فليتوضأ وضوءًا للصلاة (**في الساعة الواحدة**) المراد بها قدر من الزمان، لا ما اصطلح عليه أصحاب الهيئة، قاله الحافظ، وتبعه العيني، وهو الظاهر، كما في ساعة الجمعة، لأن ذلك غير متعارف عندهم، ويحتمل أن يراد بها ما يتعارفه الناس، قاله بعض الشراح، وكأنه أراد بالناس العامة في تقليل الساعة، كقولهم جاء وراح في ساعة، ومغايرته، لما قبله تقليلها عن قدر من الزمان (**من الليل والنهار**) الواو بمعنى، أو جزم به الكرماني، ويحتمل أنها على بابها، بأن تكون تلك الساعة جزأ من آخر أحدهما، وجزأ من أول الآخر، قاله الحافظ، قال بعضهم: نعم يحتمل ذلك، لكنه تكلف بعيد جدًا، انتهى.

(**وهن إحدى عشرة**) كذا في رواية هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أنس، وفي رواية سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس في البخاري أيضًا: تسع نسوة، وجمع ابن حبان، فحمل ذلك على حالتين، لكنه وهم في قوله كانت الأولى أول قدومه المدينة، حيث كان تحته تسع نسوة، والحالة الثانية في آخر الأمر، حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة، وموضع الوهم أنه، لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة، ثم دخل على عائشة، ثم تزوج أم سلمة، وحفصة، وزينب بنت خزيمة في الثالثة والرابعة، ثم زينب بنت جحش في الخامسة، ثم جويرية، في السادسة، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة، واختلف في أن ريحانة زوجة، أو أمة، وماتت قبله، سنة عشر عند الأكثر، وزينب بنت خزيمة مكثت عنده شهرين، أو ثلاثة، وماتت قاله ابن عبد البر، فلم يجتمع عنده أكثر من تسع زوجات، مع إن سودة كانت وهبت يومها لعائشة، فرجحت رواية سعيد، لكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية، وريحانة إليهن، وأطلق عليهن

قال الراوي قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوّة ثلاثين. رواه البخاري.

وعند الاسماعيلي عن معاذ: قوّة أربعين زاد أبو نعيم عن مجاهد: كل رجل من رجال أهل الجنة.

لفظ نسائه تغليبًا، وبه استدل ابن التين، لقول مُلك بلزوم الظهار من الإِماء، لإِطلاقه على الجميع لفظ نسائه، وتعقب بأنه تغليب، فلا حجة فيه للمدعي، واستدل به ابن المغير على جواز وطء الحرة بعد الأمة، من غير غسل بينهما، ولا غيره، والمنقول عن مُلك أنه يتأكد الاستحباب في هذه الصورة، يمكن أن ذلك وقع لبيان الجواز، فلا يدل على عدم الاستحباب.

واستدل به البخاري، في كتاب النكاح، على استحباب الاستكثار من النساء، وأشار فيه إلى أن القسم لم يكن واجبًا عليه، وهو قول طوائف من العلماء، وقال الأكثر بوجوبه، فاحتاجوا للجواب، بأنه كان برضا صاحبة النوبة، كما استأذنهن أن يمرض في بيت عائشة، وباحتمال أن ذلك كان يقع عند استيفاء القسمة، ثم يستأنفها، أو عند إقباله من سفر، أو قبل وجوب القسم عليه.

وأغرب ابن العربي، قال: خص اللّه نبيه بأشياء منها: إنه أعطاه ساعة في كل يوم، لا يكون لأزواجه فيها حق، حتى يدخل على جميعهن، فيفعل ما يريد، ثم يستقر عند من لها النوبة، وكانت تلك الساعة بعد العصر، فإن اشتغل عنها كانت بعد المغرب، ويحتاج إلى ثبوت ما ذكر مفصلاً، قاله في فتح الباري.

(قال الراوي:) لهذا الحديث، وهو قتادة بن دعامة الأكمة المفسر: **(قلت لأنس، أو كان يطيقه،)** بفتح الواو، وهو مقول قتادة، والهمزة للاستفهام، قاله الحافظ والواو عاطفة على مقدر، أي أكان يفعل ذلك، ويطيق الدوران، **(قال)** أنس: **(كنا)** معشر الصحابة **(نتحدث أنه)** ﷺ **(أعطي)**، بضم الهمزة، وكسر الطاء، وفتح الياء، **(قوّة ثلاثين)** رجلاً، فمميز ثلاثين محذوف، ولعل تحدثهم بذلك الخبر، بلغهم عنه **(رواه البخاري)** في الغسل حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، قال: حدثنا أنس، قال: كان النبي يدور، فذكره **(وعند الإِسمٰعيلي)** في مستخرجه، **(عن معاذ)** هشام الدستوائي، عن أبيه، عن قتادة عن أنس: **(قوّة أربعين)** بدل ثلاثين.

قال الحافظ: وهي شاذة من هذا الوجه، لكن في مراسيل طاوس مثل ذلك، وزاد في الجماع، وفي صفة الجنة، لأبي نعيم من طريق مجاهد، مثله، و**(زاد أبو نعيم عن مجاهد: كل رجل من رجال أهل الجنة،)** وعنده أيضًا من حديث عبد اللّه بن عمرو، رفعه: أعطيت قوة أربعين

وعن أنس مرفوعًا: يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع، قلت يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة. قال الترمذي صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من حديث عمران القطان.

فإذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف، وبهذا يندفع ما استشكل من كونه ﷺ أوتي قوة أربعين فقط وسليمٰن عليه السلام قوة مائة رجل أو ألف على ما ورد.

وذكر ابن العربي: أنه كان له ﷺ القوة الظاهرة على الخلق في الوطء، وكان له في الأكل القناعة، ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتبارية كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية، ....

في البطش والجماع، **(وعن أنس مرفوعًا يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا، وكذا في الجماع، قلت يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟)** استفهام تعجبي استعظم ذلك عليهم، أو حقيقي بتقدير، بلا كلفة أم يتكلفه، **(قال: يعطي)** كل واحد من أهل الجنة **(قوة مائة)** رجل من أهل الدنيا، وهو ظاهر في استوائهم في ذلك، وعند أحمد، والنسائي وصححه الحاكم عن زيد بن أرقم، رفعه أن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوة مائة في الأكل، والشرب، والجماع، والشهوة.

(قال الترمذي: صحيح غريب،) لا ينافي الصحة، لأن الغرابة من حيث تفرد راويه، كما أفاده بقوله: **(لا نعرفه من حديث قتادة)** ابن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقة ثبت من رجال الجميع، يقال: ولد أكمه مات سنة بضع عشرة ومائة، **(إلاّ من حديث عمران، القطان،)** البصري، صدوق، يهم، روى له أصحاب السنن، ومات بين الستين والسبعين بعد المائة، **(فإذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف، وبهذا يندفع ما استشكل من كونه ﷺ، أوتي قوة أربعين فقط، وسليمٰن عليه السلام قوة مائة رجل، أو ألف على ما ورد،)** فإن مثار الإشكال حملهما على رجال الدنيا، وليس كذلك، بل ما ورد في سليمٰن محمول على رجال الجنة، كما ورد، وذلك بأربعة آلاف، فقد زاد على سليمٰن بكثير، فطاح الإشكال.

(وذكر ابن العربي، أنه كان له ﷺ القوة الظاهرة على الخلق في الوطء، وكان له في الأكل القناعة،) فأكثر أكله بلغة، **(ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتبارية،)** أي التي تعتبرها العامة، ويعتنون بشأنها، وتعدها صفة كمال، وليس المراد الاعتبار اللغوي، وهو الاختبار، والامتحان، والاتعاظ، والتذكر، والاعتداد بالشيء في ترتب الحكم عليه، وتطلق عند النحاة على خلاف الحقيقة، كالجنس، والفصل، والنوع، فلا معنى لشيء من ذلك هنا، وفي نسخة الاعتيادية، بتحتية ودال مهملة، أي المعتادة، **(كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية،)**

حتى يكون حاله كاملاً في الدارين. انتهى.

وطاف عليه الصلاة والسلام على نسائه التسع ليلة. رواه ابن سعد.

وروي أنه ﷺ قال: أتاني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع رواه ابن سعد: حدثنا عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلاً وروى من حديث أبي هريرة: شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل قلة الجماع فتبسم ....

وهما ما شارك أمته فيه، وما خص به من الأحكام، وكل ما يقربه إلى اللّه، مما لم يطلع عليه أحد من الخلق، (**حتى يكون حاله كاملاً في الدارين، انتهى**).

كلام ابن العربي: (**وطاف عليه الصلاة والسلام، على نسائه التسع ليلة**) وفي نسخة في ليلة، (**رواه ابن سعد**) وهي من جملة ما شمله حديث أنس، (**وروى أنه ﷺ، قال: «أتاني جبريل بقدر**) بكسر، فسكون، إناء يطبخ فيه، وهي مؤنثة، وتصغيرها قدير، بلا هاء، على غير قياس، قاله الجوهري، (**فأكلت منها**) بإذن إذ وضع الطعام إذن، وظاهره أنه من الجنة، ولا مانع أن طعامها يخرج إلى الدنيا، لكنه يسلب الخصوصية في حق غير نبينا، (**فأعطيت قوة**) أي قدرة (**أربعين**) فهي صفة الاقتدار على الشيء، وهي من أعلى صفات الكمال، قال تعالى في جبريل: ذي قوة (**رجلاً**) تمييز أربعين، وفي رواية: حذفه، أي من رجال الجنة، كما مرّ (**في الجماع**) قيد به، ليدل على أولوية القوة في غيره، إذ هو محل العجز غالبًا، وخصوصًا عند الكبر، ولم يتعرض في هذا الحديث لجنس المأكول، الذي في القدر، وهو هريسة إن سلم الآتي من الوضع، وإلاًّ، فلا يعلم ما في القدر، (**رواه ابن سعد**) في طبقاته، فقال: (**حدثنا عبيد اللّه**) بضم العين، (**ابن موسى**) بن باذام العبسي، بموحدة، أبو محمد، ثقة، كان يتشيع، روى له الستة (**عن أسامة بن زيد**) الليثي، مولاهم، المدني، صدوق يهم روي له مسلم والأربعة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، وهو ابن بضع وسبعين سنة، (**عن صفوان بن سليم**) بضم السين، المدني، أبي عبد اللّه الزهري، مولاهم التابعي، الصغير، ثقة، مفت عابد، رمي بالقدر روي له الأئمة الستة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وله اثنتان وسبعون سنة، قيل: لم يضع جنبه الأرض أربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود، (**مرسلاً**) ووصله أبو نعيم، والديلمي، عن صفوان، هذا عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رفعه، لكن فيه سفيْن بن وكيع، قال أبو زرعة الرازي: كان يتهم بالكذب، وأورده ابن الجوزي في الموضوع، ونوزع بأن له شواهد، فلهذا اقتصر المصنف على رواية: إرساله لصحة سنده.

(**وروي من حديث أبي هريرة، شكا رسول اللّه ﷺ إلى جبريل قلة الجماع، فتبسم**

جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل فقال له: أين أنت من أكل الهريسة فإن فيه قوّة أربعين رجلاً.

ومن حديث حذيفة بلفظ أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها على الصلاة. رواه الدارقطني.

وروى من حديث جابر بن سمرة وابن عباس وغيرهم.

وكلها أحاديث واهية. بل صرح الحافظ بن ناصر الدين في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة بأنه موضوع.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام أعطي قوة بضع وأربعين رجلاً من أهل الجنة، ....

جبريل حتى تلألأ،) أي امتلأ بالنور (**مجلس رسول اللّه ﷺ، من بريق،**) أي لمعان (**ثنايا جبريل، فقال له: أين أنت من أكل الهريسة، فإن فيه،**) أي الأكل بمعنى المأكول، والهريسة بدل منه، وفي نسخة، فإن فيها، أي: الهريسة (**قوة أربعين رجلاً؟،**) وأخذ من هذا وما أشبهه، أنه يستحب للرجل تناول ما يقوّي شهوته لاستكثار الوقاع، كالأدوية المقوّية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام، وكالأدوية المثيرة للشهوة، ورده الغزالي؛ بأنه ﷺ، إنما فعله، لأنه كان عنده من النساء عدد كثير، ويحرم على غيره نكاحهن إن طلقهن، أو مات عنهن، فكان طلبه القوة لهذا المعنى، لا للتنعم، والتلذذ، مع أنه، لا يشغل قلبه عن ربه شيء، فلا تقاس الملائكة بالحدادين، قال: وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته، إلاَّ كمن، بلى بسباع ضارية، وبهائم عادية، فتنام عنه أحيانًا، فيحتال لإثارتها، وتهييجها، ثم يشتغل بعلاجها، وإصلاحها، فإن شهوة الطعام، والوقاع على التحقيق آلام يراد التخلص منها ا هـ.

(**ومن حديث حذيفة، بلفظ: «أطعمني جبريل الهريسة»،**) وهي ما يجعل من قمح، ولحم يطبخان معًا، (**«أشد بها ظهري»،**) زاد الطبراني لقيام الليل (**«وأتقوّى بها على الصلاة»، رواه الدارقطني،**) والطبراني، وفيه محمد بن الحجاج، اللخمي، هو الذي وضع هذا الحديث، ذكره المصنف في الفصل الثالث من ذا المقصد، (**وروي من حديث جابر بن سمرة، وابن عباس، وغيرهم**) بالجمع، على أن أقله إثنان، أو بالنظر لعوده للمذكورين، قبل ذين، أعني أبا هريرة وحذيفة، (**وكلها أحاديث واهية،**) ولذا أوردها ابن الجوزي، في الموضوعات، (**بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين في جزء له سماه، رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة، بأنه موضوع**) متعلق بصرح، (**وروى أنه عليه الصلاة والسلام أعطي قوة بضع وأربعين رجلاً من أهل الجنة،**) وعليه، فتزيد قوّته على أربعة آلاف ولم يبين قدر الزائد، إذ البضع من ثلاثة لعشرة، وفيه تقوية لمذهب

رواه الحٰرث بن أبي أسامة.

وقد حفظه الله تعالى من الاحتلام ذكر هنا للمناسبة من حيث أن الجماع كما يكون يقظة يكون في النوم، فعن ابن عباس قال: ما احتلم نبي قط، وإنما الاحتلام من الشيطان، رواه الطبراني.

وأما قدمه الشريف ﷺ فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن القدمين، أي غليظ أصابعهما. رواه الترمذي وغيره.

وعن ميمونة بنت كردم قالت: رأيت رسول الله ﷺ فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه، رواه أحمد والطبراني.

وعن جابر بن سمرة: قال كانت خنصر رسول الله ﷺ من رجله ....

بعض مشايخ اللغة، في استعمال البضع فيما زاد على عشرين. **(رواه الحٰرث بن أبي أسامة)** في مسنده، **(وقد حفظه الله تعالى من الاحتلام، ذكر هنا للمناسبة من حيث أن الجماع، كما يكون يقظة يكون في النوم،)** لكن جماع الأنبياء إنما هو يقظة، **(فعن ابن عباس، قال: ما احتلم نبي قط،)** لأنه من تلاعب الشيطان، ولا سلطان له عليهم، ولذا، قال: **(وإنما الاحتلام من الشيطان رواه الطبراني)** موقوفاً، وحكمة الرفع، **(وأما قدمه الشريف ﷺ،)** أي صفته، **(فقد وصفه غير واحد،)** كعلي، وهند، وأنس، وضمير، وصفه للنبي لقوله: **(بأنه كان شثن،)** بفتح المعجمة، وإسكان المثلثة، ونون، **(القدمين، أي غليظ أصابعهما)** مع غاية النعومة، **(رواه الترمذي، وغيره).**

ولا يرجع ضميره للقدم، إذ يصير المعنى وصفوا القدم، بأنه كان شثن القدمين، وهذا باطل، وفي رواية: ضخم القدمين، وأخرى منهوس العقب، وتقدمًا في كلام المصنف، وقدمنا أنه يروى منهوس بالإهمال والإعجام، **(وعن ميمونة بنت كردم،)** بفتح الكاف، وسكون الراء، وفتح الدال، المهملة، بزنة جعفر الثقفية، صحابية صغيرة، لها حديث، ابنة صحابي حديثها، عند أهل الطائف، لا عند أهل البصرة، كما ادعى ابن عبد البرّ نبه عليه في الإصابة، إلاَّ أن يجاب بأن مراده يزيد بن هرٰون، راويه عن أهل الطائف، لأنه بصري واسطي، كما يأتي، وأصحاب الحديث يقولون: لم يرَ، وهذا غير أهل البصرة، ويريدون واحدًا من أهلها، كما في الإلفية، **(قالت: رأيت رسول الله ﷺ، فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة،)** بدل من أصبع، أي ما نسيت طول كل أصبع من أصبعي قدميه السبابتين **(على سائر،)** أي باقي **(أصابعه، رواه أحمد، والطبراني)** في حديث طويل، **(وعن جابر بن سمرة، قال: كانت خنصر،)** بالكسر، **(رسول الله ﷺ من رجله**

متظاهرة، رواه البيهقي.

وقد اشتهر على الألسنة أن سبابة النبي ﷺ كانت أطول من الوسطى. قال الحافظ بن حجر: وهو غلط ممن قاله، وإنما ذلك في أصابع رجليه. انتهى.

وقال شيخنا ـ في المقاصد الحسنة ـ: وسلف جمهورهم الكمال الدميري. وهو خطأ نشأ عن اعتماد رواية مطلقة. وعبارته: «كذا رواه ابن هٰرون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم أنها سمعت ميمونة ابنة كردم تخبر أنها رأت أصابع رسول الله ﷺ كذلك». فضم ما وقع فيها من إطلاق الأصابع إلى كون الوسطى من كل أطول من ....

متظاهرة،) أي: زائدة في الطول على الظاهر، ويحتمل في الغلظ، على ما يليها من الأصابع، فتكون مرتفعة عنها بارزة، **(رواه البيهقي)**.

وفي سنده سلمة بن حفص السعدي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث، لا يحل الاحتجاج به، ولا الرواية عنه، وحديثه هذا باطل، لا أصل له، ورسول الله ﷺ كان معتدل الخلق، **(وقد اشتهر على الألسنة؛ أن سبابة النبي)** أي سبابة اليد منه (ﷺ، **كانت أطول من الوسطى،)** وذكره القرطبي وغيره، **(قال الحافظ بن حجر،)** لما سئل عنه، **(وهو غلط ممن قاله، وإنما ذلك في أصابع رجليه ا هـ)**.

فإطلاق السبابة على الأصبع التي تلي إبهام الرجل مجاز، علاقته المجاورة لإبهام الرجل، لأنها لغة الإصبع، التالية لإبهام اليد، لأنه يشار بها عند السب، **(وقال شيخنا)** السخاوي **(في المقاصد الحسنة:)** حديث سبابة النبي ﷺ، وأنها كانت أطول من الوسطى، اشتهر هذا على الألسنة كثيرًا، **(وسلف جمهورهم،)** أي القائلين بطول سبابة يده **(الكمال الدميري، وهو خطا نشأ عن اعتماد رواية مطلقة، وعبارته،)** أي: الدميري.

(كذا رواه) يزيد **(بن هرٰون)** السلمي، مولاهم، البصري، الواسطي، ثقة، متقن، عابد، روى له الستة، مات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين **(عن عبد الله)** بن يزيد **(بن مقسم)**، فنسب إلى جده، بكسر الميم، وسكون القاف، وفتح المهملة، ابن ضبة، الثقفي، مولاهم البصري أصله من الطائف، صدوق ثقة.

روى له أبو داود حديثًا واحدًا، قال في الإصابة: ومنهم من أسقط عبد الله، وقال عن يزيد بن مقسم، **(عن)** عمته **(سارة ابنة مقسم)** الثقفية، لا تعرف من الرابعة، كما في التقريب **(إنها سمعت ميمونة ابنة كردم، تخبر أنها رأت أصابع رسول الله ﷺ كذلك،)** أي السبابة أطول من الوسطى، **(فضم ما وقع فيها من إطلاق الأصابع إلى كون الوسطى من كل أطول من**

السبابة، وعين اليد منه ﷺ لذلك بناء على أن القصد ذكر وصف اختص به ﷺ عن غيره.

ولكن الحديث في مسند الإمام أحمد من حديث يزيد بن هٰرون المذكور مقيد بالرجل، ولفظه ـ كما قدمته ـ فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه.

وهو عند البيهقي أيضًا في الدلائل من طريق يزيد ولفظها: رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقته وأنا مع أبي، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله ﷺ قالت: فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه.

السبابة، وعين اليد منه ﷺ لذلك،) فأنتج له كونه أطول من الوسطى على فهمه، **(بناءً على أن القصد ذكر وصف اختص به ﷺ عن غيره،)** مع أنه ليس بمراد، إنما المراد، صفة أصابعه مطلقًا، قال شيخنا: وعلى هذا، فما حكمة تخصيصها طول سبابة رجله بالذكر؟، فإن كان المراد مساواتها لغيرها من الأصابع، فلا فائدة في ذكرها، وإن كان المراد أنها تزيد طولاً على سبابة غيره، كان ذكر طولها من الوصف المختص به ﷺ، **(ولكن الحديث في مسند الإمام أحمد، من حديث يزيد بن هٰرون المذكور،)** بسنده **(مقيد بالرجل، ولفظه كما قدمته قريبًا، فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه،)** فيحمل المطلق على المقيد.

(وهو عند البيهقي أيضًا في الدلائل النبوية، من طريق يزيد) ابن هٰرون المذكور سنده عن ميمونة، **(ولفظها رأيت رسول الله ﷺ بمكة)** في حجة الوداع، **(وهو على ناقته، وأنا مع أبي،)** وبيد رسول الله ﷺ درة، كدرة الكتاب، **(فدنا منه أبي، فأخذ بقدمه، فأقر،)** أي أثبت **(له)** قدمه **(رسول الله ﷺ)** في مكانها حتى يتمكن من رؤيتها، **(قالت: فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه)** إلى هنا ما نقله من المقاصد، وقال عقبة: ولا يمنع ذكرها لذلك مشاركة غيره من الناس له ﷺ، في ذلك إذ لا مانع أن يقال: رأيت فلانًا أبيض، أو أسمر، مع العلم بمشاركة غيره له، ويجوز أن يكون التفاوت، بكونه زائد الظهور، إذ الناس فيه متفاوتون، وكذا لا يمنع منه كون السبابة في اليد خاصة، لأن تسميتها فيها حقيقة، وفي القدم لاشتراكها معها، في التوسط بين الإبهام والوسطى ا هـ.

هذا وقد اشتهر في المدائح قديمًا وحديثًا، أن النبي ﷺ، كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه وأثرت، وأنكره السيوطي، وقال: لم أقف له على أصل، ولا سند، ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث، وكذا أنكره غيره، لكن المصنف ذكر في الخصائص، في

وعن أبي هريرة أنه ﷺ كان إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ليس له أخمص. رواه البيهقي.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: كان النبي ﷺ لا أخمص له يطأ على قدمه كلها. رواه ابن عساكر.

وقال ابن أبي هالة: خمصان الأخمصين، مسيح القدمين.

بعض نسخه تقويته بما حاصله، أنه ما خص نبي بمعجزة، أو كرامة، إلاَّ ولنبينا مثلها، وأثر قدمي إبراهيم بالمقام، بمكة متواتر، وفيه يقول أبو طالب:

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيًا غير فاعل

وفي البخاري، حديث تأثير ضرب موسى في الحجر، ستًا، أو سبعًا، إذ فر بثوبه حين اغتسل ا هـ، إلاَّ أن مثل هذا لا يدفع إنكار وروده، والمثلية التي لنبينا،أما من جنسها، أو بغيرها، أعلى، أو مساوٍ، كما نصوا عليه، (**وعن أبي هريرة، أنه ﷺ: كان إذا وطىء بقدمه،وطىء بكلها،ليس له أخمص،**) بزنة أحمر، أي انخفاض باطن قدم بل كانت قدمه مستوية، فالأخمص من باطن القدم ما لم يصب الأرض عند المشي، كما يأتي (**رواه البيهقي**،) والبزار، وعبد الرزاق،(**وعن أبي أمامة الباهلي، قال: كان النبي ﷺ لا أخمص له،**) ولذلك (**يطأ على قدمه كلها، رواه ابن عساكر، وقال ابن أبي هالة: خمصان،**) بضم الخاء المعجمة، وفتحها، وسكون الميم، كما قاله الصغاني، وغيره، لا بفتح الميم، كما يوهمه القاموس، والاقتصار على ضم الخاء قصور (**الأخمصين،**) تثنية أخمص، سمي به لضموره، ودخوله في الرجل، قال الزمخشري: يريد أنهما مرتفعان عن الأرض، ليس بالأرح الذي يمسها أخمصاه ا هـ.

وهذا كما، قال البرهان الحلبي في شرح الشفاء، منافٍ لقوله: (**مسيح،**) بفتح الميم، وكسر المهملة، وإسكان التحتية، ومهملة (**القدمين،**) أي أملسهما، ولذا، قال: ينبو عنهما الماء، ومنابذ لقول أبي هريرة، وأبي أمامة، لا أخمص له، ويمكن الجمع باحتمال أنه في أول أمره كان له أخمص، لما لم يكن جسده ممتلئاً باللحم، ثم لما امتلأ باللحم استوت قدمه، فلم يضربها خمص، وقد يؤيد ذلك أن الإثبات رواية ابن أبي هالة: وهو ربيبه وتربيته، فقد يكون أخباره عن أوّل أمره، والنفي رواية أبي هريرة، وهو متأخر، لأنه إنما جاء سنة سبع من الهجرة، عام خيبر، وكذا أبو أمامة، من الأنصار أسلم، بالمدينة؛ وكان المصطفى، قد أسن، فهو أخبار عن آخر أمره، وقد جمع أيضًا، بأن مرادًا لنا في سلب نفي الاعتدال فيمن أثبته، أراد أن في قدميه خمصًا يسيرًا، ومن نفاه نفي شدته، وهذا، قد يؤيده جمع هند بين أخمص، ومسيح، فأتي به عقبه، ليبين

قال ابن الأثير: الأخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء. والخمصان: البالغ منه، أي إن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض.

وسئل ابن الأعرابي عنه فقال: إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جدًا، ولم يستو أسفل القدم جدًا فهو أحسن ما يكون، وإذا استوى أو ارتفع جدًا فهو ذم، فيكون المعنى أن أخمصه معتدل الخمص بخلاف الأول.

ووقع في حديث أبي هريرة إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها ليس له أخمص.

وقوله: مسيح القدمين أي ملساوان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق، ....

أن الخمصة فيه قليلة جدًا.

(قال ابن الأثير: الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء) أي المشي، يقال منه خمص القدم خمصًا، من باب تعب، فالرجل أخمص، والمرأة خمصاء، والجمع خمص؛ مثل أحمر وحمراء وحمر، لأنه صفة، **(والخمصان البالغ منه، أي أن ذلك الموضع من أسفل قدميه، شديد التجافي عن الأرض)** فجعله كليل أليل، واعترض بأن ذلك لا يناسب قوله بعده مسيح القدمين، فالأحسن أنه لم يرد المبالغة في ارتفاعه، بل أتى به لبيان أنه مرتفع فقط، وهذا معنى قوله: **(وسئل ابن الأعرابي)** الإمام، الحافظ، الزاهد، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري، صاحب التصانيف: سمع أبا داود، وخلقا عمل لهم معجمًا، وعنه ابن منده، وغيره، وكان ثقة، ثبتًا، عارفًا، ربانيًا، مات سنة أربع وثلاثمائة **(عنه)** أي عن معناه، **(فقال: إذا كان خمص)** بكسر الميم، **(الأخمص)** أي مرتفعة **(بقدر لم يرتفع جدًا، ولم يستوِ أسفل القدم جدًا، فهو أحسن ما يكون)** لاعتداله، **(وإذا استوى)** جدًا، **(أو ارتفع جدًا، فهو ذم، فيكون المعنى أن أخمصه معتدل الخمص بخلاف الأول)** فلا يكون معتدلاً، فلا يحمل عليه الحديث، لما ورد في صفته ﷺ، أنه معتدل الخلق، **(ووقع في حديث أبي هريرة: إذا وطيء)** مشى **(بقدمه وطيء بكلها، ليس له أخمص)** وذلك منافٍ لحديث هند، إلاَّ أن يحمل على نفي الاعتدال، فيجتمعان، أو على وقتين، كما مر.

(وقوله: مسيح القدمين، أي) هما **(ملساوان لينتان، ليس فيهما تكسر)** أي انخفاض لبعض الأجزاء، وارتفاع لبعضها مأخوذ من قولهم، كما في الصحاح أرض ذات كسور، أي صعود وهبوط، **(ولا شقاق)** بضم المعجمة، كغراب، وهو لغة داء يصيب أرساغ الدواب، وما

فإذا أصابهما الماء نبا عنهما كما قاله ابن أبي هالة: ينبو عنهما الماء، وهو معنى حديث أبي هريرة.

وعن عبد الله بن بريدة قال: كان ﷺ أحسن البشر قدمًا. رواه ابن سعد.

وأما طوله ﷺ فقال علي: كان ﷺ لا قصير ولا طويل، وهو إلى الطول أقرب. رواه البيهقي. وعنه: كان رسول الله ﷺ ليس بالذاهب طولاً، وفوق الربعة إذا جامع القوم غمرهم. رواه عبد الله بن الإمام أحمد.

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ ربعة ....

بين الحافر وطرف الساق، فأطلق مجازًا على تشقق القدم، **(فإذا أصابهما الماء نبا عنهما،)** انحدر سريعًا، ولا يقف لملاستهما، **(كما قاله: ابن أبي هالة:)** عقب مسيح القدمين، **(ينبو عنهما الماء،)** أي يرتفع، والمراد به مفارقة الماء، وانصبابه مجازًا، **(وهو معنى حديث أبي هريرة)** المذكور، لأن المراد من وطئه بكلها استواء أجزائها، بلا ارتفاع، ولا انخفاض، **(وعن عبد الله بن بريدة)** بن الحصيب، الأسلمي المروزي، قاضيها، تابعي، ثقة، روى له الستة، مات سنة خمس ومائة عشرة، وله مائة سنة، **(كان ﷺ أحسن البشر قدماً، رواه ابن سعد)** في طبقاته، وهو يؤيد تفسير ابن الأعرابي، الأخمص بالمعتدل، والله أعلم.

(وأما طوله ﷺ، فقال علي:) في بيانه، فهو الجواب، لأنه دال على نفس المراد، فلا حاجة هنا لجعله محذوفًا، أي فكان معتدلاً لقول علي: **(كان ﷺ، لا)** هو **(قصير، ولا)** هو **(طويل)**، فهو خبر مبتدأ محذوف، كقوله تعالى: ﴿لا فارض، ولا بكر﴾ [البقرة: ٦٨]، **(وهو إلى الطول أقرب)** نفي به، توهم أنه بينهما على السواء، أو إلى القصر أقرب، **(رواه البيهقي)** ورواه الترمذي في الشمائل عن علي بلفظ، لم يكن بالطويل، ولا بالقصير، وهو عنده أيضًا عن أنس، **(وعنه،)** أي علي: **(كان رسول الله ﷺ ليس بالذاهب،)** أي المفرط **(طولاً، وفوق الربعة إذا جامع القوم غمرهم،)** بفتح المعجمة، والميم، أي زاد عليهم في الطول، فكان فوق كل من معه من غمر الماء، إذا علا، وهل بأحداث الله له طولاً حقيقة حينئذٍ، ولا مانع منه، أو أن ذلك يرى في أعين الناظرين فقط، وجسده باقٍ على أصل خلقته، على حد قوله تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم﴾ [الأنفال/٤٤]، وهذا هو الظاهر، فهو مثل تطور الولي، وذلك كي، لا يتطاول عليه أحد صورة، كما لا يتطاول معنى، فمثل ارتفاعه المعنوي في عين الناظر، فرآه رفعة حسية، وهذا من معجزاته، **(رواه عبد الله بن الإمام أحمد)** بن حنبل الحافظ، ابن الحافظ.

(وعن أبي هريرة كان رسول الله ﷺ ربعة،) بفتح فسكون، وقد تحرك والجمع ربعات،

وهو إلى الطول أقرب رواه البزار.

وقوله: ربعة، أي مربوعًا، والتأنيث باعتبار النفس. وقد فسر في الحديث الآتي بأنه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، والمراد بالطويل البائن: المفرط في الطول مع اضطراب القامة.

وقال ابن أبي هالة: أطول من المربوع وأقصر من المشذب ـ وهو بمعجمتين مفتوحتين ثانيتهما مشددة، أي البائن الطول في نحافة، وهو مثل قوله في الحديث الآخر

بالسكون، وتحريكه شاذ، كما في القاموس، لأن فعلة إذا كان صفة، لا يحرك في الجمع، وإنما يحرك إذا كان اسمًا، ولم يكن موضع العين واوًا، وياء، كجوزة، وبيضة، فيقال في الجمع جوازات، وبيضات، وربما سمع التحريك هنا، وهو لغة هذيل، **(وهو إلى الطول أقرب رواه البزار،)** وكذا وصفه أنس، وعلي؛ بأنه كان ربعة، رواه الترمذي وغيره، **(وقوله ربعة أي مربوعًا،)** كما عبر به البراء بن عازب، فقال: كان رجلاً مربوعًا رواه الترمذي، والبخاري، ومسلم، والأحاديث يفسر بعضها بعضًا، فالمربوع يرادف الربعة، كالربع على مفاد القاموس، وغيره، فليس مراد المصنف أنه في الأصل بمعنى المصدر، ثم استعمل بمعنى المفعول، بل مجرد الإِيضاح، **(والتأنيث باعتبار النفس،)** يقال: رجل ربعة، وامرأة ربعة، كما في الفتح، أي، وإلاَّ، فالأصل تجرده من الهاء، قال بعض: ويمكن جعل التاء مما بنيت عليه الكلمة، فلا حاجة إلى تقدير نفس، أو نسمة، إذ ليست للتأنيث، **(وقد فسر في الحديث الآتي)** قريبًا عن عائشة، **(بأنه ليس بالطويل البائن،)** بالهمز اسم فاعل من بان، فهو بائن بقلب الياء همزة، لوقوعها بعد ألف زائدة، ولذا، قال شراح الشمائل وغيرهم: جعله بالياء، وهم لوجوب اعتلال اسم فاعل اعتل فعله، **(ولا بالقصير،)** أي البائن، كما في رواية، **(والمراد بالطويل البائن: المفرط في الطول، مع اضطراب القامة،)** أي مع رخاوة لها.

(وقال ابن أبي هالة: أطول من المربوع،) عند إمعان النظر، وتحقيق التأمل، فهذا بحسب الواقع، والمراد بكونه ربعة فيما مركونه كذلك في مبادىء النظر، فهو بحسب الظاهر، ولا ريب أن القرب من الطول في القامة أحسن، وألطف، **(وأقصر من المشذب، وهو بمعجمتين مفتوحتين، ثانيتهما مشددة،)** اسم مفعول، ثم موحدة، **(أي البائن الطول في نحافة،)** كذا في النهاية، وفي القاموس المشذب، كمعظم الطويل، الحسن الخلق، كالشوذب، وهذا أبلغ من قوله: لم يكن، بالطويل البائن، لأنه ينفي الطول، ويفيد حسن الخلق، وقراءة المشذب، اسم فاعل، لا تساعده اللغة، **(وهو مثل قوله،)** أي: علي بن أبي طالب **(في الحديث الآخر،)** عند الترمذي، قال: كان

لم يكن بالطويل الممغط ـ وهو بتشديد الميم الثانية ـ المتناهي في الطول. وأمغط النهار إذا امتد، ومغطت الحبل إذا مددته، وأصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميمًا وأدغمت في الميم، ويقال بالعين المهملة بمعناه.

وعن عائشة قالت: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسب ....

علي إذا وصف رسول الله ﷺ، قال: (**لم يكن بالطويل الممغط**،) ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، (**وهو، بتشديد الميم الثانية**،) وكسر الغين المعجمة، وطاء مهملة، اسم فاعل (**المتناهي في الطول، وأمغط النهار، إذا امتد، ومغطت الحبل إذا مددته**،) وكل ما يمتد بالمد يطول، ويرق، فالمراد نفي الطول البائن، وقلة اللحم، (**وأصله منمغط**،) بنون ساكنة، فميم مفتوحة، (**والنون للمطاوعة، فقلبت ميماً، وأدغمت في الميم**،) فصار الموجود لفظًا ميمًا مشددًا، وهذا لفظ النهاية، لكن يرد عليه أن النون الساكنة إذا اجتمعت مع ميم في كلمة لا يجوز إدغامها، كقولهم ناقة زنماء، بالزاي، بلا إدغام، أي: قطع بعض أذنها، وترك معلقًا، إشارة إلى أنها كريمة، (**ويقال بالعين المهملة، بمعناه**،) وعليهما هو اسم فاعل من انمغط، وفي جامع الأصول المحدثون يشددون الغين، فعليه هو اسم مفعول من التمغيط، ولا يقدح فيه اشتهار اسم الفاعل، فقد يكون الاشتهار طارئًا.

(**وعن عائشة، قالت: لم يكن رسول الله ﷺ، بالطويل البائن**،) بالموحدة قال في فتح الباري: اسم فاعل من بان، أي: ظهر على غيره أو فارق من سواه، وقال في النهاية: أي: المفرط طولاً الذي بعد عن قدر الرجال، وقد تقدم ذلك، وهو إشارة إلى احتمال أنه من بان إذا ظهر، أو بان إذا بعد، وفارق، وسمي فاحش الطول بائنًا، لأن من رآه تصور أن كلاً من أعضائه بائن عن الآخر، أو ظاهر على غيره، أو مفارقه طولاً وقامة، (**ولا بالقصير المتردد**:) المتناهي في القصر، كأنه تردد بعض خلقه على بعض، وتداخلت أجزاؤه، كما في النهاية، (**وكان ينسب إلى الربعة**) بأن يوصف بها، فيقال: هو ربعة لقربه منها، (**إذا مشى وحده**،) فهو من نسبة الجزئي إلى كلية، واستأنفت جواباً لسؤال نشأ من مفهوم وحده قولها: (**ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس، ينسب إلى الطول إلاّ طاله**)، أي زاد عليه في الطول (ﷺ، **ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان، فيطولهما**) يزيد عليهما، طولاً إكرامًا من الله حتى، لا يزيد أحد عليه صورة، (**فإذا فارقاه نسب**

رسول الله ﷺ إلى الربعة، رواه ابن عساكر والبيهقي.

وزاد ابن سبع في الخصائص: أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين.

ووصفه ابن أبي هالة بأنه بادن متماسك، أي معتدل الخلق، كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضًا.

رسول الله ﷺ إلى الربعة، رواه: ابن عساكر، والبيهقي،) وابن أبي خيثمة، كما مرّ، **(وزاد ابن سبع في الخصائص،)** ورزين: **(أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين،)** وحكمته ما رأيت، ودليله قول علي: إذا جامع القوم غمرهم إذ هو شامل للمشي والجلوس، فقصر من توقف فيه، بأنه لم يره، إلاّ في كلام رزين وكلام الناقلين عنه.

(ووصفه ابن أبي هالة؛ بأنه) معتدل الخلق، **(بادن:)** ضخم البدن، لا مطلقًا، بل بالنسبة، لما سبق من كونه شثن الكفين والقدمين، جليل المشاش والكتد، ولما كانت البدانة، قد تكون من الأعضاء، وقد تكون من كثرة اللحم، والسمن المفرط، الموجب لرخاوة البدن، وهو مذموم، أردفه بما ينفي ذلك، فقال: **(متماسك)** صريح، تصرف المصنف أنهما، بالرفع، وهو في الشمائل، بلا ألف، فقال بعض شراحها ما قبله منصوب، ومن بادن إلى آخر الحديث، بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي هو، والجملة مستأنفة، أو في محل نصب خبر لكان بعد خبر، إذ أول الحديث كان فخمًا مفخمًا، لكن الظاهر من حيث العربية النصب، بل قال: بعض لا حجة في رسمه في الشمائل، بلا ألف على الرفع، بل هو منصوب، على طريقة جمع من أصحاب الحديث، يكتبون المنصوب بصورة المرفوع، اكتفاءً بالحركة، ويقرؤنه بالنصب، وقد نقله ابن الأثير في الجامع عن الشمائل بادنًا متماسكًا، بنصبهما ا هـ.

وكذا أخرجه عياض في الشفاء من طريق الترمذي، وكذا نقله عن الشمائل السيوطي في جامعه، بنصبهما، **(أي: معتدل الخلق، كأن أعضاؤه يمسك بعضها بعضًا)** من غير ترجرج، وقيل معناه ليس بمسترخي البدن، واستشكل كونه بادنًا بما في رواية البيهقي، ضرب اللحم، قال البغوي: يريد أنه ليس بنا حل ومنتفخ، وفي المقتفي شحم بين شحمين، لا ناحل، ولا مطهم، والبادن الجسيم، أو كثير اللحم، وأجيب بأنه لم يرد بضرب القلة، بل الخفة لتماسكه، وبأن القلة، والكثرة، والخفة، والتوسط، من الأمور النسبية المتفاوتة، فحيث، قيل بادن أريد عدم النحول والهزال، وحيث، قيل قليل، أو خفيف، أو متوسط، أريد عدم السمن التام، فهو المنفي، والمثبت عدم النحول، وبأنه كان نحيفًا، فلما أسن بدن، لما في مسلم عن عائشة: فلما أسن،

وأما شعره الشريف ﷺ، فعن قتادة قال: سألت أنسًا، عن شعر رسول الله ﷺ فقال: شعر بين شعرين، لا رَجْل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين أذنيه وعاتقه.

وفي رواية للشيخين كان رجُلاً ليس بالسبط ولا الجعد ....

وكثر لحمه سابقته، فسبقته، قال بعض المحققين: والحق أنه لم يكن سمينًا قط، ولا نحيفًا قط، غير أنه في الآخرة كان أكثر لحمًا، فغايته أن يراد بالبدانة قدر آخر كان أزيد بالخفة ما دون ذلك، **(وأما شعره)** بسكون العين: جمعه شعور، كفلس وفلوس، وبفتحها جمعه أشعار، كسبب، وأسباب، وجمع تشبيهًا الاسم الجنس بالمفرد، وهو مذكور واحدته شعره **(الشريف ﷺ)** أي صفته في الرأس وغيره، وأما صفة الرأس، فهو أول ما بدأ به المصنف من شمائله، فلا نسود وجه الطرس بنقله عن غيره.

(فعن قتادة) بن دعامة، بكسر الدال الأكمه، المفسر، السدوسي، التابعي، الشهير، **(قال: سألت أنسًا عن شعر رسول الله ﷺ، فقال: شعر بين شعرين)** أي: بين نوعين من الشعر هما: الجعد والسبط، أي بين الجعودة، والسبوطة، كما يأتي **(لا رجل)** بفتح الراء، وكسر الجيم، وفتحها، وسكونها، كما في المفهم، وزاد غيره: وضمها، **(ولا سبط)** بفتح، فكسر، وسكون، أو فتحتين، أي مسترسل، لا يتكسر منه شيء، كشعر الهنود، **(ولا جعد)** بفتح الجيم، وسكون المهملة، أي منقبض يتجعد، ويتكسر، كشعر الحبش والزنج، **(قطط)** بفتحتين، كجسد على الأشهر، ويجوز كسر ثانيه، والجعد يرد، بمعنى الجواد والكريم، والبخيل، واللئيم، ومقابل السبط، يوصف بقطط في الكل، فهو لا يعين المراد، فلذا وقع مقابلاً لسبط، والمراد أن شعره ليس نهاية في الجعودة، وهي تكسره الشديد، ولا في السبوطة، وهي عدم تكسره، وتثنيه بالكلية، بل كان وسطًا بينهما، وخير الأمور أوساطها.

قال الزمخشري: الغالب على العرب جعودة الشعر، وعلى العجم سبوطته، فقد أحسن الله تعالى برسوله الشمائل، وجمع فيه ما تفرق في الطوائف من الفضائل ا هـ.

ثم المراد بقوله: لا رجل نفي شدة استرسال الشعر، بدليل قوله: **(كان بين أذنيه)** بالتثنية، **(وعاتقه)** بالإفراد، فلا ينافي إثباته في قوله: **(وفي رواية للشيخين)** وغيرهما عن قتادة، سألت أنس بن مٰلك عن شعر رسول الله ﷺ لفظ البخاري، ولفظ مسلم، قلت لأنس بن مٰلك: كيف كان شعر رسول الله ﷺ، فقال: **(كان)** شعر رسول الله ﷺ لفظ خ، ولفظ م، فقال: كان شعرًا **(رجلاً ليس بالسبط)** أي: المنبسط المسترسل، **(ولا الجعد)** أي الشديد التكسر، بل فيه تكسر يسير، فهو بينهما، قال المصنف: فقوله ليس الخ...، كالتفسير لسابقه ا هـ.

بين أذنيه وعاتقه.

وفي أخرى: إلى أنصاف أذنيه. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي وأبو داود.

فهو المراد بالإثبات، فلا ينافي النفي، وكان (**بين أذنيه، وعاتقه**) بالتثنية في الأول، والإفراد في الثاني، أي: فليس فيه شدة ارتفاع، ولا شدة استرسال، وفي رواية للشيخين، عن قتادة عن أنس: كان يضرب شعره منكبيه، وللبخاري أيضاً كان يضرب رأس النبي ﷺ منكبيه، (**وفي أخرى**) من حديث حميد عن أنس، قال: كان شعر رسول الله ﷺ (**إلى أنصاف أذنيه**) جمع نصف، أريد به ما فوق الواحد، أو أراد بالنصف مطلق البعض، وذلك البعض متعدد أكثر من اثنين، لأنه تارة إلى نصف الأُذُن، وتارة إلى دونه، وأخرى إلى فوقه، (**رواه البخاري**) في كتاب اللباس والزينة، (**ومسلم**) في صفة النبي، (**وأبو داود، والنسائي**،) والترمذي في الشمائل، (**وعن عائشة، قالت: كنت أغتسل**،) أفادت الحكاية الماضية بصيغة المضارع، استحضارًا للصورة الماضية، وإشارة إلى تكرره، واستمراره، أي اغتسلت متكررًا (**أنا والنبي ﷺ**،) برفع النبي عطفًا على الضمير المرفوع، ولذا أبرز وجاز، مع أن المضارع المبدوء، بالهمزة لا يرفع الاسم الظاهر، لأنه تابع، فيغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره، أو غلب المتكلم على الغائب، كما غلب في قوله تعالى: ﴿أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [الأعراف/١٩]، المخاطب على الغائب، لأن ءادم أصل زوجه تبع، وهنا لأن النساء محل الشهوة، وحاملات على الغسل، فكأنهن أصل، أو لأن الأصل أخبار الشخص عن نفسه، أو لاحتمال أن الماء معدًا لغسلها، وشاركها المصطفى، أو من عطف، الجمل بتقدير عامل، أي ويغتسل معي، كما قيل في أسكن أنت وزوجك الجنة، وبالنصب على أنه مفعول معه (**من إناء واحد**،) زاد في رواية من جنابه (**وكان له شعر فوق الجمة**،) بضم الجيم، وشد الميم، (**ودون الوفرة**،) بفتح الواو، وسكون الفاء، (**رواه الترمذي**) في جامعه، وشمائله بهذا اللفظ، (**وأبو داود**) في سننه، وكذا ابن ماجه بلفظ فوق الوفرة دون الجمة، كما بينه الحافظ العراقي في شرح الترمذي قائلاً: وروايتهما هي الموافقة لكلام أهل اللغة، إلاَّ أن تؤول رواية الترمذي، وذلك أنه، قد يراد بقوله دون النسبة إلى القلة، والكثرة، وقد يراد بالنسبة إلى محل وصول الشعر، ورواية الترمذي، محمولة على هذا التأويل، أي إن شعره كان فوق الجمة، أي: أرفع في المحل، فعلى هذا يكون شعره لمة، وهو ما بين الوفرة، والجمة، وتكون رواية أبي داود، وابن ماجه: معناها كان شعره فوق الوافرة، أي أكبر من الوفرة، ودون

والوفرة: الشعر الواصل إلى شحمة الأذن.

وقال ابن أبي هالة أيضًا: كان رجل الشعر ـ وهو بفتح الراء وكسر الجيم، أي يتكسر قليلاً، بخلاف السبط والجعد ـ إن انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا، يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره.

والعقيقة بالقاف، شعر رأسه الشريف، ....

الجمة، أي في الكثرة، وعلى هذا، فلا تعارض بين الروايتين، فروى كل راوٍ ما فهمه من الفوق والدون، قال تلميذه الحافظ ابن حجر، وهو جمع جيد، لولا أن مخرج الحديث متحد، وأجاب المصنف بأن إحدى الروايتين نقل بالمعنى، ولا يضره اتحاد المخرج لاحتمال أنه وقع ممن دونه ا هـ.

ونحو قول بعضهم مال الروايتين على هذا التقدير متحد معنى، والتفاوت بينهما إنما هو في العبارة، ولا يقدح فيه اتحاد المخرج، وهو عائشة، لأن دونها أدى معنى إحدى العبارتين، هذا، وقد يستعمل أحد اللفظين المتقاربين مكان الآخر، كما سبق في أفلج الثنيتين، حيث، قالوا الفلج يستعمل مكان الفرق، فكذا، يقال بمثله هنا. ا هـ.

وبهذا علمت شدة تسمح المصنف في العزو، **(والوفرة الشعر: الواصل إلى شحمة الأذن،)** ويأتي قريبًا تفسيرها بذلك أيضًا، وبيان الجمة، واللمة، **(وقال ابن أبي هالة أيضًا: كان رجل الشعر)** لفظ، كان لم يقع في لفظه، وإنما أتى به المصنف، ليبين أن رجل منصوب، لأنه خبر بعد خبر، إذ أول الحديث كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا إلى أن، قال رجل الشعر، **(وهو بفتح الراء، وكسر الجيم،)** لعله الأشهر، أو الرواية، وإلاَّ فقد، قال القرطبي: في المفهم، وفتحها وسكونها، ثلاث لغات، زاد بعض وضمها، كما مر، ومقتضاه إنها بمعنى واحد، وفي المصباح رجل الشعر رجلاً، من باب تعب تعبًا، فهو رجل، بالكسر، والسكون، ومفاده إن المصدر بفتحتين، والوصف على فعِل، بكسر، فسكون تخفيف، **(أي يتكسر قليلاً بخلاف السبط،)** الذي، لا يتكسر شيء منه، **(والجعد)** المتكسر **(إن انفرقت عقيقته)** من جملة قول هند: فصله بضبط رجل، ومعناه **(فرقها)** بالتخفيف، أي جعل شعره نصفين، نصفًا عن اليمين، ونصفًا عن اليسار، قيل بالمشط، وقيل بذاته، **(وإلاَّ)** تنفرق، بل كانت مختلطة متلاصقة، لا تقبل الفرق، بلا ترجيل، **(فلا)** يفرقها، بل يتركها على حالها، معقوصة، أي وفرة واحدة، وحينئذٍ، فقد **(يجاوز شعره شحمة أذنه، إذا هو وفره،)** أي: جعله وفرة، أي: مجموعاً، وفي نسخ وفر بلا هاء.

قال المزي: والمعروف رواية، بالهاء، **(والعقيقة، بالقاف، شعر رأسه الشريف)** من العق، وهو في الأصل، القطع والشق، ولذا سميت الذبيحة للمولود، يوم سابعه عقيقة، لشق حلقها،

يعني إن انفرقت بنفسها فرقها وإلا فتركها معقوصة، ويروى: إن انفرقت عقيصته ـ بالصاد المهملة ـ وهي الشعر المعقوص.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ....

والشعر الخارج على رأس المولود من بطن أمه عقيقة، لأنه يحلق، ثم قيل للشعر النابت بعد ذلك عقيقة، لأنه منها، ونباته من أصولها، فهو مجاز مرسل، أو لأنه شبيه بها، فاستعارة، **(يعني إن انفرقت بنفسها فرقها وإلاَّ، فتركها معقوصة،)** قاله القاضي عياض، ونحوه قول ابن الأثير، وإلاَّ تركها على حالها، ولم يفرقها، وهو بناءً على أن، وإلاَّ، فلا كلام تام، وكذلك ما بعده، وإنه متعلق بمقدر، كما أشرنا إليه، ومنهم من جعله كله كلامًا واحدًا، وفسره تارة بأنه لا يجاوز شحمة أذنه إذا ترك الفرق؛ فقوله إذا هو وفره بيان لقوله، وإلاَّ وأخرى، بأنه إن انفرق، لا يجاوز في وقت توفير الشعر، قال: وبه يجمع بين مختلف الروايات في أن شعره وفرة، أو جمة، فيقال: ذلك باختلاف أزمنة عدم الفرق، والفرق، **(ويروى إن انفرقت عقيصته، بالصاد المهملة، وهو الشعر المعقوص،)** وهو نحو من المضفور، وأصل العقص اللي، وإدخال أطراف في أصوله والمشهور عقيقته، أي: بالقافين، لأنه لم يعقص شعره، قاله في النهاية، وبه رد قول بعضهم رواية الصاد أولى، وقيل العقيقة: الشعر الذي مع المولود، فإن نبت بعد حلقه لم يسم عقيقة، واستبعده الزمخشري باقتضائه إن شعر المصطفى كان شعر الولادة، وتركه، وعدم خلقه يوم السابع، وعدم ذبح شاة، وإطعامها عيب عند العرب، وشح، وأجيب بأنه من إرهاصاته حيث لم يمكن الله قومه، أن يذبحوا له باسم اللات والعزى، ويؤيده قول النووي في التهذيب، أنه ﷺ عق عن نفسه بعد النبوّة اهـ.

(وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يسدل،) بفتح أوّله، وسكون السين، وكسر الدال، المهملتين، ويجوز ضم الدال، قاله الحافظ، وغيره، وبالضم ضبطه الدمياطي في حاشية الصحيح، والمنذري في حاشية السنن، فاستفدنا أن الرواية بالوجهين، **(شعره،)** أي: يترك شعر ناصيته على جبهته، لما في رواية للشيخين، سدل النبي ﷺ ناصيته، وإلاَّ فالسدل لغة لا يخص الناصية، بل هو إرخاء الشعر حول الرأس، **(وكان المشركون،)** أي كفار مكة **(يفرقون،)** بضم الراء، وكسرها، روي مخففًا، وهو الأشهر ومشددًا، **(رؤوسهم،)** أي شعر رؤوسهم، **(وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم،)** وفي رواية أشعارهم، **(وكان يحب موافقة أهل الكتاب)** اليهود، حين كان عباد الأوثان كثيرًا، **(فيما لم يؤمر فيه بشيء،)** أي فيما لم يخالفه شرعه إيجابًا، أو ندبًا، وقصره على

ثم فرق ﷺ رأسه. رواه الترمذي في الشمائل. وفي صحيح مسلم نحوه.

وسدل الشعر إرساله، والمراد هنا إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصة.

وأما الفرق: فهو فرق الشعر بعضه من بعض.

قال العلماء: والفرق سنة، لأنه الذي رجع إليه ﷺ، والصحيح جواز الفرق والسدل، لكن الفرق أفضل.

الوجوب تقصيرًا، أو لم ينزل عليه فيه وحي، أو فيما لم يطلب منه وجوبًا، أو ندبًا، **(ثم فرق،)** بفتح الفاء، والراء، روي مخففًا، ومثقلاً **(ﷺ رأسه،)** أي: ألقي شعره إلى جانبي رأسه، فلم ينزل منه شيئًا على جبهته، وإنما أحب موافقتهم لتمسكهم في زمانه ببقايا شرائع الرسل، والمشركون وثنيون، لا مستند لهم إلاَّ ما وجدوا عليه آباءهم، قال الحافظ: فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عباد الأوثان، فلما أسلم غالبهم، أحب حينئذٍ مخالفة أهل الكتاب انتهى.

قال النووي وغيره: أو كان لاستئلافهم، كما تألفهم باستقبال قبلتهم، وتوقف فيه بأن المشركين أولى بالتأليف، ورد بأنه، قد حرص أولاً على تألفهم، ولم يأل جهدًا في ذلك، وكلما زاد زادوا نفورًا، فأحب تأليف أهل الكتاب، ليجعلهم عونًا على قتال الآبين من عبدة الأوثان، وقال القرطبي: حبه لموافقتهم كان أوّلاً في الوقت الذي كان يستقبل قبلتهم ليتألفهم، حتى يصغوا إلى ما جاء به، فلما غلبت عليهم الشقوة، ولم ينفع فيهم، ذلك أمر بمخالفتهم في أمور كثيرة، كقوله: إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم ا هـ.

(رواه الترمذي في الشمائل، وفي صحيح مسلم نحوه،) والبخاري في الصفة النبوية، واللباس بنحوه، ورواه في الهجرة، بلفظ الشمائل، خلافًا لإيهام، المصنف، وكذا، رواه أبو داود والنسائي، وابن ماجه، **(وسدل،)** بفتح، فسكون، مصدر سدل، كقتل **(الشعر إرساله،)** ولا يقال أسدل بالألف، **(والمراد هنا إرساله على الجبين، واتخاذه، كالقصة،)** بضم القاف، وصاد مهملة، وهي شعر الناصية، يقص حول الجبهة، والمراد أنه كان يتركه على حاله، يشبه الشعر المقصوص، **(وأما الفرق، فهو فرق الشعر بعضه من بعض،)** ولأبي داود، عن عائشة، قالت: أنا فرقت لرسول الله ﷺ رأسه، أي: شعر رأسه عن يافوخه.

(قال العلماء: والفرق سنة، لأنه الذي رجع إليه ﷺ، والصحيح، جواز الفرق والسدل) معًا، **(ولكن الفرق أفضل)** فقط، لأنه الذي رجع إليه، فكأنه ظهر الشرع به، لكن لا وجوبًا، لأن من الصحب من سدل بعد ذلك، فلو كان الفرق واجبًا ما سدلوا، وزعم نسخه يحتاج لبيان ناسخه، وتأخره عن المنسوخ على أنه لو نسخ ما صار إليه كثير من الصحابة، ولذا، قال

وعن عائشة: كان له ﷺ شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي.

وفي حديث أنس كان إلى أذنيه، وفي حديث البراء: يضرب منكبيه. وفي حديث أبي رمثة: يبلغ إلى كتفيه أو منكبيه.

وفي رواية: ما رأيت من ذي لمة أحسن منه.

والجمة: هي الشعر الذي نزل إلى المنكبين. والوفرة: ما نزل إلى شحمة الأذنين،

القرطبي: توهم النسخ لا يلتفت إليه أصلاً لإمكان الجمع، قال: وهذا على تسليم أن حبه موافقتهم، ومخالفتهم حكم شرعي، فإنه يحتمل كونه مصلحة، وحديث هند: إن انفرقت عقيقته فرقها، وإلاَّ تركها، يدل على أنه غالب أحواله، لأنه ذكر مع أوصافه الدائمة، وحليته التي كان موصوفًا بها، فالصواب أن الفرق مستحب، لا واجب ا هـ.

وقال الحافظ: حديث هند محمول على ما كان أولاً، لما بينه حديث ابن عباس ا هـ.

قيل: ويحتمل أن رجوعه للفرق باجتهاد، وحكمته أنه أنظف، وأبعد عن السرف في غسله، وعن مشابهة النساء، **(وعن عائشة: كان له ﷺ شعر فوق الجمة، ودون الوفرة، رواه الترمذي)** وقد مر قريبًا تامًا، وكأنه أعاد المقصود هنا لمغايرته، لما بعده، وذكر الجمع بينهما، لكنه لو اقتصر على هذا كفاه عن السابق، واندفع عنه اعتراض عزوه لأبي داود، مع أنه ليس لفظه، كما مر، **(وفي حديث أنس)** عند البخاري، ومسلم، وغيرهما؛ **(كان إلى)** أنصاف **(أذنيه، وفي حديث البراء)** عند الشيخين وغيرهما، **(يضرب منكبيه،)** أي يصل إليهما، كني بالضرب عن الوصول، وكذا في حديث أنس في الصحيحين **(في حديث أبي رمثة،)** بكسر الراء، وسكون الميم، ومثلثة البلوى، ويقال: التيمي من تيم الرباب، بفتح الراء، كما في الفتح، وكسرها، كما في الصحاح، ويقال: التميمي، ويقال: هما إثنان، واسمه رفاعة بن يثربي، وبه جزم الترمذي، وهما، بمهملتين بينهما، فاء، وألف، ويقال: يثربي بن رفاعة، وبه جزم الطبراني، ويقال عمارة بن يثربي، ويقال عكسه، وقيل: يثربي بن عوف، وجزم غير واحد؛ بأن اسمه حيان بمثناة تحتية، وقيل حبيب بن حيان، وقيل جندب، وقيل خشخاش، صحابي شهير.

قال ابن سعد: مات بإفريقية، **(يبلغ إلى كتفيه، أو منكبيه،)** بالشك، **(وفي رواية)** عن البراء بن عازب عند الترمذي، وغيره، **(ما رأيت من ذي لمة)** بزيادة من التأكيد النفي، والنص على استغراق جميع الأفراد، أو هي بيانية، أي: أحدًا من صاحب لمة، بكسر اللام وشد الميم **(أحسن منه،)** ولا مساوٍ له على مفاد النفي عرفًا، **(والجمة،)** بضم الجيم، وشد الميم، **(هي الشعر الذي نزل إلى المنكبين، والوفرة: ما نزل إلى شحمة الأذنين،)** سمي بذلك، لأنه وقع

واللمة: التي لمت بين المنكبين.

قال القاضي عياض: والجمع بين هذه الروايات: أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه. وقال: قيل: بل ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك.

وعن أم هانيء بنت أبي طالب قالت: قدم رسول الله ﷺ علينا مكة قدمة

على الأذن، أي ثم عليها واجتمع.

(**واللمة التي لمت،**) أي نزلت (**بين المنكبين،**) وأنث باعتبار أنها حملة من الشعر، وجمعها لمام، ولمم سميت بذلك لإلمامها بهما، إذ هي الشعر المتجاوز شحمة الأذن مع الوصول إلى المنكب، أو المتجاوز مطلقًا، أو المتجاوز، بلا وصول إلى المنكب، فإذا وصله صار جمة، أقوال، لكن، قال الحافظ العراقي ورد في شعره ﷺ ثلاثة أوصاف، جمة، ووفرة، ولمة، فالوفرة ما بلغ شحمة الأذن، واللمة ما نزل عن شحمة الأذن، والجمة ما نزل عن ذلك إلى المنكبين، هذا قول جمهور أهل اللغة، وهو الذي ذكره صاحب المحكم، والنهاية، والمشارق، وغيرهم، واختلف فيه كلام الجوهري، فذكره على الصواب، في مادة لمم، فقال: واللمة، بالكسر: الشعر المتجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغت المنكبين، فهي جمة، وخالف ذلك في مادة وفر، فقال: والوفرة إلى شحمة الأذن، ثم الجمة، ثم اللمة التي ألمت بالمنكبين، وما قاله في باب الميم هو الصواب، الموافق لقول غيره من أهل اللغة.

(**قال القاضي عياض: والجمع بين هذه الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، وما خلفه هو، الذي يضرب**) يبلغ (**منكبيه،**) فلا تنافي بين روايتي شحمة أذنيه، ومنكبيه، (**وقال**) عياض أيضًا: (**قيل**) في الجمع (**بل ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين، فكانت تطول، وتقصر، بحسب ذلك**) ورد الجمع الأول بأن من وصف شعره إنما أراد مجموعه، أو معظمه، لا كل قطعة قطعة منه، لكن لا ضير فيه لحصول الجمع به، وقد مشي على نحوه الداودي، وتبعه ابن التين، فقال: المراد أن معظم شعره كان عند شحمة أذنه، وما استرسل منه متصل إلى المنكب، قال الحافظ: قول هند بن أبي هالة إذا هو وفره، أي: جعله وفرة، فهذا القيد يؤيد هذا الجمع.

(**وعن أم هانيء،**) بكسر النون، وهمز آخره، وتسهل فاختة، أو عاتكة، أو هند (**بنت أبي طالب**) شقيقة علي، وعاشت بعده، (**قالت: قدم رسول الله ﷺ علينا مكة قدمة،**) بفتح القاف،

وله أربع غدائر. رواه الترمذي في الشمائل. والغدائر: ـ بالغين المعجمة والدال المهملة ـ هي الذوائب، واحدتها غديرة.

وفي مسلم عن أنس، كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض. وفي رواية له عنده: ....

وسكون الدال، المرة الواحدة، من القدوم، أي مرة من قدومه، وبعض الروايات يدل على أنه في فتح مكة، لأنه اغتسل، وصلى الضحى في بيتها وكانت له قدمات أربع بمكة بعد الهجرة، قدمة عمرة القضاء والفتح، وعمرة الجعرانة، وحجة الوداع، **(وله أربع غدائر)** ليخرج الأذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها، ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، تخرج الأذنان ببياضهما من بين تلك الغدائر، كأنهما توقد الكواكب الدرية، بين سواد شعره، قاله ابن أبي خيثمة: **(رواه الترمذي في الشمائل، والغدائر، بالغين المعجمة، والدال المهملة: هي الذوائب)** بذال معجمة، **(واحدتها غديرة)** وروى الترمذي أيضًا: عن أم هانيء: رأيت رسول الله ﷺ ذا ضفائر أربع، جمع ضفيرة، وهي العقيصة، قاله الجوهري، فالغدائر أعم، كما قاله السيوطي وغيره، فيحتمل أن تكون رأته في وقت آخر، أو حين قدم عليها مكة، تكون أرادت بالضفائر المعنى الذي أرادته بالغدائر، وإن اختلفا لغة، ويؤيده اتحاد طريقي الحديثين إليها، إذ كلاهما من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عنها، وكلاهما يدل للجمع، ولذا، قال بعض شراح المصابيح، لم يحلق ﷺ رأسه في سني الهجرة، إلاَّ عام الحديبية، ثم عام القضاء، ثم في حجة الوداع، فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الأزمنة، وأقصرها ما كان في حجة الوداع، فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات، الواقعة منه في تلك الأزمنة، وأقصرها ما كان في حجة الوداع، فإنه توفي بعدها بثلاثة أشهر، ثم ذكر المصنف شيبه ﷺ، ولم يترجم له، لأنه من جملة الشعر الذي الكلام فيه، فقال: **(وفي مسلم عن أنس)** من حديث ابن سيرين: سألت أنس بن مالك هل كان رسول الله ﷺ يخضب؟، فقال: لم يبلغ الخضاب.

(كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض،) مقتضاه أنها عشرة فقط، أو أقل، إذ شعرات جمع قلة من جموع السلامة، وهي لا تزيد على عشرة، فيشكل بما يأتي عنه كان في رأسه، ولحيته سبعة عشر، أو ثمانية عشر، وكون العشرة في خصوص اللحية يحتاج لدليل، فيمكن أنه استعمل جمع القلة فيما فوقها مجازًا، لكن لا دليل على ما فوقها؛ إذ الآتي في الرأس واللحية معًا، والذي يظهر لي حمل ما أفاده شعرات على ظاهره، من أنها عشرة، أو أقل، ويؤيده ما عند أبي نعيم، عن عائشة: كان أكثر شيب رسول الله ﷺ في الرأس، **(وفي رواية له)** لمسلم، وفي نسخة **(عنده)**، أي مسلم من وجه آخر عن ابن سيرين، سألت أنسًا أخضب ﷺ،

لم ير من الشيب إلا قليلاً، وفي أخرى له أيضًا: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه ولم يخضب. وعنده أيضًا: لم يخضب عليه الصلاة والسلام إنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الرأس نبذ ـ بضم النون وفتح الباء الموحدة، وبفتح النون وإسكان الموحدة ـ أي شعرات متفرقة.

وفي رواية أخرى: ما شانه الله ببيضاء.

قال: إنه (**لم يرَ من الشيب إلاً قليلاً، وفي أخرى له أيضًا**،) عن ثابت، قال: سئل أنس عن خضاب النبي ﷺ، فقال: (**لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه**،) فعلت هكذا ثبت في مسلم جواب لو، وهو قوله فعلت، فحذفه المصنف اختصارًا، أو سقط من قلمه، أو نساخه ولم يره من، قال جوابها محذوف، لظهوره، أي: لعددتها لقلتها، (**ولم يخضب**،) قاله بحسب علمه، لما يأتي، (**وعنده**،) أي مسلم (**أيضًا**) عن قتادة عن أنس، (**لم يخضب عليه الصلاة والسلام إنما كان البياض في عنفقته**،) بفتح العين، ما بين الشفة السفلى، والذقن، سواء كان عليها شعر أم لا، فيقدر مضاف، أي: شعر، وقيل هي الشعر النابت تحت الشفة السفلى، فلا تقدير، (**وفي الصدغين**،) بضم الصاد، وإسكان الدال المهملتين، ومعجمة، ما بين الأذن، والعين، ويقال ذلك للشعر المتدلى من الرأس في ذلك المكان، كما في الفتح وغيره، قال المصنف: على الشمائل، والثاني، وهو المراد هنا، إذ هو من إطلاق المحل وإرادة الحال.

(**وفي الرأس نبذ، بضم النون، وفتح الباء الموحدة**،) وذال معجمة، نبذة، كغرف، وغرفة، (**وبفتح النون، وإسكان الموحدة**،) جمع نبذة، بفتح فسكون، كتمر وتمرة، (**أي شعرات متفرقة**،) وبرواية مسلم هذه جمع الحافظ بين رواية البخاري، عن عبد الله بن يسر كان في عنفقته شعرات بيض، وروايته عن قتادة: سألت أنسًا هل خضب النبي ﷺ؟، قال: لا إنما كان شيء في صدغيه، قال: وعرف من مجموع ذلك أن الذي شاب من عنفقته، أكثر مما شاب من غيرها، قال المصنف في شرح الشمائل: ولم يظهر لي وجه الجمع بما ذكر، وَروى أبو نعيم عن عائشة: كان أكثر شيب رسول الله ﷺ في الرأس في فودي رأسه، وكان أكثر شيبه في لحيته حول الذقن، وكان شيبه، كأنه خيوط الفضة، يتلألأ بين سواد الشعر، فإذا مسه بصفرة، وكان كثيرًا ما يفعل ذلك صار، كأنه خيوط الذهب.

(**وفي رواية أخرى**) عند مسلم أيضًا، من رواية أبي أياس عن أنس، أنه سئل عن شيب النبي ﷺ، قال: (**ما شانه الله ببيضاء**،) قال الحافظ: هذا محمول على أن تلك الشعرات البيض، لم يتغير بها شيء من حسنه ﷺ، وقد أنكر أحمد إنكار أنس أنه خضب، وذكر حديث ابن عمر أنه رآه يخضب، بالصفرة، وهو في الصحيح، ووافق مُلك أنسًا على إنكار الخضاب،

قال الشيخ عبد الجليل في شعب الإيمان، فيما حكاه عنه الفاكهاني: إنما كان كذلك لأن النساء يكرهن الشيب غالبًا، ومن كره من النبي ﷺ شيئًا كفر.

وقال في النهاية: قد تكرر في الحديث جعل الشيب هٰهنا عيبًا وليس بعيب، فإنه قد جاء في الحديث: أنه وقار وأنه نور، ....

وتأول ما ورد في ذلك اهـ.

(قال الشيخ عبد الجليل) القصري **(في شعب الإيمان، فيما حكاه عنه)** عمر بن علي بن سالم، بن صدقة اللخمي، الشهير بتاج الدين **(الفاكهاني،)** أبو حفص الإسكندري، الفقيه، المالكي، المتفنن في الحديث، والفقه، والأصول، والعربية، والأدب، والدين المتين، والصلاح الوافر، والتصانيف العظيمة، وحج مرارًا، ولد بالإسكندرية سنة أربع، أو ست وخمسين وستمائة، وبها مات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، **(إنما كان)** المصطفى **(كذلك،)** أي: قليل الشيب، **(لأن النساء يكرهن الشيب غالبًا،)** كما قيل:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقال:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

وقال:

لو رأى اللّه أن في الشيب خيرًا ... جاورته الأبرار في الخلد شيبا

(ومن كره من النبي ﷺ شيئًا كفر،) وهو كان كثير النساء، فرحمهن اللّه تعالى بغدم شيبه، ولأن فيه إزالة لبهجة الشباب ورونقه، وإلحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم عيبًا، لدلالته على الضعف، ومفارقة قوّة الشباب، والنشاط، **(وقال في النهاية: قد تكرر في الحديث جعل الشيب ههنا عيبًا)** في نحو قوله: ما شانه، **(وليس بعيب)** في نفس الأمر، **(فإنه قد جاء في الحديث أنه وقار، وأنه نور،)** أخرج أبو داود عن ابن عمر مرفوعًا، لا تنتفوا الشيب، لأنه نور الإسلام، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام، إلاَّ كانت له نورًا يوم القيامة، وروى الترمذي، والنسائي، عن كعب ابن مرة، مرفوعًا من شاب شيبة في الإسلام، كانت له نورًا يوم القيامة، زاد الحاكم في كتاب الكنى، عن أم سليم ما لم يغيرها، وأخرج البيهقي، عن ابن عمر مرفوعًا: الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلاَّ كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة، وروى ابن عساكر عن أنس مرفوعًا: الشيب نور من خلع الشيب، فقد خلع نور الإسلام، وللديلمي عن أنس رفعه: أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدًا، صارت رمحًا يوم القيامة يطعن به،

والشيب ممدوح، وذلك عجيب منه لاسيما في حق النبي ﷺ.

ويمكن أن يجمع بينهما: ووجه الجمع أنه ﷺ لما رأى أبا قحافة ورأسه كالثغامة، أمرهم بتغييره وكرهه، ولذلك قال: غيروا الشيب، فلما علم أنس ذلك من عادته قال: ما شانه الله ببيضاء بناء على هذا القول وحملاً له على هذا الرأي. ولم يسمع الحديث الآخر، ولعل أحدهما ناسخ للآخر انتهى.

وفي رواية أبي جحيفة عنده، قال رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء. ووضع الراوي بعض أصابعه على عنفقته.

وعند ابن سعد أن حجامًا أخذ من شاربه ﷺ، فرأى شيبة في لحيته، فأهوى إليها، فأمسك ﷺ بيده، وقال: من شاب شيبة في الإِسلام كانت له نورًا يوم القيامة.

(والشيب ممدوح) لهذه الأحاديث، وغيرها، **(وذلك)** أي: جعله عيبًا **(عجيب منه)** أي: من أنس رضي اللّه عنه، **(لا سيما في حق النبي ﷺ، ويمكن أن يجمع بينهما، ووجه الجمع أنه ﷺ لما رأى أبا قحافة،)** بضم القاف ومهملة وفاء عثمٰن والد الصديق، **(ورأسه كالثغامة،)** بمثلثة، ومعجمة، مفرد ثغام، كسحاب نبت يكون بالجبال غالبًا، إذا يبس، يشبه به الشيب، **(أمرهم بتغييره، وكرهه، ولذلك قال: «غيروا الشيب»، فلما علم أنس ذلك من عادته، قال: ما شانه اللّه ببيضاء بناءً على هذا القول، وحملاً له على هذا الرأي،)** وهو كراهة الشيب، وطلب تغييره، وتقدم عن الحافظ حمله على أنه لم يغير شيئًا من حسنه، وهو أحسن من هذا، **(ولم يسمع الحديث الآخر،)** أي جنسه المادح للشيب، وفي هذا النفي نظر، لأن أنسًا، قد روى بعد أحاديث مدحه، كما رأيت، **(ولعل أحدهما ناسخ للآخر ا هـ).**

كلام النهاية، وفي ترجيه شيء، إذ لا يثبت النسخ إلاَّ بمعرفة التاريخ، **(وفي رواية أبي جحيفة،)** بجيم، فحاء مهملة، ففاء مصغر، وهب بن عبد اللّه السوائي، بضم المهملة، وخفة الواو، والمد، والهمز، من بني سواء بن عامر بن صعصعة، الكوفي، ويقال: اسم أبيه وهب أيضًا، صحابي مشهور، بكنيته، وصحب عليًا، وكان يحبه، ويسميه وهب الخير، وجعله على بيت المال، وفي الفتح كان، يقال له أيضًا وهب اللّه، ووهب الخير، مات سنة أربع وسبعين، **(عنده،)** أي عند مسلم من طريق أبي خيثمة، وهو زهير بن حرب، عن أبي إسحٰق عن أبي جحيفة، **(قال: رأيت رسول اللّه ﷺ، وهذه منه بيضاء، ووضع الراوي،)** لفظ مسلم، ووضع زهير **(بعض أصابعه على عنفقته،)** وفي رواية الإِسمٰعيلي، عنه: رأيت النبي ﷺ شابت عنفقته، وفي البخاري عنه: رأيت النبي، ورأيت بياضًا تحت شفته السفلى، العنفقة.

وفي حديث أنس عند البيهقي: ما شانه الله بالشيب، ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء.

وعن أبي جحيفة كان أبيض قد شمط. رواه البخاري.

وفي الصحيحين: عن ابن عمر أنه رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة.

(**وفي حديث أنس عند البيهقي: ما شانه اللّه،**) أي عابه (**بالشيب،**) والشين ضد الزين، وبابه باع، كما في المختار: (**ما كان في رأسه ولحيته،**) أراد بها ما قابل الرأس، فيشمل العنفقة، والصدغين، فلا ينافي ما مر عنه عند مسلم، (**إلاَّ سبع عشرة، أو ثمانِ عشرة شعرة بيضاء،**) وعن أنس أيضًا: ما عددت في رأس رسول اللّه ﷺ ولحيته إلاَّ أربع عشرة شعره بيضاء، رواه الترمذي، وغيره، وجمع بينهما؛ بأن أخباره اختلف باختلاف الأزمان، وبأن هذا أخبار عن عده، وذاك أخبار عن الواقع، فهو لم يعد، إلاَّ أربع عشرة، وهو في الواقع سبعة عشر، أو ثمانية عشر، ورد بأن ما في الواقع، يتوقف على العد، فلا يصح الجمع، نعم لو وقع الظن، والتخمين موضع الواقع، لكان له وقع، وحصل به الجمع، ويجاب؛ بأن كونه الواقع من حيث ثبوته عند أنس من غير، لا بعده هو، فالجمع صحيح، وروى ابن أبي خيثمة، عن أبي بكر بن عياش، قلت لربيعة: جالست أنسًا؟، قال: نعم، وسمعته يقول شاب ﷺ عشرين شعرة هٰهنا، يعني العنفقة، والجمع بينهما ما مر عن الحافظ أن ما شاب من عنفقة، أكثر مما شاب في غيرها، كما دل عليه مجموع الروايات، قال: وقول أنس لما سأله قتادة: هل خضب إنما كان شيء في صدغيه، أراد أنه لم يكن في شعره ما يحتاج إلى الخضاب، كما صرح به في روايات مسلم السابقة.

(**وعن أبي جحيفة: كان أبيض، قد شمط،**) بفتح المعجمة، وكسر الميم، أي خالط البياض سواد شعره، فالرجل أشمط، والمرأة شمطاء، والاسم الشمط، بفتحتين، وفي اختصاصه بالرأس، وعمومه فيه، وفي اللحية قولان في اللغة، قال الحافظ: وقد بين في الرواية التي تلي هذه، أي: في البخاري عن أبي جحيفة: رأيت النبي ﷺ، ورأيت بياضًا من تحت شفته السفلى العنفقة، إن موضع الشمط كان في العنفقة، ويؤيده حديث عبد اللّه بن بسر المذكور بعده، ولمسلم عن أبي جحيفة: رأيت رسول اللّه ﷺ، وهذه منه بيضاء، وأشار إلى عنفقته ا هـ.

(**رواه البخاري**) في الصفة النبوية، (**وفي الصحيحين**) البخاري في الوضوء، واللباس، ومسلم في الحج، (**عن ابن عمر**) في حديث: (**أنه رأى النبي ﷺ يصبغ**).

قال الحافظ: بضم الموحدة، وحكي فتحها، وكسرها، (**بالصفرة**) ثيابه لما في أبي داود، كان يصبغ بالورس، والزعفران حتى عمامته، وقيل شعره، لما في السنن أيضًا، أنه كان يصفر

وعن ابن عمر: إنما كان شيبه ﷺ نحوًا من عشرين شعرة بيضاء، رواه الترمذي.

وروى أيضًا عن ابن عباس قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت ....

بهما لحيته، ورجح عياض الأول، وأجيب عن دليل الثاني، باحتمال أنه كان مما يتطيب به، لا أنه كان يصبغ بها، وذكر بعض أن الخضاب بالأصفر محبوب، لأنه مدح بقوله: تسر الناظرين، ونقل عن ابن عباس، من طلب حاجة بنعل اصفر قضيت لأن حاجة بني إسرائيل قضيت بجلد أصفر، فينبغي جعل النعل صفراء، **(وعن ابن عمر)** عبد اللّه، هكذا في نسخ، وهو الصواب الواقع في الترمذي، فما في نسخ من حذف ابن لا يعوّل عليه، **(إنما كان شيبه ﷺ نحوًا،)** أي قريبًا **(من عشرين شعرة بيضاء،)** بمعنى أنه لا يبلغ العشرين، فهو، كقول أنس سبع عشرة، أو ثمانِ عشرة، **(رواه الترمذي،)** ولا ينافيه قول أنس أيضاً: ما عددت في رأسه، ولحيته، إلاّ أربع عشرة، لأنها نحو العشرين، لكونها أكثر من نصفها، لكن توقف عصام فيه، بأنه لا دلالة لنحو الشيء على القرب منه، ووهموه، وأجاب عنه شيخنا؛ بأن مراده لا دلالة على القرب من الكمال جدًا، كتسعة عشر بالنسبة إلى العشرين، إذ نحو الشيء ما زاد على نصفه، فيصدق بأحد عشر، كما يصدق بما زاد عليها إلى تسعة عشر، وخصوص المراد من هذا لا دلالة عليه، ولا ينافيه أيضًا قول عبد اللّه بن بسر: كان في عنفقته شعرات بيض، رواه البخاري، وهو من أفراده، وثلاثياته، ومقتضاه أنه لا يزيد على عشر، لا يراده بصيغة جمع القلة، لأنه خص ذلك بعنفقته، فيحمل الزائد على ذلك في غيرها، كما أفاده الحافظ.

وروى الحاكم في المستدرك، من طريق عبد اللّه بن محمد، بن عقيل، عن أنس قال: لو عددت ما أقبل من شيبة في رأسه، ولحيته ما كنت أزيد على إحدى عشرة شيبة، وجمع العلامة البلقيني بين هذه الروايات؛ بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين، والرواية الثانية، إن ما دونها كان سبع عشرة، فتكون العشرة على عنفقته، والزائد عليها في بقية لحيته، لأنه قال في الثالثة: لم يكن في لحيته عشرون شعرة بيضاء، واللحية تشمل العنفقة، وغيرها، وتكون العشرة على العنفقة لحديث عبد اللّه بن بسر، والبقية بالأحاديث الأخر في بقية لحيته، وإشارة حميد إلى أن في عنفقته سبع عشرة، لا تفهم من نفس الحديث، وأما الرواية الرابعة، فلا تنافي كون العشرة على العنفقة، والواحد على غيرها، وهذا الموضع موضع تأمل ا هـ.

وكيف هذا مع قوله في الرابعة في رأسه، ولحيته؟، **(وروى)** الترمذي **(أيضًا،)** من طريق عكرمة، **(عن ابن عباس)** قال: **(قال أبو بكر)** الصديق: **(يا رسول اللّه، قد شبت،)** أي ظهر فيك

قال: شيبتي هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، إذا الشمس كورت.

وفي حديث جابر ....

أثر الشيب والضعف، مع أن مزاجك اعتدلت فيه الطبائع، واعتدالها يستلزم عدم الشيب، (**قال: «شيبتني هود»،**) روي بالصرف أي: سورة هود وبتركه على أنه علم على السورة، ولا ينافي ذلك حديث أنس أنه لم يبلغ الشيب، لأن مقصوده نفي احتياجه إلى الخضاب الذي سئل عنه، إذ الروايات الصحيحة صريحة في أن ظهور الشيب في رأسه، ولحيته لم يبلغ مبلغًا يحكم عليه بالشيب، (**والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت،**) زاد الطبراني والحاقة، وابن مردويه وهل أتاك حديث الغاشية، وابن سعد والقارعة، وسأل سائل، وفي رواية، واقتربت الساعة، وإسناد الشيب إلى السور، والمؤثر هو اللّه، إسناد إلى السبب، فهو مجاز عقلي، أو تنزيلاً للأسباب منزلة المؤثر، فالإسناد حقيقي، ولا ينافي أن التنزيل يقتضي التجوّز في المسند إليه، وروى ابن سعد أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أنا أكبر منك مولدًا، وأنت خير مني، وأفضل، فقال: شيبتني هود، وأخواتها، وما فعل بالأمم قبلي، ووجه تشييب هود، وأخواتها اشتمالها على بيان أحوال السعداء، والأشقياء، وأهوال القيامة، وما يتعسر، بل يتعذر مراعاته على غير النفوس القدسية، كالأمر بالاستقامة، كما أمر الذي لا يمكن لأمثالنا، وغير ذلك مما يوجب استيلاء سلطان الخوف، لا سيما على أمته لعظيم رأفته بهم ورحمته، ودوام الفكر فيما يصلحهم، وتتابع الغم فيما ينوبهم، أو يصدر عنهم، واشتغال قلبه، وبدنه، وخاطره فيما فعل بالأمم الماضيين، وذلك كله يستلزم ضعف الحرارة الغريزية، وبها يسرع الشيب، ويظهر قبل أوانه، لكن لما كان عنده ﷺ من شرح الصدر، وتزاحم أنوار اليقين على قلبه ما يسليه، لم يستولِ ذلك، إلاَّ على قدر يسير من شعره الشريف، ليكون فيه مظهر الجلال، والجمال، ويستبين أن جماله غالب على جلاله، ووجه تقديم هود إن كانت الواو، لا ترتب، إلاَّ أن تقديم الذكر لا يخلو عن حكمة، قوله تعالى: ﴿فاستقم، كما أمرت ومن تاب معك﴾، فأمرهم بأعلى المراتب، ولا يستطيعها إلاَّ النادر، ولذا لم يذكر «شورى»، لأنه المأمور فيها وحده، بخلاف «هود»، وقد علم أنهم، لا يقومون بهذا الأمر الخطر، كما يجب، فاهتم بحالهم، وملاحظة عاقبة أمرهم، أو أنه أوّل ما سمعه في «هود»، وقول بعضهم كان وجه تخصيص هذه الصورة بالذكر، مع أن في بعض السور غيرها ما يفي بها، وزيادة أنه ﷺ حال أخباره، بذلك لم يكن أنزل عليه مما يشتمل على ما مر غيرها فيه، أنه لبيس في القرءان الأمر بالاستقامة، هو ومن تاب معه، إلاَّ في «هود»، إلاَّ أن يكون مراده غيرها، فقد تسلم نكتته، (**وفي حديث جابر**) أي: ابن سمرة.

وكان الأولى زيادته، لأنه عند الإطلاق بن عبد اللّه، لكنه استغنى عن ذلك بإحالته على

عنده: لم يكن في رأسه ﷺ شيب إلا شعرات في مفرق رأسه إذا ادهن واراهن الدهن.

وفي رواية البيهقي: كان أسود اللحية حسن الشعر.

واختلف العلماء: هل خضب عليه الصلاة والسلام أم لا؟

قال القاضي عياض: منعه الأكثرون وهو مذهب مٰلك.

الترمذي، بقوله (**عنده**) إذ هو عنده عن سماك بن جرب، قال: قيل لجابر بن سمرة: أكان في رأس رسول الله ﷺ شيب؟، قال: (**لم يكن في رأسه ﷺ شيب؟**) أي: بياض شعر، أو شعر أبيض، (**إلاَّ شعرات**) قليلة معدودة، لا تزيد على عشر بدليل جمع القلة (**في مفرق**) بفتح الراء، وكسرها، (**رأسه**) أي مقدمة، لرواية مسلم، قد شمط مقدم رأسه، أو محل المفرق منه، وهو وسط الرأس، كما في الصحاح، (**إذا أدهن، وأراهن الدهن**) بالفتح والضم، أي سترهن، وغيبهن، وجعلهن مخفيات، بحيث لا ترى إلاَّ بدقة نظر لجمعة الشعر، والخلطة بالطيب، وقال القرطبي: المراد أنه كان إذا تطيب يكون فيه دهن، فيه صفرة تخفي شيبه، وهذا الحديث أخرجه مسلم، والنسائي، عن ابن سمرة، بنحوه، كما يأتي، (**وفي رواية البيهقي: كان أسود اللحية حسن الشعر**) أي: ليس بجعد، ولا قطط، (**واختلف العلماء**) في جواب قول السائل، (**هل خضب عليه الصلاة والسلام أم لا؟**) ومثاره اختلاف الرواية في ذلك، فأنكره أنس، وأثبته ابن عمر، كما مر، وأبو رمثة قال: أتيت النبي ﷺ بردان أخضران، وله شعر، قد علاه الشيب، وشيبه أحمر مخضوب بالحنا، رواه الحاكم، وأصحاب السنن، وسئل أبو هريرة هل خضب ﷺ؟، قال: نعم، رواه الترمذي، وغيره، وفي الباب غيرهم.

(**قال القاضي عياض: منعه الأكثرون، وهو مذهب مٰلك**) فوافق أنسًا على الإنكار، وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر، وأحاديث غيره إن صحت على أن تلونه من الطيب، لا من الصبغ، لما في البخاري، وغيره، قال ربيعة: فرأيت شعرًا من شعره ﷺ، فإذا هو أحمر، فسألت، فقيل: أحمر من الطيب، قال الحافظ: لم أعرف المسؤول المجيب بذلك، إلاَّ أن الحاكم، روى أن عمر بن عبد العزيز، قال لأنس: هل خضب النبي ﷺ؟، فإني رأيت شعراً من شعره، قد لون، فقال: إنما هذا الذي لون من الطيب، الذي كان يطيب به شعره، فهو الذي غير لونه، فيحتمل أن يكون ربيع سأل أنسًا، عن ذلك، فأجابه، ووقع في رجال مٰلك للدارقطني، والغرائب له، عن أبي هريرة قال: لما مات رسول الله ﷺ، خضب من كان عنده شيء من شعره، ليكون أبقى لها، فإن ثبت هذا استقام إنكار أنس، ويقبل ما أثبته سواه التأويل، انتهى.

وقال النووي: المختار أنه صبغ في وقت وترك في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق، قال: وهذا التأويل كالمتعين، لحديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويل له. وأما اختلاف الرواية في قدر شيبه فالجمع بينهما أنه رأي شيبًا يسيرًا، فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه أراد أنه لم يكثر فيه، كما قال في الرواية الأخرى: لم ير الشيب إلا قليلاً، انتهى.

وعن جابر بن سمرة قال: كان ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته، ....

(**وقال النووي: المختار أنه صبغ**) شعره حقيقة، لأن التأويل خلاف الأصل (**في وقت، و تركَ في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى، وهو صادق،**) وغاية ما يفيده هذا عدم الحرمة، لأنه يفعل المكروه في حق غيره لبيان الجواز، فلا يصح استدلال الشافعية به على قولهم الخضاب، بغير سواد سنة، فيحمل حديث من أثبت الخضاب، على أنه فعله لإرادة بيان الجواز، ولم يواظب عليه، ويحمل نفي أنس على غلبة الشيب، حتى يحتاج إلى خضابه، ولم يتفق أنه رآه، وهو يخضب، كما في الفتح وما رواه الترمذي، عن أنس: رأيت شعر رسول اللّه ﷺ مخضوبًا، فقد حكم الحفاظ، بأنه شاذ، وبينو أوجه الشذوذ، فلا يقاوم ما في الصحيحين عنه من طرق كثيرة، أنه لم يخضب، وعلى تقدير الصحة، جمع بأن الشعر لما تغير بكثرة الطيب، سماه مخضوبًا، وبأنه أراد بالنفي أكثر أحواله، وبالإثبات إن صح عنه أقلها، (**قال: وهذا التأويل، كالمتعين لحديث ابن عمر في الصحيحين،**) السابق قريبًا أنه رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة، (**ولا يمكن تركه**) لصحته، (**ولا تأويل له،**) فيه نظر إذ هو في نفسه محتمل للثياب، والشعر، ثم قد ورد ما يعين الأول، وهو ما في سنن أبي داود، عن ابن عمر نفسه، كان يصبغ ﷺ بالورس، والزعفران حتى عمامته، ولذا رجحه عياض.

(**وأما اختلاف الرواية في قدر شيبه**) المناسب لجمعه، أن يقول في أصل شيبه، أي إثباته، ونفيه، أما لفظ قدر، فيقتضي الاتفاق على وجوده، والأمر بخلافه، إلاَّ أن يقال لفظ قدر ينتهي إلى العدم، (**فالجمع بينهما**) أي بين رواية الشيب وعدمه، وإن اشتمل على عدة أحاديث، (**أنه،**) أي جنس الراوي، (**رأى شيبًا**) أي بياضًا (**يسيرًا، فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير، ومن نفاه،**) أي الشيب (**أراد أنه لم يكثر فيه، كما قال في الرواية الأخرى: لم يرَ من الشيب، إلاَّ قليلاً، انتهى**) كلام النووي، (**وعن جابر بن سمرة،**) وقد سئل عن شيبه ﷺ، (**فقال: كان ﷺ، قد شمط،**) بفتح المعجمة، وكسر الميم،(**مقدم رأسه، ولحيته،**) بالجر، أي، ومقدم لحيته، أي: خالط سوادهما بياض، وإطلاق الشمط على بياض اللحية حقيقي، كما في المغرب عن الليث،

وكان إذا ادهن لم يتبين، فإذا شعث رأسه تبين وكان كثير شعر اللحية. رواه مسلم والنسائي.

وعن أنس كان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته. رواه البغوي في شرح السنة.

وجزم به الشامي، مجاز على ما في الصحاح، والقاموس من تخصيصه بالرأس، **(وكان إذا ادهن لم يتبين)** شيبه، لالتباس البياض ببريق الشعر من الدهن، وفي رواية الترمذي، كان إذا دهن رأسه لم يرَ منه شيب، وإذا لم يدهن رىء منه، قال المصنف: كذا وقع في أصل سماعنا دهن من الثلاثي المجرد، وكذا لم يدهن، وفي رواية أدهن من باب الافتعال، وكذا لم يدهن، وعلى التقديرين يكون رأسه مفعولاً، لكن في المغرب دهن رأسه، وشاربه، إذا طلاه بالدهن، وادهن على افتعل إذا تولى ذلك بنفسه، من غير ذلك المفعول، **(فإذا شعث رأسه)** بعدم الإِدهان **(تبين)** شيبه، لتفرق شعره، فيصير شيبه مرئيًا.

(وكان كثير شعر اللحية، رواه مسلم، والنسائي،) وهو صريح في قلة شيبه أيضًا، كغيره من الأحاديث، **(وعن أنس)** قال: **(كان ﷺ يكثر دهن رأسه،)** بفتح الدال، مصدر بمعنى استعمال الدهن، بالضم، وهو ما يدهن به، من زيت وغيره، وجمعه دهان، بالكسر، وأدهن على افتعل تطلى بالدهن، كما في المصباح، كغيره، **(وتسريح لحيته،)** عطف على دهن، لا على رأسه، كما وهم، **(رواه البغوي في شرح السنة،)** وأبعد المصنف النجعة، فقد رواه الترمذي، في جامع، وشمائله من طريق الربيع بن صبيح، عن يزيد بن أبان هو الرقاشي، عن أنس به بزيادة، ويكثر القناع، حتى كان ثوبه ثوب زيات، ومعناه، أنه كان يكثر دهن رأسه، ويتقنع، فكأن الموضع الذي يصيبه رأسه من ثوبه ثوب زيات.

قال الحافظ: الشمس بن الجزري، الربيع بن صبيح، له مناكير، منها هذا الخبر، فإنه ﷺ كان أنظف الناس ثوبًا، وأحسنهم هيئة، وقد قال: أصلحوا ثيابكم حتى تكونوا، كالشامة في الناس، وأنكر على من رآه وسخ الثوب، وقال: أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه انتهى.

وتعقب بأن الربيع لم ينفرد به، بل تابعه عمر بن حفص العبدي، عن يزيد، عن أن، كان النبي ﷺ يكثر التقنع بثوبه حتى، كأن ثوبه ثوب زيات، أو دهان، أخرجه ابن سعد، وإصابة الدهن لحاشية ثوبه، إنما كان أحيانًا، وإذا وقع غسله، وذلك لا ينافي كونه أنظف الناس ثوبًا.

وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي هذا الحديث إسناده ضعيف، لكن له شواهد منهم في الخلعيات عن سهل بن سعد، كان ﷺ يكثر دهن رأسه، وتسريح لحيته بالماء، ومنها في

قد وصفه عليه الصلاة والسلام ابن أبي هالة بأنه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر.

سنن البيهقي، عن أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه، ومشطه، وكان يكثر تسريح لحيته وإسناد، ضعيف، وإكثاره ذلك إنما كان في وقت دون وقت لنهيه عن الإِدهان، إلاَّ غبا في عدة أحاديث، (**وقد وصفه عليه الصلاة والسلام ابن أبي هالة؛ بأنه كان موصول ما بين اللبة**) بفتح اللام، والموحدة الثقيلة، وهي المنحر، أو النقرة التي فوق الصدر، أو موضع القلادة منه، وقال ابن قتيبة: هي التطامن الذي فوق الصدر، وأسفل الحلق بين الترقوتين، وفيها تنحر الإِبل، والقول بأنها الفقرة التي في الحلق غلط، (**والسرة**) بضم المهملة: ما بقي بعد القطع، والمقطوع سر بلا تاء.

قال الجوهري: تقول عرفت ذلك قبل أن يقطع سرك، ولا تقل سرتك، لأن السرة لا تقطع، وإنما هي الموضع الذي قطع منه السر، بالضم، وما موصول، وموصول مضاف، لما بعده إضافة الصفة لمعمولها، والمعنى وصل الذي بين لبته، وسرته (**بشعر**) متعلق بموصول، (**يجري**) يمتد شبه بجريان الماء، وهو امتداده في سيلانه، (**كالخط**) واحد الخطوط، وهو الطريقة المستقيمة في الشيء، والخط الطريق، وغالبه الاستقامة، والاستواء، فشبه بالاستواء، وفي الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين، أو ما وجد فيه ثلاث نقط على سمت واحد، وأقصر خط وصل بين نقطتين، فكأنه جعل اللبة نقطة، والسرة نقطة، والشعر الرقيق بينهما خطًا لاتصاله، والأول أعرف، وأشهر، وروي: كالخيط والأول أبلغ في التشبيه، وهذا معنى دقيق المسرية المتقدم في وصف هند، (**عاري الثديين**) بفتح أوله، ويضم، بقلة أي: لم يكن علهيما شعر، وفي رواية الثندوتين، بمثلثة ونون، وهما بمعنى قال ابن الأثير: هما للرجل، كالثديين للمرأة، فمن ضم الثاء همز، ومن فتحها لم يهمز انتهى. وقيل لم يكن عليهما لحم ناتيء عن البدن، لما يأتي أنه أشعر أعالي الصدر، وفيه نظر، لأنه لم يذكر فيه أن على ثدييه شعرًا، وأيضًا هو خلاف الظاهر المتبادر، قال المصنف: وأيضًا يتعطل قوله والبطن، (**مما سوى ذلك**).

وفي رواية ما سوى ذلك أي: ليس فيهما شعر، غيره، فهو قيد للثديين، والبطن، إلاَّ أنه بالنسبة لها للاحتراز، وللثديين ليس للتحرز عن الخط، بل لأنه لو كان لكان سواه، ورواية مما، بميمين، أقرب، وأنسب، وما موصولة، وفي رواية ما سوى ذين، وهي أيضًا أظهر (**أشعر**) أي: كثير شعر (**الذراعين، والمنكبين، وأعالي**) جمع أعلى (**الصدر**) أي: كان على هذه الثلاثة

وعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. رواه مسلم. وستأتي إن شاء الله تعالى قصة حلق رأسه الشريف في حجة الوداع.

ولم يرو أنه عليه الصلاة والسلام حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة فيما علمته، فتبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته.

وقد رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثمانمائة شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي، شاع وذاع أنها من شعره ﷺ، زرتها صحبة المقام المقري خليل العباسي وإلى الله إحسانه عليه.

وعن محمد بن سيرين ....

شعر غزير هذا من تتمة الصفتين المارتين، وأشعر ضد أجرد، وهو أفعل صفة، لا أفعل تفضيل، **(وعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ)** في حجة الوداع، **(والحلاق)** معمر بن عبد الله، كما ذكره البخاري، وقيل خراش بن أمية، بمعجمتين، والصحيح الأول، فإن خراشاً كان الحلاق بالحديبية، **(يحلقه،)** بكسر اللام، **(وأطاف به أصحابه:)** داروا حواله، **(فما يريدون أن تقع شعرة، إلاّ في يد رجل،)** تيمنًا وتبركًا **(رواه مسلم،)** وفي الصحيحين عن أنس أنه ﷺ، لما حلق رأسه، كان أبو طلحة أوَّل من أخذ من شعره، **(وستأتي إن شاء الله تعالى قصة حلق رأسه الشريف في حجة الوداع،)** من المقصد التاسع، **(ولم يرو أنه عليه الصلاة والسلام حلق رأسه الشريف، في غير نسك حج، أو عمرة،)** يدل من نسك، **(فيما علمته،)** وبه جزم ابن القيم، فقال: لم يحلق رأسه، إلاّ أربع مرات، وقال العراقي في سيرته:

يحلق رأسه لأجل النسك وربما قصره في نسك
وقد رووا لا توضع النواصي إلاّ لأجل النسك المحاصي

(فتبقية الشعر في الرأس سنّة، ومنكرها مع علمه يجب تأديبه، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته،) ولفقهائنا كلام طويل في ذلك، **(وقد رأيت بمكة المشرفة، في ذي القعدة، سنة سبع وتسعين وثمانمائة شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي، شاع، وذاع أنها من شعره ﷺ زرتها، صحبة المقام المقري خليل العباسي، وإلى الله إحسانه عليه،)** وذكر هذا، كسابقه، وإن لم يكن من شمائله، لبيان تبرك الناس قديمًا، وحديثًا بأثاره، فله مناسبة ما في شمائله، وكذا قوله: **(وعن محمد بن سيرين)** الأنصاري مولاهم البصري، ثقة، ثبت، تابعي، عابد كبير القدر،

قال: قلت لعبيدة، عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها رواه البخاري.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنه ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها. ....

كان لا يرى الرواية بالمعنى، مات سنة عشر ومائة، **(قال: قلت لعبيدة،)** بفتح العين، وكسر الموحدة، آخره هاء، ابن عمرو بن قيس السلماني، بفتح، فسكون، ويقال: بفتحتين، المرادي أبي عمرو الكوفي، التابعي، الكبير المخضرم، الثبت، الفقيه، أسلم قبل وفاة المصطفى ولم يره، ومات سنة اثنتين وسبعين أو بعدها، والصحيح أنه مات قبل سنة سبعين، **(عندنا)** شيء **(من شعر النبي ﷺ أصبناه)** أي حصل لنا **(من قبل،)** بكسر القاف، وفتح الموحدة، أي: من جهة **(أنس، أو من قبل أهل أنس)** بن ملك، ووجه حصوله لمحمد أن سيرين والده، كان مولى أنس، وأنس ربيب أبي طلحة، وكان أوّل من أخذ من شعره، كما في الصحيح **(فقال)** عبيدة: **(لأن تكون عندي شعرة)** واحدة **(منه، أحب إلي من الدنيا، وما فيها)** من متاعها، وللإسمٰعيلي أحب إلي من كل صفراء، وبيضاء، ولام، لأن لام ابتداء للتأكيد، وأن مصدريه، أي: كون شعرة، وأحب خبر، فتكون ناقصة، ويحتمل أنها تامة **(رواه البخاري،)** في كتاب الوضوء.

(وعن عمرو بن شعيب،) ابن محمد بن عبد اللّٰه، بن عمرو بن العاصي، **(عن أبيه)** شعيب، **(عن جده،)** أي شعيب، وهو عبد اللّٰه الصحابي، **(أنه ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها)** بالسوية، كما في الرواية، لتقرب من التدوير من جميع الجوانب، لأن الاعتدال محبوب، والطول المفرط، قد يشوّه الخلق، ويطلق ألسنة المغتابين، ففعل ذلك مندوب، ما لم ينته تقصيص اللحية، وجعلها طاقات فيكره، وكان بعض السلف يقبض على لحيته، فيأخذ ما تحت القبضة، وقال النخعي: عجبت لعاقل كيف، لا يأخذ من لحيته، فيجعلها بين لحيتين، فإن التوسط في كل شيء حسن، ولذا قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل، ففعل ذلك، إذا لم يقصد الزينة، والتحسين لنحو النساء سنة، كما عليه جمع منهم عياض وغيره، واختار النووي، كونها بحالها مطلقًا، ثم لا ينافي في فعله ﷺ، قوله: «اعفوا اللحى»، لأنه في الأخذ منها لغير حاجة، أو لنحو تزين، وهذا فيما احتيج إليه لتشعث، أو إفراط، طول يتأذى به، وقال الطيبي المنهي عنه: قصها، كالأعاجم، أو وصلها كذنب الحمار، وقال الحافظ: المنهي عنه الاستئصال، أو ما قاربه بخلاف الأخذ المذكور.

لطيفة، قال الحسن بن المثني: إذا رأيت رجلاً له لحية طويلة، ولم يتخذ لحية بين

رواه الترمذي وقال: حديث غريب.

وأخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال: كان النبي ﷺ يقص شاربه.

وعنده من حديث زيد بن أرقم قال: قال النبي ﷺ من لم يأخذ من شاربه فليس منا.

وفي الصحيحين: حديث خالفوا المشركين وفروا ....

لحيتين، كان في عقله شيء، وجلس المأمون مع أصحابه مشرفًا على دجلة، فقال المأمون: ما طالت لحية إنسان قط،إلاَّ ونقص من عقله بقدر ما طال منها، وما رأيت عاقلاً قط طويل اللحية، فقال بعض الجلساء: ولا يرد على أمير المؤمنين، أنه قد يكون في طولها عقل، فأقبل رجل كبير اللحية، حسن الهيئة، فأخر الثياب، فقال المأمون: ما تقولون فيه؟ فقال بعضهم: يجب كونه قاضيًا، فأمر بإحضاره، فوقف، فسلم، فأجاد، فأجلسه المأمون، واستنطقه، فأحسن، فقال المأمون: ما اسمك؟ فقال: أبو حمدويه، والكنية علوية، فضحك المأمون، وغمز جلساءه، ثم قال: ما صنعتك؟، قال: فقيه أجيد المسائل، قال: ما تقول فيمن اشترى شاة، فلما تسلمها خرج من إستها بعرة، ففقأت عين رجل، فعلى من الدية؟، قال: على البائع دون المشتري، لأنه لما باغها لم يشترط أن في إستها منجنيقًا، فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه، وأنشد:

ما أحد طالت له لحية ... فزادت اللحية في هيئته
إلاَّ وما ينقص من عقله ... أكثر مما زادني لحيته

(رواه الترمذي) في الاستئذان، **(وقال: حديث غريب)** وفيه عمرو بن هارون البلخي، قال الذهبي: ضعفوه، **(وأخرج الترمذي)**.

(عن ابن عباس، وحسنه) الترمذي. **(قال)** ابن عباس: **(كان النبي ﷺ يقص شاربه)** في أي وقت احتاج إليه، من غير تقييد بيوم، كما أفاده هذا الحديث الحسن، وحديث التقييد بالجمعة ضعيف، كما يأتي **(وعنده)** أي: الترمذي أيضاً في الاستئذان، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الطهارة، والإمام أحمد **(من حديث زيد بن أرقم، قال: قال النبي ﷺ: «من لم يأخذ من شاربه»)** ما طال حتى تبين الشفة بيانًا ظاهرًا، **(«فليس منا»)** أي: ليس على طريقتنا الإسلامية لندب ذلك مؤكدًا، فتاركه متهاون بالسنة، هذا مذهب الجمهور، وأخذ جمع بظاهره، فأوجبوا قصه.

وروى أحمد عن رجل من الصحابة رفعه، من لم يحلق عانته، ويقلم أظفاره، ويجز شاربه، فليس منا، وحسنه بعض الحفاظ لشواهده، فلا يخالف قوله العراقي، هذا لا يثبت، وفيه ابن لهيعة، **(وفي الصحيحين)** على ابن عمر، **(حديث خالفوا المشركين)** في زيهم **(وفروا)** بشد

اللحى وأحفوا الشوارب.

واختلف في قص الشارب وحلقه أيهما أفضل: ففي الموطأ يؤخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة، وعن ابن عبد الحكم عن مٰلك قال: ويحفي الشارب ويعفي اللحى، وليس إحفاء الشارب حلقه، وأرى تأديب من حلق شاربه.

وعن أشهب أن حلقه بدعة قال: وأرى أن يوجع ضربًا من فعله.

وقال النووي: المختار في قص الشارب أنه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله.

الفاء، من التوفير (**اللحى،**) أي: اتركوها وافرة، لتكثر وتغزر، ولا تتعرضوا لها، وفي رواية أوفوا اللحى، أي اتركوها وافية، وأخرى أرجؤا بالجيم والهمز، أي أخروا، وأخرى بالخاء المعجمة بلا همز، أي: أطيلوا.

قال النووي: وكل هذه الروايات بمعنى واحد، واللحى، بكسر اللام، وحكى ضمها، وبالقصر المد جمع لحية بالكسر فقط، اسم لما ينبت على الخدين والذقن، (**«واحفوا الشوارب»،**) قال النووي: بقطع الهمزة ووصلها من أحفاه وحفاه استأصله، وقال الزركشي: بألف قطع رباعي أشهر وأكثر، وهو المبالغة في استقصائه، ومنه أحفى في المسألة إذا أكثر، وقال القاضي عياض من الأحفاء، وأصله الاستقصاء في أخذ الشارب، في معناه أنهكوا الشوارب في الرواية الأخرى؛ والمراد بالغوا في قص ما طال منها حتى تبين الشفة، بيانًا ظاهرًا استحبابًا، وقيل وجوباً، (**واختلف في قص الشارب وحلقه أيهما أفضل،**) قال عياض: ذهب كثير من السلف إلى استيعاب الشارب وحلقه، لظاهر قوله ﷺ: «أحفوا وانهكوا»، وهو قول الكوفيين، وذهب كثير منهم إلى منع الحلق، قاله مٰلك، (**ففي الموطأ يؤخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة،**) أي يظهر ظهورًا واضحًا.

(**وعن ابن عبد الحكم عن مٰلك، قال: ويحفي الشارب، ويعفي اللحى وليس إحفاء الشارب حلقه،**) بل أخذ ما طال عن الشفة بقص ونحوه، بحيث لا يؤذى إلاَّ آكل، ولا يجتمع فيه الوسخ، قال القرطبي: (**وأرى تأديب من حلق شاربه**) لما فيه من التشبيه بالمجوس، (**وعن أشهب،**) عن مٰلك، كما في التمهيد، (**إن حلقه بدعة**) لذلك. (**قال: وأرى أن يوجع ضربًا من فعله**) نائب فاعل يوجع، (**وقال النووي: المختار في قص الشارب، أنه يقصه حتى يبدو**) يظهر (**طرف الشفة؛ ولا يحفه من أصله،**) قال أعني النووي، وأما رواية أحفوا، فمعناه أزيلوا ما طال على الشفتين، قال ابن دقيق العيد: لا أدري هل نقله عن مذهب الشافعي، أو قاله اختيارًا منه

وقال الطحاوي: لم نجد عن الشافعي شيئًا منصوصًا في هذا، وكان المزني والربيع يحفيان شاربهما.

وأما أبو حنيفة وصاحباه فمذهبهم في شعر الرأس والشارب إن الإحفاء أفضل من التقصير.

وأما أحمد، فقال الأثرم رأيته يحفي شاربه شديدًا.

لمذهب مٰلك ا هـ.

لكن سبق النووي الغزالي، فقال في معنى الحديث، أي اجعلوها حفاف الشفة، أي حولها، وحفاف الشيء حوله ومنه، وترى الملائكة حافين من حول العرش، (**وقال الطحاوي: لم نجد عن الشافعي شيئًا منصوصًا في هذا، وكان**) أصحابه الذين رأيناهم، منهم (**المزني خال**) الطحاوي، (**والربيع يحفيان شاربهما؛**) قال: وما أظنهم أخذوا ذلك إلاَّ عنه، (**وأما أبو حنيفة وصاحباه،**) لفظ الطحاوي وأصحابه، (**فمذهبهم في شعر الرأس والشارب، إن الإحفاء،**) أي الإزالة بالكلية (**أفضل من التقصير،**) قال: أعني الطحاوي، وخالف مٰلك، (**وأما أحمد، فقال الأثرم،**) بمثلثة، أبو بكر، أحمد بن محمد، بن هانيء البغدادي، الفقيه، الحافظ، الثقة، المصنف، روى عنه النسائي، ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين، (**رأيته يحفي شاربه شديدًا،**) ونص على أنه أولى من القص، قال في فتح الباري: وذهب ابن جرير إلى التخيير، فإنه لما حكي قول مٰلك وقول الكوفيين، ونقل عن أهل اللغة؛ أن الأحفاء الاستئصال، قال: دلّت السنة على الأمرين، ولا تعارض، فالقص يدل على أخذ البعض، والأحفاء يدل على أخذ الكلي، فكلاهما ثابت، فيخير فيما شاء.

قال الحافظ: فيؤخذ من قول الطبري: ثبوت الأمرين معًا في الأحاديث، فأما الاقتصار على القص، ففي حديث المغيرة: ضفت النبي ﷺ، وكان شاربي، وفي فقصه على سواك، رواه أبو داود، رواه البيهقي بلفظ، فوضع السواك تحت الشارب، وقص عليه، وأخرج البزار عن عائشة: أن النبي ﷺ أبصر رجلاً، وشاربه طويل، فقال: ائتوني بمقص وسواك، فجعل السواك على طرفه، ثم أخذ ما جاوزه، والبيهقي، والطبراني، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني، رأيت خمسة من الصحابة يقصون شواربهم، أبو أمامة الباهلي، والمقدام بن معد يكرب، وعتبة بن عون السلمي، والحجاج بن عامر الثمالي، وعبد اللّٰه بن بسر، وأما الأحفاء، فأخرج الطبراني، والبيهقي، عن عبد اللّٰه بن أبي رافع، رأيت أبا سعيد الخدري، وجابر بن عبد اللّٰه؛ وابن عمرو، ورافع بن خديج، وأبا سيد الأنصاري، وسلمة بن الأكوع؛ وأبا رافع، ينهكون شواربهم، كالحلق، وأخرج الطبراني عن عروة وسالم والقٰسم وأبا سلمة أنهم كانوا يحلقون شواربهم، انتهى.

واختلف في كيفية قص الشارب، هل يقص طرفاه أيضًا، وهما المسميان بالسبالين أم يترك السبالان كما يفعله كثير من الناس؟

قال الغزالي في الإحياء: لا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب. فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره، لأن ذلك لا يستر الفم ولا تبقى فيه غمرة الطعام إذ لا يصل إليه. انتهى.

وروى أبو داود عن جابر: كنا نحفي السبال إلا في حجة أو عمرة.

وكره بعضهم إبقاءه لما فيه من الشبه، بالأعاجم بل بالمجوس وأهل الكتاب، وهو أولى بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال: ذكر لرسول الله ﷺ المجوس فقال: إنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم، فكان يجز سباله كما تجز الشاة أو البعير.

(**واختلف في كيفية قص الشارب، هل يقص طرفاه أيضًا، وهما المسميان بالسبالين، أم يترك السبالان، كما يفعله كثير من الناس؟**) فقيل: بجواز إبقائهما، وقيل: بكراهته، (**قال الغزالي في الإحياء: لا بأس بترك سباليه، وهما طرفا الشارب،**) أي المراد بهما هنا ذلك، وإن كان أحد أقوال، حكاها المجد، فقال: السبلة محركة الدائرة في وسط الشفة العليا، أو ما على الشارب من الشعر، أو طرفه، أو مجتمع الشاربين، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية، كلها أو مقدمها، خاصة جمعه سبال، انتهى.

(**فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره، لأن ذلك لا يستر الفم، ولا تبقى فيه غمرة**)، زهومة (**الطعام إذ لا يصل إليه انتهى**).

(**وروى أبو داود عن جابر: كنا نحفي**)، نزيل (**السبال**)، فهو، بحاء مهملة، وفي نسخة نعفي، بعين مهملة، وهي تصحيف، لأن الإعفاء بالعين: الإبقاء، فلا يصح الاستثناء بقوله: (**إلاَّ في حجة أو عمرة**)، لوجوب ترك إزالة الشعر، (و) لذا (**كره بعضهم إبقاءه، لما فيه من الشبه بالأعاجم،**) وقد قال عمر: إياكم وزي الأعاجم، وقال مُلك: أميتوا سنة العجم، وأحيوا سنة العرب، (**بل بالمجوس وأهل الكتاب، وهو أولى بالصواب،**) وفعل عمر إن صح، لعله لم يبلغه النهي، (**لما رواه ابن حبان في صحيحه،**) والطبراني، والبيهقي (**من حديث**) ميمون بن مهران، عن (**ابن عمر، قال: ذكر لرسول الله ﷺ المجوس، فقال: إنهم يوفرون**) من التوفير، وهو الترك، أي يتركون (**سبالهم،**) بلا إزالة، (**ويحلقون لحاهم، فخالفوهم،**) قال ميمون ابن مهران: (**فكان**) ابن عمر (**يجز،**) بضم الجيم، وزاي (**سباله، كما تجز الشاة أو البعير،**) مبالغة في إزالته، امتثالاً

وروى أحمد في مسنده في أثناء حديث لأبي أمامة. فقلنا يا رسول الله، فإن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال: قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب، والعثانين ـ بالعين المهملة والثاء المثلثة وتكرار النون ـ جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الأسانيد.

وأما العانة ففي حديث أنس أن النبي ﷺ كان لا يتنور، ولكن سنده ضعيف. وروى ابن ماجه والبيهقي، ورجاله ثقات، ولكن أعل بالإرسال. وأنكر أحمد صحته من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا طلى بدأ بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده ....

لأمره ﷺ.

(**وروى أحمد في مسنده في أثناء حديث لأبي أمامة**) صدى بن عجلان الباهلي، (**فقلنا: يا رسول الله، فإن أهل الكتاب يقصون عثانينهم، ويوفرون سبالهم، فقال: قصوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**) النصارى، واليهود، (**والعثانين، بالعين المهملة**) المفتوحة، (**والثاء المثلثة، وتكرار النون،**) أي بنونين، بينهما تحتية، (**جمع عثنون،**) بضم العين، (**وهو اللحية، قاله في شرح تقريب الأسانيد،**) وفي القاموس العثنون اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين، ونبت على الذقن، وتحته سفلاً أو هو طولها، الجمع عثانين، انتهى.

(**وأما العانة،**) أي: عانته ﷺ أي ماكان يفعله فيها، فقيل: كان يحلقها، وقيل: يزيلها بالنورة، فهي اسم للشعر النابت فوق ذكر الرجل وفرج المرأة، وهو قول ابن الأعرابي؛ ويعقوب بن السكيت، وقال الأزهري: وجماعة هي منبت الشعر على الفرجين، لا الشعر نفسه، واسمه الإِسب، بكسر الهمزة، وسكون المهملة، وقال الجوهري: هي شعر الركب، (**ففي حديث أنس: أن النبي ﷺ كان لا يتنور،**) أي لا يطلي بالنورة، بضم النون حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس، من زرنيخ وغيره، وتستعمل لإِزالة الشعر، وتنور: أطلي بالنورة، ونورته طليته بها، قيل عربية، وقيل معربة، قال الشاعر:

فابعث عليهم سنة قاشوره تحتلق المال كحلق النورة

ذكره المصباح، (**ولكن سنده ضعيف،**) كما جزم به غير واحد وتتمته، وكان إذا كثر شعره حلقه، (**وروى ابن ماجه، والبيهقي، ورجاله ثقات، ولكن أعل بالإِرسال،**) أي الانقطاع، (**وأنكر أحمد صحته من حديث أم سلمة، أن النبي ﷺ كان إذا طلى بدأ بعانته،**) أي: بطليها، وبين ما كان يصلي به فقال: (**فطلاها بالنورة**)، إذ الطلاء كل ما يطل به، (و) طلي (**سائر**)، أي: باقي (**جسده**) من كل ما فيه شعر يحتاج لإِزالته، فشمل الذراعين، ولا ينافيه قول هند: أشعر الذراعين،

أهله.

وأما الحديث الذي يروى أن النبي ﷺ دخل حمام الجحفة، فموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن كثير، بل لم يتعرف العرب الحمام ببلادهم إلا بعد موته عليه الصلاة والسلام.

وأخرج البيهقي من مرسل أبي جعفر الباقر قال: كان رسول الله ﷺ يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة.

لأن معناه أن شعرهما يكثر ويطول، فيزيله بالنورة (**أهله**) نساؤه، بالرفع فاعل، وروى الخرائطي عن أم سلمة، أن النبي ﷺ كان ينوره الرجل، فإذا بلغ مراقه تولى هو ذلك.

قال ابن القيم: ورد في النورة أحاديث، هذا أمثلها وقال السيوطي: هو مثبت وأجود إسناداً من حديث النفي، فيقدم عليه، واستعمالها مباح لا مكروه، إلاَّ أنه يتوقف في كونه سنة، لاحتياجه إلى ثبوت الأمر به، كحلق العانة ونتف الإبط، وفعله وإن دل على السنية، فقد يقال هذا من الأمور العادية، التي لا يدل فعله لها على سنية، وقد يقال: إنما فعله بيانًا للجواز، ككل مباح، وقد يقال: إنها سنة، ومحله كله ما لم يقصد اتباع النبي ﷺ في فعله، وإلاَّ فهو مأجور، آتٍ بالسنّة انتهى.

(**وأما الحديث الذي يروى أن النبي ﷺ دخل حمام الجحفة**) وتنور فيه، وهي بالضم، ميقات أهل الشام، وكانت قرية جامعة، على اثنين وثمانين ميلاً من مكة، كما في القاموس، (**فموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، كما قاله الحافظ ابن كثير: بل لم تعرف العرب الحمام ببلادهم، إلاَّ بعد موته عليه الصلاة والسلام،**) وما ذكره الديلمي، بلا سند عن ابن عمر، أنه ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «طاب حمامكما»، فمحمول إن صح على الماء المسخن خاصة من عين ونحوها، وكذا كل ما جاء فيه ذكر الحمام، قاله السخاوي: وأورد عليه ما رواه الخرائطي، ويعقوب بن سفيٰن في تاريخه، وابن عساكر، عن محمد بن زياد الإلهاني، قال: كان ثوبان جارًا لي، وكان يدخل الحمام فقلت: وأنت صاحب رسول اللّه تدخل الحمام؟، فقال: كان ﷺ يدخل الحمام فهذا يمتنع تأويله بما قال: إذ لا ينكر محمد بن زياد استعمال المسخن على ثوبان، ولكن إسناده ضعيف جدًا، (**وأخرج البيهقي من مرسل أبي جعفر**) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (**الباقر**) صفة لأبي لقب به، لأنه بقر العلم، أي شقه، فعرف أصله وخفية، (**قال: كان رسول اللّه ﷺ يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة،**) قبل الرواح إلى الصلاة، كما في خبر أبي هريرة.

وله شاهد موصول من حديث أبي هريرة لكن سنده ضعيف أخرجه البيهقي أيضًا في الشعب.

وسئل عنه أحمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال. وعنه يوم الخميس، وعنه يتخير.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: هذا هو المعتمد، أنه يستحب كيفما احتاج إليه، قال: ولم يثبت في استحباب قص الظفر يوم الخميس حديث، وكذا لم يثبت في كيفيته شيء، ولا في تعيين يوم له عن النبي ﷺ.

وإلى هذا ذهب الشافعية، والمالكية، حيث يذكرون استحباب تحسين الهيئة يوم الجمعة، كقلم ظفر، وقص شارب، واستحداد إن احتاج إلى ذلك، لنحو هذا الحديث، وإن كان مرسلاً، (و) لكن (**له شاهد موصول من حديث أبي هريرة، لكن سنده ضعيف، أخرجه البيهقي أيضًا في الشعب**،) عن أبي هريرة، أنه ﷺ كان يقلم أظفاره، ويقص شاربه يوم الجمعة، قبل أن يروح إلى الصلاة؛ قال البيهقي، عقبة قال الإمام أحمد: في هذا الإسناد من يجهل انتهى، لكن يشهد له أيضًا ما رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، عن أبي هريرة من قلم أظفاره يوم الجمعة وقي من السوء إلى مثلها. (**وسئل عنه**،) أي: عن حكم استحباب الأخذ من الظفر والشارب، أي: وقت (**أحمد، فقال: يسن يوم الجمعة قبل الزوال**،) لهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة، فبعضها يقوي بعضًا، (**وعنه يوم الخميس**،) لحديث على رفعة قص الظفر، ونتف الإبط، وحلق العانة، يوم الخميس والغسل، والطيب، واللباس يوم الجمعة.

رواه الطبراني، وخبر أبي هريرة مرفوعًا: من أراد أن يأمن الفقر، وشكاية العمى، والبرص والجنون، فليقلم أظفاره يوم الخميس بعد العصر، وليبدأ بخنصر اليسرى، رواه الديلمي وهما واهيان، وفي مسلسلات جعفر المستغفري الحفاظ بإسناد مجهول، عن علي: رأيت النبي ﷺ يقلم أظفاره يوم الخميس، (**وعنه يتخير**) في فعل ذلك، أي وقت احتاج له، ولا يتقيد بيوم.

(**قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: هذا**،) أي: التخيير بين جميع الأزمنة (**هو المعتمد**،) ولما أوهم ذكر اسم الإشارة إن المراد التخيير بين الجمعة والخميس، لذكرها عقبهما دفع ذلك، بقوله: (**إنه يستحب كيفما احتاج إليه**،) وكان الأولى، أن يقول، والمعتمد أنه يستحب بإسقاط هذا هو.

(**قال: ولم يثبت في استحباب قص الظفر يوم الخميس حديث**،) أي: إنها ضعيفة جدًا، (**وكذا لم يثبت في كيفيته**)، أي صفة قصه (**شيء، ولا في تعيين يوم له عن النبي ﷺ**)

وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الإسلام ابن حجر قال شيخنا: إنه باطل.

والمراد: إزالة ما يزيد على ما يلابس الأصبع من الظفر، لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول ....

شيء، قال السيوطي: وبالجملة، فأرجحها نقلاً ودليلاً يوم الجمعة، والأخبار الواردة فيه ليست بواهية جدًا بل فيها متمسك خصوصًا الأول، وقد اعتضد بشواهد، مع أن الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال؛ (**وما يعزي من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه**)، وهو:

إبدأ بيمناك وبالخنصر — في قص أظفارك واستبصر
وثن بالوسطى وثلث كما — قد قيل بالإبهام والبنصر
واختمه في الكف بسبابة — في اليد والرجل ولا تمتر
وفي اليد اليسرى بإبهامها — والإصبع الوسطى وبالخنصر
وبعد سبابتها بنصر — فإنها خاتمة الأيسر

قال السخاوي: وكذب القائل، أي الناسب، هذا النظم لعلي كرّم اللّه وجهه، (**ثم لشيخ الإسلام ابن حجر**) الحافظ، (**قال شيخنا**) السخاوي: (**أنه باطل،**) قال: ونص ما عزى له وحاشاه من ذلك:

في قص ظفرك يوم السبت آكله — تبدو وفيما يليه تذهب البركة
وعالم أفاضل يبدو بتلوهما — وإن يكن في الثلاثا فاحذر الهلكة
ويورث السوء في الأخلاق رابعها — وفي الخميس الغني يأتي لمن سلكه
والعمر والرزق زيدًا في عروبتها — عن النبي روينا فاقتفى نسكه

وقال السيوطي: هذا مفترى عليه، بل في مسند الفردوس، بسند واهٍ، عن أبي هريرة مرفوعًا، من قلم أظافره يوم السبت خرج منه الدواء، ودخل فيه الشفاء، ومن قلم أظافره يوم الأحد خرج منه الفاقة، ودخل فيه الغنى؛ ومن قلمها يوم الاثنين خرج منه الجنون، ودخلت فيه الصحة، ويوم الثلاثاء خرج منه المرض، ودخل فيه الشفاء؛ ويوم الأربعاء خرج منه الوسواس والخوف، ودخل فيه الأمن والشفاء، ويوم الخميس خرج منه الجذام، ودخلت فيه العافية، ويوم الجمعة دخلت فيه الرحمة، وخرجت منه الذنوب، قال: وأثار البطلان لائحة عليه انتهى.

(**والمراد**) مما يأخذه من الأظفار، (**إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الأصبع من الظفر**)، وإنما استحب، (**لأن الوسخ يجتمع فيه، فيستقذر، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول**

الماء فيما يجب غسله في الطهارة. وقد حكى أصحاب الشافعي فيه وجهين: فقطع المتولي بأن الوضوء حينئذٍ لا يصح، وقطع الغزالي في الإحياء بأنه يعفى عن مثل ذلك.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: كان ﷺ لا يفارق سواكه ولا مشطه وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه. رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد ولفظه: كان يكتحل بالإثمد ....

الماء؛ فيما يجب غسله في الطهارة، وقد حكي أصحاب الشافعي،) أي: مقلد، ومذهبه **(فيه وجهين، فقطع المتولي،)** بضم الميم، وفتح الفوقية، والواو، فلام مكسورة، **(بأن الوضوء حينئذٍ، لا يصح،)** وهو المعتمد **(وقطع الغزالي في الإحياء، بأنه يعفى عن مثل ذلك؛)** إذ أصله الندب، **(وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة، كان ﷺ لا يفارق سواكه، ولا مشطه، وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته،)** ومناسبة ذكر الحديث في مبحث الشعر ظاهرة، إذ المشط والمرآة كل آلة لتنظيفه، وأما السواك، فوقع في الحديث، وعادة العلماء يذكرون الحديث بتمامه، وإن كان غرضهم منه لفظة واحدة، فلا تتعسف، فتقول ذكره لمناسبته له، في أن كلا آلة للتنظيف، **(وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ كانت له مكحلة،)** بضم أوله وثالثه، من النوادر الواردة، بالضم، وقياسها الكسر، لأنها اسم آلة، **(يكتحل منها كل ليلة،)** حكمة كونه ليلاً أنه أبقى في العين، وأمكن في السراية إلى طبقاتها.

(ثلاثة) متوالية **(في هذه،)** أي: اليمنى **(وثلاثة)** كذلك **(في هذه،)** أي: اليسرى، وحكمة التثليث توسطه بين الإقلال والإكثار، وخير الأمور أوساطها، وأيضًا فإنه كان يحب الإيتار مع التعدد، وأقل مراتب الإعداد التي فيها الإيتار ثلاثة، قال الحافظ العراقي: ليس في الحديث تعرض للابتداء بالعين اليمنى، وهو مستحب، لأنه كان يحب التيمن في شأنه كله، وهل تحصل سنة اليمنى باكتحاله فيها مرة، ثم اليسرى مرة، ثم يفعل ذلك ثانيًا وثالثًا، أو لا تحصل إلاَّ بتقديم المرات الثلاث، في الأول الظاهر، الثاني قياسًا على العضوين المتماثلين في الوضوء، ويحتمل حصولها بالأول كالمضمضة، والاستنشاق على بعض الصور المعروفة في الجمع والتفرقة.

(رواه ابن ماجه، والترمذي) بهذا اللفظ، **(و)** رواه **(أحمد، ولفظه كان يكتحل بالإثمد)**،

كل ليلة قبل أن ينام، وكان يكتحل في كل عين ثلاثة أميال.

وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سألت عائشة: أكان النبي ﷺ يتطيب؟ قالت: نعم، بذكارة الطيب، المسك والعنبر.

وأما مشيه عليه الصلاة والسلام فعن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفا تكفيًا، ....

بكسر الهمزة، والميم بينهما مثلثة ساكنة: حجر الكحل، المعدني، المعروف، قال في التهذيب وغيره، ويقال: أنه معّرب، ومعدنه بالمشرق، وهو أسود، يضرب إلى حمرة، **(كل ليلة قبل أن ينام،)** والظاهر، كما قال المصنف أنه كان بعد العشاء، **(وكان يكتحل في كل عين ثلاثة أميال،)** جمع ميل، وهو المرود، ويقال له: المكحل والمكحال، بزنة مفتح ومفتاح، ثم هذا الخبر يخالفه خبر ابن عمر، كان ﷺ إذا اكتحل يجعل في اليمنى ثلاثة مراود، والأخرى مرودين، يجعل ذلك وترًا، رواه الطبراني، وخبر أنس: كان ﷺ، يكتحل في اليمنى ثنتين، وفي اليسرى ثنتين، وواحدة بينهما.

قال ابن سيرين: هكذا الحديث، وأنا أحب أن يكون في هذه ثلاثًا، وفي هذه ثلاثًا، وواحدة بينهما، رواه ابن عدي، وحديث من اكتحل فليوتر، فيه قولان، أحدهما كون الإيتار في كل واحدة منهما، الثاني كونه في مجموعهما، قال الحافظ: والأرجح الأول **(وروى النسائي، والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي، قال: سألت عائشة أكان النبي ﷺ يتطيب؟،)** وجه السؤال إن رائحته طيبة، وإن لم يمس طيبًا، **(قالت: نعم بذكارة الطيب،)** بكسر الذال المعجمة، ما يصلح للرجال **(المسك والعنبر،)** بدل، أو عطف بيان إذ الذكارة بالكسر، جمع ذكر بفتحتين ما يصلح للرجال، وهو ما لا لون له، كالمسك؛ والعنبر، والعود، والكافور.

والذكورة مثله، ومنه الحديث كانوا يكرهون المؤنث من الطيب، ولا يرون بذكورته بأسًا، والمؤنث طيب النساء كالخلوط، والزعفران، كما في النهاية، ووجه إدخال هذا الحديث في الشعر أن التطيب يشمل تطييب الشعر؛ **(وأما مشيه عليه الصلاة والسلام، فعن علي)** هو نفس الجواب، لكن بتقدير رابط، أي: فورد، أو الجواب محذوف، أي: ففيه أخبار، وإذا أردت معرفتها، فعن علي كذا، وما بعده عطف عليه في المعنى، والأحسن الأول **(قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفا تكفيًا،)** بكاف، وفاء، روي بهمز ودونه تخفيفًا، قاله العراقي: وقال النووي: زعم كثير أن أكثر ما يروى بلا همز، وليس كما قالوا ومآلهما واحد، وهو يرد قول النور بشتى الرواية المعتد بها بلا همز ا هـ.

كأنما ينحط من صبب، رواه الترمذي وصححه البيهقي. والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي.

وعند البزار من حديث أبي هريرة: إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها.

وعند الترمذي في الشمائل من حديثه: وما رأيت أحدًا أسرع في مشية من رسول الله ﷺ: كأنما الأرض تطوى له، ....

قال في النهاية، أي تمايل إلى قدام، هكذا روي غير مهموز، والأصل الهمز، وبعضهم يرويه مهموزاً، لأنه مصدر تفعل من الصحيح، كتقدم تقدمًا، وتكفأ تكفؤا، والهمزة حرف صحيح، فإذا اعتل انكسرت عين المستقبل منه، نحو: تخفى تخفيفًا، وتسمى تسميًا، فإذا خففت الهمزة التحقت بالمعتل، فصار تكفيًا بالكسر انتهى.

أي: يسرع المشي، كأنه يميل بين يديه من سرعة مشيه، كما تتكفأ السفينة في جريها، ويؤيده قوله، **(كأنما ينحط)** وفي رواية: كأنما يهوى **(من صبب،)** أي منحدر من الأرض، أي كأنما ينزل في موضع منحدر، وهو حال من فاعل تكفأ مبالغة، في التكفي والتثبت في مشيه، **(رواه الترمذي، وصححه البيهقي،)** ورواه الترمذي أيضًا عن أنس في حديث، **(والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي،)** مثلث السين، وبضمتين نهجه، وجهته كما في القاموس، وهذا التفسير قطع به الأزهري، مخطئًا تفسير شمر يتمايل يمينًا وشمالاً، كالسفينة بأنه من الخيلاء، وتكفؤ السفينة تمايلها، على سمتها الذي يقصد، ويرده، قوله: كأنما ينحط الخ، فإنه مفسر له، وقال الكسائي: أكفأت الإناء، وكفأته إذا كبيته، وأكفأته إذا أملته، ومنه الحديث، أي: تمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها انتهى.

وأجاب القاضي عياض؛ بأن التمايل يمينًا وشمالاً إنما يذم بالقصد، لا إن كان خلقة، كالغصن، وهو حسن صواب، وأما حمله على سرعة انطواء الأرض تحت قدميه، فخلاف الظاهر، **(وعند البزار من حديث أبي هريرة، إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها؛)** ليس له أخمص، ومر هذا الحديث، وأعاده هنا لبيان صفة المشي، **(وعند الترمذي في الشمائل من حديثه،)** أي: أبي هريرة ما رأيت أحد أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، **(وما رأيت أحدًا أسرع في مشيه)**، كذا في نسخ من الشمائل بصيغة المصدر، وهي أظهر، لأنه الذي يتصف بالسرعة والبطء، وفي نسخ مشيته، بكسر، فسكون، أي كيفية مشيه، قال المصنف: ومعناهما متقارب، والمراد مشيه المعتاد دون إسراع **(من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى،)** تجمع، وتجعل مطوية تحت قدميه، مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة **(له،)** لا لمن يماشيه،

إنا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث.

وعند يزيد بن مرثد قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى أسرع. حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه: رواه ابن سعد.

وروى أنه كان إذا مشى مشى مجتمعًا أي قوى الأعضاء غير مسترخ في المشي.

وقال علي: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلع.

وأوضحه بقوله: **(إنا لنجهد)** بفتح النون، وضمها، من جهد، كمنع وأجهد، أي: نتعب **(أنفسنا)** ونوقعها في المشقة والتعب، أو نحملها في السير فوق طاقتها، ولم يقل يجهدنا، لأنه لم يقصده إنما هو طبعه؛ **(وأنه)** حال من الفاعل **(لغير مكترث)** أي مبالٍ بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة، فكان يمشي على هينته، ويقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد، واستعمال مكترث في النفي هو الأغلب؛ وفي الإثبات قليل شاذ، وعن أبي هريرة كنت معه ﷺ في جنازة، فكنت إذ مشيت سبقني، فالتفت إلى رجل بجنبي، فقلت: تطوى له الأرض وخليل إبراهيم، رواه أحمد وابن سعد، فأقسم أبو هريرة لما رآه من قطعه للمسافة مع تأنيه في المشي، وجهد غيره فيه، **(وعند يزيد)** بتحتية وزاي، **(ابن مرثد)**، بفتح الميم، والمثلثة بينهما، راء ساكنة، ثم مهملة، أبي عثمٰن الهمداني، الصنعاني، من صنعاء دمشق، ثقة من أواسط التابعين، وله مراسيل.

(قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى أسرع) قال الزمخشري: أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾ [لقمان/١٩]، أي أعدل فيه حتى يكون مشيًا بين مشيين، لا يدب دبيب المتماوتين، ولا يثب وثب الشياطين انتهى. **(حتى يهرول)** أي يسرع في المشي دون الخبب، **(الرجل وراءه)** قال الجوهري: الهرولة ضرب من العدو وهو بين المشي والعدو، **(فلا يدركه)** مع أنه على غاية من الهون، والتأني، وعدم العجلة، وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هونًا، **(رواه ابن سعد)** في الطبقات، **(وروى أنه كان إذا مشى مشى مجتمعًا، أي: قوى الأعضاء غير مسترخٍ في المشي)** وعند ابن عساكر، عن ابن عباس، كان يمشي مشيًا يعرف فيه أنه ليس بعاجز، ولا كسلان، **(وقال علي)** فيما رواه الترمذي: **(كان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلع)** أي رفع رجليه رفعًا بائنًا، متداركًا إحداهما بالأخرى، مشية أهل الجلادة، يريدان مشيه مثل مشي القلعة بفتح اللام، وهي القطعة العظيمة من السحاب، وفي حديث علي هذا، أيضًا تلوه، كأنما ينحط من صبب.

وقال ابن أبي هالة: إذا زال زال تقلعًا، يخطو تكفيًا، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وفي رواية إذا زال زال قلعًا ـ بالفتح والضم، ثم الفتح هو مصدر بمعنى الفاعل أي لا يزول قالعًا لرجله من الأرض، وهو بالضم إما مصدر أو اسم وهو بمعنى الفتح.

(**وقال ابن أبي هالة: إذا زال،**) أي ذهب وفارق، يقال زال يزول زوالاً، فارق طريقته أو مكانه جانحًا عنه، ذكره الراغب، (**زال تقلعًا**) بقاف، ومهملة، هو في الأصل انتزاع الشيء من أصله أو تحويله عن محله، وكلاهما صالح هنا، أي ينزع رجله عن الأرض، أو يحوّلها عن محلها بقوة وحينئذٍ، فضمير زال عائد إلى النبي ﷺ، وتعسف من رجعه للماء في قوله قبله: ينبو عنهما الماء، (**يخطو:**) يمشي (**تكفيًا**) جملة مؤكدة، لمعنى زال تقلعًا، (**ويمشي،**) تفتن، فعبر عن المشي بعبارتين؛ كراهة تكرار لفظه، أو هو تتميم لبيان صفة مشيه، ويمشي (**هونًا**) حال أو صفة، ليمشي بمعنى هينًا أو مشيًا هينًا، إلاَّ أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة، والهول الرفق واللين، ومنه خبر أحبب حبيبك هونًا، وخبر: المؤمنون هينون لينون، وفي المثل إذا عز أخوك فهن، وإذا عاسر فياسر، والمراد برفق وسكينة، وتثبت ووقار، وحلم وأناة، وعفاف وتواضع، فلا يضرب بقدمه الأرض، ولا يخفق بنعله بطرًا، ولذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق، قاله في الكشاف، لا يقال شأن الصفة، تمييز الموصوف عن غيره، فكيف وصفه، بما يشاركه فيه خواص أمته.

قال تعالى: ﴿وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ [الفرقان/٦٣]، لأن المراد أنه أثبت منهم في ذلك، وأكثر وقارًا ورفقًا، وسكينة، (**ذريع المشية**)، بالكسر خلقة، أي مع كون مشيه هونًا، خطاه واسعة، كأنما الأرض تطوى له، (**إذا مشى**) ظرف لما قبل، أو لقوله، (**كأنما ينحط:**) ينزل (**من صبب،**) أي: محل منحدر، (**وفي رواية:**) في حديث ابن أبي هالة: (**إذا زال قال قلعًا،**) بالنصب حال أو مصدر، (**بالفتح**) للقاف، (**والضم**) لها مع إسكان اللام فيهما هذا ظاهره، وفي القاموس إن الفتح إنما هو مع فتح اللام، (**ثم الفتح هو مصدر بمعنى الفاعل،**) أي: قالع، (**أي لا يزول،**) كذا النسخ والصواب، كما في النهاية حذف لا إذ المعنى عليه، أي: يزول (**قالعًا لرجله على الأرض، وهو بالضم إما مصدر، أو اسم**) لمصدر، (**وهو بمعنى الفتح**) وهذا كله لفظ النهاية وفي القاموس، روي هذا الحديث، بالضم بالتحريك، وككتف، أي: إذا مشى يرفع رجليه رفعًا بائنًا، أي: لا يمشي اختيالاً وتنعمًا انتهى.

والمفهوم منه إن القلع رفعهما رفعًا ظاهرًا، بحيث لا يفهم منه الاختيال، والتنعم، وجعله مصدرًا بمعنى الفاعل، يفيد إن كان يمشي في حالة كونه قالعًا لرجليه من الأرض؛ وكان المعنى

وقال الهروي: قرأت هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الأنباري: قلعًا: بفتح القاف وكسر اللام، وكذلك قرأته بخط الأزهري، وهو كما جاء في حديث آخر كأنما ينحط من صبب، والانحدار من الصبب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض.

أراد: أنه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه استعجال ومبادرة شديدة.

وذريع المشية: أي واسع الخطوة قاله ابن الأثير.

وقال ابن القيم: التقلع الارتفاع من الأرض بجملته، كحال المنحط في الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء، فكثير ....

أنه لا يجرهما في حال مشيه، وهذا بمجرده لا يفهم منه الرفع الظاهر، بحيث ينفي عنه ما هو صورة اختيال وتنعم، إلاَّ أن يحمل على أنه كان يقلعهما قلعًا تامًا؛ فيساوي كلام القاموس، قاله شيخنا إملاء، **(وقال الهروي)** في كتاب غريبي القرءان والحديث: **(قرأت هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الأنباري،)** بفتح الهمزة، وإسكان النون، نسبة إلى الإِنبار بالعراق، **(قلعًا، بفتح القاف، وكسر اللام، وكذلك قرأته بخط الأزهري، وهو كما جاء في حديث آخر، كأنما ينحط من صبب والانحدار من الصبب،)** والتكفؤ إلى قدام، **(والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض؛ أراد)** ابن أبي هالة، **(أنه ﷺ كان يستعمل التثبت،)** أي: يفعل ما يؤدي إليه، وهو التثبيت بوزن التفعيل، إذ هو الذي كان يفعله، فينشأ عن التثبت بزنة تفعل، وفي نسخة التثبيت، كالتفعيل وهي واضحة؛ **(ولا يتبين منه استعجال ومبادرة شديدة،)** ألا تراه يقول يمشي هونًا ويخطو تكفؤًا؟، إلى هنا كلام الهروي.

(وذريع المشية، أي واسع الخطوة،) بضم المعجمة: ما بين القدمين، **(قاله:)** أي ما ذكره من أوَّل قوله بالفتح إلى هنا، مفرقًا في أماكنه **(ابن الأثير)** في النهاية، إلاَّ أنه إنما عبر بالخطا؛ بالجمع ونحوه قول الراغب الذريع الواسع، يقال: فرس ذريع، واسع الخطو، وفي المصباح الذريع، السريع وزنًا ومعنى، ولا تدافع بين الهون الذي هو عدم العجلة، وبين الانحدار والتقلع الذي هو السرعة، لأن معنى الهون، أنه لا يعجل في مشيه، ولا يسعى عن قصد، إلاَّ في حادث أو مهم، والانحدار والتقلع مشيه الخلقي، كذا قال بعضهم.

(وقال ابن القيم: التقلع: الارتفاع من الأرض بجملته، كحال المنحط في الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، وهي أعدل المشيات، وأروحها للأعضاء؛ فكثير من الناس)

من الناس يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة، فهي مشية مذمومة، وإما أن يمشي بانزعاج مشي الجمل الأهوج وهي مشية مذمومة، وهي علامة خفة عقل صاحبها ولاسيما إن أكثر الالتفات حال مشيه يمينًا وشمالاً.

وفي بعض المسانيد: أن المشاة شكوا إلى رسول الله ﷺ من المشي في حجة الوداع فقال: استعينوا بالنسلان: وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي.

وأما مشيه عليه الصلاة والسلام مع أصحابه، فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم، ويقول: خلوا ظهري للملائكة، أمامه وتركوا ظهره للملائكة، وهو معنى قول القائل: وكان يسوق أصحابه ....

أما (**يمشي قطعة واحدة، كأنه خشبة محمولة، فهي مشية مذمومة،**) ودليل تقديرًا ما قوله، (**وإما أن يمشي بانزعاج، مشي الجمل الأهوج،**) الطائش، السريع في مشيه؛ (**وهي مشية مذمومة، وهي علامة خفة عقل صاحبها، ولا سيما أن أكثر الالتفات حال مشيه يميناً وشمالاً،**) ولذا قال هند تلو قوله، كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، أي لا يسارق النظر، ولا يلوي عنقه يمنة، ولا يسرة، وروى الحاكم عن جابر كان ﷺ إذا مشى لم يلتفت، (**وفي بعض المسانيد، أن المشاة شكوا إلى رسول الله ﷺ، من المشي في حجة الوداع، فقال: «استعينوا بالنسلان»،**) بفتح النون والسين المهملة واللام، (**وهو العدو**) الإسراع (**الخفيف الذي لا يزعج الماشي،**) وكأنه تفسير مراد وإلاً فالنسلان لغة الإسراع بلا قيد، ومنه ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ [يس/ ٥١] (**وأما مشيه عليه الصلاة والسلام مع أصحابه**)، أي: مع قصده مشيهم معه فلا ينافي أنه قدم قوله: حتى يهرول الرجل وراءه، فلا يدركه وإنا لنجهد أنفسنا، وهو غير مكترث، لأنه بلا قصد أو أعم، (**فكانوا يمشون بين يديه، وهو خلفهم، ويقول: «خلوا ظهري للملائكة»**)، لأنهم يحرسونه من أعدائه، قاله أبو نعيم: ولا ينافيه ﴿والله يعصمك من الناس﴾، لأنه إن كان قبل نزولها فظاهر، وإلاً فمن عصمة الله تعالى له أن يوكل به جنده من الملأ الأعلى إظهار الشرفة، وفي المستدرك عن جابر: كان إذا مشى مشي أصحابه (**أمامه وتركوا ظهره للملائكة، وهو معنى قول القائل: وكان يسوق أصحابه،**) يقدمهم بين يديه، ويمشي خلفهم، كأنه يسوقهم، لأن هذا شأن الراعي، أو لأن من كمال التواضع أن لا يدع أحدًا يمشي خلفه، أو ليختبر حالهم، وينظر إليهم حال تصرفهم في معاشهم، وملاحظتهم لنظرائهم، فيربي من يستحق التربية، ويكمل من يحتاج إلى التكميل، ويعاتب من يستحق العتب، ويؤدب من يستحقه، وهذا شأن الولي مع المولى عليه، أو ليخلي ظهره للملائكة، احتمالات لا مانع من إرادة جميعها، قال النووي: وإنما تقدمهم في قصة جابر،

ويماشيهم فرادى وجماعة.

ومشى عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته مرة فانجرحت أصبعه وسال منها الدم فقال: هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت. رواه أبو داود.

ولم يكن له ﷺ ظل في شمس ولا قمر. رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان. ....

لأنه دعاهم إليه، فجاؤوا تبعًا له، كصاحب الطعام إذا دعا طائفة يمشي أمامهما؛ وفي حديث هند يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام، وفي رواية ينس أصحابه، بنون ومهملة، أي: يسوق كما في الفائق، (**ويماشيهم فرادى وجماعة، ومشى عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته**) قيل هي غزوة أُحد (**مرة، فانجرحت أصبعه**) هي مؤنثة؛ ولذا قال انجرحت، وقد تذكر، وفيها لغات عشرة، جمعها القائل:

وهمز أنملة ثلث وثالثه والتسع في أصبع واختم بأصبوع

(**وسال منها الدم، فقال:**) منشدًا قول ابن رواحة، كما عند ابن أبي الدنيا، والوليد بن الوليد، كما عند الواقدي (**هل،**) أي ما (**أنت إلاَّ أصبع دميت،**) بفتح، فكسر خاطبها على سبيل الاستعارة أو الحقيقة معجزة له، تسلية لها وتخفيفًا، لما أصابها، أي: تثبتي، وهوّني عليك، فإن ما لقيتيه ليس قطعًا ولا هلاكًا، (**وفي سبيل اللّه،**) أي: قتال أعدائه، لإعلاء كلمته، ونصرة دينه (**ما لقيت،**) فلا تحزني، بل افرحي، وما موصول حذف عائدة، أو استفهامية، وإن كان الاستفهام له صدر الكلام لأن الأصل، وما لقيت في سبيل اللّه، أو نافية، أي: ما لقيت شيئًا في سبيل اللّه تحقيراً، لما لقيته وتمنيًا لما زاد، (**رواه أبو داود،**) والترمذي من حديث جندب البجلي، وتقدم إن الممتنع عليه ﷺ إنشاء الشعر لا إنشاده، فلا وجه لزعم إن هذه الرواية مع شهرتها غفلة، وأن الرواية بصيغة الغيبة، حتى لا يكون موزونًا، أو أنه جاء، بلا قصد، وشرط تسميته شعر، القصد إلى أنه شعر، ولذا جاء بعض الموزون في القرءان، نحو: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران/٩٢]، ﴿وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ [سبأ/١٣]، فليس بشعر، لأنه لم يقصد به الشعر، وإن كان على زنته، وغير ذلك من الأجوبة المعلومة، (**ولم يكن له ﷺ ظل في شمس ولا قمر،**) لأنه كان نورًا، كما قال ابن سبع، وقال رزين: الغلبة أنواره، قيل وحكمة ذلك صيانته عن أن يطأ كافر على ظله، وإطلاق الظل على القمر مجاز، لأنه إنما يقال له ظلمة القمر ونوره، وفي المختار ظل الليل سواده، وهو استعارة، لأن الظل حقيقة ضوء شعاع الشمس دون السواد، فإذا لم يكن ضوء، فهو ظلمة لا ظل، (**رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان،**) أبي

وقال ابن سبع كان ﷺ نورًا، فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل. قال غيره: ويشهد له قوله ﷺ في دعائه: واجعلني نورًا.

وأما لونه الشريف الأزهر ﷺ فقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض، منهم: أبو بكر وعمر وعلي وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن بن علي وأبو الطفيل ومحرش الكعبي وابن مسعود والبراء بن عازب، وعائشة، وأنس في إحدى الروايتين عنه.

فأما أبو جحيفة فقال: كان أبيض. رواه البخاري. وأما أبو الطفيل فقال: كان أبيض مليحًا. رواه الترمذي في الشمائل، وفي رواية مسلم:...........

صالح السمان، الزيّات المدني، أو أبي عمر، والمدني مولى عائشة، وكل منهما ثقة من التابعين، فهو مرسل، لكن روى ابن المبارك، وابن الجوزي، عن ابن عباس: لم يكن للنبي ﷺ ظل، ولم يقم مع الشمس قط، إلاّ غلب ضوؤه ضوء الشمس، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوء السراج، (**وقال ابن سبع: كان ﷺ نورًا، فكان إذا مشى في الشمس، أو القمر، لا يظهر له ظلٍ**،) لأن النور، لا ظل له، (**قال غيره: ويشهد له، قوله ﷺ في دعائه**،) لما سأل الله تعالى أن يجعل في جميع أعضائه، وجهاته نور اختم، بقوله: (**«واجعلني نورًا»**،) أي: والنور، لا ظل له، وبه يتم الاستشهاد.

(**وأما لونه الشريف الأزهر ﷺ، فقد وصفه جمهور أصحابه**،) الواصفين له (**بالبياض، منهم أبو بكر**) الصديق، (**وعمر**) الفاروق، (**وعلي وأبو جحيفة**،) بجيم، ومهملة، وفاء مصغرة، وهب بن عبد الله، (**وابن عمر** بن الخطاب، (**وابن عباس، وابن أبي هالة، والحسن بن علي، وأبو الطفيل**) عامر بن واثلة، (**ومحرش الكعبي**)، بضم الميم، وفتح الحاء، وكسر الراء، الثقيلة، وشين معجمة، (**وابن مسعود، والبراء بن عازب، وعائشة، وأنس في إحدى الروايتين، عنه**،) وهي رواية أصحابه عنه، ما عدا حميدًا، فقال: أسمر اللون، قال الحافظ العراقي: انفرد بها حميد، عن أنس، ورواه غيره من الرواة عنه، فقال: أزهر اللون، فهؤلاء خمسة عشر صحابيًا، وصفوه بالبياض، وكذا وصفه به أبو هريرة، كما قدم المصنف، وسعد بن أبي وقاص، (**فأما أبو جحيفة، فقال: كان أبيض، رواه البخاري**) في الصفة النبوية

(**وأما أبو الطفيل، فقال: كان أبيض مليحًا**،) مقصدًا هذا بقية حديثه الذي (**رواه الترمذي في الشمائل**،) من طريق يزيد بن هارون، عن سعيد الجريري، عن أبي الطفيل، وبهذا اللفظ رواه مسلم في الصحيح من طريق عبد الأعلى، عن الجريري، عنه من فالعز ولمسلم أحق خصوصًا، وقد أوهم أن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ، بقوله: (**وفي رواية مسلم**،) من طريق خالد بن عبد الله،

كان أبيض مليح الوجه. وفي رواية عنه للطبراني: ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره. وفي شعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال علي: أبيض مشرب. والمشرب: هو الذي في بياضه حمرة، كما قال في الرواية الأخرى: أبيض مشرب بحمرة، وبه فسر قول أنس في صحيح مسلم: أزهر اللون.

وفي النسائي من حديث أبي هريرة: بينا النبي ﷺ جالس بين أصحابه جاء

عن الجريري، عن أبي الطفيل: (**كان أبيض، مليح الوجه،**) أي حسنه من ملح، فهو مليح، ومقصدًا بشد المهملة المفتوحة اسم المفعول، أي متوسطًا بين الطول، والقصر، أو بين الجسامة، والنحافة، أو أن جميع أوصافه في نهاية من التوسط، كأن خلقه نجى به القصد، (**وفي رواية عنه،**) أي أبي الطفيل (**للطبراني، ما أنسى شدة بياض وجهه، مع شدة سواد شعره، وفي شعر أبي طالب**) في قصيدته الطويلة التي قالها، لما تمالأت قريش على النبي ﷺ، وقدم المصنف أبياتًا منها، (**وأبيض**) بالنصب، عطفًا على قوله في البيت قبله:

وما ترك قوم لا أبا لك سيدًا يحوط الذمار غير ذرب مواكل

لا مجرور برب، كما زعم، وفي رواية بالرفع، أي: هو أبيض (**يستسقى الغمام بوجهه**)، قاله عن مشاهدة لذلك مرتين، كما مر، لا لما رأى في وجهه من مخايل ذلك، وإن لم يشاهده، كما أبداه بعضهم احتمالاً، وجزم به آخر، فإنه عجب (**ثمال اليتامى**)، بكسر المثلثة، وخفة الميم، هو العماد، والملجأ، والمطعم، والمغيث، والمعين، والكافي (**عصمة للأرامل،**) أي: يمنعهم مما يضرهم جمع أرملة، وهي الفقيرة التي لا زوج لها، (**وقال: على أبيض مشرب،**) بصيغة اسم المفعول، مخففًا، ومثقلاً روايتان، (**والمشرب هو الذي في بياضه حمرة،**) أي: أنه المراد هنا، (**كما قال**) علي (**في الرواية الأخرى**) عند الترمذي، والبيهقي: (**أبيض مشرب بحمرة،**) والروايات يفسر بعضها بعضًا، خصوصًا مع اتحاد المخرج، وإن كان الإشراب، كما في الصحاح وغيره، خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقي بالآخر، يقال: مشرب بالتخفيف، فإذا شدد، كان للتكثير والمبالغة، فهو هنا للمبالغة، في البياض على رواية التشديد، (**وبه فسر قول أنس في صحيح مسلم،**) وكذا البخاري في الصفة النبوية. (**أزهر اللون،**) أي أبيض مشرب بحمرة، وقد وقع ذلك صريحًا في حديث أنس من وجه آخر عند مسلم، (**وفي النسائي، من حديث أبي هريرة: بينا النبي ﷺ جالس،**) أي: بين أوقات جلوسه (**بين أصحابه،**) لأن بين، إنما

رجل فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقالوا: هذا الأمغر المرتفق.

والأمغر: المشرب بحمرة. والمرتفق: المتكيء على مرفقه.

وفي البخاري من حديث أنس: ليس بأبيض أمهق.

قال الحافظ بن حجر: ووقع عند الداودي تبعًا لرواية المروزي: أمهق ليس بأبيض، وفي رواية عند ابن أبي حاتم وغيره أسمر.

واستشكله بعضهم وقال: إن غالب هذه الروايات متدافع، وبعضها ممكن الجمع كالأبيض مع رواية المشرب بالحمرة والأزهر، وبعضها غير ممكن الجمع كالأبيض الشديد الوضح مع الأسمر.

واعترض الداودي رواية أمهق ليس بأبيض. وهي التي وقعت عنده تبعًا لرواية المروزي.

تضاف لمتعدد **(جاء رجل،)** هو ضمام بن ثعلبة، **(فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟،)** نسبه إلى جده لشهرته به، **(فقالوا: هذا الأمغر،)** بميم، وغين معجمة وراء، **(المرتفق،)** وفي رواية الصحيح، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكيء، **(والأمغر المشرب بحمرة، والمرتفق المتكيء على مرفقه،)** قال الليث: الأمغر الذي في وجهه حمرة في بياض صافٍ.

(وفي البخاري) ومسلم، كلاهما **(من حديث)** ربيعة، عن **(أنس:)** أزهر اللون، **(ليس بأبيض أمهق،)** بفتح الهمزة، والهاء بينهما، ميم ساكنة، أي شديد البياض، كلون الجص، ولا ءادم، كما في الصحيحين، بالمد، أي شديد السمرة، **(قال الحافظ ابن حجر:)** كذا في الأصول، **(ووقع عند الداودي)** أحمد بن نصر، شارح البخاري، **(تبعًا لرواية المروزي،)** أبي زيد محمد بن أحمد، الفقيه، أحد رواة البخاري عن الفربري: **(أمهق ليس بأبيض،)** وهي مقلوبة أوّلها وجه، كما يأتي، **(وفي رواية عند ابن أبي حاتم، وغيره أسمر، واستشكله بعضهم، وقال: إن غالب هذه الروايات متدافع، وبعضها ممكن الجمع، كالأبيض مع رواية، المشرب بالحمرة، والأزهر،)** فيجمع بينها بحمل أبيض على ما خالطه حمرة، وكذا أزهر، ويبقى المشرب بحمرة على ظاهره، **(وبعضها غير ممكن الجمع، كالأبيض الشديد الوضح،)** بفتحتين، أي: الخالص المنكشف البياض، **(مع الأسمر،)** وهذا وقع في زيادات عبد الله بن أحمد في المسند عن علي، أبيض شديد الوضح، ومخالفته لقول أنس: ليس بأبيض أمهق واضحة، قال الحافظ: ويمكن الجمع بحمل رواية علي على ما تحت الثياب، مما لا يلاقي الشمس، **(واعترض الداودي رواية أمهق: ليس بأبيض، وهي التي وقعت عنده)** في شرحه، **(تبعًا لرواية المروزي،)** لأن المهق شدة

وقال القاضي عياض: إنها وهم، قال: وكذلك رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا الآدم، ليس بصواب.

قال الحافظ بن حجر: هذا ليس بجيد لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الأدمة، وإنما يخالط بياضه الحمرة، والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك أسمر، ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح أن النبي ﷺ كان أسمر اللون، وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أنس، فذكر الصفة النبوية فقال: كان النبي ﷺ أبيض بياضه إلى السمرة.

وفي حديث ابن عباس في صفته ﷺ: رجل بين رجلين جسمه ولحمه، أحمر إلى البياض، أخرجه أحمد.

وقد تبين من مجموع الروايات: أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط

البياض، بحيث لا يخالطه حمرة، فيصير المعنى أبيض ليس بأبيض، (و) لذا **(قال القاضي عياض: إنها،)** أي هذه الرواية **(وهم)** غلط؛ **(قال: وكذلك رواية من روى أنه ليس بالأبيض، ولا الآدم)** بالمد، **(ليس بصواب قال الحافظ ابن حجر: هذا)** الثاني **(ليس بجيد، لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض،)** بدليل وصفه في الرواية الثانية بأمهق، **(ولا بالآدم، الشديد الأدمة،)** بالضم: السمرة، **(وإنما يخالط بياضه)** مفعول **(الحمرة)** فاعل، لأن بياضه هو الأصل. الكثير والحمرة شيء قليل تخالطه، **(والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك أسمر،)** هذا إنما يتم أن ثبت هذا الإطلاق بشاهد من كلامهم وأتى به، كذا قيل، وفيه أن من حفظ حجة، **(ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد، والبزار، وابن منده، بإسناد صحيح: أن النبي ﷺ كان أسمر اللون؛)** لكن وإن صح إسناده، فقد أعله الحافظ العراقي بالشذوذ، فقال: هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس، ورواه غيره من الرواة، عنه بلفظ أزهر اللون، ثم نظرنا من روى صفة لونه ﷺ غير أنس، فكلهم وصفوه بالبياض، وهم خمسة عشر صحابياً، انتهى.

(وأخرجه البيهقي في الدلائل، وجه آخر عن أنس) بلفظ آخر، **(فذكر الصفة النبوية، فقال: كان النبي ﷺ أبيض، بياضه إلى السمرة،)** أي: يميل إليها بمعنى أن فيه حمرة قليلة، **(وفي حديث ابن عباس، في صفته ﷺ رجل بين رجلين،)** أي: ليس بالطويل ولا القصير، **(جسمه، ولحمه أحمر،)** أسقط من الفتح، وفي لفظ أسمر **(إلى البياض، أخرجه أحمد)** وسنده حسن، كما في الفتح **(وقد تبين من مجموع الروايات، أن المراد بالسمرة، الحمرة التي تخالط**

البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة، والمنفي ما لا تخالطه، وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق، وبهذا تبين أن رواية المروزي بأمهق ليس بأبيض مقلوبة، على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية، ولا سمرته ولا حمرته، فقد نقل عن رؤية: أن المهق خضرة الماء، فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية، وقد تقدم في حديث أبي جحيفة إطلاق كونه كان أبيض، وكذا في حديث أبي الطفيل عند مسلم والترمذي.

وفي حديث سراقة عند ابن إسحٰق فجعلت أنظر إلى ساقه كأنها جمارة، ولأحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال: فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة. وعن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف النبي ﷺ فقال: كان شديد البياض أخرجه ....

البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة، والمنفي ما لا تخالطه، وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق، وبهذا تبين أن رواية المروزي بأمهق ليس بأبيض مقلوبة،) والأصل أبيض ليس بأمهق، (**على أنه يمكن توجيهها؛ بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون، الذي ليس بياضه في الغاية، ولا سمرته**) في الغاية، (**ولا حمرته**) في الغاية، فحذفت فيهما اكتفاءً بالأول.

(**فقد نقل عن رؤية**) بن العجاج واسمه عبد اللّه بن رؤبة بن لبيد التميمي، مخضرم، شاعر إسلامي، هو وأبوه له حديث واحد في الحداء، ولم يكن بروايته بأس، قاله ابن عدي، وقال النسائي: ليس بقوي في الحديث، وقال لأبيه: أنا أشعر منك، قال: وكيف؟، قال لأني شاعر بن شاعر، وأنت شاعر ابن مفحم، مات سنة خمس وأربعين ومائة؛ (**إن المهق خضرة الماء، فهذا التوجيه، ثم على تقدير ثبوت الرواية،**) لكنها لم تثبت لشذوذها بمخالفتها لرواية الجماعة، فلا يتم التوجيه، (**وقد تقدم في حديث أبي جحيفة، إطلاق كونه كان أبيض؛ وكذا في حديث أبي الطفيل عند مسلم، والترمذي**) وتقدم أيضًا في شعر أبي طالب، (**وفي حديث سراقة**) المدلجي، (**عند ابن إسحٰق، فجعلت أنظر إلى ساقه،**) ما بين الركبة والقدم مؤنثة، ولذا قال: (**كأنها جمارة**) قلب النخلة، ومنه يخرج التمر والسعف، وتموت بقطعه.

(**ولأحمد من حديث محرش الكعبي، في عمرة الجعرانة، قال: فنظرت إلى ظهره، كأنه سبيكة فضة، وعن سعيد بن المسيب،**) بكسر الياء، وفتحها، (**إنه سمع أبا هريرة يصف النبي ﷺ، فقال: كان شديد البياض**) ومر قوله أيضًا، كان أبيض كأنما صيغ من فضة، (**أخرجه**

يعقوب بن سفيٰن والبزار بإسناد قوي. ويجمع بينهما بما تقدم.

وقال البيهقي: يقال: إن المشرب منه بحمرة وإلى السمرة منه ما ضحا للشمس والريح كالوجه والعنق وأما ما تحت الثياب فهو الأزهر الأبيض. انتهى.

وهذا ذكره ابن أبي خيثمة عقب حديث عائشة في صفته ﷺ بأبسط من هذا وزاد: ولونه الذي لا شك فيه الأبيض الأزهر. انتهى.

وتعقب بعضهم قول من قال: إنما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه، بأن أنسًا لا يخفى عليه أمره حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ملازمًا للشمس، نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه في وقت غيرته الشمس لأمكن، فالأولى حمل السمرة في رواية أنس على الحمرة التي تخالط البياض كما قدمته.

تنبيه: في الشفاء حكاية أحمد بن أبي سليمٰن صاحب عن سحنون: من قال أن النبي ﷺ كان أسود يقتل. انتهى.

يعقوب بن سفيٰن) الحافظ أبو يوسف الفسوي، بالفاء، **(والبزار، بإسناد قوي، ويجمع بينهما بما تقدم)** من قوله: المراد بالبياض، المثبت ما تخالطه الحمرة، والمنفي ما لا تخالطه، **(وقال البيهقي:)** في الجمع بينهما، **(يقال: إن المشرب منه بحمرة وإلى السمرة منه ما ضحا:)** ظهر **(للشمس والريح، كالوجه والعنق، وأما ما تحت الثياب، فهو الأزهر الأبيض. انتهى)**.

(وهذا ذكره) الحافظ أحمد **(بن أبي خيثمة، عقب حديث عائشة في صفته ﷺ بأبسط من هذا، وزاد ولونه الذي لا شك فيه الأبيض الأزهر. انتهى)** كلام الحافظ في الفتح **(وتعقب،)** وفي نسخة ضعف **(بعضهم قول من قال: إنما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه، بأن أنساً لا يخفي عليه أمره:)** شأنه وحاله، **(حتى يصفه بغير صفته اللازمة له، لقربه منه، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ملازمًا للشمس، نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين، ممن صادفه في وقت غيرته الشمس لأمكن.)** الجمع بذلك، **(فالأولى حمل السمرة في رواية أنس على الحمرة التي تخالط البياض، كما قدمته،)** أي: وهي في جميع بدنه، لقول ابن عباس جسمه ولحمه أحمر، إلى البياض **(تنبيه في الشفاء، حكاية أحمد بن أبي سليمٰن)** القيرواني، والفقيه، المتوفى سنة سبع وثمانين ومائتين، **(صاحب عن سحنون)** وهو أحد السبعة الذين كانوا بإفريقية، في وقت واحد من رواة سحنون **(من قال: أن النبي ﷺ كان أسود يقتل، انتهى)**.

وهذا يقتضي أن مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل. وليس كذلك، بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك. كما في مسألتنا هذه فإن الأسود لون مفضول.

وأما طيب ريحه وعرقه وفضلانه عليه الصلاة والسلام فقد كانت الرائحة الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيبًا.

وروينا عن أنس: ما شممت ريحًا قط ....

(وهذا يقتضي، أن مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر، يوجب القتل، وليس كذلك، بل لا بدّ من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك، كما في مسألتنا هذه، فإن الأسود لون مفضول) لكن هذا اعتراض عجيب من شافعي بمذهبه على مٰلكي حاك لمذهب مٰلك، فمذهبه أن من غير صفته، كما لو قال: قصيراً أو أسود يقتل، وإن ظهر أنه لم يرد ذمه لجهل أو سكر أو تهور، كما في المختصر، **(وأما طيب ريحه وعرقه،)** لونًا وريحًا وكثرة، **(وفضلاته)** برفعهما عطفًا على طيب، وجرهما على ريح، والأول أظهر لذكره لون العرق وكثرته، وابتلاع الأرض بوله وغائطه، وعدم اطلاع أحد عليهما؛ فلم يقتصر على طيب ريحهما منه **(عليه الصلاة والسلام،)** وجواب أما محذوف، أي فكانت أحوالها وصفاتها خارقة للعادة، وإذا أردت معرفة ذلك، **(فقد كانت الرائحة الطيبة صفته ﷺ،)** ويحتمل أن هذا جواب، أما لكن ليس في الخبر ضمير يربطه بالمبتدأ، إذ المبتدأ طيب المضاف لريح المضاف، لضمير المصطفى، وضمير صفته لنفسه عليه السلام، لا لطيب الواقع مبتدأ نعم في الخبر، ضمير يعود على المضاف إلى المضاف إلى المبتدأ، فإن اكتفى بذلك، فلا إشكال، ولكن الأولى أن الجواب محذوف، قرره شيخنا، **(وإن لم يمس طيبًا،)** ومع هذا كان يستعمل الطيب في أكثر أوقاته، مبالغة في طيب ريحه، لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي، ومجالسة المسلمين، قاله النووي: ولأنه حبب إليه، كما قال: «حبب إليَّ من دنياكم النسا، والطيب».

وروى ابن مردويه عن أنس: كان ﷺ منذ أسري به، ريحه ريح عروس، وأطيب من ريحه عروس، ولا دلالة فيه على أن مبدأ طيب ريح جسده من ليلة الإسراء، كما زعم، إذ ريح عروس أخص من مطلق رائحة طيبة، فلا ينافي أنه طيب الرائحة من حين ولد، كما رواه أبو نعيم والخطيب، أن أمه آمنة لما ولدته قالت: ثم نظرت إليه، فإذا هو كالقمر ليلة البدر، ريحه يسطع كالمسك الأذفر، **(وروينا عن أنس ما شممت ريحًا قط،)** أي: لطيب أو طيبًا، إذ الريح المطلق من الأوصاف التي لا تقوم بذاتها، بل شمه لا يتصور، والمعنى أنه شم روائح طيبة، وريح

ولا مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ. الحديث رواه الإمام أحمد.

وفي رواية البخاري: ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ.

وفي رواية الترمذي: ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

المصطفى أطيب منها، لأن النفي إذا كان على مقيد، توجه النفي إلى قيده، **(ولا مسكًا)** بكسر الميم، والمشهور أنه دم يتجمد في خارج سرة ظباء معينة، في أماكن مخصوصة، وينقلب بحكمة الحكيم، أطيب الطيب، وفي الحديث أطيب الطيب المسك، رواه مسلم وغيره، **(ولا عنبراً)** بنون، فموحدة، روث دابة بحرية، أو نبع عين فيه ويؤنث، **(أطيب من ريح رسول الله ﷺ)** وهما من عطف الخاص على العام، إذ المراد رائحة المسك والعنبر، وهي من أفراد ما قبلها، لا ذاتهما، **(الحديث رواه الإمام أحمد)** في المسند، **(وفي رواية البخاري)** في كتاب الصيام، من طريق حميد، ومسلم في الصفة النبوية من طريق ثابت، كلاهما عن أنس في آخر حديث، **(ولا شممت مسكة)** قطعة من مسك، **(ولا عنبرة)** قال الحافظ: ضبط بسكون النون، بعدها موحدة، وبكسر الموحدة، بعدها تحتانية، والأول معروف، والثاني طيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران، وقيل: هو الزعفران نفسه، ووقع عند البيهقي، ولا عنبرًا ولا عبيرًا، ذكرهما جميعًا ا هـ.

وفسر المصنف عنبرة، بنون ساكنة، فموحدة مفتوحة: قطعة من العنبر المعروف، **(أطيب من رائحة)** وللكشميهني من ريح **(النبي ﷺ)** وإذا أودع اللّه بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات، كالمسك من الغزال، والزباد من الهرة، فلا بدع في أن يدع في أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك، من نفس خلقته، **(وفي رواية الترمذي؛)** من حديث ثابت، عن أنس في حديث، **(ولا شممت مسكًا قط، ولا عطرًا،)** بكسر العين، الطيب جمعه عطور، فهو عطف عام على خاص، كرواية ولا شيئًا **(كان أطيب من عرق)** بفتح العين، والراء، رشح بدن **(رسول الله ﷺ)** وفي رواية عرف، بفتح العين، وسكون الراء، وبالفاء، وهو الريح الطيب.

قال المصنف: على الشمائل، وكلاهما صحيح، لكن معظم الطرق يؤيد الأول، يعني ريحه أطيب مماسة من أنواع الروائح، فلا يرد أن نفي الشم لا يدل على الأطيبية، وهو المقصود على أنه قد يراد بنفي العلم نفي المعلوم، والمراد حال ريحه الذاتية لا المكتسبة، كما هو المتبادر من ترجيح بعض على بعض، ولو أريد المكتسبة، لم يكن فيه كمال مدح، بل لا تصح

وقوله: شممت: بكسر الميم الأولى وسكون الثانية.

وعن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي قالت: كنا عند عتبة أربع نسوة، فما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبتها، وما يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهنًا يمسح به لحيته ولهو أطيب ريحًا منه، وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شممنا ريحًا أطيب من ريح عتبة، فقلت له يومًا: إنا لنجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريحًا منا فمم ذلك؟ قال: أخذني الشرى على عهد رسول الله ﷺ فأتيته فشكوت ذلك إليه، فأمرني أن أتجرد، فتجردت عن ثوبي وقعدت بين يديه، وألقيت ثوبي على فرجي، فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده، فعبق بي هذا الطيب من يومئذٍ. ....

إرادته وحده، (وقوله: شممت، بكسر الميم الأولى، وسكون الثانية.) وحكي الفراء فتح الأولى، وبه رد زعم ابن درستويه أنها من خطأ العامة، ومضارع المكسور اشم، بفتح الشين، والمفتوح اسم بضمها، (وعن أم عاصم امرأة عتبة.) بضم المهملة، وسكون الفوقية، (ابن فرقد،) بفتح الفاء، والقاف بينهما راء ساكنة، ابن يربوع بن حبيب بن مٰلك بن أسعد بن رفاعة، (السلمي).

وقال ابن سعد: يربوع هو فرقد، شهد خيبر، وقسم له منها، فكان يعطيه لبني أخواله عامًا، ولبني أعمامه عامًا، وغزا مع النبي ﷺ غزوتين، وولاه عمر في الفتوح، ففتح الموصل سنة ثمان عشرة مع عياض بن غنم، ونزل بعد ذلك الكوفة، ومات بها، ذكره في الإصابة، (قالت: كنا عند عتبة) حال من (أربع نسوة،) لأنه في الأصل صفة لها، فلما قدم أعرب حالاً، وأربع خبر كان، (فما منا امرأة إلاَّ، وهي تجتهد في الطيب،) أي: في تحصيل أحسنه واستعماله، (لتكون أطيب من صاحبتها،) كما هو شأن الضرائر، (وما يمس عتبة الطيب، إلاَّ أن يمس دهنًا) مطيبًا، (يمسح به لحيته، ولهو أطيب ريحًا منه، وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شممنا ريحًا أطيب من ريح عتبة، فقلت له يومًا: إنا لنجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريحًا منا، فمم،) أي من أي سبب (ذلك) الوصف الذي ثبت لك، (قال: أخذني الشرى) بثور صغار حمر، حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبًا، وتشتد، ليلاً لبخار حار يثور في البدن دفعة، كما في القاموس، (على عهد رسول الله ﷺ، فأتيته، فشكوت ذلك إليه، فأمرني أن أتجرد، فتجردت عن ثوبي، وقعدت بين يديه، وألقيت ثوبي على فرجي،) وما حوله اقتصر عليه، لكونه أفحش، ويحتمل خلافه، (فنفث في يده، ثم مسح ظهري، وبطني بيده فعبق،) بفتح الباء، أي لزق (بي هذا الطيب من يومئذٍ).

رواه الطبراني في معجمه الصغير.

وروى أبو يعلى والطبراني قصة الذي استعان بالنبي ﷺ على تجهيز ابنته، فلم يكن عنده شيء، فاستدعاه بقارورة فسلت له فيها من عرقه، وقال: مرها فلتطيب به، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين.

وقال جابر بن عبد الله: كان في رسول الله ﷺ خصال: لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه، ولم يكن يمر بحجر إلا سجد له. رواه الدارمي والبيهقي وأبو نعيم. ولله در من قال:

(**رواه الطبراني في معجمه الصغير**) والكبير أيضًا، كما في الإصابة، وقدم المصنف بعض الحديث في ريقه الشريف، (**وروى أبو يعلى، والطبراني**) من حديث أبي هريرة (**قصة**) مفعول روي، وفي نسخة بزيادة في، فمفعول روى محذوف، أي: ما فيه طيب عرقه (**الذي استعان بالنبي ﷺ على تجهيز ابنته، فلم يكن عنده شيء، فاستدعاه بقارورة،**) أي: طلبها من الرجل، (**فسلت له فيها من عرقه**) أي بعضه، (**وقال: مرها، فلتطيب به،**) وهذا الحديث ذكره بالمعنى، تبعًا للفتح، ولفظ أبي يعلى، والطبراني عن أبي هريرة، جاء رجل، فقال: يا رسول اللّه ﷺ إني زوجت ابنتي، وأنا أحب أن تعينني بشيء، قال: «ما عندي شيء، ولكن إذا كان غدًا فأتني بقارورة واسعة الرأس، وعود شجرة، وآية ما بيني وبينك أن أجيف ناحية الباب»، فلما كان من الغد أتاه بذلك؛ فجعل النبي ﷺ يسلت العرق عن ذراعيه، حتى امتلأت القارورة، فقال: «خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة، فتطيب به»، (**فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة**) كلهم (**ذلك الطيب،**) وإن بعدوا عن دارها، هذا ظاهره، ولا مانع إذ هو أمر خارق، (**فسموا بيت المطيبين**).

قال الذهبي: حديث منكر، أي ضعيف، (**وقال جابر بن عبد اللّه**) رضي اللّه عنهما: (**كان في رسول اللّه ﷺ خصال**) خارقة للعادة، منها أنه (**لم يكن**) يمر (**في طريق فيتبعه**) بالرفع، أي: يأتي بعد ذهابه منه، لا يمشي تابعًا له، وهو بالتخفيف والتشديد، ويجوز نصبه، أي: يمشي بعده بزمان قليل، فالفاء للتعقيب، (**أحد**) فاعل يتبع على حال من الأحوال، (**إلاَّ**) على حال (**عرف أنه**) ﷺ (**سلكه،**) أي دخل الطريق ومر فيه، (**من طيب عرقه،**) بالقاف، (**وعرفه،**) بالفاء، ريحه الطيب، والضمير للعرق، بالقاف، فهو كالتفسير، لما قبله، أو للنبي ﷺ، فيفيد طيب ريح بدنه، وإن لم يعرق، فهو دليل لقوله في الترجمة: الرائحة الطيبة صفة، وإن لم يمس طيبًا، (**ولم يكن يمر بحجر إلاَّ سجد له،**) أي تحرك حتى، كأنه سجد، (**رواه الدارمي، والبيهقي، وأبو نعيم، ولله در**

ولو أن ركبًا يمموك لقادهم نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق. رواه أبو يعلى البزار بإسناد صحيح. وما أحسن قول من قال:

يروح على غير الطريق التي غدا عليها فلا ينهى علاه نهاته
تنفسه في الوقت أنفاس عطره فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الأرواح حيث تنسمت لها سحرًا من حبه نسمائه

من قال: **ولو أن ركبا يمموك)** قصدوك **(لقادهم،)** أي: دلهم **(نسيمك)** أي رائحة بدنك **(حتى يستدل به الركب،)** فشبه الدلالة بأخذ قياد الدابة والمشي أمامها، فهو استعارة تبعية، **(وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة، وجدوا منه،)** أي الطريق **(رائحة الطيب)** على أثره، على ظاهر قول جابر قبله، فيتبعه أحد، **(وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق،)** لأن القلب الطاهر الحي يشم منه رائحة الطيب، كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن، لأن نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن، أكثر من ظاهره، والعرق يفيض من الباطن، فالنفس الطيبة يقوى طيبها، ويفوح عرف عرقها، حتى يبدو على الجسد، والخبيثة بضدها، كذا قال بعضهم: **(رواه أبو يعلى البزار بإسناد صحيح، وما أحسن قول من قال)** في هذا المعنى:

(يروح على غير الطريق التي غدا عليها فلا ينهى علاه نهاته
تنفسه في الوقت أنفاس عطره فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الأرواح حيث تنسمت له سحرًا من حبه نسماته)

عن عائشة: كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نورًا، فبهت فقال لملك: بهت، قلت: جعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نورًا، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره، حيث يقول:

ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

رواه ابن عساكر، وأبو نعيم، والخطيب بسند حسن، وأبو كبير بموحدة عامر بن الحليس، بمهملتين، مصغر، وقيل: ابن جمرة وراء جاهلي، وغبر بمعجمة، وموحدة، وراء، بلا نقط، أي: بقية وحيضة بكسر الحاء، أي: لم تحمل به في بقية الحيض، ولا حملت عليه في حالة رضاعه، فيفسد رضاعه، والمغيل بوزن مكرم بالكسر، من الغيل، بفتح المعجمة، وسكون

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأنورهم لونًا، لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر. وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ، وأطيب من المسك الأذفر. رواه أبو نعيم.

وعن أنس قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا، وهو أطيب الطيب. رواه مسلم.

وفي رواية كان ﷺ ....

التحتية، وهي أن ترضعه، وهي حامل، هكذا ضبطه جمع منهم السيوطي، **(وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأنورهم لونًا،)** لأنه أبيض مشرب بحمرة، **(لم يصفه واصف قط إلاّ شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ)** في البياض والصفاء، ففي مسلم عن أنس كان ﷺ أزهر اللون، كان عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، فليس المراد المثلية في التحدر، **(وأطيب من المسك الأذفر)** بذلك معجمة، أي: طيب الريح، ويقع على الكريه، ويفرق بينهما؛ بما يضاف إليه، ويوصف به وأما، بدال مهملة، فخص بالنتن **(رواه أبو نعيم)** وغيره.

(وعن أنس قال دخل علينا رسول الله ﷺ، فقال: عندنا،) أي: قام وقت القائلة، وهي نصف النهار، والغالب فيه الحر، **(فعرق)** بكسر الراء، **(وجاءت أمي)** أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصاري، يقال اسمها سهلة، أو رميلة أو رميثة، أو مليكة، أو أنيقة، وهي الغميصاء، بضم الغين المعجمة، أو الرميصاء، بالراء، اشتهرت بكنيتها، وكانت من الصحابيات الفاضلات، ماتت في خلافة عثمٰن، **(بقارورة، فجعلت تسلت،)** بضم اللام، تمسح **(العرق،)** وتجعله **(فيها،)** أي القارورة.

قال القاضي عياض: كانت محرم له من قبل الرضاع، ففيه جواز الخلوة مع المحارم، قال الأبي: علمت طيب نفسه بذلك، وإلاَّ فالقرابة، لا تبيح القدوم على ذلك، وقال شيخنا: يجوز أن سلتها بآلة، فلا تمس جسده الشريف، والعرق هنا اسم عين، لأنه الذي يؤخذ، فيكون مشتركًا بين المصدر والعين، أو أنه حقيقة في المصدر مجاز في غيره، **(فاستيقظ ﷺ فقال: «يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين»؟، قالت: هذا عرقك،)** خبر موطىء لقولها: **(نجعله لطيبنا،)** ولفظ مسلم في طيبنا، **(وهو أطيب الطيب،)** قال الأبي: وكانت رائحة العرق أخص من رائحة البدن، كما يوجد في ضد طيب الرائحة، فإن ذا الرائحة الكريهة، هي منه في حالة العرق، أكره منها في حالة عدم العرق، **(رواه مسلم)** عن ثابت عن أنس.

(وفي رواية) لمسلم من طريق إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس، **(كان ﷺ**

يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه. قال فجاء ذات يوم فنام فأتيت فقيل لها هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع ﷺ فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ قالت: يا رسول الله نرجو بركة لصبياننا، قال: أصبت.

والعتيدة: كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها.

وأما ما روي أن الورد خلق من عرقه ﷺ ومن عرق البراق فقال شيخنا في الأحاديث المشتهرة: قال النووي: لا يصح. وقال شيخ الإسلام ابن حجر: إنه موضوع، ....

يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها وليست فيه،) لعلمه برضاها، وفرحها به، **(قال: فجاء ذات يوم، فنام)** على فراشها، **(فأتيت، فقيل لها:)** وفي نسخة أما بفتحتين افتتاح كلام، **(هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع،)** أي سال، وسقط **(عرقه على قطعة أديم)** جلد، كان نائمًا عليها **(على الفراش، ففتحت عتيدتها،)** بفتح المهملة، بعدها فوقية، فتحتية، فمهملة، **(فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره في قواريرها، ففزع ﷺ، فقال: «ما تصنعين يا أم سليم»؟، قالت: يا رسول الله نرجو بركة لصبياننا، قال: أصبت والعتيدة، كالصندوق،)** بفتح الصاد، وضمها، **(الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها؛)** قاله النووي، وقال القاضي عياض: هي حقة للمرأة تعدها للطيب، وفي العين العتاد ما يعد للأمر، وفرس عتيد، أي معد للركوب، ومنه عتيدة الطيب، وفي مسلم أيضًا عقب هذين الحديثين، من طريق أبي قلابة عن أنس.

عن أم سليم أن النبي ﷺ، كان يأتيها، فيقيل عندها، فتبسط له نطعًا، فيقيل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه، فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم ما هذا؟»، قالت: عرقك أذوف به طيبي.

قال القاضي عياض: ضبطناه عن الأكثر أذوف، بذال معجمة، ومعناه أخلط، وهو للطبري، بمهملة، ومعناه أيضًا أخلط، **(وأما ما روي أن الورد خلق)** صنف منه، وهو الأبيض، **(من عرقه ﷺ،)** وخلق صنف منه، وهو الأصفر **(من عرق البراق،)** بضم الموحدة، كذا في نسخة، بالواو، وفي نسخة، أو من عرق البراق، بأو للتنويع بدليل بقية العبارة، لا للشك، **(فقال شيخنا)** السخاوي في المقاصد الحسنة **(في الأحاديث المشهورة)** على الألسنة، **(قال النووي: لا يصح،)** وهذا محتمل للضعف والوضع، وهو المراد (و) لذا **(قال شيخ الإسلام ابن حجر)**، الحافظ: **(إنه**

وسبقه لذلك ابن عساكر، وهو في مسند الفردوس بلفظ: الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج، والورد الأحمر خلق من عرق جبريل، والورد الأصفر خلق من عرق البراق. رواه من طريق مكي بن بندار الزنجاني. قال حدثنا الحسين بن علي بن عبد الواحد القرشي، حدثنا هشام بن عمار عن الزهري عن أنس به مرفوعًا ثم قال: قال أبو مسعود حدث به أبو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكي. ومكي تفرد به انتهى. ورواه أبو الحسين بن فارس اللغوي في كتاب «الريحان والراح» له عن مكي به. ومكي ممن اتهمه الدارقطني بالوضع، وله طريق أخرى رواه أبو الفرج النهرواني في الخامس والتسعين من «الجليس الصالح» له من طريق محمد بن عنبسة بن حماد قال: حدثني أبي عن جعفر بن سليمٰن عن مٰلك بن دينار ....

موضوع، **وسبقه لذلك ابن عساكر،)** حافظ الشام، فقال: هذا حديث موضوع وضعه من لا علم عنده، **(وهو في مسند الفردوس بلفظ الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج، والورد الأحمر خلق من عرق جبريل، والورد الأصفر خلق من عرق البراق، رواه من طريق مكي بن بندار،)** بموحدة، فنون، **(الزنجاني، قال: حدثنا الحسين بن علي بن عبد الواحد، القرشي،)** المقدسي.

قال بعضهم: هو الذي وضع هذا الحديث، قال: **(حدثنا هشام بن عمار)** السلمي، الدمشقي، صدوق كبر، فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح، مات سنة خمس وأربعين ومائتين، وله اثنتان وتسعون سنة؛ **(عن الزهري)** محمد بن مسلم بن شهاب، **(عن أنس به مرفوعًا، ثم قال)** الديلمي، صاحب مسند الفردوس: **(قال أبو مسعود)** الدمشقي إبراهيم بن محمد الحافظ: مات كهلاً في رجب سنة أربعمائة، **(حدث به أبو عبد الله الحاكم، عن رجل، عن مكي، ومكي تفرد به ا هـ).**

(ورواه أبو الحسين)، أحمد **(ابن فارس)** الرازي، الفقيه المٰلكي، الإمام في علوم شتى، خصوصًا اللغة، فإنه أتقنها، فغلبت عليه، فلذا نسب **(اللغوي،)** صاحب المصنفات، مات في سنة تسعين وثلثمائة أو قبلها، **(في كتاب الريحان، والراح له عن مكي، به ومكي ممن اتهمه الدارقطني بالوضع،)** فروايته، كعدمها، **(وله طريق أخرى، رواه،)** أي الطريق يذكر ويؤنث **(أبو الفرج النهرواني، في الخامس والتسعين من)** كتاب **(الجليس الصالح، له من طريق محمد بن عنبسة بن حماد، قال: حدثني أبي)** عنبسة، بفتح المهملة، ثم نون ساكنة، ثم موحدة، ومهملة مفتوحتين، **(عن جعفر بن سليمان)** الضبعي، بضم الصاد المعجمة، وفتح الموحدة، أبي سليمٰن البصري، صدوق زاهد لكنه كان يتشيع، مات سنة ثمان وسبعين ومائة، **(عن مٰلك بن دينار)**

عن أنس رفعه: لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت اللصف من نباتها، فلما أن رجعت قطر من عرقي على الأرض فنبت ورد أحمر، ألا من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر. ثم قال أبو الفرج: اللصف: الكبر، قال: وما أتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير مما أكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته. قال وقد روينا معناه من طرق لكن اختصرنا منها هذا فذكرناه وإنما ذِكرته ليعلم.

وعن جابر بن سمرة أنه ﷺ مسح خده، قال جابر: فوجدت ليده بردًا وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار. قال غيره: مسها بطيب أو لم يمسها يصافح ·

البصري الزاهد، أبي يحيى، صدوق، عابد، مات سنة ثلاثين ومائة أو نحوها، **(عن أنس، رفعه: «لما عرج بي إلى السماء، بكت الأرض من بعدي، فنبت اللصف من نباتها، فلما أن رجعت قطر من عرقي على الأرض، فنبت ورد أحمر؛ ألا من أراد أن يشم رائحتي، فليشم الورد الأحمر»، ثم قال أبو الفرج اللصف الكبر:)** وفي القاموس اللصف محركة الإصف، أو اذن الأرنب، ورقة كورق لسان الحمل، وأدق وأحسن زهره أزرق فيه بياض، وله أصل ذو شعب، إذا قلع وحك به الوجه حمرة وحسنة، **(قال)** أبو الفرج تقوية لهذا الخبر، لئلا ينكر من جهله العقل: **(وما أتى به هذا الخبر، فهو اليسير من كثير ما أكرم اللّه به نبيه، ودل على فضله، ورفيع منزلته، قال: وقد روينا معناه من طرق، لكن اختصرنا منها هذا، فذكرناه انتهى)**، كلام شيخه السخاوي، وزاد على ما هنا، ما لفظه لأبي الحسين بن فارس أيضًا، مما عزاه لهشام بن عروة عن أَبيه، عن عائشة مرفوعًا، من أراد أن يشم رائحتي، فليشم الورد الأحمر، **(وإنما ذكرته ليعلم)** أنه موضوع، فيترك، ولا يذكر إلاَّ مع بيان أنه موضوع **(و)** روى مسلم **(عن جابر بن سمرة،)** قال: صليت مع رسول اللّه ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأما أنا فمسح خدي، فذكره بمعناه، فقال **(أنه ﷺ: مسح خده، قال جابر: فوجدت ليده بردًا وريحًا، كأنما أخرجها من جؤنة عطار،)** بين صفة الريح دون البرد، وقال يزيد بن الأسد: ناولني رسول اللّه ﷺ يده، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحًا من المسك.

رواه البيهقي، كما قدمه المصنف، كحديث جابر في يده الشريفة، **(قال غيره،)** غير ابن سمرة، وهو عائشة، فيما رواه أبو نعيم، والبيهقي بإسناد ضعيف، عنها في حديث، وكانت كفه ألين من الحرير، وكان كفه كف عطار، **(مسها بطيب أو لم يمسها،)** أي: الكف، وفيه قلب إذ الظاهر مس بها طيبًا، أم لا، وهو إشارة إلى أن طيبه ذاتي **(يصافح،)** أي يمس النبي ﷺ

المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان ريحها.

وجؤنة العطار: بضم الجيم وهمزة بعدها، ويجوز تخفيفها واوًا: سليلة مستديرة مغشاة أدمًا.

وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للأخباريين ومن ألف في الشمائل الكريمة أنه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوّط ....

بصفحة يده (**المصافح**،) بفتح الفاء، والنصب مفعول، وهو من يريد مصافحته، وفي رواية يصافحه المصافح، بكسر الفاء، والرفع فاعل، (**فيظل**،) بفتح الظاء المعجمة (**يومه**،) منصوب على الظرفية، ولا توكيد فيه، ولا تجريد، لدلالته على الاستغراق (**يجد ريحها**) الطيبة طيبًا خلقيًا، خصه للّه به معجزة، وتكرمة، فالإضافة عهدية، وقدم المصنف أيضًا في اليد الشريفة، قول وائل بن حجر عند الطبراني: كنت أصافح رسول اللّه ﷺ، أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه بعد في يدي، وأنه لأطيب من ريح المسك، وهذا صادق ببقائه أكثر من يوم، لأنه لم يقيد التعرف بزمن، وعجيب نقل ما قدمه المصنف قريبًا من كلام غيره، (**ويضع يده على رأس الصبي**،) أي: صبي كان، لا معين، (**فيعرف من بين الصبيان بريحها**،) لشدة فوحه، أي برائحتها الحاصلة بمسه، والفاء للسببية، أي يعرف أن النبي مسه، فيميز من بينهم.

وفي رواية لريحها، باللام، والتعليلية، ومعناهما واحد، وفي رواية من ريحها، ويحتمل أن ذلك في يومه، وأنه يستمر مدة طويلة، ثم المصنف، تابع لعياض، ولفظ عائشة، ويضعها على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان؛ أنه مسح على رأسه، (**وجؤنة العطار، بضم الجيم، وهمزة بعدها، ويجوز تخفيفها**) بإبدالها (**واوًا، سليلة مستديرة مغشاة أدمًا**،) جلدًا، نقله عياض عن صاحب العين، وقال قبله: أنها كالسفط، يجعل فيها العطار متاعه، (**وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للأخباريين**،) جمع إخباري، نسبة للخبر، وهو ما ينقل، ويتحدث به، وجمعه أخبار، فقياس النسبة خبري، برد الجمع إلى مفرده، لكنه لما اشتهر، فصار اسمًا، لكل ما ينقل، ويتحدث به، التحق بالعلم، فنسب إلى لفظه، (**ومن ألف في الشمائل الكريمة**،) عطف خاص على عام، أو مباين، وهو الظاهر إذ الأخباريون الناقلون للأخبار كيف اتفق، ومقصود المؤلفين في الشمائل، بيان شمائله فقط فهم قسم مستقل، لكن لفظ الشفاء، وحكي بعض المعتنين بأخباره، وشمائله، (**أنه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوّط**،) أي يأتي الغائط، وهو المكان المنخفض من الأرض على عادتهم في البراز، لأنه أستر، قال تعالى: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ [المائدة/ ٦]

انشقت الأرض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة. قال غيره: ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط.

وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي ـ كما هو في بعض نسخ الشفاء، وقالوا إنه ليس من الرواية ولا من حواشي أصل ابن جبير بل من حواشي غيره ـ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئًا من الأذى فقال يا ....

ثم كني به عما يقع فيه تسمية للحال باسم المحل، تحاشيًا عن لفظ العذرة، فإن قيل: فغائط اسم عين، فلا يشتق منه فعل عند البصريين، بل من المصدر، أجيب بأنه يقدر له مصدر، كالغوط، أو يشتق الفعل من المزيد، كالتغوُّط (**انشقت الأرض، وابتلعت بوله وغائطه، وفاحت لذلك رائحة طيبة،**) ولما لم يلزم من الابتلاع انطباقها عليه، بحيث لا يرى لجواز انشقاقها دون انطباق، احتاج قوله.

(**قال غيره: ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط،**) ظاهره يعم البول، ولا ينافي رؤية أم أيمن، وغيرها للبول، وقول المقدسي: فقد شاهده غير واحد، لحمل ما هنا على البول، على الأرض، والآتي على ما إذا بال في إناء، كما هو صريح الكلامين، فلا خلاف، وهذا أولى من حمله على البول مع الغائط، لا وحده، ولو على الأرض لاحتياجه لدليل عليه، لإخراجه عن ظاهره، (**وأسند محمد بن سعد**) بن منيع الهاشمي، مولاهم البصري، نزيل بغداد، صدوق، حافظ، مات سنة ثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة، ويعرف؛ بأنه (**كاتب الواقدي،**) محمد بن عمر، بن واقد الأسلمي، أبو عبد اللّه، المدني، الحافظ، المتروك، مع سعة علمه مات، كما في الديباج، وغيره ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة سبع ومائتين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، فسقط بعض الكلام على من قال: مات في ذي الحجة، سنة إحدى عشرة إذ لم يقله أحد، (**كما هو في بعض نسخ الشفاء، وقالوا: أنه ليس من الرواية**) عن عياض، (**ولا من حواشي أصل،**) أي: نسخة (**ابن جبير، بل من حواشي غيره،**) فأدخلوها في متن الشفاء، ولكن عزوه صحيح لابن سعد، قال في طبقاته: أنبأنا إسمٰعيل بن أبان الوراق، أنبأنا عنبسة بن عبد الرحمٰن التشيري، عن محمد بن زاذان، عن أم سعد.

(**عن عائشة رضي اللّه عنها، أنها قالت للنبي ﷺ: إنك تأتي الخلاء**) بالمد، أي المكان الخالي، البعيد عن البيوت، لأنهم كانوا قبل وضع المراحيض فيها يأتونه لقضاء الحاجة، ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوّط مطلقًا، ثم صار عرفًا اسمًا للبناء المعد لذلك، (**فلا نرى منك شيئًا من الأذى،**) بالمعجمة والقصر، أصله الضرر، ثم أريد به ما يكره، فالمراد به هنا الغائط، (**فقال:**

عائشة وما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء. انتهى.

وفي الشفاء لابن سبع عن بعض الصحابة قال: صحبته ﷺ في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته وقد دخل مكانًا فقضى حاجته، فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم أر له أثر غائط ولا بول، ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرًا.

قلت: وقد سئل الحافظ عبد الغني المقدسي: هل روي أنه ﷺ كان ما يخرج منه تبتلعه الأرض؟ فقال: قد روي ذلك من وجه غريب، ....

(يا عائشة) قلت ذلك، (وما علمت أن الأرض تبتلع») تفتعل من البلع، وضبطه التلمساني، تبلع من بلع، كعلم يعلم، أي: يخفي (ما يخرج من الأنبياء) بحيث يغيب فيها، (فلا يرى منه شيء) تفسير للمراد من البلع، وتأكيد، إذ هو إدخال الطعام، والشراب في الحنجرة، والمريء، فاستعير لمطلق الإخفاء، كقوله تعالى: ﴿يا أرض إبلعي ماءك﴾ [هود/٤٤]، أو هو بيان لحكمته، فليس بمستدرك، كما توهم، قيل: وحكمة إخفائه مع طيبة، وعدم استقذاره، عدم الإذكار لمحله الخارج منه، أو لتتبرك الأرض به، وينبغي ستره لأنه من المروأة، لأنه يخشى من أخذ الناس له، (انتهى) ما أسنده ابن سعد، ورجاله ثقات، إلاَّ محمد بن زاذان المدني، فمتروك، كما في التقريب، لكن له شواهد، يأتي بعضها، (وفي الشفاء)، أي كتاب شفاء الصدور، (لابن سبع)، بسكون الباء، بلفظ العدد، وقد تضم، كما في التبصير، (عن بعض الصحابة، قال صحبته ﷺ في سفر: فلما أراد قضاء الحاجة، تأملته، وقد دخل مكانًا، فقضى حاجته، فدخلت الموضع الذي خرج منه، فلم أرَ له أثر غائط، ولا بول، ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار، فأخذتهن، فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرًا،) بكسر العين، طيبًا معطوف على لهن، لا على رائحة، فالمعنى وجدتهن عطرًا، أي: كالعطر مبالغة، كأن عينهن انقلبت من الحجرية إلى العطرية، ويدل لذلك أن بقية ذا الخبر، كما في التلمساني، فكنت إذا جئت يوم الجمعة المسجد أخذتهن في كمي، فتغلب رائحتهن رائحة من تطيب، وتعطر، (قلت:) من المصنف، لا من تتمة كلام صاحب الشفاء، كما زعم، لأن ابن سبع متقدم على المقدسي بزمان، فلا ينقل عنه، (وقد سئل الحافظ عبد الغني)، بن عبد الواحد بن سرور (المقدسي)، ثم الدمشقي، الإمام، محدث الإسلام، تقي الدين الحنبلي، صاحب التصانيف، غزير الحفظ، والاتقان، قيم بجميع فنون الحديث، ورع كثير العبادة، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ونزل مصر في آخر عمره، وبها مات سنة ستمائة، وله تسع وخمسون سنة، (هل روي أنه ﷺ كان ما يخرج منه تبتلعه الأرض؟، فقال) مجيبًا، (قد روى ذلك من وجه غريب،) أي: ضعيف، (والظاهر المنقول)

والظاهر المنقول يؤيده، فإنه لم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه ولا ذكره، وأما البول فقد شاهده غير واحد. وشربته أم أيمن. انتهى.

لكن قال البيهقي: وأما الحديث الذي أخبرنا به أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسمٰعيل بن محمد الصفار قال حدثنا زيد بن إسمٰعيل الصائغ قال حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل الغائط دخلت في أثره فلا أرى شيئًا إلا أني كنت أشم رائحة الطيب، فذكرت ذلك له فقال: يا عائشة أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الأرض.

فهذا من موضوعات الحسين بن علوان، لا ينبغي ذكره إلا لبيان أنه موضوع ففي الأحاديث الصحيحة والمشهورة في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان. انتهى.

لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان: ....

عن أحوال المصطفى، **(يؤيده، فإنه لم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه، ولا ذكره،)** فلو لم تبلعه الأرض لرؤي في بعض الأوقات، **(وأما البول، فقد شاهده غير واحد، وشربته أم أيمن،)** قسيم لما فهم من بلع الأرض غائطة، **(انتهى)**.

جواب عبد الغني، **(لكن قال البيهقي: وأما الحديث الذي أخبرنا به أبو الحسين بن بشران،)** بكسر الموحدة، وإسكان المعجمة، ثقة، مشهور، من شيوخ البيهقي، **(أخبرنا إسمٰعيل بن محمد الصفار،)** قال في اللسان: ثقة، مشهور، أخطأ ابن حزم حيث جهله، **(قال: حدثنا زيد بن إسمٰعيل الصائغ، قال: حدثنا حسين بن علوان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ، إذا دخل الغائط،)** أي: المكان الذي يريد قضاء الحاجة فيه، **(دخلت في أثره، فلا أرى شيئًا، إلاَّ أني كنت أشم رائحة الطيب، فذكرت ذلك له، فقال: «يا عائشة أما علمت أن أجسادنا)** معاشر الأنبياء **(تنبت،)** أي تخلق، وتوجد **(على)** صفة **(أرواح أهل الجنة، وما خرج منها ابتلعته الأرض، فهذا من موضوعات الحسين بن علوان، لا ينبغي ذكره إلاَّ لبيان أنه موضوع، ففي الأحاديث الصحيحة، والمشهورة في معجزاته، كفاية عن كذب ابن علوان، انتهى)**.

إذ فيها ما هو أجل من ذلك بكثير، **(لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان،)** فلا ينبغي

فعند الدارقطني في الافراد: حدثنا محمد بن سليمٰن الباهلي أنبأنا محمد بن حسان الأموي، أنبأنا عبدة بن سليمٰن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: يا رسول الله، إني أراك تدخل الخلاء ثم يأتي الذي بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثرًا، فقال يا عائشة أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء، ومحمد بن حسان بغدادي ثقة، وعبدة من رجال الصحيح. وله طريق أخرى عند ابن سعد، وأخرى عند الحاكم في مستدركه.

وروي أنه كان يتبرك ببوله ودمه ﷺ.

دعوى وضعه مع وجودها، (**فعند الدارقطني في**) كتاب (**الأفراد**،) بفتح الهمزة، (**حدثنا محمد بن سليمٰن، الباهلي**،) النعماني، قال تلميذه الدارقطني: وكان من الثقات، قال: (**أنبأنا محمد بن حسان الأموي**،) بفتح الهمزة وضمها، البغدادي، قال: (**أنبأنا عبدة**،) بفتح العين، وإسكان الموحدة، فدال فهاء، (**ابن سليمٰن**) الكلابي أبو محمد الكوفي، يقال اسمه عبد الرحمٰن، ثقة، ثبت، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل بعدها: روى له الأئمة الستة، (**عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: يا رسول اللّٰه إني أراك تدخل الخلاء، ثم يأتي الذي بعدك، فلا يرى، لما يخرج منك أثرًا، فقال: «يا عائشة أما علمت أن اللّٰه أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء**،) بولاً، أو غائطًا على ظاهر عمومه، كما مر، وهو من خصائص نبينا على الأمم، (**ومحمد بن حسان بغدادي، ثقة**،) صالح، (**وعبدة، من رجال الصحيح**،) ولذا قال السيوطي: هذا سند ثابت، وهو أقوى طرق هذا الحديث، انتهى.

فقد تابع عبدة حسين بن علوان في روايته، عن هشام، وتابعه أيضًا أرطأة بن قيس الأسدي، عن هشام أخرجه أبو بكر الشافعي، وهي متابعة تامة، فكيف يكون موضوعًا، (**وله طريق أخرى عند ابن سعد**،) تقدمت قريبًا، وأن رجالها ثقات، إلاَّ ابن زاذان، (**وأخرى عند الحاكم في مستدركه**،) قال: أخبرني مخلد بن جعفر، نبأنا محمد بن جرير نبأنا موسى بن عبد الرحمٰن، المسروقي، نبأنا إبرٰهيم بن سعد، نبأنا المنهال بن عبد اللّٰه، عمن ذكره عن ليلى، مولاة عائشة، عنها، وله طريق أخرى عند أبي نعيم، وأخرى عند أبي بكر الشافعي، فقول البيهقي: إنه موضوع محمول على أنه لم يطلع على هذه الطرق، إذ يتعذر معها دعوى الوضع، أو على أنه خاص بالطريق التي ذكرها، دون البقية، أو على خصوص لفظه، والأظهر، بل المتعين الأول، (**وروي أنه كان يتبرك ببوله، ودمه ﷺ**،) أي بشربهما، كما هو المروي، وإن شمل لفظه هنا الإدهان، ونحوه، وأتى بصيغة التمريض نظرًا إلى أن كل فرد منها مقالاً، فلا يرد عليه أن بعضها يعتضد

فروى ابن حبان في «الضعفاء» عن ابن عباس قال: حجم النبي ﷺ غلام لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط، فنظر يمينًا وشمالاً فلم ير أحدًا، فحسا دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر في وجهه فقال: ويحك ما صنعت؟ فقلت غيبته من وراء الحائط، قال ابن عيينة قلت: يا رسول الله نفست على دمك أن أهريقه في الأرض فهو في بطني فقال: اذهب فقد أحرزت نفسك من النار.

وفي سنن أبي سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب ....

لبعض، لأنه بالنظر إلى المجموع، ولا يرد أن حديث شرب المرأة بوله صحيح، لأنها شربته للعطش، غير عالمة أنه بوله، فلم تقصد التبرك، (**فروى ابن حبان في**) كتاب (**الضعفاء. عن ابن عباس قال: حجم النبي ﷺ غلام لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته، أخذ الدم، فذهب به من وراء الحائط،**) الظاهر أن وراء هنا، بمعنى قدام، كما هو أحد إطلاقها، يعني أنه ذهب بالدم إلى جهة الحائط، بحيث صار قدامها، لا تخطاها بحيث صارت خلفه، (**فنظر يمينًا وشمالاً، فلم يرَ أحدًا، فحسا دمه،**) بفاء العطف على ما قبله، وفي نسخة تحسى، والأولى أظهر، (**حتى فرغ**) أي: من شربه شيئًا، فشيئًا إلى فراغه، (**ثم أقبل، فنظر**) ﷺ (**في وجهه، فقال: ويحك ما صنعت؟،**) والظاهر أن ابن عباس حمله عن الغلام بقوله: (**فقلت غيبته**) في جوفي (**من وراء الحائط،**) فليس كذبًا، (**قال إبن عيينة**) تفرس فيه، أو ألهم أنه شربه، فسأله ثانيًا، أو المراد في أي مكان من وراء الحائط، فلا يرد أنه لا فائدة في السؤال الثاني، (**قلت يا رسول الله نفست**) بكسر الفاء، ضننت (**على دمك أن أهريقه في الأرض، فهو في بطني،**) قال في القاموس: نفس به كفرح ضن، وعليه بخير جسده، وعليه الشيء نفاسة، لم يره أهلاً له، والظاهر صحة الثلاثة، فالأول تكون عليّ، بمعنى الباء، والثاني فيه حذف المفعول، وهو جائز، أن نفست الأرض على دمك، أي حسدتها، والثالث لم أرَ دمك أهلاً لإراقته في الأرض لعظمته، قرره شيخنا، (**فقال**) ﷺ: («**إذهب، فقد أحرزت نفسك من النار**»،) لأن دمه، لا تمسه النار، وقد مازج لحمه ودمه، (**وفي سنن أبي سعيد،**) بكسر العين، (**ابن منصور**) بن شعبة، أبي عثمٰن الخراساني، نزيل مكة، حافظ، ثقة، مصنف روي عن ملك، والليث، وابن عيينة، وخلق، وعنه الإمام أحمد، وقال: إنه من أهل الفضل، والصدق، ومسلم وأبو داود، وأبو حاتم، وقال: إنه من المتقنين الإثبات، وخلق سواهم صنف السنن بمكة، وبها مات سنة سبع وعشرين ومائتين (**من طريق عمرو،**) بفتح العين.

قال الحافظ: وصوابه عمر، بضمها (**ابن السائب،**) ابن أبي راشد المصري، مولى بني

أنه بلغه أن مٰلكًا والد أبي سعيد الخدري لما جرح النبي ﷺ مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض فقال: مجه، فقال: والله لا أمجه أبدًا، ثم ازدرده فقال النبي ﷺ: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فاستشهد.

وأخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية، من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: احتجم رسول الله ﷺ فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة، وقال: اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم أتيته ﷺ فقال: ما صنعت؟ قلت: غيبته، قال: لعلك شربته. قلت: شربته، وفي رواية قلت: جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خاف عن الناس، قال لعلك شربته؟ قلت: شربته، فقال: ويل لك من الناس وويل للناس منك. ....

زهرة، أبو عمرو، صدوق، ففيه مات سنة أربع وثلاثين ومائة، (**أنه بلغه**) والبلاغ من أقسام الضعيف، (**إن مالكًا**) هو ابن سنان (**والد أبي سعيد الخدري، لما جرح النبي ﷺ**) في وجهه يوم أُحد، (**مص جرحه حتى أنقاه**) بنون وقاف، (**ولاح**) ظهر بعد المص محل الجرح (**أبيض، فقال: «مجه»، فقال: والله**) وفي نسخة، لا والله (**لا أمجه أبدًا، ثم ازدرده**) ابتلعه، (**فقال النبي ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا»، فاستشهد**) يومئذٍ بأحد، فظهر صدق قوله أنه من أهل الجنة، وروى سعيد بن منصور أيضًا، أنه ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى رجل خالط دمي دمه، فلينظر إلى مٰلك بن سنان»، (**وأخرج البزّار، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وأبو نعيم في الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير،**) الأسدي، أبي الحٰرث المدني، التابعي، الثقة، العابد، مات سنة إحدى وعشرين ومائة، روى له الستة، (**عن أبيه، قال: احتجم رسول الله ﷺ، فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة، وقال: «إذهب يا عبد الله، فغيبه»**).

(**وفي رواية: «إذهب بهذا الدم فواره حيث، لا يراه أحد»، فذهبت، فشربته، ثم أتيته ﷺ، فقال: «ما صنعت»**)، أي بالدم، (**قلت غيبته، قال: «لعلك شربته»، قلت: شربته، وفيه رواية، قلت: جعلته في أخفى مكان، ظننت أنه خاف عن الناس،**) وفي هذا مزيد حذقه رضي الله عنه، مع صغر سنه، فإنه ولد سنة الهجرة، وكان أول مولود للمهاجرين (**قال: «لعلك شربته»، قلت: شربته قال: «ويل**) للتحسر، والتألم (**لك من الناس»،**) إشارة إلى محاصرته، وتعذيبه، وقتله، وصلبه على يد الحجاج، (**«وويل للناس منك»،**) لما أصابهم من حروبه، ومحاصرة مكة بسببه، وقتل من قتل، وما أصاب أمه، وأهله من المصائب، وما لحق قاتليه من الإِثم العظيم، وتخريب الكعبة، فهو

وفي رواية فقال له رسول الله ﷺ فما حملك على ذلك قال: علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك، فقال: ويل لك من الناس، وويل للناس منك.

وعند الدارقطني من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه، وفيه: ولا تمسك النار، ....

بيان، لما تسبب عن شرب دمه، فإن بضعة من النبوة نورانية قوت قلبه، حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق إمارة فضلاً عن الخلافة، وزعم أنه إشارة إلى ما يلحقه من قدح الجهلة فيه بسبب شرب الدم، مما لا ينبغي ذكره وسقوطه مغن عن رده، (**وفي رواية، فقال له رسول الله ﷺ: «فما حملك على ذلك؟»، قال: علمت أن دمك، لا تصيبه نار جهنم، فشربته لذلك، فقال: ويل لك من الناس، وويل للناس منك،**) وقد سئل الحافظ ابن حجر عن الحكمة في تنوع القول، لابن الزبير، ولملك، ابن سنان مع اتحاد السبب، فأجاب؛ بأن ابن الزبير شرب دم الحجامة، وهو قدر كثير يحصل به الاغتذاء، وقوة جذب المحجمة تجلبه من سائر العروق، أو كثير منها.

فعلم ﷺ أنه يسري في جميع جسده، فتكتسب جميع أعضائه منه قوى من قوى النبي ﷺ، فتورثه غاية قوة البدن، والقلب، وتكسبه نهاية الشهامة، والشجاعة، فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل، وقلة ناصره، وتمكن الظلمة، وكثرة أعوانهم، فحصل له ما أشار إليه ﷺ، من تلك الحروب الهائلة التي تنتهك بها حرمته الناشئة، من حرمته ﷺ، وحرمة البيت العتيق، فقيل له: ويل له، لقتله، وانتهاك حرمته، وويل لهم لظلمهم، وتعديهم عليه، وتسفيههم، وأما لملك، فازدرد ما مصه من الجرح الذي في وجهه ﷺ، وهو أقل من دم الحجامة، وكأنه علم أنه يستشهد في ذلك اليوم، فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبره به، فأعلمه بالأهم له مما يتلقاه من أنواع مسرات الجنان، انتهى.

ولا عطر بعد عروس، وحاصله أنه اقتصر لملك على التبشير بالجنة، أنه لا تصيبه النار لعدم بقاء شيء له من الدنيا، بخلاف ابن الزبير، فأخبره بما يقع له في الدنيا، على سبيل الإشارة، كما أشار له أيضًا، بأنه من أهل الجنة بقوله: لا تمسك النار، فزعم أن مقتضاه أنه لم يخاطب بهذا ابن الزبير، بل مالكًا ساقط إذ محط الفرق، إنما هو قوله ويل الخ...، وكيف يتوهم أنه لم يخاطب به ابن الزبير، (و)قد ورد (**عند الدارقطني، من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه، وفيه: ولا تمسك النار،**) فهل يظن بالحافظ أنه لم يرَ الدارقطني، وهو من جملة مروياته على شيوخ عدة، ولفظ الدارقطني في السنن عن أسماء، قالت: احتجم ﷺ، فدفع دمه لابني، فشربه، فأتاه جبريل، فأخبره، فقال: ما صنعت، قال: كرهت أن أصب دمك، فقال ﷺ: لا تمسك النار،

وفي كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون: أنه لما شرب دمه ﷺ تضوّع فمه مسكًا، وبقيت رائحته موجودة في فمه إلى أن صلب رضي الله عنه.

وأخرج الحسن بن سفيٰن في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم من حديث أبي مٰلك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: يا أم أيمن قومي ....

ومسح على رأسه، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس، **(وفي كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون أنه)** أي: ابن الزبير، **(لما شرب دمه ﷺ تضوّع،)** أي: فاح **(فمه مسكًا،)** تمييز، قال الجوهري: وضاع المسك، وتضوّع، وتضيع، أي: تحرك، فانتشرت رائحته، قال:

تضوع مسكًا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة عطرات

ثم قال: وتضيع المسك، لغة في تضوع، أي: فاح، **(وبقيت رائحته موجودة في فمه، إلى أن صلب)** بعد قتله **(رضي الله عنه)** سنة ثلاث وسبعين، وكانت خلافته تسع سنين، قال الإمام مٰلك: وكان أحق بها من عبد الملك، وأبيه مروان، **(وأخرج الحسن بن سفيٰن)** بن عامر الفسوي، بالفاء، إلى فسا من بلاد فارس، الحافظ، الإمام، لقي إسحٰق، وابن معين، ومات سنة ثلاث ومائتين، وقد جاوز التسعين، **(في مسنده،)** وهو كبير، **(والحاكم، والدارقطني، والطبراني، وأبو نعيم من حديث أبي مٰلك النخعي،)** الواسطي اسمه عبد الملك وقيل: عبادة بن الحسين، ويقال له ابن ذر متروك، من السابعة روى له ابن ماجه، كما في التقريب، **(عن الأسود بن قيس)** العبدي، ويقال العجلي، الكوفي، يكنى أبا قيس، تابعي، صغير، ثقة، **(عن نبيح،)** بضم النون، وموحدة، ومهملة مصغر ابن عبد الله، **(العنزي،)** بفتح المهملة، والنون، ثم زاي، نسبة إلى عنزة بن أسد أبي عمر، والكوفي، مقبول من الطبقة الوسطى من التابعين، **(عن أم أيمن، قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل،)** من ظرفية بمعنى في لا زائدة، وقد عده من معانيها الكوفيون، وابن مٰلك، وأنشدوا:

عسى سائل ذو حاجة إن منعته ... من اليوم سؤلانا له بعد في غد

وقال تعالى: ﴿نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾ [الجمعة/٩]، أي: فيه **(إلى فخارة)**، جرة **(في جانب البيت، فبال فيها، فقمت من الليل، وأنا عطشانة،)** قيل المعروف لغة عطشى، فهذا سماعي على خلاف القياس، كألفاظ جاءت على فعلان وفعلانة، فيصرف فعلان، لأن شرط منع صرفه وجود، فعلى، أو فقد فعلانة، وفي القاموس أن عطشانة لغة في عطشى، **(فشربت**

فأُهريقي ما في تلك الفخارة، فقلت: قد والله شربت ما فيها قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: أما والله لا يجعن بطنك أبدًا.

وعن ابن جريج قال: أخبرت أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذي كان في القدح؟ قالت: شربته. قال: صحة ....

ما فيها، وأنا لا أشعر) أنه بول لطيب رائحته، **(فلما أصبح النبي ﷺ، قال: «يا أم أيمن قومي، فاهريقي»،)** بفتح الهمزة، من أهرق، أي صبي **(«ما في تلك الفخارة»، فقلت: قد والله شربت ما فيها،)** أقسمت عليه تأكيدًا، **(قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «أما،)** بالفتح، وخفة الميم، **(والله، لا يبجعن،)** بالباء الموحدة، والجيم، كذا قال السيوطي في المناهل، لكنه لا يناسب قول القاموس، بجعة بالجيم، قطعة بالسيف، لأن ما هنا من الوجع، أي المرض، وصرح المجد، بأنه يقال يوجع، بالواو، وييجع، بالياء، فهو، بتحتيتين، أولاهما مفتوحة، ومكسورة، أي: لا يصيب **(بطنك)** وجع **(أبداً، وعن)** عبد الملك بن عبد العزيز **(بن جريج،)** بجيمين أولاهما مضمومة، الأموي مولاهم، المكي، ثقة، فاضل، فقيه، روى له الستة، وكان يدلس، ويرسل، مات سنة خمسين ومائة، أو بعدها، وقد جاوز التسعين، وقيل جاوز المائة، ولم يثبت **(قال: أخبرت أن النبي ﷺ، كان يبول في قدح من عيدان،)** بفتح المهملة، وإسكان التحتية، ومهملة مفتوحة، جمع عيدانة، بالهاء، وهو الطوال من النخل، كما ضبطه جمع منهم المجد، وجوَّز التلمساني، كسر العين، على أنه جمع عود، وهو مخالف لهم، قال الشاعر:

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

(ثم يوضع تحت سريره،) فإن قيل ما الحاجة لوضعه مع إن الأرض تبتلعه، فلا يرى له أثر، أجيب بأنه ﷺ، كان يكره الخروج ليلاً من بيته، وهو مصلى نافلته، ومحل نزول الوحي، والملائكة، فلا يليق أن يمس باطنه، وظاهره شيء من الفضلات، وإن ظاهره تعظيمًا لعبادة ربه، وتأدبًا، ثم لا ينافيه قوله ﷺ: لا ينقع بول في طشت في البيت، فإن الملائكة، لا تدخل بيتًا فيه بول مستنقع، رواه الطبراني بسند حسن عن ابن عمر، لإمكان حمله على الفعل، بلا ضرورة، أو على تركه في الإناء مدة بحيث ينشر به الإناء، كما يشعر به ينقع، ومستنقع ومدة تركه ﷺ كانت يسيرة، **(فجاء، فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة، يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة)** بنت أبي سفيان، أم المؤمنين، **(جاءت معها من أرض الحبشة: «أين البول الذي كان في القدح»؟، قالت: شربته، قال: صحة،)** بكسر الصاد، والنصب، أي جعله الله صحة، أو الرفع، أي:

يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه. رواه أبو داود عن ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة بنت رقيقة.

وصحح ابن دحية أنهما قصتان وقعتا لامرأتين وقد وضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن، ....

ما شربتيه صحة، أي سبب لها، وفيه أن قول ذلك مستحب للشارب، ويقاس عليه الأكل، وحكمته أنه يخشى منهما السقم ونحوه، كما قيل:

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

(**يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان،**) أي وجد (**مرضها الذي ماتت فيه،**) وهذا الحديث رواه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج، أخبرت الخ...

و(**رواه أبو داود،**) متصلاً (**عن ابن جريج عن حكيمة،**) بضم الحاء المهملة، وفتح الكاف مصغر، كما في التبصير، وغيره تابعية، وفي الإصابة عن أبي نعيم لم يرَ، وعنها إلاّ ابن جريج، واسم والدها حكيم، (**عن أمها أميمة**) بضم الألف، وميمين، بينهما تحتية مصغر، قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه، الحديث، وأبوها اسمه بجاد، بكسر الموحدة، والجيم، ابن عبد الله بن عمير، بن الحرث، بن جارية بن سعد، بن تيم بن مرة، القرشية، التيمية، ويقال: أميمة بنت عبد الله بن بجاد، إلى آخره، صحابية من المبايعات، روت عن النبي ﷺ، وعنها محمد بن المنكدر، وبنتها حكيمة، واشتهرت بأمها، ولذا قال: (**بنت رقيقة،**) بضم الراء، وقافين مصغر، وهي بنت خويلد بن أسد، أخت خديجة أم المؤمنين، قال أبو عمر: كانت بنتها أميمة من المبايعات، وهي خالة فاطمة الزهراء، ورده ابن الأثير؛ بأنها بنت خالتها، لأن خويلد، والد خديجة، هو والد رقيقة، لا أميمة، قال في الإصابة: هذا يصح على قول من قال أنها رقيقة بنت أسد، بن عبد العزى، ومن ثم، قال المستغفري: هي عمة خديجة بنت خويلد، وترجم في الإصابة، تلو هذه أميمة بنت رقيقة، بنت أبي صيفي بن هاشم، بن عبد مناف، وهي أخت مخرمة بن نوفل لأمه، وأمها رقيقة، صاحبة الرؤيا في استقاء عبد المطلب، فرق أبو نعيم تبعًا، للطبراني بينها، وبين التي قبلها، وأخرج في ترجمة هذه حديث ابن جريج، فذكره، ثم قال: وأما ابن السكن، فجعلهما واحدة، ثم ترجم رقيقة بنت أبي صيفي، فنسبها، كما رأيت، وقال: ذكرها الطبراني، والمستغفري في الصحابة، وقال أبو نعيم: ما أراها أدركت الإسلام، انتهى.

فليتأمل، ثم أشار المصنف إلى الخلاف، في أن شاربة بوله ﷺ امرأة واحدة، أو امرأتان، بقوله: (**وصحح ابن دحية أنهما قصتان وقعتا لامرأتين،**) إحداهما أم أيمن، والثانية بركة أم يوسف، وزعم أن أحداهما أميمة، وهم لأنها رواية فقط، كما علمت، (**وقد وضح،**) بفتح الضاد، كوعد

وهو الذي ذهب إليه شيخ الإسلام البلقيني.

وفي هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه ﷺ. قال النووي في شرح المهذب: واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين: أن أبا طيبة الحجام حجمه ﷺ وشرب دمه ولم ينكر عليه، وأن امرأة شربت بوله ﷺ فلم ينكر عليها. وحديث أبي طيبة ضعيف، وحديث شرب المرأة البول صحيح رواه الدراقطني قال: وهو حديث حسن صحيح، ....

انكشف وظهر، **(أن بركة أم يوسف، غير بركة أم أيمن،)** لأن أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة، وجاءت معها من الحبشة، وأم أيمن هي مولاته ﷺ، وحاضنته، وهي بركة بنت ثعلبة، بن عمرو بن حصن بن مٰلك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، **(وهو الذي ذهب إليه شيخ الإسلام)** السراج، **(البلقيني،)** خلافًا لدعوى ابن السكن، أن بركة خادمة أم حبيبة كانت تكنى أيضًا أم أيمن، فالقصتان لها، وخلافًا لخلط أبي عمر، خادمة أم حبيبة، بأم أيمن، فأخرج في ترجمتها حديث ابن جريج عن حكيمة عن أميمة، ثم قال: أظن بركة هذه أم أيمن، قال في الإصابة، وحمله على ذلك ما ذكره هو في صدر ترجمة بركة أم أيمن، أنها هاجرت الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، وفي هجرتها إلى الحبشة نظر، فإنها كانت تخدم النبي ﷺ، وزوجها مولاه زيدًا، وزيد لم يهاجر إلى الحبشة، ولا أحد من خدمه ﷺ، إذ ذاك، فظهر أن بركة الحبشية غير أم أيمن، وإن وافقتها في الاسم، ثم أن بعض المغاربة جوز أن بركة الحبشية هي بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيٰن بن حرب المهاجرة إلى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد اللّه الأسدي، وليس كما ظن، فإن بركة بنت يسار من حلفاء بني عبد الدار، وأصلها من كندة، وليست حبشية، وإن اشتركتا في كونهما، كانتا في أرض الحبشة مع المهاجرين، انتهى.

(وفي هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه ﷺ،) لأنه لم يأمر واحدًا منهم يغسل فمه، ولا نهاه عن عودة، قاله عياض، **(قال النووي في شرح المهذب، واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين، أن أبا طيبة الحجام حجمه ﷺ، وشرب دمه، ولم ينكر عليه، وأن امرأة شربت بوله ﷺ، فلم ينكر عليها،)** قال عياض: وشاهد هذا أنه ﷺ لم يكن منه شيء يكره، ولا غير طيب، **(وحديث أبي طيبة ضعيف،)** أي شربه الدم، وإلاّ فحاجته للنبي ﷺ في الصحيحن من حديث أنس، وجابر، وغيرهما، **(وحديث شرب المرأة البول صحيح،)** يعني أم أيمن، لأنها التي **(رواه الدارقطني،)** أنها شربت بوله، كما مر قريبًا؛ **(قال: وهو حديث حسن صحيح،)** نحوه قول عياض في الشفاء: حديث المرأة التي شربت بوله ﷺ صحيح، ألزم الدارقطني مسلمًا، والبخاري، إخراجه في الصحيح انتهى، لكن تعقب بأن

كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسًا، ثم قال إن القاضي حسينًا قال: بطهارة الجميع. انتهى.

وبهذا قال أبو حنيفة، كما قاله العيني.

وأبو طيبة؛ بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة تحت وباء موحدة، نافع الحجام مولى محيصة ـ بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها ـ هو ابن مسعود الأنصاري.

وقال شيخ الإسلام ابن حجر قد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته ﷺ وعدَّ الأئمة ذلك من خصوصياته. انتهى.

الدارقطني، قال في علله، أنه مضطرب جاء عن أبي مُلك النخعي، وهو ضعيف، وذلك (**كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسًا، ثم قال**) النووي: (**إن القاضي حسينًا، قال بطهارة الجميع، انتهى**).

أي جميع فضلاته، وبه جزم البغوي، وغيره، واختاره كثير من متأخري الشافعية، وصححه السبكي، والبارزي، والزركشي، وابن الرفعة، والبلقيني، والقاياتي، قال الرملي، وهو المعتمد خلافًا، لما صححه الرافعي، وتبعه النووي: إن حكمهما منه، كغيره، وحمل الأخبار على التداوي، ورد بحديث لن يجعل اللّه شفاء أمتي، فيما حرم عليها، وحمل تنزهه ﷺ منها، على الاستحباب، ومزيد النظافة، (**وبهذا، قال أبو حنيفة، كما قاله العيني**) وقطع به ابن العربي من المالكية، وعممه، بعض متأخريهم في جميع الأنبياء، وفي الشفاء، قال قوم: بطهارة الحدثين منه ﷺ، وهو قول بعض أصحاب الشافعي، وحكي القولين عن العلماء ابن سابق المالكي، (**وأبو طيبة، بفتح الطاء المهملة، وسكون الياء المثناة تحت، وباء موحدة،**) مفتوحة، (**نافع الحجام،**) كما ثبت في مسند أحمد وغيره، عن محيصة بن مسعود أنه كان له غلام حجام، يقال له نافع أبو طيبة، فسأل النبي ﷺ عن خراجه، فقال: إعلفه الناضح الحديث، فقول العسكري: قيل اسمه نافع، ولا يصح، ولا يعرف، اسمه ساقط، ويقال اسمه ميسرة، وذكره البغوي، عن أحمد بن عبيد بن أبي طيبة، أنه سئل عن اسم جده، فقال ميسرة: ويقال اسمه دينار حكاه ابن عبد البر، ولا يصح، فقد ذكر الحاكم أبو أحمد، أن دينار الحجام آخر تابعي، وأخرج ابن منده حديث لدينار الحجام عن أبي طيبة، ذكره في الإصابة (**مولى محيصة، بضم الميم، وفتح المهملة، وتشديد المثناة تحت، وكسرها، هو ابن مسعود الأنصاري،**) فإذا بهذا أن أبا طيبة غير الغلام المار، لأنه غلام لبعض قريش، (**وقال شيخ الإسلام ابن حجر،**) الحافظ: (**قد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته ﷺ، وعد الأئمة ذلك من خصوصياته انتهى**).

قال بعضهم: وكان السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله أعلم.

وأما سيرته ﷺ في البراز، ففي حديث عائشة عند أبي عوانة في صحيحه والحاكم: ما بال رسول الله ﷺ قائمًا منذ أنزل عليه القرءان.

وفي حديث عبد الرحمٰن بن حسنة ....

قال الزركشي: وينبغي طرد الطهارة في فضلات سائر الأنبياء، ونازعه الجوجري في ذلك، لكن يؤيده حديث أن اللَّه أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء، مع حديث أن أجسادهم ثبتت على أرواح أهل الجنة، (**قال بعضهم: وكان السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين، حين غسلا جوفه**) في المرة الأولى، عند مرضعته حليمة، أو وهو ابن عشر، أو حين البلوغ، أو ليلة الإِسراء، فعلى الأول يكون ذلك ثبت له من ابتداء طفوليته، (**واللَّه أعلم**) بالحق في ذلك، (**وأما سيرته ﷺ**) أي حالته وهيئته، التي كان يتلبس بها (**في البراز**) بفتح الموحدة، اسم للفضاء الواسع، كنوا به عن الحاجة، كما كنوا بالخلاء، لأنهم كانوا يتبرزون في الأمكنة الخالية من الناس، قال الخطابي: وأكثر الرواة يكسرون الباء، وهو غلط، لأنه مصدر بارزت الرجل مبارزة، وبراز إلاَّ بمعنى القضاء، ورده النووي؛ بأن الظاهر بل الصواب الكسر.

قال الجوهري وغيره من أئمة اللغة، البراز، بالكسر، ثقل الغذاء، وهو الغائط، وأكثر الرواة عليه، فتعين المصير إليه، ولأن المعنى عليه ظاهر، ولا يظهر معنى الفضاء الواسع هنا إلاَّ بكلفة، انتهى، أي بجعله مجازًا علاقته المجاورة، أو من تسمية الحال باسم المحل، لخروجه فيه، وذكر المصباح أن كسر الباء في الفضاء لغة قليلة، ثم جواب أما محذوف، أشير إلى بعضه بقوله، (**ففي حديث عائشة**) أو هو، وما بعده نفس الجواب، وهو أولى (**عند أبي عوانة**) الحافظ، يعقوب بن إسحٰق الأسفرايني، النيسابوري ثقة، ثبت، جليل، طاف الدنيا وعني بالحديث، مات سنة ست عشرة وثلثمائة، (**في صحيحه**) المخرج على مسلم، وله فيه زيادات عدة، (**والحاكم**) محمد بن عبد اللَّه، الحافظ، المشهور، قالت: (**ما بال رسول اللَّه ﷺ قائمًا منذ أنزل عليه القرءان**) يطلق على بعضه، كما يطلق على كله، فشمل أول ما نزل، فكأنها. قالت: منذ نبيء، ولا يشكل؛ بأنها لم تولد، حينئذٍ الجواز أنه بلغها ذلك، فأخبرت به، ولا يرد ما شاهده حذيفة من بوله قائمًا، لأنه في غير البيوت، أو لبيان الجواز، ولم تشاهده عائشة، فأخبرت بما شاهدت، وكأنها قاست عليه ماله تشاهده، وقد روي الترمذي، والنسائي عنها من حدثكم أن رسول اللَّه ﷺ، كان يبول قائمًا، فلا تصدقوه ما كان يبول إلاَّ قاعدًا، ولفظ النسائي إلاَّ جالسًا، وحمل على من اعتقد أنه عادته، (**وفي حديث عبد الرحمٰن بن حسنة،**) بفتح المهملتين، ثم نون،

عند النسائي وابن ماجه: أنه ﷺ بال جالسًا، فقالوا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة.

وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه أنه قال: كان من شأن العرب البول قائمًا، ويؤيده ما في حديث عبد الرحمٰن هذا. وفيه دلالة على أنه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه أستر وأبعد من مماسة البول.

وقال حذيفة: أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائمًا ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ. ....

وهو ابن المطاع بن عبد الله، أخو شرحبيل بن حسنة، وهي أمهما، قال الترمذي: يقال أنهما إخوان، وأنكره العسكري، تبعًا لابن أبي خيثمة.

روى عبد الرحمٰن عن المصطفى، وعنه زيد بن وهب، وذكر مسلم، والأزدي، والحاكم؛ أنه تفرد بالرواية عنه، ويرد عليهم أن في الطبراني الكبير حديثًا من طريق أبي طارق عنه، قاله الإصابة (**عند النسائي، وابن ماجه**) وصححه الدارقطني، وغيره؛ (**أنه ﷺ بال جالسًا**) مخالفًا لعادة العرب، (**فقالوا**) متعجبين: (**انظروا إليه يبول، كما تبول المرأة،**) ولعل قائليه ليسوا مسلمين، إذ محافظة الصحابة على فعله، واقتداؤهم به معلوم، (**وحكي ابن ماجه عن بعض مشايخه أنه قال: كان من شأن العرب البول قائمًا،**) ألا تراه يقول في حديث عبد الرحمٰن بن حسنة، يبول كما تبول المرأة، هذا بقية ما حكاه ابن ماجه، كما في الفتح، فما أوهمه قوله، (**ويؤيده ما في حديث عبد الرحمٰن هذا،**) من تعجبهم من بوله جالسًا؛ أنه من عنده ليس بمراد، (**وفيه دلالة على أنه**) ﷺ (**كان يخالفهم في ذلك، فيقعد لكونه أستر، وأبعد من مماسة البول،**) إذ القيام يخشى منه إصابة القدمين ونحوهما برشاش البول.

(**وقال حذيفة**) بن اليمان، الصحابي، ابن الصحابي: (**أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم،**) وفي رواية بطيحة قوم، وهي المكان الواسع، (**فبال قائمًا، ثم دعا بماء، فجئته بماء فتوضأ**) وفي مسلم، فتنحيت، فقال: ادنُ، فدنوت حتى قمت عند عقبيه، ولأحمد أتى سباطة قوم، فتباعدت، فأدناني حتى صرت قريبًا من عقيبة، فبال قائمًا، ودعا بماء، فتوضأ، ومسح على خفيه، وكذا زاد مسلم وغيره فيه ذكر المسح على الخفين.

(**رواه البخاري**)، ومسلم، وأصحاب السنن وغيرهم، وفي الصحيح أيضًا عن حذيفة، رأيتني أنا والنبي ﷺ نتماشى، فأتى سباطة قوم خلف حائط، فقام، كما يقوم أحدكم فبال، فانتبذت منه، فأشار إليّ فجئت، فقمت عند عقبيه حتى فرغ، وفيه أيضًا كان أبو موسى الأشعري يشدد

رواه البخاري. وفي رواية غيره: بال قائمًا ففحج رجليه، أي: فرقهما وباعد ما بينهما.

والسباطة: ـ المهملة وبعدها موحدة ـ هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لأهلها، وتكون في الغالب سهلة لا يرتد منها البول على البائل، وإضافتها إلى القوم إضافة اختصاص لا ملك لأنها لا تخلو عن النجاسة. وبهذا يندفع إيراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه إضرار، أو نقول: إنما بال فوق السباطة لا في أصل الجدار، وهو صريح في رواية أبي عوانة في صحيحه. ....

في البول، ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب البول ثوب أحدهم قرضه، فقال حذيفة: ليته أمسك أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم، فبال قائمًا، (**وفي رواية غيره: بال قائمًا، ففحج،**) بفاءين، وحاء مهملة مفتوحات، وجيم، (**رجليه، أي: فرقهما وباعد ما بينهما،**) وهذه حالته وإن بال جالسًا، قال أبو موسى: رأيت رسول الله ﷺ يبول قاعدًا، قد جافى بين فخذيه، حتى جعلت أرثي له من طول الجلوس.

رواه الطبراني، وقال ابن عباس: عدل ﷺ إلى الشعب، فبال حتى أني أرثي له من وركيه، رواه ابن ماجه (**والسباطة،**) بضم السين، (**المهملة، وبعدها موحدة،**) فألف، فطاء مهملة، فتاء تأنيث، (**هي المزبلة،**) بفتح الباء، والضم لغة موضع الزبل، كما في المصباح، (**والكناسة،**) الواو بمعنى، أو وبها عبر المصنف في شرح البخاري، وحكي ابن الأثير القولين، فقال: السباطة الموضع الذي يرمى فيه السراب، والأوساخ، وما يكنس من المنازل، وقيل هي الكناسة نفسها انتهى.

وجزم الجوهري، والمجد بالثاني، (**تكون بفناء الدور مرفقًا لأهلها،**) أي: محلاً يرتفقون به، قال في القاموس: الرفق بالكسر ما استعين به، واللطف رفق به، وعليه مثلثة رفقًا ومرفقًا، كمجلس ومقعد ومنبر، ثم قال: ومرافق الدار مصاب الماء ونحوها؛ ومثله في صحاح الجوهري، وصريحهما أن اللغتين في المعنيين، وفي المصباح المرفق ما ارتفقت به، بفتح الميم، وكسر الفاء، وعكسه لغتان، وأما مرفق الدار، كالمطبخ والكنيف ونحوه، فبكسر الميم، وفتح الفاء، لا غير على التشبيه باسم الآلة، (**وتكون في الغالب سهلة، لا يرتد منها البول على البائل؛**) فلذا بال عليها، (**وإضافتها إلى القوم إضافة اختصاص، لا ملك، لأنها، لا تخلو عن النجاسة،**) وهي لا تملك، (**وبهذا،**) أي: كونها سهلة، لا يرتد منها البول (**يندفع إيراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار، ففيه إضرار،**) وهو قد قال: لا ضرر، ولا ضرار، ووجه الدفع إنها لسهولتها تشرب البول الحاصل بها، فلا يصل إلى الجدار، (**أو نقول**) في الجواب (**إنما بال فوق السباطة**) بوسطها، (**لا في أصل الجدار،**) الذي نشأ الإشكال منه، (**وهو صريح في رواية أبي عوانة في**

وقيل: يحتمل أن يكون علم إذنهم في ذلك بالتصريح أو غيره أو لكونه مما يتسامح الناس به، أو لعلمه بإيثارهم إياه بذلك، أو لكونه يجوز له التصرف في مال أمته دون غيره لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم، وهذا وإن كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم أخلاقه ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: وأما مخالفته ﷺ لما عرف من عادته من الإبعاد عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن أعين النظار، فقد قيل فيه إنه ﷺ كان مشغولاً بمصالح المسلمين، ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج إلى البول فلو أبعد لتضرر، واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه، أو لعله فعله ....

صحيحه،) فيحمل عليه، لأن الروايات تبين بعضها، **(وقيل يحتمل أن يكون علم إذنهم في ذلك بالتصريح، أو غيره،)** كإمارة دلت على ذلك، **(أو لكونه مما يتسامح الناس به، أو لعلمه بإيثارهم إياه بذلك، أو لكونه يجوز له التصرف في مال أمته دون غيره، لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم،)** فيما دعاهم إليه، ودعتهم أنفسهم إلى خلافه **(وأموالهم؛ وهذا،)** أي: التعليل بجواز التصرف.

(وإن كان صحيح المعنى، لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم أخلاقه ﷺ.) أي: أنه عاملهم بما يتخيل إن فيه أذى؛ وإن جاز له ورضوا به، **(قال الحافظ ابن حجر:)** في الفتح أيضًا إذ الذي قبله من أول قوله والسباطة فيه أيضًا، ثم قال بعد قليل جواب سؤال، تقديره لم خالف عادته من الإبعاد، وبال على السباطة القريبة من الناس، **(وأما مخالفته ﷺ، لما عرف من عادته من الإبعاد، عند قضاء الحاجة، عن الطرق المسلوكة وعن أعين النظار)** بحيث لا يراه أحد، لما روى أبو داود وابن ماجه؛ والحاكم في علومه عن بلال بن الحرث وغيره، كان ﷺ إذا انطلق لحاجته تباعد حتى، لا يراه أحد، وروى ابن جرير وغيره بإسناد جيد عن ابن عمر، قال: كان ﷺ يذهب لحاجته إلى المغمس، قال نافع: وهو نحو ميلين من مكة، وفي القاموس المغمس، كمعظم ومحدث، وهو مبالغة في الأبعاد واستعمال الأدب، فلا ينافي في أن المستحب يحصل بما دون ميلين، **(فقد، قيل فيه،)** أي: وجه مخالفته لعادته، **(أنه ﷺ كان مشغولاً بمصالح المسلمين، ولعله)** في الفتح فلعله، بالفاء، **(طال عليه المجلس حتى احتاج إلى البول، فلو أبعد لتضرر)** بحبس البول إلى وصوله للمكان البعيد، **(واستدنى حذيفة،)** أي: طلب قربه منه، **(ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه،)** أي: يرى شخصه ﷺ مع وجود مانع رؤية عورته، ولفظ الفتح من لعله يمر به، وكان قدامه مستورًا بالحائط، **(أو لعله فعله،)** أي: الستر، **(لبيان**

لبيان الجواز. ثم هو في البول وهو أخف من الغائط لاحتياجه إلى زيادة تكشف، والغرض من الإبعاد التستر وهو يحصل بإرخاء الذيل والدنو من الساتر.

وروى الطبراني من حديث عصمة بن مُلك قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة فانتهى إلى سباطة قوم فقال: يا حذيفة استرني فذكر الحديث. وظهر منه الحكمة في إدنائه حذيفة في تلك الحالة.

وقيل: إنما بال قائمًا لأنها حالة يؤمن معها خروج الريح بصوت، ففعل ذلك لكونه قريبًا من الديار، ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال: البول قائمًا أحصن للدبر.

وقيل: السبب في ذلك ما روي عن الشافعي وأحمد: أن العرب ....

الجواز، ثم هو،) أي: الستر **(في البول، وهو أخف من الغائط لاحتياجه إلى زيادة تكشف،)** أسقط من الفتح، ولما يقترن به من الرائحة، وإسقاطه حسن، إذ لم يكن لغائطه رائحة كريهة، كما مر، **(والغرض من الإبعاد التستر، وهو يحصل بإرخاء الذيل، والدنو من الساتر،)** إن كان طوله ثلثي ذراع؛ وقرب منه بأن كان ما بينهما ثلاثة أذرع فأقل، والساتر تعرض المقعدة.

(وروى الطبراني من حديث عصمة بن مُلك) الخطمي، له أحاديث، أخرجها الدارقطني، والطبراني وغيرهما، مدارها على الفضل بن مختار، وهو ضعيف جدًا، قاله في الإصابة، وفي التقريب، زعم عبد الحق أن النسائي أخرج له حديثًا في السرقة، وتعقب ذلك ابن القطان، **(قال خرج علينا رسول الله ﷺ في بعض سكك،)** أي: طرق **(المدينة، فانتهى إلى سباطة قوم، فقال: «يا حذيفة استرني»، فذكر الحديث،)** وهو فدنوت حتى قمت عند عقبه، فبال قائمًا، **(وظهر منه الحكمة في إدنائه حذيفة في تلك الحالة،)** وهي قربه من القوم، وجلوسه في مظنة المارة عليه؛ مع أمره له بذلك، قال في الفتح: وكان حذيفة، لما وقف خلفه عند عقبه، استدبره وظهر أيضًا أن ذلك كان في الحضر، لا في السفر، ويستفاد من هذا دفع أشد المفسدتين بأخفهما، والإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معًا، وبيانه أنه ﷺ كان يطيل الجلوس لمصالح الأمة، ويكثر من زيارة أصحابه وعيادتهم، فلما حصره البول، وهو في بعض تلك الحالات، لم يؤخره حتى يبعد كعادته، لما يترتب على تأخيره من الضرر، فراعى أهم الأمرين، وقدم المصلحة في تقريب حذيفة منه ليستره من المارة، على مصلحة تأخره عنه، إذ لم يمكن جمعهما، **(وقيل: إنما بال قائمًا، لأنها حالة يؤمن معها خروج الريح بصوت، ففعل ذلك لكونه قريبًا من الديار، ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه، قال: البول قائمًا أحصن للدبر.)** من خروج الريح منه، **(وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي، وأحمد، أن العرب**

كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به. وروى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال: إنما بال ﷺ قائمًا لجرح كان بمأبضه.

والمأبض: بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة: باطن الركبة.

فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود، ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم لكن ضعفه الدارقطني والبيهقي.

والأظهر: أنه فعل ذلك لبيان الجواز، وكان أكثر أحواله البول عن قعود.

وقيل إن البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عائشة المتقدم. والصواب: أنه غير منسوخ، والجواب عن حديث عائشة أنه مستند إلى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت، وأما غير البيوت فلم تطلع هي عليه، ....

كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك، فلعله كان به) وجع صلب، بضم، فسكون، وبضمتين، عظام الظهر، وفي القاموس عظم من لدن الكاهل إلى العجب.

(**وروى الحاكم، والبيهقي من حديث أبي هريرة، قال: إنما بال ﷺ قائمًا لجرح كان بمأبضه، والمأبض، بهمزة ساكنة بعدها موحدة)** مكسورة، (**ثم**) ضاد (**معجمة، باطن الركبة، فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود، ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم)** لأنه نص وما تقدم احتمالات، (**لكن ضعفه الدارقطني، والبيهقي، والأظهر أنه فعل ذلك لبيان الجواز، وكان أكثر أحواله البول عن قعود.)** وقول ابن القيم الصحيح؛ أنه إنما فعله تنزيهًا وبعدًا؛ من إصابة البول فيه نظر، بل البول قائمًا في المكان الصلب، مما ينجس القدمين بالرشاش، (**وقيل إن البول عن قيام منسوخ؛ واستدل عليه بحديث عائشة المتقدم:)** ما بال قائمًا منذ أنزل عليه القرءان، وهذا زعمه أبو عوانة وابن شاهين، واستدلا بهذا وبحديثها أيضًا، من حدثكم أنه كان يبول قائمًا، فلا تصدقوه، ما كان يبول إلاَّ قاعدًا، (**والصواب أنه غير منسوخ)** إذ لا دليل على نسخه، (**والجواب عن حديث عائشة أنه مستند إلى علمها، فيحمل على ما وقع منه في البيوت، وأما غير البيوت، فلم تطلع هي عليه)**.

(**وقد حفظه حذيفة، وهو من كبار الصحابة، وهو جائز من غير كراهة إذا أمن الرشاش)**، وقد بينا أن ذلك كان بالمدينة، فتضمن الرد على ما نفته عائشة؛ من أن ذلك لم يقع بعد نزول القرءان، وقد ثبت عن عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وغيرهم؛ أنهم بالوا قيامًا، وهو دال على الجواز من غير كراهة؛ إذا أمن الرشاش، ولم يثبت عن النبي ﷺ في النهي شيء، كما بينته في

وقد حفظه حذيفة، وهو من كبار الصحابة، وهو جائز من غير كراهة إذا أمن الرشاش.

وكان ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال: اللّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. رواه البخاري من حديث أنس.

والخبث: ـ بضم المعجمة والموحدة ـ ومراده: ذكران الشياطين وإناثهم.

أوائل شرح الترمذي، قاله في فتح الباري، **(وكان ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء)** قال ابن الحاجب وغيره منصوب على الظرف، لأن دخل من الأفعال، اللازمة بدليل أن مصدره على فعول، وما كان كذلك، فهو لازم، ولأنه نقيض خرج، وهو لازم فيكون هو أيضًا كذلك، واختار قوم أنه مفعول به، وعن سيبويه أنه منصوب؛ بإسقاط الخافض، وجعله الحريري من الأفعال المتعدية تارة بنفسها، وتارة بحرف الجر.

(قال: «اللهم إني أعوذ») أي: ألوذ وألتجىء **(بك من الخبث)** جمع خبيث ذكر أن الشياطين، **(والخبائث)** إناثهم جمع خبيثة، وخص بذلك حال الخلاء، لأن الشياطين يحضرون الأخلية، وهي مواضع يهجر فيها ذكر اللّه، فقدم لها الاستعاذة احترازًا منهم، وقال ﷺ: «إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء، فليقل أعوذ باللّه من الخبث والخبائث».

رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الحاكم، وابن حبان، عن زيد بن أرقم، ومحتضرة، أي: تحضرها الشياطين، والحشوش، بضم الحاء وشينين معجمتين، المراحيض والكنف، **(رواه البخاري من حديث)** ءادم، عن شعبة، عن عبد العزيز، عن **(أنس)** بلفظ كان إذا دخل الخلاء الخ...، ثم قال: وقال غندر عن شعبة إذا أتى الخلاء، وقال سعيد بن زيد: حدثنا عبد العزيز إذا أراد أن يدخل انتهى، فبينت هذه الرواية المراد، فإذا اقتصر عليها المصنف، لكنه أوهم أن البخاري رواها مسندة مع أنه إنما رواها تعليقًا، كما رأيت، نعم وصلها في كتاب الأدب المفرد له، وهذه الروايات وإن اختلف لفظها، فمعناها متقارب، يرجع إلى معنى واحد، هو ما صرحت به الرواية الثالثة، وهو في الأمكنة المعدة لذلك بقرينة الدخول، ولذا، قال ابن بطال رواية إذا أتى أعم لشمولها انتهى.

(والخبث بضم المعجمة و) ضم **(الموحدة، ومرداه ذكران الشياطين)**، بالخبث جمع خبيث، **(وإناثهم)** بالخبائث جمع خبيثة، قاله ابن حبان، والخطابي، وزاد أن عامة أصحاب الحديث يقولونه، ساكن الباء، وهو غلط، والصواب ضمها واتفق من بعد الخطابي، على أنه الغلط، منهم النووي والتوربشتي، لأن الخبيث إذا جمع يجوز تسكين بائه للتخفيف؛ وهذا

وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ إظهارًا للعبودية، ويجهر بذلك للتعليم. وهل يختص هذا الذكر بالأبنية المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين، أو يعم؟ الأصح الثاني.

ويقول ذلك قبيل الدخول في الأمكنة، وأما في غيرها فيقوله في أول الشروع كتشمير ثيابه مثلاً، وهذا مذهب الجمهور، فلو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه.

مستفيض، لا يسع أحدًا مخالفته، إلاَّ أن يزعم أن ترك التخفيف أولى، لئلا يشتبه بالمصدر، لكن صرح جماعة من أهل المعرفة بالعربية، منهم أبو عبيدة، بأن الباء هنا ساكنة.

وقال ابن دقيق العيد: لا ينبغي أن يعد هذا غلطًا، لأن فعلاً، بضم الفاء والعين، تخفف عينه قياسًا، قال: ولا يتعين أن المراد بالخبث، بالسكون، ما لا يناسب المعنى، بل بمعناه، وهو بضمها نعم حمله، وهو ساكن على ما لا يناسب غلط في الحمل، لا في اللفظ انتهى.

وقد أشار البخاري إلى أنه روي بالوجهين، فقال: بعدما روى الحديث، ويقال الخبث، قال الحافظ: أي بإسكان الموحدة، فإن كانت مخففة عن الحركة، فتقدم توجيهه، وإن كانت بمعنى المفرد، فمعناه، كما قال ابن الأعرابي: المكروه، فإن كان من الكلام فالشتم، ومن الملل فالكفر، ومن الطعام فالحرام، ومن الشراب فالضار؛ وعلى هذا فالمراد بالخبائث المعاصي، أو مطلق الأفعال المذمومة، ليحصل التناسب، ولذا وقع في رواية الترمذي وغيره، أعوذ باللَّه من الخبث والخبث والخبائث؛ الأول بإسكان مع الأفراد، والثاني بالتحريك مع الجمع، أي: من الشيء المكروه، ومن الشيء الذموم، ومن ذكر أن الشياطين وإناثهم انتهى.

وفي المصباح من الخبث والخبائث، بضم الباء والإسكان، جائز على لغة تميم، قيل: ذكر أن الشياطين وإناثهم، وقيل من الكفر والمعاصي، (**وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ إظهارًا للعبودية**،) وإلاَّ، فهو معصوم من الشيطان، كسائر الأنبياء، (**ويجهر بذلك للتعليم**) لغيره؛ (**وهل يختص هذا الذكر بالأبنية المعدة لذلك، لكونها حضرة الشياطين**،) كما ورد في حديث زيد بن أرقم، في السنن، (**أو يعم**،) أي: يشمل ما لو بال في إناء؛ مثلاً في جانب البيت (**الأصح الثاني**،) ما لم يشرع في قضاء الحاجة، (**ويقول ذلك قبيل الدخول في الأمكنة، وأما في غيرها، فيقوله في أول الشروع، كتشمير ثيابه مثلاً**،) وكإرادة تقديم الرجل، (**وهذا مذهب الجمهور**،) المانعين ذكر اللَّه في تلك الحالة قائلين، (**فلو نسي يستعيذ بقلبه، لا بلسانه**،) ومن يجيز مطلقًا، لا يحتاج إلى تفصيل، وقد روى المعمري، بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة هذا الحديث بلفظ الأمر، قال: إذا دخلتم الخلاء فقولوا، بسم اللَّه، أعوذ باللَّه من الخبث والخبائث،

وعن أنس: كان ﷺ إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض. رواه الترمذي وأبو داود والدارمي.

وعن عائشة قالت: كان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن أنس: كان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى ....

قال الحافظ: وإسناده على شرط مسلم، وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية انتهى.

وظاهره تأخير التعوذ عن البسملة، وبه صرح جماعة، لأنه ليس للقراءة، قاله النووي: **(وعن أنس كان ﷺ إذا أراد الحاجة،)** أي: القعود لبول، أو غائط، **(لم يرفع ثوبه)** عن عورته، ولفظ أبي داود حال قيامه، أي: بل يصبر، **(حتى يدنو)**: يقرب **(من الأرض)**؛ فإذا دنا منها رفعه شيئًا فشيئًا، وهذا أدب مستحب اتفاقًا، ومحله ما لم يخف تنجس ثوبه، وإلاَّ رفع بقدر حاجته؛ **(رواه الترمذي وأبو داود)** في الطهارة، **(و)** شيخهما **(الدارمي)** عبد اللَّه بن عبد الرحمٰن، أبو محمد السمرقندي، الحافظ، أحد الأعلام، مات سنة خمس وخمسين ومائتين، وله خمس وسبعون سنة، ثم هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه، كما قاله الولي العراقي، وعبد الحق وغيرهما.

(وعن عائشة، قالت، كان ﷺ إذا خرج من الخلاء،) وفي رواية من الغائط، **(قال)** عقبة بحيث ينسب إليه عرفًا، **(«غفرانك»،)** بالنصب بتقدير أسألك غفرانك؛ الذي يليق إضافته إليك لماله من الكمال والجمال، عما قصرت فيه حال الخلاء من ترك الذكر، وما هو نتيجة الإسراع إلى الطعام، وقضاء الشهوات، ولا يرد أنه مأمور بترك الذكر حينئذٍ، فلا حاجة إلى الاستغفار، لأن سببه من قبله، فأمر بالاستغفار مما تسبب فيه، أو سأل مغفرة عجزه عن شكر تلك النعمة؛ حيث أطعم، ثم هضم، ثم جلب منفعته ودفع مضرته، وسهل خروجه، فرأى شكره قاصرًا عن بلوغ هذه النعم، ففزع إلى الاستغفار، والمراد بالغفران إزالة الذنب وإسقاطه، ويستحب قول غفرانك لقاضي الحاجة، سواء كان في صحراء، أو بنيان؛ مرة واحدة على ظاهر الحديث، وقيل مرتين، وقيل ثلاثًا، **(رواه الترمذي، وابن ماجه)** وأبو داود، والنسائي، والإمام أحمد، والبخاري في الأدب المفرد وعنه رواه الترمذي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن الجارود، وغيرهم، فقول الترمذي غريب، لا نعرفه إلاَّ من حديث عائشة، هذا مراده، لا نعرفه من وجه صحيح إلاَّ من حديثها وغيره من أذكار الخروج ضعيف، فهو كقول أبي حاتم حديث عائشة أصح ما في الباب، والغرابة بمعنى الفردية، فتجامع الصحة، فليس مراده نفيها، كما فهمه مغلطاي، واعترضه، **(وعن أنس كان ﷺ إذا خرج من الخلاء، قال: «الحمد للّه الذي أذهب عني الأذى»،)** بهضمه

وعافاني. رواه ابن ماجه.

وقال ﷺ: إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره، شرقوا أو غربوا، ....

وتسهيل خروجه، **(وعافاني)** منه، أي: من احتباس ما يؤذي بدني ويضعف قوتي، ولابن أبي شيبة، والدارقطني من مرسل طاووس، إذا خرج أحدكم من الخلاء، فليقل: الحمد للّه الذي أخرج عني ما يؤذيني، وأمسك على ما ينفعني، وفي رواية: الحمد للّه الذي أذاقني لذته، وأبقى على قوته، وأذهب عني أذاه، **(رواه ابن ماجه)** بإسناد ضعيف، كما قاله المنذري، ومغلطاي وغيرهما، ورواه النسائي من حديث أبي ذر، وقال: مضطرب غير قوي.

وقال الدارقطني حديث محفوظ.

وروى ابن السني بسند ضعيف عن أنس، كان إذا خرج من الغائط، قال: الحمد للّه الذي أحسن بي في أوله وآخره، **(وقال ﷺ إذا أتى،)** أي: جاء **(أحدكم الغائط، فلا يستقبل القبلة)** بكسر اللام، على النهي، وبضمها، على النفي، **(ولا يولها ظهره،)** جزم بحذف الياء على النهي، أي: لا يجعلها مقابل ظهره، قاله المصنف، والكرماني وغيرهما، وهو صريح في أن الرواية جاءت في يستقبل بالوجهين، وفي يولها بالجزم فقط، لكن جزم الحافظ بكسر اللام، لأن لا ناهية، واللام في القبلة للعهد، أي: الكعبة انتهى.

ولذا قال شيخنا: مجزوم، بلا الناهية، حرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وليس خبرًا بمعنى النهي لعطف، ولا يولها عليه مجزوماً.

قال الحافظ: زاد مسلم، ولا يستدبرها ببول، أو بغائط، والغائط الثاني غير الأول، أطلق على الخارج من الدبر مجازًا من إطلاق اسم المحل على الحال كراهية؛ لذكره بصريح اسمه، وحصل من ذلك جناس تام، والظاهر من قوله يبول، أو غائط اختصاص النهي، بخروج الخارج من العورة، ويكون مثاره إكرام القبلة عن المواجهة بالنجاسة، ويؤيده قوله في حديث جابر إذا أهرقنا الماء، وقيل مثاره كشف العورة، وعلى هذا، فيطرد في كل حالة تكشف فيها العورة، كالوطء، وقد نقله ابن شاس المالكي قولاً في مذهبه، وكان قائله تمسك برواية الموطأ، لا تستقبلوا القبلة بفروجكم، ولكنها محمولة على قضاء الحاجة، جمعًا بين الروايتين، **(شرقوا، أو غربوا،)** أي: خذوا في ناحية المشرق، أو المغرب؛ وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو لأهل المدينة، ومن كانت قبلتهم على سمتهم، أما من قبلتهم إلى المشرق، أو المغرب، فينحرف إلى جهة الجنوب، أو الشمال، قال الحافظ ولي الدين: ضبطناه في سنن أبي داود، وغربو، بلا ألف، وفي بقية الكتب الستة، بإثبات الألف، ونقله النووي عن بعض نسخ أبي داود، وكذا رأيته في

رواه البخاري من حديث أبي أيوب الأنصاري.

وهذا في الصحراء، أما في البنيان فلا، لما روي عن ابن عمر: ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام. رواه الشيخان.

مختصر السنن للمنذري، بإثباتها، ولعله من الناسخ، وكلاهما صحيح.

(**رواه البخاري**،) ومسلم، وأصحاب السنن (**من حديث أبي أيوب**،) خالد بن زيد بن كليب، (**الأنصاري**،) البدري، من كبار الصحابة، (**وهذا**) النهي محله (**في الصحراء، أما في البنيان، فلا**) يمنع الاستقبال، (**لما روى**) في التعبير به شيء، إذ هو فيما شك فيه، وهذا في الصحيحين، (**عن ابن عمر**) قال: (**ارتقيت**،) أي: صعدت (**فوق بيت**،) وفي رواية فوق ظهر بيت (**حفصة**،) زاد مسلم أختي، ولابن خزيمة: دخلت على حفصة بنت عمر، فصعدت ظهر البيت، وأضافه إليها؛ باعتبار أنه البيت الذي أسكنها فيه النبي ﷺ، وبقي في يدها إلى أن ماتت، فورث عنها، وفي رواية على ظهر بيت لنا، وأخرى على ظهر بيتنا، وإضافته إليه مجازًا لأنها أخته، أو باعتبار ما آل إليه الحال، لأنه ورث حفصة دون أخوته، لأنها شقيقته، ولم تترك من يحجبه عن الاستيعاب، (**لبعض حاجتي**،) أي: لأمر اقتضى رقيه، ولم يبينه لعدم الاحتياج إليه في بيان المقصود هنا.

(**فرأيت رسول الله ﷺ**) حال كونه (**يقضي حاجته**،) وحال كونه (**مستدبر القبلة، مستقبل الشام**،) وفي رواية بيت المقدس، والمعنى واحد، لأنهما في جهة واحدة، وسقط في رواية مستدبر القبلة، لأن ذلك من لازم من مستقبل الشام بالمدينة، وذكرت في هذه الرواية للتأكيد والتصريح به، ثم لا يرد أن شرط الحال كونها نكرة، ومستدبر مضاف، فتعرف بالإضافة، لأنها لفظية وهي لا تفيد التعريف، ولم يقصد ابن عمر الإشراف على النبي ﷺ في تلك الحالة، وإنما صعد السطح لضرورة، فحانت منه التفاتة، كما في رواية البيهقي، فلما رآه، بلا قصد أحب أن لا يخليها من فائدة، بحفظ هذا الحكم الشرعي، وكأنه إنما رآه من جهة ظهره، حتى ساغ له تأمل الكيفية المذكورة من غير محذور، ودل ذلك على شدة حرصه على تتبع أحواله ﷺ ليتبعها، وكذا كان رضي الله عنه، (**رواه الشيخان:**) أن ناسًا يقولون إذا قعدت على حاجتك، فلا تستقبل القبلة، ولا بيت المقدس، فقال ابن عمر: ارتقيت، فذكره، وادعى الخطابي الإجماع على عدم تحريم استقبال بيت المقدس، لمن استدبر في استقباله الكعبة وفيه نظر، فقد قال قوم، منهم النخعي، وابن سيرين، بالتحريم عملاً بحديث معقل الأسدي، قال: نهى رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلتين ببول، أو غائط، رواه أبو داود وغيره، وهو حديث ضعيف، لأن فيه راويًا يا

وأما حديث جابر: عند أحمد وأبي داود وابن خزيمة، ولفظه عند أحمد: كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نستدبر القبلة أو نستقبلها بفروجنا إذا أهرقنا الماء. قال جابر: ثم رأيته قبل موته بعام مستقبل القبلة. فقال في فتح الباري:

الحق أنه ليس بناسخ لحديث النهي خلافًا لمن زعمه، بل هو محمول على أنه رآه في بناء أو نحوه، لأن ذلك هو المعهود من حاله ﷺ لمبالغته في التستر. ودعوى خصوصية ذلك بالنبي ﷺ لا دليل عليها، إذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال.

ومذهب الجمهور وهو مذهب ملك والشافعي وإسحٰق: التفريق بين البنيان والصحراء، وهذا أعدل الأقوال لإعماله جميع الأدلة.

وقال قوم بالتحريم مطلقًا، وهو المشهور عن أبي حنيفة وأحمد، ....

مجهول الحال، وعلى تقدير صحته، فالمراد بذلك أهل المدينة؛ ومن على سمتها، لأن استقبالهم بيت المقدس يستلزم استدبارهم الكعبة، فالعلة استدبار الكعبة، لا استدبار بيت المقدس، قاله الحافظ.

(**وأما حديث جابر عند أحمد، وأبي داود، وابن خزيمة**) وغيرهم، (**ولفظه عند أحمد: كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نستدبر القبلة**) أي: الكعبة، (**أو نستقبلها بفروجنا، إذا أهرقنا الماء، قال جابر: ثم رأيته قبل موته بعام، مستقبل القبلة، فقال في فتح الباري:**) في شرح حديث أبي أيوب (**الحق؛ أنه ليس بناسخ لحديث النهي، خلافًا لمن زعمه**) إذ لا دليل على النسخ، ومجرد رؤيته يفعل خلاف النهي، لا يدل عليه، وكان زاعمه قصد به دفع المعارضة، ولذا أضرب، فقال: (**بل**) الجمع بينهما ممكن، بلا دعوى نسخ، إذ (**هو محمول على أنه رآه في بناء، أو نحوه، لأن ذلك هو المعهود من حاله ﷺ، لمبالغته في الستر؛**) ورؤية ابن عمر له كانت عن غير قصد، وكذا رؤية جابر، هكذا في الفتح قبل قوله: (**ودعوى خصوصية ذلك،**) أي: استقبال القبلة حال البول (**بالنبي ﷺ، لا دليل عليها إذ الخصائص، لا تثبت بالاحتمال**)، بل بالنص الصريح، وقد أمكن الجمع بدون دعوى الخصوصية، (**ومذهب الجمهور، وهو مذهب ملك؛ والشافعي، وإسحٰق**) بن راهويه، أحد الأئمة الذين دونت مذاهبهم (**التفريق بين البنيان**)، فيجوز لحديث ابن عمر الصريح في جواز الاستدبار وحديث جابر الدال على جواز الاستقبال، (**و**) بين (**الصحراء،**) فيمنع لحديث أبي أيوب، (**وهذا أعدل الأقوال لأعماله جميع الأدلة**) بخلاف غيره، ففيه إلغاء أحدها، وقد تقرر عند الفقهاء، والمحدثين، والأصوليين؛ أنه متى أمكن الجمع بين الدليلين جمع، (**وقال قوم بالتحريم مطلقًا**) في صحراء، أو بنيان، (**وهو المشهور عن أبي**

ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم: أن النهي مقدم على الإباحة، ولم يصححوا حديث جابر المتقدم.

وقال قوم بالجواز مطلقًا، وهو قول عائشة وعروة بن الزبير وربيعة، محتجين بأن الأحاديث تعارضت فلنرجع إلى أصل الإباحة.

وفي البخاري عن أنس كان ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام، .....

حنيفة، وأحمد،) وقال به أبو نور، صاحب الشافعي، (**ورجحه من الملكية، ابن العربي،**) ومن الظاهرية ابن حزم، (**وحجتهم أن النهي**) في حديث أبي أيوب، (**مقدم على الإباحة،**) التي دل عليها حديث ابن عمر، (**ولم يصححوا حديث جابر المتقدم،**) الصريح في النهي، ولكن، قد صححه ابن خزيمة، وابن حبان.

(**وقال قوم: بالجواز مطلقًا، وهو قول عائشة، وعروة بن الزبير، وربيعة**) بن أبي عبد الرحمٰن، وداود، (**محتجين بأن الأحاديث تعارضت، فلنرجع إلى أصل الإباحة،**) ويرد عليهم أن محل ذلك ما لم يمكن الجمع، وقال قوم: بجواز الاستدبار دون الاستقبال، حكي عن أبي حنيفة، وأحمد وتمسكوا بحديث ابن عمر، فخصصوا به عموم حديث أبي أيوب، ولم يصححوا حديث جابر، ولم يلحقوا الاستقبال بالاستدبار قياسًا، لأنه لا يصح، وقيل بجواز الاستدبار في البنيان فقط لحديث ابن عمر، وهو قول أبي يوسف، وقيل بعموم التحريم حتى القبلة المنسوخة، وقيل يختص التحريم بأهل المدينة، ومن على سمتها، أما من قبلته المشرق، أو المغرب، فيجوز له الاستدبار والاستقبال مطلقًا؛ لعموم قوله: شرقوا، أو غربوا، (**وفي البخاري، عن أنس: كان ﷺ إذا خرج**) من بيته، أو من بين الناس (**لحاجته،**) أي: البول، أو الغائط، ولفظ كان يشعر بالتكرار والاستمرار، (**أجيء أنا وغلام،**) زاد في رواية للبخاري منا، أي: من الأنصار؛ وبه صرح الإسمٰعيلي، ولمسلم، نحوى، أي: مقارب لي في السن، والغلام هو المترعرع، قاله أبو عبيد، وفي المحكم من لدن الفطام إلى سبع سنين، وفي الأساس الغلام الصغير إلى حد الالتحاء، فإن قيل له بعده غلام فمجاز، قيل الغلام ابن مسعود لقول أبي الدرداء، لعلقمة بن قيس، أليس فيكم صاحب النعلين، والطهور، والوساد، يعني ابن مسعود الحديث في الصحيح، فيكون أنس سماه غلامًا مجازًا، ويكون معنى قوله منا، أي: من الصحابة، أو من خدمه ﷺ؛ وقوله في رواية الإسمٰعيلي من الأنصار، لعلها من تصرف الراوي، رأى في الرواية منا، فحملها على القبيلة، فرواها بالمعنى، أو لأن إطلاق الأنصار على جميع الصحابة سائغ، وإن خصه العرف بالأوس والخزرج؛ لكن يبعده رواية مسلم غلام نحوي، فوصفه بالصغرى، ويحتمل أنه أبو هريرة، فعنه كان النبي ﷺ، إذا أتى الخلاء أتيته بماء في ركوة فاستنجى؛ ويؤيد ما رواه البخاري في ذكر

ومعنا إداوة من ماء، يعني يستنجي به. وفي رواية مسلم عنه: فخرج علينا وقد استنجى بالماء.

وعن أبي هريرة قال: اتبعت النبي ﷺ وخرج لحاجته فقال ابغني أحجارًا أستنفض بها ....

الجن عن أبي هريرة، أنه كان يحمل مع النبي ﷺ الإداوة لوضوئه وحاجته، ويكون المراد بقول أنس نحوى، أي: في الحال، لقرب عهده بالإسلام ويحتمل أنه جابر؛ ففي مسلم أنه ﷺ انطلق لحاجته فاتبعه جابر بإداوة، ولا سيما وجابر أنصاري، ووقع للإسمٰعيلي في روايته، فاتبعته وأنا غلام بتقديم الواو، فتكون حالية، لكن تعقبها الإسمٰعيلي بأن الصحيح أنا وغلام بواو العطف، **(ومعنا إداوة)**، بكسر الهمزة إناء صغير من جلد مملوءة **(من ماء)** وورد أن إذا للاستقبال، وخرج للمضي، فلا يصح هنا إذ الخروج، قد وقع؛ وأجيب بأن إذا هنا لمجرد الظرفية، فالمعنى تبعته حين خرج، أو هو حكاية للحال الماضية، **(يعني يستنجي به)**.

زعم الأصيلي، إن قائل ذلك هشام بن عبد الملك، شيخ البخاري، فيه، وقد رواه بعده عن شيخه سليمٰن بن حرب، فقال: يستنجي بالماء، ورواه عن محمد بن جعفر، بلفظ إذ تبرز لحاجته أتيته بماء، فيغسل به، **(وفي رواية مسلم، عنه)** أنس، **(فخرج)** النبي ﷺ **(علينا، وقد استنجى بالماء،)** وللإسمٰعيلي، فأنطلق أنا وغلام من الأنصار معنا إداوة فيها ماء يستنجي منها النبي ﷺ، قال الحافظ: فبان بهذه الروايات أن حكاية الاستنجاء، من قول أنس، لا من قول هشام، كما ادعى الأصيلي، وأنه يحتمل أن الماء لوضوئه، فقد انتفى هذا الاحتمال بهذه الروايات، وهي ترد أيضًا زعم أبي عبد الملك البوني؛ إن قوله يستنجي بالماء، مدرج من قول عطاء، راويه عن أنس، **(وعن أبي هريرة، قال: اتبعت النبي)** بتشديد المثناة، أي: سرت وراءه (ﷺ و) قد **(خرج لحاجته،)** جملة وقعت حالاً، فلا بد فيها من قد ظاهرة، أو مقدرة، قاله المصنف، فظاهره أن لفظ، قد لم يقع في رواية، فما في نسخ هنا من زيادتها، لا يعتمد، وأسقط الرواية، كان لا يلتفت وراءه، فدنوت منه، زاد الإسمٰعيلي أستأنس وأتنحنح، فقال: من هذا؟ فقلت: أبو هريرة، **(فقال: أبغني،)** بهمزة وصل ثلاثي، أي: أطلب لي، يقال بغيتك الشيء، أي: طلبته لك، وبهمزة قطع إذا كان من المزيد، أي: أعني على الطلب، يقال أبغيتك الشيء، أي: أعنتك على طلبه؛ وهما روايتان.

قال الحافظ: والوصل أليق بالسياق، ويؤيده رواية الإسمٰعيلي: آتني، وفي رواية أبغ لي بهمزة قطع، ولام، بعد، المعجمة بدل النون، **(أحجارًا،)** مفعول ثانٍ، لا يغني، أو آتني من آتاه بالمد أعطاه، والمعنى هنا ناولني أحجارًا **(استنفض بها،)** بفاء مكسورة وضاد معجمة، مجزوم

ولا تأتني بعظم ولا روث، فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه فلما قضى حاجته أتبعه بهن.

جواب الأمر، ويجوز الرفع على الاستئناف، قال القزاز: استفعل من النفض، وهو أن يهز الشيء ليطير غبره، قال: وهذا موضع استنظف، أي: بتقديم الظاء المشالة على الفاء، ولكن كذا روى، ورده الحافظ؛ بأن الرواية صواب، ففي القاموس استنفضه: استخرجه، وبالحجر استنجى، وهو مأخوذ من كلام الطرزي، قال: الاستنفاض الاستخراج؛ ويكنى به عن الاستنجاء، ومن رواه، بالقاف، والصاد المهملة، فقد صحف، وللإسمعيلي بدل استنفض، استنجى، وكأنها المراد بقوله في رواية البخاري، أو نحوه، ويكون التردد من بعض رواته انتهى.

وأو نحوه بالنصب مفعول، قال: أي: قال نحو هذا اللفظ، فلا يرد أن قال إنما تنصب الجمل ونحوه مفردًا، لأنه وإن كان مفردًا، لكنه في معنى الجملة، كقلت قصيدة، **(ولا تأتني)** بالجزم، بحذف الياء على النهي، للكشميهني بإثبات الياء على النفي.

وفي رواية لا تأتي **(بعظم، ولا روث،)** لأنهما مطعومان للجن، كما في البخاري، وفي المبعث أن أبا هريرة، قال للنبي ﷺ: لما أن فرع ما بال العظم والروث، قال: هما من طعام الجن، فظاهر هذا التعليل اختصاص المنع بهما، نعم يلحق بهما جميع مطعومات الآدميين بالأولى، وكذا المحترمات، كأوراق كتب العلم وكأنه ﷺ خشي أن يفهم أبو هريرة له من قوله استنجى، إن كل ما يزيل الأثر كافٍ، ولا اختصاص لذلك بالأحجار، فنبهه باقتصاره في النهي على العظم والروث، إن ما سواهما يجزىء، ولو اختص ذلك بالأحجار، كما يقول بعض الحنابلة والظاهرية، لم يكن لتخصيص هذين بالنهي معنى، وإنما خص الأحجار بالذكر؛ لكثرة وجودها، ومن قال علة النهي عن الروث نجاسته ألحق به كل نجس ومتنجس، وعن العظم كونه لزجاً، لا يزيل إزالة تامة، الحق به كل ما في معناه، كالزجاج الأملس، ويؤيده ما رواه الدارقطني، وصححه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهى أن نستنجي بروث، أو عظم، وقال أنهما، لا يطهران، **(فأتيته بأحجار بطرف،)** أي: في طرف **(ثيابي، فوضعتها إلى جنبه،)** أسقط من رواية البخاري، وأعرضت عنه كذا في أكثر الروايات، وللكشميهني، واعترضت بزيادة مثناة بعد العين، والمعنى متقارب، **(فلما قضى حاجته أتبعه)** بهمزة قطع، أي: ألحقه **(بهن،)** أي: أتبع المحل بالأحجار، وكني بذلك عن الاستنجاء، وقضيته أنه لم يتبعها بالماء، ولا يخالفه قول عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط الأمس ماء، رواه ابن ماجه.

وفي رواية له أيضًا، عنها: كان يغسل مقعدته ثلاثًا، لأنه أخبار عمار أنه، فلا ينافي رؤية غيرها الاقتصار على الأحجار، ويحتمل أنه استنجى بالماء بعد الأحجار، قال الحافظ: وفي

وعن عبد الله بن مسعود قال: أتى النبي ﷺ الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار، فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده فأخذت روثة فأتيته بها، فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال هذا ركس. رواه البخاري.

وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعًا: لا يستنج أحدكم بأقل من ثلاثة

الحديث جواز اتباع السادات، وإن لم يأمروا بذلك، واستخدام الإمام بعض رعيته، والأعراض عن قاضي الحاجة، الإعانة على إحضار ما يستنجي، وإعداده عنده، كي لا يحتاج إلى طلبه بعد الفراغ، فلا يأمن التلويث، (**وعن عبد الله بن مسعود، قال: أتى النبي ﷺ الغائط**،) أي: الأرض المطمئنة لقضاء الحاجة، فالمراد به معناه اللغوي، (**فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار، فوجدت**،) أي: أصبت (**حجرين، والتمست**)، أي: طلبت الحجر (**الثالث، فلم أجده**)، بالضمير المنصوب، أي: الحجر الثالث، وفي رواية بحذف الضمير، (**فأخذت روثة**،) زاد في رواية ابن خزيمة، وكانت روثة حمار، ونقل التيمي أن الروث مختص بما يكون من الخيل والبغال والحمير؛ (**فأتيته بها، فأخذ الحجرين، وألقى الروثة، وقال: هذا ركس**،) بكسر الراء، وإسكان الكاف، قيل لغة في رجس بالجيم، ويدل عليه رواية ابن ماجه، وابن خزيمة، بالجيم ويؤيده أيضًا رواية الترمذي، هذا ركس يعني نجسًا، وقيل الرجس: الرجيع، رد من حالة الطهارة إلى حالة النجاسة، قاله الخطابي وغيره، والأولى أن يقال رد من حالة الطعام إلى حالة الروث.

قال ابن بطال: لم أجد هذا الحرف في اللغة، يعني الركس بالكاف، وتعقبه أبو عبد الملك بأن معناه الرد، كما قال تعالى: ﴿أركسوا فيها﴾ [النساء/٩١]، أي: ردوا، فكأنه، قال: هذا رد عليك، انتهى.

ولو ثبت ما قاله، لكان بفتح الراء، يقال: أركسه ركسًا، إذا رده، وأغرب النسائي، فقال عقب هذا الحديث: الركس طعام الجن، وهذا إن ثبت لغة، فهو يزيح الإشكال، قاله الحافظ، وذكر اسم الإشارة الراجع للروثة؛ باعتبار تذكير الخبر كقوله تعالى: ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام/ ٧٦، ٧٧]، وفي رواية: هذه ركس على الأصل، ووجه إتيانه بالروثة، مع أمره بالأحجار أنه قاسها على الحجر بجامع الجمود، فقطع ﷺ قياسه بالفرق، أو بإبداء المانع بقوله هذا ركس، وإن كان قياسه لضرورة عدم المنصوص عليه؛ (**رواه**،) أي: المذكور من حديثي أبي هريرة، وابن مسعود (**البخاري**) في الطهارة وغيرها، ويقع في كثير من نسخ المصنف سقوط، وقال: هذا ركس في بعضها ثبوتها، وهو أحسن، إذ هي في البخاري، (**وفي حديث سلمن**) الفارسي، (**عند مسلم مرفوعًا**) بمعنى، قال ﷺ: (**لا يستنج أحدكم بأقل من ثلاثة أحجار**؛) فنهيه وافق أمره لابن

أحجار.

وقد أخذ الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث بهذا، فاشترطوا أن لا ينقص عن الثلاثة مع مراعاة الإنقاء وإذا لم يحصل بها فتزاد حتى تنقى. ويستحب حينئذٍ الإيتار، لقوله عليه الصلاة والسلام من استجمر فليوتر. وليس بواجب لزيادة في أبي داود حسنة الإسناد، قال: ومن لا فلا حرج، قال الخطابي: لو كان القصد الإنقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة، فلما اشترط العدد لفظًا وعلم الإنقاء فيه معنى دل على إيجاب الأمرين. ونظيره: العدة بالأقراء، فإن العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد. وقال الطحاوي: لو كان العدد مشترطًا لطلب عليه الصلاة والسلام حجرًا ثالثًا. وغفل ـ رحمه الله ـ عما أخرجه أحمد في مسنده من طريق معمر ....

مسعود، أن يأتيه بثلاثة، (**وقد أخذ الشافعي، وأحمد، وأصحاب الحديث بهذا**) المذكور من النهي والأمر، (**فاشترطوا أن لا ينقص عن الثلاثة، مع مراعاة الانقاء، وإذ لم يحصل بها فتزاد حتى تنقى، ويستحب حينئذٍ الإيتار؛ لقوله عليه الصلاة والسلام، من استجمر فليوتر**) فالأمر للندب، (**وليس بواجب لزيادة في أبي داود،**) وابن ماجه، (**حسنة الإسناد،**) وصححه ابن حبان، (**قال**) عقب قوله: فليوتر من فعل، فقد أحسن، (**ومن لا فلا حرج**) عليه في عدم الإيتار، وبهذا أخذ ملك، وأبو حنيفة؛ وداود، ومن وافقهم في أن الإيتار مستحب فقط، لا شرط، ولا يخالفه حديث سلمٰن في النهي، لحمله على الكمال، وكذا أمره لابن مسعود، لا لأنه شرط، كما زعم المخالف لتصريحه في هذه الرواية: بأن الأمر ليس للوجوب، وبه حصل الجمع بين الأدلة، وحمله على الزائد على الثلاث أن لم تنق تحكم.

(**قال الخطابي**) منتصرًا لمذهب: (**لو كان القصد الإنقاء فقط، لخلا اشتراط العدد عن الفائدة،**) وفيه أنه لم يخل عنها إذ المستحب فائدة، (**فلما اشترط العدد لفظًا، وعلم الانقاء فيه معنى دل على إيجاب الأمرين:**) العدد والانقاء؛ فإن حصل بالثلاث والأزيد (**ونظيره العدة بالأقراء، فإن العدد مشترط، ولو تحققت براءة لرحم بقرء واحد،**) وهذا ممنوع، وسنده أن في العدة ضربًا من التعبد، (**وقال الطحاوي:**) تأييدًا لمذهبه، (**لو كان العدد مشترطًا لطلب عليه الصلاة والسلام، حجرًا ثالثًا، وغفل رحمه الله**) مع كونه من كبار الحفاظ، (**عما أخرجه أحمد في مسنده من طريق معمر**) ابن راشد الأزدي، مولاهم البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت من رجال الجميع، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، عن أبي إسحٰق، عمرو بن

عن ابن مسعود في هذا الحديث، فإن فيه: فألقى الروثة وقال: إنها ركس، ائتني بحجر، ورجاله ثقات أثبات. واستدلال الطحاوي فيه نظر، لاحتمال أن يكون اكتفى بطرف أحدهما عن الثالث، لأن المقصود بالثلاثة: أن يمسح بها ثلاث مسحات، وذلك حاصل ولو بواحد. انتهى ملخصًا من فتح الباري.

عبد اللّٰه السبيعي، عن علقمة؛ (**عن ابن مسعود،**) فسقط من المصنف راويان عند أحمد، مذكوران في الفتح، وهو من التلخيص المخل، إذ معمر لم يدرك ابن مسعود (**في هذا الحديث، فإن فيه، فألقى الروثة، وقال إنها ركس ائتني بحجر؛**) وفي رواية ائتني بغيرها، (**ورجاله ثقات، إثبات**) روى لهم الشيخان زاد الحافظ، وقد تابع معمرًا عليه أبو شيبة الواسطي، وهو ضعيف، أخرجه الدارقطني، وتابعهما عمار بن زريق أحد الثقات؛ عن أبي إسحٰق، وقد قيل؛ أن أبا إسحٰق لم يسمع من علقمة، لكن أثبت سماعه منه لهذا الحديث الكرابيسي، وعلى تقدير أنه أرسله عنه، فالمرسل حجة عند المخالفين، وعندنا أيضًا إذا اعتضد.

(**واستدلال الطحاوي**) على تقدير أنه لم يأخذ إلا الحجرين، (**فيه نظر لاحتمال أن يكون اكتفى**) بالأمر الأول، في طلب الثلاثة فلم يجدد الأمر بطلب الثالث، كما في الفتح قائلاً أو اكتفى (**بطرف أحدهما عن الثالث؛ لأن المقصود بالثلاثة أن يمسح بها ثلاث مسحات، وذلك حاصل ولو بواحد**) والدليل على صحته، أنه لو مسح بطرف واحد ورماه، ثم جاء آخر فمسح بطرفه الآخر؛ لأجزأهما بلا خلاف (**انتهى. ملخصًا من فتح الباري**) وزاد وقال أبو الحسن بن القصار المالكي: روى أنه أتاه بثالث لكن لا يصح، ولو صح فالاستدلال به لمن لا يشترط الثلاثة قائم، لأنه اقتصر في الموضعين على ثلاثة فحصل لك منهما أقل من الثلاثة، وفيه نظر أيضًا لأن الزيادة ثابتة كما قدمنا؛ وكأنه إنما وقف على الطريق التي عند الدارقطني فقط، ثم يحتمل أنه لم يخرج منه شيء إلا من سبيل واحد، وعلى تقدير أنه خرج منهما فيحتمل أنه اكتفى، للقبل بالمسح في الأرض وللدبر بالثلاث؛ أو مسح من كل منها بطرفين، وأما استدلالهم على عدم اشتراط العدد بالقياس على مسح الرأس، ففاسد الاعتبار لأنه في مقابلة النص الصريح، كما تقدم من حديث أبي هريرة وسلمٰن انتهى.

ولا فساد لحمل النص على الكمال واللّٰه أعلم.

الفهرس